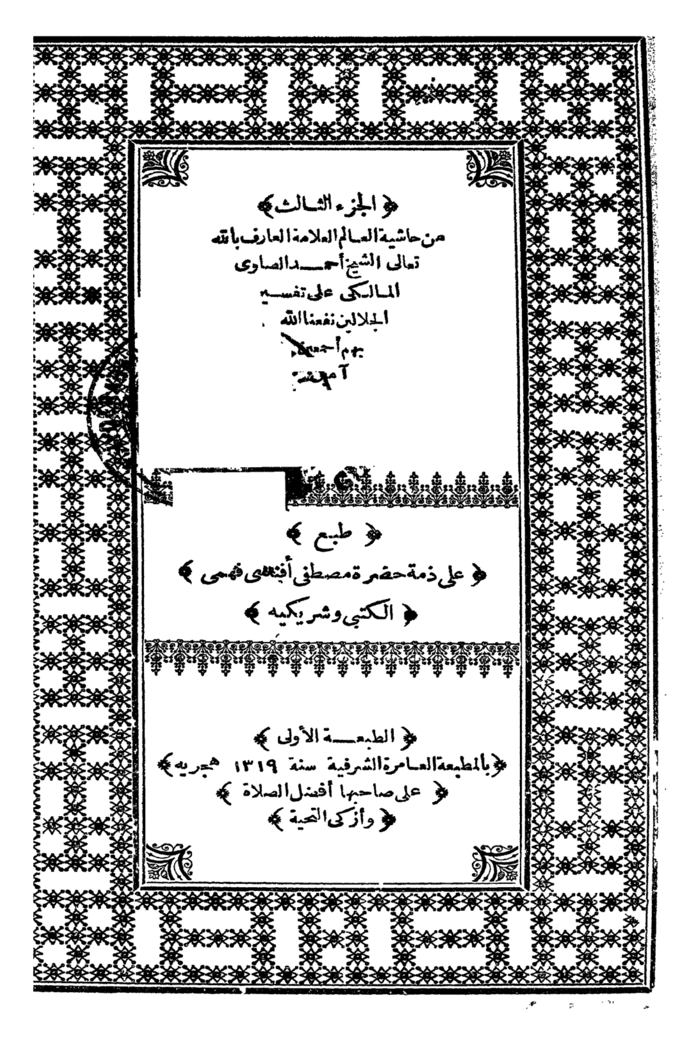


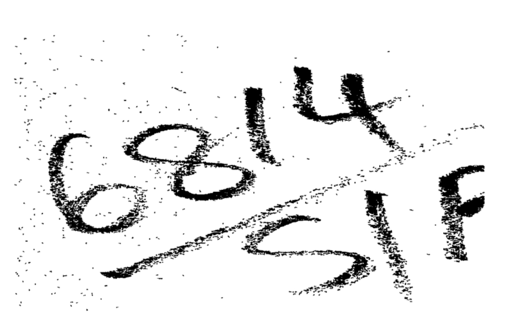
الجزء الثالث

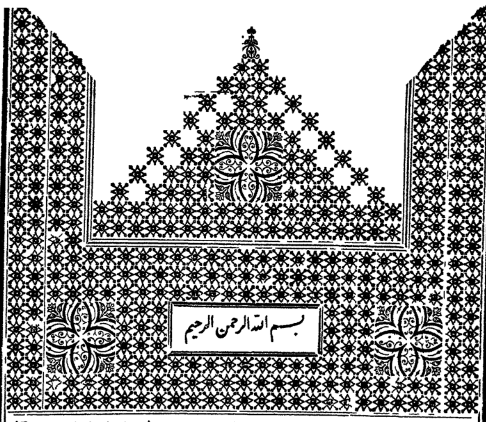
من حاشية العالم العلامة العارف بالله
تعالى الشيخ أحمد الصاوى
المالكى على تفسير
الجلالين نفعنا الله
بهم أجمعين
آمين

طبع

على ذمة حضرة مصطفى أفندى فهمى
الكتبي وشريكيه

الطبعة الأولى
بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣١٩ هجريه
على صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية





الحمد لله الاول الآخر الباطن الظاهر والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر وعلى آله وأصحابه ذوى العلا والمفاخر (وبعد) فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطى فلنشرع الآن فى الكلام على تأليف شيخه الجلال محمد بن أحمد المحلى نفعنا الله بهما وبعلومهما فى الدنيا والآخرة ونسأل الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الايمان والاسلام قال نفعنا الله به

﴿سورة الكهف مكية﴾

سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشئ باسم بعضه وسورة مبتدا ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره اشارة الى ان الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدا والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلا وأبدا لحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكمالات أزلى مستمر وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) أى الاخبار بان وصفه بالكمال أزلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى والمقصود منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى ايمانهم والمخبر بالحمد حامد (قوله أو الثناء به) أى انشاء الثناء بمضمون تلك الجملة لا انشاء المضمون فانه ثابت أزلا يستحيل انشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا انشائية معنى كأنه قال أحمد وأنشئ حمدا لنفسى نفسى لعجز خلقى عن كنه حمدى ولذا حكى عن أبى العباس المرسى أنه سأل ابن النحاس النحوى عن أل فى الحمد لله هل هى جنسية أو عهدية فقال يقولون انها جنسية فقال لا بل هى عهدية لان الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه وأبقاه لهم يحمدونه به (قوله أوهما) أى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز فاستعمالها فى الخبر حقيقة واستعمالها فى الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين الاعلام للايمان والتصديق وانشاء الثناء (قوله أفيدها الثالث) أى أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات * ان قلت ان انشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم انشاء الثناء * قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل الغير المقصود فتحصل انه اذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلا غير

﴿سورة الكهف مكية الا واصبر نفسك الآية مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد) هو الوصف بالجميل ثابت (لله) تعالى وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به أو الثناء به أوهما احتمالات أفيدها الثالث

مقصود وان جعلت انشائية فقط كان الايمان بها حاصلا غير مقصود وان استعملت فيهما كان كل مقصود الذاته (قوله الذى أنزل) تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قال الحمد لله لاجل انزاله الخ وانما جعل الانزال سببا فى الحمد لانه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى اذ به تنال سعادة الدارين اذ فيه صلاح المعاد والمعاش قال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ (قوله على عبده) الاضافة لتشريف المضاف ولذا قال القاضى عياض

وممـا زادنى شرفا وتيهـا * وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى * وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة اما معطوفة على قوله أنزل فتكون من جملة المحمود عليه أو حال كما قال المفسر (قوله اختلافا) أى فى اللفظ والمعنى والعوج بالكسر الفساد فى المعانى وبالفتح فى الاجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف أى ذا تناقض (قوله قيما) ان أريد به الاستقامة فى المعنى كان حالا مؤكدة كما قال المفسر وان أريد به الاستقامة مطلقا كان حالا مؤسسة (قوله مستقيما) أى معتدلا قائما بمصالح العباد دنيا وأخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث انه يؤنسه فى قبره ويناقش عنه السؤال ويكون نورا له على الصراط ويوضع فى الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غيرالعامل به بمعنى انه يكون حجة عليه أو المعنى قيما حسن الالفاظ والمعانى لكونه فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة فان قلت مافائدة التأكيد قلنا دفع توهم ان نفى العوج عن غالبه لان الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بانزل وهو ينصب مفعولين قدر المفسر الاول بقوله الكافرين والثانى هو قوله بأسا وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الاول وحذف مفعوله الثانى لدلالة ماهنا عليه وذكر مفعوله الاول فى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر وفى بعض النسخ بالكتاب وحينئذ فيكون فاعل الانذار اما ضميرا عائدا على الله أو على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمؤمنين وقوله أن لهم أى بأن لهم وانما ذكر المفعولين معا لعدم النظير لهم بخلاف أهل الانذار فانواعهم مختلفة (قوله ماكثين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) أى الاجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) أشار بذلك الى أن قوله وينذر معطوف على ينذر الاول عطف خاص على عام والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أى مولودا ذكرا وأنثى فيشمل النصارى واليهود ومشركى العرب (قوله مالهم به من علم) أى لاستحالته عليه عقلا (قوله بهذا القول) هذا أحد أوجه فى مرجع الضمير والثانى أنه راجع للولد أى انهم نسبوا له الولد مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده الثالث انه راجع لله أى ليس لهم علم بالله اذ لو علموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح الميم بدل من آبائهم أى فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموما وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التأنيث والفاعل مستتر تقديره هى وكلمة تمييز له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله مقالتهم وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (قوله تخرج من أفواههم) أى من غير تأمل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله فى ذلك) أى فى هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله الا كذبا) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولا (قوله فلعلك باخع الخ) لعل تأتى للترجى وللاشفاق وكل ليس مقصودا هنا بل المراد هنا النهى والمعنى لا تبخع نفسك أى لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم ايمانهم (قوله بعدهم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله ان لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير فلا تهلك نفسك والمقصود منه تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم حزنا يؤدى لاهلاك نفسك وأما أصل الحزن والغم فهو شرط فى الايمان لا ينهى عنه لان الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر (قوله لحرصك) علة للعلة (قوله ونصبه

(الذى أنزل على عبده) محمد (الكتاب) القرآن (ولم يجعل له) أى فيه (عوجا) اختلافا تناقضا والجملة حال من الكتاب (قيما) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لينذر) يخوف بالكتاب الكافرين (بأسا) عذابا (شديدا من لدنه) من قبل الله (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا) هو الجنة (وينذر) من جملة الكافرين (الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به) بهذا القول (من علم ولا لآبائهم) من قبلهم القائلين له (كبرت) عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أى مقالتهم المذكورة (ان) ما (يقولون) فى ذلك (الا) مقولا (كذبا فلعلك باخع) مهلك (نفسك على آثارهم) بعدهم أى بعد توليهم عنك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) غيظا وحزنا منك لحرصك على ايمانهم ونصبه

على المفعول) أى والعامل فيه باخع (قوله انا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم وجعل ان كانت بمعنى صير فزينة مفعول ثان وان كانت بمعنى خلق فزينة حال أو مفعول لاجله وعلى كل فقوله ماعلى الارض مفعول (قوله وغير ذلك) أى من باقى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) أى يتزين بها ويتنعم قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) أى نعاملهم معاملة المختبر (قوله ناظرين الى ذلك) حال من الناس أى لنختبر الناس فى حال نظرهم الى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وعملا تمييز والجملة فى محل نصب سدت مسد مفعولى نبلو (قوله أى أزهد له) تفسير لقوله أحسن عملا والمعنى نميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاعلون) أى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أى ترابا (قوله جرزا) نعت لصعيدا والمعنى انا لنعيد ما على الارض من الزينة ترابا مستويا بالارض كصعيد أملس لانبات به ان قلت ان قوله ماعليها صريح فى أن الارض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الاخرى يوم تبدل الارض غير الارض أجيب بانه خص ماعلى الارض من الزينة لانه الذى به الغرور والفتنة (قوله أم حسبت) أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسر وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله أى أظننت) الاستفهام انكارى أى لاتظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والارض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الغار فى الجبل) أى وان لم يكن متسعا وهو قول وقيل ان الكهف الغار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) أى وكان من رصاص وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذى عليه وقيل ان الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقيل اسم للقرية وقيل اسم للجبل وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى وقيل دراهمهم التى كانت معهم وقيل كلبهم (قوله فيه أسماؤهم) أى ففيه فلان بن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الامر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله اذ أوى الفتية الى الكهف) أى نزلوه وسكنوه ﴿وحاصل قصتهم﴾ كما قال محمد بن اسحق لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الاصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فى مدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها افسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الايمان فصار يرسل أعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الاصنام ويقتل من يخالفه فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى فاخبر الملك بهم وبعبادتهم فبعث اليهم فاحضروا بين يديه يبكون فقال ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة فاختار واما أن تكونوا على ديننا واما ان نقتلكم فقال له أكبرهم ان لنا الها عظمته ملء السموات والارض لن ندعو من دونه الها أبدا اصنع ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلمانا مرداحسانا جدا وقال سأتفرغ لكم وأعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم الآن الا انى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلككم وانى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أمركم وترجعون الى عقولكم ثم انه سافر لغرض من أغراضه فخافوا انه اذا رجع من سفره عاقبهم أو يقتلهم فاستشوروا فيما بينهم واتفقوا على ان يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقى ففعلوا ذلك وانطلقوا الى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك

على المفعول له (انا جعلنا ما على الأرض) من الحيوان والنبات والشجر والانهار وغير ذلك (زينة لها لنبلوهم) لنختبر الناس ناظرين الى ذلك (أيهم أحسن عملا) فيه أى أزهد له (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا) فتاتا (جرزا) يابسا لاينبت (أم حسبت) أى أظننت (أن أصحاب الكهف) الغار فى الجبل (والرقيم) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كانوا) فى قصتهم (من) جملة (آياتنا عجبا) خبر كان وما قبله حال أى كانوا عجبا دون باقى الآيات أو أعجبها ليس الامر كذلك اذكر (اذ أوى الفتية الى الكهف)

مرارا فقال لهم الكلب أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تمليخا كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام سرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك الغار ما شاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاما فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل ويتضرعون إليه في دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس فقال لهم تمليخا يا إخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون فبينما هم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف وألقاه أيضا على كلبهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحير فيما يصنع بهم فألقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب الغار وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وأن يبين لهم أن الساعة آتية وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال دعوهم في كهفهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة نوم ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وممن فروا في لوحين من رصاص وجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومر بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد فجعل يتضرع ويقول رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف ويبني بحجارته حظيرة لغنمه فهدمه وبنى به حظيرة لغنمه فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيئتهم فلم يتغير منها شيء فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقت أن رقدوا ثم أرسلوا تمليخا إلى المدينة ليشتري لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها وقد أخذه أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن فأخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه فقال بعض الحاضرين يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس واسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم وأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدوا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم فلما قرآهما عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل بالحضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فإن فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والأرض تفضلت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد

جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على ايمانهم من قومهم الكفار (فقالوا ربنا آتنا من لدنك) من قبلك (رحمة وهيئ) أصلح (لنا من أمرنا رشدا) هداية (فضربنا على ٦ آذانهم) أي أنمناهم (في الكهف سنين عددا) معدودة (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم) علم مشاهدة (أي الحزبين) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أحصى) فعل بمعنى ضبط (لما لبثوا) للبثهم متعلق بما بعده (أمدا) غاية (نحن نقص) نقرأ (عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم) قويناها على قول الحق (اذ قاموا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه) أي غيره (الها لقد قلنا اذا شططا) أي قولا ذا شطط أي افراط في الكفر ان دعونا الها غير الله فرضا (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة ظاهرة (فمن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه تعالى قال بعض الفتية لبعض (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما ترتفقون به من غداء وعشاء (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بالتشديد والتخفيف تميل (عن كهفهم ذات اليمين) ناحيته (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة (وهم في فجوة منه) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذلك) المذكور (من آيات الله) دلائل قدرته (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة اهـ ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أي كصبي وصبية (قوله أصلح) أي أو يسر (قوله هداية) أي تثبيتا على الايمان وتوفيقا للاعمال الصالحة (قوله فضربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو المعنى الحقيقي وليس مرادا بل المراد أنمناهم ففي الكلام تجوز حيث شبه القاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك الى أن عددا مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسيأتي عدها في الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شئ أزلا فأجاب بقوله علم مشاهدة والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أزلا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لافتراقهم فرقتين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افترقوا فرقتين في قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أي ماض وليس اسم تفضيل لانه لا يبنى من غير الثلاثي (قوله للبثهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة وقوله متعلق بما بعده أي حال منه وأمدا مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أي نفصل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للملابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله انهم فتية) أي شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيرا للملك (قوله آمنوا بربهم) أي صدقوا به وانقادوا لاحكامه (قوله قويناها على قول الحق) أي حيث خالفوا الملك ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله اذ قاموا) ظرف لربطنا أي ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدي ملكهم) أي واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) أي خطابا للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) أي نعبد (قوله أي قولا ذا شطط) أشار بذلك الى أن شططا منصوب على المصدر بصفة لمحذوف على حذف مضاف أي افراط في الكفر أي مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله عطف بيان) أي أو بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدا (قوله هلا) أشار بذلك الى أن لولا للتحضيض والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه (قوله على عبادتهم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره اشارة الى أن اذ ظرف منصوب بمحذوف أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون الا الله) ما موصولة أو مصدرية والمعنى واذ اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله أو ومعبوداتهم غير الله (قوله ينشر لكم) أي يبسط ويوسع (قوله وبالعكس) أي فهما قراءتان سبعيتان وأما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله من غداء أو عشاء) أي أو غير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي أو لكل أحد والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس اذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) أي فأصله تتزاور قلبت التاء زايا وأدغمت في الزاي (قوله والتخفيف) أي بحذف احدى التاءين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) أشار بذلك الى ان ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد يمين الداخل للكهف وشماله وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة انه سد باب الكهف وبنى عليه مسجد لان الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم في فجوة منه) أي وسطه والجملة حالية (قوله المذكور) أي من نومهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة في أثناء القصة لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) أي معينا (قوله مرشدا)

أي

وتحسبهم) لو رأيتهم (أيقاظا) أى منتبهين لان أعينهم منفتحة جمع يقظ بكسر القاف (وهم رقود) نيام جمع راقد (ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال) لئلا
تأ كل الارض لحومهم (وكلبهم
باسط ذراعيه) يديه (بالوصيد
بفناء الكهف وكانوا اذا
انقلبوا انقلب وهو مثلهم في
النوم واليقظة (لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
بالتشديد والتخفيف (منهم
رعبا) بسكون العين وضمها
منعهم الله بالرعب من دخول
أحد عليهم (وكذلك) ك
فعلنا بهم ما ذكرنا (بعثناهم
أيقظناهم (ليتساءلوا بينهم
عن حالهم ومدة لبثهم (قال
قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما أو بعض يوم) لانهم دخلوا
الكهف عند طلوع الشمس
وبعثوا عند غروبها فظنوا
أنه غروب يوم الدخول ث
(قالوا) متوقفين في ذلك
(ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم بورقكم) بسكون الراء
وكسرها بفضتكم (هذه الى
المدينة) يقال انها المسماة
الآن طرسوس بفتح الراء
(فلينظر أيها أزكى طعاما
أى أى أطعمة المدينة أحل
(فليأتكم برزق منه وليتلطف
ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان
يظهروا عليكم يرجموكم)
يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم
في ملتهم ولن تفلحوا اذا) أى
ان عدتم في ملتهم (أبدا
وكذلك) كما بعثناهم
(أعثرنا) أطلعنا (عليهم
قومهم والمؤمنين (ليعلموا)
أى قومهم (أن وعد الله) بالبعث
(حق) بطريق أن القادر على
انامتهم المدة الطويلة وابقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على احياء الموتى (وان الساعة لا ريب) شك (فيها اذ) معمول لاعثرنا (يتنازعون)

أى هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبي أو لكل أحد (قوله بكسر القاف) أى كفخذ وأفخاذ وبضم أيضا كعضد وأعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقلبون فى كل سنة مرة فى يوم عاشوراء وقيل يقلبون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك بأمره تعالى (قوله وكلبهم) وكان أصفر اللون وقيل أحمر وقيل كلون السماء واسمه قطمير وقيل ريان وهو من جملة الحيوانات التى تدخل الجنة وبهذا تعلم ان حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضى المنقطع بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل ان كان بمعنى الماضى لا بمعنى المستقبل (قوله بفناء الكهف) أى رحبته وقيل المراد بالوصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبي أو لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أى فارا (قوله رعبا) أى فزعا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية أناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم (قوله بسكون العين وضمها) ظاهره ان القراآت أربع وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لان اللام ان خففت جاز فى العين السكون والضم وان شددت تعين فى العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ما ذكر) أى من القاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون ايقاظهم آية أخرى يعتبر بها هم وغيرهم (قوله ليتساءلوا) اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة (قوله قال قائل منهم) أى واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم فى غروب الشمس وعدمه (قوله لانهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره أنهم ناموا فى يوم دخولهم وتقدم انهم مكثوا مدة فى الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون فكان المناسب أن يقول لانهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أى بعضهم لبعض (قوله متوقفين فى ذلك) أى فى قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لامر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابعثوا) أى ارسلوا (قوله احدكم) أى وهو يمليخا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرها) سبعيتان (قوله وهذه) أى الدراهم التى كانت معهم من بيوت آبائهم فانهم أنفقوا بعضها قبل نومهم وبقى بعضها معهم فوضعوه عند رؤسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها قدر خف ولد الناقة الصغير (قوله الآن) أى فى الاسلام وأما فى الجاهلية فكانت تسمى افسوس وقيل افسوس من أعمال طرسوس (قوله أحل) أى أحل ذبيحة لانهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلطف) أى يترفق فى ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولا يشعرن بكم أحدا) أى لا يفعلن ما يؤدى الى شعور أحد بكم (قوله انهم) أى أهل المدينة (قوله ان يظهروا عليكم) أى يغلبوكم ويطلعوا عليكم (قوله أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يصيروكم اليها (قوله ولن تفلحوا اذا أبدا) أى لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرها ان قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود فى ملتهم مع الاكراه المستفاد من قوله انهم ان يظهروا عليكم الخ مع ان المكره غير مؤاخذ بما أكره عليه أجيب بان هذا مخصوص بشرعنا وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (قوله وكذلك) أى كما أنمناهم وبعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك اشارة الى أن مفعول أعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أى ذرية قومهم لان قومهم قد انقرضوا (قوله بلا غذاء) أى قوت (قوله وأن الساعة) أى القيامة (قوله معمول لاعثرنا) المناسب جعله ظرفا لمحذوف تقديره اذكر أو اقوله

أي المؤمنون والكفار (بينهم أمرهم) أمر الفتية في البناء حولهم (فقالوا) أي الكفار (ابنوا عليهم) أي حولهم (بنيانا) يسترهم (ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) أمر الفتية وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) حولهم (مسجدا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سيقولون) أي المتنازعون في عدد الفتية زمن النبي أي يقول بعضهم هم (ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) أي بعضهم (خمسة سادسهم كلبهم) والقولان لنصارى نجران (رجما بالغيب) أي ظنا في الغيبة عنهم وهو راجع الى القولين معا ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون (سبعة وثامنهم كلبهم) الجملة من مبتدا وخبر صفة سبعة بزيادة الواو وقيل تأكيدا ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الاولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس أنا من القليل وذكرهم سبعة (فلا تمار) تجادل (فيهم الا مراء ظاهرا) بما أنزل عليك (ولا تستفت فيهم) تطلب الفتيا (منهم) من أهل الكتاب اليهود (أحدا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فنزل (ولا تقولن لشيء) أي لاجل شيء (اني فاعل ذلك غدا) أي فيما يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أي الا ملتبسا بمشيئة الله تعالى بأن تقول ان شاء الله (واذكر ربك) أي مشيئته معلقا بها (اذا نسيت) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره ما دام في المجلس والحديث

قال الذين غلبوا (قوله أي المؤمنون والكفار) أي فقال المؤمنون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال الكفار نبني عليهم بيعة لانهم من أهل ملتنا (قوله ربهم أعلم بهم) يحتمل أن يكون من كلام الله أو من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) أي الذين كانوا في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) أي وبقي ظهر الكهف منفتحا كما تقدم (قوله أي المتنازعون) أي وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدا محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة لثلاثة وكذا يقال في قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجما بالغيب) أي ظنا من غير دليل ولا برهان (قوله أي المؤمنون) أي قالوا ذلك باخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) أي من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تأكيد) أي زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الاشارة الى تصحيح هذا القول دون ما قبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) العطف للتفسير على ما قبله فهما قولان فقط (قوله قل ربي أعلم بعدتهم) أي من غيره (قوله ما يعلمهم الا قليل) أي وهو النبي ومن سمع منه (قوله وذكرهم سبعة) أي وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينونس وساريونس وذونوانس وفليستطيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان قال بعضهم علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تطفأ باذن الله ولبكاء الاطفال والحمى المثلثة والصداع تشد على العضد الايمن ولأم الصبيان وللركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآثمين اهـ (قوله الا مراء ظاهرا) أي غير متعمق فيه بل تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما أنزل اليك) أي وهو القرآن (قوله ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي لا تسأل أحدا عن قصتهم فان فيما أوحي اليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنصارى لما روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن ذلك (قوله وسأله أهل مكة) أي بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه عنها فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما أو أربعين حتى شق عليه وتمارت قريش في ذلك (قوله فنزل) أي بعد انقضاء تلك المدة تعليما لامته الادب وتفويض الامور الى الله تعالى فان الانسان لا يدري ما يفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله أي لاجل شيء) أي تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله اني فاعل ذلك) المراد بالفعل ما يشمل القول (قوله أي فيما يستقبل من الزمان) أشار بذلك الى ان المراد بالغد ما يستقبل كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير لا خصوص اليوم الذي بعد يومك (قوله الا أن يشاء الله) استثناء من عموم الاحوال كأنه قال لا تقولن لشيء في حال من الاحوال الا في حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ) أي لما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال ان شاء الله (قوله قال الحسن وغيره ما دام في المجلس) أي ولو انفصل عن الكلام السابق وقال ابن عباس يجوز انفصاله الى شهر وقيل الى سنة وقيل أبدا وقيل الى أربعة أشهر وقيل الى سنتين وقيل ما لم يأخذ في كلام آخر وقيل يجوز بشرط ان ينوي في الكلام وقيل يجوز انفصاله في كلام الله تعالى لانه أعلم بمراده لا في كلام غيره وعامة المذاهب الاربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الايمان بالمشيئة ان تتصل وان يقصد بها حل اليمين ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس ولا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الاربعة ولو وافق قول الصحابة

والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لان الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر (قوله وقل) أى لاهل مكة (قوله ان يهدين) أى يدلنى (قوله فى الدلالة) متعلق باقرب (قوله رشدا) اما مفعول مطلق ليهدينى لموافقته له فى المعنى واليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح ان يكون تمييز الاقرب أى لاقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداه لما هو أعجب وأطلعه على ما هو أغرب حيث شاهد ما شاهد فى ليلة الاسراء وأعطاه علوم الاولين والآخرين وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك الى ان الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا فى كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا فى مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لان تمييز المائة فى الكثير مفرد مجرور وفى قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل قال ابن مالك

ومائة والالف للفرد أضف * ومائة بالجمع نزرا قد ردف

(قوله تسع سنين) أى لان كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك الى انه حذف المميز من الثانى لدلالة الاول عليه (قوله قل الله أعلم بما لبثوا) ان قلت ما فائدة الاخبار بذلك بعد ان بين الله ذلك أجيب باوجه أحدها ان المعنى قل الله أعلم بان الثلثمائة سنة والتسع قرية لاشمسية خلافا لزعم بعض الكفار انها شمسية ثانيها ان المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته ثالثها ان المعنى الله أعلم بعدة لبثهم قبل البعث وبعده واعلم انه اختلف فى أصحاب الكهف هل ماتوا ودفنوا أوهم نيام وأجسامهم محفوظة والصحيح انهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حين تأتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم ليحجن عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد ذكره ابن عيينة وفى رواية مكتوب فى التوراة والانجيل ان عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وانه يمر بالروحاء حاجا ومعتمرا ويجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا اه (قوله أى علمه) أى علم السموات والارض وما غاب فيهما (قوله على جهة المجاز) أى لان التعجب استعظام أمر خفى سببه وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى فاحاطته بالموجودات سمعا وبصرا وعلما أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورى وانما المقصود ذكر العظمة لا حقيقة التعجب (قوله من ولى) اما مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) أى قضائه (قوله واتل ما أوحى اليك) أى ولا تعتبر بهم (قوله لا مبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد أن يغير شيأ من القرآن فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الى يوم القيامة (قوله ملتحدا) أى تلتجئ اليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر نفسك) فى هذه الآية أمر للنبى صلى الله عليه وسلم بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الانعام لان تلك انما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كان الله يقول له احبس نفسك على ما يكرهه غيرك من رثاثة ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة ولا تلتفت لجمال الاغنياء وحسن ثيابهم فان حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع قال الشاعر

جمال الوجه مع قبح النفوس * كقنديل على قبر المجوس

(قوله مع الذين يدعون ربهم) أى يعبدونه (قوله بالغداة والعشى) المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل وبالعشى أوائل الليل وأواخر النهار وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوله يريدون وجهه) أى يقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاءه عليهم (قوله لا شيأ من أعراض الدنيا) أى ولا شيأ من نعيم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أحرى (قوله تنصرف عيناك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لا تعرض عنهم بل اقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينيك بالنصب لانه فعل متعد مع أن التلاوة بالرفع لا غير فاجاب المفسر بانها وان كانت بالرفع الا انها ترجع لمعنى النصب لان الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة مسند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع

(وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا) من خبر أهل الكهف فى الدلالة على نبوتى (رشدا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة) بالتنوين (سنين) عطف بيان لثلثمائة وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وازدادوا تسعا) أى تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية (قل الله أعلم بما لبثوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (له غيب السموات والارض) أى علمه (أبصر به) أى بالله هى صيغة تعجب (وأسمع) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد انه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شئ (ما لهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) ناصر (ولا يشرك فى حكمه أحدا) لانه غنى عن الشريك (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجأ (واصبر نفسك) احبسها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لا شيأ من أعراض الدنيا وهم الفقراء (ولا تعد) تنصرف (عيناك عنهم) عبر بهما عن صاحبهما

(تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى القرآن هو عيينة بن حصن وأصحابه (واتبع هواه) فى الشرك (وكان أمره فرطا) اسرافا (وقل) له ولاصحابه هذا القرآن (الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) تهديد لهم (انا اعتدنا للظالمين) أى الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) ما أحاط بها (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) كعكر الزيت (يشوى الوجوه) من حره اذا قرب اليها (بئس الشراب) هو (وساءت) أى النار (مرتفقا) تمييز منقول عن الفاعل أى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفقا والا فأى ارتفاق فى النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) الجملة خبر ان الذين وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أى نثيبهم بما تضمنه (أولئك لهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهى جمع أسورة كاحمرة جمع سوار (من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) ما رق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وفى آية الرحمن بطائنها من استبرق (متكئين فيها على الارائك) جمع أريكة وهى السرير فى الحجلة وهى بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نعم الثواب) الجزاء الجنة (وحسنت مرتفقا

شعراء

العين بدون تصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى عيناك والشرط موجود وهو كون المضاف جزأ من المضاف اليه والمعنى لا تنصرف عيناك عنهم حال كونك طالبا زينة الدنيا بمجالسة الاغنياء ومحبة أهل الدنيا والخطاب للنبى والمراد هو وغيره وانما خوطب النبى وان كان معصوما من ذلك تسلية للفقراء وتطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) أى الفزارى أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان فى حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الاقرع بن حابس وأعطى للعباس بن مرداس أربعين بعيرا وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون الى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم (قوله فرطا) مصدر فرط سماعى أى متجاوزا فيه الحد (قوله وقل له) أى لعيينة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدا محذوف قدره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) أى تخويف وردع لا تخيير واباحة لذكره الوعد الحسن على الايمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله انا أعتدنا) راجع لقوله ومن شاء فليكفر وقوله ان الذين آمنوا راجع لقوله فمن شاء فليؤمن فهو لف ونشر مشوش (قوله أحاط بهم سرادقها) صفة لنارا والسرادق كناية عن السور وهو نار أيضا والمراد ان أرضها من رصاص وحيطانها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فاذا أوقدت فيها النار صار الكل نارا أجارنا الله منها بمنه وكرمه (قوله يغاثوا) فيه مشاكلة لقوله وان يستغيثوا وتهكم بهم اذ لا اغاثة فيه لانه لا ينقذ من المهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحتين هو اسم لما يبقى فى اناء الزيت بعد أخذ الصافى منه وهو تشبيه فى الصورة والا فهو نار كما وصفه بقوله يشوى الوجوه (قوله أى قبح مرتفقها) أى فحول الاسناد الى النار ونصب مرتفقا على التمييز لان ذكر الشئ مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) أى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتى فى الجنة (قوله والا) أى الا نقل انه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر) أى وهو الرابط لانه بمعنى الموصول الذى هو اسم ان على حد * سعاد الذى أضناك حب سعاد * (قوله أى نثيبهم) تفسير لقوله لا نضيع (قوله بما تضمنه) أى بثواب تضمنه أولئك الى قوله وحسنت مرتفقا وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب الاول جنات عدن الثانى تجرى من تحتهم الانهار الثالث يحلون فيها الرابع ويلبسون ثيابا الخامس متكئين الخ (قوله تجرى من تحتهم) أى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) أى بدليل آية هل أتى وحلوا أساور (قوله وهى جمع أسورة) أى فأساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية أخرى من فضة وفى أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الاساور الثلاثة لما ورد انه يسور المؤمن فى الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وفى الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (قوله من سندس واستبرق) جمع سندسة واستبرقة وقيل اسما جنس (قوله من الديباج) أى الحرير (قوله بطائنها) أى الفرش (قوله متكئين فيها) حال عاملها محذوف أى يجلسون متكئين (قوله جمع أريكة) أى كسفينة ولا يقال له أريكة الا اذا كان فى داخل الحجلة وبدونها سرير وتقدم ان السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله فى الحجلة) بفتحتين فى محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل فى الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتفقا)

أي منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما
أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافرا فشبههما الله برجلين
من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما
اللذان وصفهما الله في سورة الصافات بقوله قال قائل منهم إني كان لي قرين الآيات وكانت قصتهما
على ما ذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين
ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم
إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وإني اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن
صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإني اشتريت منك دارا في الجنة
بألف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم إني أخطب إليك
امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم
إني أشتري منك خدما ومتاعا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت
صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريق حتى مر به في خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه
فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتعينني بخير قال فما فعل بمالك
وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا
فطرده فقضي عليهما فتوفيا فنزل فيهما فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الخ وليس هذا مخصوصا
بأبي سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك
الإقبال على الله (قوله بدل) أي ويصح أن يكون مفعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى
لاثنين (قوله وحففناهما بنخل) أي جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما
زرعا) أي ليكون جامعا للأقوات والفواكه (قوله مفرد) أي باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية
أي باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فثنى (قوله مبتدأ) أي وهو مرفوع بضمة مقدرة
على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنتين مضاف
إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالمثنى فيعرب بالحروف (قوله آتت
أكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها في بعض السنين وينقص في
بعض (قوله وفجرنا) أي شققنا (قوله يجري بينهما) أي ليسقي أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له)
أي لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التي هي من غير الجنتين كالنقود والمواشي وسمي ثمرا لأنه يثمر
أي يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاثة سبعية (قوله وهي جمع ثمرة) أي بفتحتين وهذا
على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وإنما الاختلاف في الجمع فقوله كشجرة الخ
لف ونشر مرتب (قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شنيعة
الأولى أنا أكثر منك الخ الثانية ودخل جنته الخ الثالثة وما أظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أي
يراجعه بالكلام الذي فيه الافتخار (قوله أنا أكثر منك مالا الخ) أنا مبتدأ وأكثر خبره ومنك متعلق
بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدأ والأصل مالي أكثر منك فحذف المبتدأ وأقيم المضاف
إليه مقامه فانفصل وجعل المبتدأ في الأصل تمييزا ويقال في قوله وأعز نفرا ما قيل هنا (قوله ويريه
آثارها) أي بهجتها وحسنها وفي نسخة أثمارها وهي ظاهرة (قوله وهو ظالم لنفسه) الجملة حالية من
فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) أي كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا
ما يقال إنه منكر البعث فكيف يقول ذلك فأجاب بأنه مجاراة له في زعمه (قوله مرجعا) أشار بذلك إلى
أن منقلبا تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل (قوله قال له
صاحبه) أي وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش (قوله أكفرت)

(واضرب) اجعل (لهم)
للكفار مع المؤمنين (مثلا
رجلين) بدل وهو وما بعده
تفسير للمثل (جعلنا لأحدهما)
الكافر (جنتين) بستانين
(من أعناب وحففناهما بنخل
وجعلنا بينهما زرعا) يقتات
به (كلتا الجنتين) كلتا مفرد
يدل على التثنية مبتدأ
(آتت) خبره (أكلها) ثمرها
(ولم تظلم) تنقص (منه شيئا
وفجرنا) أي شققنا (خلالهما
نهرا) يجري بينهما (وكان له)
مع الجنتين (ثمر) بفتح الثاء
والميم وبضمهما وبضم الأول
وسكون الثاني وهو جمع ثمرة
كشجرة وشجر وخشبة وخشب
وبدنة وبدن (فقال لصاحبه)
المؤمن (وهو يحاوره) يفاخره
(أنا أكثر منك مالا وأعز
نفرا) عشيرة (ودخل جنته)
بصاحبه يطوف به فيها ويريه
آثارها ولم يقل جنتيه إرادة
للروضة وقيل اكتفاء بالواحد
(وهو ظالم لنفسه) بالكفر
(قال ما أظن أن تبيد) تنعدم
(هذه أبدا وما أظن الساعة
قائمة ولئن رددت إلى ربي) في
الآخرة على زعمك (لأجدن
خيرا منها منقلبا) مرجعا
(قال له صاحبه وهو يحاوره)
يجاوبه (أكفرت بالذي
خلقك من تراب) لأن آدم
خلق منه (ثم من نطفة) مني
(ثم سواك) عدلك وصيرك

(رجلا لكنا) أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة الى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها (هو) ضمير الشأن تفسره الجملة بعده والمعنى انا أقول (الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا) هلا (اذ دخلت جنتك قلت) عند اعجابك بها هذا (ما شاء الله لا قوة الا بالله) في الحديث من أعطى خيرا من أهل ١٢ أو مال فيقول عنده ذلك ماشاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها (ان ترن أنا) ضمير فصل بين المفعولين (أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك) جواب الشرط (ويرسل عليها حسبانا) جمع حسبانة أي صواعق (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم (أو يصبح ماؤها غورا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لان غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فلن تستطيع له طلبا) حيلة تدركه بها (وأحيط بثمره) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (فأصبح يقلب كفيه) ندما وتحسرا (على ما أنفق فيها) في عمارة جنته (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (ويقول يا) للتنبيه (ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن) بالتاء والياء (له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) عند هلاكها (وماكان منتصرا) عند هلاكها بنفسه (هنالك) أي يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لله الحق) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هو خير ثوابا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وخير عقبا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز (واضرب) صير (لهم) لقومك (مثل الحياة الدنيا) مفعول أول (كماء) مفعول ثان (أنزلناه من السماء فاختلط به) تكاثف بسبب نزول الماء (نبات الأرض) أو امتزج الماء بالنبات فروي وحسن (فأصبح) صار النبات (هشيما) يابسا متفرقة أجزاؤه (تذروه) تنثره وتفرقه (الرياح) فتذهب به (قوله

الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى لا ينبغي ولا يليق منك الكفر بالذي خلقك الخ وهذا رد للمقالة الاخيرة (قوله رجلا) مفعول ثان لسواك لانه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكنا) استدراك على قوله أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن واختلف القراء في وصل لكنا فبعضهم يثبت الالف بعد النون وبعضهم يحذفها وفي الوقف تثبت قولا واحدا لثبوتها في الرسم (قوله أو حذفت الهمزة) أي من غير نقل فقوله ثم أدغمت النون أي بعد تسكينها بالنسبة للنقل وعلى الثاني فهي ساكنة فتدغم حالا (قوله ضمير الشان) أي فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لانها عينه في المعنى وهو وما بعدها خبر عن أنا والرابط الياء من ربي (قوله ولا أشرك بربي أحدا) مراده لا أكفر به لان انكار البعث كفر (قوله ولولا اذ دخلت جنتك) هذا رد للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخلة على قلت واذ ظرف لقلت مقدم عليه وجملة ماشاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم ير فيه مكروها) أي لم يصب فيه بمصيبة (قوله ان ترن) هذا رد للمقالة الاولى (قوله ضمير فصل) أي وأقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبرا عن أنا ومالا وولدا تمييزان وقوله فعسى الخ جواب الشرط (قوله أن يؤتين) يحتمل ان يكون في الدنيا أو الآخرة (قوله جمع حسبانة) أي فهو اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائرا) أي ذاهبا في الارض (قوله لان غور الماء الخ) أي أو يقال انه يفسر الحسبان بالقضاء الالهي وهو عام يتسبب عنه اما اصباح الجنة صعيدا زلقا أو ماؤها غورا وعلى هذا فيكون معطوفا على تصبح (قوله وأحيط بثمره) أي أمواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله بأوجه الضبط) أي الثلاثة (قوله وهي خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائمها) جمع دعامة وهي الخشب ونحوه الذي ينصب ليمد الكرم عليه (قوله ويقول يا ليتني) أي تحسرا وندما على تلف ماله لا توبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) أي يدفعون عنه الهلاك (قوله وماكان منتصرا) أي قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح أن يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخرا وتكون هذه الجملة مستقلة أو معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) أي القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجر فالقراآت أربع سبعيات (قوله خير ثوابا) أي اثابة (قوله لو كان يثيب) أي فاسم التفضيل على بابه على فرض أن غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) أي ان عاقبة طاعة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله صير) أي شبه (قوله مثل الحياة الدنيا) أي صفتها وحالها وهيئتها (قوله كماء) أي كصفة وحال وهيئة ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما (قوله تكاثف) أي غلظ والتف بعضه على بعض (قوله أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك الى أنه تفسير ثان لاختلط ومن المعلوم ان الامتزاج من الجانبين فصح نسبته الى النبات وان كان في عرف اللغة والاستعمال ان الباء تدخل على الكثير الغير الطارئ وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغة في كثرة الماء حتى كأنه الاصل (قوله فروي) بفتح الراء وكسر الواو أي ارتوى (قوله هشيما) أي مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) عطف تفسير

المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح وفي قراءة الريح (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادرا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتجمل بهما فيها (والباقيات الصالحات) هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله (خير عند ربك ثوابا وخير أملا) أي ما يأمله الانسان ويرجوه عند الله تعالى (و) اذكر (يوم نسير الجبال) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وترى الأرض بارزة) ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره (وحشرناهم) المؤمنين والكافرين (فلم نغادر) نترك (منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا) حال أي مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا ويقال لمنكري البعث (بل زعمتم أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (لن نجعل لكم موعدا) للبعث (ووضع الكتاب) كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين (فترى المجرمين) الكافرين (مشفقين) خائفين (مما فيه ويقولون) عند معاينتهم ما فيه من السيئات (يا) للتنبيه (ويلتنا) هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من ذنوبنا (إلا أحصاها) عدها وأثبتها تعجبوا منه في ذلك (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (وإذ) منصوب باذكر (قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له

(قوله المعنى) أي معنى المثل (قوله شبه) فعل أمر وفاعله مستتر عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله وكان الله) أي ولم يزل (قوله قادرا) المناسب أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) أي وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هي سبحان الله الخ) أي وتسمى غراس الجنة أي ان بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس له شجرة في الجنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقيل ان المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقيل أركان الاسلام وقيل كل ما يثاب عليه العبد في الدار الآخرة وهو الاتم وانما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح ولو في العمر مرة وأوصى الخليل رسول الله بان يأمر أمته أن يكثروا من غراس الجنة كما في حديث الاسراء (قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لان زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا ان السعي على العيال من الخير لانه من حيز الباقيات الصالحات لا من حيز الزينة أو يقال انه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله ويرجوه) عطف تفسير (قوله ويوم نسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) أي غبارا وقوله منبثا أي مفرقا كما في سورة الواقعة (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله وترى الأرض) أي تبصرها (قوله ولا غيره) أي من بناء وشجر وبحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا اشارة الى ان الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الاهوال العظام كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الارض يحصل وهم ناظرون لذلك ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم نغادر) عطف على قوله حشرناهم والمغادرة من جانب ولذا فسرها بقوله نترك (قوله حال) أي من الواو في عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع فالمعنى جميعا ونظيره قوله تعالى ثم ائتوا صفا أي جميعا أو المراد صفوفا لما ورد أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي اني أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب (قوله ويقال لهم) أي توبيخا وتقريعا (قوله أي فرادى) أي منفردين عن المال والبنين (قوله غرلا) جمع أغرل أي غير مختونين (قوله بل زعمتم) أي قلتم قولا كذبا (قوله أي انه) أي الحال والشأن (قوله موعدا) أي مكانا تبعثون فيه (قوله ووضع الكتاب) هو بالبناء للمفعول في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله في يمينه) أي فرحين يقرؤه بيض وجهه ويقول هاؤم اقرؤا كتابيه الى آخر ما في سورة الحاقة (قوله وفي شماله من الكافرين) أي فحزين يقرؤه يسود وجهه ويقول ياليتني لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) أي هلاكنا والمقصود التحسر والتندم وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة العاقل فكأنه يقول ياهلاكي احضر فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) أي الويل وقوله لا فعل له من لفظه أي بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره أي أي شيء ثبت لهذا الكتاب (قوله لا يغادر) الجملة حالية من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك الى ان الاستفهام للتعجب (قوله منه) أي الكتاب (قوله في ذلك) أي الاحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك أحدا) أي لا يعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب او ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أي فاذ ظرف لذلك المقدر والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت في القرآن مرارا لان معصية ابليس أول معصية ظهرت في الخلق (قوله سجود انحناء)

(فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وابليس هو أبو الجن فله ذرية
ذكرت معه والملائكة لا ذرية لهم (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أفتتخذونه وذريته)

الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لابليس (أولياء من دوني) تطيعونهم (وهم لكم عدو) أى أعداء حال (بئس للظالمين بدلا) أى ابليس وذريته في اطاعتهم بدل اطاعة الله (ما أشهدتهم) أى ابليس وذريته (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) أى لم أحضر بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) الشياطين (عضدا) أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم (ويوم) منصوب باذكر (يقول) بالياء والنون (نادوا شركائي) الاوثان (الذين زعمتم) ليشفعوا لكم بزعمكم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوهم (وجعلنا بينهم) بين الاوثان وعابديها (موبقا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (ورأى المجرمون النار فظنوا) أى أيقنوا (أنهم مواقعوها) أى واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا) بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وكان الانسان) أى الكافر (أكثر شئ جدلا) خصومة في الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان المعنى وكان جدل الانسان أكثر شئ فيه (وما منع أى
الناس) أى كفار مكة (أن يؤمنوا) مفعول ثان (اذ جاءهم الهدى) القرآن (ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين) فاعل أى سنتنا
فيهم وهي الاهلاك المقدر عليهم (أو يأتيهم العذاب قبلا

جواب عما يقال ان السجود لغير الله كفر وتقدم الجواب بان السجود لله وآدم كالقبلة أو ان محل كون السجود لغير الله كفرا ان لم يكن هو الآمر به والا فالكفر في المخالفة (قوله فسجدوا) أى جميعا (قوله قيل هم نوع من الملائكة) أى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتوالدون ويعصون (قوله وابليس أبو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعا وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله وله ذرية) تفريع على كونه أبا اذ الاب يستلزم ابنا (قوله ففسق عن أمر ربه) أى تكبرا وحسدا (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخي والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير في تتخذونه قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل معه اهـ قال القرطبي واختلف هل لابليس ذرية من صلبه فقال الشعبي سألني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم أشهده ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذه أصل ذريته وقيل ان الله خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي فخذه اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وانما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) أى بدل طاعتي (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدلا الواقع تمييزا للفاعل المستتر وقوله ابليس وذريته بيان للمخصوص بالذم المحذوف والاصل بئس البدل ابليس وذريته (قوله أى ابليس وذريته) تفسير للضمير في أشهدتهم فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السموات والارض ولا حين خلقت انفسهم فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم (قوله وما كنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله عضدا) هو في الاصل العضو الذى هو من المرفق الى الكتف ثم أطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم في مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) أى زعمتموهم شركاء فالمفعولان محذوفان (قوله ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم (قوله من وبق) بالفتح أى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاما (قوله مصرفا) أى مكانا يحلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) أى معنى غريب بديع يشبه المثل في غرابته (قوله خصومة في الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه اشارة الى أن المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل بل هو شديد الخصومة في الحق (قوله ويستغفروا) عطف على ان يؤمنوا (قوله الا أن تأتيهم سنة الاولين) الكلام على حذف مضاف أى الا انتظارهم وطلبهم اتيان مثل سنة الاولين بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهي الاهلاك) أى الذى يستأصلهم (قوله المقدر) أى في الازل وقوله عليهم أى الاولين (قوله أو يأتيهم)

مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وفي قراءة بضمتين جمع قبيل أي أنواعا (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) للمؤمنين (ومنذرين) مخوفين للكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (ليدحضوا به) ليبطلوا بجدالهم (الحق) القرآن (واتخذوا آياتي) أي القرآن (وما أنذروا) به من النار (هزوا) سخرية (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه) ما عمل من الكفر والمعاصي (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) أي من أن يفقهوا القرآن أي فلا يفهمونه (وفي آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا) أي بالجعل المذكور (أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم) في الدنيا (بما كسبوا لعجل لهم العذاب) فيها (بل لهم موعد) وهو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما (أهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم) لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي لهلاكهم (موعدا و) اذكر (إذ قال موسى) هو ابن عمران (لفتاه) يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم (لا أبرح) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك (أو أمضي حقبا) دهرا طويلا في بلوغه إن بعد (فلما بلغا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره

أي الناس (قوله مقابلة وعيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله أي أنواعا) تفسير لقبلا بضمتين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب أن يقول أي جميع ما جاءت به الرسل (قوله آياتي) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لا خصوص القرآن لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيرها (قوله وما أنذروا) ما موصولة والعائد محذوف أي الذي أنذروا به أو مصدرية أي إنذارهم (قوله هزوا) تقرأ بالهمز والواو سبعيتان (قوله فأعرض عنها) أي لم يتدبرها وقت تذكيرها (قوله إنا جعلنا) بمنزلة التعليل لقوله فأعرض (قوله فلا يسمعونه) أي سماع تفهم وانتفاع (قوله لعجل لهم العذاب) أي المستأصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم ويصح أن يراد به المكان (قوله لن يجدوا من دونه) أي العذاب (قوله موئلا) الموئل المرجع من وأل يئل أي رجع ويقال للملجأ أيضا يقال وأل فلان إلى فلان إذا لجأ إليه والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجأ يلجئون إليه كناية عن عدم خلوصهم منه (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أهلكناهم) أي في الدنيا كما قال تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لمهلكهم) أي لهلاكهم المذكور وقتا معينا نزل بهم فيه فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراآت السبعية ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ والمراد اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أي رسول بني إسرائيل من سبط لاوي بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر لأن الكامل يقبل الكمال سواء قلنا إن الخضر نبي أو ولي فاستفادته منه لا تقدح في كونه أفضل منه لأن تلك مزية وهي لا تقتضي الأفضلية يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه أعلم الناس أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله وقل رب زدني علما خلافا لمن زعم أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران محتجا بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يبعد أن يستفيد من مطلق نبي أو ولي وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن افرائيم بن يوسف أرسله الله بعد موسى فقاتل الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته في المائدة (قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى وكان ابن أخته وقيل كان عبدا له وهو بعيد لأن شرط النبي الحرية (قوله لا أبرح) هي من أخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله أسير أي لا أبرح سائرا (قوله ملتقى بحر الروم الخ) أي وملتقاهما عند البحر المحيط (قوله مما يلي المشرق) أي وذلك بإفريقية (قوله دهرا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة وقيل سنة واحدة بلغة قريش وقيل سبعون ويجمع على أحقاب كعنق وأعناق (قوله إن بعد) أي إن لم أدركه والمعنى لا بد من سيري إلى أن أبلغ مجمع البحرين أو أسير زمنا طويلا حتى أيأس من الوصول (قوله بين البحرين) أشار بذلك إلى أن بين ظرف وهو الموضع الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا وقيل كان مملحا وقد أكلا منه زمانا طويلا قبل أن يدركا الصخرة (قوله نسي يوشع) حمله هذا يقتضي أنه كان موجودا على البرحين نسيه يوشع ولكن الموجود في القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التي عندها عين الحياة ناما ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء فهذا يقتضي أنه نسي إخبار موسى بما رأى فالمناسب للمفسر أن يقول نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب إن قلت إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه أجيب بأنه أدهش من عظيم ما رأى من

(فاتخذ) الحوت (سبيله في البحر) أي جعله يجعل الله (سربا) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فلما جاوزا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا) هو ما يؤكل أول النهار (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا وحصوله بعد المجاوزة (قال أرأيت) أي تنبه (إذ أوينا إلى الصخرة) بذلك المكان (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان) ويبدل من الهاء (أن أذكره) بدل اشتمال أي أنساني ذكره (واتخذ) الحوت (سبيله في البحر عجبا) مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه (قال) موسى (ذلك) أي فقدنا الحوت (ما) أي الذي (كنا نبغ) نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه (فارتدا) رجعا (على آثارهما) يقصانها (قصصا) فأتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) نبوة في قول وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء (وعلمناه من لدنا) من قبلنا (علما) مفعول ثان أي معلوما من المغيبات روى البخاري حديث أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت

قدرة الله وعظمته للحكمة التي ترتبت على ذلك (قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون في الآية تقديم وتأخير والأصل فأدركته الحياة فخرج من المكتل وسقط في البحر فاتخذ سبيله (قوله سربا) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) أي سبب ذلك (قوله فانجاب) أي انقطع الماء وانكشف (قوله فبقي) أي صار (قوله كالكوة) هي بالفتح نقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) أي يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ما تحته) أي لجعل الحوت لا يمس شيئا في البحر اليابس (قوله ذلك المكان) أي مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) أي الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول بلقينا (قوله وحصوله بعد المجاوزة) إنما كان حصول النصب بعد المجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتشوق وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله أي تنبه) أي تذكر واستمع لما ألقيه إليك من شأن الحوت (قوله فإني نسيت الحوت) أي نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما أنسانيه إلا الشيطان) إن قلت إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء أجيب بأنه أضاف النسيان إليه هضما للنفس (قوله أي يتعجب منه موسى وفتاه) أي حيث أكلا من الحوت شقه الأيسر ثم حيي بعد ذلك (قوله لما تقدم في بيانه) أي وهو قوله وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة في البحر وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجليه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل فقال له موسى ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل فقال الذي أدراك بي ودلك علي ثم قال لقد كان لك في بني إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأتعلم منك (قوله من عبادنا) الإضافة لتشريف المضاف أي من عبيد الخصوصية (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها أو بكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة ومعناه بالعربية أحمد بن ملكان وكنيته أبو العباس قال بعض العارفين من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الإسلام ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك (قوله نبوة في قول) أي وقد صححه جماعة والجمهور على أنه حي إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه قال العارف السيد البكري صاحب ورد السحر في توسلاته

بنقيبهم في كل عصر الخضر أبي العـ * ـباس من أحيا عماه وصاله

حي وحقك لم يقل بوفاته * إلا الذي لم يلق نور جماله

فعليه مني كلما هب الصبا * أزكى سلام طاب في إرساله

وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه فهو صحابي (قوله من لدنا) أي مما يختص بنا ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر (قوله خطيبا) أي واعظا يذكر الناس حتى فاضت العيون ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر (قوله إذ لم يرد العلم إليه) أي فكان عليه أن يقول مثلا الله أعلم وهذا من باب عتاب الأحباب تأديبا لموسى وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر (قوله هو أعلم منك) أي في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليل فلذلك رغب موسى في حيازته لعلمه (قوله فكيف لي به) أي فلما سمع موسى هذا اشتاقت نفسه الزكية وهمته العلية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تأخذ معك حوتا) لعل الحكمة في تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر (قوله فتجعله في مكتل) هو الزنبيل

فهو ثم فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فى
المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى
صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الى قوله واتخذ سبيله
فى البحر عجبا قال وكان للحوت
سربا ولموسى ولفتاه عجبا الخ
(قال له موسى هل أتبعك على
أن تعلمنى مما علمت رشدا) أى
صوابا أرشد به وفى قراءة بضم
الراء وسكون الشين وسأله ذلك
لان الزيادة فى العلم مطلوبة
(قال انك لن تستطيع معى
صبرا وكيف تصبر على ما لم
تحط به خبرا) فى الحديث
السابق عقب هذه الآية
ياموسى انى على علم من الله
علمنيه لاتعلمه وأنت على علم
من الله علمكه الله لا أعلمه
وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط
أى لم تخبر حقيقته (قال ستجدنى
ان شاء الله صابرا ولا أعصى)
أى وغير عاص (لك أمرا)
تأمرنى به وقيد بالمشيئة لانه لم
يكن على ثقة من نفسه فيما
التزم وهذه عادة الانبياء
والاولياء أن لا يثقوا الى
أنفسهم طرفة عين (قال فان
اتبعتنى فلا تسألنى) وفى قراءة
بفتح اللام وتشديد النون
(عن شئ) تنكره منى فى علمك
واصبر (حتى أحدث لك منه
ذكرا) أى أذكره لك بعلته
فقبل موسى شرطه رعاية
لأدب المتعلم مع العالم (فانطلقا)
يمشيان على ساحل البحر
(حتى اذا ركبا فى السفينة)
التى مرت بهما (خرقها) الخضر
بان اقتلع لوحا أو لوحين منها
من جهة البحر بفاس لما
بلغت اللج (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) وفى قراءة بفتح التحتانية
والراء ورفع أهلها (لقد جئت شيأ امرا) أى عظيما منكرا روى أن الماء لم يدخلها (قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى

بكسر الزاى من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) أى هناك (قوله
جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء المقوس كالقنطرة (قوله ان يخبره بالحوت)
أى بما حصل من أمره (قوله قال موسى) أى بعد ان صليا الظهر من اليوم الثانى (قوله قال) أى
النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن تفسير الآية (قوله قال له موسى) أى بعد ان تلاقيا وحصل الوصول
(قوله هل أتبعك) استفهام تعطف رعاية للادب فى حق المعلم وبذلك الادب يحصل النفع والسودد
(قوله على أن تعلمنى) أى ليس لى قصد فى اتباعك الا تعليمك اياى لاشيأ من الاغراض غير التعليم
(قوله رشدا) مفعول ثان لتعلمنى أى لتعلمنى صوابا من الذى علمكه الله (قوله وفى قراءة) أى وعليها
فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء ويكون بضمها اسم مصدر وعلى الاولى فيكون من باب
طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال ان موسى من أولى العزم ونبى ورسول جزما وأسمعه الله كلامه
وأعطاه التوراة وهو أفضل من الخضر فكيف يسعى اليه ويتعلم منه فأجاب بان الزيادة فى العلم
مطلوبة على أن علم الخضر لا يحتاج اليه موسى فى شرعه وانما هى مزية خص بها الخضر وأمر الله
موسى ان يأخذها عن الخضر ويكتمها لتكمل له جميع المزايا ولا يقتضى أن الخضر أعلم منه لان
موسى كامل فى علمه لا تحتاج شريعته الى شئ من علم الخضر وانما علمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به
فيها (قوله قال انك لن تستطيع معى صبرا) أى لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لان المتعلم قسمان
متعلم ليس عنده شئ من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما ألقى اليه ومتعلم
مارس الاستدلال وحصل العلوم غير انه يريد أن يزداد علما على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لانه اذا
رأى شيأ أو سمع كلاما عرضه على ما عنده فان وافقه والا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام
تعجب (قوله انى على علم) أى وهو علم الكشف (قوله وأنت على علم) أى وهو علم ظاهر الشريعة
(قوله مصدر) أى مفعول مطلق مؤكد لعامله فى المعنى لان لم تحط بمعنى لم تخبر والخبر بالضم معناه
العلم والاوضح انه تمييز نسبة أى لم تحط به من جهة العلم (قوله أى وغير عاص) أشار بذلك الى ان قوله ولا
أعصى معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لانه لم يكن على ثقة من نفسه) أى فكأنه قال ستجدنى
صابرا ان وافق شرعى أو أوحى الله الىّ فى شأنه فأنا لا أدرى ما فعله الله ولم يقل الخضر ان شاء الله لان الله
أطلعه على ان موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بانه لا يستطيع معه صبرا (قوله أن
لا يثقوا الى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعداه بالى (قوله فلا تسألنى) أى لا تبادرنى بالسؤال
عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أى مع الهمز وهما قراءتان
سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة (قوله فى علمك) أى بحسب ظاهر علمك (قوله
واصبر) قدره اشارة الى انه المغيا بحتى (قوله بعلته) أى حكمته وسببه (قوله فانطلقا) أى ومعهما يوشع
وانما لم يذكر فى الآية لانه تابع والمقصود ذكر موسى والخضر وقيل لم يكن معهما بل رده موسى حين
التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) أى يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال أهلها
هؤلاء لصوص لانهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكنى أرى
وجوه الانبياء وعن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها أن
يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول أى عوض (قوله بفاس) بالهمزة وجمعه فؤس أى
القدوم (قوله لما بلغت اللج) اللج بالضم جمع لجة وهى الماء الغزير (قوله وفى قراءة) أى وهما
سبعيتان (قوله روى ان الماء لم يدخلها) وقيل ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله فى الخرق

بما نسيت) أي غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (ولا ترهقني) تكلفني (من أمري عسرا) مشقة في صحبتي اياك أي عاملني
فيها بالعفو واليسر (فانطلقا) بعد خروجهما من السفينة يمشيان (حتى اذا لقيا غلاما) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجها
(فقتله) الخضر بان ذبحه بالسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال وأتى هنا بالفاء العاطفة لان القتل
عقب اللقي وجواب اذا (قال) له موسى (أقتلت نفسا زاكية) أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا (لقد جئت شيئا نكرا) بسكون الكاف وضمها أي منكرا (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا (قال ان سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) لا تتركني أتبعك (قد بلغت من لدني) بالتشديد والتخفيف من قبلي (عذرا) في مفارقتك لي (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هي انطاكية (استطعما أهلها) طلبا منهم الطعام بضيافة (فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا) ارتفاعه مائة ذراع (يريد أن ينقض) أي يقرب أن يسقط لميلانه (فأقامه) الخضر بيده (قال) له موسى (لو شئت لاتخذت) وفي قراءة لتخذت (عليه أجرا) جعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا الى الطعام (قال) له الخضر (هذا فراق) أي وقت فراق (بيني وبينك) فيه اضافة بين الى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سأنبئك) قبل فراقي لك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
أما السفينة فكانت لمساكين) عشرة (يعملون في البحر) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فأردت أن أعيبها
وكان وراءهم) اذا رجعوا أو أمامهم الآن (ملك) كافر

ملك

(قوله بما نسيت) أي بالامر الذي غفلت عنه لقيام حمية الشرع بي وقيل أراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقني (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين والمراد لم يبلغ حد التكليف من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم (قوله مع الصبيان) أي وكانوا عشرة (قوله أو اقتلع رأسه بيده) أي بعد ان لوى عنقه (قوله لان القتل عقب اللقي) أي بخلاف السفينة فان الخرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يأت بالفاء (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) أي من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعلق بقتلت (قوله لقد جئت) أي فعلت (قوله نكرا) هو أعظم من الامر لان فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فانه يمكن تداركه وقيل بالعكس لان الامر قتل أنفس متعددة بسبب الخرق فهو أعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لانه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان والنون للوقاية أتي بها لتقي الفعل من الكسر كما أتى بها في من وعن محافظة على تسكين النون (قوله حتى اذا أتيا أهل قرية) أي وكان اتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هي انطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما فأطعمتهما امرأة من أهل بربرة فدعوا لنسائهم ولعنا رجالهم وعن قتادة شر القرى التي لا تضيف الضيف (قوله مائة ذراع) أي وعرضه خمسون وامتداده على وجه الارض خمسمائة ذراع (قوله فأقامه الخضر بيده) قيل مسحه بها فاستقام وقيل أقامه بعمود وقيل نقضه وبناه (قوله قال لو شئت لتخذت عليه أجرا) أي كان ينبغي لك أخذ جعل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير أهله (قوله وفي قراءة) أي باظهار الدال وادغامها في التاء على كل فتكون القراآت أربعا سبعيات (قوله بتأويل) أي تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة ما ورد أنه لما أنكر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين انكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما أنكر اقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البئر لبنتي شعيب دون أجر (قوله أما السفينة) شروع في وفاء ما وعد الخضر به موسى على سبيل اللف والنشر المرتب والسفينة تجمع على سفن وسفائن وتجمع السفن على سفن بضمتين مأخوذة من السفن كأنها تسفن الماء أي تقشره وصاحبها سفان (قوله لمساكين عشرة) أي وكانوا اخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر فأما العمال منهم فواحد منهم مجذوم والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس الى الروم (قوله فأردت أن أعيبها) أي فاذا رآها الملك معيبة تركها فاذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على اضمار قد (قوله اذا رجعوا) من المعلوم أنه اذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال توجههم أمامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده وقد يجاب بان قوله وكان وراءهم أي في حال توجههم لكنهم في حال رجوعهم يمرون عليه وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن وقوله أو أمامهم الآن أي ووراء بمعنى أمام قال تعالى من ورائه جهنم (قوله ملك كافر) أي وكان

ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) أى صحيحة (قوله فخشينا) أى ان الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام ان لم يقتله (قوله أن يرهقهما) أى يكلفهما ويوقعهما فى الكفر (قوله طبع كافرا) أى خلق مجبولا على الكفر وحينئذ فمكون مستثنى من حديث كل مولود يولد على فطرة الاسلام (قوله لمحبتهما له) علة لايقاعه لهما فى الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منه) اسم التفضيل ليس على بابه اذ لم يكن فى الغلام خير أو على بابه باعتبار زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) أى بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثنى عشر نبيا وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الخضر من قتل الغلام انما هو جار على شرعه لا على شرعنا فانه لا يجوز قتل الصبيان الكفار الا أن يقاتلوا بالسلاح فى الحرب ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر فلا يجوز له قتل الغلمان وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين فكتب اليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم وروى أن موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية الآية غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الأيسر وقشر اللحم عنه واذا فيه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا (قوله فكان لغلامين) اسم أحدهما أصرم والآخر صريم (قوله فى المدينة) هى المعبر عنها أولا بالقرية تحقيرا لها لكون أهلها لم يضيفوهما وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال فى تفسير الكنز وقيل كان علما فى صحف مدفونة وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فى أحد جانبيه بسم الله الرحمن الرحيم • عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن • عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب • عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح • عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل • عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل انه أبوهما مباشرة وقيل هو الأب السابع وقيل العاشر وكان يسمى كاشحا واسم أمهما دنيا وفيه دليل على ان تقوى الاصول تنفع الفروع (قوله أى ايناس رشدهما) أى حتى يبلغا أن يعلم ايناس رشدهما أى قوتهما وكمالهما (قوله ويستخرجا كنزهما) أى من تحت الجدار ولولا فعل ذلك لضاع (قوله بل بأمر الهام من الله) لم يقل بوحى لعدم الجزم بنبوته (قوله ذلك) أى ما ذكر من الاجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أى ان هذا التغاير تنويع فى العبارة وبعضهم أبدى حكمة فى اختلاف التعبير وهى أن الاولى لما كان ظاهرها افسادا محضا أضافه لنفسه حيث قال فأردت أدبا مع الله وان كان الكل منه والثانى لما كان فيه نوع اصلاح ونوع افساد عبر فيه بقوله فأردنا والثالث لما كان اصلاحا محضا أضافه لله بقوله فأراد ربك قيل ان الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصنى قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويسألونك) أى المشركون بأمر اليهود فاليهود سبب فى السؤال وان لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذى القرنين) لقب بذلك لما قيل ان له قرنين صغيرين فى رأسه وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أى وهو الذى بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أى على الصحيح وانما كان وليا فقط وما يأتى مما يوهم نبوته فمؤول ومحمول على الالهام والالقاء فى القلب وذلك غير مخصوص بالانبياء واسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة ابراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه وهذا بخلاف ذى القرنين الاصغر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة

(يأخذ كل سفينة) صالحة (غصبا) نصبه على المصدر المبين لنوع الاخذ (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فانه كما فى حديث مسلم طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه فى ذلك (فأردنا أن يبدلهما) بالتشديد والتخفيف (ربهما خيرا منه زكاة) أى صلاحا وتقى (وأقرب) منه (رحما) بسكون الحاء وضمها رحمة وهى البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا وولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز) مال مدفون من ذهب وفضة (لهما وكان أبوهما صالحا) فحفظا بصلاحه فى أنفسهما ومالهما (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى ايناس رشدهما (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مفعول له عامله أراد (وما فعلته) أى ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار (عن أمرى) أى اختيارى بل بأمر الهام من الله (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاق ففى هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة فى فأردت فأردنا فأراد ربك (ويسألونك) أى اليهود (عن ذى القرنين) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قل سأتلو) سأقص (عليكم منه) من حاله (ذكرا) خبرا

وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة وفي القرطبي قال وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى أي على لسان نبي كان موجودا أو بالهام ياذا القرنين اني باعثك أي سلطانا الى أمم الارض وهم أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع الارض وهم أصناف أمتان بينهما طول الارض كلها وأمتان بينهما عرض الارض كلها وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فأما اللتان بينهما عرض الارض فأمة في قطر الارض تحت الجنوب ويقال لها هاويل وأمة في قطر الارض الايسر ويقال لها تاويل وأما اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال ذو القرنين الهي لقد ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فأخبرني عن هذه الامم بأي قوة أكاثرهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة فقال الله تعالى سأظفرك بما حملتك أشرح لك صدرا فتسمع كل شيء وأثبت لك فهما فتفقه كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق الى الامة التي عند مغرب الشمس لانها كانت أقرب الامم منه وهي ناسك فوجد جنودا لا يحصيها الا الله وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله تعالى وألسنة مختلفة وأهواء مشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فعجوا الى الله تعالى بصوت واحد انا آمنا فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض الايمن وهي هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فاذا أتوا مخاضة أو بحرا بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فينظمها في ساعة ثم يحمل عليها جميع من معه من تلك الامم فاذا قطع البحار والانهار فتقها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى الى هاويل ففعل بهم كفعله بناسك فآمنوا فأخذ جيوشا منهم فانطلق الى ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الاول ثم كر مقبلا حتى أخذ بناحية الارض اليسرى يريد تاويل وهي الارض التي تقابل هاويل بينهم عرض الارض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف على الامم التي في وسط الارض من الانس والجن ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع ويأكلون دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق تنمي نماءهم في العام الواحد فاذا طالت المدة سيملؤن الارض ويخرجون أهلها منها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا الى آخر ما أتى في الآية وبالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك فقد روي ان الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود والاسكندر والكافران نمروذ وبختنصر وسيملكها من هذه الامة خامس وهو المهدي (قوله انا مكناله في الارض) أي بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقا) أي كالات السير وكثرة الجند (قوله الى مراده) أي وهو جميع الارض (قوله فاتبع سببا) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) أي فالمراد انه بلغ آخر العمارة من الارض ووصل الى ساحل البحر المحيط فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عينا لانه

(انا مكناله في الارض) بتسهيل السير فيها (وآتيناه من كل شيء) يحتاج اليه (سببا) طريقا يوصل الى مراده (فاتبع سببا) سلك طريقا نحو المغرب (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) موضع غروبها

(ووجدها تغرب فى عين حمئة) ذات حمأة وهى الطين الاسود وغروبها فى العين فى رأى العين والا فهى اعظم من الدنيا (ووجد عندها) أى العين (قوما) كافرين (قلنا ياذا القرنين) بالهام (اما أن تعذب القوم بالقتل (واما أن تتخذ فيهم حسنا) بالاسر (قال أما من ظلم) بالشرك (فسوف نعذبه) نقتله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) بسكون الكاف وضمها شديدا فى النار (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى الجنة والاضافة للبيان وفى قراءة بنصب جزاء وتنوينه قال الفراء ونصبه على التفسير أى لجهة النسبة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نأمره بما يسهل عليه (ثم أتبع سببا) نحو المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) أى الشمس (سترا) من لباس ولا سقف لان أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها (كذلك) أى الأمر كما قلنا (وقد أحطنا بما لديه) أى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خبرا) علما (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتى (وجد من دونهما) أى امامهما (قوما لا يكادون يفقهون قولا) أى لا يفهمونه الا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج)

بالنسبة الى ما هو أعظم منه فى علم الله كالعين وان كان عظيما فى نفسه (قوله حمئة) بالهمز بدون ألف وبالف بعدها ياء قراءتان سبعيتان فأما الاولى فهى من الحمأة وهى الطين الاسود وأما الثانية فهى اسم فاعل من حمى يحمى والمعنى فى عين حارة ولا تنافى بين القراءتين لان العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها فى العين الخ) جواب عما يقال ان الشمس فى السماء الرابعة وهى قدر كرة الارض مائة وستين مرة فكيف تسعها عين فى الارض تغرب فيها فأجاب بان هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) أى وكانوا فى مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) أى بالهام (قوله بالاسر) أى وسمى احسانا بالنسبة للقتل (قوله أما من ظلم) أى استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) اى فى الآخرة (قوله بسكون الكاف وضمها) أى فهما سبعيتان (قوله أى لجهة النسبة) أى نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور الى المبتدا المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) أى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) اى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أولا قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل أقل لانه سخر له السحاب وطويت له الاسباب (قوله هم الزنج) بفتح الزاى وكسرها (قوله سترا) هو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وهو فى الآية بالكسر (قوله ولا سقف) اى ولا اشجار لان أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها تميد باهلها ولا تستقر (قوله ويظهرون عند ارتفاعها) أى مغيبها يسعون فى تحصيل مهمات معاشهم فحالهم بالضد من أحوال الخلق فما دامت الشمس طالعة فهم فى السراديب واذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله أى الامر) أشار بذلك الى ان قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وفائدة الاخبار بذلك الاعتناء بشأن ذى القرنين وان الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم أتبع) تقدم انه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) أى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لان يأجوج ومأجوج وان كانوا فى وسط الارض الا انهم لجهة الشمال لان أرضهم واسعة جدا تنتهى الى البحر المحيط قال بعضهم مسافة الارض بتمامها خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا وبعد) اى فى هذه الآية وفى قوله الآتى على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وفى يس وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) أى عاليان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء أى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) أى الفتحة التى بين الجبلين وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرته مائة وخمسين ساعة مسيرة اثنى عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله أى امامهما) أى بقربهما (قوله قوما) أى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولا) أى لغرابة لغتهم وبطء فهمهم (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق (قوله قالوا) اى قال مترجمهم لانهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وانما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين وقيل خاطبوه بانفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم ان الله جعل له فهما يفقه به كل شئ وهو الاقرب قال أهل التوارىخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العجم والعرب والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء (قوله ان يأجوج ومأجوج) روى ان كلا من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم

بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مفسدون في الأرض) بالنهب والبغي عند خروجهم الينا (فهل نجعل لك خرجا) جعلا من المال وفي قراءة خراجا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا فلا يصلون الينا (قال ما مكني) وفي قراءة بنونين من غير ادغام (فيه ربي) من المال وغيره (خير) من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي اليه وأجعل لكم السد تبرعا (فأعينوني بقوة) لما أطلبه منكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا (آتوني زبر الحديد) قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بضم الحرفين وفتحهما وضم الاول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قال انفخوا) فنفخوا (حتى اذا جعله) أي الحديد (نارا) أي كالنار (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الاول لاعمال الثاني فافرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصارا شيأ واحدا (فما اسطاعوا) أي يأجوج ومأجوج (أن يظهروه) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) خرقا لصلابته وسمكه (قال) ذو القرنين (هذا) أي السد أي الاقدار عليه (رحمة من ربي) نعمة لانه مانع من خروجهم (فاذا جاء وعد ربي) بخروجهم القريب من البعث (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا (وكان وعد ربي) بخروجهم وغيره (حقا) كائنا قال تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم خروجهم (يموج في بعض) يختلط به لكثرتهم (ونفخ في الصور)

طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم احدى أذنيه و يلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الايمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعجميان) أي لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة (قوله بالنهب والبغي) أي فكانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ اخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وادخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أي من هذه الفتحة (قوله وفي قراءة خراجا) أي وهي سبعية أيضا (قوله وفي قراءة بنونين) أي وهي سبعية أيضا (قوله وغيره) أي كالملك (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روي أنه قال لهم أعدوا الي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب وأضراس كالسباع ولهم شعر يواري أجسادهم و يتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما و يلتحف بالاخرى يصيف في واحدة و يشتي في الاخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذو القرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب فلما وصل الى ظاهر الارض بنى بقطع الحديد وافرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ما تقدم من انهم أصناف لانه رأى صنفا من الاصناف (قوله آتوني) بفتح الهمزة وكسرها مع المد فيهما قراءتان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) أي فالقرا آت السبعية ثلاث (قوله بالبناء) متعلق بساوى (قوله ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر و يقال منفاخ كمفتاح و يجمع على منافيخ (قوله فنفخوا) أي وهذه كرامة لذي القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون و يفرغون النحاس مع انه أصعب من النار مع قربهم من ذلك (قوله وحذف من الاول) أي هو وضميره لانه فضلة والاصل آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا (قوله بين زبره) أي مكان الحطب والفحم الذي كان بينها فلما أكلته النار بقي ما بينها خاليا فافرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) أي فكان ارتفاعه مائتي ذراع (قوله وملاسته) أي فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا بالفعل كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم الى الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه الى الناس فيستقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فاذا جاء وعد ربي) أي وقت وعده (قوله بخروجهم) أي فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض ومن في السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان كلام ذي القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) أي لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين الى جبل الطور فرارا منهم ثم يسلط الله عليهم دودا في أنوفهم فيموتون به فتنتن الارض منهم فتأتي طيور ترميهم في البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون الى من تحصن بورد أو ذكر (قوله لكثرتهم) أي وضيق الارض فان أرضنا بالنسبة لارضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ في الصور) أي النفخة الثانية بدليل التعقيب في

قوله

أي القرن [illegible] في مكان واحد يوم القيامة (جمعا وعرضنا) قربنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم) بدل من الكافرين (في غطاء عن ذكرى) أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنون به (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي) أي ملائكتي وعيسى وعزيرا (من دوني أولياء) أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثاني لحسب محذوف المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا (إنا أعتدنا جهنم للكافرين) هؤلاء وغيرهم (نزلا) أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) تمييز طابق المميز وبينهم بقوله (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) بطل عملهم (وهم يحسبون) يظنون (أنهم يحسنون صنعا) عملا يجازون عليه (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولقائه) أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب (فحبطت أعمالهم) بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نجعل لهم قدرا (ذلك) أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وابتدأ (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي مهزوا بهما (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم) في علم الله (جنات الفردوس) هو وسط الجنة وأعلاها والإضافة إليه للبيان (نزلا) منزلا (خالدين فيها

قوله فجمعناهم وأما النفخة الأولى فعندها تخرج روح كل ذي روح واختلف في القدر الذي بين النفختين والصحيح أنه أربعون عاما (قوله أي القرن) وهو بيد إسرافيل عليه السلام (قوله قربنا) أي أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) إن كان المراد به يوم الموقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاظهار وإن كان المراد بعد انقضائه فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وفائدة التأكيد على الأول الاشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب (قوله أعينهم) أي بصائرهم (قوله لا يهتدون به) أي لا يتعظون ولا يؤثر في قلوبهم (قوله لا يستطيعون سمعا) أي سماع قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أفحسب الذين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا فحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أي ملائكتي وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى تنوعهم في الكفر فالمشركون يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون عيسى واليهود يعبدون العزير (قوله وعزيرا) هذا لقبه واسمه قطفير أو اطفير (قوله من دوني) أي غيري وهو صادق بكونهم يشركونهم معه في العبادة أو خصوهم بالعبادة دونه (قوله مفعول ثان ليتخذوا) أي والأول قوله عبادي فمفعولا اتخذ مذكوران (قوله والمفعول الثاني لحسب محذوف) أي والأول قوله أن يتخذوا الخ والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أربابا لا يغضبني بل هو مغضب لي وأعاقبهم عليه وبتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم اشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فمسلم أنه اشراك وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختارهم واخدمهم ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك ومورث للفوز بمحبتهم ومرافقتهم في دار السلام لما ورد المرء مع من أحب (قوله كلا) هي كلمة ردع وزجر (قوله إنا أعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا (قوله هؤلاء) أي الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أي من بقية الكفار (قوله كالمنزل المعد للضيف) أي فهو استهزاء وسخرية بهم حيث سمى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيأ له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرانا أو بمعنى خاسر (قوله طابق المميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع أن أصله الإفراد ولم جمع المصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لمشاكلة مميزه (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أي لأن شرط الثواب الإسلام والكفر لا تنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أي وبالبعث) أي فالمراد بلقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ (قوله فحبطت) أي فبسبب ذلك (قوله أي لا نجعل لهم قدرا) أي منزلة وإنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم وبعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا نافعا (قوله ذلك أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف (قوله الذي ذكرت) تفسير لاسم الإشارة (قوله وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنفة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهنم خبرا أو بالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أولا وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله في علم الله) أي قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبر بالماضي فأجاب بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والفردوس الجنة من الكرم خاصة أو ما غالبها كرم واختلف فيه فقيل هو عربي وقيل أعجمي وقيل هو رومي وقيل فارسي وقيل سرياني (قوله منزلا) أي وقيل هو ما يهيأ للضيف (قوله خالدين) حال

مقدرة (قوله لا يبغون) حال أخرى (قوله تحولا) أى انتقالا عنها الى غيرها لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (قوله قل لو كان البحر مدادا) سبب نزولها ان اليهود قالت يا محمد انا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقصدهم بذلك الانكار عليه واثبات الفضل لهم (قوله أى ماؤه) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله لكلمات ربى) أى النفسية القائمة بذاته ويصح ان يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة و يكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أى فرغ (قوله قبل أن تنفد) ان قلت ان الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لان مقتضى قوله قبل أن تنفد كلمات ربى انها تفرغ بعد فراغ المداد وأجيب بان قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره اشارة الى ان لو شرطية جوابها محذوف و يوضح هذه الآية قوله تعالى فى سورة لقمان ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أى مدادا وقوله على التمييز أى لمثل (قوله باقية على مصدريتها) أى فما وان كفتها عن العمل لا تخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أى المأخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) أى بشروطه واركانه (قوله بان يرائى) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للايمان الكامل الذى يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى الخاص والا فالمراتب ثلاث من أراد بعمله الحظ الفانى فهو فى أدنى المراتب ومن أراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ومن أراد وجه الله فهو فى أعلى المراتب

﴿سورة مريم مكية﴾

سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفى بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها وان كان المقصود ذكر اسم السورة لا العلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا فى القرآن الا مريم فذكرت فيه فى ثلاثين موضعا وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار انها زوجة الله لان العظيم يأنف من ذكر زوجته باسمها فكان الله يقول لهم لو كان ما تزعمون حقا ما صرحت باسمها (قوله أو الا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل ان الاقوال ثلاثة قيل مكية بتمامها وقيل المدنى منها آية السجدة فيها وقيل المدنى منها آيتان قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله شيأ (قوله كهيعص) اعلم ان الكاف والصاد يمدان لازما باتفاق السبعة وهو قدر ثلاث ألفات والهاء والياء يمدان مدا طبيعيا باتفاقهم وهو قدر ألف ويجوز فى العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان و يتعين فى النون من عين اخفاؤها فى الصاد وغنتها وفتح العين و يجوز فى الدال الاظهار والادغام فى ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق والسلف أقوال أخر منها ما قاله ابن عباس انه اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم ولذا يذكره العارفون فى أحزابهم كالسيد الدسوقى وأبى الحسن الشاذلى وقيل هو اسم السورة وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبى هو ثناء اثنى الله به على نفسه وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعانى وقيل غير ذلك (قوله هذا) قدره اشارة الى ان ذكر خبر لمحذوف (قوله ذكر رحمت) هو مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى ذكر الله رحمته عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أى ورحمة من اضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر لانها من بنية الكلمة لا للوحدة ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها العبد زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لا بالغضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لانه مستحيل (قوله متعلق برحمة) أى على انه ظرف له أى رحمة الله اياه وقت ان ناداه (قوله مشتملا على دعاء) أى وهو قوله رب انى وهن العظم الى قوله واجعله رب رضيا فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله فهب لى من لدنك الخ (قوله جوف الليل) أى فى جوفه (قوله لانه أسرع

لا يبغون) يطلبون (عنها حولا) تحولا الى غيرها (قل لو كان البحر) أى ماؤه (مدادا) هو ما يكتب به (لكلمات ربى) الدالة على حكمه وعجائبه بان تكتب به (لنفد البحر) فى كتابتها (قبل أن تنفد) بالتاء والياء تفرغ (كلمات ربى ولو جئنا بمثله) أى البحر (مددا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هى ونصبه على التمييز (قل انما أنا بشر) آدمى (مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) ان المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى الى وحدانية الاله (فمن كان يرجو) يأمل (لقاء ربه) بالبعث والجزاء (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه) أى فيها بان يرائى (أحدا)

﴿سورة مريم﴾

مكية أو الا سجدتها فمدنية أو الا فخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهى ثمان أو تسع وتسعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) الله أعلم بمراده بذلك هذا (ذكر رحمة ربك عبده) مفعول رحمة (زكريا) بيان له (اذ) متعلق برحمة (نادى ربه نداء) مشتملا على دعاء (خفيا) سرا جوف الليل لانه أسرع

للاجابة (قال رب انى وهن) ضعف (العظم) جميعه (منى واشتعل الرأس) منى (شيبا) تمييز محول عن الفاعل أى انتشر الشيب فى شعره كما ينتشر شعاع النار فى الحطب وانى أريد أن أدعوك (ولم أكن بدعائك) اى بدعائى اياك (رب شقيا) أى خائبا فيما مضى فلا تخيبنى فيما تأتى (وانى خفت الموالى) أى الذين يلوننى فى النسب كبنى العم (من ورائى) اى بعد موتى على الدين أن يضيعوه كما شاهدته فى بنى اسرائيل من تبديل الدين (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) ابنا (يرثنى) بالجزم جواب الامر وبالرفع صفة وليا (ويرث) بالوجهين (من آل يعقوب) جدى العلم والنبوة (واجعله رب رضيا) اى مرضيا عندك قال تعالى فى اجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يازكريا انا نبشرك بغلام) يرث كما سألت (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أى مسمى بيحيى (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) من عتى يبس أى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة وأصل عتى عتوو كسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الاولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قال) الامر (كذلك) من خلق غلام منكما (قال ربك هو على هين) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) قبل خلقك ولاظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأتى (قال آيتك) عليه (أن لا تكلم الناس) أى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثلاث ليال) أى بأيامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سويا)

للاجابة) أى ماذكر من كونه خفيا حاصلا فى جوف الليل فتحصل ان اخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الاجابة سيما اذا كان فى جوف الليل (قوله قال رب) أى يا مالكى ومربى (قوله وهن) من باب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرها (قوله جميعه) أشار بذلك الى ان أل فى العظم للاستغراق (قوله أى انتشر) أشار بذلك الى ان فى اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع ان كلا يضعف ما نزل به واعاد الضمير على الرأس مذكر الانها تذكر لا غير (قوله وانى أريد ان أدعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله أى بدعائى اياك) أشار بذلك الى ان دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) أى أنت قد أجبتنى فى الزمان الماضى حال شبوبيتى وعودتنى منك بالاحسان والاجابة فلا تخيبنى فيما يأتى فى حال شيوختى (قوله وانى خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب (قوله كبنى العم) أى لانهم كانوا شرار بنى اسرائيل فخاف ان يبدلوا دينهم (قوله من ورائى) متعلق بمحذوف أى جور الموالى من ورائى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى اشاع اخت حنة كلتاهما بنت فاقود فولد لاشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لا تلد) أى لم تلد أصلا لا فى صغرها ولا فى كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعية أيضا وهى أظهر معنى لانها تفيد ان هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) أى لا المال لان الانبياء لا يورثون درهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان هذا من كلام الله ولا ينافيه ما تقدم فى سورة آل عمران من انه من كلام الملائكة لانه يمكن ان يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت للابن (قوله انا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) انما سماه بذلك لان رحم أمه حيى به بعد موته بالعقم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وتقول فى تثنيته يحييان رفعا ويحيين نصبا وجرا وتقول فى جمعه السلامة يحيون رفعا ويحيين نصبا وجرا (قوله أى مسمى بيحيى) أى لم يسم بيحيى قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الالهية أو استفهام تعجب وسرور فى هذا الامر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) أى ولم تزل (قوله يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس يقال عتا العود بمعنى يبس وجف ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد (قوله عتوو) هو بضمتين وواوين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على أربع اعمالات فى الكلمة كسر التاء وقلب الواو الاولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق احداهما بالسكون وادغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص وأما على قراءته من كسر العين اتباعا للتاء ففيه خمس اعمالات (قوله الامر) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) أى على لسان ملك أو القاء فى القلب وأما الخطاب جهرا مشافهة فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وأفتق) من باب نصر أى أشق (قوله للعلوق) بفتح العين أى المنى ويصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تاقت نفسه) أى تطلعت وتشوقت وأشار بذلك الى ان قوله قال رب اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله الى سرعة المبشر به) أى بعلامة تدل على حصوله بالفعل وليس عند زكريا شك فى اجابة الله دعاءه بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحا وشكرا (قوله أى تمتنع) أى قهرا بلا آفة (قوله أى بأيامها) أشار بذلك الى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا ان الليل سابق على النهار وهذه

السورة مكية والمكي مقدم على المدني وآل عمران مدنية فاعطي السابق للسابق والمتأخر للمتأخر (قوله حال من فاعل تكلم) أي ينعدم منك الكلام حال كونك سليما لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ويصح ان يكون صفة لثلاث أي ثلاثا كاملات لا نقص فيهن (قوله فخرج على قومه) أي متغير اللون عاجزا عن الكلام فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فاشار اليهم ان صلوا بكرة وعشيا (قوله من المحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت واكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديما (قوله أي المسجد) أي موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) أي فكان هو مقيمه ولا يفتحه الا وقت الصلاة ولا يدخلونه الا باذنه (قوله أشار اليهم) أي باصبعه وقيل كتب لهم (قوله أوائل النهار وأواخره) أي فالمراد بالصلاة في هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم ولا تنتظروني اكلمكم بل دعوني وحالي (قوله فعلم) أي زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك اشارة الى ان قوله يا يحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أي على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) أي اعمل باحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه في المكتب مثلا لان الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) أي بجد واجتهاد وانما أمر بذلك لان كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغي لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه وألا يتراخى في طلبه فانك ان أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه وان أعطيته بعضك لم يعطك شيأ منه ولذا قال الامام الشافعي رضي الله عنه

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عنها مخبرا ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * ونصحة أستاذ وطول زمان

ولم يأمر الله سيدنا محمدا بتلقي ما أوحي اليه بقوة لان الله أعطاه عزما وقوة عظيمة فلم يحتج للامر بذلك بل قيل له انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (قوله ابن ثلاث سنين) أي فاحكم الله عقله وقوى فهمه وقولهم النبوة على رأس الاربعين محله في غير يحيى وعيسى على ما أتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها واما النبوة فتأخرت للاربعين كغيره (قوله وحنانا) أي رحمة ورقة في قلبه وتعطفا على الناس (قوله صدقة عليهم) أي توفيقا للتصدق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الاوساخ أو طهارة من اتبعه أو المراد ان الله تصدق به على والديه (قوله وكان تقيا) أي مجبولا على التقوى ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خده (قوله ولم يهم بها) أي لم تخطر بباله ولا خصوصية له بذلك بل جميع الانبياء كذلك (قوله عاصيا لربه) أشار بذلك الى ان المبالغة ليست مرادة بل المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه (قوله وسلام عليه) أي أمان له من المخاوف ونكر هنا وعرف في قصة عيسى لان ما هنا حاصل من الله والقليل منه كثير وما ذكر في قصة عيسى أل فيه للعهد أي السلام المعهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) أي من أن يناله الشيطان بمكروه (قوله ويوم يموت) أي من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حيا) أي من هول الموقف ولا ينافي هذا ما ورد ان الانبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون رب سلم سلم لان جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيبته وجلاله لا من عذابه وعقابه لصدق وعد الله في تأمينهم فلا يخلف وعده * بقي شئ آخر وهو انه ورد أن يحيى قتل في حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولدا يرثه واجابة الله له بقوله كذلك هو على هين أجيب بأن هذه الرواية ضعيفة والحق انه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر في الكتاب مريم) أي قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى وتقدم ان معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك الى ان أل في الكتاب للعهد (قوله اذ انتبذت) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله أي خبرها وهو بدل اشتمال وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانتباذ بل هو وما بعده الى آخر القصة (قوله أي اعتزلت في مكان) أشار بذلك الى ان مكان منصوب على الظرفية ويصح ان يكون مفعولا به على ان معنى انتبذت أتت مكانا (قوله من الدار) أي دار زوج

حال من فاعل تكلم أي بلا علة (فخرج على قومه من المحراب) أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة (فأوحى) أشار (اليهم أن سبحوا) صلوا (بكرة وعشيا) أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أي التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) النبوة (صبيا) ابن ثلاث سنين (وحنانا) رحمة للناس (من لدنا) من عندنا (وزكاة) صدقة عليهم (وكان تقيا) روى انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (وبرا بوالديه) أي محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام) منا (عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أي في هذه الايام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها (واذكر في الكتاب) القرآن (مريم) أي خبرها (اذ) حين (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار

خالتها وهو ذكر بالقسم هاهنا وفى بعض النسخ أو شرقى بيت المقدس أى فقوله فى الآية شرقيا يحتمل ان يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أو تغتسل من حيضها) أى لانها كانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (قوله روحنا) سمى بذلك لان الله أحيا به القلوب والاديان كما ان الروح به حياة الاجساد أو كناية عن محبة الله كما يقول الانسان لمن يحبه أنت روحى (قوله فتمثل لها) اختلف فى كيفية تمثل الملك فى غير صورته الاصلية هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لا تنفصل أو انما تخفى عن الرائى وهو الذى ندين الله به لان لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال ان الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهى تغتسل فاجاب المفسر بانه انما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أى بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتأنس بكلامه ولعله لم يهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها ولا يقال ان النظر المهيج للشهوة حرام لان ذلك اذا كان مع اختيار وأما الميل الطبيعى فلا يؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم المغيث لها من الخلق (قوله ان كنت تقيا) أى عاملا بمقتضى تقواك وايمانك (قوله فتنته عنى) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارعا مقرونا بالفاء فهو على تقدير المبتدأ ليكون الجواب جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالفاء أى فانت تنتهى عنى (قوله رسول ربك) أى جبريل وقولهم ان الوحى لم ينزل على امرأة قط أى برسالة واما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الاولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الاول لانه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به ما يقال ان قولها لم يمسسنى بشر يدخل تحته ولم أك بغيا فاجاب بان المس عبارة عن النكاح فى الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما أشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لان بغيا غالب فى النساء فاجر وه اجراء حائض وطامث وعاقر او يقال ان أصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وكسرت الغين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك

ولا تلى فارقة فعولا * أصلا ولا المفعال والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وانما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الامر) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) بمنزلة العلة كأنه قيل الامر كذلك لانه علينا هين ولنجعله الخ (قوله على قدرتنا) أى كمال قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى (قوله أمرا مقضيا) أى لا يتغير ولا يتبدل (قوله فنفخ جبريل) أى نفخة وصلت الى فرجها ودخلت منه جوفها وليس المراد انه نفخ فى فرجها مباشرة (قوله درعها) أى قميصها (قوله مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها وهو بيت لحم فرارا من تعييرقومها بولادتها من غير زوج (قوله فاجاءها المخاض) أى ألجأها (قوله لتعتمد عليه) أى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأثمر لوقته (قوله فولدت) أى ببيت لحم فخافت عليه فجاءت به الى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهى الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذه النصارى عيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون ان المياه فى ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها اذ ذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) انما تمنت الموت لئلا تقع المعصية عن تكلم فى شأنها بسوء والا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءتان

(فاتخذت من دونهم حجابا) أرسلت سترا تستتر به لتفلى رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها (فارسلنا اليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) تام الخلق (قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) فتنتهى عنى بتعوذى (قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) بالنبوة (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) بتزوج (ولم أك بغيا) زانية (قال) الامر (كذلك) من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو على هين) أى بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملى به ولكون ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولنجعله آية للناس) على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلقه (أمرا مقضيا) به فى علمى فنفخ جبريل فى جيب درعها فاحست بالحمل فى بطنها مصورا (فحملته فانتبذت) تنحت (به مكانا قصيا) بعيدا من أهلها (فأجاءها) جاء بها (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قالت يا) للتنبيه (ليتنى مت قبل هذا) الامر (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر

سبعيتان وقرلة منسيا تأكيد لنسيا (قوله فناداها) أى لما شق عليها الامر وعلمت انها تتهم ولابد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها قيل أول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما فبقى متحيرا فى أمرها ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم الم تعلم ان الله أنبت الشجر بالقدرة من غير بذر ولا غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله يقدر على مايشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نفاسها (قوله من تحتها) بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان فعلى الاولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق بنادى (قوله اى جبريل) تفسير لمن على الفتح وللضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل المنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله ان لا تحزنى الى قوله فلن أكلم اليوم انسيا أول كلام عيسى (قوله وكان أسفل منها) أى كان جبريل فى مكان أسفل من مريم (قوله أن لا تحزنى) يحتمل أن تكون أن مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ماهو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهر ماء) أى وجمعه سريان كرغيف ورغفان ويطلق السرى على الشريف الرئيس وأصله سريو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى وما مشى عليه المفسر أظهر لمناسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) أى ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) أى ويصح ان تكون أصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطبا والتقدير وهزى اليك رطبا كائنا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة بتركها) أى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعية أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطبا مفعول به (قوله تمييز) أى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة (قوله جنيا) أى تاما نضجه صالحا للاجتناء (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قر يقر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرئ شذوذا بكسر القاف وهى لغة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع من باب ضرب (قوله أى تسكن) أى فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح أن يكون من القر وهو البرد لان العين اذا فرح صاحبها كان دمعها باردا واذا حزن كان دمعها حارا كأنه قال اتركى الحزن وافرحى بما أعطاك ربك (قوله حذف منه لام الفعل) أى وأصله ترأيين بهمزة هى عين الكلمة وياء مكسورة هى لامها وأخرى ساكنة هى ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة الى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما ثم أكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست اعمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء ألفا وحذفها وتأكيده بالنون وتحريكه بالكسر وان نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة أفاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل (قوله فسألك عن ولدك) جواب عما يقال ان قولها فلن أكلم اليوم انسيا كلام فقد حصل التناقض فاجاب بان المراد اذا رأيت أحدا من البشر وسألك عن أمرك فقولى الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم حتى يمسى وفى هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فانه أغيظ لهم (قوله مع الاناسى) أى لا مع الله كالذكر ولا مع الملائكة لما ورد انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس والاناسى بفتح الهمزة جمع انسى أو انسان وأصله على هذا أناسين قلبت النون ياء وأدغمت فى الياء (قوله أى بعد ذلك) أى بعد قولها انى نذرت للرحمن صوما (قوله فاتت به) أى فى يوم

(فناداها من تحتها) أى جبريل وكان أسفل منها (ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) نهر ماء كان انقطع (وهزى اليك بجذع النخلة) كانت يابسة والباء زائدة (تساقط) أصله بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت فى السين وفى قراءة تركها (عليك رطبا) تمييز (جنيا) صفته (فكلى) من الرطب (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد تمييز محول من الفاعل أى لتقر عينك به أى تسكن فلا تطمح الى غيره (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (ترين) حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر أحدا) فيسألك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى امساكا عن الكلام فى شأنه وغيره من الاناسى بدليل (فلن أكلم اليوم انسيا) أى بعد ذلك (فأتت به قومها تحمله) حال

فرأوه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما حيث أتيت بولد من غير أب (يا أخت هرون) هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة (ما كان أبوك امرأ سوء) أي زانيا (وما كانت أمك بغيا) زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت) لهم (اليه) أن كلموه (قالوا كيف نكلم من كان) أي وجد (في المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب) أي الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت) أى نفاعا للناس اخبار عما كتب له (وأوصانى بالصلاة والزكاة) أمرنى بهما (ما دمت حيا وبرا بوالدتى) منصوب بجعلنى مقدرا (ولم يجعلنى جبارا) متعاظما (شقيا) عاصيا لربه (والسلام) من الله (على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) بالرفع خبر مبتدأ مقدر أى قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت والمعنى القول الحق (الذى فيه يمترون) من المرية أى يشكون وهم النصارى قالوا ان عيسى ابن الله كذبوا (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) تنزيها له عن ذلك (اذا قضى أمرا) أي أراد أن يحدثه (فانما يقول له كن فيكون) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بفتح ان بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (هذا) المذكور (صراط) طريق (مستقيم) مؤد الى الجنة

وضعه وقيل بعد أربعين يوما لما طهرت من نفاسها (قوله فرأوه) أي أبصروه (قوله قالوا) أى أهلها وكانوا أهل بيت صالحين بصدوق قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض (قوله لقد جئت) أى فعلت وأتيت (قوله فريا) من فريت الجلد قطعته أى شيأ قاطعا وخارقا للعادة ومقطعا للعرض (قوله هو رجل صالح) أى في بنى اسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان أبوك) اى عمران وقوله وما كانت أمك أى حنة (قوله فأشارت اليه) أى وحينئذ غضب القوم وقالوا أتسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (قوله وجد) أشار المفسر الى ان كان تامة وحينئذ فصبيا حال ويصح أن تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله في المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه وردانه لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال انى عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ الها وكل هذه الاوصاف تقتضى براءة أمه لان هذه أوصاف الكاملين المطهرين من الارجاس (قوله وجعلنى نبيا) أى في الحال وقيل المراد سيجعلنى بعد الاربعين قولان للعلماء والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أى نفاعا للناس) أى لانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى ويهدى من ضل (قوله اخبار عما كتب له) أى فالماضى بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله أمرنى بهما) أى بفعلهما (قوله وبرا) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرها اما على حذف مضاف أى ذا بر أو مبالغة (قوله متعاظما) أى بل جعلنى متواضعا ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا (قوله والسلام) أل فيه للعهد أى السلام الحاصل ليحيى حاصل لى فلا يقال ان يحيى سلم عليه ربه وعيسى سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم أبعث حيا) هذا آخر كلامه ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى أن هذا من كلام الله تعالى وأما كلام عيسى فقد انتهى الى قوله حيا (قوله ذلك) أى المذكور بتلك الاوصاف واسم الاشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبره مبتدا محذوف أى قول ابن مريم قول الحق وهو من اضافة الموصوف للصفة أى القول الحق والمعنى ان الموصوف بما ذكر من الاوصاف هو عيسى بن مريم وقوله القول الحق أى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) أى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) أى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر لمحذوف أى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتحيرون (قوله قالوا ان عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما يأتى في قوله فاختلف الاحزاب من بينهم وانما اقتصر على هذه هنا لانها التى يتضح ابطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لا يمكن ولا يتأتى لانه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله أن يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم كان والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو محال قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله عن ذلك) أى اتخاذ الولد (قوله اذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال ان اتخاذ الولد والسعى في أسبابه شأن العاجز الضعيف المحتاج الذى لا يقدر على شئ وأما القادر الغنى الذى يقول للشئ كن فيكون فلا يحتاج في اتخاذ الولد الى احبال الانثى وحيث أوجده بقول كن لا يسمى ابنا له بل هو عبده ومخلوقه فهو تبكيت والزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير ان) أى بعد فاء السببية الواقعة بعد الامر (قوله وان الله ربى وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر ان أو فتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) أى اذكر يا عيسى ان الله الخ (قوله بتقدير قل) أى وان تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى أيضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى

الولد (قوله فاختلف الاحزاب) أى ان النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شأن عيسى بعد رفعه الى السماء اربع فرق اليعقوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية لما روى انه اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر من كل قوم عالمهم فامتروا فى شأن عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط الى الارض فاحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وأمه اله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الاخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون أجرهم مرتين كالنجاشي واتباعه وهم الذين قال الله تعالى فيهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الآيات (قوله فشدة عذاب) وقيل المراد بالويل واد فى جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وسمى بذلك لشهادة الاعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (قوله أسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الامر ومعناه التعجب واعرابه أسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والهاء ضمير فاعله وأبصر مثله وحذف بهم من الثانى لدلالة الاول عليه وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه بل المراد التعجب وهو حمل المخاطب على التعجب أى اعجبوا يا عبادى من شدة سمعهم وبصرهم فى ذلك اليوم (قوله من اقامة الظاهر مقام المضمر) أى اشارة الى ان من اتصف بصفاتهم يسمى ظالما (قوله فى ضلال) أى خطأ وعدم اهتداء للحق (قوله به صموا) أى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ فى الدنيا فالعجب منهم فى الحالتين شدة الاسماع والابصار فى الآخرة وضدهما فى الدنيا (قوله هو يوم القيامة) أى وله أسماء كثيرة منها يوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم الموعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه المسىء الخ) اى والمحسن على ترك الزيادة فى الاحسان كما فى الحديث (قوله اذ قضى الامر) أى حكم وأمضى وذلك انه ورد اذا استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم (قوله وهم فى غفلة) الجملة حالية وكذا قوله وهم لا يؤمنون وهذا الانذار لكل مكلف وانما خصه المفسر باهل مكة لانهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكهم) أى ولا يبقى حى سوى الله تعالى لما ورد ان الله تعالى ينادى بعد انقراض الدنيا باهلها لمن الملك اليوم ويجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار (قوله والينا يرجعون) أى يردون فيجازى كل أحد بما قدمه من خير وشر (قوله واذكر فى الكتاب ابراهيم) يحتمل انه معطوف على قوله وأنذرهم يوم الحسرة والمعنى واذكر لاهل مكة قصة ابراهيم لعلهم يعتبرون فيؤمنوا ويحتمل انه معطوف على قوله واذكر فى الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الاقرب (قوله مبالغا فى الصدق) أى فى أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لان كل نبى صديق ولا عكس وبين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولى ولا عكس لان الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتمال وحينئذ فقوله انه كان صديقا نبيا معترض بين البدل والمبدل منه (قوله لابيه) قيل حقيقة وهو ما مشى عليه السيوطى فى سورة الانعام تبعا للمفسر هنا ولا يضر كفر أصول الانبياء فان الله يخرج الحى من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم مازلت أنتقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الفاخرة لان المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية وان كانوا كفارا أو يقال ان آزر لم يتحقق كفره الا بعد بعثة ابراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور المحمدى الى ولده وهو فى حالة الفترة وقيل هو عمه واسم أبيه تارخ وسمى أبا على عادة الاكابر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث المتقدم وهما

(فاختلف الاحزاب من بينهم) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو اله معه أو ثالث ثلاثة (فويل) فشدة عذاب (للذين كفروا) بما ذكر وغيره (من مشهد يوم عظيم) أى حضور يوم القيامة وأهواله (أسمع بهم وأبصر) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يوم يأتوننا) فى الآخرة (لكن الظالمون) من اقامة الظاهر مقام المضمر (اليوم) أى فى الدنيا (فى ضلال مبين) أى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن ابصاره أى أعجب منهم يا مخاطب فى سمعهم وابصارهم فى الآخرة بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا (وأنذرهم) خوف يا محمد كفار مكة (يوم الحسرة) هو يوم القيامة يتحسر فيه المسىء على ترك الاحسان فى الدنيا (اذ قضى الامر) لهم فيه بالعذاب (وهم) فى الدنيا (فى غفلة) عنه (وهم لا يؤمنون) به (انا نحن) تأكيد (نرث الارض ومن عليها) من العقلاء وغيرهم باهلاكهم (والينا يرجعون) فيه للجزاء (واذكر) لهم (فى الكتاب ابراهيم) أى خبره (انه كان صديقا) مبالغا فى الصدق (نبيا) ويبدل من خبره (اذ قال لابيه) آزر (يا أبت)

التاء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الاصنام (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك) لا يكفيك (شيئا) من نفع أو ضر (يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا) طريقا (سويا) مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) بطاعتك اياه في عبادة الاصنام (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) كثير العصيان (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) ان لم تتب (فتكون للشيطان وليا) ناصرا وقرينا في النار (قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) فتعيبها (لئن لم تنته) عن التعرض لها (لأرجمنك) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني (واهجرني مليا) دهرا طويلا (قال سلام عليك) مني أي لا أصيبك بمكروه (سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا) من حفي أي بارا فيجيب دعائي وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء واغفر لابي وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة (وأعتزلكم وما تدعون) تعبدون (من دون الله وأدعو) أعبد (ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي) بعبادته (شقيا) كما شقيتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بان ذهب الى الارض المقدسة (وهبنا له) ابنين يأنس بهما (اسحق ويعقوب وكلا) منهما (جعلنا نبيا ووهبنا لهم) للثلاثة (من رحمتنا) المال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) رفيعا هو الثناء الحسن في جميع أهل الاديان (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس

قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) اى فاصله أبي فيقال في اعرابه يا حرف نداء وأب منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والتاء عوض عن الياء (قوله ولا يجمع بينهما) أي فلا يقال يا أبتي لان فيه الجمع بين العوض والمعوض ويقال يا أبتا لان الالف عوض عن الياء أيضا ففيه جمع بين عوضين (قوله لم تعبد ما لا يسمع) أي لاي سبب تعبد ما لا يسمع فيه ولا يبصر (قوله أو ضر) اى أو دفع ضر (قوله من العلم) اى العلم بالتوحيد والشرع (قوله فاتبعني) أي امتثل أمري فيما آمرك به (قوله مستقيما) أي لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك اياه) أي فالمراد بعبادته امتثال أمره في عبادة الاصنام حيث حسنها له بوسوسته (قوله عصيا) أي وطاعة العاصي عصيان (قوله اني أخاف أن يمسك عذاب) أي في المستقبل ان لم ترجع وانما عبر بالخوف لانه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا ايمانه وقيل المراد بالخوف العلم والاقرب الاول لانه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب الاقتصار على تفسيره بالقرين لانه بعد الدخول في العذاب لا يتأتى معاونة ولا مناصرة (قوله أراغب) مبتدأ وأنت فاعل سد مسد الخبر وسوغه اعتماده على الاستفهام وهو أولى من جعله خبرا مقدما وأنت مبتدأ مؤخر لانه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو أراغب والمعمول وهو عن آلهتي بأجنبي وهو أنت لان المبتدا غير معمول للخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف والملاطفة في الخطاب بالفظاظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن لم تنته لارجمنك * وكل اناء بالذي فيه ينضح * (قوله بالحجارة) أي حتى تموت أو تخلي سبيلي (قوله أو بالكلام القبيح) أي الشتم والذم (قوله فاحذرني) قدره اشارة الى أن قوله واهجرني معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرني انشائية وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) اما منصوب على الظرفية واليه يشير المفسر بقوله دهرا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرني أي اعتزلني سالما لا يصيبك مني مضرة (قوله أي لا أصيبك بمكروه) أي فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله سأستغفر لك ربي) أي أطلب غفرانه لك المترتب على هدايتك واسلامك (قوله حفيا) أي مبالغا في اكرامي واللطف بي والاعتناء بشأني ويطلق الحفي على المستقصي في السؤال ومنه قوله تعالى كأنك حفي عنها (قوله وهذا قبل أن يتبين له انه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار فاجاب بانه استغفر له قبل علمه انه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه وبهذا تعلم انه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر ان قصد بها هدايته واسلامه فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله وأعتزلكم) أي أرتحل من أرضكم وبلادكم وقد فعل ذلك (قوله بان ذهب) أي من بابل العراق الى الارض المقدسة (قوله يأنس بهما) استفيد منه انه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم انه بشر باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقد عاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين آدم ألفا سنة وبينه وبين نوح ألف سنة (قوله اسحق ويعقوب) خصهما لانه سيذكر اسمعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) أي ابراهيم وولديه (قوله المال والولد) أي فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الارزاق وأكثر لهم الاولاد فجميع الانبياء الذين جاؤا بعده من ذريته (قوله في جميع أهل الاديان) أي فكل أهل دين يترضون عن ابراهيم واسحق ويعقوب ويذكرونهم بخير الى يوم القيامة (قوله واذكر في الكتاب موسى) معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة والحاصل ان الله تعالى ذكر في هذه السورة أسماء عشرة من الانبياء زكريا ويحيى وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب واسمعيل وموسى وهرون وادريس وذكر لكل أوصافا ومناقب يجب الايمان بها تنبيها على عظيم شأنهم وتعليما للامة المحمدية ليقتدوا بهم وكذا يقال في جميع قصص الانبياء المذكورة في القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من أخلص في عبادته) أي لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله وخلصه الله) أي صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لفا ونشرا مرتبا فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته ومحبته

فتسبب عن ذلك اخلاصه في عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) أي ثبت واستقر أزلا في علمنا نبوته و رسالته
والا فرسالته في الخارج حين المناداة (قوله يقول ياموسى) أي في سورة القصص في قوله تعالى فلما
قضى موسى الاجل وسار بأهله الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذى
يلي يمين موسى) هذا صريح في ان المراد به الطور الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس
لانه على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو مشاهد والايمن صفة للجانب بدليل تعيينه له في
الاعراب في قوله تعالى و واعدناكم جانب الطور الايمن والمعنى انه سمع النداء في ذلك المكان بجميع
اجزائه من كل جهة (قوله وقربناه) أي تقريب شرف ومكانة لا مكان (قوله من كل جهة) أي بكل
جارحة (قوله بدل أو عطف بيان) أي واخاه مفعول به وقوله من رحمتنا أي من أجل رحمتنا (قوله هي
المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معنى هبته له مع كونه اسن منه والموهوب يكون متأخرا عن الموهوب
له فأجاب بان المراد جعله نبيا يعينه و يشد عضده (قوله اجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال
واجعل لي وزيرا من أهلي (قوله وكان اسن منه) أي بسنة وقيل باربع سنين (قوله اسمعيل) أي ابن
ابراهيم وكان من هاجر جارية سارة التي وهبتها له فلما ولدت اسمعيل نقلها الى الحجاز قبل بناء البيت فتربى
اسمعيل بين جرهم عرب من اليمن فتزوج منهم فلما كبر أرسله الله اليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه
العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بهذا فخرا ولما كان أعظم مزية من أولاد ابراهيم
أفرده بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وان كان موجودا في غيره من الانبياء
لانه المشهور من خصاله (قوله وانتظر من وعده) أي شخصا وعده اسمعيل وكان عليه ابراز الضمير لان
الصلة جرت على غير من هي له والمعنى ان اسمعيل وعد شخصا أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل و يأتي
له فمكث ثلاثة أيام أو حولا (قوله وكان رسولا) أي بشريعة أبيه (قوله قلبت الواوان الخ) أي فوقعت
الواو الثانية متطرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت
في الياء وهذا الوصف جامع لكل خير لان من كانت أفعاله مرضية لربه لا يصدر عنه الا كل بر واحسان
ولا شك أن الانبياء كذلك لان الله أعلم حيث يجعل رسالته (قوله ادريس) هذا لقبه واسمه اخنوخ
ابن شيث بن آدم ولقب بذلك لانه أول من درس الكتب لان الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هي التي
نزلت على أبيه وقيل غيرها وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر
في علم النجوم والحساب (قوله هو جد أبي نوح) أي لان نوحا ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ
ابن ادريس (قوله ورفعناه مكانا عليا) اختلف المفسرون في المكان العلي فقيل المراد به المكان
المعنوي وهو الرفعة وعلو المنزلة وقيل المراد به المكان الحسي وعليه فقيل هو السماء الرابعة وقيل
الجنة واختلفوا في سبب رفعه فقيل انه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل
الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فاذن له فأتاه في
صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه
ففعل ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت
استأذنت ربي ان أصحبك فقال ادريس لي اليك حاجة قال ما هي قال تقبض روحي فأوحى الله اليه أن
اقبض روحه فقبضها وردها اليه في ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال
لأذوق الموت وغمته فأكون أشد استعدادا ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال ترفعني
الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار وأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما
تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح أبوابها ففعل فقال له كما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة
فاستفتح ففتح أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال
ما أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس
ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين ولست أخرج

(وكان رسولا نبيا وناديناه
يقول ياموسى اني أنا الله
(من جانب الطور) اسم جبل
(الايمن) أي الذي يلي يمين
موسى حين أقبل من مدين
(وقربناه نجيا) مناجيا بان
أسمعه الله تعالى كلامه
(ووهبنا له من رحمتنا)
نعمتنا (أخاه هرون) بدل أو
عطف بيان (نبيا) حال هي
المقصودة بالهبة اجابة لسؤاله
أن يرسل أخاه معه وكان أسن
منه (واذكر في الكتاب
اسمعيل انه كان صادق الوعد)
لم يعد شيأ الا وفى به وانتظر من
وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى
رجع اليه في مكانه (وكان
رسولا) الى جرهم (نبيا وكان
يأمر أهله) أي قومه (بالصلاة
والزكاة وكان عند ربه مرضيا)
أصله مرضوو قلبت الواوان
ياءين والضمة كسرة (واذكر
في الكتاب ادريس) هو جد
أبي نوح (انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا) هو حي
في السماء الرابعة أو السادسة
أو السابعة أو في الجنة أدخلها
بعد ان أذيق الموت وأحيي ولم
يخرج منها

(أولئك) مبتدأ (الذين أنعم الله عليهم) صفة له (من النبيين) بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله (من ذرية آدم) أى ادريس (وممن حملنا مع نوح) فى السفينة أى ابراهيم بن ابنه سام (ومن ذرية ابراهيم) أى اسمعيل واسحق ويعقوب (و) من ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب أى موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (وممن هدينا واجتبينا) أى من جملتهم وخبر أولئك (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) جمع ساجد وباك أى فكونوا مثلهم وأصل بكى بكوى قلبت الواو ياء والضمة كسرة (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) بتركها كاليهود والنصارى (واتبعوا الشهوات) من المعاصى (فسوف يلقون غيا) هو واد فى جهنم أى يقعون فيه (الا) لكن (من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون) ينقصون (شيأ) من ثوابهم (جنات عدن) اقامة بدل من الجنة (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) حال أى غائبين عنها (انه كان وعده) أى موعده (مأتيا) بمعنى آتيا وأصله مأتوى أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله (لا يسمعون فيها لغوا) من الكلام (الا) لكن يسمعون (سلاما) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى على قدرهما فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا (تلك الجنة التى

فاوحى الله الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج منها فهو حى هنالك وقيل سببه انه نام ذات يوم فاشتد عليه حر الشمس فقال اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فانه يمارس نارا حامية فاصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسى من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لى هذا قال دعا لك رجل من بنى آدم يقال له ادريس فقال يارب اجعل بينى وبينه خلة فاذن له فى ذلك فصار يتردد على ادريس فقال له انك أكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لى عنده ليؤخر أجلى فأزداد عبادة وشكرا فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فرفعه فى مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لى صديق من بنى آدم يتشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان احببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك فانطلق فوجده قد مات ثم أحياه الله فهو يرفع فى الجنة تارة ويعبد الله مع الملائكة فى السماء الرابعة تارة أخرى قال العلماء أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الأرض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما عيسى وادريس (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على الانبياء المذكورين فى هذه السورة وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم ادريس كما تقدم (قوله صفة له) أى لاسم الاشارة أى أولئك الموصوفون بانعام الله عليهم وذلك ان الله لما وصف كلا من الانبياء باوصاف تخصه أولا ذكر ثانيا لهم صفة تعمهم (قوله بيان لهم) أى للمنعم عليهم (قوله أى ادريس) تفسير للذرية أى ان ادريس من ذرية آدم لانه تقدم انه ابن شيث بن آدم (قوله وممن حملنا) أى ومن ذرية من حملنا (قوله أى ابراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لان من حمل معه أولاده الثلاثة وابراهيم من ذرية أحدهم وهو سام لكن بوسايط فان بين ابراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أى فاولاد البنات من الذرية والحاصل ان من ذرية آدم لصلبه ادريس ومن ذرية نوح بوسايط ابراهيم ومن ذريته اسمعيل واسحق ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (قوله وممن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة فى تمجيدهم (قوله خروا سجدا وبكيا) أى ان الانبياء اذا سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا (قوله وباك) أى على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) أى فى السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا (قوله فخلف من بعدهم) أى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر وبالفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستعيذ من حره أوديتها (قوله الا من تاب) قدر المفسر لكن اشارة الى أن الاستثناء منقطع لان المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار (قوله بدل من الجنة) قال بعضهم انه بدل كل من بعض لان الجنة بعض الجنات ورد بان أل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله أى غائبين عنها) أى غير مشاهدين لها الان الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لا يشاهد الجنة (قوله أى موعوده) أى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) أى فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أو موعوده الخ) اشارة لتفسير آخر وعليه فاسم المفعول باق على ماهو عليه وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة (قوله لغوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه (قوله لكن يسمعون سلاما) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وانما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الابواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل للاستراحة فيه والنوم اذ لا نوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهيئة تحف فى الصباح والمساء ليتم نظامهم (قوله تلك الجنة) اسم الاشارة عائد على الجنة فى قوله فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ وأتى باسم الاشارة البعيد اشارة

نورث) نعطي وننزل (من عبادنا من كان تقيا) بطاعته * ونزل لما تأخر الوحي أياما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل

ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا) أي أمامنا من أمور الآخرة (وما خلفنا) من أمور الدنيا (وما بين ذلك) أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه (وما كان ربك نسيا) بمعنى ناسيا أي تاركا لك بتأخير الوحي عنك هو (رب) مالك (السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) أي اصبر عليها (هل تعلم له سميا) أي مسمى بذلك لا (ويقول الإنسان) المنكر للبعث أبي بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أئذا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (ما مت لسوف أخرج حيا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيا بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى (أولا يذكر الإنسان) أصله يتذكر أبدلت التاء ذالا وأدغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) فيستدل بالابتداء على الإعادة (فوربك لنحشرنهم) أي المنكرين للبعث (والشياطين) أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) من خارجها (جثيا) على الركب جمع جاث وأصله جثوو أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان

لعلو رتبتها ورفيع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث اشارة الى أنهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) أي سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولو مصرا على الكبائر فانه للجنة وان أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لان الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للمشركين ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة فاطر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الى أن قال جنات عدن يدخلونها وقوله صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنا وان سرق وان شرب الخمر ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت في الاعمال الصالحة (قوله بطاعته) أي ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تأخر الوحي) أي حين سأله اليهود عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فتأخر جبريل حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أربعين يوما وقيل خمسة عشر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساءني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت أشوق ولكني عبد مأمور واذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست (قوله أكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل كأنه قال له ان شوقي اليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيادة لا الهجر (قوله وما نتنزل الا بأمر ربك) هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله المذكور والتنزل النزول شيئا فشيئا (قوله من أمور الآخرة) بيان لما ويصح ان يحمل قوله ما بين أيدينا على ما يأتي وقوله وما خلفنا على ما سبق وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) أي تفصيلا وأما علم بعضها اجمالا فيكون لبعض الحوادث كالانبياء والاولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه الا ما أذن لهم فيه اذا علمت ذلك فالتشدق بالتجري على المغيبات من الضلال المبين لانه ان استند لقواعد فهي كاذبة ولو صادفت الحق بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم كذب المنجمون وان صدقوا وان استند لكشف فصاحبه لا يطلع الا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مأمور بكتمها الا ان الله قال لنبيه على لسان جبريل له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله أي تاركا لك) أي ان عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركا لك وهجرانا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى (قوله هو) قدره اشارة الى ان رب خبر لمحذوف (قوله فاعبده) أي دم على عبادته ولا تحزن بابطاء الوحي واستهزاء الكفرة (قوله أي مسمى بذلك) أي بلفظ الجلالة أو برب السموات والارض وقيل معنى سميا مثلا يستحق أن يسمى الها واحدا يسمى بالله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط لظهور أحديته وانه رب السموات والارض وما بينهما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقد ورد ان امرأة سمت ولدها الله فنزلت عليه نار فاحرقته (قوله المنكر للبعث) أشار بذلك الى ان المراد بالانسان خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله أو الوليد) أو لتنويع الخلاف في المراد بالانسان الذي قال تلك المقالة وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله أئذا) منصوب بقوله أخرج حيا ولا يقال ان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لان ذلك في لام الابتداء وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر (قوله وادخال الف بينها) أي الثانية وقوله وبين الاخرى أي الاولى وكان المناسب أن يقول وتركه فتكون القراآت اربعا وهي سبعيات (قوله أولا يذكر) الاستفهام للتوبيخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله من قبل) أي من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الاعادة) أي لانها أهون قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قوله فوربك) أضاف اسمه تعالى اليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أي وهو الموقف (قوله وأصله جثوو) أي بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أو جثوي) أي بياء بعد

(ثم لننزعن من كل شيعة) فرقة منهم (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جراءة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صليا) دخولا واحتراقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وإن) أي ما (منكم) أحد (إلا واردها) أي داخل جهنم (كان على ربك حتما مقضيا) حتمه وقضى به لا يتركه (ثم ننجي) مشددا ومخففا (الذين اتقوا) الشرك والكفر منها (ونذر الظالمين) بالشرك والكفر (فيها جثيا) على الركب (وإذا تتلى عليهم) أي المؤمنين والكافرين (آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات حال (قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين) نحن وأنتم (خير مقاما) منزلا ومسكنا بالفتح من قام وبالضم من أقام (وأحسن نديا) بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيرا منكم قال تعالى (وكم) أي كثيرا (أهلكنا قبلهم من قرن) أي أمة من الأمم الماضية (هم أحسن أثاثا) مالا ومتاعا (ورئيا) منظرا من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قل من كان في الضلالة) شرط جوابه (فليمدد) بمعنى الخبر أي يمد (له الرحمن مدا) في الدنيا يستدرجه (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) كالقتل والأسر (وإما الساعة) المشتملة على جهنم فيدخلونها (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) أعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة

الواو وقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وعلى كل كسرت التاء لتصح الياء (قوله ثم لننزعن من كل شيعة) أي من كل أمة (قوله أيهم) موصولة بمعنى الذي بنيت على الضم لإضافتها وحذف صدر صلتها وقوله أشد خبر لمحذوف والجملة صلتها وهي وصلتها في محل نصب مفعول لننزعن وعتيا تمييز محول عن المبتدأ المحذوف أي عتوه أشد والمعنى أنه يميز طوائف الكفار فيطرح الأعتى فالأعتى على الترتيب لأن عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد (قوله صليا) بضم الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان جمع صال كجثيا جمع جاث (قوله فنبدأ بهم) أي بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) أي كرضي وقوله وفتحها أي كرمى (قوله وإن منكم إلا واردها) أي مسلما أو كافرا والحاصل أنه اختلف المفسرون في المراد بالورود فقيل الدخول وقيل الحضور معها في الموقف والذي عول عليه الأشياخ أن المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها أحد من السيف وأرق من الشعرة ويتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وهم في المرور مختلفون لما في الحديث يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كعدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل في مشيه (قوله أي داخل جهنم) أي وتكون على المؤمنين ولو ماتوا عصاة غير من تحقق فيهم الوعيد بردا وسلاما لا دخولهم فيها وهي خامدة فلا يشعرون بها (قوله كان) أي الورود (قوله حتما مقضيا) أي بمقتضى حكمته لا بإيجاب عليه (قوله ثم ننجي الذين اتقوا) أي نخرجهم منها من غير أن يمسهم عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد أو بعد العذاب وهو من نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) أي نتركهم فيها على سبيل الخلود وقوله جثيا حال من الظالمين (قوله وإذا تتلى عليهم الخ) أي حين نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وعجزوا عن معارضتها أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء المؤمنين بما لهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا إلى منازلنا فترونها أحسن من منازلكم وإلى مجالسنا فترونها أحسن من مجالسكم نجلس في صدر المجالس وتجلسون في طرفه الحقير فإذا كان ذلك لنا في الدنيا فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لأكرمكم كما أكرمنا وقصدهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا قال تعالى وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (قوله قال الذين كفروا) أي أغنياؤهم (قوله للذين آمنوا) أي الفقراء منهم (قوله نحن وأنتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) أي فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على أنه من قام ثلاثيا والضم على أنه من أقام رباعيا وكل يحتمل أن يكون اسم مكان أو اسم مصدر (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم (قوله هم أحسن) مبتدأ وخبر والجملة صفة لقرن وأثاثا ورئيا تمييزان (قوله ورئيا) أي مرئيا كالذبح بمعنى المذبوح وقوله منظرا أي هيئة وصورة (قوله قل) أي للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله في الضلالة) أي الكفر والغفلة عن عواقب الأمور (قوله بمعنى الخبر) أي وأتى به على صورة الأمر إعلاما بأنه يحصل ولا بد بمقتضى حكمته كأنه ألزم نفسه بذلك (قوله أي يمد له الرحمن) أتى بذكر الرحمن إشارة (٢) إلى أن الإمهال من رحمته (قوله يستدرجه) أي بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى إذا رأوا ما يوعدون) غاية في قوله فليمدد له الرحمن (قوله وإما الساعة) إما حرف تفصيل وهي مانعة خلو تجوز الجمع والعذاب والساعة بدلان من ما والمعنى يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب إذا وقوله من هو شر مكانا راجع لقوله خير مقاما وقوله وأضعف جندا راجع لقوله وأحسن نديا على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أهم أم المؤمنون) أشار بذلك إلى أن من استفهامية ويصح كونها موصولة مفعول تعلمون (قوله عليهم) متعلق بجند لتضمنه معنى المعاونين

(٢) قوله إلى أن الإمهال الخ في نسخة إلى أن رحمته سبقت غضبه اهـ

(ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) بما ينزل عليهم من الآيات (والباقيات الصالحات) هى الطاعات تبقى
لصاحبها (خير عند ربك ثوابا
وخير مردا) أى مايرد اليه
ويرجع بخلاف أعمال
الكفار والخير يةهنا فى
مقابلة قولهم أى الفريقين
خير مقاما (أفرأيت الذى
كفر بآياتنا) العاصى بن
وائل (وقال) لخباب بن
الارت القائل له تبعث بعد
الموت والمطالب له بمال
(لأوتين) على تقدير البعث
(مالا وولدا) فأقضيك قال
تعالى (أطلع الغيب) أى أعلمه
وان يؤتى ماقاله واستغنى
بهمزة الاستفهام عن همزة
الوصل فحذفت (أم اتخذ عند
الرحمن عهدا) بان يؤتى ماقاله
(كلا) أى لايؤتى ذلك سنكتب
نأمر بكتب (مايقول ونمد له
من العذاب مدا) نزيده بذلك
عذابا فوق عذاب كفره
(ونرثه مايقول) من المال
والولد (ويأتينا) يوم القيامة
(فردا) لامال له ولا ولد
(واتخذوا) أى كفار مكة
(من دون الله) الاوثان
(آلهة) يعبدونهم (ليكونوا
لهم عزا) شفعاء عند الله بأن
لايعذبوا (كلا) أى لامانع من
عذابهم (سيكفرون) اى
الآلهة (بعبادتهم) أى ينفونها
كما فى آية أخرى ماكانوا ايانا
يعبدون (ويكونون عليهم
ضدا) أعوانا وأعداء (ألم تر
أنا أرسلنا الشياطين) سلطناهم
(على الكافرين تؤزهم)
تهيجهم الى المعاصى (أزا فلا
تعجل عليهم) بطلب العذاب

وذلك كما وقع لهم فى بدر فالكفار كان جندهم ابليس وأعوانه جاؤا اليهم ليعينوهم ثم اتخذلوا عنهم والمؤمنون كان جندهم الملائكة التى قاتلت معهم كما تقدم فى الانفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستأنفة أومعطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كانه قال قل لهم من كان فى الضلالة الخ وقل لهم يزيد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أى فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وايمانا قال تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (قوله هى الطاعة) تقدم ان هذا أحد تفاسير فى الباقيات الصالحات وهو الاحسن (قوله خير عند ربك) اى من زينة الدنيا التى يتنعم بها الكفار (قوله بخلاف أعمال الكفار) أى فانها شر مرد الكونهم يردون الى جهنم فتحصل أن الاعمال كلها باقية لأصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الاعمال الصالحة فيتنعمون بها فى الجنة والكفار تبقى لهم الاعمال السيئة فيعذبون بها فى النار فالعاقل يختار لنفسه أى العملين يبقى له (قوله والخير يةالخ) أى فافعل التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق فاندفع مايقال ان أعمال الكفار لاخير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبى أى تعجب يامحمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاص بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذى فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهورة (قوله لخباب بن الارت) هو بدرى من فقراء الصحابة وذلك ان خبابا كان صائغا فصاغ للعاصى حليا ثم طالبه باجرته فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال وانى لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك اذا رجعت الى مال وولد (قوله واستغنى بهمزة الاستفهام الخ) أى فاصله أأطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون فى هذه اللفظة ستة مذاهب أحسنها أنها حرف ردع وزجر الثانى انها حرف تصديق بمعنى نعم الثالث انها بمعنى حقا الرابع انها رد لما قبلها الخامس انها صلة فى الكلام بمعنى أى السادس انها حرف استفتاح وذكرت فى القرآن فى ثلاثة وثلاثين موضعا وكلها فى النصف الثانى منه فى خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع الى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ماقبلها فيبتدأ بها وذلك فى خمسة مواضع اللتان فى هذه السورة والاثنان فى الشعراء وواحدة فى سبا وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ماقبلها وذلك فى تسعة مواضع واحدة فى المؤمنون واثنتان فى سأل سائل والاولى والثالثة فى المدثر والاولى فى سورة القيامة والثانية فى سورة ويل للمطففين والاولى فى سورة الفجر والتى فى سورة ويل لكل وقسم لايجوز الوقف عليها باتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب مايقول) أى نظهره له ونعلمه انا كتبناه فاندفع مايقال ان الكتابة لاتتأخر عن القول قال تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد (قوله نزيده بذلك عذابا الخ) أى لما تقدم ان كل من كان أشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله ونرثه مايقول) أى نسلبه ونأخذه منه بان يخرج من الدنيا خاليا من ذلك (قوله فردا) أى منقطعا عن ماله وولده بالكلية فلايلقى مالا ولا ولدا أصلا لافى البعث ولافى النار لانقطاع الاسباب بينهم وبين أولادهم بل وبين مايشتهون كما قال تعالى وحيل بينهم وبين مايشتهون وأما المؤمنون وان كانوا يبعثون فرادى الا انهم يلاقون أحبابهم وأولادهم ومايشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الاوثان) هو مفعول أول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) فى معنى التعليل (قوله ضدا) أى اضدادا وانما أفرده اما لكونه مصدرا فى الاصل أولانه مفرد فى معنى الجمع (قوله على الكافرين) أى وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم الى المعاصى) اى تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله أزا) مفعول مطلق لتؤزهم والاز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والازعاج وهو المراد هنا (قوله فلا تعجل عليهم) أى لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم وتطهر الارض من فسادهم لان لهم أياما محصورة وأنفاسا

معدودة يعيشونها ثم يردون الى العذاب (قوله انما نعد لهم عدا) أى نضبط مايقع منهم ولانهمل منه شيأ ليؤاخذوا به (قوله أوالانفاس) تفسير ثان (قوله الى وقت عذابهم) أى وهو موتهم لان موتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها الى قيام الساعة فيقذفون فى النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أى اذكر يامحمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى ليس مأخوذا من معنى الوفد لان الوفد فى اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقين لما ورد انهم يحشرون ركبانا على نجائب سروجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد واختلف فى وقت ركوبهم فقيل من أول خروجهم من القبور وقيل من منصرفهم من الموقف وعلى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة وجمع بانهم يركبون من أول خروجهم من القبور حتى يأتوا الموقف ثم بعد انفضاض الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد الى الله تعالى على خيل لاتروث ولاتبول لجمها من الياقوت الاحمر ومن الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض وسروجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب الابل فعلى نجائب لاتبعر ولاتبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الاهوال وورد أيضا يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى أن المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم لما ورد ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك واتعبتك فى الدنيا اركبنى اليوم وان الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتن ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك السيئ طالما ركبتنى واتعبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله لايملكون) أى الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة أى كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه (قوله الا من اتخذ) مستثنى من العموم المتقدم وهو متصل (قوله عند الرحمن) كرر لفظ الرحمن فى هذه السورة ست عشرة مرة اشارة الى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى شهادة أن لا اله الا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله (قوله ولاحول ولا قوة الا بالله) فى رواية والتبرى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم ان الملائكة بنات الله) أى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار اثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) أى تقريعا وتوبيخا (قوله منكرا عظيما) أى فظيعا شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشئ منكرا عظيما (قوله ينفطرن) أى يتفتتن ويتقطعن (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وظاهره ان القراآت أربع وليس كذلك بل هى ثلاث فقط لان فى قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من ينفطرن وفى قراءة الياء وجها واحدا وهو التاء من يتفطرن والثلاث سبعيات (قوله وتنشق الارض) اى تخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى ان هذه المقالة منهم موجبة للغضب عليهم الذى ينشأ عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الارض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته أو المعنى ان هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السموات والارض والجبال وتتمنى انها لو أهلكت من تفوه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله وماينبغى للرحمن) أى لايليق به ذلك ولا يتأتى لاستحالته عليه عقلا ونقلا لان الولد علامة الضعف والحدوث (قوله لقد أحصاهم) أى أحاط بهم علمه (قوله وعدهم عدا) أى عد أشخاصهم وانفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله وأحصاهم فكانه قال أحاط بهم علمه جمعا وفرادى (قوله فردا) أى منفردا

(انما نعد لهم) الايام والليالى أوالانفاس (عدا) الى وقت عذابهم اذكر (يوم نحشر المتقين) بايمانهم (الى الرحمن وفدا) جمع وافد بمعنى راكب (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم وردا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لايملكون) أى الناس (الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أى شهادة أن لا اله الا الله ولاحول ولاقوة الا بالله (وقالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتخذ الرحمن ولدا) قال تعالى لهم (لقد جئتم شيأ ادا) أى منكرا عظيما (تكاد) بالتاء والياء (السموات يتفطرن) بالنون وفى قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) أى تنطبق عليهم من أجل (أن دعوا للرحمن ولدا) قال تعالى (وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) أى مايليق به ذلك (ان) أى ما (كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير وعيسى (لقد أحصاهم وعدهم عدا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) بلا مال ولانصير يمنعه (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(قوله سيجعل لهم الرحمن ودا) أى فى الدنيا والآخرة والتنوين للتعظيم أى ودا عظيما فكما اعظمت طاعاتهم عظم ودهم لربهم ولاحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فان المحبة رأس الايمان وأساسه لما فى الحديث ألا لا ايمان لمن لا محبة له فمن أعطى المحبة لله ولاحبابه فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لان المحبة حكمة ايجاد الخلق لما فى الحديث القدسى فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى وبالجملة فالمحبة أمرها عظيم ولذا كان تنافس العارفين فيها فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا وعبر باداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة فى مبدا الاسلام مفرقين فوعد الله رسوله بان يؤلف بين قلوب المؤمنين ويضع فيها المحبة وهذا لان الآية نزلت فى مبدا الاسلام تسلية له صلى الله عليه وسلم وودا بضم الواو والسبعة وقرئ بفتحها وكسرها فهو مثلث (قوله فانما يسرناه) أى أنزلناه ميسرا (قوله العربى) أى فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع الد) أى شديد الخصومة (قوله وكم أهلكنا الخ) تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحس رباعيا والاستفهام انكارى كما أشار له بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرها (قوله منهم) حال من أحد لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) أى والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعا حتى لا يرى منهم أحد ولا يسمع لهم صوت خفى

سيجعل لهم الرحمن ودا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) العربى (لتبشر به المتقين) الفائزين بالايمان (وتنذر) تخوف (به قوما لدا) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة (وكم) أى كثيرا (أهلكنا قبلهم من قرن) أى أمة من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل (هل تحس) تجد (منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا لا فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء

سورة طه مكية

أى كلها وقيل الا فاصبر على ما يقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت سببا فيه (قوله أو أربعون الخ) أى فالخلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك الى أن طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وقيل ان طه اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء وقيل انه فعل أمر وأصله طأ ها والمعنى طأ الارض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه فى تهجده حيث كان يقوم الليل كله ويقف على احدى رجليه ويريح الاخرى من شدة التعب فأمره الله بالتخفيف على نفسه فكان يصلى وينام ويقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما وقيل ان معنى لتشقى لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر فانما عليك البلاغ وأرح نفسك من هذا التعب فانا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى وقيل انه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجده انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به (قوله لكن) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع لان التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لاجله والتشقى كذلك وانما نصب الثانى دون الاول لان فاعل الذكرى والانزال هو الله بخلاف الاول (قوله لمن يخشى) أى لمن فى قلبه رقة يتأثر بالمواعظ (قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والاصل نزلناه تنزيلا فحذف الفعل وجوبا بالنيابة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره اشارة الى أن الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون تم تامقطوعا قصد به المدح (قوله سرير الملك) أى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضى الله عنه عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون ان المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرسى بمعنى جلس واستوى على الاقطار بمعنى ملك وقهر ومن الثانى قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وحينئذ فالمتعين اطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة

سورة طه

مكية مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون أو ثنتان

(بسم الله الرحمن الرحيم طه) الله أعلم بمراده بذلك (ما أنزلنا عليك القرآن) يا محمد (لتشقى) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أى خفف عن نفسك (الا) لكن أنزلناه (تذكرة) به (لمن يخشى) يخاف الله (تنزيلا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (ممن خلق الارض والسموات العلى) جمع عليا ككبرى وكبر هو (الرحمن على العرش) وهو فى اللغة سرير الملك (استوى) استواء يليق به (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما) من المخلوقات (وما تحت الثرى)

(قوله هو التراب الندى) أى الذى فيه نداوة فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وان تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير أمر شرعى كأنه يقول ان الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد اسماع الله تعالى اما جهل أو كفر واما لغرض آخر كارشاد العباد وحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف وقوله فانه يعلم السر الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله وأخفى) هو أفعل تفضيل أى والذى هو أخفى من السر (قوله أى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد أقوال فى تفسير السر وأخفى وقال ابن عباس السر ما أسره ابن آدم فى نفسه وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق فى علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء والهاء أو ضم التاء وكسر الهاء من جهد وأجهد أى لا تتعب نفسك بالجهر بقصد اسماع الله تعالى وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسنى) مؤنث الاحسن أى فهى اسم تفضيل يوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر الغير العاقل كما هنا (قوله وهل أتاك حديث موسى) الاستفهام للتشويق والتقرير فى ذهن السامع والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له انا أرسلناك بالتوحيد ولا غرابة فى ذلك فانه أمر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى حيث قيل له اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وبه ختم موسى مقالته حيث قال انما الهكم الله الذى لا اله الا هو فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور قلب لا حقيقته فانه مستحيل عليه تعالى أو ان هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله اذ رأى نارا) ظرف لحديث (قوله امرأته) أى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفوريا وقيل صفورة واسم أختها ليا وقيل شيرفا وقيل عبدا واختلف فى التى تزوجها فقيل هى الصغرى وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكثوا) انما أتى بجمع المذكور وان كان الخطاب لامرأته تعظيما أو مراعاة لمن معها من الخدم والاولاد (قوله وذلك فى مسيره الخ) روى أنه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى أمه وأخيه بمصر فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور الذى هو بفلسطين لانه هو الذى على يمين المتوجه من مدين وقيل هو الذى بين مصر وأيلة ورد بأنه على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية باردة وكانت ليلة الجمعة وقد أخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح زنده فلم يخرج نارا فبينما هو فى ذلك اذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور نارا فأمر أهله بالمكث لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال فلما وصل الى تلك النار التى أبصرها خاطبه الله وأرسله الى فرعون وخلف أهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى بنى اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب الى موسى بمصر (قوله انى آنست) من الايناس وهو الابصار ومنه انسان العين لانه يبصر الاشياء (قوله أو أجد على النار هدى) أو مانعة خلو تجوز الجمع وعلى بمعنى عند أى عند النار (قوله وكان أخطأها) أى لانه سار على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لانه لا يدرى ما يفعل الله به (قوله فلما أتاها) أى النار التى آنسها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى ياموسى انى أنا ربك) هذا أول المكالمة بينه وبين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى ان العذاب على من كذب وتولى وهذا بالنسبة لهذه الواقعة والا فله مكالمات أخر وسمع الكلام بكل اجزائه من جميع جهاته حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا (قوله فاخلع نعليك) أى تواضعا لله ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما لانهما كانا من جلد حمار ميت

هو الثرى التراب الندى والمراد الارضون السبع لانها تحته (وان تجهر بالقول) فى ذكر أو دعاء فالله غنى عن الجهر به (فانه يعلم السر وأخفى) منه أى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (وهل) قد (أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله) لامرأته (امكثوا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (انى آنست) أبصرت (نارا لعلى آتيكم منها بقبس) شعلة فى رأس فتيلة أو عود (أو أجد على النار هدى) أى هاديا يدلنى على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فلما أتاها) وهى شجرة عوسج (نودى ياموسى انى) بكسر الهمزة بتأويل نودى بقيل وبفتحها بتقدير الباء (أنا) تأكيد لياء المتكلم (ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) بدل أو عطف بيان

لم يدبغ روى انه خلعهما والقاهما خلف الوادى (قوله بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان (قوله وأنا اخترتك) أى للنبوة والرسالة وكان عمره اذذاك أربعين سنه كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر ياموسى (قوله اننى أنا الله) بدل مما يوحى وهو اشارة للعقائد العقلية وقوله فاعبدنى اشارة للاعمال الفرعية وقوله ان الساعة آتية اشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة العبادة لعظم شأنها واحتوائها على الذكر وشغل القلب واللسان والجوارح فهى أفضل أركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكرى فيها) أى لتذكرنى فيها لانها مشتملة على كلامى وغيره من أنواع الذكر (قوله ان الساعة آتية) أى حاصلة ولابد وسميت ساعة لانها تأتى فى ساعة أى قطعة من الزمان (قوله أكاد أخفيها) أى أريد اخفاء وقتها والحكمة فى اخفاء وقتها واخفاء الموت ان الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفى الغرغرة فلو عرف الخلق وقتهما لاشتغلوا بالمعاصى الى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية فتعريف وقتهما كالاغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) أى أماراتها وأول العلامات الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدى (قوله لتجزى) اما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله أكاد أخفيها جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق (قوله بما تسعى) ما موصولة وجملة تسعى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدنك) الخطاب لموسى والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة مقدرة على الالف بان مضمرة بعد فاء السببية فى جواب النهى (قوله وما تلك بيمينك ياموسى) أى بعد ان خلع عليه خلعة النبوة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا ويؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم اشارة خبر وقوله بيمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الاشارة وهذا أحسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى التى وبيمينك صلتها لانه ليس مذهب البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) أى فحكمة الاستفهام كون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق ما يعلم منها وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فانه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) أى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الانبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم فاخذها موسى بعلم شعيب وانما زاد فى الجواب لان المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب ولاشك ان الزيادة فى الجواب فى هذا المقام مما يريح الفؤاد والافكان يكفيه أن يقول هى عصاى (قوله عند الوثوب) أى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم الهاء من هش يهش بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه وأما هش يهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولى فيها مآرب أخرى) أجمل فى هذا الجواب اما حياء من الله تعالى لطول الكلام أو اتكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالكاف الى أن لها منافع أخر فكان يستقى بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتيها تصير دلوا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكله يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصنين فصارت شجرة وأورقت واثمرت وكانت شعبتاها تضيآن بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب به (قوله فألقاها) أى طرحها على الارض (قوله فاذا هى حية تسعى) عبر عنها هنا بالحية وفى آية أخرى بثعبان وفى أخرى بانها كالجان ووجه الجمع ما أشار له المفسر بقوله تمشى على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ والحاصل ان تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار سرعة مشيها (قوله المسمى بالجان) أى وهو الثعبان الصغير وأما الجن فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) انما حصل له الخوف لان صورتها هائلة فشعبتاها صارتا شدقين لها والمحجن عنقها وعيناها تتقدان نارا تمر بالشجرة العظيمة فتلتقمها وتقطع الشجرة العظيمة بانيابها

بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية (وأنا اخترتك) من قومك (فاستمع لما يوحى) اليك منى (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فيها (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لتجزى فيها) (كل نفس بما تسعى) به من خير أوشر (فلا يصدنك) يصرفنك (عنها) أى عن الايمان بها (من لا يؤمن بها واتبع هواه) فى انكارها (فتردى) أى فتهلك ان انصددت عنها (وما تلك) كائنة (بيمينك ياموسى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قال هى عصاى أتوكأ) أعتمد (عليها) عند الوثوب والمشى (وأهش) أخبط ورق الشجر (بها) ليسقط (على غنمى) فتأكله (ولى فيها مآرب) جمع مأربة مثلث الراء أى حوائج (أخرى) كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام زاد فى الجواب بيان حاجاته بها (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية) ثعبان عظيم (تسعى) تمشى على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها فى آية أخرى (قال خذها ولا تخف) منها (سنعيدها سيرتها) منصوب بنزع الخافض أى الى حالتها (الاولى)

ويسمع لانيابها صوت عظيم فظن انها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها ولا تخف تبين له انها نعمة لا نقمة (قوله فادخل يده) اى مكشوفة وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال الله له خذها الف كم المدرعة على يده فامره الله ان يكشف يده وقال ارأيت لو أذن الله لها أكانت المدرعة تغني عنك شيأ قال لا ولكني ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض فاعله ضمير يعود على موسى أى علم (قوله ان موضع الخ) في محل المفعول به (قوله موضع مسكها) اى الاتكاء عليها والمعنى انه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شدقين وصار ما تحتهما هو محل مسكها بيده عنقا لها (قوله وأرى ذلك) اى بصر الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) اى عنده (قوله بمعنى الكف) اى لا بمعنى حقيقتها وهي من الاصابع الى المنكب (قوله تحت العضد) بيان للمراد من الجنب وقوله الى الابط اى من المرفق منتهيا الى الابط (قوله من الادمة) اى السمرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو ان يؤتى بشئ يرفع توهم غير المراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضيء كشعاع الشمس) أى فكان اذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت ابطه الايسر وأخرجها كان لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوء ثم اذا ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول (قوله الآية الكبرى) قدره اشارة الى ان الكبرى صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله نريك والكاف مفعول أول والكبرى اسم تفضيل والمعنى التي هي أكبر من غيرها حتى من العصا لانها لم تعارض أصلا وأما العصا فقد عارضها السحرة (قوله اذهب الى فرعون) أى بهاتين الآيتين وهما العصا واليد روى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي ونصري واني ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له أجب ربك فيما أمرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) أى فانك كلفتني بامر عظيم لا يقوى عليه الا من شرحت صدره وقويته (قوله واحلل عقدة من لساني) أى لكنة حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لفصاحته الاصلية وهذا هو الاحسن وقيل زال بعضها بدليل قوله هو أفصح مني لسانا وقول فرعون ولا يكاد يبين ورد بان معنى هو أفصح انه لم يطرأ عليه لكنة وقول فرعون باعتبار ما يعهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) أى وذلك ان موسى لاعب فرعون ذات يوم فنتف لحيته ولطمه على وجهه فاغتم وهم بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لا يغتم منه لانه لا يفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بطشت فيه تمر وقيل جوهر وبطشت فيه جمر فاراد ان يأخذ التمر أو الجوهر فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصار فيه لكنة (قوله يفقهوا قولي) مجزوم في جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهو الثقل سمي بذلك لانه يتحمل مشاق الملك ويعينه على أموره ويقوم بها (قوله مفعول ثان) أى والاول وزيرا والاحسن عكسه بان يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهرون مفعول أول مؤخر لان القاعدة اذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الاول هو المعرفة لان أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثاني لان أصله الخبر ووزيرا نكرة وهرون معرفة بالعلمية (قوله والفعلان بصيغتي الامر والمضارع الخ) حاصل ما هنا ان القراآت السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخي وهما قراءة الفعلين بصيغتي الامر فتضم الهمزة في الاول وتفتح في الثاني والمضارع فتفتح في الاول وتضم في الثاني وثلاثة عند وصل أخي بما بعده وهي ان تسكن الياء ممدودة

فادخل يده في فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الادخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع اذا انقلبت حية لدى فرعون (واضمم يدك) اليمنى بمعنى الكف (الى جناحك) أى جنبك الايسر تحت العضد الى الابط وأخرجها (تخرج) خلاف ما كانت عليه من الادمة (بيضاء من غير سوء) أى برص تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر (آية أخرى) وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج (لنريك) بها اذا فعلت ذلك لاظهارها (من آياتنا) الآية (الكبرى) أى العظمى على رسالتك واذا أراد عودها الى حالتها الاولى ضمها الى جناحه كما تقدم وأخرجها (اذهب) رسولا (الى فرعون) ومن معه (انه طغى) جاوز الحد في كفره الى ادعاء الالهية (قال رب اشرح لي صدري) وسعه لتحمل الرسالة (ويسر) سهل (لي أمري) لابلغها (واحلل عقدة من لساني) حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا) معينا عليها (من أهلي هرون) مفعول ثان (أخي) عطف بيان (اشدد به أزري) ظهري (وأشركه في أمري) أى الرسالة والفعلان بصيغتي الامر والمضارع المجزوم

قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع أو تدخيهما والفعلان بالامر أو تحذفهما وهما بالامر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) أى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) تعليل لكل من الافعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد واشركه (قوله قال قد أوتيت) أى جوابا لمطلوباته وقوله سؤلك أى مسؤلك ففعل بمعنى مفعول كاكل وخبز بمعنى ماكول ومخبوز (قوله ياموسى) خاطبه باسمه اشعارا بمحبته وتعظيم شأنه ورفعة قدره عليه السلام (قوله مننا عليك) أى تفضلا حاصلا عليك وقدره دخولا على ما بعده (قوله ولقد مننا عليك) استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى كان الله يقول له انا قد مننا عليك بمنن سابقة من غير دعاء منك ولا طلب فلان نعطيك ما تطلبه بالاولى وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشأنه (قوله مرة أخرى) تأنيث آخر بمعنى غير أى تحققت منتنا عليك مرة أخرى غير المنة التى تحققت لك بسؤالك والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) اى لقوله مننا والمعنى لاننا أوحينا الى أمك الخ ويصح أن تكون للظرفية والمعنى ولقد مننا عليك وقت ايحائنا الى أمك الخ وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية الاولى قوله اذ أوحينا الثانية قوله وألقيت عليك الثالثة قوله ولتصنع على عينى الرابعة قوله فرجعناك الى أمك الخامسة قوله وقتلت نفسا السادسة قوله وفتناك فتونا السابعة قوله فلبثت سنين الثامنة قوله واصطنعتك لنفسى (قوله الى أمك) أى واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فالف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله مناما أو الهاما) أى أو يقظة ولا ينافيه كونها ليست نبية فان المخصوص بالانبياء الوحى بالشرائع والتكاليف وأما الوحى بغير الشرع فجائز حتى للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله لما ولدتك) أى فى السنة التى رتب فرعون أتباعه لذبح كل من يولد من الذكور فى تلك السنة وذلك ان فرعون رأى رؤيا هالته فقصها على الكهنة فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه فامر أتباعه بان يذبحوا كل من يولد من الذكور حتى شق الامر فابقى القتل فى سنة ورفعه فى سنة فصادف ولادة موسى فى السنة التى فيها القتل فلما ولد جاء اتباع فرعون يفتشون على المولود فوضعته أمه فى التنور فجاءت أخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه فخرجوا من عندها فنظرت الى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فنادتها من التنور فأخرجته سالما فاوحى الله اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم فاخذت صندوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه ثم طلت رأس التابوت بالقار وألقته فى اليم فوجهه البحر حتى أدخله فى نهر كائن فى بستان فرعون وكان فرعون جالسا مع آسية زوجته فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى أحسن الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا حتى انه لم يقدر على بعده عنه وذلك قوله تعالى وألقيت عليك محبة منى (قوله ما يوحى) أبهمه للتعظيم كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم (قوله فى أمرك) أى شأنك (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله أى شاطئه) المراد قربه لان الصندوق أخذ من نفس البحر قريبا من البر (قوله والامر بمعنى الخبر) أى وحكمة العدول عنه انه لما كان القاء البحر اياه بالساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بأمر لا يستطيع مخالفته (قوله وألقيت عليك محبة منى) يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة منى بان أحببتك فتسبب عن محبتى محبة الناس لك ويحتمل ان المعنى ألقيت عليك محبة خلقتها فى قلوب الناس لك فاحبوك والاول أحسن لعدم الكلفة فيه (قوله ولتصنع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربى على رعايتى الخ) أى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازا مرسلا من اطلاق السبب وهو نظر العين على المسبب وهو الحفظ والرعاية لان شأن من ينظر للشئ بعينه ان يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) أى وكانت شقيقته وهى غير أم عيسى (قوله لتتعرف خبرك) أى فوجدتك وقعت فى يد فرعون فدلتهم على أمك حيث قالت هل أدلكم الخ (قوله وأنت لا تقبل الخ) أى لحكمة عظيمة وهى وقوعك فى يد أمك لانك لو رضعت غيرها لاستغنوا عن أمك (قوله على من يكفله) أى يكمل رضاعه وقد أرضعته أمه قيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فاجيبت الخ (قوله

وهو جواب الطلب (كى نسبحك) تسبيحا (كثيرا ونذكرك) ذكرا (كثيرا انك كنت بنا بصيرا) عالما فانعمت بالرسالة (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) منا عليك (ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ) للتعليل (أوحينا الى أمك) مناما أو الهاما لما ولدتك وخافت ان يقتلك فرعون فى جملة من يولد (ما يوحى) فى أمرك ويبدل منه (أن اقذفيه) ألقيه (فى التابوت فاقذفيه) بالتابوت (فى اليم) بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أى شاطئه والامر بمعنى الخبر (يأخذه عدو لى وعدو له) وهو فرعون (وألقيت) بعد أن أخذك (عليك محبة منى) لتحب من الناس فاحبك فرعون وكل من رآك (ولتصنع على عينى) تربى على رعايتى وحفظى لك (اذ) للتعليل (تمشى أختك) مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدى واحدة منها (فتقول هل أدلكم على من يكفله) فاجيبت فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى أمك

كى تقر عينها) أى تسكن وتبرد دمعة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) أى حين اذ قبلت ثديها والمراد نفى دوام الحزن (قوله هو القبطى) أى واسمه قاب قان وكان طباخا لفرعون (قوله من جهة فرعون) أى لا من جهة قتله فانه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) أى خلصناك من محنة بعد أخرى روى ان سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وضلت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير (قوله سنين عشرا) أى ولبث فى مصر قبل قتل القبطى ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتى عشرة سنة فمكث بمدين لرعى الغنم عشر سنين و بعدها ثمانى عشرة سنة (قوله على قدر) أى مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسى) أى لتشتغل بأوامرى وتبليغ رسالاتى وان تكون فى حركاتك وسكناتك لى لا لغيرى (قوله اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى قد أجبناك فيما طلبت وأعطينا أخاك الرسالة فاذهب أنت وهو الى فرعون وقومه (قوله الى الناس) قدره اشارة الى انه حذف من هنا لدلالة قوله فيما يأتى الى فرعون عليه كما انه حذف فيما يأتى قوله بآياتى لدلالة ما هنا عليه ففى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله بآياتى التسع) المناسب للمفسر ان يقول العصا واليد لان باقى التسع لم يكن فى المبدا بل كان فى أثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة (قوله ولا تنيا فى ذكرى) يقال ونى ونيا كوعد يعد وعدا اذا فتر وأصله تونيا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو المقصود بالذات (قوله اذهبا الى فرعون) ان قلت ما حكمة جمعهما فى ضمير واحد مع ان هرون لم يكن حاضرا فى محل المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر أجيب بان الله كشف الحجاب فى ذلك الوقت عن سمع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن ما يقال (قوله فقولا له قولا لينا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله فى سورة النازعات فى قوله هل لك الى ان تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض (قوله فى رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة اليهما) أى الى موسى وهرون والمعنى اذهبا مترجيين ايمانه وطامعين فيه ولا تذهبا آيسين منه (قوله لعلمه تعالى بانه لا يرجع) أى والفائدة فى ارسالهما الزامه الحجة وقطع عذره لجريان عادته سبحانه وتعالى انه لا يعذب أحدا الا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك (قوله قالا ربنا) أسند القول لهما لانه وقع من كل منهما وان كان مكانهما مختلفا لما تقدم انه لا مانع من ازالة الحجاب عن هرون وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقت المناجاة (قوله أى يعجل بالعقوبة) أى فلا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة (قوله أو ان يطغى) أى يزداد تكبرا وكفرا وأو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لا تنزعجا منه (قوله فأتياه) أى اذهبا بانفسكما اليه ولا تقعدا فى مكان وترسلا له (قوله فقولا انا رسولا ربك) أمرهما الله ان يقولا له ست جمل أولها قوله انا رسولا ربك الثانية قوله فارسل معنا بنى اسرائيل الثالثة ولا تعذبهم الرابعة قد جئناك بآية من ربك الخامسة والسلام على من اتبع الهدى السادسة انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى (قوله فأرسل معنا بنى اسرائيل) أى أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم فانهم أولاد الانبياء ولا يليق أن يولى عليهم خسيس والمعنى ان موسى وهرون أرسلا الى فرعون بانه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى اسرائيل (قوله بحجة) أى دليل و برهان على ما ادعيناه من الرسالة (قوله فأتياه وقالا له جميع ما ذكر) قدر ذلك اشارة الى ان قوله قال فمن ربكما الخ مرتب على محذوف واشعارا بانهما سارعا الى امتثال الامر من غير توان فيه (قوله قال فمن ربكما) لم يضف الرب لنفسه تكبرا وطغيانا وخوفا على قومه اذا أضاف الرب لنفسه

كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) حينئذ (وقتلت نفسا) هو القبطى بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) اختبرناك بالايقاع فى غير ذلك وخلصناك منه (فلبثت سنين) عشرا (فى أهل مدين) بعد مجيئك اليها من مصر عند شعيب النبى وتزوجك بابنته (ثم جئت على قدر) فى علمى بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك (ياموسى واصطنعتك) اخترتك (لنفسى) بالرسالة (اذهب أنت وأخوك) الى الناس (بآياتى) التسع (ولا تنيا) تفترا (فى ذكرى) بتسبيح وغيره (اذهبا الى فرعون انه طغى) بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) فى رجوعه من ذلك (لعله يتذكر) يتعظ (أو يخشى) الله فيرجع والترجى بالنسبة اليهما لعلمه تعالى بانه لا يرجع (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أى يعجل بالعقوبة (أو أن يطغى) علينا اى يتكبر (قال لا تخافا اننى معكما) بعونى (أسمع) ما يقول (وأرى) ما يفعل (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) الى الشام (ولا تعذبهم) أى خل عنهم من استعمالك اياهم فى أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل (قد جئناك بآية) بحجة (من ربك) على صدقنا بالرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) أى السلامة له من العذاب (انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب) ما جئنا به (وتولى) أعرض عنه فأتياه وقالا له جميع ما ذكر (قال فمن ربكما ياموسى)

اقتصر عليه لانه الاصل ولادلالة عليه بالتربية (قال ربنا الذي أعطى كل شئ) من الخلق (خلقه) الذي هو عليه متميز به عن غيره (ثم هدى) الحيوان منه الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قال) فرعون (فما بال) حال (القرون) الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الاوثان (قال) موسى (علمها) أي علم حالهم محفوظ (عند ربي في كتاب) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لا يضل) يغيب (ربي) عن شئ (ولا ينسى) ربي شيأ هو ٤٤ (الذي جعل لكم) في جملة الخلق (الارض مهادا) فراشا (وسلك) سهل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأنزل من السماء ماء) مطرا قال تعالى تتميما لما وصفه به موسى وخطابا لاهل مكة (فأخرجنا به أزواجا) أصنافا (من نبات شتى) صفة ازواجا أي مختلفة الالوان والطعوم وغيرهما وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الامر تفرق (كلوا) منها (وارعوا أنعامكم) فيها جمع نعم هي الابل والبقر والغنم يقال رعت الانعام ورعيتها والامر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير فأخرجنا أي مبيحين لكم الاكل ورعي الانعام (ان في ذلك) المذكور هنا (لآيات) لعبرا (لاولى النهى) لاصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمى به العقل لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (منها) أي من الارض (خلقناكم) بخلق أبيكم آدم منها (وفيها نعيدكم) مقبورين بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة) مرة (أخرى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (ولقد أريناه) أي أبصرنا فرعون (آياتنا كلها) التسع (فكذب) بها وزعم أنها سحر (وأبى) أن يوحد الله تعالى (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر و يكون لك الملك فيها (بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله) يعارضه (فاجعل بيننا و بينك موعدا) لذلك (لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا) منصوب بنزع الخافض في (سوى) بكسر أوله وضمه أي وسطا تستوي اليه مسافة الجائي من الطرفين (قال) موسى (موعدكم يوم الزينة) يوم عيد لهم يتزينون فيه و يجتمعون (وان يحشر الناس) يجمع أهل مصر (ضحى) وقته للنظر فيما يقع (فتولى فرعون) أدبر (فجمع كيده) أي ذوى كيده من السحرة

(قوله اقتصر عليه) أي مع توجيه الخطاب لهما (قوله لانه الاصل) أي في الرسالة وهرون وان كان رسولا الا ان المقصود منه معاونة موسى (قوله ولادلالة عليه بالتربية) أي ولاقامة فرعون الدليل على موسى بأن ذكره بتربيته له في قوله الآتي في الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) أي صورته وشكله (قوله الحيوان منه) أي من كل شئ (قوله قال فما بال القرون الاولى) لما ظهر للعين حقيقة ما قال موسى و بطلان ما هو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رياسته ان تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث وقال علمها عند ربي (قوله في عبادتهم الاوثان) أي أكان سببا في شقاوتهم أوسعادتهم واغما لم يوضح له الجواب لانه مأمور بملاطفته واذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لا يضل ربي) أي لا يذهب شئ عن علمه (قوله ولا ينسى) أي بعد علمه (قوله الذي جعل لكم الارض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الاول (قوله مهادا) أي كالمهاد (قوله طرقا) أي تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا مآربكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان قوله فأخرجنا به ازواجا من كلامه تعالى لا بطريق الحكاية عن موسى بل خطابا لاهل مكة وامتنانا عليهم و ينتهي الى قوله تارة أخرى وقيل انه من كلام موسى أيضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لاهل مكة) أي في قوله كلوا وارعوا (قوله شتى) الفه للتأنيث (قوله يقال رعت الانعام الخ) أي فيستعمل لازما ومتعديا (قوله أي مبيحين لكم) المناسب ان يقول أي قائلين لكم كلوا الخ فهو أمر اباحة (قوله جمع نهية) وقيل انه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى (قوله بخلق أبيكم آدم منها) أي لجميع الخلق غير آدم خلقوا من الارض بواسطة وهذا أحد قولين وقيل كل انسان خلق من التراب بلا واسطة لان كل نطفة وقعت في الرحم يأخذ الملك الموكل بها شيأ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) اخبار عما وقع لموسى في مدة دعائه لفرعون و بهذا التقرير صح قول المفسر التسع واندفع ما يقال ان فرعون في ابتداء الامر لم ير الا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) أي بعد ان رأى ما رأى من معجزة العصا واليد قال ما ذكر تسترا وخوفا على حظ رياسته لئلا يؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتي وكبريائي وقوله بسحر متعلق بنأتينك (قوله مثله) أي في الغرابة (قوله موعدا) الاحسن انه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض أي فالمعنى عين زمانا بيننا و بينك نجتمع فيه في مكان سوى أي متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتعيين لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم وليكون ظهور الحق على رؤس الاشهاد و يشيع ذلك بين كل حاضر و باد فيكون أعظم لفخر موسى عليه السلام (قوله يوم عيد لهم) أي وكان يوم عاشوراء واتفق انه يوم سبت (قوله وان يحشر الناس) ان وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الزينة أي و يوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) أي وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله أدبر) انصرف من المجلس (قوله أي ذوى كيده) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله

(ثم أتى) بهم الموعد (قال لهم موسى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (ويلكم) أى ألزمكم الله الويل (لا تفتروا على الله كذبا) باشراك أحد معه (فيسحتكم) بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أى يهلككم (بعذاب) من عنده (وقد خاب) خسر (من افترى) كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم) فى موسى وأخيه (وأسروا النجوى) أى الكلام بينهم فيهما (قالوا) لانفسهم (ان هذين) لابى عمرو ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتى فى المثنى بالالف فى أحواله الثلاث (لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) مؤنث أمثل بمعنى أشرف أى بأشرافكم بميلهم اليهما لغلبتهما (فأجمعوا كيدكم) من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أى لم وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم (ثم ائتوا صفا) حال أى مصطفين (وقد أفلح) فاز (اليوم من استعلى) غلب (قالوا يا موسى) اختر (اما أن تلقى) عصاك أى أولا (واما أن نكون أول من ألقى) عصاه (قال بل ألقوا) فألقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) أصله عصوو وقلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد (يخيل اليه من سحرهم أنها) حيات (تسعى) على بطونها (فأوجس) أحس (فى نفسه خيفة موسى) أى خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته ان يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به (قلنا) له (لا تخف انك أنت الاعلى) عليهم بالغلبة (وألق ما فى يمينك) وهى عصاه (تلقف) تبتلع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أى جنسه (ولا يفلح الساحر حيث أتى) بسحره فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه (فألقى السحرة سجدا) خروا ساجدين لله تعالى

(قوله ثم أتى بهم الموعد) أى فى يوم الزينة وفى المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى اسرائيل وهذا أحد أقوال فى عددهم وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهو ما فى بعض النسخ وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد حبل وعصا) تقدم انها كانت حمل أربعمائة بعير (قوله أى ألزمكم الله الويل) أشار بذلك الى ان ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله باشراك أحد معه) أى بسبب اشراك أحد مع الله والمعنى ألزمكم الله الويل ان افتريتم على الله الكذب بسبب اشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا وتشاوروا فى أمر موسى وأخيه سرا واختلف فيما أسروه فقيل هو قولهم ان هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ما هذا ساحر فان غلبنا اتبعناه وان غلبناه بقينا على ما نحن عليه (قوله وأسروا النجوى) أى تحدثوا سرا فيما بينهم (قوله لابى عمرو) أى فقراءته بالياء اسم ان وساحران خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهو موافق أى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الالف فمبنى اسم الاشارة الدال عليه على الالف وقد أجمل المفسر فى قوله ولغيره هذان * والحاصل ان القراآت السبعيات أربع الاولى لابى عمرو والتى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الاولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون ان والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون ان أو تخفيفها فعلى تشديد نون ان يكون هذان اسمها مبنيا على الالف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرا وان مخففة واسمها ضمير الشان والجملة خبران (قوله أى باشرافكم) تفسير لطريقتكم فان من جملة معانى الطريقة أماثل الناس وأشرافهم أى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فأجمعوا كيدكم) أى اجعلوه مجمعا بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم (قوله بهمزة وصل الخ) أى فهما سبعيتان (قوله ثم ائتوا صفا) أى لانه أهيب فى صدور الرائين (قوله اما أن تلقى) ان وما بعدها فى تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل ألقوا) أى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فاذا حبالهم) اذا فجائية وحبالهم وعصيهم مبتدأ خبره جملة يخيل اليه الخ (قوله أصله عصوو) أى بوزن فلوس وقوله قلبت الواوان ياءين الخ أى قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله وكسرت العين) أى اتباعا للصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل اليه) أى لانهم طلوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل انها تتحرك (قوله خيفة) أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها (قوله من جهة أن سحرهم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بأنه على الحق ولا يصل له سوء منهم (قوله انك أنت الاعلى) فيه اشارة الى ان لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمنه الله بامور لا تخطر بباله فان ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم أمر لا يخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف أو بسكون اللام وفتح القاف قراءتان سبعيتان (قوله ما صنعوا) أى اخترعوا مما لا حقيقة له (قوله أى جنسه) دفع بذلك ما يقال لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه اشارة الى ان الكلام موجه للعموم فكانه قال لا يفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم (قوله حيث أتى) أى فى أى زمان أو مكان أقبل منه (قوله فألقى موسى عصاه الخ) قدره اشارة الى ان قوله فألقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فألقى السحرة سجدا) أى ايمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب ورأوا منازلهم فى الجنة

(قوله و قالوا آمنا) قدر المفسر الواو اشارة الى انه معطوف على قوله فالقى السحرة سجدا وفيه ايماء الى انهم جمعوا في الايمان بين القول والفعل (قوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى لما شاهد فرعون من السحرة الاقرار والسجود خاف ان يقتدى الناس بهم في الايمان بالله وحده فالقى شبهتين الاولى قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم أى لم تشاوروني ولم تستعينوا بنظر غيركم بل في الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل بسبب آخر الثانية قوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر أى فانتم أتباعه في السحر فتواطأتم معه على ان تظهر والعجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه لتنزعوا الملك مني وهاتان الشبهتان لا يقبلهما الا من عنده تردد أو شك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شئ من ذلك لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) اى الاولى وهى للاستفهام والثانيه وهى المزيدة في الفعل الرباعى وقوله وابدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهى فاء الكلمة فيكون في كلامه اشارة بقراءة واحدة أو يقال ان معنى قوله الثانية أى في الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام فيكون قد أشار لقراءتين الاولى تحقيق الهمزتين الثانية حذف همزة الاستفهام و بقيت قراءة أخرى وهى تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة في الاعراف وهى قلب الاولى واوا لعدم الضمة قبلها هنا بخلاف ما تقدم فانها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون أآمنتم وأصل الفعل أأمن كأكرم بهمزتين الاولى زائدة والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا على القاعدة قال ابن مالك

ومدا ابدل ثاني الهمزين من * كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أى فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو (قوله أى عليها) أشار بذلك الى ان في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت لفظة في الموضوعة للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن في كل (قوله على مخالفته) متعلق بكل من أشد وأبقى (قوله قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا) أى قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم (قوله من البينات) أى المعجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وانما نسب المجئ لهم وان كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضا لانهم هم المنتفعون بها (قوله قسم) اى وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق ولا يجوز ان يكون قوله لن نؤثرك جوابه لان القسم لا يجاب بلن الا شذوذا ولا ينبغى حمل التنزيل عليه (قوله أو عطف على ما) أى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما أنت قاض) اقض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعوله وأنت قاض صلته والعائد محذوف تقديره الذى أنت قاضيه وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله

كذاك حذف ما بوصف خفضا * كأنت قاض بعد أمر من قضى

وهو جواب عن تهديده المذكور كأنهم قالوا لا نبالى بك ولا بتهديدك فافعل ما بدا لك ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة انه فعل ما هددهم به (قوله النصب على الاتساع) أى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا أى ويغفر لنا الذى أكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلما وعملا) أى لان فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى اسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين فاحب أن يتهيأ لمعارضته باكراه الناس على تعليم السحر واكراههم أيضا على الاتيان بهم من المداين البعيدة ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله ما روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى وهو نائم ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا ساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه (قوله والله خير وأبقى) رد لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان قوله انه من يأت ربه الخ

و (قالوا آمنا برب هرون وموسى قال) فرعون (آمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا (له قبل أن آذن) أنا (لكم انه لكبيركم) معلمكم (الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حال بمعنى مختلفة أى الايدى اليمنى والارجل اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أى عليها (ولتعلمن أينا) يعنى نفسه ورب موسى (أشد عذابا وأبقى) أدوم على مخالفته (قالوا لن نؤثرك) نختارك (على ما جاءنا من البينات) الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) خلقنا قسم أو عطف على ما (فاقض ما أنت قاض) أى اصنع ما قلته (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) النصب على الاتساع أى فيها وتجزى عليه في الآخرة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الاشراك وغيره (وما أكرهتنا عليه من السحر) تعلما وعملا لمعارضة موسى (والله خير) منك ثوابا اذا أطيع (وأبقى) منك عذابا اذا عصى قال تعالى

(انه من يأت ربه مجرما) كافرا كفرعون (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة تنفعه (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) الفرائض والنوافل (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع عليا مؤنث أعلى (جنات عدن) أي اقامة بيان له (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الذنوب (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) بهمزة قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أى سر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب) اجعل (لهم) بالضرب بعصاك (طريقا فى البحر يبسا) أى يابسا فامتثل ما أمر به وأيبس الله الارض فمروا فيها (لا تخاف دركا) أى أن يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقا (فأتبعهم فرعون بجنوده) وهو معهم (فغشيهم من اليم) أى البحر (ما غشيهم) فأغرقهم (وأضل فرعون قومه) بدعائهم الى عبادته (وما هدى) بل أوقعهم فى الهلاك خلاف قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون باغراقه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) فنؤتى موسى التوراة للعمل بها (ونزلنا عليكم المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر والمنادى من وجد من اليهود زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبى موسى توطئة لقوله تعالى لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى المنعم به عليكم (ولا تطغوا فيه) بأن تكفروا النعمة به (فيحل عليكم غضبى) بكسر الحاء أى يجب وبضمها أى ينزل (ومن يحلل عليه غضبى) بكسر اللام وضمها (فقد هوى)

مستأنف من كلامه تعالى وقيل انه من كلام السحرة ألهمهم الله اياه (قوله انه من يأت ربه مجرما) أى بأن يموت على كفره (قوله فيستريح) أى من العذاب (قوله حياة تنفعه) أى بأن تكون هنية مرية (قوله من تحتها الانهار) أى من تحت قصورها (قوله وذلك) أى ما تقدم من قوله جنات عدن الخ (قوله تطهر من الذنوب) أى بعدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا الى موسى) عطف قصة على قصة لان الله تعالى قص علينا أولا مبدأ رسالة موسى الى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للامة المحمدية ليعلموا ان الظالم وان أمهله الله وأمده بالنعم لا يهمله وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها فى الاعراف مبسوطا (قوله بعبادى) أى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا (قوله لغتان) أى وقراءتان سبعيتان وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من أرض مصر) أى الى البحر فهو مأمور بالسير له فلا يقال لم يسر بهم فى البر فى طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجعل كما أشار له المفسر والمراد بالطريق جنسه فان الطرق كانت اثنى عشرة بعدد اسباط بنى اسرائيل (قوله يبسا) أى يئول الى ذلك لانه لم يكن يابسا قبل وانما مرت عليه الصبا فجففته قال ابن عباس لما أمر الله موسى أن يقطع بقومه البحر وكان يوسف عهد اليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها العجوز فأخذوها وقال لها موسى اطلبى منى شيأ فقالت أكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون فلما وصل البحر وكان على حصان أقبل جبريل على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فأبصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة بالقبط الحقوا حتى اذا لحق آخرهم وكاد أولهم ان يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر الى الساحل فأصابوا من أمتعتهم شيأ كثيرا (قوله لا تخاف) العامة ما عدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب أو حال من فاعل اضرب أى اضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية وتخف مجزوم بها وقوله ولا تخشى هو بالالف باتفاق القراء فعلى رفع لا تخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشى معطوف على تخف مجزوم وعلامة جزمه حذف الالف والالف الموجودة للاشباع أتى بها موافقة للفواصل ورؤس الآى (قوله فأتبعهم فرعون) أى بعدما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كانت مقدمة جيشه سبعمائة ألف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم) أى علاهم وغمرهم من الامر الهائل ما لا يبلغ كنهه أحد (قوله وأضل فرعون قومه) اخبار عن حاله قبل الغرق (قوله خلاف قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى انه مخالف له فهو تكذيب لفرعون فى قوله (قوله قد أنجيناكم من عدوكم الخ) قدم أولا نعمة الانجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية فهو ترتيب فى غاية الحسن (قوله فنؤتى موسى التوراة) جواب عما يقال ان المواعدة كانت لموسى لا لهم فكيف أضيفت لهم وأجيب أيضا بانه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلا فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله هما الترنجبين) هو شئ حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل عليهم فى التيه من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (قوله والطير السمانى) أى فكان ريح الجنوب يأتيهم به فيذبح الرجل منهم ما يكفيه وشربهم من العيون التى تخرج من الحجر (قوله والمنادى من وجد من اليهود الخ) هذا أحد قولين وقيل المخاطب من كان فى عهد موسى (قوله توطئة) أى تمهيدا (قوله من طيبات ما رزقناكم) أى لذائذه وحلالاته (قوله بأن تكفروا النعمة) أى بعدم شكرها وبطركم لها (قوله بكسر الحاء الخ) أى

سقط في النار (وإني لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) وحد الله (وعمل صالحا) يصدق بالفرض والنفل (ثم اهتدى) باستمراره على ماذكر الى موته (وما أعجلك عن قومك) لمجيء ميعاد أخذ التوراة (ياموسى قال هم أولاء) أي بالقرب مني يأتون (على أثري وعجلت اليك رب لترضى) عني أي زيادة على رضاك وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قال) تعالى (فانا قد فتنا قومك من بعدك) أي بعد فراقك لهم (وأضلهم السامري) فعبدوا العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان) من جهتهم (أسفا) شديد الحزن (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقا أنه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل) يجب (عليكم غضب من ربكم) بعبادتكم العجل (فأخلفتم موعدي) وتركتم المجيء بعدي (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) مثلث الميم أي بقدرتنا أو أمرنا (ولكنا حملنا) بفتح الحاء مخففا وبضمها وكسر الميم مشددا (أوزارا) أثقالا (من زينة القوم) أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو اسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم (فقذفناها) طرحناها في النار بأمر السامري (فكذلك) كما ألقينا (ألقى السامري) ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي (فأخرج لهم عجلا) صاغه من الحلي (جسدا) لحما ودما (له خوار) أي صوت يسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فيه (فقالوا) أي السامري (قوله

فني كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط في النار) أي على سبيل الخلود (قوله يصدق بالفرض والنفل) أي العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ماذكر الى موته) أي بأن يدوم على التوبة والايمان والاعمال الصالحة وهو جواب عما يقال ما فائدة ذكر الاهتداء آخرا مع انه داخل في عموم قوله وآمن فأفاد المفسر ان النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والايمان والاعمال الصالحة ثم استمر عليها الى أن لقي مولاه (قوله وما أعجلك عن قومك ياموسى) ما الاستفهامية مبتدأ وأعجلك خبره وعن قومك متعلق بأعجلك والمعنى أي شيء حملك متعجلا عن قومك وسابقا لهم وحاصل ذلك ان الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوما وأتمها بعشر بعد اغراق فرعون وقومه يصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلا يختارهم من بني اسرائيل ليذهبوا معه الى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقي وفي رواية أنه أمر هرون أن لا يأتي بهم عند تمام الميقات فسار موسى بالسبعين ثم عجل من بينهم تشوقا الى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له وما أعجلك الخ والمقصود من سؤال الله لموسى اعلامه بما حصل من قومه والا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم (قوله عن قومك) سياق المفسر يقتضي أن المراد بهم جملة بني اسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لمجيء ميعاد أخذ التوراة) أي لمجيئك في ميعاد أخذ التوراة (قوله قال هم أولاء على أثري) هم مبتدأ وأولاء خبره وقوله على أثري خبر بعد خبر (قوله أي زيادة على رضاك) أي فسارعت الى امتثال أمرك طلبا لزيادة رضاك لا لأصل الرضى فانه حاصل وطلبه لا يليق بحال الانبياء (قوله وقبل الجواب) أي جواب السؤال وهو قوله وعجلت اليك رب لترضى (قوله أتى بالاعتذار) أي عن سبقه لقومه وقوله بحسب ظنه متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) أي ظهر لموسى ان ظنه تخلف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ما قلناه أولا ان المراد بالقوم جميع بني اسرائيل (قوله أي بعد فراقك لهم) أي بعشرين يوما وهذا الاخبار من الله تعالى عند تمام الاربعين (قوله وأضلهم السامري) اسمه موسى ابن ظفر منسوب الى سامرة قبيلة من بني اسرائيل كان منافقا وكان قد رباه جبريل لأن فرعون لما شرع في ذبح الولدان وضعته أمه في حفرة فتعهده جبريل وكان يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من أحدها لبن ومن الاخرى سمن ومن الاخرى عسل (قوله فرجع موسى) أي بعد ان تم الاربعين وأخذ التوراة روي انه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله انه يعطيكم التوراة) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله يعدكم والاول الكاف (قوله أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) المعنى ان كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فانه لم يطل وان كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم المجيء بعدي) أي لانه وعدهم أن يتبعوه على أثره للميقات فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي لانا لو خلينا وأنفسنا ما خالفنا ولكن السامري سول لنا وغلب على عقولنا فأطعناه (قوله مثلث الميم) أي وكلها قراآت سبعيات (قوله وبضمها وكسر الميم) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو اسرائيل) أي قبل مسخ أموالهم (قوله بعلة عرس) أي ان بني اسرائيل أظهروا ان العلة في استعارتها هو العرس وفي الواقع ليس كذلك (قوله بأمر السامري) أي فقال لهم انما تأخر عنكم موسى لما معكم من الاوزار فالرأي ان تحفر والها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها (قوله فأخرج لهم عجلا) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامري فهو معطوف على قوله وأضلهم السامري (قوله جسدا) حال من العجل ولا يقال جسد الا للحيوان ولا يقال لغيره جسد الا للزعفران والدم اذا يبس

واتباعه هذا (الهكم واله موسى فنسى) موسى ربه هنا وذهب يطلبه قال تعالى (أفلا يرون أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لا يرجع) العجل (اليهم قولا) أى لا يرد لهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا) أى دفعه (ولا نفعا) أى جلبه أى فكيف يتخذ الها (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى قبل أن يرجع موسى (يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى) فى عبادته (وأطيعوا أمرى) فيها (قالوا لن نبرح) نزال (عليه عاكفين) على عبادته مقيمين (حتى يرجع الينا موسى قال) موسى بعد رجوعه (يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادته (أن لا تتبعن) لا زائدة (أفعصيت أمرى) باقامتك بين من يعبد غير الله تعالى (قال) هرون (يا ابن أم) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (لا تأخذ بلحيتى) وكان أخذها بشماله (ولا برأسى) وكان أخذ شعره بيمينه غضبا (انى خشيت) لو اتبعتك ولا بد أن يتبعنى جمع ممن لم يعبد العجل (أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) وتغضب على (ولم ترقب) تنتظر (قولى) فيما رأيته فى ذلك (قال فما خطبك) شأنك الداعى الى ما صنعت (يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) بالياء والتاء أى علمت ما لم يعلموه (فقبضت قبضة من) تراب (أثر) حافر فرس (الرسول) جبريل (فنبذتها) ألقيتها فى صورة العجل المصاغ (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى) وألقى فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم الها فحدثتنى نفسى أن يكون ذلك العجل الههم (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا (فان لك فى الحياة) أى مدة حياتك (أن تقول) لمن رأيته (لا مساس) أى لا تقربنى فكان يهيم فى البرية واذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا (وان لك موعدا) لعذابك (لن تخلفه) بكسر اللام أى لن تغيب عنه وبفتحها أى بل تبعث اليه (وانظر الى الهك الذى ظلت) أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا أى دمت (عليه عاكفا) أى مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) نذرينه فى هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز محول عن الفاعل أى وسع علمه كل شئ (كذلك) أى كما قصصنا عليك يا محمد

(قوله واتباعه) أى الذين ضلوا وصار واتباعه دونه على من توقف من بنى اسرائيل (قوله أفلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله ان مخففة من الثقيلة) أى فقوله لا يرجع بالرفع فى قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) أى فنصحهم هرون قبل رجوع موسى (قوله وان ربكم الرحمن) انما ذكر هذا الاسم تنبيها على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن (قوله حتى يرجع الينا موسى) غاية لعكوفهم بطريق التعلل والتسويف لا بطريق الوعد وترك عبادته عند رجوعه (قوله اذ رأيتهم) ظرف منصوب بمنعك والمعنى أى شئ منعك وقت رؤيتك ضلالهم (قوله لا زائدة) أى للتأكيد والمعنى ما منعك من اتباعى فى الغضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من يعبد غير الله) أى ولم تبالغ فى منعهم والانكار عليهم (قوله بكسر الميم) أى لحذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفتحها أى لحذفت الالف المنقلبة عن الياء وبقيت الفتحة دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقلبه) أى لا لكونه أخاه من أمه فقط فان الحق انه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على أن تقول أى وخشيت عدم ترقبك أى انتظارك وتأملك فى قولى حتى تفهم عذرى والياء فى قولى واقعة على هرون هذا هو المتبادر من عبارة المفسر وقيل انه معطوف على فرقت أى وخشيت أن تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعلمه الياء واقعة على موسى (قوله قال بصرت) بضم الصاد فى قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) أى بنو اسرائيل وقوله والتاء أى أنت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من أثر الرسول) أى وعرفه لسابق الالفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى الى الميقات لاخذ التوراة كان راكبا على فرس كلما وضعت حافرها على شئ أخضر فعرف السامرى ان للتراب الذى تضع الفرس حافرها عليه شأنا (قوله فى صورة العجل) أى فى فمه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما فى بعض النسخ (قوله طلبوا منك) أى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية (قوله فان لك فى الحياة) ان حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وأن تقول فى محل نصب اسمها مؤخر والمعنى ان هذا القول ثابت لك ما دمت حيا لا ينفك عنك فكان يصيح فى البرية لا مساس وحرم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته ويقال ان قومه باقية فيهم تلك الحالة الى الآن وهذه الآية أصل فى نفى أهل البدع والمعاصى وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم فى البرية) أى مع السباع والوحوش يقال ان موسى هم بقتله فقال الله له لا تقتله فانه سخى (قوله وبفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم لننسفنه فى اليم) أى فلا يبقى له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله انما الهكم الله الخ) كلام مستأنف لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل وهذا آخر قصة موسى المذكورة فى هذه السورة (قوله كذلك نقص عليك) جملة مستأنفة ذكرت تسلية له صلى الله عليه وسلم وتكثير المعجزاته وزيادة فى علم أمته ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأنا حيث اطلعوا على سير الاوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك الى أن الكاف

هذه القصة (نقص عليك من أنباء) أخبار (ما قد سبق) من الامم (وقد آتيناك) أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا (من
أعرض عنه) فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) أى فى عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا)
تمييز مفسر للضمير فى ساء والمخصوص ٥٠ بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يوم ننفخ فى الصور)
القرن النفخة الثانية (ونحشر المجرمين) الكافرين (يومئذ زرقا) عيونهم مع سواد وجوههم (يتخافتون بينهم) يتسارون (ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الاعشرا) من الليالى بأيامها (نحن أعلم بما يقولون) فى ذلك أى ليس كما قالوا (اذ يقول أمثلهم) أعدلهم (طريقة) فيه (ان لبثتم الا يوما) يستقلون لبثهم فى الدنيا جدا لما يعاينونه فى الآخرة من أهوالها (ويسئلونك عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة (فقل) لهم (ينسفها ربى نسفا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فيذرها قاعا) منبسطا (صفصفا) مستويا (لاترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا (يومئذ) أى يوم اذ نسفت الجبال (يتبعون) أى الناس بعد القيام من القبور (الداعى) الى المحشر بصوته وهو اسرافيل يقول هلموا الى عرض الرحمن (لاعوج له) أى لاتباعهم أى لايقدرون أن لايتبعوا (وخشعت) سكنت (الاصوات للرحمن فلاتسمع الاهمسا) صوت وطء الاقدام فى نقلها الى المحشر كصوت أخفاف الابل فى مشيها (يومئذ لاتنفع الشفاعة) أحدا (الامن أذن له الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولا) والمراد بان يقول لااله الاالله (يعلم مابين أيديهم) من أمور الآخرة (وماخلفهم) من أمور الدنيا (ولايحيطون به علما) لايعلمون ذلك (وعنت الوجوه) خضعت

(قوله هذه القصة) أل للجنس لان المتقدم ثلاث قصص قصة موسى مع فرعون ومع بنى اسرائيل ومع السامرى (قوله ذكرا) سمى بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة فى محل نصب صفة لذكرا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك الى أن المراد بالاعراض عنه الكفر به وانكار كونه من عند الله كلا أو بعضا (قوله من الاثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيه) الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى يحمل العائد على من باعتبار معناها والتقدير يحملون الوزر حال كونهم خالدين فيه (قوله أى فى الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الذم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحملا تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم ننفخ) أى نأمر بالنفخ وفى قراءة سبعية أيضا بالياء مع بناء الفعل للمفعول أى ينفخ اسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خصت بالذكر لانها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول (قوله من الليالى بأيامها) حمل المفسر العشر على الليالى دون الايام لتجريده من التاء فان المعدود اذا كان مؤنثا جرد العدد من التاء عكس المذكر (قوله أمثلهم طريقة) أى أعدلهم رأيا فى الدنيا (قوله لما عاينوه فى الآخرة من الهول) أى فنسب ذلك القول لهم لشدة ما عاينوه من الهول لا لكونه أقرب الى الصدق (قوله ويسئلونك) أى كفار مكة تعنتا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح) أى فالمعنى أنها تذهب بقدرة الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرها) أى يتركها والضمير عائد على الارض (قوله قاعا صفصفا) حالان من الضمير فى يذرها والقاع المستوى الصلب والصفصف الارض الملساء فهو قريب فى المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا) تقدم ان العوج بالكسر فى المعانى وبالفتح فى المحسوسات وما هنا من الثانى لكن عبر فيه بالكسر لانه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعانى (قوله يتبعون الداعى) أى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو اسرافيل) أى فيضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه وقيل المنادى جبريل والنافخ اسرافيل وصححه بعضهم (قوله الى عرض الرحمن) أى العرض عليه (قوله لاعوج له) أى لايزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يأتونه سراعا (قوله للرحمن) أى لجلاله وهيبته (قوله الاهمسا) مفعول به وهو استثناء مفرغ (قوله الامن أذن له الرحمن) من مفعول به وهى واقعة على المشفوع له أو على الشفيع فقول المفسر أن يشفع له أى أو يشفع فى غيره (قوله بأن يقول لااله الاالله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله والمعنى ان من مات على الاسلام فقد رضى الله قوله وأذن له أن يشفع فى غيره وان يشفع غيره فيه (قوله مابين أيديهم) أى الخلق عموما (قوله ولايحيطون به) أى بما بين أيديهم وما خلفهم (قوله لايعلمون ذلك) أى لاتفصيلا ولا اجمالا وانما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنا فعل ماض والتاء للتأنيث والوجوه فاعل وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب سما يسمو سموا وأما عنى كرضى يعنى عناء فهو بمعنى تعب وليس مرادا هنا بل المراد خضعت وذلت وأل فى الوجوه للاستغراق أى كل الوجوه

والمراد أصحابها وخصت الوجوه بالذكر لان الذل أول ما يظهر فيها (قوله الحى) أى الذى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها على الخير والشر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) أشار بذلك الى أن الخلائق تنقسم فى القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما فى خضوع وذل لله جل جلاله لكن أهل السعادة خضوعهم اجلالا وهيبة ورغبة فى الله وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة واشفاقا من عذاب الله ويأسا من رحمة الله قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله خسر) أى ظهر خسرانه (قوله من حمل ظلما) أى تحمله وارتكبه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على ان أهل الظلم خائبون خاسرون أى معرضون لذلك ففى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة فان الظالم ربما أداه ظلمه الى الكفر والعياذ بالله تعالى فاذا مات على ذلك فهو مخلد فى النار وان مات على الاسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة فى سيآته والنقص من حسناته (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضدها تتميز الاشياء فالعاصى الظالم يخاف زيادة سيآته ونقص حسناته لما ورد انه يؤخذ من حسناته للمظلوم فاذا لم يبق له حسنات طرح من سيآت المظلوم عليه (قوله أى مثل انزال ما ذكر) أى الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة (قوله أنزلناه) اى على لسان جبريل مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا انه فى الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من الوعيد) أى التخويف (قوله لعلهم يتقون الشرك) أى يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية بأن يؤمنوا (قوله أو يحدث لهم ذكرا) اى موعظة فى القلوب فينشأ عنها امتثال الاوامر واجتناب النواهى وتكرار المواعظ فى القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع امهالهم وعدم معاجلتهم بالاخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (قوله الملك) أى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) المعنى لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأه عليك وسبب ذلك ان جبريل كان يأتى للنبى بالقرآن فيلابس جسمه ويضعه فى قلبه فيريد النبى التعجل والنطق به فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه والحكمة فى تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا انه يكون سنة متبعة لامته فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقى له سر آخر (قوله وقل رب زدنى علما) أى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالى نزول القرآن فانها أفضل ما يسئل وأعز ما يطلب ومن هنا أمر المشايخ المريدين بتلاوة القرآن والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم والحكمة فى ذلك ان الغفلة فى الذكر أخف منها فى القرآن لما فى الاثر رب قارئ والقرآن يلعنه فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون أنفسهم فيها ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف وأخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة فى المبدا لكون غيره افضل منه بل لينظفوا أنفسهم للقراءة (قوله وصيناه ان لا يأكل من الشجرة) اى نهيناه عن الاكل منها وحتمنا عليه الاكل منها فغلب مرادنا على أمرنا (قوله ترك عهدنا) اى متأولا حيث غلطه ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فظن انه لا يحلف احد بالله كذبا (قوله واذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة فى سبع سور من القرآن تعليما للعباد امتثال الامر واجتناب النهى وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على المسبب لان هذه القصة سبب فى عداوة ابليس لآدم (قوله فسجدوا) اى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة باوضح وجه (قوله الا ابليس) استثناء متصل او منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيه للاتصال لكونه لم يعبر بلكن (قوله

(الحى القيوم) اى الله (وقد خاب) خسر (من حمل ظلما) اى شركا (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات (وهو مؤمن فلا يخاف ظلما) بزيادة فى سيآته (ولا هضما) بنقص من حسناته (وكذلك) معطوف على كذلك نقص اى مثل انزال ما ذكر (انزلناه) اى القرآن (قرآنا عربيا وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) الشرك (او يحدث) القرآن (لهم ذكرا) بهلاك من تقدمهم من الامم فيعتبرون (فتعالى الله الملك الحق) عما يقول المشركون (ولا تعجل بالقرآن) اى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) اى يفرغ جبريل من ابلاغه (وقل رب زدنى علما) اى بالقرآن فكلما أنزل عليه شئ منه زاد به علمه (ولقد عهدنا الى آدم) وصيناه ان لا يأكل من الشجرة (من قبل) اى قبل اكله منها (فنسى) ترك عهدنا (ولم نجد له عزما) حزما وصبرا عما نهيناه عنه (و) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) وهو ابو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أبى) عن السجود لآدم قال انا خير منه (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء بالمد (فلا

يخرجنكما من الجنة فتشقى تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقاه لان الرجل يسعى على زوجته (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم ان وجملتها (لا تظمأ فيها) تعطش (ولا تضحى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اى التي يخلد من يأكل منها (وملك لا يبلى) لا يفنى وهو لازم الخلود (فأكلا) اى آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) اى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لان انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) أخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وعصى آدم ربه فغوى) بالاكل من الشجرة (ثم اجتباه ربه) قربه (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) أى هداه الى المداومة على التوبة (قال اهبطا) أى آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (منها) من الجنة (جميعا بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى) أى القرآن (فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) اى القرآن فلم يؤمن به (فان له معيشة ضنكا) بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره (ونحشره)

فلا يخرجنكما) النهى لابليس صورة والمراد نهيهما عن تعاطى أسباب الخروج فيتسبب عن ذلك حصول التعب له في الدنيا (قوله واقتصر على شقاه) أى مع ان النهى لهما معا (قوله ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظما والضحو وان كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو لان الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله بفتح الهمزة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبدت لهما سوآتهما) أى بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) اى يحزنه (قوله من ورق الجنة) أى ورق التين فصارا يلزقان بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيما نهى عنه منا ولاحيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة وضل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة فمعصيته وقوعه في المخالفة باعتبار الواقع لا في القصد والنية بل قصده ونيته امتثال الامر وتجنب ما يوجب الخروج وحينئذ فلا يجوز أن يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل ولا نفى اسم العصيان عنه لصريح الآية وعلى كل حال فالله عنه راض وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل ما يخالف أمر الله هذا هو الحق في تقرير هذا المقام واعلم ان الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كما هو معهود في نصوص الشرع وتسمية الله له في حقهم معصية من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله بالاكل من الشجرة) تقدم انها الحنطة وقيل التين وقيل غير ذلك (قوله ثم اجتباه) اى اصطفاه واختاره (قوله قبل توبته) اى بقوله ربنا ظلمنا أنفسنا الخ (قوله الى المداومة على التوبة) اى الاستمرار عليها (قوله قال اهبطا) اى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لان مكثهما فيها كان معلقا على عدم اكلهما من الشجرة وقد سبق في علمه تعالى انهما يأكلان منها فهو امر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فاخراجهما ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما لانهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان اليها بمائة وعشرين صفا من اولادهما لا يحيط بعدة تلك الصفوف الا الله تعالى * ان قلت ما الحكمة في تعليق الخروج على الاكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب * أجيب بان الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم أن لا يسلب نعمته عن المنعم عليه الا بجنحة قال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم (قوله اى آدم وحواء) يحتمل ان اى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم في محل نصب وحواء معطوف على آدم ويحتمل ان اى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير في اهبطا (قوله بما اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الاعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر في التوفيق بينهما بان الجمع باعتبار آدم وحواء وابليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار ان الحية وابليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) اى من اجل ظلم بعضهم بعضا لما في الحديث سألت ربى أن لا يسلط على امتى عدوا من سوى انفسها فاستجاب لى (قوله فاما يأتينكم منى هدى) ان شرطية مدغمة في ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح في محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعلق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع الخ من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضل جوابه وقوله ومن اعرض الخ جملة شرطية ايضا والجملتان في محل جزم جواب الشرط الاول (قوله أى القرآن) في تفسير الهدى والذكر فيما يأتى بالقرآن قصور لان الخطاب مع آدم وذريته وهداهم وتذكيرهم أعم من ان يكون بالقرآن او بغيره من الكتب النازلة على الرسل فالمناسب أن يقول أى كتاب ورسول (قوله بالتنوين) أى وصلا وابداله ألفا وقفا وفي قراءة شاذة ضنكى كسكرى بألف بدل عن التنوين اجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) أى وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل هو بلفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بعذاب الكافر في قبره) أى لما ورد أنه يضغط عليه القبر حتى

أي المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعمى) أي أعمى البصر (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا وعند البعث

(قال) الامر (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) تركتها ولم تؤمن بها (وكذلك) مثل نسيانك آياتنا (اليوم تنسى) تترك في النار (وكذلك) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نجزي من أسرف أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وأبقى) أدوم (أفلم يهد يتبين (لهم) لكفار مكة (كم) خبرية مفعول به (أهلكنا) أي كثيرا اهلاكنا (قبلهم من القرون) أي الامم الماضية بتكذيب الرسل (يمشون) حال من ضميرلهم (في مساكنهم) في سفرهم الى الشأم وغيرها فيعتبروا وما ذكر من أخذ اهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لامانع منه (ان في ذلك لآيات) لعبرا (لأولي النهى) لذوي العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب عنهم الى الآخرة (لكان) الاهلاك (لزاما) لازما لهم في الدنيا (وأجل مسمى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد (فاصبر على ما يقولون) منسوخ بآية القتال (وسبح) صل (بحمد ربك) حال أي متلبسا به (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آناء الليل) ساعاته (فسبح) صل المغرب والعشاء (وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب أي صل الظهر لان وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثاني

تختلف أضلاعه ولا يزال في العذاب حتى يبعث وقيل المراد بالعيشة الضنكى الحياة فيما يغضب الله تعالى وان كان في رخاء ونعمة اذ لاخير في نعمة بعدها النار لما في الحديث رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله أي المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله أي أعمى البصر) أي وذلك في المحشر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده في النار وعذابه بها (قوله الامر كذلك) قدره اشارة الى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) أي فالمراد بالنسيان الاعراض وعدم الايمان بها وليس المراد حقيقة النسيان وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لانه أمر اختلف فيه العلماء فذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب أكيد ابتداء ودواما فنسيانه مكروه ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدوم) أي لانه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يتبين) أشار بذلك الى أن يهد فعل لازم والمعنى أعموا فلم يظهر لهم اهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به) أي وتمييزها محذوف أي قرنا وقوله من القرون متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز (قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية أي ان الاهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الايمان بالله ورسله (قوله وماذكر) مبتدأ وقوله لامانع منه خبره والمعنى ان أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لا يتوقف على الحرف المصدري بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك لتوقف المعنى عليه وأما لصحة الاعراب فلا يكون غالبا الا بحرف مصدري (قوله لذوي العقول) أي السليمة الصافية وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) أي ان الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الامة اكراما لنبيها ولولا ذلك لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره امهال لا اهمال ليتدارك الكافر ما فاته فيما بقي من عمره فان تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر في كان) أي والمعنى لكان الاهلاك والاجل المعين له لزاما أي لازمالهم ولم يقل لازمين لان لزاما مصدر في الاصل وان كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أي ان العطف على ضمير الرفع المتصل جائز اذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل مسمى معطوفا على كلمة والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازما (قوله فاصبر على ما يقولون) أي حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل هو لازم لهم في القيامة فتسل واصبر ولا تنزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أي وعليه فالمراد بقوله اصبر لا تعاجلهم بالقتال وقيل ان الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الاذية (قوله صل) انما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما ولان المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الخمس ولما كان الاصل في الامر الوجوب حمل الامر بالتسبيح والتحميد على الامر بالصلاة (قوله حال) أي من فاعل سبح والباء في بحمد ربك للملابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناء الليل) جمع اني بكسر الهمزة والقصر كمعي وأصله أأناء بهمزتين أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع ما فوق الواحد لان المراد به الزمن الذي هو آخر النصف الاول وأول الثاني (قوله المنصوب) أي بسبح والمعنى صل في أطراف النهار وهو الوقت الذي

(لعلك ترضى) بما تعطى من الثواب (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا) أصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) بأن يطغوا (ورزق ربك) فى الجنة (خير) مما أوتوه فى الدنيا (وأبقى) أدوم (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر) اصبر (عليها لا نسألك) نكلفك (رزقا) لنفسك ولا لغيرك (نحن نرزقك والعاقبة) الجنة (للتقوى) لاهلها (وقالوا) أى المشركون (لولا) هلا (يأتينا) محمد (بآية من ربه) مما يقترحونه (أولم تأتهم) بالتاء والياء (بينة) بيان (ما فى الصحف الأولى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الامم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) قبل محمد الرسول (لقالوا) يوم القيامة (ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (من قبل أن نذل) فى القيامة (ونخزى) فى جهنم (قل) لهم (كل) منا ومنكم (متربص) منتظر ما يؤل اليه الامر (فتربصوا فستعلمون) فى القيامة (من أصحاب الصراط) الطريق (السوى) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة أنحن أم أنتم

﴿سورة الانبياء مكية وهى مائة واحدى أو اثنتا عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب) قرب (للناس) أهل مكة منكرى البعث (حسابهم) يوم القيامة (وهم فى غفلة) عنه (معرضون) عن التأهب له بالايمان

يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الاوقات لعلك ترضى بذلك وانظر الى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم يقل لعلى أرضى عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقول السيدة عائشة رضى الله عنها ما أرى ربك الا يسارع فى هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم مأمور بها ليرضى هو لا ليكفر الله عنه سيئاته ولا ليرضى عليه وحينئذ فلا كلفة عليه فيها الان فيها شهوده لربه الذى هو قرة عينه وللعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر أى لا تنظر بعينيك الى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله والمراد غيره لان ذلك مستحيل عليه لما ورد انه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد لست من الدنيا وليست الدنيا منى (قوله أصنافا منهم) أى الخلق فالدنيا دائرة فى أصناف الخلق فتارة تكون مع الشريف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الاحسن انه منصوب على انه مفعول ثان لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والاول هو قوله ازواجا (قوله بأن يطغوا) الباء سببية أى نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أى فعلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها ويترك ما يفنى وهو الدنيا وقسمته الازلية تأتيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أى أمتك (قوله واصطبر عليها) أى وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أى نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلنا لك به روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (قوله والعاقبة للتقوى) أى الجميلة المحمودة لاهل التقوى (قوله أى المشركون) أى وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أى يطلبونه تعنتا كما تقدم بعضه فى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات (قوله أولم تأتهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف أى أعموا ولم تأتهم الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ما فى الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوى على أخبار الامم الماضية (قوله ولو أنا أهلكناهم) كلام مستأنف لتقرير ما قبله (قوله لقالوا ربنا الخ) أى لكان لهم ان يحتجوا يوم القيامة ويعتذروا بهذا العذر فقطع الله عذرهم بارسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل ان نذل) أى يحصل لنا الذل والهوان (قوله ونخزى) أى نفتضح (قوله ما يؤل اليه الامر) أى أمرنا وأمركم (قوله فتربصوا) أى انتظروا (قوله من أصحاب الصراط السوى) من فى الموضعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب الخ وهو انهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر الى وجه المغايرة بين القسمين فأصحاب الصراط السوى من لم يضل أصلا كالنبى ومن أسلم صبيا ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك

﴿سورة الانبياء عليهم السلام﴾

سميت بذلك لذكر قصص جملة من الانبياء فيها (قوله مكية) أى نزلت قبل الهجرة باتفاق (قوله أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مرتب على الخلاف فى قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله الى قوله أفلا تعقلون هل هو آية واحدة أو آيتان وأول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله أهل مكة) أشار بذلك الى انه من اطلاق العام وارادة الخاص * وحاصل ذلك ان كفار قريش قالوا يا محمد يتهددنا بالبعث والجزاء على الاعمال وهذا بعيد فانزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب انه آت لا محالة وكل آت قريب أو يقال ان قربه باعتبار ما مضى من الزمان فان ما بقى أقل مما مضى (قوله وهم فى غفلة معرضون) الجملة حالية أى قرب حسابهم والحال انهم غافلون معرضون غير متأهبين له والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وان كان سببها الرد على كفار مكة الا ان العبرة بعمومها (قوله

ما يأتيهم من ذكر) هذا في معنى العلة لما قبله كأنه قال معرضون لانه ما يأتيهم من ذكر الخ (قوله من ربهم) الجار والمجرور متعلق بيأتيهم (قوله أى لفظ قرآن) دفع بذلك ما يقال كيف وصف الذكر بالحدوث مع ان المراد به القرآن وهو قديم فأجاب بان وصفه بالحدوث باعتبار الفاظه المنزلة علينا وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم وأما ما دلت عليه الالفاظ الحادثة فمنها ما هو قديم كمدلول آية الكرسي والصمدية ومنها ما هو حادث كمدلول القصص واخبار المتقدمين ومنها ما هو مستحيل كمدلول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم والمعنى ما يقرأ عليهم القرآن الا استمعوه فى حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول وكل آية وردت فى الكفار جرت بذيلها على عصاة الامة ففى هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن فى حال لهوه ولعبه وأقبح منه من يطرب بسماعه من حيث اشتماله على الانغام المعروفة لا من حيث بلاغته ومواعظه وأحكامه وكونه من عند الله فانا لله وانا اليه راجعون (قوله بدل من واو أسروا النجوى) أشار بذلك الى ان اسر فعل ماض والواو فاعله والنجوى مفعوله والذين بدل وهذه احدى طريقتين للنحويين فى الفعل الذى لحقته العلامة واسند للظاهر والطريقة الثانية ان الواو حرف علامة والذين فاعل وتسمى بلغة أكلونى البراغيث ولما كانت ضعيفة لا ينبغى حمل الآية عليها أعرض عنها المفسر (قوله هل هذا الا بشر مثلكم) بدل من النجوى مفسر لها أى فكانوا يتناجون بذلك سرا بينهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتأتون السحر) أى تحضرونه وتقبلونه (قوله وأنتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تأتون (قوله فى السماء والارض) أشار المفسر الى انه حال من القول أى يعلم القول حال كون القول كائنا فى السماء والارض (قوله للانتقال من غرض الى آخر) أى فلا تقع بل فى القرآن الا للانتقال لا للابطال لانه يكون اضرابا عن الكلام السابق واعراضا عنه لكونه صدر على وجه الغلط وتنزه الله عنه خلافا لمن يقول انها تأتى للابطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل فى ذلك لان بل فيهما للانتقال من الاخبار بقولهم الى الاخبار بالواقع فتأمل (قوله أضغاث أحلام) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أى يأتى بكلام يخيل للسامع معانى لا حقيقة لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص الكلام المقفى الموزون قصدا بل ما هو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الاولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين (قوله من قرية) من زائدة فى الفاعل (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم (قوله يوحى اليهم) أى يأتيهم الوحى بالشرائع والاحكام والمعنى ما أرسلنا الى الامم قبل ارسالك لا ملائكة الا رجالا من افراد جنسك متأهلين للارسال (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فاسئلوا أهل الذكر) أى المطلعين على أحوال الرسل الماضية فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والانجيل) انما أحالهم عليهم لانهم كانوا يرسلون للمشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون فى العداوة لرسول الله وأصحابه ولا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى أقرب من تصديقكم المؤمنين والمعنى اذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لالفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أى ماكثين على سبيل الخلود فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أى باهلاك أعدائهم (قوله بانجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فانهم لم يؤمروا بالجهاد

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) شيأ فشيأ أى لفظ قرآن (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن (لاهية) غافلة (قلوبهم) عن معناه (وأسروا النجوى) أى الكلام (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا النجوى (هل هذا) أى محمد (الا بشر مثلكم) فما أتى به سحر (أفتأتون السحر) تتبعونه (وأنتم تبصرون) تعلمون أنه سحر (قل) لهم (ربى يعلم القول) كائنا (فى السماء والارض وهو السميع) لما أسروه (العليم) به (بل) للانتقال من غرض الى آخر فى المواضع الثلاثة (قالوا) فيما أتى به من القرآن هو (أضغاث أحلام) أخلاط رآها فى النوم (بل افتراه) اختلقه (بل هو شاعر) فما أتى به شعر (فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) كالناقة والعصا واليد قال تعالى (ما آمنت قبلهم من قرية) أى أهلها (أهلكناها) بتكذيبها ما أتاها من الآيات (أفهم يؤمنون) لا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لا ملائكة (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا) بمعنى أجسادا (لا يأكلون الطعام) بل يأكلونه (وما كانوا خالدين) فى الدنيا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم (فأنجيناهم

ومن نشاء) أى المصدقين لهم (وأهلكنا المسرفين) المكذبين لهم (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) لأنه بلغتكم
(أفلا تعقلون) فتؤمنون به
(وكم قصمنا) أهلكنا (من
قرية) أى أهلها (كانت
ظالمة) كافرة (وأنشأنا بعدها
قوما آخرين فلما أحسوا
بأسنا) أى شعر أهل القرية
بالاهلاك (اذا هم منها
يركضون) يهربون مسرعين
فقالت لهم الملائكة استهزاء
(لا تركضوا وارجعوا الى
ما أترفتم) نعمتم (فيه
ومساكنكم لعلكم تسألون)
شيأ من دنياكم على العادة
(قالوا يا) للتنبيه (ويلنا)
هلاكنا (انا كنا ظالمين)
بالكفر (فما زالت تلك)
الكلمات (دعواهم) يدعون
بها ويرددونها (حتى جعلناهم
حصيدا) أى كالزرع المحصود
بالمناجل بأن قتلوا بالسيف
(خامدين) ميتين كخمود
النار اذا طفئت (وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما
لاعبين) عابثين بل دالين على
قدرتنا ونافعين عبادنا (لو
أردنا أن نتخذ لهوا) ما يلهى
به من زوجة أو ولد (لاتخذناه
من لدنا) من عندنا من
الحور العين والملائكة (ان كنا
فاعلين) ذلك لكنا لم نفعله فلم
نرده (بل نقذف) نرمى (بالحق)
الايمان (على الباطل) الكفر
(فيدمغه) يذهبه (فاذا هو
زاهق) ذاهب ودمغه فى
الاصل أصاب دماغه بالضرب
وهو مقتل (ولكم) يا كفار
مكة (الويل) العذاب الشديد
(مما تصفون) الله به من الزوجة أو الولد (وله) تعالى (من فى السموات والارض) ملكا
(ومن عنده) أى الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) لا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) عنه

(قوله ومن نشاء) أى المؤمنين الذين اتبعوهم وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا في حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه (قوله لقد أنزلنا اليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لانه بلسانكم وعلى لغتكم فكان بمقتضى الحمية والعقل ان تعظموا هذا الكتاب وهذا النبى الذى جاء به وتكونوا أول مؤمن به فاعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أى الثناء عليكم بالجميل أو شرفكم أو مواعظكم (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون ان الامر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الايمان والرجوع عن الكفر بانهم لا يغرنهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالاموال والاولاد كان الله يقول لهم لا تغتروا بذلك فانا أهلكنا كثيرا من أهل القرى الكفار وما جرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل المراد بهم الامم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى بن عمران فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى نساءهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فانكم أهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الاول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على أشخاص تلك القرية (قوله أى شعر أهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) أى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) جواب عما يقال ان الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بانهم مهلكون عن آخرهم فاجاب بان هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد ذق انك أنت العزيز الكريم (قوله ومساكنكم) بالجر عطف على ما (قوله شيأ من دنياكم) أى فانتم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيخ وتهكم بهم (قوله بالكفر) أى وقتل موسى (قوله فما زالت) ما نافية وزال فعل ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) أى رجالهم وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد ان هذه الآية حكاية عن أهل حضور (قوله كخمود النار) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الهمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لاعبين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النفى (قوله بل دالين على قدرتنا) ويسبحوننا بدليل قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده (قوله ونافعين لعبادنا) أى وتفصيل جهات النفع بها لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى (قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا) رد على من أثبت الولد والزوجة لله (قوله لاتخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم والمعنى لو تعلقت ارادتنا باتخاذ الزوجة والولد لاتخذناه من عندنا لكنا لم نتخذه فلم تتعلق به ارادتنا لاستحالة ذلك علينا (قوله ان كنا فاعلين) يحتمل أن تكون نافية أى ما كنا فاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) أى شأننا ان نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) أشار بذلك الى أن ما موصولة والعائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم اياه بما لا يليق (قوله أى الملائكة) عبر عنهم بالعندية اشارة الى أنهم فى مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) أى يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) أى لا يكلون ولا يتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض

المؤمنين

المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف وتركها وصف أهل البعد والخسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) أي فهو سجية وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كلعن الكفرة ونزول الارض وتبليغ الاحكام وغير ذلك كما أن اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام ان قلت ان هذا قياس مع الفارق لأن آلة النفس غير آلة الكلام وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال أجيب بان الملائكة لهم ألسنة كثيرة بعضها يسبحون الله به وبعضها يلعنون أعداء الله به فلا يقاسون على بني آدم (قوله وهمزة الانكار) أي وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) أي حيث ادعوا انها آلهة لزمهم ما ذكر ضمنا والتزاما والا فهم لم يدعوا أنها تحيي الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) لو حرف شرط وكان تامة فعل الشرط وآلهة فاعلها وفيهما متعلق بكان والا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالي واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم والمعنى لكنهما لم تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع في آلهة ليس قيدا وكذا قوله فيهما وانما أتى بذلك ردا على الكفار في اتخاذهم الآلهة في السماء والارض (قوله أي غيره) أشار بذلك الى أن الا صفة بمعنى غير فهي اسم لكن لم يظهر اعرابها الا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الاول فلانه يلزم منه نفي التوحيد اذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فمقتضى مفهومه انه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثاني فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاما وآلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أي التخالف بين الآلهة ويسمى الدليل على ذلك ببرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما وتقريره أن يقال لو فرض الهان متصفان بصفات الالوهية وأراد أحدهما ايجاد شيء والآخر اعدامه فاما أن يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لا يتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده أيضا لوجود المماثلة بينهما فبطل التعدد وثبتت الوحدانية واذا فرض اتفاقهما فهو باطل أيضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا ان يقال لو فرض الهان وأرادا معا ايجاد شيء فاما أن يحصل بارادتهما معا وذلك باطل لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو يسبق أحدهما الى ايجاده فيلزم عليه عجز الآخر أو تحصيل الحاصل ويلزم عجز الاول لوجود المماثلة بينهما واعلم ان الدليل على ثبوت الوحدانية لله النقل والعقل أما النقل فآيات كثيرة جدا منها والهكم اله واحد لا اله الا هو الله لا اله الا هو الحي القيوم هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو الى غير ذلك وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وكهذه الآية اذا علمت ذلك فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس اقناعيا بحسب ما يفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة وبهذه الآية انتفت الكموم الخمسة الكم المتصل في الذات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها والكم المتصل في الصفات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير والكم المنفصل في الافعال وهو المشارك له فيها والمتصل فيها لا ينفى لانه ثابت لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه (قوله الكرسي) الصواب ابقاء العرش على ما هو عليه لأن التحقيق ان العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسي تحته وخص العرش بالذكر لانه أعظم من غيره فاذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالاولى (قوله لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب الخالق المالك لجميع الاشياء اذا علمت ذلك فالاعتراض على أفعال الله اما كفر أو قريب منه (قوله وهم يسئلون) أي يقال للخلق لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم وتبين بهذا أن من يسئل عن أعماله كعيسى والملائكة لا يصلح للالوهية

فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل (أم) بمعنى بل للانتقال وهمزة الانكار (اتخذوا آلهة) كائنة (من الارض) كحجر وذهب وفضة (هم) أي الآلهة (ينشرون) أي يحيون الموتى لا ولا يكون الها الا من يحيي الموتى (لو كان فيهما) أي السموات والارض (آلهة الا الله) أي غيره (لفسدتا) خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه (فسبحان) تنزيه (الله رب) خالق (العرش) الكرسي (عما يصفون) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) عن أفعالهم

(أم اتخذوا من دونه) تعالى أي سواه (آلهة) فيه استفهام توبيخ (قل هاتوا برهانكم) على ذلك ولا سبيل اليه (هذا ذكر من معي) أي أمتي وهو القرآن (وذكر من قبلي) من الامم وهو التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله الها مما قالوا تعالى عن ذلك (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي توحيد الله (فهم معرضون) عن النظر الموصل اليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أي وحدوني (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) من الملائكة (سبحانه بل) هم (عباد مكرمون) عنده والعبودية تنافي الولادة (لا يسبقونه بالقول) لا يأتون بقولهم الا بعد قوله (وهم بأمره يعملون) أي بعده (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) تعالى أن يشفع له (وهم من خشيته) تعالى (مشفقون) أي خائفون (ومن يقل منهم اني اله من دونه) أي الله أي غيره وهو ابليس دعا الى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك نجزيه جهنم كذلك) كما نجزيه (نجزي الظالمين) أي المشركين (أولم) بواو وتركها (ير) يعلم (الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا) أي سدا بمعنى مسدودة (ففتقناهما) أي جعلنا السماء سبعا والارض سبعا أو فتق السماء ان كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الارض ان كانت لا تنبت فأنبتت (وجعلنا من الماء) النازل من السماء والنابع من الارض (كل شيء حي) نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته (أفلا يؤمنون) بتوحيدي (وجعلنا في الارض رواسي) جبالا ثوابت (أن) لا (تميد) تتحرك (بهم وجعلنا فيها) أي الرواسي (فجاجا) مسالك (سبلا) بدل أي طرقا نافذة واسعة (لعلهم يهتدون)

(قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) اضراب انتقالي من بطلان التعدد الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أي من حيث ان أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والمناسب لما تقدم انها بمعناهما أيضا (قوله على ذلك) أي الاتخاذ كأن الله يقول لهم نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا فأتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا (قوله هذا ذكر من معي) أي عظتهم وتمسكهم على التوحيد (قوله ليس في واحد منها) أي فراجعوها وانظروا واهل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب انتقالي من محاجتهم الى بيان أنهم كالبهائم لا يميزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف أي توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافي الولادة) أي لان عبد الانسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بأمره يعملون) أي لا يخالفونه في القول ولا في العمل (قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي فهم يراقبونه في جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلمهم بأنه تعالى محيط بهم (قوله الا لمن ارتضى) أي كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة الا لمن علموا ان الله راض عنه ويقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) أي وجلون لا يأمنون مكره والاشفاق الخوف مع الاجلال ويرادفه الخشية (قوله ومن يقل منهم) أي من الملائكة المحدث عنهم أولا بقوله بل عباد مكرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لانهم معصومون من الكفر والمعاصي ويحتمل ان القول قد وقع من بعضهم وهو ابليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار انه كان بينهم وملحقا بهم في العبادة حتى قيل انه كان أعبدهم (قوله دعا الى عبادة نفسه) أي لاجل الاضلال والاغواء ولا مانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه انه رب العالمين وكما وقع لبرصيصا العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد لي وأنا أخلصك وان كان في الواقع معترفا بالعبودية لله وآيسا من رحمته اذا علمت ذلك فكلام المفسر لا غبار عليه (قوله كذلك نجزي الظالمين) أي أياما (قوله أولم ير) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ولم يعلموا (قوله بواو ودونها) قراءتان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع في ذكر ستة أدلة على التوحيد وان ماسوى الله مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله كانتا رتقا) أي شيئا واحدا لما روي ان الله خلق السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتقها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والارض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعا والارض سبعا ولكن السموات طباق والارض مختلف فيها قيل طباق وقيل متجاورة بعضها كناية عن الاقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وافراد الارض بأن جنس السموات مختلف بخلاف الارض (قوله أن كانت لا تمطر) بفتح الهمزة مصدر به أي كونها لا تمطر فأمطرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شيء مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئا ومتسببا عنه (قوله نبات وغيره) أي فالحياة في كل شيء بحسبه فحياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الارض وخضرته واثماره (قوله رواسي) جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت واستقر (قوله أن تميد) قدر

المفسر

المفسر لا النافيــة لصحة التعليل أى لا حــل عــدم تحركهما بهم لان تشبيهها بالجبال لاحـل عدم التحرك لا للتحرك (قوله الى مقاصــدهم) أى الدنيوية والاخروية (قوله كالسقف للبيت) أى وهــذا ماعليه أهل السنة وقالت الحكماء ان السماء محيطة بالارض كاحاطة بياض البيضة بصفارها اذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله الا اليه (قوله السماء محفوظا عن الوقوع) أى أو عن الفساد والخلل (قوله وهــم عن آياتهــا) أى الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله (قوله من الشمس والقمر) أى وغيرهمــا كالنجوم وارتفاعها من غير عمــد ونزول الماء منها (قوله لا يتفكرون فيها) أى مع انهم لو سئلوا عمن خلق السموات والارض ليقولن الله (قوله وهو الذى خلق الليــل الخ) فيــه التفات من التكلم للغيبــة (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف اليــه المحــذوف (قوله أى مستدير كالطاحونة) أى كهيئة فلك المغــزل أى تفالته وقيــل الفلك السمــاء التى تســير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن فى البحــر واختلف الناس فى حركات الكواكب على ثــلاثة أقوال قيــل ان الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذى يدل عليه لفظ القرآن وقيــل ان الفلك متحرك والكواكب متحــركة وحركة كل تدافع حركة الآخر وقيــل ان الفلك متحــرك والكواكب ساكنــة ولا يعلم الحقيقة الا الله تعالى * واختلف هــل الشمس والقمــر يجريان من تحت الارض وعليــه الحكماء أو منتهى سيرهمــا فى العالم العلوى وعليه أهــل السنة (قوله وللتشبيه به) جواب عمــا يقال لم جمعهما بضمير العقلاء فاجاب بأنه لما أسندت لهما السباحة التى هى من أفعال العــقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار ان محمــدا سيمــوت) أى شماتة به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلــد) أى سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك بــل ومن بعــدك لا يخلد فى الدنيا بل يذوق الموت وقصر على البشر وان كان غيره كذلك بدليل ما بعــده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الاخيرة الخ) أى فالهمزة مقدمة من تأخير لان الاستفهام له الصدارة والاصل أفهم الخالدون ان مت (قوله كل نفس) أى مخــلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله أعم منــه وليس معيبا وقوله ذائقة الموت أى ذائقة مرارة مفارقــة الروح للجسم وهى فى غاية الصــعوبة جــدا ومثلوه بمر القصب بالآلة المعروفــة فانه لا يبقى فيه طراوة أصــلا بل يؤخــذ للنار حالا غير ان المؤمن يتســلى برؤية ما أعــد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيتــه ما أعد له من العــذاب المقيم (قوله نختــبركم) أى نعاملكم معاملة المختبر اذ لا يخفى على الله شئ (قوله أتصــبرون) راجع للشر وقوله وتشكرون راجع للخــير فالمؤمن الكامل يشاهد الاشــياء كلها من الله فاذا ابتلى بالفقر أو المرض مثــلا رضى به وازداد اقبالا عليــه واذا أنعم عليه بالغنى أو الصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله فى الحالتين وأما الكافر والفاسق فيشاهد الاشــياء من الخلق فاذا ابتلى سخط واذا أنعم عليه بطر فهو مغضوب عليــه فى الحالين (قوله والينا ترجعون) أى تردون فيظهر لكم جزاء أعمالكم ان خــيرا فخــير وان شرا فشر (قوله واذا رآك الذين كفروا) رأى بصرية أى ابصرك المشركون (قوله ان يتخــذونك) جواب اذا وان نافية بمعنى ما كما قال المفسر (قوله يقولون) قدره اشارة الى ان قوله أهــذا الذى الخ مقول لقول محــذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض فى حال الهزء والسخرية أهــذا الخ (قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خــبره وبذكر متعلق به وهم الثانية تأكيد لفظى للاولى وحينئــذ فقد فصــل بين العــامل والمعمول بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول واضافة ذكر للرحمن من اضافــة المصدر لفاعله كما أشار له المفسر حيث قدر لهــم وحينئذ فالمراد بالذكر ارشاد الله لعباده بارسال الرســل وانزال الكتب ويحتمل انه مضاف لمفعوله أى ذكرهم الرحمن بالتوحيــد (قوله اذ قالوا ما نعرفه) أى الرحمن وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكــذاب (قوله فى استعجالهم العذاب) أى حيث قالوا اللهم ان كان هــذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضــد البطء أى السرعة فى الامور (قوله أى انه لكثرة عجله فى أحواله الخ) أشار

الى مقاصــدهم فى الاسفار (وجعلنا السمــاء ســقفا) للارض كالسقف للبيت (محفــوظا) عن الوقوع (وهم عن آياتها) من الشمس والقمر والنجوم (معرضون) لا يتفكرون فيها فيعلمون ان خالقها لا شريــك له (وهو الذى خلق الليــل والنهار والشمس والقمر كل) تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر وتابعــه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير كالطاحــونة فى السمــاء (يسبحون) يسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل * ونزل لما قال الكفار ان محمدا سيمــوت (وما جعلنا لبشر مــن قبلك الخلــد) أى البقاء فى الدنيا (أفان مت فهــم الخالدون) فيها لا فالجملة الاخيرة محــل الاســتفهام الانكارى (كل نفس ذائقة الموت) فى الدنيا (ونبلوكم) نختــبركم (بالشر والخير) كفقر وغنى وسقم وصحة (فتنــة) مفعول له أى لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا (والينــا ترجعــون) فيجازيكم (واذا رآك الذين كفروا ان) ما (يتخــذونك الا هــزوا) أى مهــزوا به يقولون (أهــذا الذى يذكر آلهتكم) أى يعيبها (وهم بذكر الرحمن) لهم (هــم) تأكيد (كافــرون) به اذ قالوا ما نعرفــه ونزل فى استعجالهم العــذاب (خلــق الانسان من عجــل) أى انه لكــثرة عجلــه فى أحــواله كأنه خلق منه (سأريكم آياتى)

مواعيدى بالعذاب (فلا تستعجلون) فيه فأراهم القتل ببدر (ويقولون متى هذا الوعد) بالقيامة (ان كنتم صادقين) فيه قال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) يمنعون منها فى القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك (بل تأتيهم) القيامة (بغتة فتبهتهم) تحيرهم (فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يمهلون لتوبة أو معذرة (ولقد

استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) لهم (من يكلؤكم يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من عذابه ان نزل بكم أى لا أحد يفعل ذلك والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لانكارهم له (بل هم عن ذكر ربهم) أى القرآن (معرضون) لا يتفكرون فيه (أم) فيها معنى الهمزة للانكار أى أ(لهم آلهة تمنعهم) مما يسوؤهم (من دوننا) أى ألهم من يمنعهم منه غيرنا لا (لا يستطيعون) أى الآلهة (نصر أنفسهم) فلا ينصرونهم (ولا هم) أى الكفار (منا) من عذابنا (يصحبون) يجارون يقال صحبك الله أى حفظك وأجارك (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) بما أنعمنا عليهم (حتى طال عليهم العمر) فاغتروا بذلك (أفلا يرون أنا نأتى الارض) نقصد أرضهم (ننقصها من أطرافها) بالفتح على النبى (أفهم الغالبون) لا بل النبى وأصحابه (قل) لهم (انما أنذركم بالوحى) من الله لا من قبل نفسى (ولا يسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ما ينذرون) أى هم لتركهم العمل بما سمعوه من الانذار كالصم (ولئن مستهم نفحة) وقعة خفيفة (من عذاب ربك ليقولن يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا ظالمين) بالاشراك وتكذيب محمد (ونضع الموازين

بذلك الى ان فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث ان الانسان طبع عليه حتى صار كالجبلة له بالطين الذى خلق منه البشر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو خلق والمعنى أن الانسان جبل على السرعة فى الامور والعجلة فيها حتى انه يقع فى المضرة ولا يشعر (قوله مواعيدى بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب فى الدنيا كوقعة بدر وغيرها وفى الآخرة كعذاب النار (قوله ويقولون) أى استهزاء واستعجالا للعذاب (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير فأتوا به وهو خطاب منهم للنبى وأصحابه (قوله قال تعالى) كلام مستأنف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم به (قوله ولا عن ظهورهم) أى فهو كناية عن احاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ما قالوا ذلك) قدره اشارة الى ان جواب لو محذوف (قوله بل تأتيهم بغتة) اضراب انتقالى من قولهم الى بيان كيفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) أى دفعها (قوله فيه تسلية للنبى) أى حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم (قوله قل من يكلؤكم الخ) أى قل يا محمد للمستهزئين القائلين لا نعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه ان أراده بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمخاطبون لا يخافون الخ) توطئة لقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون والمعنى ليس لهم حافظ ولا مانع غير الرحمن غير انهم لا يخافونه لاعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمزة) أى زيادة على بل (قوله لا يستطيعون نصر أنفسهم) أى فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم (قوله يجارون) أى ينقذون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) اضراب عما توهموه من ان حفظهم وامدادهم بالنعم من قبل آلهتهم بل ما هم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبى) أى وتسليط المسلمين عليهم (قوله أفهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقريع وفيه معنى الانكار ولذا قدر المفسر لا وقوله بل النبى وأصحابه أى هم الغالبون (قوله قل انما أنذركم بالوحى) المقصود من ذلك توبيخهم على ما وقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذعنوا لها (قوله ولا يسمع الصم الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على المفعولية وفى قراءة سبعية أيضا بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبى والصم مفعوله الاول والدعاء مفعوله الثانى والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له أرح قلبك ولا تعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الدعاء وهمزة اذا (قوله وتسهيل الثانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقعة خفيفة) أخذ الخفة من التعبير بالمس والنفح والتاء الدالة على المرة والنفح فى الأصل هبوب رائحة الشئ والمعنى ولئن أصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما يا ويلنا الخ وهو كناية عن كونهم فى غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلا يبالى به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قريش فى هذه السورة والجمع فى الموازين للتعظيم فان الصحيح انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب ومكانه قبل الصراط كفته اليمنى للحسنات وهى نيرة عن يمين العرش وكفته اليسرى للسيئات وهى مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بعموده ناظرا الى لسانه وميكائيل أمين عليه بحضرة الجن والانس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن فى حق كل أحد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت أعماله ومن لا فلا والحق ان الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وأعمالهم الحسنة التى لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لاجل ذلك

للنجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع وأما قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فمعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود في النار وقيل حسناتهم التي فعلوها يجازون عليها في الدنيا كصحة وعافية ولا يجازون عليها في الآخرة أصلا واختلف هل الوزن بصنج أولا واستظهر الاول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات فان رجح أحدهما وضع صنج بقدر مارجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له الا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنج في الكفة الاخرى واختلف أيضا هل الاعمال تصور وتوزن فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية ثم توضع في كفة الحسنات والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع في كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الاشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لانه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيأ) اما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وان كان العمل) قدره المفسر اشارة الى ان كان ناقصة اسمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفي قراءة سبعية برفعه على انها تامة (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أي عالمين والمقصود منه التحذير لان الانسان العاقل اذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه واحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع في ذكر قصص الانبياء تسلية له صلى الله عليه وسلم وزيادة في علم أمته وذكر منها عشر قصص الاولى قصة موسى وهرون الثانية قصة ابراهيم الثالثة قصة لوط الرابعة قصة نوح الخامسة قصة داود وسليمان السادسة قصة أيوب السابعة قصة اسمعيل وادريس وذي الكفل الثامنة قصة يونس التاسعة قصة زكريا العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أي يستضاء بهما من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أي عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل في يخشون أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس والناس في ذلك مراتب فمنهم من يعتقد ان الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محجوب قد تقع منه المعاصي ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد انه في حضرة الله وانه مطلع عليه وهذا أعلى من الاول ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أي كثير الخير (قوله أفأنتم له منكرون) الخطاب لاهل مكة تقريعا لهم أي ان هذا القرآن فيه تذكيركم وفيه خير كثير أيليق منكم انكاره والاستهزاء به (قوله أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل انه ان كان المراد بقوله قبل قبل البلوغ فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا لان الله لم يتخذ وليا جاهلا بمعرفته فضلا عن نبي وان كان المراد به قبل موسى وهرون فالمراد بالرشد النبوة وارشاد الخلق (قوله وكنا به عالمين) أي ولم نزل كذلك (قوله اذ قال لابيه) ظرف لقوله آتينا أو لمحذوف أي اذكر (قوله لابيه) أي آزر (قوله التماثيل) جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب وكانت تلك الاصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان متقدتان تضيآن بالليل (قوله عاكفون) عبر بالعكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشئ لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آباءنا الخ) أجابوا بذلك وان كان غير موافق لسؤاله عما لانه ما آل سؤاله اذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره كأنه قال ماهي لاي شئ عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب الا التقليد (قوله لفي ضلال مبين) أي لعدم استنادكم الى دليل (قوله قالوا أجئتنا بالحق الخ) أي لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه اللعب

القسط) ذوات العدل (ليوم القيامة) أي فيه (فلا تظلم نفس شيأ) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وان كان) العمل (مثقال) زنة (حبة من خردل أتينا بها) أي بموزونها (وكفى بنا حاسبين) محصين في كل شئ (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وضياء) بها (وذكرا) أي عظة بها (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب) عن الناس أي في الخلاء عنهم (وهم من الساعة) أي أهوالها (مشفقون) أي خائفون (وهذا) أي القرآن (ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) الاستفهام فيه للتوبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) أي هداه قبل بلوغه (وكنا به عالمين) أي بأنه أهل لذلك (اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل) الاصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) لهم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) بعبادتها (في ضلال مبين) بين (قالوا أجئتنا بالحق) في قولك هذا (أم أنت من اللاعبين) فيه

(قال بل ربكم) المستحق للعبادة (رب) مالك (السموات والأرض الذي فطرهن) خالقهن على غير مثال سبق (وأنا على ذلكم) الذي قلته (من الشاهدين) به (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) بعد ذهابهم الى مجتمعهم في يوم عيد لهم (جذاذا) بضم الجيم وكسرها فتاتا بفأس (الا كبيرا لهم) علق الفأس في عنقه (لعلهم اليه) أي الى الكبير (يرجعون) فيرون ما فعل بغيره (قالوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) فيه (قالوا) أي بعضهم لبعض (سمعنا فتى يذكرهم) أي يعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي ظاهرا (لعلهم يشهدون) عليه أنه الفاعل (قالوا) له بعد اتيانه (أأنت) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ساكتا عن فعله (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم) عن فاعله (ان كانوا ينطقون) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون الها (فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكر (فقالوا) لأنفسهم (انكم أنتم الظالمون) أي بعبادتكم من لا ينطق (ثم نكسوا) من الله (على رؤسهم) أي ردوا الى كفرهم وقالوا والله (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم (قال أفتعبدون من دون الله) أي بدله (ما لا ينفعكم شيأ) من رزق وغيره (ولا يضركم) شيأ اذا لم تعبدوه (أف) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا (لكم ولما تعبدون من دون الله) أي غيره (أفلا تعقلون) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وانما يستحقها الله تعالى

فقالوا الصدق ما تقوله أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ) اضراب عن قولهم باقامة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وأنا على ذلكم) أي على ما ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض دون ما عداه (قوله من الشاهدين) أي العالمين بالبرهان (قوله وتالله لأكيدن أصنامكم) انتقال من دلالة قولية الى دلالة فعلية فلما لم يفد فيهم الدليل القولي عدل الى الدليل الفعلي وهو الكسر والمعنى لأجتهدن في كسرها وأكيدنكم فيها (قوله بعد ذهابهم الى مجتمعهم) أي وقد ذهب معهم ابراهيم فلما كان في أثناء الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم والى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذي يليه وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما يأكلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتحها (قوله بفأس) هو مهموز الآلة التي يكسر بها الحجر (قوله الا كبيرا لهم) أي لم يكسره بل تركه والضمير في لهم يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها (قوله من فعل هذا) أي التكسير ومن يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره أو موصولة وفعل صلته وانه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى) القائل هم الضعفاء من قوم ابراهيم الذين سمعوا حلفه (قوله أي يعيبهم) أي ينقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له ابراهيم) مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على ارادة لفظه أو مبتدأ خبره محذوف أي يقال له ابراهيم فاعل ذلك أو منادى وحرف النداء محذوف أو خبر لمحذوف أي يقال له هذا ابراهيم (قوله قالوا فأتوا به) القائل لذلك النمروذ (قوله لعلهم يشهدون) أي لعل الناس يشهدون عليه بفعله بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق الهمزتين) أي بادخال ألف بينهما وتركه فتكون القراآت السبعيات خمسا وحاصلها ان الهمزتين اما محققتان أو الثانية مسهلة وفي كل اما بادخال ألف بينهما أولا فهذه أربع والخامسة ابدال الثانية ألفا (قوله قال بل فعله كبيرهم هذا) اعلم ان هذا من التعريض لأن القاعدة انه اذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره في الآخر فهو اشارة لنفسه متضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرهم أو نعت له وورد أن ابراهيم قال لهم ان الكبير غضب من أن تعبدوا معه غيره الصغار في العبادة فكسرهن وأراد بذلك اقامة الحجة عليهم (قوله ان كانوا ينطقون) أي ان كانوا ممن يمكن أن ينطق وخص النطق بالذكر وان كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر في تبكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أي وهو قوله فاسألوهم وفيه اشارة الى أن قوله بل فعله كبيرهم هذا مرتبط بقوله ان كانوا ينطقون والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم (قوله فرجعوا الى أنفسهم) أي الى عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب المنفعة كيف يصلح أن يكون الها (قوله ثم نكسوا على رؤسهم) أي انقلبوا الى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيا للمفعول في قراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر وقرئ شذوذا بالتشديد وبالتخفيف مبنيا للفاعل (قوله أي ردوا الى كفرهم) أي الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) أشار بذلك الى أن قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) أي مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أي بترك التنوين فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تعقلون ﴿فائدة﴾ ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب

ابراهيم

ابراهيم الاثلاث كذبات ثنتان منها فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختى والمعنى انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب الا هذه الكلمات الثلاث فقوله انى سقيم أراد سقيم القلب من ضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا تبكيت لقومه وقوله هذه أختى أى فى الدين والخلقة فهذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الاولى والثانية فى ذات الله انهما من أجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض والحكمة فى اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل ان ابراهيم باداهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فاحبوا ان يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل القصة فى ذلك انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلبه لئن أصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الاله ليس له اله غيرى فان استغاث باحدكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينه وبينى فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل روى انه قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى وكان وقت القائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ولما ألقى فيها جعل كل شئ يطفئ النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال من قتل وزغة فى أول ضربة كتب له مائة حسنة وفى الثانية دون ذلك وفى الثالثة دون ذلك ذكر بعض الحكماء ان الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران ومدة مكثه فى النار سبعة أيام وقيل اربعون يوما وقيل خمسون يوما (قوله فى منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسى معرب لان الجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كونى بردا وسلاما) أى ابردى بردا غير ضار وروى انه لما ألقى فيها أخذت الملائكة بضبعيه فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا ابراهيم ان ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبابى قال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام التى كنت فى النار ثم نظر نمرود وأشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه فناداه يا ابراهيم ان الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى اذا قمت ان تضرك قال لا قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها قال نمرود يا ابراهيم انى مقرب

(قالوا حرقوه) أى ابراهيم (وانصروا آلهتكم) أى بتحريقه (ان كنتم فاعلين) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار فى جميعه وأوثقوا ابراهيم وجعلوه فى منجنيق ورموه فى النار قال تعالى (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها

و بقوله وسلاما سلم من الموت ببردها (وارادوا به كيدا) وهو التحريق (فجعلناهم الاخسرين) فى مرادهم (ونجيناه ولوطا)

ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) بكثرة الانهار والاشجار وهى الشام نزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم (ووهبنا له) أى لابراهيم وكان سأل ولدا كما ذكر فى الصافات (اسحق ويعقوب نافلة) أى زيادة على المسؤل أوهو ولد الولد (وكلا) أى هو وولداه (جعلنا صالحين) أنبياء (وجعلناهم أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء يقتدى بهم فى الخير (يهدون الناس (بأمرنا) الى ديننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة) أى أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء اقامة تخفيف (وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما) فصلا بين الخصوم (وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل) أى أهلها الاعمال (الخبائث) من اللواط والرمى بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) مصدر ساءه نقيض سره (فاسقين وأدخلناه فى رحمتنا) بأن أنجيناه من قومه (انه من الصالحين و) اذكر (نوحا) وما بعده بدل منه (اذ نادى) دعا على قومه بقوله رب لا تذر الخ (من قبل) أى قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له فنجيناه وأهله) الذين فى سفينته (من الكرب العظيم) أى الغرق وتكذيب قومه له (ونصرناه) منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته ان لا يصلوا اليه (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين و) اذكر (داود وسليمان) أى قصتهما ويبدل منهما (اذ يحكمان فى الحرث) هو زرع أو كرم وعلى

الى الملك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمروذ وكف عن ابراهيم عليه السلام (قوله وبقوله سلاما الخ) أى ولو لم يقل على ابراهيم لما احرقت النار أحدا ولما أوقدت (قوله فجعلناهم الاخسرين) أى لانهم خسروا السعى والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل أن المراد بالاخسرين الهالكين لان الله سلط عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى رأس النمروذ بعوضة فأهلكته (قوله ابن أخيه هاران) أى الاصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الاكبر فهو عم ابراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) أى وصحب معه لوطا وسارة ونزل بحران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل بالسبع من أرض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الانهار والاشجار) أشار بذلك الى ان المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ما ورد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب ألا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره فقال كعب انى وجدت فى كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده والا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس (قوله ولوط بالمؤتفكة) هى قرى قوم لوط رفعها جبريل وأسقطها مقلوبة بأمر من الله (قوله كما ذكر فى الصافات) أى فى قوله رب هب لى من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب أى أعطى يعقوب لابراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولداه) أى اسحق ويعقوب (قوله وابدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت فى سورة براءة (قوله يهدون بأمرنا) أى يدعون الناس بوحينا (قوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) عطف خاص على عام لان الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أى كانوا لنا لا لغيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتيناه (قوله فصلا بين الخصوم) أى على وجه الحق (قوله وعلما) أى بالشرائع والاحكام (قوله أى أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف أو فيه مجاز عقلى (قوله الاعمال) قدره اشارة الى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمى بالبندق) أى رمى المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث الا فى هذه الامة (قوله وغير ذلك) أى كالضراط فى المجالس (قوله بأن أنجيناه من قومه) المناسب أن يقول وأدخلناه فى أهل رحمتنا أى جنتنا والا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان نوحا منصوب بفعل محذوف وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث فى قومه ألف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين فجملة عمره ألف وخمسون سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الارض الخ) أى بعد ان أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (قوله الذين فى سفينته) وجملتهم ستة رجال ونساؤهم وقيل أربعون رجلا وأربعون امرأة (قوله منعناه) أشار بذلك الى انه ضمن نصر معنى منع حيث عدى بمن (قوله أن لا يصلوا اليه) أى لئلا يصلوا اليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداود وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم نحو ألف سنة وسبعمائة سنة (قوله أى قصتهما) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله ويبدل منهما) فى الحقيقة الابدال من المضاف المحذوف (قوله اذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لغرابتها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين

وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله اذ نفشت) اي تفرقت وانتشرت فيه فافسدته (قوله غنم القوم) أي بعض القوم أي قوم داود وهم أمته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) أي بناء على ان أقل الجمع اثنان ويجاب أيضا بان الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما (قوله قال داود لصاحب الحرث رقاب الغنم) أي عوضا عن حرثه * وحاصل تلك القصة ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي وافسدته فلم تبق منه شيأ فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) أي فهمناه الصواب فيها (قوله وحكمهما باجتهاد الخ) أي ويجوز الخطأ على الانبياء اذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لا يبقيهم الله عليه لعصمتهم والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب لكن المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد (قوله وقيل بوحي) أي لكل منهما وهذا في شريعتهم وأما في شريعتنا فذهب مالك ما أتلفته البهائم ليلا وهي غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يغلق عليها فعلى ربها وان زاد على قيمتها يقوم ان لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وان بدا صلاحه ضمن قيمته على البت واما ما أتلفته نهارا وهي غير عادية ولم يكن معها راع وسرحت بعيدة عن المزارع فلا ضمان على ربها وان كان معها راع أو سرحها ربها قرب المزارع أو كانت عادية فعلى ربها ليلا أو نهارا ومذهب أبي حنيفة لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلا أو نهارا الا أن يكون معها سائق او قائد ومذهب الشافعي فيه تفصيل فانظره ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا بانه رأى ان قيمة الغنم مثل الحرث وصاحب الغنم مفلس فالحكم انها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلما) دفع بذلك ما يتوهم من قوله ففهمناها سليمان ان داود ناقص في العلم (قوله وسخرنا) أي ذللنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله والطير فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب اما على انه مفعول معه أو معطوف على الجبال والرفع على انه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لامره به اذا وجد فترة) أي فكان اذا وجد فترة أمر الجبال والطير فسبحن (قوله وان كان عجبا عندكم) أي مستغربا وقد اتفق في هذه الامة لغير واحد منها كالسيد الدسوقي وأمثاله (قوله وعلمناه صنعة لبوس) أي وسبب ذلك انه مر به ملكان على صورة رجلين فقال أحدهما للآخر نعم الرجل الا انه يأكل من بيت المال فسأل الله ان يرزقه من كسبه فألان الله له الحديد فكان يعمل منه الدروع بغير نار كأنه طين في يده (قوله وهي الدروع) أنث الضمير لكون درع الحديد تؤنث وتذكر وأما درع المرأة أي قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنعها) أي حلقا بعضها داخل في بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) أي يا أهل مكة (قوله في جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لاهل مكة مع ان صنع داود لم يكن في زمنهم فأفاد انها نعمة اتصلت عن بعده الى ان كانوا من جملتهم (قوله وبالفوقانية للبوس) أي لانه بمعنى الدرع وهي تؤنث (قوله ولسليمان الريح) عبر باللام اشارة الى أن الله ملكه الريح وجعلها ممتثلة لامره وعبر بمع في حق داود لان الجبال والطير

(اذ نفشت فيه غنم القوم) اي رعته ليلا بلا راع بان انفلتت (وكنا لحكمهم شاهدين) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين قال داود لصاحب الحرث رقاب الغنم وقال سليمان ينتفع بدرها ونسلها وصوفها الى ان يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها اليه (ففهمناها) أي الحكومة (سليمان) وحكمهما باجتهاد ورجع داود الى سليمان وقيل بوحي والثاني ناسخ للاول (وكلا) منهما (آتينا) ه (حكما) نبوة (وعلما) بامور الدين (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كذلك سخر للتسبيح معه لامره به اذا وجد فترة لينشط له (وكنا فاعلين) تسخير تسبيحهما معه وان كان عجبا عندكم أي مجاوبته للسيد داود (وعلمناه صنعة لبوس) وهي الدرع لانها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لكم) في جملة الناس (لنحصنكم) بالنون لله وبالتحتانية لداود وبالفوقانية للبوس (من بأسكم) حربكم مع أعدائكم (فهل أنتم) يا أهل مكة (شاكرون) نعمي بتصديق الرسول اي اشكروني بذلك (و) سخرنا (لسليمان الريح عاصفة) وفي آية أخرى رخاء

قد صار اسماء في التسبيح واشترك معه (قوله أي شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب (قوله تجري بأمره) حال (قوله الى الارض التي باركنا فيها) أي لانها مقره فكان ينتقل منها ويرجع اليها قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريره وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس و يرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الارض مشرقا ومغربا بالملك سلطنة وحكم وأما رسالته فكانت لبني اسرائيل (قوله ومن الشياطين) أي الكفار منهم (قوله وغيره) أي كالنورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخراجاتهم (قوله لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل الخ) قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله و يخربه (قوله وأيوب) قدر اذكر اشارة الى ان ايوب معمول لمحذوف (قوله ويبدل منه) أي من أيوب والمعنى اذكر قصة ايوب اذ نادى ربه ففي الحقيقة الابدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتي (قوله لما ابتلي) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) أي لجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور * وحاصل قصته باختصار ان ايوب كان رجلا من الروم وهو ابن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران أخي ابراهيم وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له اهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لانعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات فيقف فيهن من حيث ما أراد فسمع صلاة الملائكة على ايوب لحمده وقال الهي نظرت في عبدك ايوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك فقال الله له انطلق فقد سلطتك على ماله فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال أيوب فقال عفريت اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء آتي عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء ابليس في صورة القيم على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلي فقال له أحرقت نار ابلك ورعاتها فقال ايوب الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعا وعلى الحرث فحول ريحا عاصفا فاطارها ثم جاء ابليس واخبر ايوب بذلك فحمد الله واثنى عليه فلما راى انه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد الى السماء وقال يا رب سلطني على أولاده فقال له انطلق فقد سلطتك على أولاده فذهب اليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعا ثم جاء في صورة المعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الراس يسيل دمه فاخبره بموت أولاده ووصل له ذلك حتى رق قلبه و بكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت امي لم تلدني ففرح ابليس وصعد الى السماء سريعا لينظر ما يفعل به فاوحى الله الى أيوب انه ابليس فاستغفر فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا رب سلطني على جسده فقال له انطلق فقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله فانقض عدو الله سريعا فأتاه فوجده ساجدا فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج منها ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى

أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب ارادته (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها) وهي الشأم (وكنا بكل شيء عالمين) من ذلك علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه الى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (و) سخرنا (من الشياطين من يغوصون له) يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (ويعملون عملا دون ذلك) أي سوى الغوص من البناء وغيره (وكنا لهم حافظين) من ان يفسدوا ما عملوا لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه ان لم يشغلوا بغيره (و) اذكر (أيوب) ويبدل منه (اذ نادى ربه) لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته سنين ثلاثا أو سبعا

أو ثمانى عشرة وضيق عيشه (أنى) بفتح الهمزة بتقدير الباء (مسنى الضر) أى الشدة (وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له) نداءه (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله) أولاده الذكور والاناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (ومثلهم معهم) من زوجته وزيد فى شبابها وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين أفرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض (رحمة) مفعول له (من عندنا) صفة (وذكرى للعابدين) ليصبروا فيثابوا (و) اذكر (اسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين) على طاعة الله وعن معاصيه (وأدخلناهم فى رحمتنا) من النبوة (انهم من الصالحين) لها وسمى ذا الكفل لانه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وان يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبيا (و) اذكر (ذا النون) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (اذ ذهب مغاضبا) لقومه أى غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له فى ذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أى نقضى عليه بما قضينا من حبسه فى بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك (فنادى فى الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة

قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وانتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وهجره الناس كلهم الا زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم ونقل ان سبب قوله أنى مسنى الضر أن الدود قصد قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر ولا ينافى صبره قوله أنى مسنى الضر لانه شكوى للخالق وهى لا تنافى الصبر ان قلت ان الانبياء يستحيل عليهم المنفر من الامراض أجيب بان ما نزل به ليس من المنفرات فى شئ وانما هو حرارة وحكة ظهرت من آثار نفخ اللعين ابليس وأعظم الله ضرها لخصوص أيوب تعظيما لقدره لان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كما ورد بذلك الحديث (قوله أو ثمانى عشرة) هذا هو الصحيح (قوله وضيق) اما فعل مبنى للمفعول عطف على ابتلى أو مصدر عطف على فقد (قوله وأنت أرحم الراحمين) تعريض بطلب الرحمة (قوله فاستجبنا له نداءه) أى الذى فى ضمنه الدعاء (قوله فكشفنا ما به من ضر) روى ان الله قال له اركض برجلك الارض فركض فخرجت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان وهو معنى قوله تعالى فى سورة ص اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (قوله بأن أحيوا له) أى لانهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم وقيل رزقه الله مثلهم روى ان امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا (قوله ثلاث أو سبع) أى جملتهم ستة أو أربعة عشر (قوله وكان له أندر) هو الموضع الذى يدرس فيه الطعام (قوله أفرغت احداهما على أندر القمح الذهب) أى لمناسبته له فى الحمرة وكذا يقال فيما بعده (قوله وذكرى للعابدين) خصهم لانهم المنتفعون بذلك (قوله واسمعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات ابوه تسع وثمانون سنة وقصة صبره على الذبح ستأتى مفصلة فى سورة الصافات (قوله وادريس) هو جد نوح ولد فى حياة آدم قبل موته بمائة سنة وبعث بعد موته بمائتى سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة وكان بينه وبين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن أيوب (قوله وأدخلناهم) معطوف على محذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الخ (قوله لانه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) أى فكان يصوم النهار ويصلى بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام الا تلك النومة فامتحنه ابليس لينظر هل يغضب أم لا فأتاه ابليس حين أخذ مضجعه فدق عليه الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له اذا قعدت للحكم فائتنى آخذ لك حقك فلما جلس للحكم لم يجده فلما رجع الى القائلة من الغد أتاه ودق الباب فقال له من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك اذا قعدت للحكم فائتنى فقال ان خصومى أخبث قوم اذا علموا انك قاعد قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدونى فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة جاءه ابليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرف انه عدو الله وقال فعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أى بل كان عبدا صالحا والصحيح انه نبى قيل بعث الى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه انوان ونينان وهو اسم للحوت كبيرا أو صغيرا (قوله ابن متى) اسم أبيه وقيل اسم أمه (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتمال (قوله مغاضبا لقومه) أى لا لربه لان خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب فلما لم ينزل بهم ظن انه ان بقى بينهم قتلوه لانهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله أى غضبان عليهم) أشار بذلك الى أن المفاعلة ليست على بابها (قوله أى نقضى عليه بما قضينا) أشار بذلك الى أن معنى أن لن نقدر عليه نقضى عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء والمعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أو نضيق عليه) أى فمعنى نقدر نضيق كما فى قوله تعالى الله يبسط الرزق

بطن الحوت (أن) أى بأن (لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) فى ذهابى من بين قومى بلا اذن (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بتلك الكلمات (وكذلك) كما نجيناه (ننجى المؤمنين) من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين (و) اذكر (زكريا) ويبدل منه (اذ نادى ربه) بقوله (رب لا تذرنى فردا) أى بلا ولد يرثنى (وأنت خير الوارثين) الباقى بعد فناء خلقك (فاستجبنا له) نداءه (ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجه) فأتت بالولد بعد عقمها (انهم) أى من ذكر من الانبياء (كانوا يسارعون) يبادرون (فى الخيرات) الطاعات (ويدعوننا رغبا) فى رحمتنا (ورهبا) من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين فى عبادتهم (و) اذكر مريم (التى أحصنت فرجها) حفظته من أن ينال (فنفخنا فيها من روحنا) أى جبريل حيث نفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) الانس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل (ان هذه) أى ملة الاسلام (أمتكم) دينكم أيها المخاطبون أى يجب أن تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة (وأنا ربكم فاعبدون) وحدون (وتقطعوا) أى بعض المخاطبين (أمرهم بينهم) أى تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال تعالى (كل الينا راجعون) أى فنجازيه بعمله (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران) أى جحود (لسعيه وانا له كاتبون) بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه

لمن يشاء من عباده ويقدر وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التى هى ضد العجز (قوله بطن الحوت) أى وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوما أو سبعة أيام أو ثلاثة أو أربع ساعات وأوحى الله الى ذلك الحوت لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك وانما جعلتك سجنا له * وحاصل ذلك أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى توعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضربوها فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه اياه فدعا ربه فألقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزالة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع الى قومه فآمنوا به جميعا كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين (قوله أن لا اله الا أنت) ان اما مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقرار بالذنب ولذا ورد فى الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (قوله وزكريا) معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله أى بلا ولد يرثنى) أى فى العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) المراد به انسداد الرحم عن الولادة (قوله انهم كانوا يسارعون) علة لمحذوف أى قالوا ما قالوا لانهم الخ (قوله رغبا ورهبا) اما منصوبان على المفعول من أجله أو على انهما واقعان موقع الحال أى راغبين راهبين (قوله والتى أحصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله واذكر مريم (قوله من أن ينال) أى يصل اليه أحد بحلال أو حرام ان قلت المزية ظاهرة فى حفظه من الحرام وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه أجيب بأن الترهب كان مشروعا لهم أو لتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث نفخ فى جيب درعها) أى أمرناه ففعل ذلك أو المراد نفخنا فيها بعض الارواح المخلوقة لنا وهى روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لان كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة أو فيه الحذف من الاول لدلالة الثانى عليه (قوله ان هذه أمتكم) أشار المفسر الى أن اسم الاشارة يعود على ملة الاسلام والامة فى الاصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لانها تستلزم الاجتماع والمعنى أن ملة الاسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم الى محمد فلا تغيير ولا تبديل فى أصول الدين وانما التغاير فى الفروع فمن غير وبدل فى الملة فهو خارج عنها ضال مضل وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع ما يتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أى من أمة وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبران نحو ان زيدا قائم أخوك وأمتكم بالرفع خبر ان وقرئ شذوذا بالنصب على انه بدل من هذه أو عطف بيان (قوله فاعبدون) ان كان الخطاب للمؤمنين فمعناه دوموا على العبادة وان كان الخطاب للكفار فمعناه انشاء العبادة والتوحيد (قوله وتقطعوا أمرهم) أى تفرقوا فى أمرهم واختلفوا فى دينهم وهذا اخبار من الله بأن الجميع لم يكونوا على دين واحد لسبق حكمته البالغة بذلك والحكمة فى ذكر العبادة هنا والتقوى فى المؤمنون وذكر الواو هنا والفاء هناك قيل تفنن وقيل لان الخطاب هنا للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل فناسبه ذكر التقوى وأتى بالواو هنا لانها لا تقتضى الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق كان حاصلا من قبل بخلاف ما يأتى فان التفرق حصل بعد ارسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له بل هذه الامة افترقت ثلاثا وسبعين فرقة اثنان وسبعون فى النار وواحدة ناجية كما فى الحديث (قوله كل الينا راجعون) تهديد للكفار والمعنى ان الله تعالى لا يفلت أحدا بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع اليه (قوله من الصالحات) أى الاعمال الحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) أى لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه فالكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار فشبه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وانا له كاتبون)

أي حافظون للعمل فلا يضيع منه شيء (قوله وحرام) خبر مقدم وأنهم لا يرجعون مبتدأ مؤخر والمعنى رجوع أهل قرية أهلكناها ممتنع وقوله الى الدنيا أي الى البقاء والمعيشة فيها وقيل الى الايمان يعني أن رجوعهم الى الايمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (قوله غاية لامتناع رجوعهم) أي فهي متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح أن تكون ابتدائية وتكون الجملة مستأنفة (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قراءتان سبعيتان (قوله اسم قبيلتين) أي من بني آدم يقال انهم تسعة أعشار بني آدم وتقدمت قصتهم (قوله وذلك قرب القيامة) أي بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتي ويمكث أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كباقي الأيام وفي الحديث فقلنا يا رسول الله في اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فينزل عيسى على منارة بني أمية شرقي دمشق عليه حلتان صفر فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد فيحصل للخلق جدب عظيم حتى تكون رأس الثور خيرا من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل النغف في رقابهم فيهلكون جميعا فتملأ زهمهم وجيفهم الارض فيدعو الله عيسى فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا فيغسل الارض من آثارهم ثم يقول الله للارض أنبتي ثمرك فيكثر الرزق جدا ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم ريحا لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون في الارض كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وبين موت عيسى والنفخة الاولى مائة وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما ان الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الاولى قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (قوله وهم من كل حدب ينسلون) أي يأجوج ومأجوج ينتشرون في الارض ويسرعون فيها من كل مرتفع من الارض (قوله واقترب الوعد) عطف على فتحت (قوله أي القصة) أشار بذلك الى أن الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هي والتعقيب عرفي لأن التفاوت القليل كالعدم فاندفع ما يقال انه رتب الشخوص على فتح السد واقتراب الساعة مع ان الشخوص لا يوجد الا يوم القيامة (قوله يقولون يا ويلنا) أشار بذلك الى أن يا ويلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) اضراب عن قولهم قد كنا في غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الاوثان) خصها بالذكر لانها كانت معظم معبوداتهم والا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين في النار (قوله وقودها) أي وسمي حصبا لانه يرمى بهم فيها كما يرمى بالحصباء (قوله لو كان هؤلاء آلهة الخ) تبكيت عليهم (قوله زفير) أي أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أي فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد اذا بقي من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم ان في النار أحدا يعذب غيره (قوله ونزل لما قال ابن الزبعرى الخ) حاصل ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل ابن الزبعرى وهو بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء مقصورا وقد أسلم بعد ذلك فاخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبعرى أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مدلج يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل

(وحرام على قرية أهلكناها) أريد أهلها (أنهم لا) زائدة (يرجعون) أي ممتنع رجوعهم الى الدنيا (حتى) غاية لامتناع رجوعهم (اذا فتحت) بالتخفيف والتشديد (يأجوج ومأجوج) بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي سدهما وذلك قرب القيامة (وهم من كل حدب) مرتفع من الارض (ينسلون) يسرعون (واقترب الوعد الحق) أي يوم القيامة (فاذا هي) أي القصة (شاخصة أبصار الذين كفروا) في ذلك اليوم لشدته يقولون (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (قد كنا) في الدنيا (في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) أنفسنا بتكذيبنا للرسل (انكم) يا أهل مكة (وما تعبدون من دون الله) أي غيره من الاوثان (حصب جهنم) وقودها (أنتم لها واردون) داخلون فيها (لو كان هؤلاء) الاوثان (آلهة) كما زعمتم (ما وردوها) دخلوها (وكل) من العابدين والمعبودين (فيها خالدون لهم) للعابدين (فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) شيئا لشدة غليانها * ونزل لما قال ابن الزبعرى عبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم (ان الذين سبقت لهم منا)

قوله حلتان صفر كذا في النسخ وفي الكشاف حلتان ممصرتان اهـ

هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية رداعليه (قوله المنزلة الحسنى) اى الدرجة والرتبة الحسنى أو المراد الكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله أو المراد السعادة الابدية (قوله ومنهم من ذكر) أى العزير وعيسى والملائكة والمعنى ان كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعد عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) أى عن جهنم ان قلت كيف ذلك مع قوله تعالى وان منكم الا واردها والورود يقتضى القرب منها أجيب بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها فان المؤمنين اذا مروا على النار تخمد وتقول جزيا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي وهذا لا ينافي الورود (قوله لا يسمعون حسيسها) أى حركة تلهبها وفي هذا تأكيد بعدهم عنها (قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع اثر بيان نجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد الى النار) أى الكافر وقيل هو حين تغلق النار على أهلها و ييأسون من الخروج وقيل هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار و ينادى يا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو جميع أهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين (قوله اسم ملك) أى في السماء الثالثة وعلى هذا فالمصدر مضاف لفاعله فان هذا الملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه (قوله واللام زائدة) أى والكتاب مفعوله (قوله أو السجل الصحيفة) أى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على ما فيها (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله جمعا) أى وأما على قراءة الافراد فأل للجنس (قوله كما بدأنا أول خلق) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق واضافة أول له من اضافة الصفة للموصوف والمعنى كما بدأنا المخلوق الاول نعيده ثانيا (قوله بعد اعدامه) هذا أحد قولين لاهل السنة والقول الثانى ان الاعادة بعد تفرق الاجزاء قال فى الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق * عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله وما مصدرية) اى وبدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف وأول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) أى فعلينا انجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على انفاذه (قوله لمضمون ما قبله) أى الجملة الخبر به (قوله انا كنا فاعلين) توكيد لما قبله (قوله بمعنى الكتاب) أى فأل فى الزبور للجنس والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) أى وهو اللوح المحفوظ (قوله أن الارض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) أى من هذه الامة وغيرها من الامم والمراد بالصلاح الموت على الايمان والمعنى ان المؤمنين يرثون الجنة و يتنعمون فيها على قدر أعمالهم وعبر بالميراث لانه ملك مستمر يأتى من غير تكسب أما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لان الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لاعدائه وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء ومنه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت بقائه ولو كانت باقية ما نعم الكافر فيها لهوانه عليه فقد قدر الله فى الازل ان الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده فنعم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) اى من حيث انه يوصل لمراضى الله تعالى فى الدنيا و يؤنس صاحبه فى القبر و يوضع فى الميزان و يرقى به درجات الجنة (قوله عاملين به) أى ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه (قوله أى للرحمة) أشار بذلك الى أن رحمة منصوب على أنه مفعول لاجله و يصح أن يكون منصوبا على الحال أى انه نفس الرحمة لما ورد أن الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة أو على حذف مضاف أى ذا رحمة أو راحما لما فى الحديث انما أنا رحمة مهداة (قوله الانس والجن) أى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لانه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال و رحمة أيضا من حيث انه جاء بارشاد الخلق الى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له فى الدنيا فقط (قوله قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) اعلم أن فى هذه الآية قصرين الاول قصر الصفة على الموصوف والثانى بالعكس والمعنى كما قال المفسر ما يوحى الى فى أمر الاله الا اختصاصه بالوحدانية ففيه رد على الكفرة

المنزلة (الحسنى) ومنهم من ذكر (أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) صوتها (وهم فيما اشتهت أنفسهم من النعيم) (خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر) وهو أن يؤمر بالعبد الى النار (وتتلقاهم) تستقبلهم (الملائكة) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم) منصوب باذكر مقدرا قبله (نطوى السماء كطى السجل) اسم ملك (للكتاب) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كما بدأنا أول خلق) عن عدم (نعيده) بعد اعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد الى أول وما مصدرية (وعدا علينا) منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (انا كنا فاعلين) ما وعدنا (ولقد كتبنا فى الزبور) بمعنى الكتاب أى كتب الله المنزلة (من بعد الذكر) بمعنى أم الكتاب الذى عند الله (أن الارض) أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) عام فى كل صالح (ان فى هذا) القرآن (لبلاغا) كفاية فى دخول الجنة (لقوم عابدين) عاملين به (وما أرسلناك) يا محمد (الا رحمة) أى للرحمة (للعالمين) الانس والجن بك (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) أى ما يوحى الى فى أمر الاله الا وحدانيته (فهل أنتم مسلمون) منقادون لما يوحى الى من وحدانية الاله والاستفهام

بمعنى الامر (فان تولوا) عن ذلك (فقل آذنتكم) أعلمتكم بالحرب (على سواء) حال من الفاعل والمفعول أى مستوين فى علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا (وان) ما (أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وانما يعلمه الله (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) والفعل منكم ومن غيركم (ويعلم ما تكتمون) أنتم وغيركم من السر (وان) ما (أدرى لعله) أى ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فتنة) اختبار (لكم) ليرى كيف صنعكم (ومتاع) تمتع (الى حين) أى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للاول المترجى بلعل وليس الثانى محلا للترجى (قل) وفى قراءة قال (رب احكم) بينى وبين مكذبى (بالحق) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والاحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولدا وعلى فى قولكم ساحر وعلى القرآن فى قولكم شعر

﴿سورة الحج مكية الا ومن الناس من يعبد الله الآيتين والا هذان خصمان الست آيات فمدنيات وهى أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس) أى أهل مكة وغيرهم (اتقوا ربكم) أى عقابه بأن تطيعوه (ان زلزلة الساعة) أى الحركة الشديدة للارض التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذى هو قرب الساعة (شئ عظيم) فى ازعاج الناس الذى هو نوع من العقاب (يوم ترونها تذهل) بسببها

الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الامر) أى فالمراد منه التحضيض على الاسلام لا الاستفهام عنه (قوله أعلمتكم بالحرب) أى أنذرتكم به والمراد بالحرب محاربته هو وأصحابه لهم والمعنى أعلمتكم بأنى محاربكم والحال انى وأنتم مستوون فى العلم بنقض الصلح لئلا أنسب للغدر المذموم فاعله (قوله لتتأهبوا) اى لتستعدوا وتتهيؤا له وهو علة للنفى لا للمنفى فالمعنى لا أستبد به بل أعلمكم لتتأهبوا (قوله وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدرى الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وانما علمه موكول الى الله والمراد بالعذاب تعذيبه اياهم بحربه فى الدنيا وقوله أو القيامة أى تعذيبهم بالنار (قوله انه يعلم الجهر من القول) أى ما تقولونه جهرا مما لا يليق (قوله والفعل) أشار بذلك الى أن فى الآية اكتفاء (قوله أى ما أعلمتكم به) أى وهو تأخير العذاب عنهم فى الدنيا (قوله اختبار لكم) أى معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للاول الخ) حاصله ان قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه وأما قوله ومتاع الى حين فهو محقق الحصول والاحسن أن يجعل قوله ومتاع خبر المحذوف تقديره وهذا متاع الى حين اى وتأخير عذابكم متاع أى تمتع لكم الى وقت فراغ الاجل والجملة مستأنفة (قوله وفى قراءة قال) أى وهى سبعية أيضا فالاولى أمر والثانية اخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) أى بعجل النصر لى والعذاب لاعدائى (قوله والخندق) المناسب حذفه لانه هو الاحزاب (قوله المستعان) أى الذى تطلب منه الاعانة (قوله على ما تصفون) أى على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص فقد أمر رسول الله بتفويض الامر الى الله والصبر على المشاق تعليما للامة حسن الالتجاء الى ربهم

﴿سورة الحج مكية﴾

سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله الا ومن الناس الخ) هذا أحد قولين فى المدنى منها (قوله أو الا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أى وتنتهى الى صراط الحميد لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين وقيل ان السورة كلها مدنية وقيل الا أربع آيات من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الى قوله عذاب مقيم فهى مكيات والتحقيق أنها مختلطة منها مكى ومنها مدنى وهى من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا وسفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) أى انها سبعون آية جزما والخلاف فى النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله أى أهل مكة) اما برفع أهل على ان أى حرف تفسير وأهل تفسير للناس أو نصبه على ان أى حرف نداء وأهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع أو النصب وأشار بذلك الى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بأن تطيعوه) أى بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (قوله ان زلزلة الساعة الخ) تعليل للامر بالتقوى والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف فان من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج قال تعالى ان المتقين فى مقام أمين واضافة زلزلة للساعة من اضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الارض واسناد الزلزلة للساعة مجاز عقلى لانها مقدمتها ومن علاماتها الكبرى لما روى فى حديث الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج أو كالمنديل المعلق تحركه الرياح (قوله أى الحركة الشديدة) أى وتكون تلك الحركة فى نصف رمضان (قوله التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك الى أن تلك الزلزلة تكون فى الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها ويقوى هذا القول قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت الآية والرضاع والحمل انما هو فى الدنيا وقيل تكون مع النفخة الاولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تذهل

يجادل فى الله بغير علم) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وأنكروا البعث واحياء من صار ترابا (ويتبع) فى جداله (كل شيطان مريد) أى متمرد (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه من تولاه) أى اتبعه (فأنه يضله ويهديه) يدعوه (الى عذاب السعير) أى النار (يا أيها الناس) أى أهل (مكة ان كنتم فى ريب) شك (من البعث فانا خلقناكم) أى أصلكم آدم (من تراب ثم) خلقنا ذريته (من نطفة) منى (ثم من علقة) وهى الدم الجامد (ثم من مضغة) وهى لحمة قدر ما يمضغ (مخلقة) مصورة تامة الخلق (وغير مخلقة) أى غير تامة الخلق (لنبين لكم) كمال قدرتنا لتستدلوا بها فى ابتداء الخلق على اعادته (ونقر) مستأنف (فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى) وقت خروجه (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) بمعنى أطفالا (ثم) نعمركم (لتبلغوا أشدكم) أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين سنة (ومنكم من يتوفى) يموت قبل بلوغ الاشد (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم من

كل مرضعة مبالغة أى ان الزلزلة من شدة هولها وعظم شأنها أن تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للارضاع (قوله عما أرضعت) يصح أن تكون ما مصدرية أى عن ارضاعها ويصح أن تكون موصولة أى عن الذى أرضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الاحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأهما عليهم فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل فى الله) أى فى قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وأنكروا البعث) أى حيث قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (قوله مريد) أى عات والمراد ما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وهو الاقرب لقوله فى الآية الاخرى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للمفعول وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب الفاعل (قوله من تولاه) اما شرطية والفاء واقعة فى جوابها أو موصولة والفاء زائدة فى الخبر لشبه المبتدا بالشرط (قوله يدعوه) أى وسمى الدعاء هداية تهكما بهم (قوله أى النار) أشار بذلك الى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة المسماة بذلك (قوله يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى البعث ذكر دليلين على ذلك الاول فى نفس الانسان وابتداء خلقه والثانى فى الارض وما يخرج منها فاذا تأمل الانسان فيهما اثبت عنده البعث وانه واقع لا محالة (قوله ثم من علقة) أى بأن تصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى فى سورة المؤمنون ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة لما ورد أن النطفة اذا وقعت فى الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث أربعين يوما ثم تصير دما فى الرحم فذلك جمعها وهو وقت جعلها علقة واتفقوا على أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك أربعة أشهر (قوله تامة الخلق) أى تامة التصوير بأن خلق الرأس واليدان والرجلان (قوله أى غير تامة الخلق) أى غير تامة التصوير بأن لم يخلق فيها شئ من ذلك (قوله كمال قدرتنا) قدره اشارة الى أن مفعول نبين محذوف (قوله ونقر فى الارحام ما نشاء) أى فلا تسقطه الرحم (قوله الى أجل مسمى) أى معين لاخراجه فتارة يخرج لستة أشهر وتارة لاكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وأفرده لانه مصدر فى الاصل أو لانه يراد به الجنس أو لان المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف أى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال الى البلوغ (قوله الى أرذل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والخرف) بفتحتين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بيرد أى لكيلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا لعوده كهيئته الاولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أى فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء وأما هم فلا يردون الى الارذل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما هو مشاهد (قوله وترى الارض هامدة) هذا هو الدليل الثانى على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أى فرأى العين

بعد علم شيئا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (وترى الارض هامدة) يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت (وربت) ارتفعت وزادت (وأنبتت من) زائدة (كل زوج) صنف (بهيج) حسن (ذلك) المذكور من بدء خلق الانسان الى آخر احياء الارض

العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أي هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا الموجد للاشياء على طبق علمه وارادته (قوله وان الساعة آتية) توكيد لقوله وأنه يحيي الموتى وكذا قوله وأن الله يبعث من في القبور (قوله ونزل في أبي جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بأبي الحكم (قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الاول والمعنى ان الكفار تنوعوا في كفرهم فبعضهم كان يقلد غيره في الكفر وقد دلت الآية الاولى على هذا القسم وبعضهم كان قدوة يقتدي به غيره في الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه وبعضهم كان يدخل الاسلام باللسان وفي قلبه الريب والشك وهو الآتي في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وحينئذ فليس في الآية تكرار (قوله بغير علم) أي معرفة وقوله ولا هدى أي استدلال وقوله ولا كتاب أي وحي والمعنى انه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثاني عطفه) أي لاوي جنبه والمراد منه الاعراض عن الحق لان شأن من أعرض عن شيء لوى جنبه عنه فشبه عدم التمسك بالحق بلي الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الاعراض في كل على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والعامة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كأنه قال تاركا تعطفه أي رحمته وتمسك بالقسوة (قوله أي لاوي عنقه) الاوضح أن يقول جنبه لان العطف بالكسر الجانب الا أن يقال يلزم من لي الجانب لي العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أي فهو فعل لازم والمعنى ليحصل له الضلال في نفسه وقوله وضمها أي فهو متعد والمعنى ليوقع غيره في الضلال وهما قراءتان سبعيتان واللام للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) في بعض النسخ زيادة ثقيل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شر أهر ذا ناب (قوله عذاب الحريق) من اضافة الموصوف لصفته أي العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أي من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب (قوله ذلك) أي ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليدين بالذكر مع ان الفاعل هو الشخص ذاته (قوله يزاول) أي تعالج (قوله وأن الله) عطف على قدمت (قوله أي بذي ظلم) أي فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك ما يقال ان نفي الكثرة يستدعي ثبوت أصل الظلم مع انه مستحيل لان الظلم التصرف في ملك الغير بغير اذنه ولا ملك لاحد معه لان حكمه في ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يسئل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى وانما يرضى ويسلم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أي وسماه ظلما لانه وعد الطائع بالجنة ووعده لا يتخلف لكن لو فرض لم يكن ظلما (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت في المنافقين وأعراب البوادي كان أحدهم اذا قدم المدينة فصح فيها جسمه ونتجت به فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أي متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك في شيء (قوله أي شك في عبادته) أي ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته) أشار بذلك الى أن في الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الاسلام من غير اعتقاد وصحة قصد بحال الجالس على طرف جبل تحته مهاوي بجامع التزلزل وعدم الثبات في كل (قوله اطمأن به) أي رضي به وسكن اليه (قوله فتنة) المراد بها هنا كل مكروه للطبع وثقيل على النفس ولم يقل وان أصابه شر ليقع في مقابلة الخير لان ما ينفر عنه الطبع ليس شرا في نفسه بل قد يكون خيرا اذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) أي ارتد للحالة التي كان عليها أولا من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بفوات ما أمله) أي وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه (قوله ذلك هو الخسران المبين) أي الذي لا خسران مثله لفوات حظه من الدنيا والآخرة

(بأن) بسبب أن (الله هو الحق) الثابت الدائم (وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب) شك (فيها وأن الله يبعث من في القبور) ونزل في أبي جهل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى) معه (ولا كتاب منير) له نور معه (ثاني عطفه) حال أي لاوي عنقه تكبرا عن الايمان والعطف الجانب عن يمين أو شمال (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيل الله) أي دينه (له في الدنيا خزي) عذاب فقتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي الاحراق بالنار ويقال له (ذلك بما قدمت يداك) أي قدمته عبر عنه بهما دون غيرهما لان أكثر الافعال تزاول بهما (وأن الله ليس بظلام) أي بذي ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته (فان أصابه خير) صحة وسلامة في نفسه وماله (اطمأن به وان أصابته فتنة) محنة وسقم في نفسه وماله (انقلب على وجهه) أي رجع الى الكفر (خسر الدنيا) بفوات ما أمله منها (والآخرة) بالكفر (ذلك هو الخسران المبين) البين (يدعو) يعبد (من دون الله)

من الصنم (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق (يدعولمن) اللام زائدة (ضره) بعبادته (أقرب من نفعه) ان نفع بتخيله (لبئس المولى) هو أى الناصر (ولبئس العشير) الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب فى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من اكرام من يطيعه واهانة من يعصيه (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى محمدا نبيه (فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) أى سقف بيته يشده فيه وفى عنقه (ليقطع) أى ليختنق به بأن يقطع نفسه من الارض كما فى الصحاح (فلينظر هل يذهبن كيده) فى عدم نصرة النبى (ما يغيظ) ه منها المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها (وكذلك) أى مثل انزالنا الآيات السابقة (أنزلناه) أى القرآن الباقى (آيات بينات) ظاهرات حال (وأن الله يهدى من يريد) هداه معطوف على هاء أنزلناه (ان الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود (والصابئين) طائفة منهم (والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بادخال المؤمنين الجنة وادخال غيرهم النار (ان الله على كل شئ) من عملهم (شهيد) عالم به علم مشاهدة (ألم تر) تعلم (أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) أى يخضع له بما يراد منه

(قوله من الصنم) لا مفهوم له بل مثله كل مخلوق والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تقال أيضا لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق معتمدا على ذلك المخلوق وأما الالتجاء للمخلوق من حيث انه مهبط الرحمات كمواصلة آل البيت والاولياء والصالحين فهو مطلوب وهو فى الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك ان الله تعالى أمرنا بالجلوس فى المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها وما ذاك الا للتعرض للرحمة النازلة فى تلك الاماكن والازمان فلا فرق بين الاشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمات لا منشؤها تأمل (قوله اللام زائدة) أى ومن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من ان قلت انه أثبت الضر والنفع هنا ونفاهما فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض أجيب بأن النفى باعتبار ما فى نفس الامر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره اشارة الى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله وعقب ذكر الشاك بالخسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء للملابسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب والمعنى لما ذكر الشاك فى الدين حال كونه ملتبسا بالخسران ذكر عقبه المؤمنين وما أعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) أى وهى ما أمر بها المكلف أمرا جازما يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هى ما أمر بها الشخص أمرا غير جازم يترتب على فعلها الثواب وليس فى تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها (قوله ان الله يفعل ما يريد) أى فلا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل (قوله من كان يظن أن لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وأما قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجرى عادة الله بذكر أهل الوعد اثر أهل الوعيد والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكين فى دينهم ان الله لا ينصر محمدا فى الدنيا والآخرة فليأت بحبل يشده فى سقف بيته وفى عنقه ثم يختنق به حتى يموت فلينظر هل فعله هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد فالاتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظا فيكون بمعنى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم وهذا هو المشهور فى تفسير الآية ولذا مشى عليه المفسر وقيل ان المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثم ليقطع النصر عنه و ينظر هل يذهب ما احتال به غيظه ان أمكنه ذلك (قوله بأن يقطع نفسه) بالتحريك وهو اشارة الى أن مفعول يقطع محذوف (قوله كما فى الصحاح) راجع لجميع ما ذكر من قوله بحبل الى السماء الخ والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب فى اللغة للامام أبى النصر اسمعيل بن حماد الجوهرى (قوله ما يغيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف و يغيظ صلته والعائد محذوف والتقدير الشئ الذى يغيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرة النبى (قوله حال) أى من الهاء فى أنزلناه (قوله على هاء أنزلناه) أى فالمعنى وأنزلنا أن الله يهدى من يريد أى و يضل من يريد فى الآية اكتفاء (قوله ان الذين آمنوا الخ) أى فالاديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس و يقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والاصل نجوس أبدلت النون ميما (قوله طائفة منهم) أى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله ان الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله ان الله يفصل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك الى أن الشهيد معناه الذى لا يغيب عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ونص عليها لما ورد ان بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الارض وخصها بالذكر لان بعضهم كان يعبدها (قوله أى تخضع له) أشار بذلك الى أن المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين وقيل المراد بالسجود

حقيقته

حقيقته لانه ورد ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له وقال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر الى أنه معطوف على فاعل يسجد (قوله يشقه) أى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله ان الله يفعل ما يشاء) أى فلا حرج عليه ولا منازع له في حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الاشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر وقيل نزلت في المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسدا * واختلف هل هذا الخصام في الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو في الآخرة بدليل التعقيب ولذا قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدى الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) أى لانه مصدر في الاصل والغالب استعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم ويثنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الاشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قوله أى في دينه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) أى قدرت على قدر جثتهم ففي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه اعداد النار واحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لابدانهم وجمع الثياب لان تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم) لما ذكر ان الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذى يذيب ما في البطون من الاحشاء لما في الحديث ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (قوله وتشوى به الجلود) أشار بذلك الى أن الجلود مرفوع بفعل مقدر لان الجلود لا تذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح أن يكون معطوفا على ما ويراد بالاذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) أى من أجل حصوله لهم (قوله أعيدوا فيها) أى لما ورد أن جهنم تفور بهم فيصعدون الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (قوله وقيل لهم) أى تقول لهم الملائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من اضافة الموصوف للصفة أى العذاب المحرق (قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الخ) لم يقل في حقهم والذين آمنوا عطفا على قوله فالذين كفروا اشارة لتعظيم شأن المؤمنين (قوله الانهار) جمع نهر والمعنى تجرى من تحت قصورهم (قوله من أساور) من اما زائدة أو للتبعيض أو لبيان الجنس وقوله من ذهب من لابتداء الغاية (قوله بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والاصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل انهم يلبسون الاساور من النوعين الذهب واللؤلؤ وفي آية هل أتى وحلوا أساور من فضة فهم يلبسونها من الانواع الثلاثة لما ورد ان المؤمن يسور في الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وفي الحديث تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (قوله ولباسهم فيها حرير) غاير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا اشارة الى أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة فان العدول الى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا) أى يوصلهم الله في الآخرة الى ما حرمه عليهم في الدنيا قال عليه الصلاة والسلام من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة واختلف في معنى الحديث فقيل لم يلبسه في الآخرة اذا مات مصرا ودخل النار فلا ينافي أنه اذا

(وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (ومن يهن الله) يشقه (فما له من مكرم) مسعد (ان الله يفعل ما يشاء) من الاهانة والاكرام (هذان خصمان) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اختصموا في ربهم) أى في دينه (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) يلبسونها يعني أحيطت بهم النار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) الماء البالغ نهاية الحرارة (يصهر) يذاب (به ما في بطونهم) من شحوم وغيرها (و) تشوى به (الجلود ولهم مقامع من حديد) لضرب رؤسهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى النار (من غم) يلحقهم بها (أعيدوا فيها) ردوا اليها بالمقامع (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى البالغ نهاية الاحراق وقال في المؤمنين (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ) بالجر أى منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب وبالنصب عطفا على محل من أساور (ولباسهم فيها حرير) وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا (وهدوا) في الدنيا (الى الطيب من القول)

دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه أصلا ولو دخل الجنة بل يتنعم بغير الحرير وأما هو فلا يشتهيه فيها والمعتمد
الاول وكذا يقال في الاحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا اله الا الله) أي
مع عديلتها وهي محمد رسول الله فهي أفضل القول لما في الحديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي
لا اله الا الله فهي رأس المال لذا كرها لا يقبل شئ من الاعمال الا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة
والسيادة نسأل الله تعالى الثبات عليها في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله الى صراط الحميد) أي وهو
دين الاسلام وسمي صراطا لانه طريق يوصل الى رضا الله تعالى (قوله أي طريق الله المحمودة) أشار
بذلك الى أن الحميد وصف لله تعالى ومعناه المحمود في أفعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه
عطف المستقبل على الماضي وحينئذ فاما أن يراد بالماضي المضارع أو يجرد المضارع عن معناه بأن
يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الاحسن ولا يصح جعل جملة ويصدون حالا لان
الجملة المضارعية المثبتة اذا وقعت حالا لا تقترن بالواو وقال ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت * حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لان الاصل عدمها وخبر ان محذوف يقدر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذقه من
عذاب أليم والتقدير نذيقهم من عذاب أليم كما سيأتي في المفسر (قوله منسكا) قدره اشارة الى أن
مفعول جعلنا الثاني محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف لغو اما متعلق بمنسكا
الذي قدره المفسر أو بجعلنا وهذا التقدير أراحنا ولا يضاح المعنى والافصح جعل جملة سواء العاكف
فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم
والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية
لسواء لانه مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره وجعلناه مستويا فيه العاكف الخ
والمعنى ان المقيم في المسجد والطارئ سواء في النزول به فمن سبق الى مكان فيه فهو حقه لا يقيمه منه غيره
وليس المراد ان دور مكة غير مملوكة لاربابها فالغريب وأهل البلد سواء فيها بل هي مملوكة لاربابها
ويجوز بيعها واجارتها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا وحذفها فيهما وحذفها وقفا واثباتها
وصلا ثلاث قراآت سبعيات وقوله الطارئ دفع به ما يتوهم من قوله البادي ان المراد به ساكن البادية
بل المراد به الطارئ كان من البادية أولا وانما سمي الطارئ باديا لانه لا يأتي اليها الا من البادية (قوله
ومن يرد فيه) أي يقصد في المسجد الحرام (قوله بالحاد) أي عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة)
أي في المفعول (قوله نذقه من عذاب أليم) أي في الآخرة الا أن يتوب وأخذ منه ان السيئة في مكة
أعظم من السيئة في غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة في مكة لغير أهلها ونديها بالمدينة (قوله ومن
هنا) أي جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر ان) أي ويكون مقدرا بعد قوله والبادي (قوله واذكر)
قدره اشارة الى أن قوله بوأنا ظرف لمحذوف (قوله بينا لابراهيم مكان البيت) أي أريناه أصله ليبنيه
حين أسكن ولده اسمعيل وأمه هاجر في تلك الارض وأنعم الله عليهما بزمزم فدعا الله بعمارة هذا
البيت فبعث الله له ريحا هفافة فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعده عليه لان أساسه في الارض
كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت
وفيه رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على دوري فبنى عليه وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعه
وأدخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيه ما يهدى للبيت وبناه
قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة ثم بعد ابراهيم بناها العمالقة ثم جرهم ثم قصي ثم
قريش ثم الزبير ثم الحجاج وهي باقية الآن على بنائه ثم يهدمها في آخر الزمان ذو السويقتين
فيجددها عيسى بن مريم عليه السلام (قوله وأمرناه) قدره اشارة الى أن قوله أن لا تشرك معمول
لمحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الاوثان) قيل المراد بها الاصنام لان جرهما

وهو لا اله الا الله (وهدوا الى صراط الحميد) أي طريق الله المحمودة ودينه (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) طاعته (و) عن (المسجد الحرام الذي جعلناه) منسكا ومتعبدا (للناس سواء العاكف) المقيم (فيه والباد) الطارئ (ومن يرد فيه بالحاد) الباء زائدة (بظلم) أي بسببه بأن ارتكب منهيا ولو شتم الخادم (نذقه من عذاب أليم) مؤلم أي بعضه ومن هذا يؤخذ خبر ان أي نذيقهم من عذاب أليم (و) اذكر (اذ بوأنا) بينا (لابراهيم مكان البيت) ليبنيه وكان قد رفع زمن الطوفان وأمرناه (أن لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي) من الاوثان (للطائفين والقائمين) المقيمين به (والركع السجود) جمع راكع وساجد المصلين

(وأذن) ناد (في الناس بالحج) فنادى على جبل أبي قبيس يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك وجواب الامر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (و) ركبانا (على كل ضامر) أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والانثى (يأتين) أي الضوامر حملا على المعنى (من كل فج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) أي يحضروا (منافع لهم) في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما أقوال (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر الى آخر أيام التشريق أقوال (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الابل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكلوا منها) اذا كانت مستحبة (وأطعموا البائس الفقير) أي الشديد الفقر (ثم ليقضوا تفثهم) أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وليوفوا) بالتخفيف والتشديد (نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) طواف الافاضة (بالبيت العتيق) أي القديم لانه أول بيت وضع للناس (ذلك) خبر مبتدا مقدر أي الامر أو الشأن ذلك المذكور (ومن يعظم حرمات الله) هي ما لا يحل انتهاكه (فهو) أي تعظيمها (خير له عند ربه) في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أكلا بعد الذبح (الا ما يتلى عليكم) تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية

والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت قبل أن يبنيه ابراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن اظهار التوحيد ويصح أن يكون المراد طهره من الاقذار والانجاس والدماء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن في الناس بالحج) اى بالدعاء اليه والامر به (قوله على جبل أبي قبيس) اى فلما صعد للنداء خفضت الجبال رؤسها ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فأول من اجابه اهل اليمن فليس حاج من يومئذ الى يوم تقوم الساعة الا من اجاب ابراهيم عليه السلام يومئذ فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى اكثر حج بقدر تلبيته (قوله لبيك اللهم لبيك) اى أجبتك اجابة بعد اجابة (قوله يأتوك) اى يأتوا مكانك لان المقصود اتيان البيت لا اتيان ابراهيم وقوله رجالا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على أن راكب البحر لا يجب عليه الحج لان مكة ليست على البحر وانما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين (قوله وعلى كل ضامر) التضمير في الاصل ان تعلف الفرس حتى تسمن ثم تقلل عنه الاكل شيأ فشيأ حتى يصل الى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجري وقدم الراجل لما ورد ان له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كل حسنة مائة ألف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة وأخذ الشافعي من هذا الحديث أن المشي أفضل من الركوب وقال مالك الركوب أفضل لانه أقرب للشكر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان المشي أفضل لفعله رسول الله وأجاب عن الحديث بأنه مزية وهي لا تقتضي الافضلية (قوله حملا على المعنى) اى حيث ألحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال يأتي (قوله بالتجارة) أي لانها جائزة للحاج من غير كراهة اذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) أي عند اعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذي الحجة) اى وسميت معلومات لحرص الحجاج على علمها لان وقت الحج في آخرها (قوله الى آخر أيام التشريق) راجع للقولين قبله (قوله على ما رزقهم) اى لاجل ما رزقهم (قوله فكلوا منها) أمر اباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الاكل من لحوم هداياهم فامر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا جاز الاكل منه واختلفوا في الهدى الواجب فقال الشافعي لا يأكل منه وقال مالك يأكل من كل هدى وجب الا من جزاء الصيد وفدية الاذى والنذر اذا قصد به المساكين وقال أصحاب أبي حنيفة يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما (قوله ثم ليقضوا تفثهم) أي بعد تمام حجهم وتحللهم لان الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمي فالنحر فالحلق فطواف الافاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شئ كان محرما عليه قبل الاحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لانه أول بيت وضع) وقيل سمي عتيقا لان الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه ومن الغرق لانه رفع أيام الطوفان (قوله أي الامر أو الشأن ذلك) أشار بذلك الى أن قوله ذلك خبر لمحذوف وهذا على عادة الفصحاء اذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض في كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد (قوله هي ما لا يحل انتهاكه) أي وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمه في الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفي المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدي لذلك (قوله خير له عند ربه) أي قربة وطاعة يثاب عليها في الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق من ان من أطلق نفسه في الشهوات فقد أصاب حظه فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله الانعام) اى الابل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) اى او النحر او العقر (قوله الا ما يتلى عليكم) اى الا مدلول الآية التي تتلى

فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) من للبيان أى الذى هو الاوثان (واجتنبوا قول الزور) أى الشرك بالله فى تلبيتهم أو شهادة الزور (حنفاء لله) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء فتخطفه الطير) أى تأخذه بسرعة (أو تهوى به الريح) أى تسقطه (فى مكان سحيق) بعيد أى فهو لا يرجى خلاصه (ذلك) يقدر قبله الأمر مبتدأ (ومن يعظم شعائر الله فإنها) أى فإن تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن (من تقوى القلوب) منهم وسميت شعائر لاشعارها بما تعرف به أنها هدى كطعن حديدة بسنامها (لكم فيها منافع) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (إلى أجل مسمى) وقت نحرها (ثم محلها) أى مكان حل نحرها (إلى البيت العتيق) أى عنده والمراد الحرم جميعه (ولكل أمة) أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أى ذبحا قربانا أو مكانه (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) عند ذبحها (فإلهكم إله واحد فله أسلموا) انقادوا (وبشر المخبتين) المطيعين المتواضعين (الذين إذا ذكر الله وجلت) خافت (قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من البلايا (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة وهى الإبل (جعلناها لكم من شعائر الله) أعلام دينه (لكم فيها خير) نفع فى الدنيا من
كما تقدم وأجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى (فإذا وجبت جنوبها) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فكلوا منها) إن شئتم (وأطعموا القانع) الذى يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض (والمعتر) السائل أو المتعرض (كذلك)

عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) أى ووجهه ان فى الآية ما ليس من جنس الانعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز أن يكون متصلا) أى ووجهه العموم فى قوله الانعام لان ظاهره حل الانعام مطلقا ولو منخنقة وموقوذة ومتردية فأفاد ان الحلال ما عدا ما فى الآية (قوله فاجتنبوا الرجس) هو فى الاصل القذر والاوساخ وعبادة الاوثان قذر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لان عبادة الاوثان رأس الزور (قوله أى الشرك بالله فى تلبيتهم) أى فانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك (قوله أو شهادة الزور) اى الشهادة بما لا يعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى مخلصين له (قوله حالان من الواو) أى فى اجتنبوا لكن الاولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والمعنى انه شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى انه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لا محالة اما بخطف الطير لحمه أو تفرقه الرياح لأجزائه فى أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الامر مبتدأ) أى واسم الاشارة خبر نظير ما تقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة (قوله وهى البدن) فسرها بذلك وان كانت الشعائر فى الاصل أعلام الحج وأفعاله مراعاة للسياق (قوله بأن تستحسن) أى تختار حسنة بأن تكون غالية الثمن لما روى أن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) أى من امتثال الاوامر واجتناب النواهى وقوله منهم قدره اشارة الى أن العائد محذوف (قوله بما تعرف به) أى بعلامة يعرف بها أنها هدى (قوله كطعن حديدة بسنامها) اى وشق الجلال واخراج السنام من الشق وكتعليق النعال فى رقبتها (قوله كركوبها والحمل عليها) اى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله أى عنده) اشار بذلك الى ان الى بمعنى عند (قوله والمراد الحرم جميعه) أى لا خصوص الكعبة (قوله أى ذبحا قربانا) مفعول للمصدر الذى هو ذبحا والمعنى أن يذبحوا القربان وقيل معنى منسكا نوعا من التعبد والتقرب (قوله ليذكروا اسم الله) معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الانعام) أى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) أى خضعوا وفوضوا امورهم اليه ورضوا باحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لان الاخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض (قوله الذين اذا ذكر الله) اى بان سمعوا الذكر من غيرهم او ذكروا بانفسهم (قوله من البلايا) اى المحن بان لا يجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) أى صدقة التطوع ويعلم منه انهم يخرجون الزكاة الواجبة بالاولى (قوله وهى الابل) أى فالبدن عند الشافعى خاصة بالابل وقال أبو حنيفة البدن الابل والبقر وعلى كل حال فالبقر من شعائر الله أيضا (قوله لكم فيها خير) الجملة اما حالية او مستأنفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) أى بان تقولوا عند ذبحها بسم الله والله اكبر اللهم ان هذا منك واليك (قوله قائمة) المناسب أن يقول قائمات (قوله فاذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع ان البعير اذا سقط عند النحر انما يسقط على احد جنبيه لان ذلك الجمع فى مقابلة جمع البدن (قوله سقطت الى الارض) اى فالوجوب السقوط يقال وجبت الشمس اى سقطت (قوله فكلوا منها) اى ان كانت مستحبة باتفاق وكذا ان كانت واجبة عند مالك الا فى جزاء الصيد وفدية الاذى والنذر اذا قصد به المساكين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعى (قوله وأطعموا القانع) اى المستغنى بما اعطيه المتعفف عما فى ايدى الناس الذى لا التفات له اليهم الذى قال الله فى حق من اتصف بصفته يحسبهم الجاهل اغنياء

أي مثل ذلك التسخير (سخرناها لكم) بان تنحر وتركب والالم تطق (لعلكم تشكرون) انعامي عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) أي لا يرفعان اليه (ولكن يناله التقوى منكم) أي يرفع اليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وبشر المحسنين) أي الموحدين (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) غوائل المشركين (ان الله لا يحب كل خوان) في أمانته (كفور) لنعمته وهم المشركون المعنى أنه يعاقبهم (أذن للذين يقاتلون) أي للمؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد (بانهم) أي بسبب انهم (ظلموا) بظلم الكافرين اياهم (وان الله على نصرهم لقدير) هم (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) في الاخراج ما أخرجوا (الا أن يقولوا) أي بقولهم (ربنا الله) وحده وهذا القول حق فالاخراج به اخراج بغير حق (ولولا دفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (ببعض لهدمت) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صوامع)

من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

أمت مطامعي فأرحت نفسي * فان النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكان ميتا * ففي احيائه عرضي مصون

اذا طمع يحل بقلب شخص * علته مهانة وعلاه هون

(قوله أي مثل ذلك التسخير) أي المفهوم من قوله صواف (قوله والا لم تطق) أي والا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضميخها بالدم تقربا الى الله تعالى (قوله أي لا يرفعان اليه) أي وانما يرفع اليه العمل الصالح ومنها التصدق (قوله لتكبروا الله على ما هداكم) أي بان تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (قوله وبشر المحسنين) أي برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ان الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه وذكر ان الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كان قائلا يقول بأي شئ تتمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع فانزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وانهم يتمكنون من المسجد الحرام ويدفع عنهم أعداءهم وهذه الآية وان كان سبب نزولها ما ذكر الا ان العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون ما لهم العز والنصر والفوز الاكبر وان امتحنوا ببلاء أو غيره فذلك لتكفير سيآتهم ورفع درجاتهم فهم بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره اشارة الى أن المفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهي ما يصيب الانسان من المكروه (قوله في أمانته) مفرد مضاف أي أماناته وهي الاوامر والنواهي (قوله وهم المشركون) أي لانهم خائنون كافرون في كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار اثر وعد المؤمنين لان شأن الخائن يجازى على خيانته بالخزي والعقاب (قوله أذن للذين يقاتلون) أي يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله أن يقاتلوا وفي قراءة سبعية أيضا يقاتلون بالبناء للمفعول (قوله وهذه أول آية نزلت في الجهاد) أي بعد أن نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيف وسبعين آية وذلك ان مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وان الله على نصرهم لقدير) جملة مستأنفة سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية (قوله هم الذين) قدر المفسر الضمير اشارة الى أن الموصول خبر لمحذوف وهو أحد أوجه في اعرابه ويصح أن يكون نعتا أو بيانا أو بدلا من الذين الاول أو منصوبا على المدح (قوله الا أن يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره المفسر بقوله ما أخرجوا وهو متصل والمعنى لم يكن لهم سبب في اخراجهم الا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين ان قلت ان سبب خروجهم أمر الله لنبيه أجيب بان سبب الخروج باطنا أمر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب المشركين عليهم ولا يصح استثناؤه من المذكور لانه يصير المعنى الذين أخرجوا من ديارهم الا أن يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود واضافة دفع لما بعده من اضافة المصدر لفاعله وقوله بعضهم أي الكافرين وقوله ببعض أي المؤمنين والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن نبينا المساجد وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطل كل دين يخالف دينه قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين والمعنى لولا عز الاسلام وقوة شوكته ما عبد الله في أي زمن (قوله بالتشديد للتكثير) أي باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهي

للرهبان (وبيع) كنائس النصارى (وصلوات) كنائس لليهود بالعبرانية (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أى فى المواضع المذكورة (اسم الله كثيرا) وتنقطع العبادات بخرابها (ولينصرن الله من ينصره) أى ينصر دينه (ان الله لقوى) على خلقه (عزيز) منيع فى سلطانه وقدرته (الذين ان مكناهم فى الارض) بنصرهم على عدوهم (أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ (ولله عاقبة الامور) أى اليه مرجعها فى الآخرة (وان يكذبوك) الى آخره فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فقد كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين) قوم شعيب (وكذب موسى) كذبه القبط لاقومه بنو اسرائيل أى كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فأمليت للكافرين) أمهلتهم بتأخير العقاب لهم (ثم أخذتهم) بالعذاب (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بتكذيبهم باهلاكهم والاستفهام للتقرير أى هو واقع موقعه (فكأين) أى كم (من قرية أهلكتها) وفى قراءة أهلكناها (وهى ظالمة) أى أهلها بكفرهم (فهى خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوفها (و) كم من (بئر معطلة) متروكة بموت أهلها (وقصر مشيد) رفيع خال بموت أهله

(أفلم يسيروا) أى كفار مكة (فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما نزل بالمكذبين قبلهم (أو آذان ونظرت
يسمعون بها) اخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أى القصة (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) تأكيد

المحل المرتفع البناء فى الاماكن الخلية (قوله للرهبان) أى وقيل للصابئين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنائس بذلك لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر ومعناه فى لغتهم المصلى (قوله أى ينصر دينه) أى وأولياءه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائه ومعنى نصير العبد لربه هو تجلدهم بالقتال لاعداء الله أو بايضاح الادلة والحجج على أعداء الله كالعلماء (قوله منيع فى سلطانه) المناسب أن يقول غالب على أمره وقد أنجز الله وعده بأن أذل الكفار وأعز المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم (قوله الذين ان مكناهم فى الارض الخ) يجوز فى هذا الموصول ما جاز فى الذى قبله (قوله جواب الشرط) أى قوله أقاموا وما عطف عليه (قوله وهو وجوابه) أى الشرط وفعله وجوابه (قوله صلة الموصول) أى لا محل لها من الاعراب (قوله ويقدر قبله الخ) أى على أحد الاحتمالات المتقدمة وهو اخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والانصار رضى الله عنهم (قوله ولله عاقبة الامور) أى آخر أمور الخلق مصيرها اليه فيجازى كل شخص بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وان يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وعدم الايمان بك والضمير عائد على أهل مكة والمعنى لا تحزن وتسل فلست بأول من كذبه قومه (قوله باعتبار المعنى) أى وهو الامة والقبيلة (قوله وعاد وثمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارهما بهذين الاسمين (قوله وأصحاب مدين) خصهم بالذكر وان كان شعيب أرسل الى أصحاب الايكة وكذبوه أيضا لانهم سابقون عليهم فى التكذيب له فخصوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب (قوله كذبه القبط لا قومه) أشار بذلك الى وجه بناء الفعل فى هذا الاخير للمفعول والقبط بوزن القسط أهل مصر (قوله فأمليت للكافرين) وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التشنيع عليهم (قوله أى انكارى عليهم) أشار بذلك الى أن نكير مصدر بمعنى الانكار (قوله باهلاكهم) أى بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) أى والمعنى فليقر المخاطبون بان اهلاكى لهؤلاء كان واقعا موقعه وفى الحقيقة هو مضمن معنى التعجب والمعنى ما أشد ما كان انكارى عليهم (قوله فكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز وقوله أهلكتها خبره وقوله وهى ظالمة الجملة حالية والمعنى عدد كثير من القرى أهلكتها والحال انها ظالمة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فهى خاوية على عروشها) أى تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وبئر معطلة) قدر المفسر كم والجار اشارة الى أنه معطوف على قرية والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها وقيل ان البئر واحدة معهودة وهى التى نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت وسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم والمتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أغفلوا فلم يسيروا وفيه تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا وهم وان كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على قوله يسيروا المنفى فهو منفى أيضا (قوله ما نزل بالمكذبين) مفعول يعقلون (قوله أى القصة) أى وما بعده تفسير له (قوله لا تعمى الابصار الخ) أى فالخلل ليس فى حواسهم الظاهرية وانما هو فى قلوبهم وترتب على ذلك انهما كهم فى الشهوات وعدم اذعانهم للحق لان عمى القلب هو الضار فى الدين لما فى الحديث ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب (قوله تأكيد) أى قوله التى فى الصدور تأكيد للقلوب لان من المعلوم ان القلوب حالة فى الصدور ومنه قولهم سمعت بأذنى

(ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) بانزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كألف سنة مما تعدون) بالتاء والياء في الدنيا (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها) المراد أهلها (والي المصير) المرجع (قل ياأيها الناس) أي أهل مكة (انما أنا لكم نذير مبين) بين الانذار وانا بشير للمؤمنين (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) القرآن بابطالها (معجزين) من اتبع النبي أي ينسبونهم الى العجز ويثبطونهم عن الايمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بانكارهم البعث والعقاب (أولئك أصحاب الجحيم) النار (وما ارسلنا من قبلك من رسول) هو نبي امر بالتبليغ (ولا نبي) اي لم يؤمر بالتبليغ (الا اذا تمنى) قرأ (ألقى الشيطان في امنيته) قراءته ماليس من القرآن مما يرضاه المرسل اليهم وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى بالقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم اخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية ليطمئن (فينسخ الله) يبطل (ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) يثبتها (والله عليم) بالقاء الشيطان ما ذكر (حكيم) في تمكينه منه يفعل ما يشاء

ونظرت بعيني (قوله ويستعجلونك بالعذاب) أي يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون أين ما توعدتنا به مع كوننا كذبناك كما كذبت الامم الماضية رسلهم (قوله ولن يخلف الله وعده) تضمن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا وتضمن قوله وان يوما عند ربك الخ عذابهم في الآخرة فهم يعذبون مرتين في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فأنجزه يوم بدر) أي فقتل منهم سبعون وأسر سبعون من صناديدهم (قوله كألف سنة) اقتصر على الالف لانه منتهى العدد بلا تكرار وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وكأين من قرية) أتى هنا بالواو لمناسبة ماقبلها في قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما الخ بخلاف الاولى فأتى بالفاء لمناسبة ماقبلها في قوله فكيف كان نكير فأتى في كل بما يناسبه (قوله قل ياأيها الناس) أي الموصوفون باستعجال العذاب وقد جرت عادة الله في كتابه انه يخاطب المؤمنين بيا أيها الذين آمنوا وكفار مكة بيا أيها الناس (قوله وأنا بشير للمؤمنين) قدره اشارة الى أن في الآية اكتفاء بدليل التعميم المذكور بعد (قوله لهم مغفرة) أي من الذنوب الصغائر والكبائر (قوله والذين سعوا) أي اجتهدوا (قوله بابطالها) الباء بمعنى في والمعنى اجتهدوا في ابطالها حيث قالوا في القرآن انه أساطير الاولين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبي) أشار به الى أن مفعول معجزين محذوف (قوله ويثبطونهم) أي يعوقونهم ويشغلونهم (قوله أو مقدرين عجزنا) أي فالمفعول محذوف تقديره الله والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم (قوله وفي قراءة معاجزين) أي وهي سبعية أيضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله أي مسابقين له ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله ومعنى مسابقة الله انزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون أن يفوتونا) أي فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) أي ما لهم لها وهي معدة لهم (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) هذه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من رسول) من زائدة في المفعول أي رسولا (قوله هو نبي أمر بالتبليغ) أي انسان ذكر حر أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه (قوله ولا نبي) عطف على رسول ان قلت ان تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ ينافي قوله أرسلنا أجيب بأن الارسال معناه البعث لنفسه لانه أوحي اليه بشرع يعمل به في نفسه وليس مأمورا بتبليغه للخلق أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه كأن يقال مثلا ولا نبأنا من نبي على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله أي لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا الى أن العطف في الآية مغاير وان كان لفظ النبي أعم (قوله قراءته) انما سميت القراءة أمنية لان القارئ اذا وصل الى آية رحمة تمنى حصولها أو آية عذاب تمنى البعد عنه (قوله ماليس من القرآن) مفعول ألقى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل اليهم) أي وهو الكفار (قوله وقد قرأ النبي) أشار بذلك الى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سورة النجم وذلك كان في رمضان سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة الى الحبشة في رجب من تلك السنة وقدوم المهاجرين الى مكة كان في شوال من تلك السنة (قوله بالقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الغرانيق) معمول قرأ والغرانيق في الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس أو غرنوق كعصفور وكانوا يزعمون أن الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع (قوله ففرحوا بذلك) أي بما سمعوه وقالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) أي يزيل فالنسخ في اللغة معناه الازالة وما ذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهريين قال الرازي أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول أما القرآن فبوجوه أحدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية ثانيها قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الآية ثالثها قوله تعالى وما ينطق

(ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) محنة (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أى المشركين عن قبول الحق (وان الظالمين) الكافرين (لفى شقاق بعيد) خلاف طويل مع النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وليعلم الذين أوتوا العلم) التوحيد والقرآن (أنه) أى القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت) تطمئن (له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط) طريق (مستقيم) أى دين الاسلام (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) شك (منه) أى القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبى ثم أبطل (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أى ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التى لا تأتى بخير أو هو يوم القيامة لا ليل له (الملك يومئذ) أى يوم القيامة (لله) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يحكم بينهم) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم) فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) شديد بسبب كفرهم (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى طاعته من مكة الى المدينة (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) هو رزق الجنة (وان الله لهو خير الرازقين) أفضل المعطين (ليدخلنهم مدخلا) بضم الميم وفتحها أى ادخالا أو موضعا (يرضونه) وهو الجنة (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) عن عقابهم الامر (ذلك) الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلما من المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر المحرم (ثم بغى عليه) منهم أى ظلم باخراجه من منزله (لينصرنه الله ان الله

عن الهوى وأما السنة فمنها ما روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هى من وضع الزنادقة وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فمن أوجه أحدها ان من جوز على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيما للاوثان فقد كفر ثانيها لو كان الالقاء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت عصمته من أول الامر أولى وهو الذى يجب علينا اعتقاده فى كل نبى ثالثها وهو أقوى الاوجه انا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ثم قال الرازى وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قال الخطيب ثم قال وهذا هو الذى يطمئن اليه القلب وان أطنب ابن حجر العسقلانى فى صحتها انتهى ويكون معنى الآية على هذا التحقيق ألقى الشيطان فى أمنيته أى تلاوته شبها وتخيلات فى قلوب الامم بأن يقول لهم الشيطان هذا سحر وكهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى ويحكم الله آياته فى قلوبهم والله عليم بما ألقاه الشيطان فى قلوبهم حكيم فى تسليطه عليهم ليميز المفسد من المصلح (قوله ليجعل ما يلقى الشيطان) متعلق بيحكم أى ثم يحكم الله آياته ليجعل الخ (قوله والقاسية قلوبهم) عطف على الذين أى فتنة للقاسية قلوبهم (قوله حيث جرى على لسانه الخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن فى القرآن (قوله وليعلم) عطف على ليجعل (قوله فيؤمنوا به) أى بالقرآن (قوله أى دين الاسلام) أى وسمى صراطا لانه يوصل لمرضات الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم (قوله ولا يزال الذين كفروا) رجوع لذكر حال الكفار وما هم عليه (قوله أى القرآن) أشار بذلك الى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول أى فى شك فى أمر الرسول من كونه صادقا أولا (قوله بما ألقاه الشيطان على لسان النبى) هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان فى قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم فى الاصل عدم الولادة فشبه اليوم الذى لا خير فيه بامرأة عقيم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو العقم فاثباته تخييل والجامع عدم الثمرة فى كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أى الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله ومعنى كونه لله عدم نسبة شئ فى الملك لاحد سواه فى ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) أى قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أى لا بسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدأ خبره ليرزقنهم وخصهم بالذكر وان كانوا داخلين فى جملة المؤمنين تعظيما لشأنهم (قوله ثم قتلوا) أى فى الحروب وقوله أو ماتوا أى على فراشهم من غير قتل (قوله هو رزق الجنة) أى التنعم فيها (قوله أفضل المعطين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينسب للخلق كما ينسب للخالق الا أن نسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلنهم الخ) اما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقنهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) أى من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين واسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره الامر الذى قصصناه عليك ذلك أى لا تغيير فيه ولا تبديل فهى كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام الى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجئ الشئ بعد غيره وحينئذ فقوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية وأما قوله بمثل ما عوقب به أتى به لمشاكلة الاول للازدواج نظير فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والباء فى بمثل للآلة والباء فى به للسببية (قوله أى قاتلهم) أى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان

أصحاب

(لعفو) عن المؤمنين (غفور) لهم عن قتالهم في الشهر الحرام (ذلك) النصر (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اى يدخل كلا منهما في الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر (وان الله سميع) دعاء المؤمنين (بصير) بهم حيث جعل فيهم الايمان فاجاب دعاءهم (ذلك) النصر ايضا (بأن الله هو الحق) الثابت (وان ما يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه) وهو الاصنام (هو الباطل) الزائل (وان الله هو العلي) اى العالي على كل شئ بقدرته (الكبير) الذي يصغر كل شئ سواه (ألم تر) تعلم (ان الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات وهذا من أثر قدرته (ان الله لطيف) بعباده في اخراج النبات بالماء (خبير) بما في قلوبهم عند تأخير المطر (له ما في السموات وما في الارض) على جهة الملك (وان الله لهو الغني) عن عباده (الحميد) لاوليائه (ألم تر) تعلم (ان الله سخر لكم ما في الارض) من البهائم (والفلك) السفن (تجري في البحر) للركوب والحمل (بأمره) باذنه (ويمسك السماء) من (أن) أولئلا (تقع على الارض الا باذنه) فتهلكوا (ان الله بالناس لرؤف رحيم) في التسخير والامساك (وهو الذي أحياكم) بالانشاء (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (ان الانسان) أى المشرك (لكفور) لنعم الله بتركه توحيده (لكل أمة جعلنا منسكا) بفتح السين وكسرها شريعة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) يراد به لا تنازعهم (في الامر) أى أمر الذبيحة اذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم

أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا وحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم والى هذا يشير المفسر بقوله غفور لهم عن قتالهم في الشهر الحرام وقيل نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله وقيل انها عامة في النبي وأصحابه وذلك ان المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمدا وأصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان (قوله غفور لهم) أى ما فعلوه لانهم فعلوه دفعا عن أنفسهم لا تجريا على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ وبأن الله خبره (قوله بأن يزيد) أى الآخر وقوله ذلك أى الايلاج فهو اشارة الى أن الايلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لان القادر على ادخال كل منهما في الآخر قادر على نصر أحبابه وخذلان أعدائه (قوله وأن الله) بالفتح في قراءة العامة عطف على ان الاولى وقرئ شذوذا بالكسر استئنافا (قوله ذلك بأن الله) مبتدأ وخبر وقوله هو اما مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) أى الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) أى الفاني الذي لا بقاء له (قوله وان الله هو العلي الكبير) نتيجة ما قبله من الاوصاف (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) شروع في ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وما سواه باطل وفي الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذي قبله ففي الادلة الترقي في الاحتجاج والمعرفة فتأمل الاول انزال الماء الناشئ عنه اخضرار الارض الثاني قوله له ما في السموات وما في الارض الثالث تسخير ما في الارض الرابع تسخير الفلك الخامس امساك السماء السادس الاحياء ثم الاماتة ثم الاحياء ثانيا (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الابصار لان الماء وان كان مرئيا الا أن كون الله منزلا له من السماء غير مرئي (قوله مطرا) لا مفهوم له لان النيل وماء الآبار من السماء الا أن يقال اقتصر على المطر لانه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الارض مخضرة) عبر بالمضارع اشارة الى استمرار النفع به بعد نزوله (قوله بما في قلوبهم عند تأخير المطر) أى من التأثر والقنوط (قوله على جهة الملك) اى فلا ملك لاحد معه (قوله سخر لكم ما في الارض) أى ذلل لكم ما فيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والفلك) بالنصب في قراءة العامة عطف على ما في قوله ما في الارض أى وسخر لكم الفلك وأفردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من أن أو لئلا تقع) أشار بذلك الى أن أن تقع اما في محل نصب على المفعول لاجله أى لاجل أن لا تقع أو في محل جر على حذف حرف الجر والتقدير من أن تقع أى من وقوعها (قوله الا باذنه) استثناء مفرغ من معنى قوله ويمسك السماء أن تقع على الارض والتقدير لا يتركها تقع في حال من الاحوال الا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذي أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الاحياء الاول والثاني اما نعمة أو نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) أى للثواب أو العقاب (قوله ان الانسان لكفور) أى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) أى أهل دين فالمراد بالامة من له ملة وشرع (قوله بفتح السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شريعة) اى أحكام دين لكل أمة معينة من الامم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة أخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والامة الموجودون عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم الى يوم القيامة منسكهم القرآن لا غيره وحينئذ فقوله فلا ينازعنك في الامر أى لا ينازعك هؤلاء الامم في أمر دينك زعما منهم ان شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان لمن مضى من الامم قبل بعث

(وادع الى ربك) اي الى دينه (انك لعلى هدى) دين (مستقيم وان جادلوك) في امر الدين (فقل الله اعلم بما تعملون) فيجازيكم عليه وهذا قبل الامر بالقتال (الله يحكم بينكم) ايها المؤمنون والكافرون (يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) بان يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر (ألم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك) اي ما ذكر (في كتاب) هو اللوح المحفوظ (ان ذلك) اي علم ما ذكر (على الله يسير) سهل (ويعبدون) اي المشركون (من دون الله ما لم ينزل به) هو الاصنام (سلطانا) حجة (وما ليس لهم به علم) انها آلهة (وما للظالمين) بالاشراك (من نصير) يمنع عنهم عذاب الله (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) ظاهرات حال (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) اي الانكار لها اي اثره من الكراهة والعبوس (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) اي يقعون فيهم بالبطش (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) اي باكره اليكم من القرآن المتلو عليكم هو (النار وعدها الله الذين كفروا) بان مصيرهم اليها (وبئس المصير) هي (يا ايها الناس) اي اهل مكة (ضرب مثل فاستمعوا له) وهو (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) اي غيره وهم الاصنام (لن يخلقوا ذبابا) اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث (ولو اجتمعوا له) لخلقه (وان يسلبهم الذباب شيا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به (لا يستنقذوه) لا يستردوه (منه) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا امر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضعف الطالب) العابد (والمطلوب) المعبود

محمد ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم اذا علمت ذلك فقول المفسر فلا ينازعنك في الامر اي امر الذبيحة الخ لا يسلم لانه يقتضي أن يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التي جعلها الله لبعض الامم ولا شك في بطلان ذلك فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع الى ربك) اي ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أي فهو منسوخ بآية القتال وهذا أحد قولين وقيل ان الآية محكمة وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم وفوض الامر الى الله بقولك الله أعلم بما تعملون فيكون وعيدا لهم على أعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافي قتالهم لان القتال يرفعه أحد أمرين الاسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) اي يقضي ويفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله أي علم ما ذكر) اي الموجود في السماء والارض (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق في الهواء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب (قوله سلطانا) اي من جهة الوحي (قوله وما ليس لهم به علم) أي دليل عقلي (قوله حال) أي من آيات (قوله في وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع المضمر تبكيتا عليهم (قوله أي الانكار لها) أشار بذلك الى أن المنكر مصدر ميمي على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال اما من الموصول أو من الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداه بالباء والا فهو متعد بعلى (قوله النار) قدر المفسر الضمير اشارة الى أن النار خبر لمحذوف كأنه قيل وما الاشر فقيل هو النار (قوله وعدها الله الذين كفروا) وعد يتعدى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول أول مؤخر نظير قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ويصح العكس بان يجعل الضمير هو المفعول الاول والذين كفروا هو المفعول الثاني واليه يشير المفسر بقوله بان مصيرهم اليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هي الموعودة والمعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدها بهم والاول أنسب من جهة العربية لان المفعول الاول شرطه صلاحيته للاخذ كأعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) هذه الآية مرتبطة بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا فالخطاب وان كان لاهل مكة الا أن المراد به عموم من كان يعبد الاصنام والمثل في اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية في ما شبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن وليس مرادا هنا بل المراد به الامر الغريب والقصة العجيبة واليه يشير المفسر في آخر العبارة بقوله هذا أمر مستغرب (قوله فاستمعوا له) أي اصغوا اليه لتعتبروا (قوله وهو) أي المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) أي ويجمع على ذبان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وأذبة كأغربة مأخوذ من ذب اذا طرد أو آب اذا رجع لانه يذب فيرجع وهو أحرص الحيوانات وأجهلها لانه يرمي نفسه في المهلكات ومدة عيشه اربعون يوما وأصل خلقته من العفونات ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشيء الابيض فيرى أسود وعلى الاسود فيرى أبيض (قوله ولو اجتمعوا له) الجملة حالية كأنه قال انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في حال اجتماعهم (قوله وان يسلبهم) أي يأخذ ويختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) أي لانهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وكانوا يحلونها باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر ويطيبونها بانواع الطيب فربما سقط شيء منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله الملطخون بها) المناسب أن يقول الملطخين لانه نعت سببي للطيب والزعفران (قوله لا يستنقذوه) أي لا يخلصوه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب عما يقال ان الذي ضرب وبين ليس بمثل حقيقة

فكيف

(ماقدروا الله) عظموه (حق قدره) عظمته اذ أشركوا به مالم يمتنع من الذباب ولا ينتصف ٨٥ - منه (ان الله لقوي عزيز) غالب (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) رسلا نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لمقالتهم (بصير) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وابراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ماقدموا وما خلفوا أو ما عملوا وما هم عاملون بعد (والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا (واعبدوا ربكم) وحدوه (وافعلوا الخير) كصلة الرحم ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) تفوزون بالبقاء في الجنة (وجاهدوا في الله) لاقامة دينه (حق جهاده) باستفراغ الطاقة فيه ونصب حق على المصدر (هو اجتباكم) اختاركم لدينه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق بان سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر (ملة أبيكم) منصوب بنزع الخافض الكاف (ابراهيم) عطف بيان (هو) أي الله (سماكم المسلمين من قبل) أي قبل هذا الكتاب (وفي هذا) أي القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة أنه بلغكم (وتكونوا) أنتم (شهداء على الناس) ان رسلهم بلغتهم (فأقيموا الصلاة) داوموا عليها (وآتوا الزكوة واعتصموا بالله) ثقوا به (هو مولاكم) ناصركم ومتولي أموركم (فنعم المولى) هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم

فكيف سماه مثلا فاجاب بان القصة العجيبة تسمى مثلا تشبيها لها ببعض الامثال في الغرابة (قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله أصحابه وفي القوم مالك بن أبي الصيف من أحبار اليهود فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فقال نعم فقال له رسول الله وأنت حبر سمين فضحك القوم فالتفت مالك الى عمر بن الخطاب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ وقيل سبب نزولها ان اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الاحد والارض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والاوراق والاشجار يوم الاربعاء والشمس والقمر في يوم الخميس وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع احدى رجليه على الاخرى واستراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها من تتمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفي) أي يختار (قوله من الملائكة رسلا) ان قلت ان هذا يقتضي أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم وآية فاطر تقتضي ان الكل رسل أجيب بان التبعيض بالنسبة لارسالهم لبني آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك الى أن في الآية الحذف من الثاني لدلالة الاول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) أي من الاعمال (قوله وما خلفوا) أي لم يعملوه بالفعل (قوله أو ما عملوا) أي بالفعل وقوله وما هم عاملون أي في المستقبل (قوله ترجع الامور) أي تصير أمور الخلائق اليه تعالى ويجازي كلا بعمله (قوله أي صلوا) أي وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشئ باسم أشرف أجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الاخلاق) أي وغيرهما من الخيرات الواجبة والمندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح محقق لمن فعل هذه الامور (قوله وجاهدوا في الله) أي أعداءكم الظاهرية والباطنية فالظاهرية فرق الضلال والكفر ومجاهدتها معلومة ويسمى الجهاد الاصغر والباطنية النفس والهوى والشيطان ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيأ فشيأ ويسمى الجهاد الاكبر كما في الحديث ووجه تسميته أكبر ان الاعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب أخرى وتصالح واذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة بخلاف الاعداء الباطنية فلا تغيب أصلا ولا يمكن الصلح معها واذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار (قوله حق جهاده) من اضافة الصفة للموصوف أي جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) أي اصطفاكم وجعلكم أمة وسطا (قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج) المراد بالدين أصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم فمن ذلك قبول توبتهم اذا ندموا وأقلعوا ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم واذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه في الدنيا بان يجده مكتوبا في جبهته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها أو غير ذلك ان قلت كيف لا حرج في الدين مع ان اليد تقطع بسرقة ربع دينار والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك أجيب بان رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع وأما السراق وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لان الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل أحل أشياء وحرم أشياء فجزاء من يتعدى الحدود الا التشديد عليه (قوله بنزع الخافض الكاف) أي كملة أبيكم فالتشبيه في أصول الدين وفي سهولة الفروع (قوله هو سماكم المسلمين) أشار المفسر الى أن الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على ابراهيم (قوله أي قبل هذا الكتاب) أي في الكتب القديمة (قوله وفي هذا) أي بقوله ورضيت لكم الاسلام دينا (قوله ليكون الرسول) متعلق بسماكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) أي بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) أي لمستحقيها (قوله ثقوا) أي في جميع اموركم (قوله هو) قدره اشارة الى أن المخصوص بالمدح محذوف حذفه من الثاني لدلالة هذا عليه

﴿سورة المؤمنون مكية﴾

سورة مبتدا والمؤمنون مضاف اليه مجرور بياء مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره أن جميعها مكي وقيل الا ثلاث آيات وهي قوله ولو رحمناهم الى آخرها فانهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله أو تسع عشرة آية هو قول البصريين وسبب هذا اختلافهم في قوله تعالى ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون أو بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) أي لتحقيق ما يحصل في المستقبل وتنزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) أي ظفروا بمقصدهم ونجوا من كل مكروه قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله خاشعون) أي ظاهرا وباطنا فالخشوع الظاهري التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد في الخاصرة وغير ذلك والخشوع الباطني استحضار عظمة الله وعدم التفكر بدنيوي وقدم الصلاة لانها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين أو الدنيا كان قولا أو فعلا أو مكروها أو مباحا كالهزل واللعب وضياع الاوقات فيما لا يعني والتغول في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه وبالجملة فينبغي للانسان أن يرى ساعيا في حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (قوله والذين هم للزكوة) اعلم ان الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين والعشر أو نصفه من الحرث والشاة من الاربعين وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل فعلى الاول يكون معنى فاعلون مؤدون لان القدر المخرج لا معنى لفعله وعلى الثاني ففاعلون على بابه (قوله حافظون) أي مانعون (قوله عن الحرام) أي عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله أي من زوجاتهم) أشار بذلك الى أن على بمعنى من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وان كان المقام له لان الاناث ناقصات ولا سيما الارقاء فهن شبيه بالبهائم في حل البيع والشراء (قوله أي السراري) جمع سرية بالضم وهي في الاصل الامة التي بوئت بيت مأخوذة من السر وهو الجماع أو الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرمته أو من السرور لان مالكها يسر بها (قوله فانهم غير ملومين) علة للاستثناء (قوله كالاستمناء باليد) أي فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وقال أحمد بن حنبل يجوز بشروط ثلاثة أن يخاف الزنا وان لا يجد مهر حرة أو ثمن أمة وان يفعله بيده لا بيد أجنبي أو أجنبية (قوله والذين هم لاماناتهم) أي ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم (قوله جمعا ومفردا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للامانات (قوله حافظون) أي غير مضيعين لها (قوله يحافظون) أي يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لان الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو اضافي لا حقيقي لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الايمان بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أو يقال ان الحصر فيهم حقيقي بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرثون الفردوس) عبر بالارث دون الاستحقاق لان الارث ملك دائم (قوله وبناسبه ذكر المبدأ بعده) اشار بذلك الى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها والمعنى ان الآية التي سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤول اليه أمر من اتصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدأ وحينئذ ففي الآيتين مناسبة وهذا أتم مما قيل ان هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الانسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا الى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى الاول تقلب الانسان في أطوار

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد) للتحقيق (أفلح) فاز (المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) متواضعون (والذين هم عن اللغو) من الكلام وغيره (معرضون والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) عن الحرام (الا على أزواجهم) أي من زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي السراري (فانهم غير ملومين) في اتيانهن (فمن ابتغى وراء ذلك) من الزوجات والسراري كالاستمناء باليد في اتيانهن (فاولئك هم العادون) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم (والذين هم لاماناتهم) جمعا ومفردا (وعهدهم) فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (راعون) حافظون (والذين هم على صلواتهم) جمعا ومفردا (يحافظون) يقيمونها في أوقاتها (أولئك هم الوارثون) لا غيرهم (الذين يرثون الفردوس) هو جنة أعلى الجنان (هم فيها خالدون) في ذلك اشارة الى المعاد ويناسبه ذكر المبدا بعده (و) الله (لقد خلقنا الانسان) آدم

خلقته وهي تسعة آخرها قوله تبعثون الثاني خلق السموات الثالث انزال الماء الرابع منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق بسلالة) أي لانه بمعنى مسلول (قوله أي الانسان نسل آدم) أشار المفسر الى أن الضمير يعود على الانسان لكن لا بالمعنى الاول وحينئذ ففي الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى في الآية الاخرى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (قوله في قرار مكين) أي في مقر متمكن وصف بذلك لانه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقة) قيل كلها وقيل جزء منها والباقي يوضع نصفه في موضع تربته والنصف الثاني يوضع في السماء فاذا أراد الله احياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية في الارض فتتوحد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى كما بدأكم تعودون (قوله وفي قراءة عظما) أي وهي سبعية أيضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أي من غير توان والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها الى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك وقيل الخلق الآخر هو خروجه الى الدنيا وقيل خروج أسنانه وشعره وقيل كمال شبابه والاتم انه عام في هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل المعقولات وجميع الامور التي اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قول بعض العارفين

وتحسب أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الاكبر

(قوله فتبارك الله) أي تعاظم وارتفع قدره (قوله المقدرين) أي المصورين ودفع بذلك ما يقال ان اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع انه لا خالق غيره فاجاب بأن المراد بالخلق التقدير لا الايجاد والابداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعلم به) أي من قوله الخالقين فانه يدل عليه (قوله بعد ذلك) أي من الامور العجيبة (قوله يوم القيامة) أي عند النفخة الثانية ان قلت ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء لانه ورد ان مدة كل طور أربعون يوما فان نظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بثم وان نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالفاء أجيب بانه نزل التفاوت بين الاطوار منزلة التراخي والبعد الحسي لان حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له في اللون والصورة وكذا جعلها عظما وأما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لان كونها فوق انما هو بعد خلق الخلق والا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لانها طرق الملائكة) أي في العروج والهبوط والطيران وقيل معنى طرائق مطروقات أي موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا في الآية الاخرى (قوله وأنزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بانزلنا (قوله بقدر) أي تقدير لجلب منافعهم ودفع مضارهم وقيل المعنى بقدر حاجاتهم واليه يشير المفسر (قوله فاسكناه في الارض) أي جعلناه ساكنا ثابتا مستقرا في الارض بعضه على ظهرها وبعضه في بطنها (قوله وانا على ذهاب به لقادرون) الباء في به للتعدية والمعنى وانا القادرون على اذهابه روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدنيا والدين (قوله لكم فيها) أي الجنات (قوله ومنها) أي من ثمر الجنات كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة

(من سلالة) هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته (من طين) متعلق بسلالة (ثم جعلناه) أي الانسان نسل آدم (نطفة) منيا (في قرار مكين) هو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة) دما جامدا (فخلقنا العلقة مضغة) لحما قدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وفي قراءة عظما في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثم أنشأناه خلقا آخر) بنفخ الروح فيه (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقا (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) للحساب والجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات جمع طريقة لانها طرق الملائكة (وما كنا عن الخلق) تحتها (غافلين) أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية ويمسك السماء أن تقع على الارض (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) من كفايتهم (فأسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون) فيموتون مع دوابهم عطشا (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) هما أكثر فواكه العرب (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) صيفا وشتاء (و) أنشأنا (شجرة

تخرج من طور سيناء) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة (تنبت) من الرباعي والثلاثي (بالدهن) الباء زائدة على الاول ومعدية على الثاني وهي شجرة الزيتون (وصبغ للآكلين) عطف على الدهن أي ادام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت (وان لكم في الانعام) أي الابل والبقر والغنم (لعبرة) عظة تعتبرون بها (نسقيكم) بفتح النون وضمها (مما في بطونها) أي اللبن (ولكم فيها منافع كثيرة) من الاصواف والاوبار والاشعار وغير ذلك (ومنها تأكلون وعليها) أي الابل (وعلى الفلك) أي السفن (تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) أطيعوه ووحدوه (ما لكم من اله غيره) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أفلا تتقون) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) لأتباعهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل) يتشرف (عليكم) بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه (ولو شاء الله) أن لا يعبد غيره (لأنزل ملائكة) بذلك لا بشرا (ما سمعنا بهذا) الذي دعا اليه نوح من التوحيد (في آبائنا الاولين) أي الامم الماضية (ان هو) أي ما نوح (الا رجل به جنة) حالة جنون (فتربصوا به) انتظروه (حتى حين) الى زمن موته (قال) نوح (رب انصرني) عليهم (بما كذبون) أي بسبب تكذيبهم اياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيبا دعاءه (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك) السفينة (بأعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) أمرنا

تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لان أصلها منه ثم نقلت وهي أول شجرة نبتت في الارض بعد الطوفان وتبقى في الارض كثيرا حتى قيل انها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو الملتف بالاشجار وهو الجبل الذي نودي عليه موسى (قوله منع الصرف للعلمية والتأنيث) أي وقيل للعلمية والعجمة لانه اسم أعجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كامرئ القيس ومنع من الصرف وان كان جزء علم نظرا الى أنه عومل معاملة العلم (قوله والتأنيث للبقعة) أي والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس وهي منقلبة عن ياء أو واو لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة (قوله من الرباعي والثلاثي) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وان لكم في الانعام لعبرة) عبر في جانب الانعام بالعبرة دون النبات لان العبرة فيها أظهر (قوله مما في بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لان المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير في النحل باعتبار البعض فان المراد خصوص الاناث بدليل الاقتصار على اللبن (قوله أي الابل) خصها لانها المحمول عليها غالبا ويصح عوده على الانعام لان منها ما يحمل عليه أيضا كالبقر (قوله ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستا الاولى قصة نوح الثانية قصة هود الثالثة قصة القرون الآخرين الرابعة قصة موسى وهرون الخامسة قصة عيسى وأمه والمقصود منه اطلاع الامة المحمدية على أحوال من مضى ليقتدوا بهم في الخصال المرضية ويتباعدوا عن خصالهم المذمومة ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر ألف سنة وخمسين لانه أرسل على رأس الاربعين ومكث يدعو قومه ألف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله ما لكم من اله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) أي قوله اله وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع اتباعا لمحل اله والجر اتباعا للفظه قراءتان سبعيتان (قوله وما قبله الخبر) أي وهو الجار والمجرور وما مشى عليه المفسر طريقة ضعيفة للنحاة وهي جواز اعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها اذا كان الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا والمشهور اهمالها حينئذ فكان المناسب أن يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تتقون (قوله فقال الملأ) أي الاشراف وحاصل ما ذكر وه خمس مقالات الاولى ما هذا الا بشر مثلكم الثانية ولو شاء الله لأنزل ملائكة الثالثة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين الرابعة ان هو الا رجل به جنة الخامسة فتربصوا به حتى حين ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردها (قوله بأن يكون متبوعا) أي بادعاء الرسالة (قوله أن لا يعبد غيره) أشار بذلك الى أن مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أي بأن لا يعبد غيره (قوله لا بشرا) أي لان الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم ينقاد الخلق اليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا (قوله حالة جنون) أي فجنة بالكسر للهيئة قال ابن مالك * وفعلة لهيئة كجلسه * (قوله الى زمن موته) أي فكانوا يقولون لبعضهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي أمره وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل أمره فنستريح منه أو المراد بالحين الزمان الذي تظهر فيه العواقب فالمعنى انتظروا عاقبة أمره فان أفاق والا فاقتلوه (قوله قال رب انصرني) أي قال ذلك بعد أن يئس من ايمانهم (قوله أن اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله بأعيننا) حال من الضمير في اصنع وجمع الاعين للمبالغة (قوله بمرأى منا وحفظنا) أشار بذلك الى أن في الآية مجازا مرسلا لان شأن من نظر الى الشئ بعينه حفظه فاطلق اللازم وأريد الملزوم (قوله ووحينا) أي تعليمنا فان الله أرسل اليه جبريل فعلمه صنعها وصنعها في عامين وجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين والذراع الى المنكب وهذا أشهر الروايات وقيل غير ذلك وقد تقدم في هود جعلها ثلاث طباق السفلى للسباع

والهوام

فاذا جاء امرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فاسلك فيها) أى ادخل فى السفينة (من كل زوجين) أى ذكر وأنثى أى من كل أنواعهما (اثنين) ذكرا وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك وفى القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما فى السفينة وفى

قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له (وأهلك) أى زوجته وأولاده (الا من سبق عليه القول منهم) بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون فاذا استويت) اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين واهلاكهم (وقل) عند نزولك من الفلك (رب أنزلنى منزلا) بضم الميم وفتح الزاى مصدر أو اسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول (مباركا) ذلك الانزال أو المكان (وأنت خير المنزلين) ما ذكر (ان فى ذلك) المذكور من أمر نوح والسفينة واهلاك الكفار (لآيات) دلالات على قدرة الله تعالى (وان) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كنا لمبتلين) مختبرين قوم نوح بارساله اليهم ووعظه (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا) قوما

آخرين هم عاد (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هودا (أن) أى بأن (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) عقابه فتؤمنون (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بالمصير اليها (وأترفناهم) نعمناهم (فى الحياة الدنيا) ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون

والهوام والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) أى ابتدأ ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان المجىء الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور فاركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار الى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركوب السفينة (قوله من كل زوجين) أى غير البشر لما يأتى انه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل ما يلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق فلم يحمله فيها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بالتنوين) أى لحذف ما أضيف اليه كل وعوض عنه التنوين (قوله أى زوجته) أى المؤمنة لانه كان له زوجتان احداهما مؤمنة فأخذها معه فى السفينة والاخرى كافرة تركها وهى أم ولده كنعان (قوله وهو زوجته) أى الكافرة (قوله بخلاف سام) أى وهو أبو العرب وحام هو أبو السودان ويافث هو أبو الترك (قوله ستة رجال) أى فالجملة اثنا عشر (قوله بترك اهلاكهم) متعلق بتخاطبنى (قوله انهم مغرقون) أى محكوم عليهم بالغرق (قوله واهلاكهم) أى ونجانا من اهلاكهم (قوله وقل رب أنزلنى الخ) العبرة بعموم اللفظ فهذا الدعاء تنبغى قراءته لكل من نزل فى محل يريد الاقامة به (قوله عند نزولك من الفلك) أى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم السفينة ستة أشهر (قوله بضم الميم الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره ان الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركا ذلك الانزال) تفسير للضمير فى مباركا والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله وان كنا لمبتلين) ان مخففة واللام فارقة والمعنى واننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر هل يتبعونه و يتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) أى قوما سموا بذلك لان بعضهم مقترن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل اليها هود وما ذكره المفسر من ان المراد بالقرن عاد وبالرسول هود هو ما عليه أكثر المفسرين ويشهد له مجىء قصة هود عقب قصة نوح فى الاعراف وهود والشعراء * وخير ما فسرته بالوارد ، ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة فأخذتهم الصيحة الموهم ان القرن ثمود وان الرسول صالح لانه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أى شدة صوته (قوله فأرسلنا فيهم) أى فى القرن وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأت من مكان غيرهم كانهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لان هودا ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك فى هود (قوله بأن اعبدوا) أشار بذلك الى ان أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه لان أرسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال الملأ) عطف على ما قبله وأتى بالواو اشارة الى تباين الكلامين بخلاف ما فى الاعراف وهود فانه فى جواب سؤال مقدر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف مخصص لان قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر (قوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا) أى أعطيناهم ما يكون سببا للترفه كما قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون (قوله ما هذا الا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهى لقوله لخاسرون والثانية ذكرها بقوله أيعدكم الخ تنتهى لقوله بمبعوثين وأهل الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما (قوله ويشرب مما تشربون) أى منه فحذف منه لدلالة ما قبله عليه والعائد لاستكمال

(و) الله (لئن أطعتم بشراً مثلكم) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثاني (انكم اذا) أي اذا أطعتموه (لخاسرون) أي مغبونون (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون) هو خبر انكم الاولى وانكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل (هيهات هيهات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر اى بعد بعد (لما توعدون) من الاخراج من القبور واللام زائدة للبيان (ان هى) اى ما الحياة (الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى) بحياة أبنائنا (وما نحن بمبعوثين ان هو) اى ما الرسول (الا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين) اى مصدقين فى البعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل) من الزمان وما زائدة (ليصبحن) ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم الصيحة) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بالحق فماتوا (فجعلناهم غثاء) وهو نبت يبس اى صيرناهم مثله فى اليبس (فبعداً) من الرحمة (للقوم الظالمين) المكذبين (ثم انشأنا من بعدهم قروناً) اقواماً (آخرين ما تسبق من امة اجلها) بان تموت قبله (وما يستأخرون) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى (ثم ارسلنا رسلنا تترا) بالتنوين وعدمه اى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كلما جاء امة) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو (رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً) فى الهلاك وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون

الشروط التى أشار اليها ابن مالك بقوله كذا الذى جر بما الموصول جر * كمر بالذى مررت فهو بر (قوله ولئن أطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لأولهما) أى على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولا يصلح ان يكون جواباً للشرط لعدم وجود الفاء (قوله أنكم اذا متم الخ) الكاف اسم ان وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر واذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر ان أطعتموهم (قوله أيعدكم) استفهام لتقرير ما قبله (قوله أنكم مخرجون) أى من القبور أو من العدم الى الوجود تارة أخرى (قوله تأكيد لها) أى تأكيداً لفظياً (قوله اسم فعل ماض) اختلف فى اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل وعليه فهو مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتوعدون صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور وقيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد له ولما توعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدأ فاللام ليست زائدة اذا علمت ذلك فكلام المفسر رضى الله عنه فى غاية الاجمال لان قوله اسم فعل ماض أحد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثانى وقوله أى بعد بعد يصح ان يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيراً للفعل الماضى أو بلفظ المصدر فيكون تفسيراً للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهره على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لا على كونها للبيان ولا على كونه مصدراً وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب ان يأتى بأو وترك التفريع على المصدر وتقدم أنها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف خبر وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الاربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيهات بفتح التاء وضمها وكسرها وفى كل مع التنوين وبدونه وهيهات باسكان التاء أو ابدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان اما بالهاء أولاً أو ابدالها همزة وقرئ بالجميع لكن المتواتر القراءة الاولى وهى الفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) أشار بذلك الى أن ان نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة أبنائنا) جواب عما يقال ان فى قولهم ونحيا اعترافاً بالبعث مع كونهم منكرين له فأجاب بان المراد تحيا أبناؤنا بعد موتنا (قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى (قوله صيحة العذاب والهلاك) جواب عما يقال ان الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود (قوله كائنة بالحق) أى العدل فيهم وأشار بذلك الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غثاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت يبس) الاوضح ان يقول وهو العشب اذا يبس (قوله فبعداً للقوم الظالمين) بعداً مصدر بدل من لفظ الفعل والاصل بعدوا بعداً واللام اما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعداً وهو اخبار أو دعاء عليهم (قوله ثم انشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم هود ونوح وقوله قروناً آخرين أى كقوم صالح وابراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله وما يستأخرون) أى لا يتأخرون عنه والمقصود من هذه الآية التقريع والتخويف لاهل مكة كأنه قال لا تغتروا بطول الامل فان للظالم وقتاً يؤخذ فيه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه (قوله بعد تأنيثه) أى فى قوله أجلها الراجع الى أمة وقوله رعاية للمعنى أى لان أمة بمعنى قوم (قوله تترا) التاء مبدلة من واو وأصله وتراً وهو مصدر على التحقيق ومعناه المتابعة مع مهلة وقيل المتابعة مطلقاً وان لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالاول لانه الواقع (قوله بالتنوين وعدمه) أى فهما قراءتان سبعيتان فمن نون قال ان ألفه للالحاق بجعفر كعلقى فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال ان ألفه للتأنيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) أى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع احدوثة كأعجوبة وأضحوكة ما يتحدث به تعجباً وتسلياً ولا يقال ذلك الا فى الشر ولا يقال فى الخير (قوله فبعداً لقوم لا يؤمنون) بعداً منصوب بمحذوف أى

بآياتنا وسلطان مبين) حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان بها وبالله (وكانوا
قوما عالين) قاهرين بني اسرائيل بالظلم (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) مطيعون خاضعون (فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ولقد
آتينا موسى الكتاب التوراة
(لعلهم) أي قومه بني
اسرائيل (يهتدون) به من
الضلالة وأوتيها بعد هلاك
فرعون وقومه جملة واحدة
(وجعلنا ابن مريم) عيسى
(وأمه آية) لم يقل آيتين لان
الآية فيهما واحدة ولادته
من غير فحل (وآويناهما الى
ربوة) مكان مرتفع وهو بيت
المقدس أو دمشق فلسطين
أقوال (ذات قرار) أي
مستوية يستقر عليها
ساكنوها (ومعين) أي ماء جار
ظاهر تراه العيون (يا أيها
الرسل كلوا من الطيبات)
الحلالات (واعملوا صالحا)
من فرض ونفل (اني بما
تعملون عليم) فأجازيكم عليه
(و) اعلموا (أن هذه) أي ملة
الاسلام (أمتكم) دينكم أيها
المخاطبون أي يجب أن
تكونوا عليها (أمة واحدة)
حال لازمة وفي قراءة بتخفيف
النون وفي أخرى بكسرها
مشددة استئنافا (وأنا ربكم
فاتقون) فاحذرون (فتقطعوا)
أي الاتباع (أمرهم) دينهم
(بينهم زبرا) حال من فاعل
تقطعوا أي أحزابا متخالفين
كاليهود والنصارى وغيرهم
(كل حزب بما لديهم) أي
عندهم من الدين (فرحون)
مسرورون (فذرهم) أي اترك
كفار مكة (في غمرتهم) ضلالتهم (حتى حين) أي حين موتهم (أيحسبون أنما نمدهم به) نعطيهم (من مال وبنين) في الدنيا (نسارع) نعجل
(لهم في الخيرات) لا (بل لا يشعرون) ان ذلك استدراج لهم (ان الذين هم من خشية ربهم) خوفهم منه

بعدوا عن رحمتنا بعدا لا يزول (قوله بآياتنا) أي التسع وهي العصا واليد والسنون المجدبة والطمس
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف إشارة الى ان
المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضا (قوله وغيرهما) أي من باقي التسع (قوله لبشرين
مثلنا) أفرد مثل لانه يجري مجرى المصادر في الافراد والتذكير ولا يؤنث أصلا (قوله وقومهما لنا
عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أي من جملة من هلك (قوله أي قومه بني اسرائيل)
أشار بذلك الى ان الضمير في لعلهم راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه لان التوراة انما جاءته بعد
هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) اما راجع لقوله وأوتيها أو راجع لهلاك فرعون وقومه
(قوله لان الآية فيهما واحدة) أي لان ولادته من غير أب أمر خارق للعادة فيصح نسبته لهما (قوله
وآويناهما الى ربوة) سبب ذلك ان ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى فهربت به أمه الى تلك
الربوة ومكثت بها اثنتي عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك (قوله وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان
من الارض لانه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو أقرب البقاع الى السماء (قوله
ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين وأصله معيون كمبيوع استثقلت الضمة على الياء فحذفت
فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من
الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال فليس المراد انهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة
بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك بأن قيل مثلا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا
اني بما تعمل عليم وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشنيع على رهبانية النصارى حيث
يزعمون ان ترك المستلذات مقرب الى الله فرد الله عليهم بان المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات
(قوله الحلالات) أي مستلذات أم لا (قوله واعملوا صالحا) أي شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا
من ربكم (قوله فأجازيكم عليه) أي ان خيرا فخير وان شرا فشر فالآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا
ان هذه أمتكم) قدر المفسر لفظ اعلموا اشارة الى أن أن بفتح الهمزة معمولة لمحذوف وهذه اسمها وأمتكم
خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم) أشار بذلك الى ان المراد بالامة الدين والمراد به
العقائد لانها هي التي اتحدت في جميع الشرائع وأما الاحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع
(قوله وفي قراءة بتخفيف النون) أي والهمزة مفتوحة والعامل مقدر كما في المشددة واسمها ضمير الشأن
وهذه أمتكم مبتدأ وخبر والجملة خبر ان (قوله استئنافا) أي فهو اخبار عن الله بان جميع الشرائع
متفقة الاصول والقراآت الثلاث سبعيات (قوله فاتقون) أي افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم
عنه (قوله فتقطعوا أمرهم) أي جعلوا دينهم مفرقا فبذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى
والمجوس وغير ذلك من الاديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) أي
لاعتقادهم انهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار
مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسلية له (قوله في غمرتهم) مفعول ثان لذرهم أي مستقرين فيها والغمرة
في الاصل الماء الذي يغمر القامة ثم استعير ذلك للجهالة والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الامور
والغمر بالكسر الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) اضراب انتقالي أي
لا يعلمون ان توسعة الدنيا عليهم ليست ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم قال تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما (قوله ان الذين هم) الذين اسم ان وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق

(مشفقون) خائفون من عذابه (والذين هم بآيات ربهم) القرآن (يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) معه غيره
(والذين يؤتون) يعطون ما آتوا أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وقلوبهم وجلة) خائفة أن لا تقبل منهم (أنهم)

يقدر قبله لام الجر (إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) في علم الله (ولا نكلف نفسا إلا وسعها) أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (ولدينا) عندنا (كتاب ينطق بالحق) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وهم) أي النفوس العاملة (لا يظلمون) شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات (بل قلوبهم) أي الكفار (في غمرة) جهالة (من هذا) القرآن (ولهم أعمال من دون ذلك) المذكور للمؤمنين (هم لها عاملون) فيعذبون عليها (حتى) ابتدائية (إذا أخذنا مترفيهم) أغنياءهم ورؤساءهم (بالعذاب) أي السيف يوم بدر (إذا هم يجأرون) يضجون يقال لهم (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) لا تمنعون (قد كانت آياتي) من القرآن (تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون قهقرى (مستكبرين) عن الإيمان (به) أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم (سامرا) حال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تهجرون) من الثلاثي تتركون القرآن ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن قال تعالى

عشفقون وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الخوف مع زيادة التعظيم فهو أعلى من الخشية وهذه الأوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم منه الاتصاف الباقي (قوله القرآن) أي وغيره من باقي الكتب السماوية (قوله يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله يؤتون من الإيتاء وهو الإعطاء (قوله وقلوبهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤتون أي والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه ولذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت الدموع في خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) أي فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون في الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله إن الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه فاسم إن أربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قيل للخيرات وقيل للجنة وقيل للسعادة وقوله في علم الله أي كتبوا سابقين في علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم (قوله ولا نكلف نفسا إلا وسعها) أي تفضلا منه سبحانه وتعالى وإلا فلا يسئل عما يفعل وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الإنسان وكذا جميع التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلا أو تركا وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها قال بعض العارفين

اذا روح الحجاب ولا ملاله * التكليف الاله ولا مشقه

(قوله عندنا) أي عندية رتبة ومكانة واختصاص (قوله ينطق بالحق) أي يبين أعمال العباد خيرها وشرها (قوله بما عملته) الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها (قوله وهم لا يظلمون) الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لأنه نكرة في سياق النفي (قوله فلا ينقص من ثواب أعمال الخير الخ) أي لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة في اللوح المحفوظ وهو مطابق لما في علم الله (قوله بل قلوبهم) رجوع لأحوال الكفار (قوله ولهم أعمال) أي سيئة (قوله من دون ذلك) أي غير ما ذكر للمؤمنين والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لها عاملون) أي مستمرون عليها (قوله ابتدائية) أي تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا أخذنا مترفيهم) إذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وإذا الثانية للمفاجأة قائمة مقام الفاء قال ابن مالك

وتخلف الفاء إذا المفاجأه * كأن تجد إذا لنا مكافأه

(قوله أغنياؤهم ورؤساؤهم) أي كأبي جهل وأضرابه من صناديدهم (قوله يجأرون) أي يصرخون ويبتهلون ويستغيثون ويلحون في كشف العذاب عنهم ومع ذلك لا ينفعهم (قوله يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون في النار (قوله قد كانت آياتي الخ) تعليل لما قبله (قوله تنكصون) من باب جلس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقرى) أي إلى جهة الخلف وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان (قوله به) الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامر وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم (قوله سامرا) من السمر وهو الحديث ليلا (قوله حال) المناسب للمفسر أن يقول أحوال ويؤخره عن قوله تهجرون لأن الأحوال ثلاثة مستكبرين وسامرا وتهجرون (قوله أي جماعة) أشار بذلك إلى أن سامرا اسم جمع واحده سامر (قوله من الثلاثي) أي مأخوذ من الهجران وهو الترك أو من هجر هجرا بمعنى هذى وتكلم بما لا يعقله (قوله ومن الرباعي) أي

مأخوذ

(أفلم يدبروا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال (القول) أى القرآن الدال على صدق النبي (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ٩٣ ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة
رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به (بل) للانتقال (جاءهم بالحق) أى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام (وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق) أى القرآن (أهواءهم) بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) أى خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم (بل أتيناهم بذكرهم) أى بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم (فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا) أجرا على ما جئتهم به من الإيمان (فخراج ربك) أجره وثوابه ورزقه (خير) وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة أخرى خراجا فيهما (وهو خير الرازقين) أفضل من أعطى وأجر (وإنك لتدعوهم إلى صراط) طريق (مستقيم) أى دين الإسلام (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) أى الطريق (لناكبون) عادلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى جوع أصابهم بمكة سبع سنين (للجوا) تمادوا (في طغيانهم) ضلالتهم (يعمهون) يترددون (ولقد
أخذناهم بالعذاب) الجوع (فما استكانوا) تواضعوا (لربهم وما يتضرعون) يرغبون إلى الله بالدعاء (حتى) ابتدائية (إذا فتحنا عليهم بابا
ذا) صاحب (عذاب شديد) هو يوم بدر بالقتل (إذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير (وهو الذي أنشأ) خلق (لكم السمع) بمعنى
الأسماع (والأبصار والأفئدة) القلوب (قليلا ما)

مأخوذ من الاهجار وهو الفحش في الكلام (قوله أفلم يدبروا القول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلم يدبروا وهذا شروع في بيان أن اقدامهم على هذه الضلالات لا بد أن يكون لأحد أمور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيته ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه في غاية الأمانة والصدق رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس وسيأتي خامس في قوله أم تسألهم خرجا وأم في المواضع الأربعة مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريري وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبي الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله وأكثرهم للحق) أى القرآن وغيره فهو أعم من الحق الأول ولذا أظهر في مقام الاضمار وأشار بقوله وأكثرهم إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لأن وجود الشريك يقضي بفساد العالم عقلا لا عادة (قوله بل أتيناهم بذكرهم) اضراب انتقالي والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه والعامة على قصر أتيناهم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ فالباء إما زائدة وذكرهم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب وقوله بذكرهم هكذا قرأ العامة وقرئ شذوذا بذكراهم بألف التأنيث وبذكرهم بنون العظمة (قوله أم تسألهم خرجا) راجع لقوله أم يقولون به جنة وما بينهما اعتراض (قوله فخراج ربك خير) تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أى في الآخرة وقوله ورزقه أى في الدنيا فهذه الأمور كالخراج من حيث أن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفي قراءة خرجا في الموضعين الخ) أى فالقراءات الثلاث سبعيات لكن الأولى أبلغ من حيث أنه عبر في حق الله بالخراج المفيد للتكرار وفي حق العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار والمماثلة في القراءتين الباقيتين للمشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد أى أثاب (قوله عن الصراط) متعلق بناكبون (قوله عادلون) أى زائغون ومنحرفون (قوله ولو رحمناهم الخ) قال الأشياخ الأظهر أن هذه الآية والتين بعدها إلى مبلسون مدنيات وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا على أهل مكة بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فقحطوا حتى أكلوا العلهز وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل في سني المجاعة فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد لما قبله (قوله فما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو إلى ما قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا فتحنا عليهم) إذا شرطية وإذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أى فالابلاس اليأس ومنه ابليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذي أنشأ لكم الخ) خطاب للخلق عموما قصد به تذكير النعم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها لأن السمع خلق ليسمع به ما يرشد والبصر

تأكيد القلة (تشكرون وهو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الأرض واليه تحشرون) تبعثون (وهو الذى يحيى) بنفخ الروح فى المضغة (ويميت وله اختلاف الليل والنهار) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) صنعه تعالى فتعتبرون (بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا) أى الاولون (أئذا متنا وكنا ترابا ٩٤ وعظاما أئنا لمبعوثون) لا وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث بعد الموت (من قبل ان) ما (هذا الا أساطير) أكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع أسطورة بالضم (قل) لهم (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله قل) لهم (أفلا تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) الكرسى (سيقولون لله قل أفلا تتقون) تحذرون عبادة غيره (قل من بيده ملكوت) ملك (كل شئ) والتاء للمبالغة (وهو يجير) ولا يجار عليه) يحمى ولا يحمى عليه (ان كنتم تعلمون سيقولون لله) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظرا الى أن المعنى من له ما ذكر (قل فأنى تسحرون) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أى كيف يخيل لكم أنه باطل (بل أتيناهم بالحق) بالصدق (وانهم لكاذبون) فى نفيه وهو (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا) أى لو كان معه اله (لذهب كل اله بما خلق) أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولعلا بعضهم على بعض) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفون) به مما ذكر (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدرا (فتعالى) تعظم (عما يشركون)

لشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها فى مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم فى مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ وأفرد السمع وجمع الابصار تفننا (قوله تأكيد للقلة) أى لفظ ما تأكيد للقلة المستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) أى تحيون بعد الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) أى خلقا وايجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أغفلتم فلا تعقلون أن القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) أى كفار مكة (قوله مثل ما قال الاولون) أى من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله وادخال ألف بينهما) أى وترك الادخال فالقراآت أربع سبعيات فى الثانى وثلاث فى الاول بترك الادخال بين المحققتين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل أيضا وقوله هذا مفعول ثان لوعد ونائب الفاعل مفعول أول والاصل وعدنا الآن محمد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقدم المرفوع الذى هو نائب الفاعل هنا وعكس فى النمل تفننا واشارة الى انه يجوز الامران (قوله قل لهم) أى لاهل مكة المنكرين للبعث (قوله من الخلق) أى المخلوقات عقلاء وغيرهم (قوله ان كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فاخبرونى بخالقهما (قوله سيقولون لله) اخبار من الله عما يقع منهم فى الجواب قبل وقوعه (قوله بادغام التاء) أى بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها (قوله الكرسى) المناسب ابقاؤه على ظاهره فان العرش على التحقيق غير الكرسى (قوله والتاء للمبالغة) أى وكذا الواو فهما زائدتان كزيادتهما فى الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الاول بفتح الياء كيرمى والثانى بضمها والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه ولا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) أى وهى لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) أى الاخيرين وأما جواب السؤال الاول فهو باللام باتفاق السبعة ولم تقرأ بدونها أحد (قوله نظرا الى أن المعنى) أى فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما على قراءة اسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لانه لا فرق بين قولك من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وان شئت قلت لزيد لان السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربها (قوله قل فأنى) أى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله أى كيف يخيل لكم) أشار بذلك الى ان المراد بالسحر التخييل والوهم لا حقيقته (قوله فى نفيه) أى الحق (قوله من ولد) من زائدة فى المفعول وقوله من اله من زائدة فى اسم كان (قوله أى لو كان معه اله) أشار بذلك الى أن قوله اذا لذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من اله وتقدم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى الانبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى ان هذا أمر عادى لا الزام قطعى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق انه دليل عقلى قطعى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على الوحدانية كأنه قال الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (قوله بالجر صفة) أى للفظ الجلالة او بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدرا أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما

يشركون) معه (قل رب إما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (تريني ما يوعدون) من ٩٥ العذاب هو صادق بالقتل ببدر (رب
فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) فأهلك بهلاكهم (وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن) أى الخصلة من الصفح والاعراض عنهم (السيئة) اذاهم اياك وهذا قبل الامر بالقتال (نحن أعلم بما يصفون) أى يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ) أعتصم (بك من همزات الشياطين) نزغاتهم بما يوسوسون به (وأعوذ بك رب أن يحضرون) فى أمورى لانهم انما يحضرون بسوء (حتى) ابتدائية (اذا جاء أحدهم الموت) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قال رب ارجعون) الجمع للتعظيم (لعلى أعمل صالحا) بأن أشهد أن لا اله الا الله يكون (فيما تركت) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته قال تعالى (كلا) أى لا رجوع (انها) أى رب ارجعون (كلمة هو قائلها) ولا فائدة له فيها (ومن وراءهم) امامهم (برزخ) حاجز يصدهم عن الرجوع (الى يوم يبعثون) ولا رجوع بعده (فاذا نفخ فى الصور) القرن النفخة الاولى أو الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) يتفاخرون بها (ولا يتساءلون) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الامر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يفيقون وفى آية فأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيئات (فأولئك الذين خسروا أنفسهم)

يشركون) عطف على معنى ما تقدم كأنه قال عالم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب لان الله ما أمره بدعاء الا استجاب له (قوله اما تريني) ان شرطية وما زائدة وتريني فعل الشرط والنون للوقاية والياء مفعول أول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تأكيد للاول وقوله فلا تجعلني الخ جواب الشرط (قوله بالقتل ببدر) أى وهو والذى رآه بالفعل (قوله فأهلك بهلاكهم) أى لان شؤم الظالم قد يعم غيره ان قلت ان رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بانه أمر بذلك اظهارا للعبودية وتواضعا لربه وتعظيما للاجر وليكون فى جميع الاوقات ذاكرا لله تعالى (قوله وانا على أن نريك الخ) ان حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر ان واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى وانا لقادرون على أن نريك العذاب الذى نعدهم به (قوله أى الخصلة الخ) أشار بذلك الى ان التى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتى هى أحسن ولو فى حال القتال كأن الله يقول له اذا قدرت عليهم فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحينئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هذا الامر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لان العصمة والحفظ من الشيطان أمر عظيم جدا وهو وان كان معصوما فالمقصود تعليم أمته واظهار الافتقار به (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) أى افساداتهم والمعنى أتحصن بك من وساوس الشياطين (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل اشارة الى ان هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم لم يقل رب ارجعني بالافراد مع ان المخاطب واحد وأجيب أيضا بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال ارجعني ارجعني ارجعني أو الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه كأنه استغاث بالله أولا ثم رجع الى طلب الرجوع الى الدنيا من الملائكة (قوله يكون فيما تركت) أى بدلا عنه (قوله أى لا رجوع) أشار بذلك الى ان كلا هنا معناها النفى ومع ذلك فيها معنى الردع والزجر (قوله أى رب ارجعون) أى وما بعدها (قوله ومن وراءهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت الى البعث والمعنى ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت اذا علمت ذلك فالاموات لا تعود أجسامهم فى الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبدا وانما يعودون يوم القيامة لا فرق بين الانبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من انهم يجتمعون بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة فالمراد ان روحه الشريفة تشكلت بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الاولياء والشهداء لان أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لا تسعى فى الملكوت (قوله ولا رجوع بعده) أى يوم البعث (قوله النفخة الاولى) هو قول ابن عباس وقوله أو الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال ان الانساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها فأجاب بأن معنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بأنسابهم وأجيب أيضا بأن معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحيرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) أى لانهم كانوا يسألون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولا يتساءلون ودفع بذلك ما يقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على ان المراد النفخة الثانية وأما على ان المراد النفخة الاولى فوجه الجمع ان نفى السؤال انما هو عند النفخة الاولى لموتهم حينئذ واثباته انما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع اما للتعظيم أو باعتبار الموزون (قوله بالحسنات) الباء سببية أى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) أى بسبب ثقل السيئات والذى فى رجحت

فهم (في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار) تحرقها (وهم فيها كالحون) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم (ألم تكن آياتي) من القرآن (تتلى عليكم) تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وكنا قوما ضالين) عن الهداية ٩٦ (ربنا أخرجنا منها فان عدنا) الى المخالفة (فانا ظالمون قال) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخسؤا فيها) ابعدوا في النار أذلاء (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم (انه كان فريق من عبادي) هم المهاجرون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حتى أنسوكم ذكري) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الانساء فنسب اليهم (وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم) النعيم المقيم (بما صبروا) على استهزائكم بهم وأذاكم اياهم (انهم) بكسر الهمزة (هم الفائزون) بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم (قال) تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل (كم لبثتم في الأرض) في الدنيا وفي قبوركم (عدد سنين) تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فاسئل العادين) أي الملائكة المحصين أعمال الخلق (قال) تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضا قل (ان) أي ما (لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة الى لبثكم في النار (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) لا لحكمة (وأنكم الينا لا ترجعون) بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا الينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فتعالى الله) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) الكرسي هو السرير الحسن (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به)

حسناته فاولئك هم المفلحون ومن رجحت سيئاته فاولئك الذين خسروا الخ (قوله فهم في جهنم) أشار المفسر الى ان قوله في جهنم خبر لمحذوف (قوله تلفح وجوههم) اللفح الاصابة بشدة (قوله شمرت شفاههم الخ) أي فالكلوح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد انه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي السفلى حتى تبلغ سرته (قوله تتلى عليكم) أي في الدنيا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله وهما مصدران بمعنى) أي وهو سوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) أي وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة وقيل اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة (قوله اخسؤا فيها) أي اسكتوا سكوت هوان وذل (قوله فينقطع رجاؤهم) أي وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله انه كان فريق) تعليل لما قبله (قوله بضم السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) المناسب ان يقول بدله وخباب لان سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب اليهم) أي وحقه ان ينسب الى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) أي وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة وبفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال ان قوله قال يقتضي ان الله يكلمهم مع انه قال في آية أخرى ولا يكلمهم الله فاجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله (قوله وفي قراءة قل) أي وهي سبعية أيضا والحاصل ان هنا وفيما يأتي في قوله قال ان لبثتم ثلاث قراآت سبعيات الامر فيهما والماضي فيهما أو الامر في الاول والماضي في الثاني (قوله كم لبثتم) كم في محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين هو مميزها والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لانهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا ويعولون على اللبث فيها وينكرون البعث فلما أدخلوا النار وأيقنوا دوامها وخلودهم فيها سألهم عن لبثهم في الدنيا زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث ظهر خلافه (قوله فاسئل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لانه غشيهم من الهول والعذاب ما يشغلهم عن ضبط ذلك واحصائه (قوله قال تعالى) أي تقريعا وتوبيخا وتصديقا لهم (قوله لو أنكم) لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف أيضا قدره المفسر بقوله كان قليلا أي في علمكم والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا (قوله أفحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فحسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) اما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين أو مفعول لاجله والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح فقوله لا لحكمة تفسير للعبث (قوله وأنكم الينا لا ترجعون) عطف على أنما خلقناكم فيكون حسبانا منسوطا عليه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدره جوابا للاستفهام (قوله بل لنتعبدكم) أي لنكلفكم (قوله على ذلك) أي على امتثال التعبد المذكور (قوله الا ليعبدون) أي حكمة خلقي لهم كونهم يمتثلون أوامري ويجتنبون نواهي (قوله فتعالى الله) أي تنزه (قوله الملك الحق) أي الذي يحق له التصرف في ملكه بالايجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ما سواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لان كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرئ شذوذا بالرفع على انه نعت مقطوع للمدح (قوله الكرسي) تقدم ان المناسب ابقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ وفي بعضها

بعضها اسقاطها (قوله صفة كاشفة) أي بيان للواقع لان كل من ادعى مع الله الها آخر لا يدوان يكون لا برهان له به (قوله فانما حسابه عند ربه) هو جواب الشرط (قوله انه لا يفلح الكافرون) الجمهور على كسر ان استئنافا وفيه معنى العلة وقرئ شذوذا بالفتح على انه خبر حسابه والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم (قوله في الرحمة زيادة على المغفرة) أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية ففي الغفران محو السيئات وفي الرحمة رفع الدرجات (قوله أفضل رحمة) بالنصب على التمييز

سورة النور

سميت بذلك لذكر النور فيها وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الاحكام الدينية المفصلة ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها لا تنزلوا النساء في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل (قوله هذه سورة) أشار المفسر الى ان سورة خبر لمحذوف قدره بقوله هذا والاشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر المشاهد ويصح أن تكون سورة مبتدأ وجملة أنزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزاني والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا أو الخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهي لعامة القراء وقرئ سورة بالنصب بفعل مضمر يفسره أنزلنا فهو من باب الاشتغال أو على الاغراء أي دونك سورة (قوله وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا (قوله مخففا ومشددا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأنزلنا فيها) كرر الانزال لكمال الاعتناء بشأنها (قوله آيات بينات) أي دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر في أول هذه السورة أنواع من الاحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله وفرضناها اشارة الى الاحكام وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات اشارة الى الادلة (قوله بادغام التاء الثانية) أي بعد قلبها دالا فذالا أي وبتسكينها أي فهما قراءتان سبعيتان وبقيت ثالثة سبعية أيضا وهي حذف احدى التاءين (قوله الزانية والزاني) مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أو جملة فاجلدوا ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وعليه درج المفسر وقدمت المرأة في حد الزنا وأخرت في آية حد السرقة لان شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهي في الرجل أقوى وأكثر (قوله لرجمهما بالسنة) أشار بذلك الى ان الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحصن وغيره فالسنة أخرجت المحصن وبينت ان حده الرجم فصار الكلام في غيره (قوله فاجلدوا كل واحد منهما الخ) أي بسوط لين له رأس واحد ويجرد الرجل من ثيابه والمرأة مما يقيها ألم الضرب وتوضع في قفة فيها تراب للستر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي وقال مالك لا تغرب الا الذكر الحر وأما المرأة أو الرقيق فلا يغربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ وقرئ شذوذا بالياء التحتية (قوله رأفة) بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان وقرئ بالمد بوزن سحابة والرأفة أشد الرحمة ويقال رءف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بأن تتركوا شيئا من حدهما) أي لان اقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد اقامة حد لله تعالى في الارض خير من ان تمطروا أربعين صباحا (قوله فهذا) أي قوله ان كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) أي حث على ماقبل الشرط وهو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (قوله وهو جوابه) أي كما هو رأي الكوفيين وقوله أودال أي كما هو رأي البصريين (قوله وليشهد عذابهما طائفة) الامر للندب والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة (قوله قيل ثلاثة الخ) القولان للشافعي وعند مالك أقل ذلك أربعة (قوله أي المناسب لكل منهما ماذكر) أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية والمعنى ان الزاني يرغب في نكاح الزانية أو المشركة والزانية ترغب في

صفة كاشفة لا مفهوم لها (فانما حسابه) جزاؤه (عند ربه انه لا يفلح الكافرون) لا يسعدون (وقل رب اغفر وارحم) المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة (وأنت خير الراحمين) أفضل رحمة

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) مخففا ومشددا لكثرة المفروض فيها (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالات (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية في الذال تتعظون (الزانية والزاني) أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أي ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) أي حكمه بان تتركوا شيئا من حدهما (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يوم البعث في هذا تحريض على ماقبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وليشهد عذابهما) أي الجلد (طائفة من المؤمنين) قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا (الزاني لا ينكح) يتزوج (الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) أي المناسب لكل منهما ماذكر

نكاح الزانى أو المشرك (قوله وحرم ذلك على المؤمنين) أى لما فيه من المفاسد كالطعن فى النسب والتعرض للتهم والتشبيه بالفساق فالواجب التزوج بالعفيفات لما فى الحديث تخيروا لنطفكم فان العرق دساس (قوله نزل ذلك) أى الآية وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية وانما ذكر الاولى زيادة فى التنفير (قوله وهن موسرات) أى غنيات (قوله خاص بهم) أى ولم ينسخ الى الآن (قوله وأنكحوا الايامى) جمع ايم وهى من ليس لها زوج بكرا أو ثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزانى والزانية وغيرهما فغاية الامر ان نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم ان الزانى والزانية اما ان يرجما ان كانا محصنين أو يجلدا ان لم يكونا كذلك فتبين ان الزنا أمره عظيم شديد لابد وان يثبت اما باقرار او باربعة عدول فان انتفى واحد من ذلك حد المدعى فبين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة وقوله الذين مبتدأ و يرمون صلته والخبر ثلاث جمل الاولى فاجلدوهم الثانية قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الثالثة قوله وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبه الاتهام بالرمى بجامع التأدية للهلاك فى كل لانه ان ثبت ذلك الامر فقد هلك المرمى وان لم يثبت فقد هلك الرامى وقوله المحصنات لامفهوم له بل وكذا المحصنون وانما خصهن بالذكر لان الشأن قوة شهوة النساء (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لان الاحصان كما يطلق على العفة يطلق على التزوج وعلى الحرية ومفهوم قوله العفيفات انه اذا رمى غير عفيف لايحد و يشترط زيادة على العفة أن يكون المرمى يتأتى منه الزنا أو اللواط بأن يكون ذا آلة فان رمى مجبوبا عزر ولا يحد وان يكون حرا مسلما مكلفا فان انتفى شرط منها لم يحد القاذف الا رامى الصبى باللواط به أو الصبية المطيقين فعند مالك يحد وعند الشافعى يعزر (قوله بالزنا) أى أو اللواط فى آدمى مطيق أو جنى تشكل بآدمى (قوله باربعة شهداء) أى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء أى يشهدون بانهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد ان يتحدوا فى الرؤية والاداء فان اختلفوا ولو فى أى صفة حد الجميع (قوله أبدا) أى ماداموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لا تقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله الا الذين تابوا) استثناء متصل لان المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى القذف (قوله فيها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الاخيرتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما ان التائب تقبل شهادته و يزول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لاتقبل) هذا مذهب ابن حنيفة واتفق الجميع على ان القاذف يجلد وان تاب فليس الاستثناء راجعا الى الجملة الاولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء أفصح من اثباتها الا فى المواريث (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البينة و يلاعن وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول فانه لم يكن لهم بينة (قوله الا انفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) أى قذف الزوجة بالزنا (قوله لجماعة من الصحابة) أى وهم هلال بن أمية وعويمر العجلانى وعاصم بن عدى (قوله نصب على المصدر) أى والعامل شهادة وفى قراءة سبعية أيضا بالرفع خبر المبتدا (قوله من الزنا) أى أو نفى الحمل لان اللعان كما يكون فى رؤية الزنا يكون فى نفى الحمل (قوله والخامسة ان لعنة الله الخ) بالرفع لاغير باتفاق السبعة وقوله ان تشهد اربع شهادات بالنصب لاغير باتفاق السبعة وقوله والخامسة ان غضب الله الخ يجوز فى السبعة رفعه ونصبه فتحصل أن الخامسة الاولى بالرفع لاغير وفى الثانية الوجهان ولفظ أربع الاول فيه الوجهان والثانى بالنصب لاغير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب ان اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفى لعانه ابعاد الزوجة والولد وفى لعانها اغضاب الرب والزوج والاهل ان كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدا) أى الذى هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به ✲ (فائدة) ✲ يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وايجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأبيد

(وحرم ذلك) أى نكاح الزوانى (على المؤمنين) الاخيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم (والذين يرمون المحصنات) العفيفات بالزنا (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) على زناهن برؤيتهم (فاجلدوهم) أى واحد منهم (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة) فى شئ (أبدا وأولئك هم الفاسقون) لاتيانهم كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) عملهم (فان الله غفور) لهم قذفهم (رحيم) بهم بالهامهم التوبة فيها ينتهى فسقهم وتقبل شهادتهم وقيل لاتقبل رجوعا بالاستثناء الى الجملة الاخيرة (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) عليه (الا أنفسهم) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فشهادة أحدهم) مبتدأ (أربع شهادات) نصب على المصدر (بالله انه لمن الصادقين) فيما رمى به زوجته من الزنا (والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فى ذلك وخبر المبتدا تدفع عنه حد القذف (ويدرأ) يدفع (عنها العذاب) أى حد الزنا الذى ثبت بشهاداته (ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)

بالستر في ذلك (وان الله تواب) بقبوله التوبة في ذلك وغيره (حكيم) فيما حكم به في ذلك وغيره لبين الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من
يستحقها (ان الذين جاؤا بالافك) أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها ٩٩ (عصبة منكم) جماعة من المؤمنين
قالت حسان بن ثابت وعبد
الله بن أبيّ ومسطح وحمنة
بنت جحش (لا تحسبوه) أيها
المؤمنين غير العصبة (شرا
لكم بل هو خير لكم) يأجركم
الله به ويظهر براءة عائشة
ومن جاء معها منه وهو صفوان
فانها قالت كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم في غزوة بعد
ما أنزل الحجاب ففرغ منها
ورجع ودنا من المدينة وآذن
بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت
شأني وأقبلت الى الرحل فاذا
عقدي انقطع هو بكسر المهملة
القلادة فرجعت التمسه وحملوا
هودجي هو ما يركب فيه على
بعيري يحسبونني فيه وكانت
النساء خفافا انما يأكلن العلقة
هو بضم المهملة وسكون اللام
من الطعام أي القليل
ووجدت عقدي وجئت بعد
ما ساروا فجلست في المنزل
الذي كنت فيه وظننت أن
القوم سيفقدونني فيرجعون
اليّ فغلبتني عيناي فنمت
وكان صفوان قد عرس من
وراء الجيش فادّلج هو بتشديد
الراء والدال أي نزل من آخر
الليل للاستراحة فسار منه
فأصبح في منزله فرأى انسان
نائم أي شخصه فعرفني حين
رآني قبل الحجاب فاستيقظت
باسترجاعه حين عرفني أي
قوله انا لله وانا اليه راجعون
فخمرت وجهي بجلبابي أي
غطيته بالملاءة والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة
حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة أي من أوغر واقفين في مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى
كبره منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول اه قولها رواه الشيخان

نحريمها أو فسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبين الحق في ذلك) جواب لولا
(قوله ان الذين جاؤا بالافك الخ) شروع في ذكر الآيات المتعلقة بالافك وهي ثمانية عشر تنتهي بقوله
أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها ان الله لما ذكر ما في
الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من رمى غيره به وذكر انه لا يليق بآحاد الامة فضلا عن
زوجة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوأ الكذب) أي أقبحه وأفحشه
(قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين
أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة (قوله عصبة
منكم) العصبة من العشرة الى الاربعين وان كان من عينهم وذكرتهم أربعة فقط لانهم هم
الرؤساء في هذا الامر (قوله من المؤمنين) أي ولو ظاهرا فان عبد الله بن أبيّ من كبار المنافقين
(قوله قالت) أي عائشة في تعيين أهل الافك (قوله وحمنة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد
الله (قوله لا تحسبوه شرا لكم) المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان
تسلية لهم (قوله بل هو خير لكم) أي لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن
تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) أي بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء
معها) أي يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أي السلمي ابن المعطل (قوله في غزوة) قيل هي غزوة
بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل في السادسة وسببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه
ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم
فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل
فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها ورد ها عليهم (قوله
بعد ما أنزل الحجاب) أي وهي قوله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب (قوله وآذن)
بالمد والقصر أي أعلم (قوله وقضيت شأني) أي حاجتي كالبول مثلا (قوله فاذا عقدي انقطع) أي
وكان من جزع اظفار وهو الخرز اليماني غالي القيمة وكان أصله لأمها أعطته لها حين تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل لاختها أسماء (قوله التمسه) أي افتش عليه (قوله فجلست في المنزل الذي
كنت فيه) أي وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها فان من الآداب ان الانسان اذا ضل عن رفقته
وعلم انهم يفتشون عليه ان يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه فربما رجعوا فلم يجدوه
(قوله فنمت) أي وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها (قوله وكان صفوان قد عرس) أي وكان صاحب
ساقة رسول الله لشجاعته وكان اذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فما سقط منهم شئ الا حمله حتى يأتي
به أصحابه (قوله فسار منه) أي فادلج بالتشديد سار من آخر الليل وأما أدلج سار من أوله (قوله في منزله)
أي منزل الجيش الذي مكثت فيه عائشة (قوله ووطئ على يدها) أي الراحلة خوف ان تقوم (قوله
موغرين) أي أتينا الجيش في وقت القيلولة (قوله فهلك من هلك) أي تكلم بما كان سببا في هلاكه
(قوله فيّ) أي بسببي (قوله ابن أبيّ ابن سلول) نسب أولا لابيه ثم لامه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار
ما اختصره والا فالحديث له بقية كما في البخاري وهي فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا وهم يفيضون
من قول أصحاب الافك ويريبني في وجعي أني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي
كنت أرى منه حين أمرض انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم لا أشعر بشئ من ذلك حتى نقهت
بفتح وكسر أي برئت من مرضي فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج الا ليلا الى ليل

وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية أوفى التنزه فاقبلت أنا
وأم مسطح بنت رهم نمشى فعثرت فى مرطها هو بكسر الميم كساء من صوف فقالت تعس مسطح فقلت
لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أى قليلة المعرفة ألم تسمعى ما قالوا فاخبرتنى بقول
أهل الافك فازددت مرضا على مرضى فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كيف تيكم فقلت ائذن لى الى أبوى قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فاذن لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتيت أبوى فقلت لامى ما يتحدث به الناس قالت يا بنية هونى على نفسك الشأن
فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد
تحدث الناس بهذا قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق
أهله فاما اسامة فاشار اليه بالذى يعلم من نفسه بالود لهم فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا
خيرا وأما على بن أبى طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسأل الجارية تصدقك
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال يا بريرة هل رأيت فيها شيأ يريبك فقالت بريرة لا والذى بعثك
بالحق نبيا ان رأيت منها أمرا أغمصه عليها هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة أى أعيبه وأنكره
أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن العجين فيأتى الداجن هو بدال مهملة ثم جيم ما يألف
البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم فاستعذر من
عبد الله بن أبى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهلى
فوالله ما علمت فى أهلى الا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلى الا معى
فقام سعد بن معاذ وقال يا رسول الله أنا والله أعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من
اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا
صالحا ولكن احتملته الحمية فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير فقال
كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا
أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت وبكيت يومى
لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندى أبواى وقد بكيت ليلتى ويوما حتى أظن ان البكا فالق
كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذا استأذنت امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى
معى فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى
ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى شئ قالت فتشهد ثم قال يا عائشة انه قد بلغنى عنك كذا
وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا
اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى أى
انقطع جريانه حتى ما أحس منه بقطرة وقلت لابى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله
ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
قال قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ
كثيرا من القرآن فقلت انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر فى أنفسكم وصدقتم به
ولئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى لبريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى لبريئة
لتصدقنى والله ما أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم
تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا أرجو أن يبرئنى الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحى ولا
أنا أحقر فى نفسى من ان يتكلم بالقرآن فى أمرى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام أى برح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل
عليه الوحى فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء أى الشدة والكرب حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان أى

قال تعالى (لكل امرئ منهم) أي عليه (ما اكتسب من الاثم) في ذلك (والذي تولى كبره منهم) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبدالله بن أبي (له عذاب عظيم) هو النار في الآخرة (لولا) هلا (اذ) حين (سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) أي ظن بعضهم ببعض (خيرا وقالوا هذا افك مبين) كذب بين فيه التفات عن الخطاب أي ظننتم أيها العصبة وقلتم (لولا) هلا (جاؤا) أي العصبة (عليه بأربعة شهداء) شاهدوه (فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) أي في حكمه (هم الكاذبون) فيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم) أيها العصبة أي خضتم (فيه عذاب عظيم) في الآخرة (اذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل احدى التاءين واذ منصوب بمسكم أو بأفضتم (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا) لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) في الاثم (ولولا) هلا (اذ) حين سمعتموه (قلتم ما يكون) ما ينبغي (لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) هو للتعجب هنا (هذا بهتان) كذب (عظيم يعظكم الله) ينهاكم (ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين) تتعظون بذلك (ويبين الله لكم الآيات) في الأمر والنهي (والله عليم) بما يأمر به وينهى عنه (حكيم) فيه (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) باللسان (في الذين آمنوا) بنسبتها

الا ثؤمن العرق في يوم شات فلما سري أي كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله فقالت أمي قومي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله فأنزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الآيات فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا أنفق على مسطح بشئ أبدا بعد ما قال في عائشة فأنزل الله عز وجل ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لأحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت ما رأيت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع انتهى (قوله لكل امرئ منهم) أي من العصبة (قوله ما اكتسب من الاثم) أي جزاء ما اكتسب من الاثم في الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبي فانهم قد حدوا حد القذف وعمي حسان وشلت يده في آخر عمره وعمي مسطح أيضا أو في الدنيا والآخرة وهو لابن أبي فعذبه الله بخزي الدنيا والخلود في النار (قوله لولا اذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين في الافك وانهم اكتسبوا الاثم شرع في توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر الأول هذا الثاني لولا جاؤا عليه الخ الثالث ولولا فضل الله الخ الرابع اذ تلقونه الخ الخامس ولولا اذ سمعتموه الخ السادس يعظكم الله الخ السابع ان الذين يحبون الخ الثامن ولولا فضل الله عليكم الخ التاسع يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الى سميع عليم ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضي لان لولا لها ثلاثة أحوال اذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ واذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض واذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية وقد كررت هنا في ست مواضع الاول والثاني والرابع توبيخية لا جواب لها والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها في الثالث والسادس وحذف في الخامس فتدبر واذ ا ظرف لظن والمعنى كان ينبغي لكم بمجرد سماعه ان تحسنوا الظن في أم المؤمنين ولا تصروا على الامر القبيح بعد سماعه (قوله بأنفسهم) أي بأبناء جنسهم في الايمان والصحبة (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي الى الغيبة اذ كان مقتضى الظاهر ظننتم وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة في توبيخهم (قوله لولا جاؤا عليه) أي الافك (قوله شاهدوه) أي عاينوا الزنا (قوله في حكمه) أي الشرعي لان مداره على الشهادة والامر الظاهر وهذا جواب عما يقال انهم كاذبون عند الله مطلقا ولو أتوا بشهداء فأجاب بانهم كاذبون باعتبار حكم الشرع ولا شك انهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله انهم صادقون في الظاهر فاراد الله أن يكذبهم ظاهرا وباطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم والمعنى امتنع مس العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما أفضتم فيه) أي بسببه وما اسم موصول وأفضتم صلته أو مصدرية أي بسبب الذي أفضتم فيه او بسبب افاضتكم (قوله عذاب عظيم) اى لغير ابن سلول فان عذابه محتم (قوله اذ تلقونه بألسنتكم) أي تتلفظون به باللسان فقط دون اعتقاد بالقلب فهم يعتقدون براءتها وانما تلفظهم بالافك محض حسد وعناد (قوله ولولا اذ سمعتموه) لولا توبيخية واذ ظرف لقلتم والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الامر ان تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين لولا وقلتم لانه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها (قوله هو للتعجب هنا) أي مع التنزيه والمعنى تنزيها لك من انتهاك حرماتك فانه غير لائق بك ولا بأحبابك الذين قلت فيهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (قوله ينهاكم) أشار بذلك الى انه ضمن يعظكم معنى ينهاكم فعداه بعن (قوله أبدا) اى مدة حياتكم (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فلا تعودوا لمثله (قوله باللسان) أي فالمراد باشاعتها اشاعة خبرها (قوله بنسبتها

اليهم وهم العصبة (لهم عذاب اليم فى الدنيا) بحد القذف (والآخرة) بالنار لحق الله (والله يعلم) انتفاءها عنهم (وأنتم) أيها العصبة بما قلتم من الافك (لاتعلمون) وجودها فيهم (ولولا فضل الله عليكم) أيها العصبة (ورحمته وأن الله رؤف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة (ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى طرق تزيينه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) أى المتبع (يأمر بالفحشاء) أى القبيح (والمنكر) شرعا باتباعها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم) أيها العصبة بما قلتم من الافك (من أحد أبدا) أى ماصلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من الذنب بقبول توبته منه (والله سميع) بما قلتم (عليم) بما قصدتم (ولا يأتل) يحلف (أولوا الفضل) أى أصحاب الغنى (منكم والسعة أن لا يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) نزلت فى أبى بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدرى لما خاض فى الافك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الافك (وليعفوا وليصفحوا) عنهم فى ذلك (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لى ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه (الذين يرمون) بالزنا (المحصنات) العفائف (الغافلات) عن الفواحش بأن لايقع فى قلوبهن فعلها (المؤمنات) بالله ورسوله (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم) ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم فى (تشهد) بالفوقانية والتحتانية (عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاءهم الذى كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبى والمحصنات هنا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

لطيفه

(اليهم) أشار بذلك الى ان المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبه) تفسير للذين يحبون (قوله لحق الله) أى ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبى واما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وان الله رؤف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا وخبر المبتدا محذوف والتقدير موجودان (قوله خطوات) بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبدا وقوله فانه يأمر الخ تعليل للجواب (قوله أى المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيأمر (قوله مازكى منكم من أحد أبدا) هذا يفيد انهم تابوا وطهروا وهو كذلك الا عبد الله بن ابى فانه استمر على النفاق حتى هلك كافرا (قوله ولا يأتل) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله أى أصحاب الغنى) فى تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله ان لا يؤتوا) أشار المفسر الى ان الكلام على تقدير لا النافية (قوله أولى القربى) أى القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوفان على أولى فهذه الاوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف أن لا ينفق على مسطح) أى فبعد ذلك تاب وجاء الى أبى بكر واعتذر وقال انما كنت اغشى مجلس حسان واسمع منه ولا أقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن يمينه ﴿لطيفة﴾ وقع لابن المقرى انه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لابيه

لاتقطعن عادة برولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه * فان أمر الافك من مسطح
يحط قدر النجم من أفقه * وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

﴿فكتب اليه والده﴾

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * توجب ايصالا الى رزقه
لولم يتب مسطح من ذنبه * ماعوتب الصديق فى حقه

انتهى (قوله لما خاض فى الافك) ظرف لقوله حلف (قوله وليعفوا) أى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) أى ليعرضوا عن لومهم (قوله ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه) أى وحلف أن لا ينزع نفقته منه أبدا ومسطح هو ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله الغافلات عن الفواحش) أى السليمة صدورهن ونقاء قلوبهن واستغراقهن فى مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا فى الدنيا) أى بعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين وقوله والآخرة أى بالعذاب ان لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) أى والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم اوليعلمون (قوله جزاءهم الواجب عليهم) أشار بذلك الى أن المراد بالدين الجزاء لما فى الحديث كما تدين تدان (قوله هو الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ومنهم عبد الله بن أبى) أتى بهذا ليصح قوله كانوا يشكون فيه فالشك من بعضهم وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يترددون فى الجزاء (قوله أزواج النبى) أى لان من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراكهن

في العفة والصيانة والنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لم يذكر في قذفهن توبة) أي مثل ما ذكر فيما تقدم في قوله الا الذين تابوا (قوله ومن ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهويل والتعظيم لامر الافك والا فهو كغيره من سائر المعاصي التي تمحى بالتوبة وأما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كفر المصادمة القرآن العظيم فاعتقاد براءتها شرط في صحة الايمان (قوله الخبيثات للخبيثين) كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة وتقبيحا على من تكلم فيها والمعنى ان المجانسة من دواعي الانضمام فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم * وكل اناء بالذي فيه ينضح (قوله والطيبات للطيبين) الاشارة بذلك لرسول الله وعائشة أي فحيث كان رسول الله أطيب الطيبين تبين بذلك ان عائشة من أطيب الطيبات (قوله من الناس ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير الخبيثات وقوله مما ذكر أي من الناس والكلمات (قوله أي اللائق بالخبيث مثله) أي من نساء او كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك ويروى انه أتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وفي القرطبي قال بعض أهل التحقيق ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد وان مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام وان عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضي لها براءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الخ) لما ذكر الله أحكام العفاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير الا باذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك وسبب نزولها ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في بيتي على حال لا أحب ان يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الاب فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) أي غير محل سكنكم وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار اذا دخل على مكتريها فيجب عليه الاستئذان لانه قد صدق عليه انه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش سمي بذلك لان المستأذن مستوحش فاذا أذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) أشار بذلك الى أن السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الاكثر والحق التفصيل فان وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير الاول اعلام والثاني للتهيؤ والثالث استئذان في الدخول أو الرجوع واذا أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه بل يجيء من جهة ركنه الايمن أو الايسر واذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفي بقوله أنا مثلا لما روي عن جابر بن عبد الله قال استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا انا كأنه كره ذلك لعدم افادته فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين اراد الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أيدخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) أي ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف (قوله بادغام التاء الثانية في الذال) أي بعد قلبها ذالا (قوله احدا يأذن لكم) السالبة تصدق بنفي الموضوع فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلا أو فيها من لا يصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) أي حتى يأتيكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو أزكى) أي أطهر للامن من الرذائل والدناآت (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالاستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم

لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن (الخبيثات) من النساء ومن الكلمات (للخبيثين) من الناس (والخبيثون) من الناس (للخبيثات) مما ذكر (والطيبات) مما ذكر (للطيبين) من الناس (والطيبون) منهم (للطيبات) مما ذكر أي اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أولئك) الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مبرؤن مما يقولون) أي الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم (لهم) للطيبين والطيبات من النساء (مغفرة ورزق كريم) في الجنة وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا (وتسلموا على أهلها) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد في حديث (ذلكم خير لكم) من الدخول بغير استئذان (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملون به (فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم) بعد الاستئذان (ارجعوا فارجعوا هو) أي الرجوع (أزكى) أي خير (لكم) من القعود على الباب (والله بما تعملون) من الدخول باذن وغير اذن (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا

غير مسكونة فيها متاع) أي منفعة (لكم) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (والله يعلم ما تبدون) تظهرون (وما تكتمون) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسيأتي انهم اذا دخلوا بيوتهم يسلمون على انفسهم (قل للمؤمنين يغضوا

من أبصارهم) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل لهم فعله بها (ذلك أزكى) أي خير (لهم ان الله خبير بما يصنعون) بالابصار والفروج فيجازيهم عليه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله بها (ولا يبدين) يظهرن (زينتهن الا ما ظهر منها) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لاجنبي ان لم يخف فتنة في احد وجهين والثاني يحرم لانه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي يسترن الرؤس والاعناق والصدور بالمقانع (ولا يبدين زينتهن) الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) جمع بعل أي زوج (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن) فيجوز لهم نظره الا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الازواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ما ملكت ايمانهن العبيد (أو التابعين) في فضول الطعام (غير) بالجر صفة والنصب استثناء (أولي الاربة) أصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) بأن لم ينتشر ذكر كل (أو الطفل) بمعنى الاطفال (الذين لم يظهروا) يطلعوا (على عورات النساء) للجماع فيجوز ان يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة (ولا يضربن بأرجلهن

وسبب نزولها أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت (قوله غير مسكونة) أي غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها (قوله باستكنان) أي طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والشراء (قوله المسبلة) اقتصر عليها لانها مورد سؤال أبي بكر في الخانات المسبلة التي بين مكة والشام (قوله وسيأتي) أي في آخر السورة في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم أي وان كان بها أهل فسلموا عليهم (قوله قل للمؤمنين الخ) شروع في ذكر أحكام تعم المستأذنين وغيرهم (قوله يغضوا) أي يخفضوا (قوله ومن زائدة) أي يغضوا أبصارهم وحكمة دخول من في غض البصر دون حفظ الفرج الاشارة الى ان أمر النظر أوسع من أمر الفرج (قوله ذلك أزكى لهم) أي لانه أبعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقي الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالذكر لانهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) أي فالغاض يجازى بالحسنات وغيره يجازى بالسيئات (قوله وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الابصار وحفظ الفروج وبسط الكلام في شأنهن لان النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روي اذا أقبلت المرأة جلس ابليس على رأسها فزينها لمن ينظر واذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميرا للاناث ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن (قوله عما لا يحل لهن فعله بها) أي عن الامر الذي لا يحل فعله بالفروج كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظرا أو فعلا (قوله زينتهن) أي موضع زينتهن (قوله فيجوز نظره لاجنبي الخ) هذا مذهب مالك وأحد قولين عند الشافعي (قوله حسما للباب) أي سدا للذريعة (قوله وليضربن بخمرهن) أي يلقين خمرهن على موضع جيوبهن وهو العنق والجيب في الاصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها فأمرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها (قوله زينتهن) أي مواضع زينتهن (قوله الا لبعولتهن) حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعا آخرها أو الطفل (قوله أو آبائهن) أي وان علوا (قوله او ابنائهن) أي ولو من الرضاع وان سفلوا (قوله او اخوانهن) جمع اخ كان من نسب او رضاع (قوله او نسائهن) أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الايمان فخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء ويجوز لهن نظر ذلك منهم وهذا مذهب الشافعي وعند مالك لا يحل للرجال المحارم الا نظر الوجه والاطراف من النساء المحارم واما النساء فيحل لهن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن) أي باتفاق مالك والشافعي لئلا تصفها الكافرة لاهل دينها فتحصل المفاسد (قوله العبيد) أي فيجوز ان يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين وهذا مذهب الشافعي وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيدته الوجه والاطراف وغيره كالحر الاجنبي يرى منها الوجه والكفين (قوله او التابعين) الحق ان المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء أو الابله الذي لا يعرف الارض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولي الاربة) بالكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين أي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي وعند مالك يحل نظر الوجه والاطراف فقط (قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم ان الصبي

اما

ليعلم ما يخفين من زينتهن) من خلخال يتقعقع (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون) مما وقع ـ ١٠٥ ـ لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره

اما ان لا يبلغ ان يحكى ما رأى ومذاغيبته كحضوره أوان يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم او يعرف أمر الجماع والشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعى (قوله ليعلم ما يخفين من زينتهن) أى فان ذلك يورث الرجال ميلا اليهن وهذا من باب سد الباب وتعليم الاحوط والافضوت الخلخال مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا الى الله جميعا) هذا احسن اختتام لهذه الآية كأن الله يقول لا تقنطوا من رحتى فمن كان قد وقع منه شئ مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أى فى قوله وتوبوا الخ (قوله وأنكحوا الايامى منكم الخ) الخطاب للاولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع ايم) أى بوزن فيعل قيل غير مقلوب وقيل ان الاصل ايائم فقلب (قوله وهى من ليس لها زوج الخ) أى فلفظ الايم يطلق على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين سواء سبق لهما تزوج أولا والامر للوجوب ان خيف الزنا على المرأة او الرجل أو اضطرت المرأة للنفقة لكن المرأة يزوجها وليها والرجل يتزوج بنفسه ان كان رشيدا أو اذن له وليه وهذا مذهب مالك والشافعى وعند أبى حنيفة تزوج المرأة نفسها فان لم تخف الزنا أو لم تضطر المرأة كان مباحا عند الشافعى ومندوبا عند مالك وأبى حنيفة واعلم أن النكاح تعتريه الاحكام الاربعة فتارة يجب وذلك اذا خاف الزنا ولو كان ينفق عليها من حرام وتارة يندب اذا كان راغبا فيه ولم يخش الزنا أو راجيا النسل وتارة يحرم كما اذا كان يقطعه عن عبادة واجبة أو ينفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا وتارة يكره كما اذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة (قوله وهذا فى الاحرار الخ) أى بقرينة قوله وامائكم (قوله أى المؤمنين) أى فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوبا ان خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعى وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحينئذ فالامر عنده للندب (قوله من عبادكم) أى فيزوجه سيده ولو بحرة وقوله وامائكم أى فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا الحر بشرط ان لا يجد للحرائر طولا وان يخشى الزنا ومحل الشرطين ان لم يكن عقيما (قوله من جموع عبد) أى وله جموع أخر كعبيد واعابد واعبد ونحو ذلك (قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) أى فان فى فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى بالتزويج فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وان كانوا فقراء لما فى الحديث تنكح المرأة لمالها وجمالها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك (قوله والله واسع) أى ذو العطايا العظيمة التى لا تنفد (قوله عليم بهم) أى بحالهم فيغنيهم (قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أى ليجتهدوا فى طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء ويكون بملازمة الصوم والرياضة لما فى الحديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ويكون بترك استعمال العقاقير التى تقوى الشهوة واستعمال ضدها (قوله أى ما ينكحون به) أى فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله عن الزنا) قدره اشارة الى أن متعلق يستعفف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويبتغون صلته والكتاب معمول ليبتغون وقوله مما ملكت أيمانكم حال من فاعل يبتغون وقوله فكاتبوهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط (قوله بمعنى المكاتبة) أى وهى مفاعلة لان السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه النجوم (قوله فكاتبوهم) الامر للندب (قوله أى امانة) أى فى دينه (قوله وقدرة على الكسب) أى بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الامر للندب وقيل للوجوب (قوله حط شئ) أى وهو أفضل من الاعطاء لانه قد يصرفه فى غير جهة الكتابة والافضل ان يكون الحط فى آخر نجم (قوله ولا تكرهوا فتياتكم) جمع فتاة ولا مفهوم للاكراه بل الرضا بالزنا من الكبائر وانما عبر به لانه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بغت المرأة تبغى بغاء أى زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله ان اردن تحصنا) لا مفهوم له بل يحرم الاكراه على الزنا وان لم يردن التحصن وانما نص على ذلك لانه الواقع من عبد الله بن أبى الذى نزلت فى حقه الآية (قوله محل الاكراه) اى فلا يتحقق الاكراه الا عند ثبات الارادة واما من لم يكن له فذلك اختيار منه لا يتصور الاكراه منه فالمعنى لا مفهوم للشرط (قوله كان يكره جواريه)

(لعلكم تفلحون) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفى الآية تغليب الذكور على الاناث (وأنكحوا الأيامى منكم) جمع ايم وهى من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج وهذا فى الاحرار والحرائر (والصالحين) أى المؤمنين (من عبادكم وامائكم) وعباد من جموع عبد (ان يكونوا) أى الاحرار (فقراء يغنهم الله) بالتزوج (من فضله والله واسع) لخلقه (عليم) بهم (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أى ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حتى يغنيهم الله) يوسع عليهم (من فضله) فينكحون (والذين يبتغون الكتاب) بمعنى المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا) أى امانة وقدرة على الكسب لاداء مال الكتابة وصيغتها مثلا كاتبتك على ألفين فى شهرين كل شهر ألف فاذا أديتهما فانت حر فيقول قبلت (وآتوهم) أمر للسادة (من مال الله الذى آتاكم) ما يستعينون به فى أداء ما التزموه لكم وفى معنى الايتاء حط شئ مما التزموه (ولا تكرهوا فتياتكم) أى اماءكم (على البغاء) أى الزنا (ان اردن تحصنا) تعففا عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط (لتبتغوا) بالاكراه (عرض الحياة الدنيا) نزلت فى عبد الله بن أبى كان يكره جواريه على التكسب بالزنا (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن

غفور) لهن (رحيم) بهن (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء وكسرها في هذه بين السورة بين فيها ماذكر أو بينة (ومثلا) خبراعجيبا وهو خبرعائشة (من الذين خلوا من قبلكم) أي من جنس أمثالهم أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) في قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا اذ سمعتموه قلتم الخ يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لانهم المنتفعون بها (الله نور السموات والارض) أي منورهما بالشمس والقمر (مثل نوره) أي صفته في قلب المؤمن (كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة) هي القنديل والمصباح السراج أي الفتيلة الموقودة والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الانبوبة في القنديل (الزجاجة كأنها) والنور فيها (كوكب درى) أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام وبضمها وتشديد الياء منسوب الى الدر اللؤلؤ (توقد) المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجة (من) زيت (شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد

أي وكن سنا فشكاثنتان منهن للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لهن) أي ماوقع منهن لان المكره وان لم يكن آثما لربما يحصل منه بعض ميل والاكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدى له أو لتلاف عضو وأما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره وأما ترك الصلاة مثلا فالاكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ماذكر) راجع للفتح وقوله أو بينة راجع للكسر (قوله ومثلا) عطف على آيات (قوله أي من جنس أمثالهم) أشار بذلك الى ان في الآية حذف مضافين والاصل ومثلا من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والارض) اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولا وندرك بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى مستحيل اطلاقه على الله تعالى وحينئذ فيجاب عن الآية بان معنى كونه نور السموات والارض خالق النور في السموات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة وفي الارض بالمصابيح والسرج والشموع والانبياء والعلماء والصالحين وأفاد هذا المفسر بقوله أي منورهما وقيل معنى نور السموات والارض مظهرهما لان النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر في نفسه المظهر لغيره وهو بهذا المعنى يصح اطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر الاشياء من العدم الى الوجود قال ابن عطاء الله في الحكم الكون كله ظلمة أناره ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله اذ لولا وجود الله ما وجد شيء من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ وقوله كمشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف أي كمثل مشكاة (قوله أي صفته في قلب المؤمن) أشار بذلك الى أن في الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولا بمعنى ثم ذكره ثانيا بمعنى آخر فحصل انه فسر النور أولا بالحسي وثانيا بالمعنوي (قوله كمشكاة) اختلف في هذه اللفظة قيل عربية وقيل حبشية معربة (قوله في زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرئ شذوذا (قوله هي القنديل) بكسر القاف (قوله الموقودة) صوابه الموقدة (قوله غير النافذة) قيد به لانه في تلك الحالة أجمع للنور (قوله أي الانبوبة) هي السنبلة التي في القنديل وهو تفسير آخر للمشكاة وحينئذ فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الانبوبة فتحصل انه اختلف في المشكاة فقيل هي الطاقة الغير النافذة التي وضع فيها القنديل وعليه فهي ظرف للقنديل وقيل هي السنبلة التي تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها (قوله بكسر الدال وضمها) أي مع الهمز قراءتان سبعيتان وقوله وبضمها وتشديد الياء قراءة سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا (قوله بمعنى الدفع) أي وبابه قطع (قوله منسوب الى الدر) أي لشدة صفائه (قوله بالماضي الخ) حاصله ان القراآت ثلاث سبعيات بالماضي وبالمضارع بالتحتانية ويكون الضمير عائدا على المصباح وبالفوقانية ويكون الضمير عائدا على الزجاجة على حذف مضاف أي فتيلة الزجاجة (قوله من زيت شجرة) من ابتدائية وأشار المفسر الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله مباركة) أي لكثرة منافعها قال ابن عباس في الزيتون منافع يسرج بزيته وهو ادام ودهان ودباغ ووقود وليس فيه شيء الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهي أول شجرة نبتت في الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الانبياء والارض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله لاشرقية ولاغربية) بالجر صفة لشجرة وقرئ شذوذا بالرفع خبر لمحذوف أي لاهي شرقية ولاهي غربية والجملة في محل جر نعت لشجرة (قوله بل بينهما الخ) أشار بذلك الى ان المراد بقوله لاشرقية ولاغربية انها متوسطة لاشرقية فقط ولاغربية فقط بل بينهما وهي الشام فان زيتونه أجود الزيتون وفي الحديث لاخير في شجرة ولانبات في مقنأة ولاخير فيهما في مضحى والمقنأة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة المكان الذي لاتطلع عليه الشمس والمضحى هو الذي تشرق عليه دائما فتحرقه وهو أحد قولين وقيل معنى لاشرقية ولاغربية ان الشمس تبقى عليها دائما من أول

النهار لآخره لانواريها عن الشمس شئ كالتى تكون فى الصحارى الواسعة فان ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها (قوله مضر بن) هذا هو محل النفى وهو حال (قوله ولو لم تمسسه نار) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير لاضاء (قوله نور به) أى الزيت وقوله على نور أى مع نور وهو نور المصباح والزجاجة فالانوار المشبه بها متعددة كانوار المشبه فليس المقصود فى الآية التثنية بل الكثرة وتراكم الانوار (قوله ونور الله) أى هداه الخ أى فبراهين الله تزداد فى قلب المؤمنين برهانا بعد برهان ان قلت لم ضرب الله المثل بنور الزيت ولم يضرب به بنور الشمس والقمر والشمع مثلا أجيب بأن الزيت فيه منافع ويسهل لكل أحد كان المؤمن الكامل الايمان منافعه كثيرة واختلف فى هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء وذلك بأن براد مثل نور الله الذى هو هداه وبراهينه الساطعة كجملة النور الذى يتخذ من هذه الهيئة أو تشبيه جزء بجزء بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ومعارفه بالزيت وايمانه بالمصباح (قوله يهدى الله لنوره من يشاء) أى من يريد هدايته فان الاسباب دون مشيئته لاغية ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور (قوله أى دين الاسلام) المراد به ما يشمل الايمان وهو الذى ضرب له المثل المتقدم وأظهر فى مقام الاضمار اعتناء بشأنه (قوله ويضرب الله الامثال للناس) أى تقريبا للمعقول من المحسوس بحيث كان نور الايمان والمعارف مثله هكذا فلا تدخل شبهة على المؤمن الا شاهدها بعين البصيرة كما تشاهد بعين البصر ويشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده بعين البصر وفى هذا المقام تنافس المتنافسون فأدناهم أهل المراقبة وأعلاهم أهل المشاهدة ومن هذا المعنى قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله فى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقوله فى الحديث أيضا الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وللعارفين تفننات وضرب أمثال فى هذه المقامات لا يدركها الا من كان من أهل هذا النور (قوله فى بيوت) المراد بها جميع المساجد وقيل خصوص مساجد أربع الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء لانه لم يبنها الا نبى فالكعبة بناها ابراهيم واسمعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الاول لان العبرة بعموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتى) أى سواء قرئ ببنائه للفاعل أو للمفعول وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد لما ورد بيوت الله فى الارض تضىء لاهل السماء كما تضىء النجوم لاهل الارض ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف دل عليه قوله يسبح والتقدير سبحوا ربكم فى بيوت وعلى هذين فالوقف على عليم ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وعلى هذه الاربعة لا يوقف على عليم (قوله اذن الله) أى أمر والجملة صفة لبيوت وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة والتقدير بأمر الله برفعها (قوله تعظم) أى حسا ومعنى فالتعظيم الحسى رفعها بالبنيان المتين الحسن مساو بالبنيان البلد أو أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام اذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم لان المنهى عنه الزخرفة والتزويق لا حسن البنيان واتقانه ومن التعظيم الحسى تطهيرها من الاقذار والنجاسات قال القرطبى كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان فى المساجد لانهم لا يتحرزون عن الاقذار والاوساخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وجمروها فى الجمع واجعلوا المطاهر على أبوابها المطاهر والتعظيم المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لا ينبغى (قوله ويذكر فيها اسمه) أى بأى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاث والاول أولى ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل بفعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره يسبحه أو المسبح وعليه فالوقف على الآصال وعلى الكسر فرجال فاعله ولا يوقف على الآصال (قوله أى يصلى) فسر

مضر بن (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) لصفائه (نور) به (على نور) بالنار ونور الله أى هداه للمؤمن نور على نور الايمان (يهدى الله لنوره) أى دين الاسلام (من يشاء ويضرب) يبين (الله الامثال للناس) تقريبا لافهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شئ عليم) ومنه ضرب الامثال (فى بيوت) متعلق بيسبح الآتى (أذن الله أن ترفع) تعظم (ويذكر فيها اسمه) بتوحيده (يسبح) بفتح الموحدة وكسرها أى يصلى (له فيها بالغدو)

ربع

مصدر بمعنى الغدوات أى البكر (والآصال) العشايا من بعد الزوال (رجال) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لا تلهيهم تجارة) أى شراء (ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) حذف هاء إقامة تخفيف (وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب) تضطرب (فيه القلوب والأبصار) من الخوف القلوب بين النجاة والهلاك والأبصار بين ناحيتى اليمين والشمال هو يوم القيامة (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) أى ثوابه وأحسن بمعنى حسن (ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) يقال فلان ينفق بغير حساب أى يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) جمع قاع أى فى فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار فى شدة الحر يشبه الماء الجارى (يحسبه) يظنه (الظمآن) أى العطشان (ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أى لم ينفعه (ووجد الله عنده) أى عند عمله (فوفاه حسابه) أى جازاه عليه فى الدنيا (والله سريع الحساب) أى المجازاة

التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه واختلف فى المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح فى الغدو وباقى الخمس فى الآصال وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل انهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الاصل وأما هنا فالمراد منه الازمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار وقوله العشايا هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالذكر لان شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وان كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لذكره البيع بعده وقيل المراد بالتجارة حقيقتها ويكون خص البيع بالذكر لان الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنهما فان المواظب عليهما كامل الايمان (قوله وإقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء الرجال وان أكثروا الذكر والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لعلمهم بانهم ما عبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والهلاك) راجع لتقلب القلوب وقيل معنى تقلب القلوب ارتفاعها الى الحناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول (قوله بين ناحية اليمين والشمال) وقيل تقلب الابصار شخوصها من هول الامر وشدته (قوله ليجزيهم الله) اللام للعاقبة والصيرورة أى ان مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لان هذه مرتبة عامة المؤمنين وتلك الاوصاف انما هى لكامل الايمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أى فالمحترز عنه المجازاة على القبيح فالمعنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أى فلا يقتصر فى اعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفى به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أى فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ما وعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين باشرف الامثال وأعلاها ضرب المثل للكفار باشر الاشياء وأخسها والحاصل ان الله ضرب للكفار مثلين مثل لاعمالهم الحسنة بقوله كسراب الخ ومثل لاعمالهم السيئة بقوله أو كظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتمال وكسراب خبر الذين (قوله أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية (قوله بقيعة) الباء بمعنى فى كما يشير له المفسر بقوله أى فى فلاة (قوله جمع قاع) أى كجيرة جمع جار وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجارى) أى ويسمى آلا أيضا قال الشاعر

اذا أنا كالذى يجرى لورد * الى آل فلم يدرك بلالا

ويسمى سرابا لانه يتسرب أى يجرى كالماء (قوله يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب فى لغة جميع العرب الا بنى كنانة فانهم يكسرون المضارع مع كسر الماضى أيضا (قوله الظمآن) أى وكذا كل من رآه وانما خص الظمآن لانه أحوج اليه من غيره (قوله حتى اذا جاءه) أى جاء ما قصده وظنه ماء وهو غاية فى محذوف أى يستمر سائرا اليه حتى اذا جاءه الخ (قوله كذلك الكافر الخ) أشار بذلك الى وجه الشبه فتحصل انه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده ان عمله الصالح ينفعه فى الآخرة فاذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب تعلق به فاذا جاءه لم يجده شيئا (قوله ووجد الله) أى وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو المعنى وجد عذاب الله (قوله أى جازاه عليه فى الدنيا) المعنى ان الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق ان الله جازاه على أعماله الحسنة التى لم تتوقف على نية فى الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا

قال المفسر وهو وان كان صحيحا في نفسه الا أن المفسرين على خلافه فانهم قالوا معنى وفاه حسابه جازاه
عليه في الآخرة بالعذاب والحاصل انه ان أريد مثل أعماله الصالحة التي تتوقف على نية فسلم انه لا يجد
لها جزاء في الآخرة ولا تنفعه أصلا وان أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعا أصلا
وقيل يجد نفعها اما في الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر
(قوله أو كظلمات) أو للتقسيم أي ان أعمال الكافر تنقسم قسمين قسم كالسراب وهو العمل الصالح
وقسم كالظلمات وهو العمل السيء وقوله أو كظلمات معطوف على قوله كسراب على حذف مضاف
تقديره أو كذي ظلمات يدل عليه قوله اذا أخرج يده لم يكد يراها (قوله لجي) منسوب للج أو اللجة وهو
الماء الغزير (قوله يغشاه موج الخ) أي يعلوه وهو اشارة الى كثرة الامواج وتراكمها والمعنى ان البحر
اللجي يكون باطنه مظلما بسبب غزارة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان مع ذلك
سحاب ازدادت الظلمة جدا ووجه الشبه ان الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات ظلمة البحر والامواج والسحاب
كذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحاب) أي قد
غطى أنوار النجوم (قوله هذه ظلمات) أشار بذلك الى أن قوله ظلمات خبر لمحذوف (قوله اذا أخرج
يده) خصها لانها أقرب الاشياء اليه (قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) استفيد من هذا أن
النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء والمعنى من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين
له (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل وهو توبيخ للكفار كأن الله يقول لهم ان تسبيحي ليس قاصرا عليكم
بل جميع من في السموات والارض يسبحوني (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله كل
قد علم صلاته وتسبيحه فالصلاة مندرجة في عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب
على المعية وصافات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر
ومفعول صافات محذوف أي أجنحتها (قوله بين السماء والارض) أشار بهذا الى أن العطف مغاير لانه
في حالة الطيران يكون بين السماء والارض (قوله قد علم الله صلاته الخ) أشار بذلك الى أن الضمير في
علم عائد على الله ويصح عوده على كل أي علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) أي
حيث عبر بالفعل (قوله خزائن المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للارض وفي كلام
المفسر اشارة الى أن الكلام على حذف مضاف والاصل ولله ملك خزائن السموات والارض والاصح
ابقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له (قوله والى الله
المصير) أي مرجع الخلائق كلها الى الله فيجازي كل أحد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل
لا لخصوص النبي صلى الله عليه وسلم لان من تأمل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) أي بين
أجزائه لان كل جزء سحاب وبهذا اندفع ما قيل ان بين لا تدخل الا على متعدد والى هذا يشير المفسر
بقوله يضم بعضه الى بعض الخ (قوله ركاما) الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق)
أي تبصره (قوله مخارجه) أي ثقبه فالسحاب غربال المطر قال كعب لولا السحاب حين ينزل المطر
من السماء لافسد ما يقع عليه من الارض (قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أشار بذلك
الى أن السماء كما ينزل منها المطر الذي هو نفع للعباد ينزل منها بعض الجبال التي هي البرد وهو ضر للعباد
فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله من زائدة الخ) الحاصل ان من الاولى ابتدائية لا غير
والثانية فيها ثلاثة أوجه قيل زائدة وقيل ابتدائية وقيل تبعيضية وهو الاحسن والثالثة فيها أربعة
أوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الاحسن وحينئذ فيكون المعنى على ذلك وتنزل بعض جبال
كائنة في السماء التي هي البرد انزالا ناشئا ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الجار والمجرور متعلق بمحذوف
صفة لجبال (قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال والمناسب للمفسر أن يقول أو بدل
فيكون قولا ثانيا لان هذا لا يتأتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) أي بالبرد
(قوله سنا برقه) هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضياء وأما بالمد فمعناه الرفعة وليس مرادا (قوله أي

(أو) الذين كفروا أعمالهم
السيئة (كظلمات في بحر
لجي) عميق (يغشاه موج
من فوقه) أي الموج (موج
من فوقه) أي الموج الثاني
(سحاب) أي غيم هذه
(ظلمات بعضها فوق بعض)
ظلمة البحر وظلمة الموج الأول
وظلمة الثاني وظلمة السحاب
(اذا أخرج) الناظر (يده)
في هذه الظلمات (لم يكد
يراها) أي لم يقرب من رؤيتها
(ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور) أي من لم يهده الله لم
يهتد (ألم تر أن الله يسبح له من
في السموات والارض) ومن
التسبيح صلاة (والطير) جمع
طائر بين السماء والارض
(صافات) حال باسطات
أجنحتهن (كل قد علم) الله
(صلاته وتسبيحه والله عليم بما
يفعلون) فيه تغليب العاقل
(ولله ملك السموات والارض)
خزائن المطر والرزق والنبات
(والى الله المصير) المرجع
(ألم تر أن الله يزجي سحابا)
يسوقه برفق (ثم يؤلف بينه)
يضم بعضه الى بعض فيجعل
القطع المتفرقة قطعة واحدة
(ثم يجعله ركاما) بعضه فوق
بعض (فترى الودق) المطر
(يخرج من خلاله) مخارجه
(وينزل من السماء من) زائدة
(جبال فيها) في السماء
بدل باعادة الجار (من برد)
أي بعضه (فيصيب به من يشاء
ويصرفه عمن يشاء يكاد)
يقرب (سنا برقه) لمعانه
(يذهب بالابصار) الناظرة له
أي

يخطفها (يقلب الله الليل والنهار) أي يأتي بكل منهما بدل الآخر (ان فى ذلك) التقليب (لعبرة) دلالة (لأولى الابصار) لاصحاب

البصائر على قدرة الله تعالى (والله خلق كل دابة) أي حيوان (من ماء) أي نطفة (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات والهوام (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم والانعام (يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا آيات مبينات) أي بينات هي القرآن (والله يهدي من يشاء الى صراط) طريق (مستقيم) أي دين الاسلام (ويقولون) أي المنافقون (آمنا) صدقنا (بالله) بتوحيده (وبالرسول) محمد (وأطعنا) هما فيما حكما به (ثم يتولى) يعرض (فريق منهم من بعد ذلك) عنه (وما أولئك) المعرضون (بالمؤمنين) المعهودين الموافق قلوبهم لالسنتهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) عن المجيء اليه (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) مسرعين طائعين (أفى قلوبهم مرض) كفر (أم ارتابوا) أي شكوا فى نبوته (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكم أي فيظلموا فيه لا (بل أولئك هم الظالمون) بالاعراض عنه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) بالقول اللائق بهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالاجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله) يخافه (ويتقه) بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه (فأولئك هم الفائزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد ايمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بالجهاد

(قوله يخطفها) أشار بذلك الى أن الباء فى الابصار للتعدية والمعنى يذهبها بسرعة لان الضوء القوى يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء اذا فعل رجل بآخر فعلا أذهب بصره وأراد أن يقتص منه باذهاب بصره فانه يؤتى له بمرآة وتوضع فى الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب المرآة يمينا وشمالا فان ذلك يخطف بصره (قوله أي يأتي بكل منهما بدل الآخر) أي ويقصر هذا ويطول هذا وفى هذا رد على من ينسب الامور للدهر (قوله لاولى الابصار) جمع بصيرة وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شئ واحد فسبحان القادر على كل شئ (قوله على قدرة الله) متعلق بدلالة (قوله أي حيوان) أشار بذلك الى أن المراد بالدابة ما دب على وجه الارض لا خصوص ذوات الاربع (قوله أي نطفة) هذا بحسب الغالب فى الحيوانات الارضية والا فالملائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذى نفخه جبريل فى جيب أمه والدود يخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد ان الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء فى جميع (قوله من يمشي على بطنه) قدمه لغرابته وسماه مشيا مشاكلة لما بعده والا فهو زحف (قوله كالحيات والهوام) بالتشديد أي خشاش الارض وأدخلت الكاف الدود والسمك (قوله كالانسان والطير) أي والنعام (قوله ومنهم من يمشي على أربع) أي ومنهم من يمشي على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين وانما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله فى قوله يخلق الله ما يشاء (قوله ان الله على كل شئ قدير) أي مما ذكر ومما لم يذكر (قوله لقد أنزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لقد أنزلنا الخ (قوله مبينات) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله والله يهدي من يشاء) أشار بذلك الى أن الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى الا من حفه الله بالعناية وليس ظهور الآيات سببا فى الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع فى ذكر أحوال المنافقين (قوله وأطعنا) قدر المفسر الضمير اشارة الى أن مفعول أطعنا محذوف (قوله واذا دعوا الى الله ورسوله) تفصيل لما أجمل أولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم أفرد الضمير فى ليحكم مع انه تقدمه اثنان فأجاب بأن الرسول هو المباشر للحكم وانما ذكر الله معه تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره (قوله اذا فريق) اذا الفجائية قائمة مقام الفاء فى ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) أي ان كان الحكم عليهم بدليل ما بعده (قوله اليه) يصح أن يكون متعلقا بيأتوا أو بمذعنين (قوله أفى قلوبهم مرض) أشار بذلك الى أن منشأ الاعراض وسببه أحد أمور ثلاثة (قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعد والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام فى هذا الاخير بمعنى النفي والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) أي الحكم (قوله انما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبر الكان والاسم أن وما دخلت عليه وقرئ شذوذا برفعه على انه اسمها وأن وما دخلت عليه خبرها (قوله بالاجابة) أي قولا وفعلا (قوله حينئذ) أي حين اذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الاحبار هذه الآية جمعت ما فى توراة موسى وانجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى والا فكان حقه أن يقول يخفه (قوله وكسرها) أي باشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون اشباع فتكون أربعة وكلها سبعية (قوله هم الفائزون) أي الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله وأقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى جهدوا اليمين جهدا حذف الفعل

(ليخرجن قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه (إن الله خبير بما تعملون) من
طاعتكم بالقول ومخالفتكم
بالفعل (قل أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول فان تولوا)
عن طاعته بحذف احدى
التاءين خطاب لهم (فانما
عليه ما حمل) من التبليغ
(وعليكم ما حملتم) من طاعته
(وان تطيعوه تهتدوا وما على
الرسول الا البلاغ المبين) أي
التبليغ البين (وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض) بدلا
عن الكفار (كما استخلف)
بالبناء للفاعل والمفعول (الذين
من قبلهم) من بني اسرائيل
بدلا عن الجبابرة (وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم) وهو
الاسلام بأن يظهره على جميع
الاديان ويوسع لهم في البلاد
فيملكوها (وليبدلنهم)
بالتخفيف والتشديد (من بعد
خوفهم) من الكفار (أمنا)
وقد أنجز الله وعده لهم بما
ذكر وأثنى عليهم بقوله
(يعبدونني لا يشركون بي شيأ)
هو مستأنف في حكم التعليل
(ومن كفر بعد ذلك) الانعام
منهم به (فأولئك هم الفاسقون)
وأول من كفر به قتلة عثمان
رضي الله عنه فصاروا يقتتلون
بعد ان كانوا اخوانا (وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون) أي
رجاء الرحمة (لا تحسبن)
بالفوقانية والتحتانية والفاعل
الرسول (الذين كفروا
معجزين) لنا (في الارض)
بأن يفوتونا (ومأواهم) مرجعهم (النار ولبئس المصير) المرجع هي (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من
العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار وعرفوا أمر النساء (ثلاث مرات)

واقيم المصدر مقامه وأضيف الى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد
جاهدنا (قوله ليخرجن) اللام موطئة للقسم ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون وأصله ليخرجونن
حذفت نون الرفع لتوالي الامثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذفت الواو لالتقائهما وبقيت
الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) مبتدأ ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم
ويصح أن يكون طاعة خبر لمحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة أي الامر المطلوب منكم طاعة معروفة
بالصدق وموافقة الواقع لا بمجرد القول باللسان (قوله ان الله خبير بما تعملون) تعليل لما قبله والمعنى
لا تحلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم
وظواهركم لا تخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فانما
عليه ما حمل علة لذلك المحذوف (قوله ما حمل) أي كلف (قوله تهتدوا) أي تصلوا للرشاد والفوز برضا الله
وهذا راجع لقوله وعليكم ما حملتم وقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين راجع لقوله فانما عليه ما حمل
على سبيل اللف والنشر المشوش (قوله أي التبليغ البين) أي الظاهر وقد أداه فعليكم ان تؤدوا ما حملتم
من الطاعة لله ورسوله (قوله وعد الله الخ) وعد فعل ماض ولفظ الجلالة فاعله والاسم الموصول مفعوله
الاول والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الارض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا بدل
على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم
(قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الامة (قوله في الارض) أي
جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) ما مصدرية والمعنى استخلافا كاستخلاف الذين من قبلهم
(قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله الذي ارتضى لهم) العائد محذوف
أي ارتضاه لهم والمعنى وليجعلن دينهم الذي رضيه لهم ظاهرا وفائقا على جميع الاديان (قوله بالتخفيف
والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) أي وهو ما تقدم من الامور الثلاثة (قوله
يعبدونني) أي يوحدونني وقوله لا يشركون بي شيأ حال من فاعل يعبدونني أو بدل مما قبله (قوله هو
مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهرا على
جميع الاديان ويؤمنون فقيل يعبدونني الخ (قوله بعد ذلك الانعام) أي بما ذكر من الامور الثلاثة
فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله فأولئك هم الفاسقون وليس المراد به ما قابل الايمان والا لقال
الكافرون (قوله وأول من كفر به) أي بالانعام (قوله قتلة عثمان) أي وهم جماعة من الرعية
أخذوه بغتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (قوله لعلكم
ترحمون) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله
والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين والاسم الموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان (قوله
بأن يفوتونا) أي يفروا منا من عذابنا (قوله ومأواهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن أو على مقدر
تقديره بل هم مقهورون ومأواهم (قوله هي) قدره اشارة الى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله يا أيها
الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) اختلف في الامر فقيل للوجوب وقيل للندب والامر
متعلق بالمخدومين لا بالخدم وسبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من
الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب
فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شئ فقال عمر وددت ان الله نهى
ابناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا أمر النساء) أي ميزوا وابن

في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت الظهر (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات

لكم) بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه أي هي أوقات وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لالقاء الثياب تبدو فيها العورات (ليس عليكم ولا عليهم) أي المماليك والصبيان (جناح) في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد الأوقات الثلاثة هم (طوافون عليكم) للخدمة (بعضكم) طائف (على بعض) والجملة مؤكدة لما قبلها (كذلك) كما بين ما ذكر (يبين الله لكم الآيات) أي الأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) بما دبره لهم وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان (وإذا بلغ الأطفال منكم) أيها الأحرار (الحلم فليستأذنوا) في جميع الأوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الأحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء) قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (اللاتي لا يرجون نكاحا) لذلك (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غير متبرجات) مظهرات (بزينة) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وأن

يستعففن) بأن لا يضعنها (خير لهن والله سميع) لقولكم (عليم) بما في قلوبكم (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) في مؤاكلة على

(العورة وغيرها (قوله في ثلاثة أوقات) أشار بذلك الى أن قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) أي لانه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة (قوله وحين تضعون ثيابكم) أي التي تلبس في اليقظة تضعونها لاجل القيلولة (قوله من الظهيرة) أي من أجل الظهيرة وهي شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) أي لانه وقت التجرد عن الثياب والنوم في الفراش (قوله بالرفع) أي وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله أي هي أوقات الخ) أي فالاصل أوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله وبالنصب) أي وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهي لالقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدو فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) أي في تمكينكم اياهم من الدخول عليكم (قوله ولا عليهم) أي في الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوافون) أشار بذلك الى أن طوافون خبر لمحذوف (قوله على بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله بعضكم قدره المفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة لان المعنى الاطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان في هذه الاوقات وغيرها لضاق الامر عليكم فقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ما قبله (قوله وآية الاستئذان) أي قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) أي لما روي ان نفرا من العراق قالوا لابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد فقال ابن عباس ان الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والحجب فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) أي كما روي عن سعيد بن جبير حيث قال يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان) أي لكثرة الغطاء والوطاء ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان في هذه الاوقات للصبيان والمماليك ليكونوا متخلقين بالاخلاق الجميلة (قوله وإذا بلغ الاطفال) مقابل قوله والذين لم يبلغوا الحلم (قوله الذين من قبلهم) أي الذين ذكروا في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية (قوله آياته) أي أحكامه (قوله والله عليم حكيم) أي بأمور الخلائق فالذي ينبغي التخلق بأخلاق الشرع ولا يعول الانسان على ما يعلمه من صيانة حريمه ويترك آداب الشرع (قوله والقواعد) جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فان هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ واللاتي صفته وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم المبتدا فان أل فيه اسم موصول أو لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن عن الحيض) أي انقطع حيضهن (قوله اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمعن فيه لموت شهوتهن عن الرجال (قوله أن يضعن) أي ينزعن (قوله من الجلباب) أي وهو الملحفة التي يغطى بها جميع البدن كالملاءة والحبرة (قوله والقناع) أي الذي يلبس فوق الخمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزينة) أي متزينات بحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الاجانب لعدم الفتنة وهو المفتى به عند مالك وأحد قولين عند الشافعي (قوله بأن لا يضعنها) أي بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الاجانب (قوله خير لهن) أي لما فيه من سد الذرائع فالافضل لهن الستر للوجه واليدين لان كل ساقطة لها لاقطة (قوله ليس على الأعمى حرج الخ) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس لما نزل يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة

على الطعام والمريض يضعف عن التناول ولا يستوفي حقه من الطعام فنزلت هذه الآية وعلى هذا
فتكون على بمعنى في أي ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج وقيل سبب نزولها
أن هؤلاء الجماعة كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء خوف أن يستقذروهم وعلى هذا فعلى على
بابها وقيل ان الآية نزلت في الجهاد والمعنى ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الجهاد وقيل كانت
الصحابة اذا خرجوا للغزو ودفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا
مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون اذنهم
عن طيب نفس فنزلت هذه الآية رخصة لهم وكل صحيح اذا علمت ذلك فنفي الحرج عن هؤلاء في أمور
مخصوصة وليس ذلك على العموم فان ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابليهم) أي السالمين من
هذه الثلاثة (قوله ولا على أنفسكم) معطوف على الأعمى والمعنى ليس عليكم حرج في الأكل من
بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرها قراءتان سبعيتان هنا وفي جميع ما يأتي (قوله أي
بيوت أولادكم) أي ذكورا أو اناثا لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك
وقوله عليه الصلاة والسلام ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه والحامل للمفسر على
هذا التقدير عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه وعدم ذكر الأولاد صراحة فدل ذلك على أن المراد
بيوتكم بيوت أولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) أي وان علوا (قوله اخوانكم) جمع أخ ويجمع على
اخوة وهو المراد هنا لأن المراد بهم اخوة النسب وهم من شاركوك في رحم أو صلب (قوله أو بيوت
أخواتكم) جمع أخت أي مما تملكه أو من ملك زوجها ان كان صديقا له أو مأذونة فيه وكذا يقال
فيما يأتي (قوله أو ما ملكتم) بالتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة أي
ملككم غيركم (قوله مفاتحه) جمع مفتح بكسر الميم في قراءة العامة وقرئ مفاتيحه بالياء ومفتاحه
بالافراد (قوله أي خزنتموه لغيركم) أي حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عني بذلك
وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه ان أكل من ثمرته وثمرة ضيعته وشرب من لبن
ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اه (قوله وهو من صدقكم في مودته) أي من كان خالصا لكم في المحبة
(قوله من بيوت من ذكر) أي الأصناف الأحد عشر وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم (قوله
أي اذا علم رضاهم به) أي ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر
ولو لم يعلم رضاهم به لأن القرابة التي بينهم تقتضي العطف والسماح فان قلت على الأول حيث كان
مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب وأجيب بأن هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة
بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الاذن أو
قرينة (قوله مجتمعين) أشار بذلك الى ان قوله جميعا حال من فاعل تأكلوا وكذا قوله أشتاتا (قوله
جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تحرج الخ) أي فهو كلام مستأنف لبيان حكم آخر
وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل ويمكث
يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وقيل نزلت في قوم تحرجوا عن
الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته (قوله فاذا دخلتم بيوتا لكم) أي
مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا وقمت وقوفا (قوله
من عند الله) أي ثابتة بأمره (قوله مباركة) أي لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لكي تفهموا
ذلك) أي معالم دينكم فهذا أمر ارشاد وأدب للعباد (قوله انما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية
مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بذم المنافقين وانما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين
آمنوا خبره (قوله على أمر جامع) اسناد الجمع للأمر مجاز عقلي وحقه ان يسند للمؤمنين (قوله كخطبة
الجمعة) أي والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم
الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي صلى الله عليه وسلم

مقابليهم (ولا) حرج (على
أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم)
أي بيوت أولادكم (أو بيوت
آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو
بيوت اخوانكم أو بيوت
أخواتكم أو بيوت
أعمامكم أو بيوت عماتكم
أو بيوت أخوالكم أو بيوت
خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه)
أي خزنتموه لغيركم (أو
صديقكم) وهو من صدقكم
في مودته المعنى يجوز الأكل
من بيوت من ذكر وان لم
يحضروا أي اذا علم رضاهم به
(ليس عليكم جناح أن تأكلوا
جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا)
متفرقين جمع شت نزل فيمن
تحرج أن يأكل وحده واذا لم
يجد من يؤاكله يترك الأكل
(فاذا دخلتم بيوتا) لكم لا أهل
بها (فسلموا على أنفسكم) أي
قولوا السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين فان الملائكة ترد
عليكم وان كان بها أهل فسلموا
عليهم (تحية) مصدر حيا (من
عند الله مباركة طيبة) يثاب
عليها (كذلك يبين الله لكم
الآيات) أي يفصل لكم معالم
دينكم (لعلكم تعقلون) لكي
تفهموا ذلك (انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله واذا
كانوا معه) أي الرسول (على
أمر جامع) كخطبة الجمعة (لم
يذهبوا) لعروض عذر لهم

بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستأذنوه) أي يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم (قوله ان الذين يستأذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكر تفخيما وتعظيما للاستئذان (قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حيث استأذن الرسول في الرجوع الى أهله فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ارجع فلست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فأذن لمن شئت منهم) في ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فاذا أذن لاحد علم من ذلك ان رضا الله في اذنه قال العارف

وخصك بالهدى في كل أمر * فلست تشاء الاما يشاء

(قوله واستغفر لهم الله) أي ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك من أجل العذر الذي نزل بهم (قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا في حياته ولا بعد وفاته فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أي لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون في حق النبي تكون في حق حملة شريعته فينبغي لتلامذة الاشياخ ان يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أي يذهبون واحدا بعد واحد لان المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة اذا رقي النبي المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد الى أن يذهبوا جميعا (قوله لواذا) حال من الواو في يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بان يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ما قبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداه بعن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يحذر أي اصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله ألا ان لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتحقيق والمعنى ان الله يعلم الامر الذي في قلوب المنافقين من المخالفة والاعراض عن أوامر الله تعالى (قوله ويوم يرجعون اليه) معطوف على ما أي يردون اليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم باعمالهم فيثيبهم على الحسنات ويعاقبهم على السيآت

﴿سورة الفرقان﴾

سميت بذلك لان بها الفرق بين الحق والباطل لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلته ومكارم الاخلاق وأحوال المعاد (قوله الى قوله رحيما) أي وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) أي تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ما سواه له لانه قديم وما سواه حادث أو معنى تبارك تعاظم أي اتصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبي ولا تبارك السلطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتي منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل وبها قرئ قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقرئ شذوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الاجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدين والصحيح انهما بمعنى واحد في المعاني والاجسام (قوله القرآن) أي ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لانه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا أو بعضا ويصح أن يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا في حقيقته بالنسبة لما نزل اذ ذاك وبمعنى المستقبل

(حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) بالانصراف (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الله أو رسوله (أن تصيبهم فتنة) بلاء (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة (ألا ان لله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم) أيها المكلفون (عليه) من الايمان والنفاق (و) يعلم (يوم يرجعون اليه) فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون (فينبئهم) فيه (بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شيء) من أعمالهم وغيرها (عليم)

﴿سورة الفرقان مكية﴾
(الا والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله رحيما فمدني وهي سبع وسبعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تعالى (الذي نزل الفرقان) القرآن

بالنسبة لما سينزل (قوله لانه فرق بين الحق والباطل) أى ميز بينهما وقيل لانه نزل مفرقا فى أوقات كثيرة (قوله على عبده) انما وصفه بهذا الوصف لانه أشرف الاوصاف وأعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم لانه أقرب مذكور ويصح أن يكون عائدا على الفرقان أو المنزل وهو الله تعالى والاوضح الاول (قوله دون الملائكة) أشار بذلك الى ان الانذار خاص بالانس والجن لان الملائكة لا تجوز عليهم المعاصى والمخالفة لعصمتهم من ذلك وان كان النبى عليه الصلاة والسلام أرسل لهم ارسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد والحاصل ان ارسال النبى للثقلين ارسال تكليف وكذا للملائكة وأما الحيوانات التى لا تعقل والجمادات فارسال تشريف (قوله نذيرا) أى وبشيرا وانما اقتصر على الانذار لان السورة مكية وفى ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والارض) نعت للموصول الاول أو بيان أو بدل أو خبر لمحذوف أى هو الذى أو منصوب على المدح وما بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل باجنبى بين الموصول الاول والثانى على جعله تابعا له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك فى الملك) رد على عباد الاصنام (قوله وخلق كل شئ) كالدليل لما قبله لان الخالق لكل شئ لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شأنه ان يخلق) دفع بذلك ما يقال انه دخل فى الشئ ذاته تعالى وصفاته فأجاب بان المراد بالشئ ما شأنه ان يتعلق به الخلق وهو المعدوم (قوله سواه تسوية) أى عدله تعديلا بأن جعله على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل ان الآية فيها قلب لان الخلق متأخر عن التقدير لان التقدير أزلى لانه تعلق العلم والارادة الازلى والخلق حادث لانه تعلق القدرة التنجيزى الحادث فأجاب بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن ولا شك أن ذلك حاصل بعد ايجاده على طبق العلم والارادة وهذا سر قول الغزالى ليس فى الامكان أبدع مما كان لان ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والارادة أزلا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لانه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لا تتعلق به القدرة ان قلت يشكل على هذا قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقوله تعالى انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فانه يقتضى ان فى قدرة الله اذهاب هذا العالم والاتيان بغيره أجيب بان ما فى الآية باعتبار التعلق الصلاحى للقدرة والتجويز العقلى وما قاله الغزالى باعتبار التعلق التنجيزى الذى حصل متعلقه (قوله أى الكفار) أى المعلومون من قوله للعالمين (قوله آلهة) وصفهم بسبعة أوصاف أولها قوله لا يخلقون شيأ وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) أى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لانفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لان دفعه أهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن اثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراه) أى اختلقه (قوله وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا انهم يأتون له بالاخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى اعانتهم له (قوله قال تعالى) أى ردا لمقالتهم (قوله كفرا وكذبا) لف ونشر مرتب (قوله أى بهما) أشار بذلك الى أن ظلما وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أساطير الاولين) خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله اكتتبها) أى أمر بكتبها لانهم يعلمون انه أمى لا يقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب ان يقول من أولئك القوم (قوله تقرأ عليه) أى فليس المراد بالاملاء الالقاء على الكاتب ليكتبه (قوله بكرة وأصيلا) المراد دائما أبدا (قوله ردا عليهم) أى مقالتهم الشنيعة (قوله الغيب) أى ما غاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح أن يكون المراد الكفار فيكون تعليلا لمحذوف تقديره وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به لانه الخ وقوله كان أى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام والمعنى أى شئ حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الاسواق لطلب الرزق كما نفعل فتسميتهم اياه رسولا بطريق

لانه فرق بين الحق والباطل (على عبده) محمد (ليكون للعالمين) أى الانس والجن دون الملائكة (نذيرا) مخوفا من عذاب الله (الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ) من شأنه ان يخلق (فقدره تقديرا) سواه تسوية (واتخذوا) أى الكفار (من دونه) أى الله أى غيره (آلهة) هى الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا) أى دفعه (ولا نفعا) أى جره (ولا يملكون موتا ولا حياة) أى اماتة لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) أى بعثا للاموات (وقال الذين كفروا ان هذا) أى ما القرآن (الا افك) كذب (افتراه) محمد (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزورا) كفرا وكذبا أى بهما (وقالوا) أيضا هو (أساطير الاولين) أكاذيبهم جمع اسطورة بالضم (اكتتبها) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فهى تملى) تقرأ (عليه) ليحفظها (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا قال تعالى ردا عليهم (قل أنزله الذى يعلم السر) الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا)

الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفا على انزل (قوله يصدقه) أى يشهد له بالرسالة والصدق (قوله أو تكون له جنة) بالتاء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لان تأنيث الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) اظهار فى موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا (قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من اطلاق الملزوم وارادة اللازم (قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجبى أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الاوصاف التى كانت سببا فى ضلالهم (قوله فضلوا بذلك) أى ضرب الامثال (قوله عن الهدى) أى الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلا) أى لا يقدرون على الوصول الى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم ان هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفى كل نقص وحينئذ فيحسن تفسيره فى كل مقام بما يناسبه فلما كان ما تقدم مقام تنزيه فسره بتعالى ولما كان ما هنا مقام اعطاء فسره بتكاثر خيره ولما كان ما يأتى فى آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسره بتعاظم وهكذا يقال فى كل مقام (قوله خيرا من ذلك) أى مما اقترحوا بأن يجعل لك أعظم من ذلك فى الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لانه شاء ان يعطيه اياها فى الآخرة) علة لقوله أى فى الدنيا والمعنى تكاثر خير الله الذى ان شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك فى الدنيا وانما لم تتعلق ارادة الله به لكونه فانيا والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفانى جزاء لاحبابه لان الدنيا دار ممر لا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب وحاشاه سبحانه وتعالى ان يوقع حبيبه ومن كان على قدمه فى الحساب أو العقاب (قوله بالجزم) أى عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استئنافا) أى أو معطوف على جواب الشرط بناء على انه غير مجزوم لقول ابن مالك

* وبعد ماض رفعك الجزا حسن * وانما لم يجزم لضعف تأثيران فى الشرط لكونه ماضيا فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) اضراب انتقالى عن ذكر قبائحهم الى بيان مالهم فى الآخرة من أنواع العذاب (قوله وأعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا وفى هذا دليل على ان النار مخلوقة الآن كما ان الجنة كذلك لقوله تعالى أعدت للمتقين (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله اذا رأتهم) أى حقيقة بعينها لما فى الحديث من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قيل يا رسول الله أولها عينان قال أما سمعتم الله عز وجل يقول اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بمن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه وفى رواية يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين انتهى وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة الكلام على حذف مضاف أى رأت زبانيتها بناء منهم على ان الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة وقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة (قوله أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه) أشار بذلك الى أن السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم وأجيب أيضا بأن المراد سماع ما دل عليه وهو الغليان وقد أفاده أولا فتحصل ان المفسر أجاب بجوابين (قوله واذا ألقوا) أى طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية أى فى مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن يضيق عليهم) أى كضيق الحائط على الوتد الذى يدق فيه بعنف (قوله لانه فى الاصل صفة له) أى وهو نكرة ومن المعلوم ان نعت النكرة اذا تقدم عليها يعرب حالا كقول الشاعر

لمية موحشا طلل * والاصل لمية طلل موحش

(قوله مقرنين) حال من الواو فى القوا والتقرين تقييد الارجل وجمع الايدى والاعناق فى السلاسل

هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) يصدقه (أو يلقى اليه كنز) من السماء ينفقه ولا يحتاج الى المشى فى الاسواق لطلب المعاش (أو تكون له جنة) بستان (يأكل منها) أى من ثمارها فيكتفى بها وفى قراءة نأكل بالنون أى نحن فيكون له مزية علينا بها (وقال الظالمون) أى الكافرون للمؤمنين (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والمحتاج الى ما ينفقه والى ملك يقوم معه بالامر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (تبارك) تكاثر خير (الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذى قالوه من الكنز والبستان (جنات تجرى من تحتها الانهار) أى فى الدنيا لانه شاء أن يعطيه اياها فى الآخرة (ويجعل) بالجزم (لك قصورا) أيضا وفى قراءة بالرفع استئنافا (بل كذبوا بالساعة) القيامة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا مسعرة أى مشتدة (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا) غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) صوتا شديدا أو سماع التغيظ رؤيته بعلمه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لانه فى الاصل صفة له (مقرنين)

مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم الى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير (دعوا هنالك ثبورا) هلاكا فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) كعذابكم (قل أذلك) المذكور من الوعيد وصفة النار (خير ١١٧ أم جنة الخلد التي وعد) ها (المتقون كانت لهم) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاؤن خالدين) حال لازمة (كان) وعدهم ما ذكر (على ربك وعدا مسؤلا) يسأله من وعد به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) بالنون والتحتانية (وما يعبدون من دون الله) أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن (فيقول) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين اثباتا للحجة على العابدين (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أضللتم عبادي هؤلاء) أوقعتموهم في الضلال بأمركم اياهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) طريق الحق بأنفسهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (ما كان ينبغي) يستقيم (لنا أن نتخذ من دونك) أي غيرك (من أولياء) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا (ولكن متعتهم وآباءهم) من قبلهم باطالة العمر وسعة الرزق (حتى نسوا الذكر) تركوا الموعظة والايمان بالقرآن (وكانوا قوما بورا) هلكى قال تعالى (فقد كذبوكم) أي كذب المعبودون العابدين (بما تقولون) بالفوقانية أنهم آلهة (فما يستطيعون) بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم (صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) منعا لكم منه (ومن يظلم) يشرك (منكم

(قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والايثاق بالقيود (قوله دعوا هنالك) أي في ذلك المكان (قوله ثبورا) أي فيقولون يا ثبوراه هذا أوانك فاحضر لأنه أخف مما هم فيه (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) أي مرة واحدة (قوله كعذابكم) تشبيه في الكثرة وفي نسخة باللام أي لأجل دوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والأفليس في النار خير (قوله في علمه تعالى) جواب عما يقال انها لم تكن جزاء ومصيرا الآن فأجاب بأن المعنى قد سبق علم الله بأنها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) أي مستقرا (قوله لهم فيها ما يشاؤن) أي من النعم اللائقة بهم وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم فكل انسان يرضيه الله بما أعطاه ولا يلتفت الى عطاء من هو أشرف منه ولا يخطر بباله سؤاله وبهذا اندفع ما قيل ان مقتضى الآية ان الانسان يتمنى مراتب الأنبياء في الجنة ويعطاها (قوله حال) أي من الهاء في لهم أو من الواو في يشاؤن (قوله كان وعدهم ما ذكر) أشار بذلك الى أن اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) أي كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم وقوله ربنا وأدخلهم أي كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله (قوله بالنون) أي مع النون في نقول أولا وقوله والتحتانية أي مع التحتانية في يقول فالقراآت ثلاث سبعيات خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم وأوقع ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل ويصح أن يراد من ما العاقل وغيره كالأصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته (قوله اثباتا للحجة على العابدين) أي وتبكيتا لهم وهو جواب عما يقال ان الله عالم في الأزل بما ذكر فما فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع وكلها سبعية ان قلت على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع أجيب بأن محل منعه ما لم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادي أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) أي المعبودون وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا في الجواب (قوله من أولياء) أي أتباعا يعبدوننا ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون أي معبودون لنا لأن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني اذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من تولاهم الله فلم يكلهم لغيره فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم (قوله مفعول أولا) أي لنتخذ (قوله وما قبله) أي وهو قوله من دونك (قوله فكيف نأمر بعبادتنا) أي بعبادتهم ايانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن متعتهم الخ) استدراك لرفع ما يتوهم ثبوته والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل في ذلك وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أي غفلوا عن التذكر في آياتك فالنسيان معناه الترك (قوله بورا) يحتمل انه جمع بائر أو مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين فالواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين وقوله بما تقولون أي فيما تقولون وقوله بالفوقانية أي باتفاق العشرة وقوله انهم آلهة مقول القول (قوله أي لا هم) راجع للتحتانية وقوله ولا أنتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) أي أيها المكلفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد

نذقه عذابا كبيرا) شديدا فى الآخرة (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) فانت مثلهم فى ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلية ابتلى الغنى بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كل مالى لا أكون كالأول فى كل (أتصبرون) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم استفهام بمعنى الامر أى اصبروا (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر وبمن يجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) فكانوا رسلا الينا (أو نرى ربنا) فيخبر بان محمدا رسوله قال تعالى (لقد استكبروا) تكبروا (فى) شأن (أنفسهم وعتوا) طغوا (عتوا كبيرا) بطلبهم رؤية الله تعالى فى الدنيا وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتيا بالابدال فى مريم (يوم يرون الملائكة) فى جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدرا (لا بشرى يومئذ للمجرمين) أى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (ويقولون حجرا محجورا) على عادتهم فى الدنيا اذا نزلت بهم شدة أى عوذا معاذا يستعيذون من الملائكة قال تعالى (وقدمنا) عمدنا (الى ما عملوا من عمل) من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى

بسيادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة فى قراءة العامة (قوله وما أرسلنا قبلك الخ) المقصود من هذه الآية تسليته صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين حيث قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام الخ (قوله الا أنهم) الجملة حالية وان مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين فى حال من الاحوال الا فى حالة أكلهم الطعام ومشيهم فى الاسواق أى فهذه عادتهم ودأبهم فان عيروك بذلك فقد عيبوا جميع الانبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى ان الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى الغنى بالفقير الخ) أى فالغنى ممتحن بالفقير يحسده والفقير ممتحن بالغنى يسخر به ويحتقر به والصحيح ممتحن بالمريض يقول لم لم تعاف ونصير مثل هذا والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويعير بعجزه والشريف كالانبياء والعلماء والصلحاء ممتحن بالوضيع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا والخلاص من ذلك الصبر على أحكام الله والرضا بها لان الواجب على الانسان أن ينظر فى أمور الدنيا الى من هو دونه ولا ينظر الى من هو فوقه لئلا يزدرى نعمة الله عليه وفى أمور الآخرة الى من هو فوقه ليعرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبغى صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدى بهم (قوله يقول الثانى) أى الفقير والمريض والوضيع وقوله فى كل أى من الاقسام الثلاثة وبالجملة فالفتنة ان يحسد المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كل منهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر عن أبى الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون (قوله استفهام بمعنى الامر) هذا أحد وجهين والوجه الآخر ان الاستفهام على حقيقته أى لينظر أيحصل منكم صبر أم لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) فى ذلك تأنيس للعبد أى ان الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبغى الشكوى للخلق ولا اظهار ما فى القلوب بل ان وجد الشخص فى نفسه صبرا فليشكر الله وان وجد غير ذلك فعليه أن يرجع الى ربه بالندم والتوبة (قوله لا يخافون البعث) أى لانهم منكرون له فهم يزعمون انهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله فكانوا رسلا الينا) أى بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله أو نرى ربنا) أى بكشف الحجاب لنا فنراه عيانا (قوله فيخبر) بالبناء للمفعول أى يخبرنا هو بان محمدا رسوله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم مقالتهم (قوله تكبروا) أى حيث لم يرضوا بان يكون رسولهم من البشر بل طمعوا أن يكون من الملائكة (قوله فى شأن أنفسهم) أى انهم عدوا أنفسهم كبيرة لا مرقاة بها (قوله بطلبهم رؤية الله) متعلق بعتوا والباء السببية ولم يذكر متعلق استكبروا وقد علمته وفى الآية لف ونشر مرتب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتو راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على أصله) أى من غير ابدال (قوله بالابدال فى مريم) أى لمناسبة رؤس الآى وأصله عتو وكسرت التاء فوقعت الواو ساكنة أثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله يوم يرون الملائكة) أى المتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) أى لقوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعيذون من الملائكة) أى يطلبون من الله انقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله عمدنا) أى تعلقت ارادتنا ودفع بذلك ما قيل ان القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى فمسره بلازمه وهو القصد والمراد من القصد فى حقه تعالى تعلق ارادته بالشئ (قوله وقرى

ضف)

ضيف) بكسر القاف مع القصر أو فتحها مع المد ومعناه الاحسان اليه (قوله في الدنيا) متعلق بعملوا (قوله في الكوى) جمع كوة وهي الطاقة في الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) أي وهو الايمان (قوله ويجازون عليه في الدنيا) أي باعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا فأعمال الكافر الحسنة التي لا تتوقف على نية يعطى جزاءها في الدنيا وأما ما تتوقف على نية فلا يجد لها جزاء أصلا لعدم صحتها (قوله خير مستقرا من الكافرين) أي ان مستقر المؤمنين في الجنة خير من مستقر الكافرين في الدنيا فأفعل التفضيل على بابه والى هذا أشار المفسر بقوله في الدنيا فهو جواب عما يقال ان مستقر أهل النار لا خير فيه ويصح ان يراد استقرار كل في الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار (قوله من ذلك) أي من قوله وأحسن مقيلا (قوله كما ورد في حديث) قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر (قوله أي كل سماء) أشار بذلك الى ان أل في السماء استغراقية (قوله أي معه) أشار بذلك الى ان الباء بمعنى مع ويصح أن تكون السببية أو للملابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) أي سحاب فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثقله كثقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الارض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلاهم عشرين مرة وهكذا واذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كأنهم يحرسون أهل المحشر من الفرار ويطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك في سورة ابراهيم عند قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الخ (قوله ونصبه باذكر مقدرا) أي وهو معطوف على يوم يرون الملائكة وكذا قوله ويوم يعض الظالم (قوله في الاصل) أي قبل قلبها شينا وتسكينها وادغامها في الشين (قوله وفي أخرى وتنزل بنونين الخ) هذه القراءة انما تأتي عند تشديد الشين فتحصل ان القراءات ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز في ننزل القراءتان وعند التخفيف يجوز في نزل قراءة واحدة وهي كونه ماضيا مبنيا للمعمول خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع قراءات (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره والمعنى ان الملك يوم القيامة لله وحده وحكمة التقييد بهذا اليوم وان كان الملك لله في كل زمن أن ثبوت الملك له خاصة في ذلك اليوم فليس لاحد ملك ظاهر أبدا وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخلق تصرف صوري والى هذا أشار المفسر بقوله لا يشركه فيه أحد (قوله بخلاف المؤمنين) أي فليس عليهم عسيرا بل يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة (قوله ويوم) منصوب باذكر أو معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعض الظالم) هو من باب تعب ونفع والمعنى ان الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه قال عطاء يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يده يأكلها (قوله عقبة بن أبي معيط) أشار المفسر بذلك الى أن الآية نزلت في ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو أحد قولين وقيل نزلت في الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) وذلك انه صنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله واني محمد رسول الله ففعل فأكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فلما أخبر بذلك قال له يا عقبة صبأت قال لا ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فعاد بزاقه على وجهه فحرقه فقال رسول

ضيف واغاثة ملهوف في الدنيا (فجعلناه هباء منثورا) هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به اذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا (أصحاب الجنة يومئذ) يوم القيامة (خير مستقرا) من الكافرين في الدنيا (وأحسن مقيلا) منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث (ويوم تشقق السماء) أي كل سماء (بالغمام) أي معه وهو غيم أبيض (ونزل الملائكة) من كل سماء (تنزيلا) هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدرا وفي قراءة بتشديد شين تشقق بادغام التاء الثانية في الاصل فيها وفي أخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الملك يومئذ الحق للرحمن) لا يشركه فيه أحد (وكان) اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) بخلاف المؤمنين (ويوم يعض الظالم) المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع ارضاء لأبي بن خلف (على يديه) ندما وتحسرا في يوم القيامة

الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله وطعن النبي أبيا بأحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات وحكم الآية عام في كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روي يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (قوله يقول ياليتني) الجملة حالية من فاعل يعض (قوله للتنبيه) أي وليست للنداء لان المنادى شرطه أن يكون اسما وليت حرف تمن أو للنداء والمنادى محذوف أي ياقوم (قوله عوض عن ياء الاضافة) أي وأصله ويلتي بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فيقال في اعرابه ويلتا مضاف والالف مضاف اليه في محل جر وليس لنا ألف في محل جر الا ما كانت عوضا عن ياء المتكلم (قوله لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلني) علة لتمنيه وأكده باللام القسمية اظهارا للندم وتحسره (قوله أي القرآن) أي وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى أن قوله وكان الشيطان الخ جملة مستأنفة من كلامه تعالى وكلام الظالم تم عند قوله جاءني (قوله وكان الشيطان) أي وهو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والانس (قوله بان يتركه) أي يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ماقالوه وبيان مايحيق بهم في الآخرة من الاهوال وهذا القول قيل صدر منه في الدنيا وعليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا وقيل سيقع منه في الآخرة حال اقامة الحجة عليهم ولذا ورد انه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقا سحقا (قوله مهجورا) أي فاعرضوا عنه ولم يؤمنوا به فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وان كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا (قوله بربك) الباء زائدة في الفاعل (قوله هاديا) أي موصلا لك الى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفروا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التي تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبه ربما تدخل على بعض الضعفاء اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى أنزل لان نزل بالتشديد معناه الانزال مفرقا وأنزل معناه الانزال جملة فلو لم يحمل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر حيث عبر بانزلنا دون نزلنا لان المراد نزوله جملة في سماء الدنيا (قوله قال تعالى) أي ردا لتلك الشبهة بأمور ثلاثة مقتضية لنزوله مفرقا الاول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم الثاني ترتيله ليسهل حفظه الثالث قوله ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله نزلناه كذلك) أشار بذلك الى أن قوله كذلك نعت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه تنزيلا مثل ذلك التنزيل (قوله لنثبت به فؤادك) علة للمحذوف الذي قدره المفسر والمعنى أنزلناه مفرقا ليتقوى قلبك على تلقيه ولا يحصل لك منه ثقل لان القرآن في نفسه ثقيل سيما على من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ فتر الوحي ثلاث سنين ليشتاق للتلقي فان الشئ اذا جاء على شوق كان أثبت (قوله رتلناه ترتيلا) أي فرقناه آية بعد آية وشيأ بعد شئ في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (قوله لتيسر فهمه وحفظه) أي لك ولأمتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للاطفال ليثبت في قلوبهم واغتفروا التنكيس في تعلمه ليسهل حفظه فان الطفل اذا رأى السورة قصيرة قوي على حفظها ونشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) أي سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك (قوله الا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الاحوال كأنه قيل لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال الا في حال اتياننا اليك بالحق وبما هو أحسن بيانا له والمعنى كلما أوردوا شبهة أتوا بسؤال

(يقول يا) للتنبيه (ليتني اتخذت مع الرسول) محمد (سبيلا) طريقا الى الهدى (ياويلتا) الف عوض عن ياء الاضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي (ليتني لم أتخذ فلانا) أي أبيا (خليلا لقد أضلني عن الذكر) أي القرآن (بعد اذ جاءني) بان ردني عن الايمان به قال تعالى (وكان الشيطان للانسان) الكافر (خذولا) بان يتركه ويتبرأ منه عند البلاء (وقال الرسول) محمد (يارب ان قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا قال تعالى (وكذلك) كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك (جعلنا لكل نبي) قبلك (عدوا من المجرمين) المشركين فاصبر كما صبروا (وكفى بربك هاديا) لك (ونصيرا) ناصرا لك على أعدائك (وقال الذين كفروا لولا) هلا (نزل عليه القرآن جملة واحدة) كالتوراة والانجيل والزبور قال تعالى نزلناه (كذلك) أي متفرقا (لنثبت به فؤادك) نقوي قلبك (ورتلناه ترتيلا) أي أتيناه شيأ بعد شئ بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه (ولا يأتونك بمثل) في ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) الدافع له

(وأحسن تفسيرا) بيانا هم (الذين يحشرون على وجوههم) أى يساقون (الى جهنم أولئك شر مكانا) هو جهنم (وأضل سبيلا) أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) معينا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى القبط فرعون وقومه فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) أهلكناهم اهلاكا (و) اذكر (قوم نوح لما كذبوا الرسل) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنه رسل أو لأن تكذيبه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد (أغرقناهم) جواب لما (وجعلناهم للناس) بعدهم (آية) عبرة (وأعتدنا) فى الآخرة (للظالمين) الكافرين (عذابا أليما) مؤلما سوى ما يحل بهم فى الدنيا (و) اذكر (عادا) قوم هود (وثمودا) قوم صالح (وأصحاب الرس) اسم بئر ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم و بمنازلهم (وقرونا) أقواما (بين ذلك كثيرا) أى بين عاد وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) أهلكنا اهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم (ولقد أتوا) أى مر كفار مكة (على القرية التى أمطرت مطر السوء) مصدر ساء أى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة (أفلم يكونوا يرونها) فى سفرهم الى الشام فيعتبرون والاستفهام للتقرير (بل كانوا لا يرجون) يخافون (نشورا) بعثا فلا يؤمنون (واذا رأوك

عجيب أجبنا عنه بجواب حسن يرده و يدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبى هو الذى يبحث فى القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذى يكشف فى الكتب عن جواب المسائل التى يسئل عنها فيكون الامر موكولا له فتكون الكلفة عليه وما كان موكولا الى الله كان أتم مما هو موكول الى العبد وفيه قمع للمعاندين (قوله وأحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية و وزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله أى يساقون) أى يسحبون مقلوبين يطئون الارض برؤسهم و وجوههم وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأضل والمراد بغيرهم باقى الكفار والمعنى ان من عانده صلى الله عليه وسلم فهو فى أسوء الاحوال وأشرها فى الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الانبياء على سبيل الاجمال والمعنى لا تحزن يا محمد فان من خالفك وعاندك يحل به الدمار كما حل بالمخالف من الامم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) معطوف على آتينا والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان ايتان موسى التوراة كان بعد رسالتهما ونزول هلاك فرعون وقومه و يمكن أن يجاب عن الآية بان المراد بقوله آتينا موسى الكتاب قدرنا له ان يأتيه فى علمنا فهو اخبار عما سيحصل فالماضى بالنسبة لما سبق فى علم الله (قوله أخاه) مفعول أول لجعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا والمعنى جعلنا هرون معينا لموسى يوحى مثاله فى دعوى القوم الى التوحيد واعلاء الكلمة فهو نبى و رسول عاضد لموسى بخلاف و زارة على للنبى صلى الله عليه وسلم المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له أنت منى بمنزلة هرون من موسى فالمراد بها مطلق الاعانة لا المشاركة فى الاتصاف بالرسالة فان من أثبتها لعلى فقد كفر (قوله بآياتنا) أى أدلة توحيدنا لا خصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهبا الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله أغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال لم جمع الرسل مع انه رسول واحد وهو نوح فأجاب بجوابين الاول انه جمعه لطول مدته فى قومه فكأنه رسل متعددة الثانى ان من كذب رسولا فقد كذب باقى الرسل (قوله وجعلناهم) أى جعلنا اهلاكهم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى ما يحل) أى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها بخلاف سائر معانيه فهو بالكسر لا غير (قوله وثمودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هى اسم للبئر التى لم تطو أو للبئر مطلقا وما قاله المفسر أحد أقوال فى الرس وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فأهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الامثال والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تتبيرا أى فتتناهم تفتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك الى أنه ضمن أتوا معنى مروا فعدى بعلى والا فأتى يتعدى بنفسه أو بالى والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم الى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الاصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرمى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سذوم وتقدم ان القرى خمسة وقيل ان أل فى القرية للجنس فيشمل جميعها لان الخسف ونزول الاحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لا تعمل الخبائث (قوله يرونها) أى يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أى كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة

فيه اضراب انتقالي من توبيخهم الى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم ايمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله ان يتخذونك) جواب اذا (قوله الا هزؤا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوأ به أشار به الى أن المصدر مؤول باسم المفعول لان المفعول الثاني في الاصل خبر والمصدر لا يصح الاخبار به الا بتأويل (قوله أهذا الذي الخ) الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر (قوله في دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ما ذكر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أي بكثرة الادلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أي ثبتنا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أي ردا لقولهم ان كاد ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر الى ذلك بقوله أهم أم المؤمنون (قوله قدم المفعول الثاني) أي وقيل لا تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف (قوله وجملة من الخ) أي بحسب الصورة والا فهي وصلتها في قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام فيها انكاري (قوله ان أكثرهم) استفيد منه ان الاقل سمع وعقل فآمن (قوله ان هم الا كالانعام) أي في عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم أضل سبيلا) أي لان الانعام تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضر بها وهؤلاء ليسوا كذلك (قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل) أقام الله سبحانه وتعالى أدلة محسوسة على انفراده تعالى بالالوهية وذكر منها هنا خمسة الاول هذا الثاني قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الثالث قوله وهو الذي أرسل الرياح الرابع قوله وهو الذي مرج البحرين الخامس قوله وهو الذي خلق من الماء بشرا وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تأمل في تلك الادلة حق التأمل عرف أن موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) أشار بذلك الى أن الرؤية بصرية وقوله كيف منصوب بمد على الحال والمعنى ألم تنظر الى صنع ربك مد الظل كيف أي على أي حالة وقدر المفسر فعل اشارة الى أن المراد رؤية المصنوعات لا رؤية الذات لان المقصود نصب الادلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لا بد لها من صانع وان كان يلزم من التفكر في تلك الاشياء رؤية الله بعين القلب لانه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين ومن هنا قيل العارف يرى الله في كل شيء فالآثار كالمرآة للناظر فمن تأمل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب الا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب ان يقول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس اذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين ثانيها من غروب الشمس الى طلوعها ثالثها من طلوع الشمس الى أن تزول ومن زوالها الى غروبها وأما ما قاله المفسر فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعني من طلوع الفجر الى طلوع الشمس أطيب الاوقات وأفضلها ولذا وصفت به الجنة قال تعالى وظل ممدود وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذي علة وفيه ترد أرواح الاموات منهم الى الاجساد وتطيب نفوس الاحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار الى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجعله ساكنا) أي ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الارض (قوله لا يزول بطلوع الشمس) أي بان لا تطلع فلا يزول بان يستمر الليل مقيما أو تطلع من غير ضوء (قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) أي جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغيره وأما ذات الشمس فجوهر (قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) أي قليلا شيأ فشيأ وذلك ان الشمس اذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل الى جهة المغرب فكلما ارتفعت في الافق نقص الظل شيأ فشيأ الى أن تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهي نقص الظل فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبدا في بعض أيام السنة كمكة وزبيد وما عداها تبقى له بقية وهذا على حسب الاشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله طزه جبا أبدوحي فالطاء تسعة اطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والراء ستة

أن) ما (يتخذونك الا هزؤا) مهزوأ به يقولون (أهذا الذي بعث الله رسولا) في دعواه محتقرين له عن الرسالة (ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي انه (كاد ليضلنا) يصرفنا (عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) لصرفنا عنها قال تعالى (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) عيانا في الآخرة (من أضل سبيلا) أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون (أرأيت) أخبرني (من اتخذ الهه هواه) أي مهويه قدم المفعول الثاني لانه أهم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثاني (أفأنت تكون عليه وكيلا) حافظا تحفظه عن اتباع هواه لا (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) سماع تفهم (أو يعقلون) ما تقول لهم (ان) ما (هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) أخطأ طريقا منها لانها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم (ألم تر) تنظر (الى) فعل (ربك كيف مد الظل) من وقت الاسفار الى وقت طلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) مقيما لا يزول بطلوع الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أي الظل (دليلا) فلولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه) أي الظل الممدود (الينا قبضا يسيرا) خفيا بطلوع الشمس (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) ساترا

لامشير والهاء بخمسة لبرمهات والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والالف بواحد لبؤنة والالف الثانية بواحد لابيب والباء باثنين لمسرى والدال باربعة لتوت والواو بستة لبابه والهاء بثمانية لهاتور والياء بعشرة لكيهك فاذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيأ فشيأ حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك الى انه من التشبيه البليغ بحذف الاداة والجامع بين المشبه والمشبه به الستر في كل. (قوله والنوم سباتا) من السبت وهو القطع لقطع الاشغال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الاعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) أى طلبه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) أى المبشرات وهى ثلاث الشمال وتأتى من جهة القطب والجنوب تقابلها والصبا وتأتى من مطلع الشمس والدبور تأتى من المغرب وبها أهلكت عاد (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا وال فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ماذكره المفسر من القراآت أربع وكلها سبعية الاولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نشر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الاولى) أى والثانية (قوله وأنزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) أى طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره (قوله بلدة) أى أرضا (قوله بالتخفيف) أى لاغير لان المخفف لما ليس ذا روح غالبا وأما بالتشديد لما كانت فيه الروح قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال بعضهم

أياسائلى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ما عنه تسأل

فما كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

(قوله يستوى فيه المذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع انه نعت لبلدة وهى مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب ان يأتى بأو (قوله انعاما) خصها بالذكر لانها عزيزة عند أهلها لكونها سببا لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع انسان) هو الراجح وقيل جمع انسى وهو معترض بان الياء فى انسى للنسب وهو لا يجمع على فعالى كما قال ابن مالك

* واجعل فعالى لغير ذى نسب * (قوله واصله اناسين) أى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) أى فرقناه فى البلاد المختلفة والاوقات المتغايرة على حسب ما قدر فى سابق علمه روى عن ابن مسعود انه قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار (قوله أدغمت التاء فى الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى نعمة الله به) أى فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جحود النعمة) أى حيث أضافوها لغير خالقها (قوله مطرنا بنوء كذا) النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب وطلوع رقيبه من المشرق فى ساعته فى عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط وقيل الى الطالع واعتقاد تأثير تلك الاشياء فى المصنوعات كفر لانه لا أثر لشئ فى شئ بل المؤثر هو الله وحده واعتقاد ان تلك الاشياء من جملة الاسباب العادية التى توجد الاشياء عندها لا بها ويمكن تخلفها كالاحراق للنار والرى للماء والشبع للاكل (قوله لبعثنا فى كل قرية) أى فى زمنك (قوله ليعظم أجرك) أى فالنبى صلى الله عليه وسلم له مثل أجر من آمن به من بعثته الى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) أى بل اصبر على أحكام ربك (قوله جهادا كبيرا) أى لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) أى أجراهما متلاصقين لا يتمازجان ولا يبغى أحدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل ان تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف مرجهما ويحتمل ان تكون حالية بتقدير القول أى مقولا فيهما هذا عذب الخ وسمى الماء العذب فراتا لانه يفرت العطش أى يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) أى وقيل شديد الحرارة وقيل شديد المرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب

كاللباس (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع الاعمال (وجعل النهار نشورا) منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره (وهو الذى أرسل الرياح) وفى قراءة الريح (بشرا بين يدى رحمته) أى متفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشرات ومفرد الاولى نشور كرسول والاخيرة بشير (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا (لنحيى به بلدة ميتا) بالتخفيف يستوى فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (ونسقيه) أى الماء (مما خلقنا أنعاما) ابلا وبقرا وغنما (وأناسى كثيرا) جمع انسان وأصله أناسين فابدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع انسى (ولقد صرفناه) أى الماء (بينهم ليذكروا) أصله يتذكروا أدغمت التاء فى الذال وفى قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أى نعمة الله به (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) يخوف أهلها ولكن بعثناك الى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك (فلا تطع الكافرين) فى هواهم (وجاهدهم به) أى القرآن (جهادا كبيرا وهو الذى مرج البحرين) أرسلهما متجاورين (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا)

فرات وملح اجاج (قوله حاجز الا يختلط أحدهما بالآخر) أى فالماء العذب داخل فى الملح وجار فى خلاله ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ماهو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوى لا بحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من أكبر الادلة على انفراد الله تعالى بالالوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم ان معناه نعوذ نا تعوذا والمراد هنا الستر المانع فشبه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تتحصن من الاخرى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستعارة المكنية (قوله بشرا) أى خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم (قوله ذا نسب الخ) أى فقسمه قسمين ذوى نسب أى ذكور ينسب اليهم وذوات صهر اى أناثا يصاهر بهن وأخر الصهر لانه لا يحصل الا بعد الكبر والتزوج (قوله ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته وصهر المرأة أقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) أى حيث خلق من مادة واحدة انسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وأخلاق متعددة وجعله قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وأمثاله فهو حقيق بان لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع فى ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الادلة (قوله مالا ينفعهم ولا يضرهم) قدم النفع فى بعض الآيات وأخره فى بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) أى يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وأل فى الكافر للجنس فالمراد كل كافر وقيل معنى ظهيرا مهينا لا يعبأ به فعلى بمعنى عند والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لا حرمة له مأخوذ من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته) أى الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر معينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته اياه والخروج عن طاعة الله (قوله وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) أى لم نرسلك فى حال من الاحوال الا فى حال كونك مبشرا ونذيرا فمن آمن فقد تحقق بالبشارة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما أرسلت به) أى المفهوم من قوله أرسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته فليفعل (قوله فى مرضاته تعالى) أى كالصدقة والنفقة فى سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت) لما قدم ان الكافر خارج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وأمر الرسول ان لا يسألهم اجرا على تبليغه أمره بالاعتماد عليه تعالى ليكفيه شرورهم ويغنيه عن أجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى فى جميع الامور من غير اعتماد على الاسباب وان تعاطاها (قوله الذى لا يموت) صفة كاشفة لان معنى الحى فى حقه تعالى ذو الحياة الابدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) أى نزهه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للملابسة كما قال المفسر أى صفه بالكمالات (قوله أى قل سبحان الله والحمد لله) أى وذلك مجمع التسبيح والتحميد لان معنى سبحان الله تنزيه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى بقيتها لا اله الا الله والله أكبر وحكمة تأخير لا اله الا الله عن هاتين الجملتين ليكون النطق بهما عن معرفة ويقين فهى نتيجة ما قبلها والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لانه اذا تنزه عن النقائص واتصف بالكمالات وثبت أنه لا اله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لانهما مستلزمان للجملتين بعدهما (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل (قوله عالما) أى بالمذنب والطائع (قوله تعلق به) اى بخبيرا (قوله بذنوب) أى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق فى كل وقت فلا ينظر الانسان لعيوب الناس ولا لطاعاتهم بل عليه بنفسه ويفوض أمرهم اليه (قوله هو الذى) أشار بذلك الى أن الموصول خبر لمحذوف وهذه

حاجز الا يختلط أحدهما بالآخر (وحجرا محجورا) أى سترا ممنوعا به اختلاطهما (وهو الذى خلق من الماء بشرا) من المنى انسانا (فجعله نسبا) ذا نسب (وصهرا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وكان ربك قديرا) قادرا على مايشاء (ويعبدون) أى الكفار (من دون الله مالا ينفعهم) بعبادته (ولا يضرهم) بتركها وهو الاصنام (وكان الكافر على ربه ظهيرا) معينا للشيطان بطاعته (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) مخوفا من النار (قل ما أسئلكم عليه) أى على تبليغ ما أرسلت به (من أجر الا) لكن (من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بانفاق ماله فى مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك (وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح) متلبسا (بحمده) أى قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عالما تعلق به بذنوب هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما

الجملة سيقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فان من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله في ستة أيام) أى فالارض في يومين الاحد والاثنين وماعليها في يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات في يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله أى في قدرها) دفع بذلك ما يقال ان الايام لم تكن موجودة اذ ذاك (قوله والعدول عنه) أى عن الخلق في لمحة (قوله التثبت) أى التأنى والتؤدة في الامور وعدم العجلة فيها لما ورد العجلة من الشيطان واستثنى العلماء من ذلك مسائل اقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة في أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الاوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو في اللغة سرير الملك) أى ومنه قوله تعالى أيكم يأتيني بعرشها والمراد هنا جسم عظيم محيط بالعالم فوق السموات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبرا لمحذوف أو خبر الذى خلق (قوله أى استواء يليق به) هذا اشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه وهو أحد معنى الاستواء واستدلوا لذلك بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وفى قوله الرحمن اشارة الى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين وكان سقف الجنة لا بوصف الجلال والاذلاب ولم يبق له أثر (قوله فاسأل به خبيرا) به متعلق بخبيرا قدم لرعاية الفاصلة والمعنى اسأل يا محمد خبيرا بصفاته تعالى وليس خبيرا بصفاته الا هو سبحانه وتعالى ويصح ان يكون الجار والمجرور متعلقا باسأل والباء بمعنى عن والمعنى اسأل عنه خبيرا أى عالما بصفاته يطلعك على ما خفى عليك والخبير يختلف باختلاف السائل فان كان السائل النبى عليه الصلاة والسلام فالخبير هو الله وان كان السائل أصحابه فالخبير النبى وان كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن النبى عن الله وهكذا فآل الامر الى أن المشايخ العارفين يفيدون الطالب عن الله وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله واذا قيل لهم) أى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) أى ظنا منهم ان المراد به غيره تعالى لانهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله والآمر محمد) أى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تأمرنا فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله تعاظم) أى انفرد بالعظمة لان من كانت هذه أوصافه فهو منفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم ان لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر في كل مقام بما يناسبه (قوله بروجا) جمع برج وهو في الاصل القصر العالى سميت هذه المنازل بروجا لانها للكواكب السبعة السيارة كالمنازل الرفيعة التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة (قوله الحمل) أى ويسمى بالكبش (قوله والاسد) أى ويسمى بالليث أيضا وقوله والدلو ويسمى الدالى أيضا (قوله المريخ) بكسر الميم (قوله وله) أى من البروج المذكورة والحاصل ان خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحدا من البروج وتقدم فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم ان زحل نجم فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الاولى وتخصيص الشمس بالاسد لكونه بيتها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواقى الكواكب السبعة وذلك لان البروج أصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعدل كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالاكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى من جملة الاسباب العادية فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) أى السماء (قوله أى نيرات) صفة لموصوف محذوف أى كواكب نيرات ودخل فيها القمر

فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك (الرحمن) بدل من ضمير استوى أى استواء يليق به (فاسئل) أيها الانسان (به) بالرحمن (خبيرا) يخبرك بصفاته (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه لا (وزادهم) هذا القول لهم (نفورا) عن الايمان قال تعالى (تبارك) تعاظم (الذى جعل فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وجعل فيها) أيضا (سراجا) هو الشمس (وقمرا منيرا) وفى قراءة سرجا بالجمع أى نيرات وخص القمر منها بالذكر

لنوع فضيلة (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي يخلف كل منهما الآخر (لمن أراد أن يذكر) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر (أو أراد شكورا) أي شكر النعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ وما بعده صفات له الى أولئك يجزون غير المعترض فيه (الذين يمشون على الأرض هونا) أي بسكينة وتواضع (وإذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه (قالوا سلاما) أي قولا يسلمون فيه من الاثم (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) بمعنى قائمين أي يصلون بالليل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أي لازما (انها ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) هي أي موضع استقرار واقامة (والذين اذا أنفقوا) على عيالهم (لم يسرفوا ولم يقتروا) بفتح أوله وضمه أي يضيقوا (وكان) انفاقهم (بين ذلك) الاسراف والاقتار (قواما) وسطا (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله) قتلها (الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك) أي واحدا من الثلاثة (يلق أثاما) أي عقوبة (يضاعف) وفي قراءة يضعف بالتشديد (له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه) بجزم الفعلين بدلا وبرفعهما استئنافا (مهانا) حال (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) منهم (فأولئك يبدل الله سيئاتهم) المذكورة (حسنات) في الآخرة (وكان الله غفورا رحيما) أي لم يزل متصفا بذلك

فلذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) أي لان مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى ويسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج (قوله أي يخلف كل منهما الآخر) أي بأن يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) أي فأصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم ذالا وأدغمت في الدال (قوله والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) أي في قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا (قوله ما فاته في أحدهما من خير الخ) أي فمن فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرهما (قوله أو أراد شكورا) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل اليه أمرهم ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية واضافتهم اليه تعالى للتشريف والا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال اضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة ويختص بهم في الآخرة (قوله وما بعده) أي من الموصولات الثمانية التي أولها قوله الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله الى أولئك) أي وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أي وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى قوله متابا وهو ثلاث آيات وحاصل ما ذكره من الاوصاف ان بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أي بسكينة) أي تؤدة وتأن (قوله الجاهلون) أي السفهاء (قوله قالوا سلاما) أي مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام وهذا الخلق من أعظم الاخلاق لما في الحديث كاد الحليم أن يكون نبيا وفي الحديث يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم والآثار في ذلك كثيرة (قوله والذين يبيتون) شروع في ذكر معاملتهم للخالق اثر معاملتهم للخلق وخص البيتوتة بالذكر لان العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفي الحديث لا زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت ان خيار أمتي لا ينامون وأخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أي يصلون بالليل) هذا صادق بصلاة العشاء والصبح في جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أي فهم مع حسن المعاملة للخالق وللخلق ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجلون من هيبته (قوله ان عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أي في علمه تعالى (قوله أي لازما) أي لزوما كليا في حق الكفار ولزوما بعده خروج في حق عصاة المؤمنين (قوله انها ساءت) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هي (قوله مستقرا ومقاما) هما بمعنى واحد وهو الذي يشير اليه المفسر وقيل مستقرا للعصاة المؤمنين ومقاما للكافرين (قوله بفتح أوله) أي مع كسر التاء وضمها من باب ضرب ونصر وقوله وضمه أي مع كسر التاء لا غير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أي يضيقوا) أي على عيالهم مع ايسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لا يدعون مع الله الخ) شروع في بيان اجتنابهم للمعاصي اثر بيان اتيانهم الطاعات (قوله الا بالحق) أي لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الاسباب الا بسبب الحق بأن تكون مستحقة للقتل كالمرتد والزاني المحصن والقاتل (قوله أي واحدا من الثلاثة) في بعض النسخ أي ما ذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعفت له العقوبة (قوله وفي قراءة يضعف) أي فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه فالقراآت أربع سبعيات (قوله بدلا) أي من يلق بدل اشتمال (قوله مهانا) أي ذليلا حقيرا (قوله الا من تاب) استثناء متصل من الضمير في يلق (قوله فأولئك) اسم الاشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبدل الله سيئاتهم) أي يمحو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة ويثبت مكانها الطاعات أو نيتها وفي القرطبي ولا يبعد في كلام الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة

حسنة (قوله ومن تاب) أي عن المعاصي بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أي فعل الطاعات ولو بالنية كمن لجأه الموت عقب التوبة (قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك ما يتوهم اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال من تاب وعمل صالحا فانه يرجع الى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لا يشهدون الزور) أي لا يحضرونه أولا يشهدون به (قوله واذا مروا باللغو) أي من غير تقصد منهم له (قوله وغيره) أي وهو الفعل القبيح (قوله مروا كراما) أي مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك الى أن النفي مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا والمعنى اذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من للبيان (قوله بالجمع والافراد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قرة أعين) أي ما يحصل به سرورها (قوله واجعلنا للمتقين اماما) أي اجعلنا هداة يقتدى بنا في مواسم الخيرات والطاعات بان تصفي بواطننا من غيرك حتى يكون حالنا سببا في هداية الخلق ولذا قيل حال رجل في ألف رجل انفع من وعظ ألف رجل في رجل ولفظ امام يستوي فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على المتصفين بالاوصاف الثمانية (قوله الغرفة) اسم جنس أريد به الجمع والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا (قوله بالتشديد) أي ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف أي فمعناه يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لان المراد بالتحية الاكرام بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول أو سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أي أو من الله أو من بعضهم لبعض والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل ان قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل مختلفان فالتحية الاكرام بالهدايا والتحف والسلام الدعاء اما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدين فيها) أي لا يموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) أي الواقع مبتدأ وقوله وما بعده أي قوله يجزون الواقع خبره (قوله قل ما يعبأ بكم ربي الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد ان المدار على تلك الاوصاف التي بها العبادة لله فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه ويعبده والا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي العبادة يتنافس المتنافسون وبها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم اياه) أشار بذلك الى أن المصدر مضاف لفاعله (قوله فسوف يكون العذاب) أي الذي دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل وفي الآية تهديد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله ابن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وقوله خمس أي خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فالدخان هو قوله تعالى يوم تأتي السماء بدخان مبين والمراد به شئ يشبه الدخان وقد نزل بقريش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن بينه وبين السماء دخانا والقمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والروم في قوله تعالى غلبت الروم في أدنى الارض والبطشة في قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى وهي القتل يوم بدر واللزام هو الاسر يومها (قوله دل عليه ما قبلها) أي وهو قوله قل ما يعبأ بكم ربي والتقدير لولا دعاؤكم أي طلبكم من الله رفع الشدائد وأنتم تتعلقون باستار الكعبة ما يعبأ بكم أي ما يكترث بكم ولا يرفعها عنكم وقوله وقد كذبتم أي دمتم على تكذيبه بعد اخراجه من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لا يرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء فتدبر

﴿سورة الشعراء﴾

أي السورة التي ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى وقد ورد في فضل الطواسين

(ومن تاب) من ذنوبه غير من ذكر (وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أي يرجع اليه رجوعا فيجازيه خيرا (والذين لا يشهدون الزور) أي الكذب والباطل (واذا مروا باللغو) من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) معرضين عنه (والذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم) أي القرآن (لم يخروا) يسقطوا (عليها صما وعميانا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا) بالجمع والافراد (قرة أعين) لنا بان نراهم مطيعين لك (واجعلنا للمتقين اماما) في الخير (أولئك يجزون الغرفة) الدرجة العليا في الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (ويلقون) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فيها) في الغرفة (تحية وسلاما) من الملائكة (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) موضع اقامة لهم وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ (قل) يا محمد لاهل مكة (ما) نافية (يعبأ) يكترث (بكم ربي لولا دعاؤكم) اياه في الشدائد فيكشفها (فقد) أي فكيف يعبأ بكم وقد (كذبتم) الرسول والقرآن (فسوف يكون) العذاب (لزاما) ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها

﴿سورة الشعراء مكية﴾

الا والشعراء الى آخرها فمدنى وهى مائتان وسبع وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق من الباطل (لعلك) يا محمد (باخع نفسك) قاتلها غما من أجل (أن لا يكونوا) أى أهل مكة (مؤمنين) ولعل هنا للاشفاق أى أشفق عليها بتخفيف هذا الغم (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت) بمعنى المضارع أى تظل أى تدوم (أعناقهم لها خاضعين) فيؤمنون ولما وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو لاربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وما يأتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن محدث) صفة كاشفة (الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا) به (فسيأتيهم أنباء) عواقب (ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا) ينظروا (الى الارض كم أنبتنا فيها) أى كثيرا (من كل زوج كريم) نوع حسن (ان فى ذلك لآية) دلالة على كمال قدرته تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) فى علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وان ربك لهو العزيز) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين (و) اذكر يا محمد لقومك (اذ نادى ربك موسى) ليلة رأى النار والشجرة

أحاديث منها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المص مكان الانجيل وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبى قبلى (قوله الا والشعراء الى آخرها) أى وجملته أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصولة من بعضها وبها قرئ فيقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف وقرئ هنا وفى القصص بكسر الميم على البناء وأمال الطاء بعض القراء (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الاشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أى والمعنى آيات من الكتاب (قوله المظهر الحق من الباطل) أشار بذلك الى أن المبين من أبان بمعنى أظهر ويصح أن يكون من بان اللازم بمعنى ظهر أى الظاهر اعجازه (قوله لعلك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من بخع من باب نفع قتل نفسه من وجد أو غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى ما الترجى بمعنى الامر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله أى اشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى وبوصلها من الثلاثى والاول ان تعدى بمن كان بمعنى الخوف وان تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله ان نشأ ننزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فاننا لو شئنا ايمانهم لانزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاوهم فعدم ايمانهم منا لا منهم فارح نفسك من التعب القائم بها وان حرف شرط ونشأ فعل الشرط وننزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رؤسهم كما وقع لبنى اسرائيل (قوله بمعنى المضارع) أشار بذلك الى ان قوله فظلت مستأنف ويصح أن يكون معطوفا على ننزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الاعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك ما يقال كيف جمع الاعناق بجمع العقلاء فأجاب بانه لما ناسب الخضوع لها وهو وصف العقلاء جمعها بالياء والنون كقوله تعالى رأيتهم لى ساجدين قالتا أتينا طائعين والافكان مقتضى الظاهر ان يقول خاضعة وهناك أجوبة أخر منها ان المراد بالاعناق الرؤساء ومنها ان لفظ الاعناق مقحم والاصل فظلوا لها خاضعين ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) أى لانه فهم من قوله يأتيهم لان التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله الا كانوا عنه معرضين) أى غير متأملين له (قوله عواقب) أى وعبر عنها بالانباء لان القرآن أخبر عنها والمراد ينزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم (قوله أولم يروا الى الارض) أى الى عجائبها والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم ينظروا الى الارض الخ وهذا بيان للادلة التى تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على انه منفرد بالالوهية ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر (قوله كم أنبتنا فيها) كم فى محل نصب مفعول لانبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله ان فى ذلك لآية الخ) قد ذكرت هذه الآية فى هذه السورة ثمان مرات (قوله فى علم الله) هذا مبنى على أصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب أن يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) أى الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) أى يظهر عزته الذى هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى يظهر رحمته (قوله واذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة سبع قصص أولها قصة موسى وهرون ثانيها قصة ابراهيم ثالثها قصة نوح رابعها قصة هود خامسها قصة صالح سادسها قصة لوط سابعها قصة شعيب وتقدم حكمة ذكر تلك القصص انه بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة فى علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الامة أسعد السعداء وكافرها أشقى الاشقياء وحكمة التكرار الزيادة فى ايمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت المناداة بل المراد ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ليلة رأى النار والشجرة) أى رأى النار موقدة فى الشجرة الخضراء وليس هذا مبدأ ما وقع فى المناداة وانما هو ما فصل فى سورة طه من

(أن) أى بأن (ائت القوم الظالمين) رسولا (قوم فرعون) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبنى اسرائيل باستعبادهم (ألا) الهمزة للاستفهام الانكارى (يتقون) الله بطاعته فيوحدونه (قال) موسى (رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) من تكذيبهم لى (ولا ينطلق لسانى) بأداء الرسالة للعقدة التى فيه (فأرسل الى) أخى (هرون) معى (ولهم على ذنب) بقتل القبطى منهم (فأخاف أن يقتلون) به (قال) تعالى (كلا) أى لا يقتلونك (فاذهبا) أى أنت وأخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب (بآياتنا انا معكم مستمعون) ما تقولون وما يقال لكم أجرى مجرى الجماعة (فأتيا فرعون فقولا انا) أى كلا منا (رسول رب العالمين) اليك (أن) أى بأن (أرسل معنا) الى الشام (بنى اسرائيل) فأتياه فقالا له ما ذكر (قال) فرعون لموسى (ألم نربك فينا) فى منازلنا (وليدا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (ولبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه (وفعلت فعلتك التى فعلت) هى قتله القبطى (وأنت من الكافرين) الجاحدين لنعمتى عليك بالتربية وعدم الاستعباد (قال) موسى (فعلتها اذا) أى حينئذ (وأنا من الضالين) عما آتانى الله بعدها من العلم والرسالة (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) علما

قوله تعالى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى (قوله أن ائت القوم الظالمين) يصح ان تكون أن مصدرية كما مشى عليه المفسر أو مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل ائت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه أى فرعون وهذا قدمهم بالاولى لانه رأس الضلال (قوله وبنى اسرائيل) معطوف على أنفسهم والتقدير وظلموا بنى اسرائيل (قوله باستعبادهم) أى معاملتهم اياهم معاملة العبيد فى استخدامهم فى الاعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو أربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين (قوله للاستفهام الانكارى) المناسب ان يقول للاستفهام التعجبى لان المعنى على الانكار فاسد لانه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى اثبات فيصير المعنى انهم اتقوا الله وليس كذلك ويصح ان تكون ألا للعرض (قوله قال رب انى أخاف الخ) اعتذار من موسى لاظهار العجز عن الامر الذى كلفه وقد أتى بثلاثة أعذار كل واحد منها مرتب على ما قبله (قوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) هما بالرفع على الاستئناف أو عطف على خبر ان عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول ان والمقصود من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الامر المهم بشرح الصدر وطلق اللسان وارسال أخيه والامن من القتل وقد دل على ذلك قوله فى سورة طه رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى الآيات (قوله للعقدة التى فيه) أى الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نتف لحية فرعون فاغتم لذلك وهم بقتله فأشارت عليه زوجته ان يمتحنه فقدم له تمرة وجمرة فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه فحصل فيه ثقل فى النطق (قوله فأرسل الى هرون) أى وكان فى مصر فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وان كان حاضرا وهرون جاءته الرسالة فى ذلك الوقت أيضا بواسطة جبريل (قوله معى) أى ليكون معينا لى وهو معنى قوله فى سورة القصص فأرسله معى ردأ يصدقنى (قوله ولهم على ذنب) أى فى زعمهم (قوله فأخاف أن يقتلون) أى فيفوت المقصود من الارسال (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) أى بالنسبة لموسى والا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع انهما اثنان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله انا معكم) أى معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجرى مجرى الجماعة) أى تعظيما لهما (قوله أى كلا منا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم ان وخبرها الذى هو الرسول حيث أفرده (قوله أن أرسل معنا بنى اسرائيل) أى خلصهم وأطلقهم (قوله فأتياه الخ) أشار بذلك الى أن قوله قال ألم نربك الخ مرتب على محذوف روى انهما لما انطلقا الى فرعون لم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال له فرعون ائذن له لعلنا نضحك معه فدخلا عليه فوجداه قد أخرج سباعا من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها ان تبطش بموسى وهرون فأسرعوا اليهما وأسرعت السباع الى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أنتما قالا انا رسول رب العالمين فعرف موسى لانه نشأ فى بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فامتن عليه أولا بنعمة التربية وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطى (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ما ورد على الآية بان الوليد يطلق على المولود حال ولادته وليس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم أخذه فرعون بعد الفطام والاولى ابقاء الآية على ظاهرها لان موسى وان كان عند أمه الا انه تحت نظر فرعون فهو فى تربيته من حين ولادته (قوله من عمرك) حال من سنين لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) أى اتخاذك لى عبدا مثل بنى اسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لا حل اعراب وهى حرف جواب فقط وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتانى الله بعدها الخ) أى فليس على فيما فعلته فى تلك

(وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي) أصله تمن بها علي (أن عبدت بني اسرائيل) بيان لتلك أي اتخذتهم عبيدا ولم تستعبدني لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار (قال فرعون) لموسى (وما رب العالمين) الذي قلت انك رسوله أي أي شيء هو ولما لم يكن سبيل للخلق الى معرفة حقيقته تعالى وانما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها

(قال رب السموات والارض وما بينهما) أي خالق ذلك (ان كنتم موقنين) انه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قال) فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه (ألا تستمعون) جوابه الذي لم يطابق السؤال (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) وهذا وان كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) انه كذلك فآمنوا به وحده (قال) فرعون لموسى (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا (قال) له موسى (أولو) أي أتفعل ذلك ولو (جئتك بشيء مبين) أي برهان بين على رسالتي (قال) فرعون له (فأت به ان كنت من الصادقين) فيه (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فاذا هي بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قال) فرعون (للملأ حوله ان هذا لساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما (وابعث في المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل سحار عليم) يفضل موسى في علم السحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا) أي حينئذ (لمن المقربين قال لهم موسى) بعد ما قالوا له اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين (ألقوا ما أنتم ملقون) فالأمر فيه للاذن بتقديم القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم

الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ أو المعنى من المخطئين لا من المتعمدين (قوله وجعلني من المرسلين) في ذلك رد لما وبخه به فرعون وهو القتل بغير حق فكأنه قال كيف تدعي الرسالة وقد حصل منك ما يقدح في تلك الدعوى فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة ثم أتته بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وأن عبدت الخ عطف بيان موضح للمبتدا كما قاله المفسر (قوله أصله تمن بها علي) أي فحذف الجار فاتصل الضمير فهو من باب الحذف والايصال (قوله ولم تستعبدني) أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك اياي لان استعباد غيري ظلم وقد نجاني الله منه (قوله وقدر بعضهم) أي وهو الاخفش (قوله أول الكلام) أي والأصل أوتلك نعمة الخ (قوله للانكار) أي وهو بمعنى النفي (قوله أي أي شيء هو) أي وذلك لان ما يسئل بها عن الحقيقة والمعنى أي جنس هو من أجناس الموجودات (قوله وما بينهما) أي جنس السموات والارض فاندفع ما قيل لم ثنى الضمير مع ان مرجعه جمع (قوله ان كنتم موقنين) أي محققين ان الله تعالى هو الخالق لها (قوله من أشراف قومه) أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور ولم يكن يلبسها الا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذي لم يطابق السؤال) أي لان ما يسئل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يسئل عنها بأي والعدول عن المطابقة لان السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الأولين) انما ذكر ذلك لان نفوسهم أقرب الأشياء اليهم (قوله وهذا) أي الجواب (قوله ولذلك) أي لشدة غيظه (قوله قال ان رسولكم) سماه رسولا استهزاء وأضافه الى المخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) أي فتشاهدون في كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويذهب بها من المغرب (قوله ان كنتم تعقلون) أي ان كان لكم عقل وفيه رد لقوله ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون (قوله قال لئن اتخذت الها غيري الخ) عدول عن المحاجة الى التهديد لقصر حجته وجهله وعدم استقامته روي انه فزع من موسى فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك بوله (قوله أي أتفعل ذلك) أشار الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فأت به) انما أمر فرعون بالاتيان به لظنه انه يقدر على معارضته (قوله ونزع يده) أي من جيبه قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال هل لك غيرها فأخرج يده فأدخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله حوله) ظرف في محل الحال (قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم) لما رأى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه ان يتبعوه فتنزل الى مشاورتهم بعد أن كان مستقلا بالرأي والتدبير وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فماذا تأمرون) أي أي شيء تأمرونني به (قوله يأتوك) مجزوم في جواب الأمر (قوله يفضل موسى) أي يفوقه ويزيد عليه (قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم وقيل كان يوم سوق (قوله والترجي على تقدير غلبتهم) أي الترجي على فرض الغلبة المقتضية للاتباع (قوله على الوجهين) أي تحقيقهما وتسهيل الثانية وكان عليه أن يقول وتركه أي ترك الادخال على الوجهين فتكون القراآت أربعا (قوله لأجرا) أي أجرة وجعلا (قوله قال نعم) أي لكم الأجرة على عملكم السحر وزادهم بقوله وانكم اذا الخ (قوله فالأمر فيه

وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) بحذف احدى التاءين من الاصل تبتلع (ما يأفكون) يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى (فالقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بان ماشاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر (قال) فرعون (آمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا (له) لموسى (قبل ان آذن) انا (لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ منه وغلبكم بآخر (فلسوف تعلمون) ماينالكم منى (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولأصلبنكم اجمعين قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا) بعد موتنا باى وجه كان (منقلبون) راجعون فى الآخرة (انا نطمع) نرجو (ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان) اى بان (كنا اول المؤمنين) فى زماننا (واوحينا الى موسى) بعد سنين اقامها بينهم يدعوهم بآيات الله الى الحق فلم يزيدوا الا عتوا (ان اسر بعبادى) بنى اسرائيل وفى قراءة بكسر النون ووصل همزة اسر من سرى لغة فى اسرى اى سر بهم ليلا الى البحر (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فانجيكم واغرقهم (فارسل فرعون) حين اخبر بسيرهم (فى المدائن) قيل كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية (حاشرين) جامعين الجيش قائلا (ان هؤلاء لشرذمة) طائفة (قليلون) قيل كانوا ستمائة الف وسبعين الفا ومقدمة جيشه سبعمائة الف فقللهم بالنظر الى كثرة جيشه (وانهم لنا لغائظون) فاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حذرون) متيقظون وفى قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فاخرجناهم) اى فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه (من جنات) بساتين كانت على جانبى النيل (وعيون) انهار جارية فى الدور من النيل (وكنوز)

جواب عما يقال كيف يأمرهم بفعل السحر مع انه لا يجوز الامر به لان الامر به رضا والرضا بالكفر كفر * وحاصل الجواب ان الممتنع الامر به فى حال كونه مستحسنا له وأما الامر به للتوسل لابطاله فليس فيه استحسان ولا رضا بل هو الممدوح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى نقسم ونحلف بعزة فرعون واقسموا لفرط اعتقادهم فى أنفسهم انهم غالبون (قوله من الاصل) أى أصل الصيغة (قوله يقلبونه) أى يغيرونه عن حاله الاولى من الجمادية الى كونه حية تسعى وقوله بتمويههم الباء سببية (قوله فالقى السحرة) أى خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة فلم يتمالكوا أنفسهم (قوله رب موسى وهرون) بدل مما قبله للتوضيح وللاشعار بان سبب ايمانهم ما أجراه الله على يد موسى وهرون (قوله وابدال الثانية ألفا) صوابه الثالثة لانها هى المنقلبة ألفا وترك قراءة أخرى وهى حذف الاولى من الهمزتين وقلب الثالثة الفا (قوله فعلمكم شيأ منه وغلبكم بآخر) أى أخفاه عنكم وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا ان السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حاصله انهم لما آمنوا باجمعهم اشتد خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم فى الايمان فنفر الباقى بقوله لاقطعن الخ (قوله انا الى ربنا منقلبون) تعليل لنفى الضير وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف ولم يرد فى القرآن ما دل على انه فعل (قوله فى زماننا) أى من اتباع فرعون فلا ينافى ان بنى اسرائيل سبقوهم بالايمان (قوله وأوحينا الى موسى) يحتمل أن يكون الوحى بتكليم الله له أو على لسان جبريل (قوله بعد سنين) أى ثلاثين وذلك ان موسى مكث فى مصر أولا ثلاثين وفى مدين عشر سنين ثم لما رجع الى مصر ثانيا مكث يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم أغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجملة عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله) أى باقى التسع لان موسى افتتحهم أولا بالعصا واليد فلم يؤمنوا فجاءهم بالسنين المجدبة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على أموالهم فلم يفد فيهم ذلك وقد سبق ذلك مفصلا فى الاعراف (قوله بعبادى) الاضافة للتشريف والمعنى سر بعبادى المختصين برحمتى والا فالكل من حيث الخلق عباده (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله الى البحر) أى بحر القلزم فخرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل فى آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بنى اسرائيل يراجعه فى ذلك فيقول هكذا أمرنى ربى فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى ببنى اسرائيل خرج فى أثرهم وبعث الى مدائن مصر لتلحقه الجيوش (قوله انكم متبعون) علة للامر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روى ان قوم موسى قالوا لجماعة فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) أى وجملة جيشه ألف ألف وستمائة (قوله فاعلون ما يغيظنا) أى حيث خالفوا ديننا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبكارنا لما روى ان الله أمر الملائكة ان يقتلوا أبكار القبط وأوحى الى موسى أن يجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم يذبحوا أولاد الضأن ويلطخوا أبوابهم بدمائهم لتميز الملائكة بيوت بنى اسرائيل من بيوت القبط فدخلت الملائكة فقتلت أبكارهم فأصبحوا مشغولين بموتاهم وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وانا لجميع حذرون) أى من عادتنا الحذر والحزم فى الامور (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعية أيضا بمعنى الاولى وقيل الحذر المتيقظ والحاذر الخائف (قوله كانت على جانبى النيل)

اموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها (ومقام كريم) مجلس حسن للامراء والوزراء يحفه أتباعهم (كذلك) اي اخراجنا كما وصفنا (واورثناها بني اسرائيل) بعد اغراق فرعون وقومه (فاتبعوهم) لحقوهم (مشرقين) وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) اى رأى كل منهما الآخر (قال اصحاب موسى انا لمدركون) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به (قال) موسى (كلا) اى لن يدركونا (ان معي ربي) بنصره (سيهدين) طريق النجاة قال تعالى (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) فانشق اثنى عشر فرقا (فكان كل فرق كالطود العظيم) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده (وازلفنا) قربنا (ثم) هنالك (الآخرين) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وانجينا موسى ومن معه أجمعين) باخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثم اغرقنا الآخرين) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بني اسرائيل منه (ان في ذلك) اى اغراق فرعون وقومه (لآية) عبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وان ربك لهو العزيز) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرحيم) بالمؤمنين فانجاهم من الغرق (واتل عليهم) اى كفار مكة (نبأ) خبر (ابراهيم) ويبدل منه (اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه

أي من اسوان الى رشيد قال كعب الاحبار أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة والنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين وقيل المراد بالكنوز الاموال التى تحت الارض وخصها بالذكر لان ما فوق الارض انطمس وحينئذ فتسميتها كنوزا ظاهر (قوله مجلس حسن للامراء والوزراء) قيل كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب وقيل المقام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله أى اخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك الى ان قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله واورثناها) أى الجنات والعيون والكنوز وقيل المراد أورثنا بني اسرائيل ما استعار وه من حلى آل فرعون والاحسن ان يراد ما هو أعم فان بني اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الارض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) أي يوم الملاقاة وليس المراد انهم ادركوا بني اسرائيل يوم خروجهم لانهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم (قوله أي لن يدركونا) أشار بذلك الى ان كلا للنفي والمعنى لا سبيل لهم علينا لان الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فاوحينا الى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاج البحر فصار يرمي بموج كالجبال فصار بنو اسرائيل يقولون أين أمرت فرعون من خلفنا والبحر أمامنا وموسى يقول ههنا فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه ولا لبده (قوله اثني عشر فرقا) اى قطعة بعدد اسباط بني اسرائيل (قوله بينها مسالك) أى بين الاثنى عشر فرقا (قوله على هيئته) أى وهى انفلاقه اثنتى عشرة فرقة (قوله وحزقيل) هو المذكور في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى أى وكانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام) أى وسبب ذلك ان الله امر موسى باخذ يوسف معه الى الشام حين خروجه من مصر فسأل على قبره فلم يعرف اذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد ان ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن في قعر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به الى الشام ❊ (فائدة) ❊ قال قيس بن حجاج لما فتحت مصر أتى أهلها الى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهر القبط فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاعلمه بالقصة فكتب اليه عمر بن الخطاب انك قد أصبت بالذى فعلت وانى قد بعثت اليك بطاقة في داخل كتابي فالقها في النيل اذا أتاك كتابي فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ ابراهيم) عطف على اذكر العامل في قوله واذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله أى كفار مكة) خصهم بالذكر لانهم الحاضرون وقت نزول الآية والا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم الى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله ما تعبدون) ما اسم استفهام معمول لتعبدون والمعنى ما هذا الذى تعبدونه أى ما حقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ)

جواب عما يقال كان القياس أن يقولوا أصناما كقوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو فاجاب بانهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار (قوله أى نقيم نهارا على عبادتها) هذا معنى نظل الاصلى ولكن مقتضى الافتخار ان يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زادوه) أى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) أتى بالمضارع اشارة الى أن هذا الوصف مستمر وثابت فى الاصنام فى الماضى والحال والاستقبال ولابد من محذوف هنا دل عليه قوله اذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم (قوله اذ تدعون) اذ هنا بمعنى اذا استحضارا للحال الماضية وحكاية لها تبكيتا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله ابراهيم وانما اعتذروا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أتأملتم فعلمتم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآباؤكم) عطف على الضمير فى تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير المنفصل قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله فانهم عدو لى) أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم وهو أبلغ فى النصيحة من التصريح بان يقول فانهم عدو لكم ان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى لا تعقل أجيب باجوبة منها أن المعنى عدو لى يوم القيامة ان عبدتهم فى الدنيا ومنها ان الكلام على حذف مضاف أى فان أصحابهم عدو لى ومنها ان الكلام على القلب أى فانى عدو لهم (قوله الا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن الى ان الاستثناء منقطع والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوى بل هو وليى فى الدنيا والآخرة (قوله الذى خلقنى) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفى قوله فهو يشفين لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الاطعام والاسقاء فليس بينهما ترتب وأتى بثم فى جانب الاحياء لبعده منه عن زمن الموت لان المراد به الاحياء فى الآخرة (قوله الى الدين) أى وغيره من مصالح دنياى وآخرتى وانما خص الدين لان المقام للرد ولانه أهم (قوله والذى هو يطعمنى ويسقين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله واذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وان كان الكل من الله تأدبا كما قال تعالى بيدك الخير ولم يقل والشر وقال الخضر فاردت أن أعيبها وقال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما (قوله والذى أطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الاخذ فى الاسباب مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله ان يغفر لى) ذكر ذلك تواضعا وتعليما للامة والا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لى حكما) لما ذكر تلك الاوصاف قوى رجاؤه فى ربه فطلب منه معالى الامور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) أى زيادة فيه (قوله وألحقنى بالصالحين) أى فى العمل أو فى درجات الجنة (قوله واجعل لى لسان صدق) من اضافة الموصوف للصفة أى ذكرا حسنا من باب تسمية الشئ باسم آلته (قوله الذين يأتون بعدى) وقد أجابه الله تعالى فما من أمة من الامم الا وهى تحبيه وتثنى عليه بخير سيما فى هذه الامة المحمدية خصوصا فى المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير فى كل تشهد وانما طلب ذلك لينتفع به هو وينتفع به المثنى لكن بشرط الايمان وأما حديث من أحب قوما حشر معهم وان لم يعمل بعملهم فمعناه اذا اشترك معهم فى الايمان وان لم يصلوا لمقامهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أى ممن يرثها ومن جملتهم واضافة جنة للنعيم من اضافة المحل الى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك وقد أجابه الله فى جميع دعواته سوى الدعاء بالغفران لابيه (قوله بان تتوب عليه الخ) ظاهره ان هذا الدعاء صدر من ابراهيم وأبوه حى ولكن ينافيه قوله وهذا قبل أن يتبين له فان التبين المذكور انما حصل بموته كافرا وحينئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له فى حياته بالتوفيق للايمان وانما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التى هو عليها وأجيب بانه لا مانع ان الله أعلم ابراهيم بموت أبيه كافرا وهو حى وحينئذ فقد صح ما قاله المفسر (قوله وهذا) أى الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر فى سورة براءة) أى فى قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الآية (قوله

(فنظل لها عاكفين) اى نقيم نهارا على عبادتها زادوه فى الجواب افتخارا به (قال هل يسمعونكم اذ) حين (تدعون أو ينفعونكم) ان عبدتموهم (أو يضرون) كم ان لم تعبدوهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اى مثل فعلنا (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى) لا اعبدهم (الا) لكن (رب العالمين) فانى اعبده (الذى خلقنى فهو يهدين) الى الدين (والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع) ارجو (ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى الجزاء (رب هب لى حكما) علما (وألحقنى بالصالحين) النبيين (واجعل لى لسان صدق) ثناء حسنا (فى الآخرين) الذين يأتون بعدى الى يوم القيامة (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) اى ممن يعطاها (واغفر لابى انه كان من الضالين) بان تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكر فى سورة براءة (ولا تخزنى)

تفضحنى (يوم يبعثون) اى الناس قال تعالى فيه (يوم لا ينفع مال ولا بنون) احدا (الا) لكن (من أتى الله بقلب سليم) من الشرك والنفاق
وهو قلب المؤمن فانه ينفعه ذلك (وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين) فيرونها (و برزت الجحيم) اظهرت (للغاوين) الكافرين

(وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون
من دون الله) اى غيره من
الاصنام (هل ينصرونكم
بدفع العذاب عنكم (أو
ينتصرون) بدفعه عن
أنفسهم لا (فكبكبوا) ألقوا
(فيها هم والغاوون وجنود
ابليس) أتباعه ومن أطاعه
من الجن والانس (أجمعون
قالوا) اى الغاوون (وهم فيها
يختصمون) مع معبوديهم
(تالله ان) مخففة من الثقيلة
واسمها محذوف أى انه (كنا
لفى ضلال مبين) بين (اذ)
حيث (نسويكم برب العالمين)
فى العبادة (وما أضلنا) عن
الهدى (الا المجرمون) اى
الشياطين أو أولونا الذين
اقتدينا بهم (فما لنا من شافعين)
كما للمؤمنين من الملائكة
والنبيين والمؤمنين (ولا
صديق حميم) أى يهمه أمرنا
(فلو أن لنا كرة) رجعة الى
الدنيا (فنكون من المؤمنين)
لو هنا للتمنى ونكون جوابه
(ان فى ذلك) المذكور من
قصة ابراهيم وقومه (لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذبت
قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم
له لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد
أو لانه لطول لبثه فيهم كأنه
رسل وتأنيث قوم باعتبار
معناه وتذكيره باعتبار لفظه
(اذ قال لهم أخوهم) نسبا (نوح
الا تتقون) الله (انى لكم
رسول أمين) على تبليغ ما ارسلت به (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (وما أسألكم عليه)
على تبليغه (من اجر ان) ما (اجرى) اى ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره تأكيدا (قالوا أنؤمن) نصدق (لك) لقولك

تفضحنى) أى تكشف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى أن قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ من كلام الله تعالى ويصح ان يكون من كلام ابراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من أتى الله الخ) أشار المفسر بذلك الى أن الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره أحدا فتحصل ان الاستثناء اما منقطع ان جعل من قوله مال ولا بنون ويكون المعنى لكن من أتى الله بقلب سليم فانه ينتفع أو متصل ان جعل من المفعول الذى قدره المفسر والتقدير لا ينفع المال والبنون أحدا الا الذى أتى الله بقلب سليم فانه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قلب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى أنفقه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له (قوله وأزلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف ويعرفون ما فيها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وبرزت الجحيم للغاوين) اى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب فتحصل لهم المساءة والاحزان ويوقنون بانهم موافعوها ولا يجدون عنها مصرفا (قوله وقيل لهم) أى على سبيل التوبيخ (قوله أين ما كنتم تعبدون) أين خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد أخرى لان الكبكبة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه كأنه من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها (قوله والغاوون) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال انها فى الآية مهملة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام قال ابن مالك * وخففت أن فقل العمل * الخ (قوله اذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله أو أولونا) أى السابقون علينا وهو جمع أول (قوله من الملائكة والنبيين الخ) اى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة (قوله ولا صديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان أى خاصته أو الخالص ويؤيده قول المفسر أى يهمه أمرنا وقوله يهمه بضم أوله وكسر ثانيه وبفتح أوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) أى فهو منصوب فى جواب التمنى (قوله لآية) اى عظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فانها على أحسن ترتيب (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل لم يؤمن منهم الا لوط ابن أخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الانبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع انهم انما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فاجاب بأن تكذيبهم له تكذيب للباقى فالجمع على حقيقته وقوله أو لانه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتأنيث قوم) أى تأنيث الفعل المسند اليه وقوله باعتبار معناه أى وهو الامة والجماعة (قوله وتذكيره) أى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله اذ قال لهم ولا مفهوم لقوم بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لمذكر أو لمؤنث كذلك (قوله نسبا) أى لا فى الدين (قوله نوح) تقدم ان اسمه عبد الغفار أو يشكر ونوح لقبه (قوله ألا تتقون) ألا للعرض (قوله انى لكم رسول أمين) انما أخبر بذلك ليتبع وليس قصده الافتخار (قوله فاتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول أى أجرة وجعلا (قوله كرره تأكيدا) أى وحسن ذلك كون الاول مرتبا على الرسالة والامانة والثانى على عدم سؤاله أجرا منهم (قوله قالوا أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعا من ايمانهم وأشار بذلك الى أن اتباعهم ليس خالصا لوجه الله بل هو طمع فى أن ينالهم شىء من الدنيا

(قوله وفي قراءة) ظاهره انها سبعية وليس كذلك بل هي عشرية والمعتمد جواز القراءة بها (قوله واتباعك) مبتدأ وخبره الارذلون وأما القراءة الاولى فهي جملة فعلية وهي حالية على كل حال (قوله الارذلون) جمع أرذل كالاكبرون جمع أكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للايمان قلة عوائقهم كالرياسة والغنى فان ذلك موجب للانفة عن الاتباع (قوله قال وما علمي) يحتمل ان تكون ما استفهامية واليه يشير المفسر بقوله أي علمي و يحتمل أن تكون نافية (قوله بما كانوا يعملون) أي لم أكلف العلم بعقائدهم الباطنية وانما كلفت ان أدعوهم الى الايمان (قوله ان حسابهم) أي حساب بواطنهم (قوله ما عبتموهم) قدره اشارة الى أن لو شرطية حذف جوابها (قوله وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء وهذا كما سألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد الموالي والفقراء كما تقدم في سبب نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (قوله ان أنا الا نذير مبين) أي للمكلفين أعزاء أو غيرهم فكيف يليق مني طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) أي تترك ما أنت عليه من معارضتنا (قوله قال رب ان قومي كذبون) انما قال ذلك تمهيدا للدعاء عليهم كأنه قال انهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك فانا أدعو عليهم لاجل ذلك والمعنى انهم استمروا على تكذيبي وأصروا عليه بعدما كررت عليهم الدعوة وسيأتي تفصيل ذلك في سورة نوح في قوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الخ (قوله فافتح بيني و بينهم فتحا) من الفتاحة بالضم والكسر وهي الحكومة أي احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معي من المؤمنين) آثر الايمان اشارة الى انهم خالصون في الاتباع وكان من معه من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء على أحد أقوال تقدمت (قوله ثم أغرقنا بعد) أي بالطوفان حيث التقى ماء السماء على ماء الارض (قوله الباقين من قومه) أي صغارا وكبارا فالهلاك الدنيوي عم الكبار والصغار والبهائم وأما في الآخرة فالخلود في النار مخصوص بمن مات كافرا بعد البلوغ وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا الى آخرها فيدخلون الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم أبي قبيلة هود الاعلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد وقوله المرسلين المراد هود وانما جمع لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب الجميع لاشتراك الكل في المجيء بالتوحيد (قوله أخوهم) أي من النسب لما تقدم انه من ذرية عاد وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة (قوله ألا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تأليفا للقلوب المجرمين لعلهم يهتدون (قوله اني لكم رسول أمين) تعليل لعرضه التقوى عليهم والمعنى اني لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به اليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفريع على قوله اني لكم رسول أمين أي حيث كنت رسولا أمينا فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتي فطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لا من حيث ذاته ولذا لم يقل ألا تتقون وتطيعوني (قوله من أجر) أي جعل وأجرة على رسالتي (قوله الا على رب العالمين) أي لانه المرسل لي الغني المغني (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها مناف للتقوى البناء للعبث واتخاذ المصانع والتجبر (قوله بكل ريع) بكسر الراء و يقال بفتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) أي كالعلم في الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا أحد أوجه في تفسير متعلق العبث وقيل تعبثون بالبناء لظنهم ان المارة يحتاجون الى البناء ليهتدوا به في الاسفار مع انهم يستغنون عنه بالنجوم وقيل المعنى يبنون بروج الحمام ليعبثوا بها وقيل المعنى تبنون بنيانا تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم (قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها وهو الحوض والبركة تجعل تحت الارض كالصهاريج (قوله كأنكم) فسر لعل بكأن بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون والاولى ابقاء لعل على بابها من الترجي ويكون المعنى راجين ان تخلدوا في الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لان مجيء لعل بمعنى كأن لم يرد (قوله واذا بطشتم) أي فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله

(واتبعك) وفي قراءة واتباعك جمع تابع مبتدأ (الارذلون) السفلة كالحاكة والاساكفة (قال وما علمي) أي علم لي (بما كانوا يعملون ان) ما (حسابهم الا على ربي) فيجازيهم (لو تشعرون) تعلمون ذلك ما عبتموهم (وما أنا بطارد المؤمنين ان) ما (أنا الا نذير مبين) بين الانذار (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول لنا (لتكونن من المرجومين) بالحجارة او بالشتم (قال) نوح (رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا) أي احكم (ونجني ومن معي من المؤمنين) قال تعالى (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء من الناس والحيوان والطير (ثم أغرقنا بعد) أي بعد انجائهم (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان) ما (أجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) بناء علما للمارة (تعبثون) بمن يمر بكم وتسخرون منهم والجملة حال من ضمير تبنون (وتتخذون مصانع) للماء تحت الارض (لعلكم) كأنكم (تخلدون) فيها لا تموتون (واذا بطشتم) بضرب او قتل (بطشتم جبارين) من غير رأفة (فاتقوا الله

في ذلك (وأطيعون) فيما آمركم به (واتقوا الذي أمدكم) أنعم عليكم (بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات) بساتين

(وعيون) انهار (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا وفي الآخرة ان عصيتموني (قالوا سواء علينا) مستو عندنا (أوعظت أم لم تكن من الواعظين) اصلا اي لا نرعوي لوعظك (ان) ما (هذا) الذي خوفتنا به (الا خلق الاولين) اي اختلاقهم وكذبهم وفي قراءة بضم الخاء واللام اي ما هذا الذي نحن عليه من ان لا بعث الا خلق الاولين اي طبيعتهم وعادتهم (وما نحن بمعذبين فكذبوه) بالعذاب (فأهلكناهم) في الدنيا بالريح (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان) ما (أجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا) من الخيرات (آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين وفي قراءة فارهين حاذقين (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض) بالمعاصي (ولا يصلحون) بطاعة الله (قالوا انما أنت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم (ما أنت) ايضا (الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) في رسالتك (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم

(قوله في ذلك) أي فيما تقدم من الامور الثلاثة (قوله الذي أمدكم) أي أعطاكم المدد وهو النعم (قوله أمدكم بأنعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) أي ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله اني أخاف عليكم) أي ان دمتم على مخالفتي ولم تشكروا على هذه النعم بعد بعثتي (قوله في الدنيا) أي بالريح العقيم وقوله وفي الآخرة أي بالخلود في النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ لان المعنى سواء علينا أوعظت بان كنت من أهل الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله بان كنت أميا مثلنا ولست نبيا (قوله أي لا نرعوي لوعظك) أي لا نرتدع ولا ننكف له (قوله الا خلق الاولين) أي من تقدموا قبلك كشيث ونوح فانهم كانوا يختلقون أمورا فاقتدينا بهم فاسم الاشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وعليها فاسم الاشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أي طبيعتهم وعادتهم) أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعذبين) أي على ما فعلناه من الأعمال (قوله فكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أي الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لا ماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في أواخر الشتاء وسيأتي بسطها في سورة الحاقة (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أي بل أقلهم كانوا مع هود في حظيرة تنسم عليهم ريح لينة حتى مضت تلك المدة فأخذهم وهاجر من تلك الارض الى مكة (قوله العزيز) أي الغالب على أمره (قوله الرحيم) أي المنعم على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت ثمود) اسم أبي قبيلة صالح الاعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى أيضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله المرسلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله أخوهم) أي في النسب لاجتماعه معهم في الاب الاعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (قوله ألا تتقون) تقدم ان الا اداة عرض كما في قول الشاعر

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وحكمة التعبير أولا بالعرض تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين لقصر عقلهم وجهلهم (قوله أتتركون) الاستفهام انكاري توبيخي وما اسم موصول بينها المفسر بقوله من الخيرات وهنا اسم اشارة للمكان القريب والمراد دار الدنيا والمعنى أتظنون انكم تتركون في الدنيا متمتعين بانواع النعم والشهوات آمنين من كل مكروه لا تخاطبون باوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفاني والاشتغال بالباقي (قوله في جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمعي واحده نخلة يذكر ويؤنث وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقا (قوله طلعها) هو ثمرها في أول ما يطلع كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو وبعده الاغريض ويسمى خلالا ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر يجمعها قولك طاب زبرت فاطوار النخل سبعة كاطوار الانسان ولذا ورد في الحديث أكرموا عماتكم النخل وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الاشجار (قوله وتنحتون من الجبال بيوتا) أي لطول أعماركم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم لان الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة (قوله بطرين) أي لنعم ربكم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله حاذقين) أي ماهرين في العمل (قوله ولا تطيعوا أمر المسرفين) الاسناد مجازي في النسبة والاصل ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم (قوله الذين يفسدون في الارض) صفة للمسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك ما يتوهم انه يقع منهم الاصلاح في بعض الاوقات (قوله ما أنت الا بشر مثلنا) أي فكيف تدعي انك رسول الينا (قوله قال هذه ناقة) الاشارة اليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن أبي موسى الاشعري قال رأيت مبركها فاذا هو سبعون ذراعا في ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) أمرهم صالح بامرين الاول قوله لها شرب الثاني قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) أي

فهي

فهي تشرب منه يوما وأنتم تشربون منه يوما الا تزاحمكم ولا تزاحموها وفي يومها تشربون من لبنها (قوله فعقروها) أي يوم الثلاثاء وأخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم وهو انهم في اليوم الاول تصفر وجوههم ثم تحمر في اليوم الثاني ثم تسود في اليوم الثالث (قوله أي عقرها بعضهم) أي وهو قدار وكان قصيرا أزرق وكان ابن زنا ضرب رجليها في ساقيها بالسيف قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكمن في غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام في القرية بل كان ينام في المسجد فاذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله أما رضي صالح انه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله نادمين على عقرها) ان قلت لم لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم أجيب بان ندمهم لخوف نزول العذاب فقط لا توبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين الاشارة الى أن العذاب النازل بالكفار لا يغادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحدا فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لا في النسب لانه ابن أخي ابراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل ابراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط سدوم وقراها (قوله الذكران) جمع ذكر أي أدبارهم (قوله أي الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة فهذه الخصلة القبيحة لم تكن في أحد قبل قوم لوط ثم لما خسف بهم تنوسيت حتى ظهرت في هذه الامة المحمدية فانا لله وانا اليه راجعون (قوله ما خلق لكم) أي أحل وأباح (قوله أي اقبالهن) أي لانه محل نبات البذر قال تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) أي متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر ان أي لقال من القالين ومن القالين صفته ولعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولا يصح أن يجعل قوله من القالين خبر ان فيكون عاملا في لعملكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع انه لا يجوز (قوله أي من عذابه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف لان بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل الحاصل (قوله وأهله) أي بنتيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) أي في العذاب قيل تبعت لوطا ثم التفتت لعودها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها (قوله أهلكناهم) أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله وأمطرنا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (قوله مطرهم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الأيكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الأيكة في أربعة مواضع في القرآن في الحجر وق وهنا وص فالاولان بال مع الجر لا غير والاخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بحذف الهمزة) أي الثانية وقوله على اللام أي لام التعريف وأما الهمزة الاولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام لانها همزة وصل أتي بها للتوصل للنطق بالساكن وفي كلام المفسر نظر لانه يقتضي ان اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الهاء لان المقرون بال يجر بالكسرة وقع فيه نقل ام لا قال ابن مالك

وجر بالفتحة ما لا ينصرف * ما لم يضف أو يك بعد أل ردف

عذاب يوم عظيم) بعظم العذاب (فعقروها) اي عقرها بعضهم برضاهم (فاصبحوا نادمين) على عقرها (فأخذهم العذاب) الموعود به فهلكوا (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان) ما (أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أي من الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) أي اقبالهن (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن انكارك علينا (لتكونن من المخرجين) من بلدتنا (قال) لوط (اني لعملكم من القالين) المبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من عذابه (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) امرأته (في الغابرين) الباقين اهلكناها (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة من جملة الاهلاك (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة) وفي قراءة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

بفتح الهاء هي غيضة شجر قرب مدين (المرسلين اذ قال لهم شعيب) لم يقل أخوهم لانه لم يكن منهم (الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله وأطيعون وما
أسالكم عليه من أجران) ما
(أجرى الا على رب العالمين
أوفوا الكيل) أتموه (ولا
تكونوا من المخسرين)
الناقصين (وزنوا بالقسطاس
المستقيم) الميزان السوى (ولا
تبخسوا الناس أشياءهم)
لا تنقصوهم من حقهم شيأ
(ولا تعثوا فى الارض مفسدين)
بالقتل وغيره من عثى بكسر
المثلثة أفسد ومفسدين حال
مؤكدة لمعنى عاملها (واتقوا
الذى خلقكم والجبلة) الخليقة
(الاولين قالوا انما أنت من
المسحرين وما أنت الا بشر
مثلنا وان) مخففة من الثقيلة
واسمها محذوف أى انه (نظنك
لمن الكاذبين فأسقط علينا
كسفا) بسكون السين وفتحها
قطعة (من السماء ان كنت
من الصادقين) فى رسالتك
(قال ربى أعلم بما تعملون)
فيجازيكم به (فكذبوه فأخذهم
عذاب يوم الظلة) هى سحابة
أظلتهم بعد حر شديد أصابهم
فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا
(انه كان عذاب يوم عظيم ان
فى ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم وانه) أى القرآن
(لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين) جبريل
(على قلبك لتكون من
المنذرين بلسان عربى
مبين) بين وفى قراءة بتشديد
نزل ونصب الروح والفاعل
الله (وانه) أى ذكر القرآن المنزل على محمد (لفى زبر) كتب (الاولين) كالتوراة
والانجيل (أولم يكن لهم) لكفار مكة (آية) على ذلك (أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فانهم يخبرون بذلك

فالمناسب ان يقول وفى قراءة بوزن ليلة ليفيد ان اللام من بنية الكلمة وحركتها اصلية وحينئذ فيجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتانيث باعتبار البقعة ان كان هذا اللفظ عربيا وللعلمية والعجمة ان كان أعجميا (قوله وفتح الهاء) فى بعض النسخ وفتح التاء وهى أوضح (قوله هى غيضة شجر) بفتح الغين وبالضاد المعجمة أى مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هى قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قوله المرسلين) المراد به شعيب وفى جمعه ما علمت وقد أرسل شعيب أيضا الى أهل مدين لكن أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الايكة أهلكوا بعذاب يوم الظلة (قوله لانه لم يكن منهم) أى بل كان من مدين قال تعالى والى مدين أخاهم شعيبا (قوله الناقصين) أى لحقوق الناس (قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى فكانوا اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ومن جملة بخسهم انهم يقصون الدراهم والدنانير (قوله وغيره) أى كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) أى ولفظهما مختلف (قوله والجبلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام أى الجماعة والامم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وبفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء (قوله وما أنت الا بشر مثلنا) أتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة فى تكذيبه لانه عند دخول الواو يكون كل من الامرين التسحير والبشرية مقصودا بالخلاف تركها فلم يقصد الا التسحير والثانى دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب ان يقول مهملة لا عمل لها لان المكسورة اذا خففت قل عملها والاولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا وهذا العذاب الذى حل بهم هو الذى طلبوه تهكما بشعيب بقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (قوله أصابهم) أى سبعة أيام ثم لجؤا الى السحابة بعد السبعة الايام (قوله وانه لتنزيل رب العالمين) شروع فى مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا كهانة ولا سحر كما يزعمون (قوله نزل به) الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كانه قال نزل فى حال ملابسته له على حد خرج زيد بثيابه (قوله على قلبك) خصه بالذكر لانه سلطان الاعضاء فكل شئ وصل للقلب وصل لسائر الاعضاء فى الحديث ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فحيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولذا ورد انه كان اذا نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن يتلوها جبريل عليه ظاهرا حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) أى ومن المبشرين (قوله بلسان) يصح أن يكون بدلا من قوله به باعادة الجار ويصح أن يكون متعلقا بالمنذرين والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربى وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية (قوله أى ذكر القرآن) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية ان القرآن نفسه ثابت فى سائر الكتب مع انه ليس كذلك والمراد بذكره نعته والاخبار عنه بأنه ينزل على محمد وانه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله وأصحابه) أى وكانوا أربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم (قوله

ويكن

ويكن بالتحتانية ونصب آية) أى على انه خبر يكن مقدم واسمها قوله أن يعلمه الخ (قوله ورفع آية) أى
على انه فاعل بتكن وقوله ان يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) أصله أعجمى بياء النسب خفف
بحذفها وبه اندفع ما يقال ان أفعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم (قوله أنفة من اتباعه) أى تكبرا
(قوله كذلك) معمول لسلكناه والضمير فى سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله
لا يؤمنون به الخ) الجملة مستأنفة أو حال من الهاء فى سلكناه وقوله حتى يروا العذاب الاليم مقدم من
تأخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرون أى
مؤخرون عن الاهلاك ولو طرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا أى لا تأخير ولا امهال (قوله أفبعذابنا
يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام تقديره أيغفلون ما ينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض وقوله
ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا أول وجاءهم يطلبه فاعلا فاعملنا الاول وأضمرنا فى الثانى
ضميرا يعود عليه أى ثم جاءهم هو أى الذى كانوا يوعدونه وجملة ما أغنى عنهم الخ فى محل نصب سدت
مسد المفعول الثانى لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) أى به وما اسم موصول (قوله استفهامية) أى
استفهام انكار كما أشار له بقوله أى لم يغن فهذا مساو فى المعنى لقول بعضهم انها نافية وهى على صنيع
المفسر مفعول مقدم لاغنى وقوله ما كانوا يمتعون فاعل باغنى وما مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية
الخ) أى انه جرت عادته سبحانه وتعالى انه لا يهلك أهل قرية الا بعد ارسال الرسول اليهم وعصيانهم
وذلك تفضل منه سبحانه والا فلو أهلكهم من أول الامر لا يعد ظالما لانه متصرف فى ملكه يحكم
لا معقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله الا لها منذرون) الجملة صفة لقرية فان قلت
لم تركت الواو هنا وذكرت فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم أجيب بان الاصل
ترك الواو واذا زيدت كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله
ذكرى) مفعول لاجله أى لاجل تذكيرهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) أى لا نفعل فعل
الظالمين بأن نهلكهم قبل الانذار بل لا نهلكهم الا بعد اتيان الرسل وامهالهم الزمن الطويل حتى
يتبين لهم الحق من الباطل (قوله رد القول المشركين) مقول القول محذوف تقديره ان الشياطين
يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله وما ينبغى لهم) أى لا يمكنهم (قوله انهم عن
السمع الخ) علة لقوله وما ينبغى لهم وما يستطيعون (قوله لكلام الملائكة) ان كان المراد كلامهم بالوحى
الذى يبلغونه للانبياء فالشياطين معزولون عنه لا يصلون اليه أصلا وان كان المراد به المغيبات التى
ستقع فى العالم فكانوا أولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بعث سلطت
عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع تنزلهم على الكهنة فبطل قول
المشركين ان القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله الها آخر) نزل ردا لقول
المشركين أعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد الهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله
رواه البخارى ومسلم) أى فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال فى انذاره يا معشر قريش اشتروا أنفسكم
لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى
عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت
رسول الله سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيأ وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صعد
على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش قد اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع
أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى
تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد
فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب الى آخر السورة (قوله واخفض جناحك)

ويكن بالتحتانية ونصب
وبالفوقانية ورفع آية (ولو نزلناه
على بعض الاعجمين) جمع
أعجم (فقرأه عليهم) أى كفار
مكة (ما كانوا به مؤمنين) أنفة
من اتباعه (كذلك) أى مثل
ادخالنا التكذيب به بقراءة
الاعجمى (سلكناه) أدخلنا
التكذيب به (فى قلوب
المجرمين) أى كفار مكة بقراءة
النبى (لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم فيأتيهم بغتة
وهم لا يشعرون فيقولوا هل
نحن منظرون) لنؤمن
فيقال لهم لا قالوا متى هذا
العذاب قال تعالى (أفبعذابنا
يستعجلون أفرأيت) أخبرنى
(ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون) من
العذاب (ما) استفهامية بمعنى
أى شئ (أغنى عنهم ما كانوا
يمتعون) فى رفع العذاب أو
تخفيفه أى لم يغن (وما أهلكنا
من قرية الا لها منذرون)
رسل تنذر أهلها (ذكرى)
عظة لهم (وما كنا ظالمين)
فى اهلاكهم بعد انذارهم
*ونزل ردا لقول المشركين
(وما تنزلت به) بالقرآن
(الشياطين وما ينبغى) يصلح
(لهم) أن ينزلوا به (وما
يستطيعون) ذلك (انهم عن
السمع) لكلام الملائكة
(لمعزولون) بالشهب (فلا
تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين) ان فعلت ذلك
الذى دعوك اليه (وأنذر
عشيرتك الاقربين) وهم بنو
هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم
جهارا رواه البخارى ومسلم
(واخفض جناحك) الن

تعالى لك (ان اتبعك من المؤمنين) الموحدين (فان عصوك) أي عشيرتك (فقل لهم) (اني بريء مما تعملون) من عبادة غير الله (وتوكل) بالواو والفاء (على العزيز الرحيم) الله أي فوض اليه جميع أمورك (الذي يراك حين تقوم) الى الصلاة (وتقلبك) في أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (في الساجدين) أي المصلين (انه هو السميع العليم هل أنبئكم) أي كفار مكة (على من تنزل الشياطين) بحذف احدى التاءين من الاصل (تنزل على كل أفاك) كذاب (أثيم) فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة (يلقون) أي الشياطين (السمع) أي ما سمعوه من الملائكة الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) يضمون الى المسموع كذبا كثيرا وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء (والشعراء يتبعهم الغاوون) في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون (ألم تر) تعلم (أنهم في كل واد) من أودية الكلام وفنونه (يهيمون) يمضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وأنهم يقولون) فعلنا (ما لا يفعلون) أي يكذبون (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الشعراء (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وانتصروا) بهجوهم الكفار (من بعد ما ظلموا) بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين

أي فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ ممن بقي على كفره ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه (قوله بالواو والفاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وأنذر وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل اني بريء (قوله على العزيز) أي الغالب على أمره القاهر لكل معارض لأمره (قوله الرحيم) أي بالمؤمن الممتثل لأمره (قوله حين تقوم) أي منفردا وقوله وتقلبك في الساجدين أي مع الجماعة (قوله الى الصلاة) لا مفهوم لها بل يراه حين تقوم للعبادة وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته وانما خص الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ولأن قرة عينه فيها كما في الحديث وجعلت قرة عيني في الصلاة والمراد برؤيته اياه زيادة تجلي الرحمة عليه والا فرؤية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك في الساجدين) في على كلام المفسر بمعنى مع وقيل ان في على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون والمعنى يراك متقلبا في أصلاب وأرحام المؤمنين من آدم الى عبد الله فأصوله جميعا مؤمنون وأورد على هذا آزر أبو ابراهيم فانه كان كافرا وأجيب بجوابين الأول انه كان عمه واسم أبيه تارخ الثاني انه كان أبا حقيقة وقولهم ان أصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله ما دام النور المحمدي في الواحد منهم فاذا انتقل لمن بعده فلا مانع من أن يعبد غير الله وحينئذ فآزر ما كفر الا بعد انتقال النور منه الى ابراهيم ولده (قوله هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم انه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق بتنزل والجملة في محل نصب سادة مسد المفعول الثاني والثالث ان جعل أنبئكم متعديا للثلاثة ومسد الثاني فقط ان جعل متعديا لاثنين (قوله وغيره) أي كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن وهو الذي يخبر عن الامور المستقبلة والعراف هو الذي يخبر عن الامور الماضية (قوله يلقون السمع) يحتمل ان الضمير عائد على الشياطين والمعنى يلقون ما سمعوه الى الكهنة ويحتمل أنه عائد على كل أفاك أثيم والمعنى يلقون ما سمعوه من الشياطين الى عوام الخلق أو المعنى يصغون الى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم (قوله وأكثرهم كاذبون) الضمير اما عائد على الشياطين أو الكهنة والأكثرية باعتبار الأقوال أي أكثر أقوالهم كاذبون فيها والأقل فيها صادق وليس المراد ان الأقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق (قوله وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله انهم عن السمع لمعزولون وحاصل ذلك ان هذه الآية اخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا غيره شيء من الشياطين (قوله والشعراء) أي الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصدا والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم (قوله من أودية الكلام وفنونه) أشار بذلك الى أن الشعراء يخوضون في كل كلام فهم مشبهون بالهائم في الأودية الذي لا يدري أين يتوجه (قوله يمضون) أي يخوضون (قوله أي يكذبون) أي لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما ولا يفعلون ما ذكر ويذمون ضدهما ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم (قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سبب نزولها ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل في الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل وقوله قد أنزل في الشعر أي أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله (قوله من الشعراء) أي ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم واعلم أن الشعر منه مذموم وهو مدح

من

قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وسيعلم الذين ظلموا) من الشعراء وغيرهم (أى منقلب) مرجع (ينقلبون) يرجعون بعد الموت

﴿سورة النمل وهى ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات (آيات القرآن)

من لا يجوز مدحه وذم من لا يجوز ذمه وعليه تخرج الآية الاولى وقوله عليه السلام لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر الثلاثة وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشده فروى انه دعا عمر و بن أبى ربيعة المخزومى فاستنشده قصيدة فأنشده اياها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى انه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينافح و يقول رسول الله ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله وروى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق النبل فارسل ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وأرسل كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسود الضارب بذنبه ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبى فأتاه حسان ثم رجع فقال والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء * هجوت محمدا برا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء * فان أبى و والدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء * ينازعن الاعنة مصعدات
على أكتافها الاسل الظماء * تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتمو عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والا فاصبر والضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * تلاقى كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له خفاء

(قوله قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) استدلال على جواز هجوهم للكفار فى مقابلة هجو الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة فى المقابلة فلا يجوز للمظلوم ان يزيد فى الذم على ما ظلم به من الهجو (قوله أى منقلب) معمول لينقلبون الذى بعده لا لما قبله لان الاستفهام له الصدر وهو مفعول مطلق أى ينقلبون أى انقلاب والجملة سادة مسد مفعولى يعلم والمعنى يرجعون مرجعا سيئا لان مصيرهم الى النار وهو أقبح مرجع وأشره

﴿سورة النمل مكية﴾

أى كلها وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص الاولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النمل الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقى منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث أو أربع الخ) أى انه اختلف فى النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول أسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لانه فرع معرفة المعنى والموضوع انه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ و آيات القرآن خبره واسم الاشارة عائد على ما فى هذه السورة

آيات منه (وكتاب مبين) مظهر الحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو (هدى) أي هاد من الضلالة (و بشرى للمؤمنين)

المصدقين به بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) يأتون بها على وجهها (ويؤتون) يعطون (الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) يعلمونها بالاستدلال وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) يتحيرون فيها لقبحها عندنا (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أشده في الدنيا القتل والأسر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وإنك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لتلقى القرآن) أي يلقى عليك بشدة (من لدن) من عند (حكيم عليم) في ذلك اذكر (إذ قال موسى لأهله) زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر (إني آنست) أبصرت من بعيد (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق وكان قد ضلها (أو آتيكم بشهاب قبس) بالإضافة للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود (لعلكم تصطلون) والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد (فلما جاءها نودي أن) أي بأن (بورك) أي بارك الله (من في النار) أي موسى (ومن حولها) أي الملائكة أو العكس وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان (وسبحان الله رب العالمين)

(قوله آيات منه) أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) أي فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع اتحادهما مصدقا ومعنى فأجاب بأنه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن (قوله هدى) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما فائدة الإتيان به وما الثمرة المترتبة عليه فأجاب بأنه هدى و بشرى للمؤمنين (قوله أي هاد من الضلالة) هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى ويحتمل أن المراد ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ما قيل في زيد عدل (قوله للمؤمنين) حذف من الأول لدلالة الثاني عليه فالقرآن هدى للمؤمنين و بشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به المشرفون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها على وجهها) أي بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمل (قوله ويؤتون الزكاة) أي الواجبة للأصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ و يوقنون خبره و بالآخرة متعلق بيوقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) أي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن شك في ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه وبين الخبر) أي بمتعلق الخبر وهو قوله بالآخرة (قوله إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) مقابل قوله هدى و بشرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم أعمالهم) أي حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم وهي في الواقع ليست حسنة وإنما ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا كما قال الشاعر

يقضى على المرء في أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

(قوله يتحيرون فيها) أي لتعارض تزيين الشيطان وأخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فأهل الكفر متحيرون في كفرهم لكونهم في ظلمات ومن المعلوم أن السائر في الظلمات متحير بخلاف السائر في النور فأهل الإيمان مصدقون مصممون على اعتقادهم وأهل الكفر متشككون متحيرون (قوله هم الأخسرون) أي أن خسرانهم في الآخرة أشد من خسرانهم في الدنيا لدوام العذاب عليهم في الآخرة (قوله بشدة) أخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) أي من عند من يضع الشيء في محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العام بعد الخاص (قوله اذكر) قدره إشارة إلى قوله إذ قال ظرف لمحذوف والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له (قوله زوجته) أي بنت شعيب أي وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) أي ليجتمع بأمه وأخيه بمصر وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) أي تاه عنها (قوله أو آتيكم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله أي شعلة نار) أي شعلة مقتبسة من النار فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) أي لأنها وقعت بعد الصاد وهي من حروف الإطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) أي من باب تعب وقوله وفتحها أي من باب رمى (قوله نودي) أي ناداه الله (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وما بعدها في تأويل مصدر وحرف الجر مقدر قبلها أي نودي ببركة من في النار الخ أي بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليه للنبوة والرسالة أي ناداه الله بأنا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم في طه حيث قال وأنا اخترتك الخ (قوله من في النار) هو نائب فاعل بورك وهذا تحية لموسى وتكرمة له (قوله أو العكس) أي فيفسر من الأولى بالملائكة والثانية بموسى وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) أي فيقال باركك الله (قوله وبالحرف) أي اللام وفي وعلى (قوله ويقدر بعد في مكان) أي على التفسير الأول فيقال أن بورك من في مكان النار وإنما احتيج لهذا التقدير لأن موسى

من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء (يا موسى إنه) أي الشأن (أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك) فألقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية خفيفة (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع قال تعالى (يا موسى لا تخف) منها (إني لا يخاف لدي) عندي (المرسلون) من حية وغيرها (إلا) لكن (من ظلم) نفسه (ثم بدل حسنا) أتاه (بعد سوء) أي تاب (فإني غفور رحيم) أقبل التوبة وأغفر له (وأدخل يدك في جيبك) طوق القميص (تخرج) خلاف لونها من الأدمة (بيضاء من غير سوء) برص لها شعاع يغشى البصر آية (في تسع آيات) مرسلا بها (إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أي مضيئة واضحة (قالوا هذا سحر مبين) بين ظاهر (وجحدوا بها) أي لم يقروا (و) قد (استيقنتها أنفسهم) أي تيقنوا أنها من عند الله (ظلما وعلوا) تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) التي علمتها من إهلاكهم (ولقد آتينا داود وسليمان) ابنه (علما) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وقالا) شكرا لله (الحمد لله الذي فضلنا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين (على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) النبوة والعلم دون باقي أولاده (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) أي فهم أصواته

إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها (قوله من جملة ما نودي) أي أتي به وإنما أتي بالتنزيه هنا لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرف وصوت أو كون الله في مكان أو جهة (قوله وألق عصاك) لم يقل هنا وأن كما في القصص لأنه هنا ذكر بعد أن فعل يحسن عطف ألق عليه وما يأتي لم يذكر فقصد عطف وأن ألق على قوله أن يا موسى إني أنا الله الخ (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) أي في سرعة الحركة فلا ينافي عظم جثتها (قوله يرجع) أي لم يرجع على عقبه (قوله لا تخف منها) أي لأنك في حضرتي ومن كان فيها فهو آمن لا يخطر بباله خوف من شيء (قوله لكن من ظلم الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدأ وقوله فإني غفور رحيم خبره (قوله أتاه) أي عمله (قوله طوق القميص) إنما لم يأمره بإدخالها في كمه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) أي لمعان وإشراق (قوله آية) أشار بذلك إلى أن في تسع آيات في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع (قوله إلى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله إنهم كانوا الخ تعليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) أي جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعارا بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها (قوله أي مضيئة) أي إضاءة معنوية في جميعها وحسية في بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) أي ما نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى (قوله واستيقنتها أنفسهم) حال من الواو في جحدوا ولذا قدر فيه قد (قوله أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة (قوله راجع إلى الجحد) أي على أنه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض (قوله من إهلاكهم) أي بالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى أعطينا وهو شروع في القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولدا أجلهم سليمان وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم ألف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) أي وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) أي تصويته (قوله وغير ذلك) أي كتسبيح الجبال (قوله وقالا الحمد لله) أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به (قوله الذي فضلنا) أي أعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والإنس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك إلا أن سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) أي الذين لم يؤتوا مثلنا وهذه مزية وهي لا تقتضي الأفضلية فداود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا فأولو العزم أفضل منهما لأن التفضيل من الله لا بالمزايا (قوله وورث سليمان داود) أي قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء (قوله وقال يا أيها الناس) أي قال سليمان لبني إسرائيل شكرا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) أي فهمنا الله أصوات الطير ولا مفهوم للطير بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه وورد أن سليمان كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط والنبي لبنى إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى أفراخي ثم أمر بك الثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال إنه يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يشبوا وآتيك فافعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه

الله قال انه يقول ليت الدنيا كانت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فخاف فقال له سليمان احذر فقال الهدهد يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده فقال له ما هذا قال ما رأيتها حتى وقعت بها يا نبي الله قال ويحك فأنت ترى الماء تحت الارض أما ترى الفخ فقال يا نبي الله اذا نزل القضاء عمي البصر وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب * وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا ما خلقوا له وصاح عنده طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح عنده صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت ولذلك يقال له الصرد الصوام وصاحت عنده طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاحت عنده خطافة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقيل ان آدم خرج من الجنة فاشتكى الى الله تعالى الوحشة فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم أنسا لهم قال ومعها أربع آيات من كتاب الله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم وهدرت حمامة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى عدد ما في السموات والارض وصاح قمري عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحدأ يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع تقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا الله يا غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم النسر اذا صاح قال يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغض آل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين الى آخرها فيقول ولا الضالين فيمد بها صوته كما يمد القارئ (قوله وأوتينا من كل شيء) أي لنا ما نحتاج اليه تحدثا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس) أي من الاماكن البعيدة وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره لئلا يتقدموا في السير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وروي عن كعب الاحبار أنه قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل [illegible] رأى [illegible] فلما جاوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك

(وأوتينا من كل شيء) تؤتاه الانبياء والملوك (ان هذا لهو الفضل المبين) البين الظاهر (وحشر) جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) في مسير له (فهم يوزعون)

فقال

قال يارب أبكانى ان هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله اليه لاتبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الى واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادى النمل (قوله يجمعون ثم يساقون) أى يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى اذا أتوا) غاية لمحذوف أى فسار وامشاة على الارض وركبانا حتى اذا أتوا الخ (قوله نملة صغار) أى وهو المعروف وقوله أو كبار أى كالجاتى أو الذئاب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاخية وقيل جرمى حكى الزمخشرى عن أبى حنيفة رضى الله عنه انه وقف على قتادة وهو يقول سلونى فأمر أبو حنيفة شخصا سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا أو أنثى فلم يجب فقيل لابى حنيفة فى ذلك فقيل كانت انثى واستدل بلحاق العلامة قال بعضهم وفيه نظر لان لحاق التاء فى قالت لايدل على انها مؤنثة لان تاءه للوحدة لا للتأنيث وحينئذ فيصح أن يقال قال نملة وقالت نملة وما استدل به أبو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقد رأت جند سليمان) أى من ثلاثة أميال بدليل قوله الآتى وقد سمعه من ثلاثة أميال (قوله يا أيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على احد عشر نوعا من البلاغة أولها النداء بيا ثانيها الفظ أى ثالثها التنبيه رابعها التسمية بقولها النمل خامسها الامر بقولها ادخلوا سادسها التنصيص بقولها مساكنكم سابعها التحذير بقولها لايحطمنكم ثامنها التخصيص بقولها سليمان تاسعها التعميم بقولها وجنوده عاشرها الاشارة بقولها وهم حادى عشرها العذر بقولها لا يشعرون وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين وهى من جملة الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة وهى براق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدهد بلقيس ونملة سليمان وعجل ابراهيم وكبش ولده وبقرة بنى اسرائيل وكلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وحوت يونس روى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من ظلمى أما علمت أنى نبى عدل فلم قلت لايحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة أما سمعت قولى وهم لايشعرون مع أنى لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة الى قومها فقالت هل عندكم من شئ نهديه الى نبى الله قالوا وما قدر ما نهدى له والله ما عندنا الا نبقة واحدة فقالت حسنة ائتونى بها فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها فأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والانبياء على البساط حتى وقعت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه وأنشأت تقول

ألم ترنا نهدى الى الله ماله * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يهدى للجليل بقدره * لاقصر عنه البحر يوما وساحله

ولكننا نهدى الى من نحبه * فيرضى بها عنا ويشكر فاعله

وماذاك الامن كريم فعاله * والا فما فى ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله والنمل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم الشئ من بعيد ويدخر قوته ومن شدة ادراكه انه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الانبات ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق لانها اذا فلقت فلقتين تنبت ويأكل فى عامه نصف ماجمع ويستبقى باقيه عدة (قوله لايحطمنكم) فيه وجهان أحدهما أنه نهى والثانى انه جواب الامر (قوله وهم لايشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور وتبسم وكان سبب ضحكه شيئين أحدهما مادل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لايشعرون الثانى سروره بما آتاه الله مالم يؤت أحدا من ادراك سمعه ما قالته النملة (قوله ابتداء الخ) أى فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت والضحك انفتاحه مع صوت خفيف والقهقهة انفتاحه مع

يجمعون ثم يساقون (حتى اذا أتوا على وادى النمل) هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار (قالت نملة) ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم) يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لايشعرون) نزل النمل منزلة العقلاء فى الخطاب بخطابهم (فتبسم) سليمان ابتداء (ضاحكا) انتهاء (من قولها) وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته اليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة

صوت قوى وهى لاتكون من الانبياء (قوله فى هذا السير) أى فى خصوص سيره على وادى النمل وكان هو وجنوده فى غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح (قوله وعلى والدى) انما ذكر نعمة والديه تكثيرا للنعمة ليزداد فى الشكر عليها (قوله فى عبادك الصالحين) على حذف مضاف أى فى جملة عبادك أوفى بمعنى مع والمراد الكاملون فى الصلاح لان الصلاح مقول بالتشكيك فمامن مقام الاوفوقه أعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع فى القصة الثالثة والمعنى نظر فى الطير فلم ير الهدهد وكان سبب سؤاله عن الهدهد انه كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر فى الارض ثم تجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء فى ساعة يسيرة قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له ان الصبى يضع له الفخ ويحثو عليه التراب فيجىء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال ابن عباس اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر قيل ولم يكن له فى مسيره الاهدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) أى بان تسلخ وجه الارض عن الماء كما تسلخ الشاة (قوله مالى لا أرى الهدهد) استفهام استخبار (قوله أم كان من الغائبين) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر أوغيره فقال مالى لا أرى الهدهد ثم احتاط فظهر له انه غائب فاضرب عن ذلك وهو اضراب انتقالى (قوله لأعذبنه عذابا شديدا) الحلف على أحد الاولين بتقدير عدم الثالث فاو بين الكلمتين الاولين للتخيير وفى الثالث للترديد بينه وبينهما فهى فى الاخير بمعنى الا (قوله بنتف ريشه) هذا أحد أقوال فى معنى التعذيب وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه وقيل هو ان يطلى بالقطران ويوضع فى الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة على غيبته والسبب فى غيبة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم أى من غير صلاة بالكعبة كراهة فى الاصنام ولم يكن مأمورا بتكسيرها فاندفع التعارض بين ماهنا وما تقدم وكان ينحر فى كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضره من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسافة شهر القريب والبعيد عنده فى الحق سواء لاتأخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يانبى الله قال يدين الله الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبى الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال عفير أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الماء قال الهدهد اليمانى ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك

فى هذا السير (وقال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت) بها (على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) الانبياء والاولياء (وتفقد الطير) ليرى الهدهد الذى يرى الماء تحت الارض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان اليه للصلاة فلم يره (فقال مالى لا أرى الهدهد) أى أعرض لى مامنعنى من رؤيته (أم كان من الغائبين) فلم أره لغيبته فلما تحققها قال (لأعذبنه عذابا) تعذيبا (شديدا) بنتف ريشه وذنبه ورميه فى الشمس فلا يمتنع من الهوام (أو لأذبحنه) بقطع حلقومه (أو ليأتينى) بنون مشددة مكسورة أومفتوحة يليها نون مكسورة (بسلطان مبين) ببرهان بين ظاهر على عذره (فمكث)

ما أدرى أين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا الآية ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له على بالهدهد الساعة فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال بحق الذى قواك وأقدرك على الا ما رحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك فسارا متوجهين نحو سليمان عليه الصلاة والسلام فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبراه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله فقالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت اذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع الا بعد العصر فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به الى آخره (قوله فمكث) أى الهدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والاول من باب قرب والثانى من باب نصر (قوله أى يسيرا من الزمان) أى وهو من الزوال الى العصر (قوله فعفا عنه) أى من أول الامر قبل أن يذكر العذر (قوله وسأله عما لقى فى غيبته) قدره اشارة الى أن قوله فقال أحطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك وفى هذا تنبيه على ان الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا الى أنه اسم رجل وتركه نظرا الى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها (قوله وأوتيت من كل شئ) عطف على قوله تملكهم لانه بمعنى ملكتهم قال ابن عباس كان يخدمها ستمائة امرأة (قوله يحتاج اليه الملوك) أشار بذلك الى أن قوله من كل شئ عام أريد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) أى تجلس عليه ووصفه بالعظم بالنسبة الى ملوك الدنيا وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض وما بينهما فحصل الفرق (قوله طوله ثمانون ذراعا الخ) وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه فى الهواء كذلك (قوله عليه سبعة أبواب) صوابه أبيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) أى فهم مجوس (قوله فهم لا يهتدون أن لا يسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات (قوله أى أن يسجدوا له) أشار بذلك الى أنه على هذه القراءة تكون ان ناصبة ولا زائدة ويسجدوا فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل وعليها فلا يجوز الوقف على يهتدون لانه من تتمته كأنه قال فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا الخ وقرأ الكسائى بتخفيف الا وتوجيهها ان يقال ان ألا للافتتاح ويا حرف تنبيه واسجدوا فعل أمر لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا ووصلت الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا وهناك وجه آخر فى هذه القراءة وهو ان يا حرف نداء والمنادى محذوف والتقدير ألا يا هؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدى الى حذف كثير من غير ما يدل على

بضم الكاف وفتحها (غير بعيد) أى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وارخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقى فى غيبته (فقال أحطت بما لم تحط به) أى اطلعت على ما لم تطلع عليه (وجئتك من سبأ) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بنبا) خبر (يقين انى وجدت امرأة تملكهم) أى هى ملكة لهم اسمها بلقيس (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة (ولها عرش) سرير (عظيم) طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) طريق الحق (فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله) أى أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والجملة فى محل مفعول يهتدون باسقاط الى (الذى يخرج الخبء) مصدر بمعنى المخبوء

من المطر والنبات (فى السموات والارض ويعلم ما يخفون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بألسنتهم (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قال) سليمان للهدهد (سننظر أصدقت) فيما أخبرتنا به (أم كنت من الكاذبين) أى من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وائتونى مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) أى بلقيس وقومها (ثم تول) انصرف (عنهم) وقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه فى حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه ثم (قالت) لاشراف قومها (يا أيها الملأ انى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (ألقى الى كتاب كريم) مختوم (انه من سليمان وانه) أى مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا أى أشيروا على (فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أى أصحاب شدة فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) نطعك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) بالتخريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) أى مرسلوا الكتاب (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) من قبول الهدية أو ردها ان كان ملكا قبلها

المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمطر هو المخبوء فى السموات والنبات هو المخبوء فى الارض (قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) اعلم ان ما ذكره الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا انما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التى اقتبسها من سليمان وليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وانما ذكر الهدهد ذلك ليغرى سليمان على قتالهم وليبين انه لم يكن عنده ميل لهم بل انما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) اى فضل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) أى لانه يفيد انه ان كان كاذبا فى هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم والكذب له عادة وليست فلتة يعفى عنه فيها لان الكذب على الانبياء أمره عظيم (قوله من عبد الله) خص هذا الوصف لانه أشرف الاوصاف وقدم اسمه على البسملة لانها كانت فى ذلك الوقت كافرة فخاف ان تستخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) أى أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال (قوله فلا تعلوا على) أى لا تتكبروا (قوله مسلمين) أى منقادين لدين الله وفى هذا الخطاب اشعار بأنه رسول من عند الله يدعوهم الى دين الله وليس مطلق سلطان والا لقال وأتونى طائعين (قوله ثم طبعه بالمسك) أى جعل عليه قطعة مسك كالشمع (قوله فالقه اليهم) اما بسكون الهاء أو كسرها من غير اشباع أو باشباع ثلاث قراآت سبعيات (قوله ماذا يرجعون) ان جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذى ويرجعون صلته والعائد محذوف ويكون مامفعول يرجعون والمعنى انتظر الذى يرجعونه وان جعل بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها والعائد محذوف والتقدير أى شئ الذى يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره أى شئ يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأتاها وحولها جندها الخ) وقيل أتاها فوجدها نائمة وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فألقى الكتاب على نحرها وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها (قوله فلما رأته ارتعدت) أى حين وجدت الكتاب مختوما ارتعدت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت أن الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها (قوله بقلبها واوا مكسورة) المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء أو قلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله انى ألقى الى الخ) لم تذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على ما فيه الفائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها (قوله كريم) أى مكرم معظم (قوله مختوم) أى لان الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل اليه لما ورد من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به (قوله انه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف سموا بذلك لانهم يملؤن العين بهابتهم وكانوا ثلثمائة واثنى عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الاتباع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) أى ان عادتى معكم لا أفعل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولو قوة الخ) استفيد من ذلك انهم اشاروا عليها بالقتال أولا ثم ردوا الامر اليها (قوله نطعك) مجزوم فى جواب الامر (قوله قالت ان الملوك الخ) أى فلم ترض بالحرب الذى أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبينت سببه (قوله اذا دخلوا قرية) أى عنوة (قوله بم يرجع المرسلون) أى منتظرة رجوع الرسل وعودهم الى (قوله ان كان ملكا قبلها) أى

وقاتلناه (قوله أو نبيا لم يقبلها) أى واتبعناه لانها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الامور (قوله ألفا بالسوية) أى خمسمائة ذكر وخمسمائة أنثى (قوله فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أى كما يضرب الطين (قوله وان تبسط من موضعه) اى توضع فى الارض كالبلاط (قوله الى تسعة فراسخ) أى وهو مسيرة يوم وثمن يوم (قوله وان يبنوا) أى الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) أى وقصد بذلك اظهار البأس والشدة * وحاصل تفصيل تلك القصة ان بلقيس عمدت الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى أيديهم أساور الذهب وفى أعناقهم اطواق الذهب وفى آذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود وعمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وان يفرش فيه لبن الذهب والفضة وان يخلوا قدر تلك اللبنات التى معهم وان يعملوا حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبى الله رأينا فى بحر كذا دوابا مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال على بها فأتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن على بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبنات فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما نظروا الى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملقى حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحقة فأتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة فى فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقى فى الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقى فى الفواكه فقال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن

أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدم ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب فأسرع الهدهد الى سليمان يخبره الخبر فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه الى تسعة فراسخ ميدانا وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فلما جاء) الرسول بالهدية ومعه أتباعه (سليمان

قال أتمدونني بمال فما آتاني الله) من النبوة والملك (خير مما آتاكم) من الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لفخركم بزخارف الدنيا
(ارجع اليهم) بما أتيت به من الهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) من بلدهم سبأ سميت باسم قبيلتهم (أذلة
وهم صاغرون) أي ان لم يأتوني مسلمين فلما رجع اليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها
وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الابواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت الى المسير الى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر الف قيل مع كل قيل ألوف كثيرة الى ان قربت منه على فرسخ شعر بها (قال يا أيها الملأ أيكم) في الهمزتين ما تقدم (يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده (قال عفريت من الجن) هو القوي الشديد (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة الى نصف النهار (واني عليه لقوي) أي على حمله (أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعا به أجاب (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) اذا نظرت به الى شيء ما قال له انظر الى السماء فنظر اليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففي نظره الى السماء دعا آصف بالاسم الاعظم أن يأتي الله به فحصل
بأن جرى تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان (فلما رآه مستقرا) أي ساكنا (عنده قال هذا) أي الاتيان لي به الى
(من فضل ربي ليبلوني) ليختبرني (أأشكر) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه (أم
أكفر) النعمة (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أي لاجلها لان ثواب شكره له (ومن كفر) النعمة (فان ربي غني) عن شكره (كريم)
بالافضال على من يكفرها (قال نكروا لها عرشها) أي غيروه

أمرهم ان يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه و يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله فلما جاء سليمان الخ (قوله قال أتمدونني الخ) استفهام انكار وتوبيخ أي لا ينبغي لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للاولى (قوله أي ان لم يأتوني مسلمين) أفاد بذلك ان يمين سليمان معلق على عدم اتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه أبيات وتقدم انه داخل سبعة أبيات فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحتين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف أي ملك سمي بذلك لانه ينفذ ما يقول (قوله الى أن قربت منه) أي من سليمان (قوله شعر بها) أي علم وذلك انه خرج يوما فجلس على سريره فسمع وهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملأ) الخطاب لكل من عنده من الجن والانس وغيرهما (قوله ما تقدم) أي من التحقيق أو قلب الثانية واوا (قوله أيكم يأتيني بعرشها) أي وكان سليمان اذ ذاك في بيت المقدس وعرشها في سبا وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فلي أخذه قبل ذلك) أي قبل اتيانهم مسلمين لانهم حربيون حينئذ (قوله لا بعده) أي لان اسلامهم يعصم مالهم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الامر فقصده ان يبهر عقلها بالامور المستغربة لتزيد ايمانا (قوله عفريت) بكسر العين وقرئ شذوذا بفتحها (قوله وهو القوي) أي وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله أنا آتيك به) يحتمل انه فعل مضارع أصله أأتيك بهمزتين أبدلت الثانية ألفا ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أي مجلسك (قوله أسرع من ذلك) أي لان المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هي والحال ان بين قدومها مسيرة ساعة ونصف ومجلسه من الغداة الى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أي وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر وكان وزير سليمان وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل وقيل الخضر وقيل ملك آخر وقيل سليمان نفسه وعلى هذا فالخطاب في قوله أنا آتيك للعفريت وما مشى عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقا) أي مبالغا في الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرفك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أي آصف وقوله له أي لسليمان (قوله دعا بالاسم الاعظم) قيل كان الدعاء الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها (قوله بأن جرى تحت الارض) أي بحمل الملائكة له لامر الله لهم بذلك (قوله أي ساكنا) أي غير متحرك كأنه وضع من قبل بزمن متسع وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول والا كان واجب الحذف لان الظرف يكون مستقرا وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربي) أي احسانه الي (قوله وادخال ألف الخ) أي فالقراآت أربع سبعيات وبقيت خامسة وهي ادخال ألف بين المحققتين (قوله لان ثواب شكره له) أي لان الشكر سبب في زيادة النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله بالافضال على من يكفرها) أي فلا يقطع نعمه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف في المعنى على قوله قال هذا من فضل ربي وكلاهما مرتب على قوله فلما رآه مستقرا عنده (قوله

الى حالة تنكره اذا رأته) أى فالتنكير ابهام الشئ بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الامر (قوله قصد بذلك الخ) أشار بذلك الى حكمة التغيير (قوله لما قيل له ان فيه شيأ) أى نقصا والقائل له ماذكر الجن وقالوا له أيضا ان رجليها كرجلي حمار وقالوا له أيضا ان في ساقيها شعرا لانهم ظنوا انه يتزوجها فكرهوا ذلك لئلا تفشى له اسرار الجن ولئلا يأتى له منها أولاد فحافوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أو مأموره (قوله أهكذا عرشك) الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم اشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر وفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه أن يقال أكهذا عرشك (قوله أى أمثل هذا) أشار بذلك الى أن الكاف اسم بمعنى مثل وقولهم لا يفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بشئ من حروف الجر الا بالكاف معناه ولو صورة وان كانت في المعنى اسما بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) أى فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والمشاكلة الاتيان بمثل الكلام السابق وان لم يتحد الكلامان كقوله تعالى ومكروا ومكر الله (قوله قال سليمان) أى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) أى العلم بالله وصفاته من قبل ان تؤتى هى العلم بما ذكر وكنا مسلمين من قبل ان تسلم فنحن أسبق منها علما واسلاما (قوله وصدها) أى منعها وقوله ما كانت فاعل صد والمعنى منعها عن عبادة الله الذى كانت تعبده من دون الله وهو الشمس (قوله انها كانت من قوم كافرين) بكسر ان في قراءة العامة استئناف وقرئ شذوذا بفتحها على اسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها أيضا) أى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو سطح) وقيل الصرح القصر أو صحن الدار (قوله من زجاج أبيض) أى وهو المسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) أى امر الشياطين به فحفروا حفيرة كالصهريج واجروا فيها الماء ووضعوا فيها سمكا وضفدعا وغيرهما من حيوانات البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن انه ماء مكشوف يخاض فيه مع انه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رأته) أى أبصرته (قوله وكشفت عن ساقيها) أى على عادة من أراد خوض الماء فقيل لما رأت اللجة فزعت وظنت انه قصد بها الغرق فلما لم يكن لها بد من امتثال الامر سلمت وكشفت عن ساقيها (قوله لتخوضه) أى لاجل ان تصل الى سليمان (قوله ورأى ساقيها الخ) أى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله ممرد) صفة أولى لصرح وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله مملس) ومنه الامرد لملاسة وجهه أى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) أى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التاء في أسلمت كما أشار لذلك بقوله كائنة والمعنى أسلمت حالة كونى مصاحبة له فى الدين ولا يصح أن يكون متعلقا باسلمت لانه يوهم انها اتحدت معه فى الاسلام فى زمن واحد (قوله فعملت له الشياطين النورة) أى بعد ان سأل الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسى فقالت لم يمس الحديد جسمى فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندرى فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) أى وولدت منه ولدا وسمته داود ومات فى حياة أبيه وبقيت معه الى أن مات وهذا أحد قولين وقيل انها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلى يا نبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله قالت ان كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا (قوله وأقرها على ملكها) أى وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة

الى حالة تنكره اذا رأته (ننظر أتهتدى) الى معرفته (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفة ما يغير عليهم قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له ان فيه شيأ فغيروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك) أى أمثل هذا عرشك (قالت كأنه هو) أى فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها اذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها) عن عبادة الله (ما كانت تعبد من دون الله) أى غيره (انها كانت من قوم كافرين قيل لها) أيضا (ادخلى الصرح) هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له ان ساقيها وقدميها كقدمى الحمار (فلما رأته حسبته لجة) من الماء (وكشفت عن ساقيها) لتخوضه وكان سليمان على سريره فى صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حسانا (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس (من قوارير) أى زجاج ودعاها الى الاسلام (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة غيرك (وأسلمت) كائنة (مع سليمان لله رب العالمين) وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة

حصون لم يرالناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقيم عندها ثلاثة أيام) أى وكان يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (قوله روى انه ملك) أى أعطى الملك (قوله فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أى فما سواه يفنى وهو الباقى بلا زوال قال العارف

ما آدم فى الكون وما ابليس * ما ملك سليمان وما بلقيس

الكل اشارة وأنت المعنى * يا من هو للقلوب مغناطيس

فالاكوان جميعها اشارات دالة على المقصود بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد أرسلنا الى ثمود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وتسمى عادا الثانية وأما عاد الاولى فهم قوم هود (قوله أخاهم صالحا) أى فى النسب لانه من أولاد ثمود الذى هو أبو القبيلة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله أى بأن اعبدوا الله) أشار بذلك الى ان أن مصدرية وحرف الجر محذوف ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحدوه) أى اعتقدوا انه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى شئ منها (قوله فاذاهم) اذا الفجائية والمعنى ففاجأ ارساله تفرقهم واختصامهم فآمن فريق وكفر فريق وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الاعراف فى قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه (قوله من حين ارساله) أى وبعد ظهور المعجزات (قوله لم تستعجلون بالسيئة) أى لاى شئ تستعجلون العذاب وتطلبونه لانفسكم ولا تطلبون الرحمة ويصح أن يراد بالسيئة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة والمعنى لم تؤخرون الايمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب (قوله هلا) أشار بذلك الى أن لولا تحضيضية (قوله من الشرك) أى بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لانه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده (قوله أدغمت التاء فى الطاء) أى بعد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أى التوصل للنطق بالساكن (قوله أى تشاءمنا) أى أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث قحطوا المطر) أى حبس عنهم (قوله قال طائركم عند الله) أى جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالتشؤم وصفكم لا وصفى وسمى طائرا لانه يأتى الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر (قوله تفتنون) أتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلا نحن قوم نقرأ أو يقرؤن (قوله تختبرون بالخير والشر) أى لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم (قوله مدينة ثمود) أى وهى الحجر وتقدم انه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط ما دون العشرة من الرجال والنفر ما دون السبعة الى الثلاثة (قوله أى رجال) دفع بذلك ما يقال ان تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفرد فأجاب بأنه وان كان مفردا فى اللفظ فهو جمع فى المعنى وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولودا يولد فى شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه فعاش ذلك الولد ونبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة حزنوا على قتل أولادهم فسول لهم الشيطان أن يجتمعوا فى غار فاذا جاء الليل خرجوا الى صالح وقتلوه وتقدم انهم اجتمعوا فى الغار فأرادوا أن يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف وقيل انهم جاؤا ليلا لقتله شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالاحجار كما أفاده المفسر (قوله أى احلفوا) أشار بذلك الى أن قوله تقاسموا فعل أمر أى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) أى مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب أن يقول وبالتاء لان ضم التاء لا يكون الا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى من آمن به) وسيأتى انهم أربعة آلاف (قوله بالنون) أى مع فتح اللام وقوله والتاء أى فقراءة النون هنا مع قراءة النون فى الذى قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله أى ولى دمه) أى دم من قتل من صالح ومن

ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان روى انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) من القبيلة (صالحا أن) أى بأن (اعبدوا الله) وحدوه (فاذاهم فريقان يختصمون) فى الدين فريق مؤمنون من حين ارساله اليهم وفريق كافرون (قال) للمكذبين (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أى بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم ان كان ما أتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب (لولا) هلا (تستغفرون الله) من الشرك (لعلكم ترحمون) فلا تعذبون (قالوا اطيرنا) أصله تطيرنا أدغمت التاء فى الطاء واجتلبت همزة الوصل أى تشاءمنا (بك وبمن معك) أى المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قال طائركم) شؤمكم (عند الله) أتاكم به (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بالخير والشر (وكان فى المدينة) مدينة ثمود (تسعة رهط) أى رجال (يفسدون فى الارض) بالمعاصى منها قرضهم الدنانير والدراهم (ولا يصلحون) بالطاعة (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (تقاسموا) أى احلفوا (بالله لنبيتنه) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (وأهله) أى من آمن به أى نقتلهم ليلا (ثم لنقولن) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لوليه) أى ولى دمه (ما شهدنا) حضرنا

(مهلك أهله) بضم الميم وفتحها أي اهلاكهم أو هلاكهم فلا ندري من قتلهم (وانا لصادقون

ومكروا) في ذلك (مكرا ومكرنا مكرا) أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) أهلكناهم (وقومهم أجمعين) بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم (فتلك بيوتهم خاوية) أي خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة (بما ظلموا) بظلمهم أي كفرهم (ان في ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح وهم أربعة آلاف (وكانوا يتقون) الشرك (ولوطا) منصوب باذكر مقدرا قبله ويبدل منه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أي اللواط (وأنتم تبصرون) أي يبصر بعضكم بعضا انهماكا في المعصية (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) عاقبة فعلكم (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أهله (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها) جعلناها بتقديرنا (من الغابرين) الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هو حجارة السجيل أهلكتهم (فساء) بئس (مطر المنذرين) بالعذاب مطرهم (قل) يا محمد (الحمد لله) على هلاك كفار الامم الخالية (وسلام على عباده الذين اصطفى) هم (آلله) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه

معه (قوله مهلك أهله) أي أهل ولي الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به (قوله بضم الميم) أي مع فتح اللام وقوله وفتحها أي مع فتح اللام وكسرها فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله أي اهلاكهم) راجع للضم لانه من الرباعي (قوله وهلاكهم) راجع للفتح بوجهيه لانه من الثلاثي (قوله وانا لصادقون) أي ونحلف انا لصادقون أو المعنى والحال انا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) أي أرادوا اخفاء ما بيتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكرنا مكرا) أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

والا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لانه الحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) أي تأمل وتفكر (قوله انا دمرناهم) بكسر ان على الاستئناف وفتحها على انه خبر لمحذوف أي وهي تدميرنا اياهم والقراءتان سبعيتان (قوله أو برمي الملائكة) أو للتنويع أي ان عذابهم نوعان موزعان عليهم رمي الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح وأهله والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة ولو قال المفسر أهلكناهم برمي الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله فتلك بيوتهم) مبتدأ وخبر أي ديارهم (قوله بظلمهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية والباء سببية (قوله ان في ذلك) أي المذكور من اهلاكهم (قوله وأنجينا الذين آمنوا) أي من الهلاك فخرج صالح بهم الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلدة بذلك ثم بنى الاربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء (قوله وكانوا يتقون) أي يدومون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا (قوله ويبدل منه) أي بدل اشتمال والمراد ذكر القول لا ذكر وقته (قوله لقومه) أي من حيث ارساله اليهم واقامته عندهم والا فهو في الاصل من أرض بابل فلما قدم مع عمه ابراهيم الى الشام نزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بسذوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك الى أن المراد الابصار بالعين وقيل المراد ابصار القلب ويكون المعنى وتعلمون انها قبيحة (قوله وادخال ألف بينهما) أي وتركه فالقرا آت أربع سبعيات (قوله لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أشار بذلك الى أنهم أساؤا من الطرفين في الفعل والترك وقوله شهوة مفعول لاجله (قوله عاقبة فعلكم) أي وهي العذاب الذي نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم وقوله الا ان قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة (قوله من قريتكم) الاضافة للجنس لانه تقدم ان قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم (قوله يتطهرون) أي يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فأنجيناه وأهله) أي نخرج لوط بأهله من أرضهم وطوى الله له الارض حتى نجا ووصل الى ابراهيم (قوله الباقين في العذاب) أي الذي حل بهم وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) أي على من كان في ذلك الوقت خارجا عن المدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السجيل) أي الطين المحرق (قوله مطرهم) هو المخصوص بالذم (قوله قل الحمد لله) لما تمم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرة أهل الحق والايمان وقطع دابر أهل الكفر والطغيان وتمهيدا لما يذكر من أدلة التوحيد التي قامها ردا على المشركين والسر في ذلك انصات العاقل واصغاؤه وليدخل في زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) أي أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الانبياء والرسل وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو هذه الامة وقيل كل مؤمن من مبدا الدنيا الى منتهاها ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته في الدنيا ولجنته ونعيمه في الآخرة فالاصل اصطفاء الله للعبد فلولا اصطفاؤه له ما وفق العبد لخدمة ربه ومن هذا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) ظاهر المفسر ان القرا آت أربع

(خير) لمن يعبده (أم ما يشركون) بالتاء والياء أى أهل مكة به أى الآلهة خير لعابديها (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا) فيه التفات من الغيبة الى التكلم (به حدائق) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذات بهجة) حسن (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) لعدم قدرتكم عليه (أإله) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة (مع الله) أعانه على ذلك أى ليس معه إله (بل هم قوم يعدلون) يشركون بالله غيره (أمن جعل الارض قرارا) لا تميد بأهلها (وجعل خلالها) فيما بينها (أنهارا وجعل لها رواسي) جبالا أثبت بها الارض (وجعل بين البحرين حاجزا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيده (أمن يجيب المضطر) المكروب الذى مسه الضر (اذا دعاه ويكشف السوء) عنه وعن غيره (ويجعلكم خلفاء الارض) الاضافة بمعنى في أى يخلف كل قرن القرن الذى قبله (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتقليل القليل (أمن يهديكم) يرشدكم الى مقاصدكم (في ظلمات البر والبحر) بالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) به غيره (أمن يبدأ الخلق) في الارحام من نطفة (ثم يعيده) بعد الموت وان لم يعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أإله مع الله) أى لا يفعل شيأ مما ذكر الا الله ولا إله معه (قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) حجتكم (ان كنتم صادقين) ان معى إلها فعل شيأ مما ذكر

صادقين

وهو سبق قلم والصواب ان هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية مقصورة وابدالها ألفا ممدودة مدا لازما وتقدم ان هذين الوجهين يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا اثنان في الانعام آلذكرين في الموضعين وثلاثة في يونس آلله أذن لكم آلآن في الموضعين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو اما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار أو صفة لا تفضيل فيها والكلام على حذف مضاف والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده أم الاصنام خير لمن عبدها وهو تهكم بالمشركين لانهم اختاروا عبادة الاصنام على عبادة الله والاختيار للشئ لا يكون الا لخير ومنفعة ولا خير في عبادتها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم ما يشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المعادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهى منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الانكارى (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أهل مكة) تفسير للواو في يشركون (قوله أى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خلق السموات والارض) القراءة السبعية بادغام احدى الميمين في الاخرى وأم منقطعة ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم ما يشركون وقرئ شذوذا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام (قوله فيه التفات) أى وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل اشارة الى أن الله تعالى هو المنبت للاشجار والزرع لا غيره وخلقها مختلفة الالوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) أى المحوط عليه حائط لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل (قوله ما كان لكم) أى لا ينبغي لانكم عاجزون عن اخراج النبات وان كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهرا (قوله أن تنبتوا شجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله وادخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله في مواضعه السبعة) أى مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ أإله خمس مرات وأئذا وأئنا (قوله أى ليس معه إله) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) اضراب انتقالى من تبكيتهم الى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الارض قرارا) أى مستقرا للانسان والدواب لا تتحرك بما على ظهرها (قوله فيما بينها) أشار بذلك الى أن قوله خلالها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق ويصح أن تكون بمعنى صير وخلالها مفعول ثان (قوله حاجزا) أى معنويا غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى وكفرهم تقليد والاول يعلم الادلة وكفرهم عناد (قوله المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قلبت طاء لوقوعها اثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله اذا دعاه) أشار بذلك الى أن اجابة المضطر متوقفة على دعائه فلا ينبغي لمن كان مضطرا ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما أراد سبحانه وتعالى لان الله أرأف على العبد من نفسه فالعاقل اذا دعا يسلم في الاجابة لمراد الله (قوله الاضافة بمعنى في) أى فالمعنى يجعلكم خلفاء في الارض (قوله وفيه ادغام التاء في الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة لتقليل القليل) أى فالمراد تأكيد القلة (قوله وبعلامات الارض) أى كالجبال (قوله أى قدام المطر) أى أمامه (قوله وان لم يعترفوا بالاعادة) أشار بذلك الى سؤال وارد حاصله كيف يقال لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده مع انهم منكرون للاعادة وأشار الى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها وايضاحه أن يقال انهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في انكار الاعادة بل ذلك محض جحود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم اثر قيام الادلة على انه لا يستحق العبادة غيره (قوله ان معى إلها) الاوضح أن يقول ان مع الله إلها الا انه مأمور بهذا القول وهو لا يقول لهم ان كنتم

*وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قل لا يعلم من فى السموات والارض) من الملائكة والناس (الغيب) أى ما غاب عنهم (الا) لكن (الله) يعلمه (وما يشعرون) أى كفار مكة كغيرهم (أيان) وقت (يبعثون بل) بمعنى هل (أدرك) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى ادارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل أى بلغ ولحق أو تتابع وتلاحق (علمهم فى الآخرة) أى بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك (بل هم فى شك منها بل هم منها عمون) من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والاصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الميم بعد حذف كسرتها (وقال الذين كفروا) أيضا فى انكار البعث (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من القبور (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان) ما (هذا الا أساطير الاولين) جمع اسطورة بالضم أى ما سطر من الكذب (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب (ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصروك عليهم (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل عسى أن يكون ردف) قرب (لكم بعض الذى تستعجلون) فحصل لهم القتل ببدر وباقى العذاب يأتيهم بعد الموت (وان ربك لذو فضل على الناس) ومنه تأخير العذاب عن الكفار (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لانكارهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) تخفيه (وما يعلنون) بألسنتهم (وما من غائبة فى السماء والارض) الهاء للمبالغة أى شئ فى غاية الخفاء على الناس (الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) الموجودين فى زمان نبينا (أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا (وانه لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) من العذاب (ان ربك يقضى بينهم) كغيرهم يوم القيامة (بحكمه)

صادقين ان معى الها (قوله وسألوه) أى المشركون (قوله من فى السموات والارض) من فاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به والا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يعلمه والتقدير لا يعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والارض كالانس الغيب لكن الله هو الذى يعلمه (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والارض على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله لكن الله الخ) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع ولا يصح جعله متصلا لايهامه ان الله من جملة من فى السموات والارض وهو محال (قوله وقت يبعثون) تفسير لأيان والمناسب تفسيرها بمتى لان ايان ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت (قوله بمعنى هل) أى التى للاستفهام الانكارى (قوله أى بلغ ولحق) راجع للقراءة الاولى وقوله أو تتابع راجع للثانية والمعنى هل بلغ علمهم بالآخرة أو تتابع علمهم الآخرة حتى سألوا عن وقت مجىء الساعة ليس عندهم علم بذلك بل ولا اثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة فسؤالهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) أى الآخرة (قوله بل هم منها عمون) أى عندهم جزم بعدمها لعدم ادراكهم دلائلها (قوله بعد حذف كسرتها) أى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة اثر ضمة (قوله أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أئذا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص ونا اسمها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف على اسم كان وسوغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول أول وهذا مفعول ثان ونحن تأكيد لنا وآباؤنا عطف على المفعول الاول وسوغه الفصل بالمفعول الثانى والضمير المنفصل والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الارض) أمر تهديد لهم اشارة الى انهم ان لم يرجعوا انزل بهم ما نزل بمن قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم (قوله بانكارهم) أى المجرمين (قوله بالعذاب) أى الدنيوى لانه هو المشاهد آثاره (قوله ولا تحزن عليهم) أى لا تغتم على عدم ايمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم فى المستقبل فالحزن غم لما مضى والخوف غم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بثبوت النون هنا وهو الاصل وقد حذفت من هذا المضارع فى القرآن فى عشرين موضعا تسعة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون وهو حذف ما التزم

(قوله فى ضيق) بفتح الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى حرج (قوله ان كنتم صادقين) خطاب للنبى ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله القتل ببدر) أى وغيره وهذا هو العذاب المعجل (قوله وباقى العذاب الخ) أى وهو العذاب المؤجل (قوله ومنه) أى الفضل (قوله ليعلم ما تكن صدورهم) أى فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليه (قوله الهاء للمبالغة) أى كراوية وعلامة وسماها هاء باعتبار الوقف ولو قال التاء لكان أسهل وقيل انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية ونظيرها الذبيحة والنطيحة فى انها اسماء غير صفات (قوله ومكنون علمه) الواو بمعنى أو لانه تفسير ثان فتسميته كتابا على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه بالكتاب كالسجل الذى يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شئ منها (قوله أكثر الذى هم فيه يختلفون)

أي عدله (وهو العزيز) الغالب (العليم) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه (فتوكل على الله) ثق به (انك على الحق المبين) أي الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمى فقال (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان) ما (تسمع) سماع افهام وقبول (الا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون بتوحيد الله (واذا وقع القول عليهم) حق العذاب ان ينزل بهم في جملة الكفار (أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (ان الناس) أي كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم (كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب وبخروجها ينقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (و) اذكر (يوم نحشر

اي فقد نص بالتصريح على الاكثر فلا ينافي قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ ومن جملته اختلافهم في شأن المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا (قوله أي عدله) دفع بذلك ما يقال ان القضاء مرادف للحكم فيحصل المعنى يقضي بقضائه أو يحكم بحكمه فأجاب بأن المراد بالحكم العدل (قوله فلا يمكن احدا مخالفته الخ) تفريع على العزيز فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله فتوكل على الله الخ) تفريع على كونه عزيزا عليما اي فاذا ثبتت له هذه الاوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الامور اليه والثقة به (قوله انك على الحق المبين) علة للتوكل وكذا قوله انك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) أي فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) اي معرضين (قوله بهادى العمى) ضمنه معنى الصرف فعداه بعن (قوله الا من يؤمن بآياتنا) اي من سبق في علم الله انه يكون مؤمنا ومن هنا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله واذا وقع القول) اي قرب وقوعه وانما عبر بالماضي لحصوله في علم الله لان الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لاحاطته بها والمراد بالقول مواعيد القرآن بالفضائح والخزي والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الارض) اي وهي الجساسة ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى ان لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وعن أبي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن علي رضي الله عنه انها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى انها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد وقيل تخرج من الصفا لما روى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم أي تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء بها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروى ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها واختلف أيضا في تعيين هذه الدابة فقيل هي فصيل ناقة صالح وهو اصح الاقوال فانه لما عقرت امه هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف اي حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بان تقول قال الله ان الناس الخ (قوله أي كفار مكة) المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء) اي للتعدية أو للسببية وأما على قراءة الكسر فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الامر بالمعروف الخ) أي لعدم افادة ذلك لانه في ذلك الوقت ظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره فحينئذ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ووجد في بعض النسخ ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر أي لا يوجد في هذا الوقت من يتوب الى الله أي يرجع اليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا ايمان كافر (قوله ويوم نحشر) أي الحشر الخاص بهم للعذاب بعد

من كل أمة فوجا) جماعة (ممن يكذب بآياتنا) وهم رؤساؤهم المتبوعون (فهم يوزعون) أى يجمعون برد آخرهم الى أولهم ثم يساقون (حتى اذا جاؤا) مكان الحساب (قال) تعالى لهم (أكذبتم) أنبيائى (بآياتى ولم تحيطوا) من جهة تكذيبكم (بها علما أما) فيه ادغام ما الاستفهامية (ذا) موصول أى ما الذى (كنتم تعملون) مما أمرتم به (ووقع القول) حق العذاب (عليهم بما ظلموا) أى أشركوا (فهم لا ينطقون) اذ لا حجة لهم (ألم يروا أنا جعلنا) خلقنا (الليل ليسكنوا فيه) كغيرهم (والنهار مبصرا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكافرين (ويوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الأولى من اسرافيل (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) أى خافوا الخوف المفضى الى الموت كما فى آية أخرى فصعق والتعبير فيه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وعن ابن عباس هم الشهداء اذ هم أحياء عند ربهم يرزقون (وكل) تنوينه عوض عن المضاف اليه أى وكلهم بعد احيائهم يوم القيامة (أتوه) بصيغة الفعل واسم الفاعل (داخرين) صاغرين والتعبير فى الاتيان بالماضى لتحقق وقوعه (وترى الجبال) تبصرها وقت النفخة (تحسبها) تظنها (جامدة) واقفة مكانها لعظمها (وهى تمر مر السحاب)

انقضاض الحشر العام لجميع الخلق (قوله من كل أمة) من تبعيضية وقوله ممن يكذب بيانية للفوج (قوله فوجا) الفوج فى الاصل الجماعة المارة المسرعة ثم أطلق على الجماعة مطلقا (قوله وهم رؤساؤهم) أى كأبى جهل وأبى بن خلف وفرعون وقارون والنمرود وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن تحشر على حدة (قوله برد آخرهم الى أولهم) المناسب أن يقول برد أولهم على آخرهم أى يحبس أولهم ويوقف حتى يأتى آخرهم ويجتمعون ثم يساقون (قوله أكذبتم بآياتى) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى أنكرتموها وجحدتموها (قوله ولم تحيطوا بها علما) الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتأملها فهم مؤاخذون بالجهل والكفر (قوله أماذا) أم منقطعة بمعنى بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم فى ما فقوله فيه ادغام ما الاستفهامية أى الادغام فيها (قوله حق العذاب) أى نزل بهم وهو كبهم فى النار (قوله فهم لا ينطقون) أى بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أى يعلموا (قوله أنا جعلنا الليل) أى مظلما بدلالة قوله والنهار مبصرا عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصرا بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه ففى الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر فيه) أى فالاسناد فيه مجازى من الاسناد الى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) أى بالسعى فى مصالحهم (قوله ان فى ذلك) أى الجعل المذكور (قوله دلالات على قدرته تعالى) أى من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ فى الصور) معطوف على قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا (قوله النفخة الاولى) أى وتسمى نفخة الصعق ونفخة الفزع فعبر عنها هنا بالفزع وفى سورة الزمر بالصعق قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الخ فعند حصولها يموت كل حى ما عدا ما استثنى وأما النفخة الثانية فعندها يحيا كل من كان ميتا فالنفخة اثنتان وبينهما أربعون سنة وقيل انها ثلاث نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الارض بأهلها ونفخة الموت ونفخة الاحياء والقول الاول هو المشهور والصحيح فى الصور انه قرن من نور خلقه الله وأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والارض ويسمى بالبوق فى لغة اليمن (قوله من اسرافيل) أى وهو أحد الرؤساء الاربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (قوله من فى السموات ومن فى الارض) أى من كل من كان حيا فى ذلك الوقت (قوله أى خافوا الخوف المفضى الى الموت) أى استمر بهم الخوف الى أن ماتوا به (قوله والتعبير بالماضى الخ) جواب عما يقال ان الفزع مستقبل فلم عبر بالماضى فأجاب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع لأن الماضى والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به (قوله أى جبريل الخ) أى فهؤلاء الاربعة لا يموتون عند النفخة الاولى بخلاف باقى الملائكة وانما يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار وقيل موسى وقيل جميع الانبياء (قوله اذ هم أحياء) أى حياة برزخية لا تزول ولا تحول ولكن ليست كحياة الدنيا (قوله أى كلهم) أى المخلوقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) أى الماضى فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) أى فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو وأصله آتون له حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والعاصى وليس المراد ذل المعاصى والمعنى ان اسرافيل حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية التى بها يكون احياء الخلق يأتى كل انسان ذليلا لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ (قوله وقت النفخة) أى الثانية لان تبديل الارض وتسيير الجبال وتسوية الارض انما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا الآية وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الآية (قوله لعظمها) أى وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت

المطر اذا ضربته الريح اى تسير سيره حتى تقع على الارض فتستوى بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف الى فاعله بعد حذف عامله اى صنع الله ذلك صنعا (الذى اتقن) احكم (كل شئ) صنعه (انه خبير بما يفعلون) بالياء والتاء اى اعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) اى لا اله الا الله يوم القيامة (فله خير) ثواب (منها) أى بسببها وليس للتفضيل اذ لا فعل خير منها وفى آية أخرى عشر أمثالها (وهم) اى الجائون بها (من فزع يومئذ) بالاضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمنون ومن جاء بالسيئة) أى الشرك (فكبت وجوههم فى النار) بان وليتها وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى و يقال لهم تبكيتا (هل) أى ما (تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) من الشرك والمعاصى قل لهم (انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة) اى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم انسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم على قريش اهلها فى رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة فى جميع بلاد العرب (وله) تعالى (كل شئ) فهو ربه وخالقه ومالكه (وأمرت أن أكون من المسلمين) بتوحيده (وان أتلو القرآن) عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان (فمن اهتدى) له (فانما يهتدى لنفسه) أى لاجلها فان ثواب اهتدائه له (ومن ضل) عن الايمان واخطأ طريق الهدى (فقل) له (انما أنا من المنذرين) المخوفين فليس على الا التبليغ وهذا قبل الامر بالقتال (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) فأراهم الله يوم بدر القتل والسبى وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله الى النار (وما ربك بغافل عما تعملون) بالياء والتاء وانما يمهلهم لوقتهم

﴿سورة القصص مكية الا ان الذى فرض الآية

مرة واحدة لا تكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب ابقاء اللفظ على ظاهره لان تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف والاصل مر السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) أى الجبال على الارض (قوله مبسوسة) أى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) أى الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى لان ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك انما هو من صنع الله لا غيره (قوله الذى أتقن كل شئ) أى وضعه فى محله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى لا اله الا الله) انما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لان الكب فى النار ليس بمطلق سيئة بل انما يكون بالكفر وهو يقابل الايمان وحينئذ فال فى الحسنة للعهد أى الحسنة المعهودة وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر (قوله فله خير منها) أى وهو الخلود فى الجنة (قوله أى بسببها) أشار بذلك الى ان من للسببية وتصح ان تكون للتعليل أى من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) اى ليس خير أفعل تفضيل لانه ليس عبادة أفضل من لا اله الا الله ويؤيد ما قاله المفسر ما روى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما ان يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ خير من لا اله الا الله (قوله بالاضافة) أى اضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) أى للاعراب وقوله وفتحها أى فتحة بناء وهى قراءة ثانية فى الاضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالاضافة فتكون القرا آت ثلاثا سبعيات فكان الاوضح ان يعبر باو بدل الواو فى الاخير (قوله آمنون) أى لا يصيبهم منه شئ والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب و بالفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة فى ذلك اليوم فلا تنافى بين اثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) أى القوا عليها فى النار (قوله و يقال لهم) أى وقت كبهم على وجوههم فى النار والقائل لهم خزنتها (قوله أى ما تجزون الخ) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله قل لهم انما أمرت الخ) أمر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل فى المعاد اشارة الى ان عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا او كفروا فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بامر أنفسهم و رجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرمها) صفة الرب ولاينه أرضه قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة لان اسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه واسناد التحريم لابراهيم باعتبار اخباره بذلك واظهاره (قوله ولا يختلى خلاها) أى لا يقطع حشيشها الرطب (قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أى أثبت على ما كنت عليه (قوله وان أتلو القرآن) اى اواظب عليه لتكشف لى حقائقه ورقائقه لان علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة أزداد علوما ومعارف وفى هذه الآية اشعار بأن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدرا عند الله (قوله فمن اهتدى له) أى للايمان (قوله فقل انما أنا من المنذرين) هو جواب الشرط والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) اى على ما اعطانى من النعم العظيمة التى أجلها النبوة التى بها ارشاد الخلق لصلاحهم (قوله سيريكم آياته) أى فى الدنيا (قوله وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) اى وجوه الذين قتلوا و دبارهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاولى هو وعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائعين و وعيد للعاصين

﴿سورة القصص﴾

نزلت بالجحفة والا الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أي هذه الآيات (آيات الكتاب) الاضافة

بمعنى من (المبين) المظهر الحق من الباطل (نتلوا) نقص (عليك من نبا) خبر (موسى وفرعون بالحق) الصدق (لقوم يؤمنون) لاجلهم لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا) تعظم (في الارض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا في خدمته (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم) المولودين (ويستحيي نساءهم) يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملكك (انه كان من المفسدين) بالقتل وغيره (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (ونجعلهم الوارثين) ملك فرعون (ونمكن لهم في الارض) أرض مصر والشام (ونري فرعون وهامان وجنودهما) وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الاسماء الثلاثة (منهم ما كانوا يحذرون) يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه (وأوحينا) وحي الهام أو منام (الى أم موسى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته (أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم) البحر أي النيل (ولا تخافي) غرقه (ولا تحزني) لفراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهدا له فيه

سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والاخبار المروية عن الله لان القصص مصدر بمعنى الاخبار وتسمى أيضا سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) أي حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيرا له بأنه يرجع الى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لانها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقراره بل نزلت بالطريق (قوله الى قوله لا نبتغي الجاهلين) أي وهو أربع آيات (قوله أي هذه الآيات) أي آيات هذه السورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله نتلوا عليك) مفعوله محذوف أي شيأ وقوله من نبا صفة لذلك المحذوف ويصح أن تكون من اسما بمعنى بعض هي المفعول أو زائدة على مذهب الاخفش ونبأ هو المفعول (قوله بالحق) حال اما من فاعل نتلو أو من مفعوله والمعنى حال كوننا متلبسين بالصدق أو كون الخبر متلبسا بالصدق (قوله لاجلهم) أشار بذلك الى ان اللام للتعليل أي ان المقصود بالذكر المؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (قوله ان فرعون) كلام مستأنف وبيان للنبا (قوله تعظم) أي تكبر وافتخر (قوله وجعل أهلها شيعا) أي أصنافا فجعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني اسرائيل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح أبناءهم) بدل اشتمال من قوله يستضعف الخ وذلك ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون قيل انه ذبح سبعين ألفا الى ان أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام (قوله انه كان من المفسدين) اى الراسخين في الفساد (قوله بالقتل وغيره) أي كدعوى الالوهية (قوله ونريد أن نمن) أي نتفضل عليهم بانجائهم من بأسه (قوله يقتدى بهم) أي بعد أن كانوا أذلاء مسخرين (قوله ونمكن لهم في الارض) أي نملكهم مصر والشام يتصرفون فيهما كيف يشاؤن (قوله ونري فرعون) أي نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول أول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفي قراءة) أي وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله ما كانوا يحذرون وعلى هذه فتجب امالة الراء امالة محضة (قوله ورفع الاسماء الثلاثة) أي على الفاعلية (قوله منهم) أي المستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) اى وقد حصل ما خافوه حين اتتهم معجزات موسى عليه السلام وحين أدركهم الغرق (قوله وحي الهام أو منام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان بملك تمثل لها واعترض بأنها ليست نبية وأجيب بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الانبياء بالشرائع وأما بغيرها فجائز كنزول الملك على البار بأمه التي تقدمت قصته في البقرة (قوله الى أم موسى) اى واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة وقيل لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما أرضعيه وألقيه ونهيين وهما لا تخافي ولا تحزني وخبرين وبشارتين وهما انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمنا بشارتين (قوله أن أرضعيه) يصح أن تكون أن مفسرة أو مصدرية (قوله فاذا خفت عليه) اى من الذبح (قوله ولا تخافي غرقه) دفع بذلك التناقض بين اثبات الخوف ونفيه فالمثبت هو خوف الذبح والمنفي هو خوف الغرق (قوله انا رادوه اليك) أي لتأمنين عليه وهو علة للنهي عن الخوف والحزن (قوله فوضعته في تابوت) أي وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك وجعلت المفتاح في التابوت (قوله مطلي بالقار) أي الزفت (قوله ممهدا) اى مفروش له فيه

ففرشت فيه قطنا محلوجا (قوله وأغلقته) أي وقيرت رأسه * وحاصله ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فقالت قد نزل بي ما نزل فليسعفني حبك اياي اليوم فعالجتها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت القابلة لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا على بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل عليك القابلة فقالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقلها فقالت لاخت موسى فأين الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت لي ابن أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول فأعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه فبقي حيران فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا وقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به وصدقه وقيل لما حملت أم موسى به كتمت أمرها على جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل اليهن ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو البحر ليلا وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع له الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ في البحر قد تعلق بشجرة ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها وعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت في الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن أن ذلك المولود الذي

وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلا

(فالتقطه) بالتابوت صبيحة الليل (آل) أعوان (فرعون) فوضعوه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من ابهامه لبنا (ليكون لهم) في عاقبة الامر (عدوا) يقتل رجالهم (وحزنا) يستعبد نساءهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كاحزنه (ان فرعون وهامان) وزيره (وجنودهما كانوا خاطئين) من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه (وقالت امرأت فرعون) وقد هم مع أعوانه بقتله هو (قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) فاطاعوها (وهم لا يشعرون) بعاقبة أمرهم معه (وأصبح فؤاد أم موسى) لما علمت بالتقاطه (فارغا) مما سواه (ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي انها (كادت لتبدي به) أي بأنه ابنها (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر أي سكناه (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبلها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به) أبصرته (عن جنب) من مكان بعيد اختلاسا (وهم لا يشعرون) انها اخته وأنها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع من قبل) أي قبل رده الى أمه أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له (فقالت) اخته (هل أدلكم على أهل بيت) لما رأت حنوهم عليه (يكفلونه لكم) بالارضاع وغيره (وهم له ناصحون) وفسرت ضمير له بالملك جوابا لهم فاجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها واجابتهم عن قبوله بانها طيبة الريح طيبة اللبن فاذن لها في ارضاعه في بيتها فرجعت به كما قال تعالى (فرددناه الى أمه

يحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمى به في البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وشا هو الشجر فاصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة (قوله فالتقطه آل فرعون) عطف على ما قدره المفسر بقوله فارضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أي وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أي فتحته آسية بعد ان عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا (قوله في عاقبة الامر) أشار بذلك الى ان اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة لان علة التقاطهم أن يكون حبيبا وابنا ففي الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف بقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب الاعم من الطرفين فالترتب الثاني متعلق معنى اللام فقدر استعارة الترتب الكلي المشبه به بالترتب الكلي المشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذي هو الترتب الجزئي فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئي والعداوة والحزن قرينة أفاده الملوي (قوله وفي قراءة الخ) أي وهي سبعية أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فعوقبوا على يديه) أي مع أنه تربى على أيديهم فهو أبلغ في اذلالهم (قوله وقالت امرأت فرعون) أي وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل من بنات الانبياء من بني اسرائيل من سبط موسى عليه السلام وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الولد أكبر من ابن سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت له انه أتى من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل (قوله هو قرت عين) أشار المفسر الى أنه خبر لمحذوف (قوله عسى أن ينفعنا الخ) أي لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة (قوله فاطاعوها) أي على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه (قوله وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون (قوله وأصبح فؤاد أم موسى) يصح أن يبقى أصبح على ظاهره ان ثبت أنها ألقته ليلا أو يجعل بمعنى صار ان كانت ألقته نهارا (قوله فارغا مما سواه) أي من التفكر في غيره لما ورد أنه أتاها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فاغرقتيه في البحر فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به اليها (قوله لتبدي به) ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء ويصح ان يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة أي تظهره (قوله لولا ان ربطنا على قلبها) جوابها محذوف أي لأبدت به كما أشار له المفسر (قوله بوعد الله) أي المدلول عليه بقوله انا رادوه اليك الخ (قوله لاخته) أي شقيقته (قوله مريم) هو أحد أقوال وقيل اسمها كلثمة وقيل كلثوم (قوله عن جنب) حال اما من الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء أي أبصرته مستخفية كائنة عن جنب أو أبصرته بعيدا منها (قوله اختلاسا) أي اختفاء (قوله وانها ترقبه) أي تنتظره (قوله وحرمنا عليه) أي على موسى (قوله من قبل) هو ظرف مبني على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (قوله أي منعناه) أشار بذلك الى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لان الصبي ليس من أهل التكليف (قوله من المراضع المحضرة) أي التي أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أي مخلصون في العمل من شوائب الفساد (قوله حنوهم عليه) أي عطفهم وميلهم اليه (قوله وغيره) أي كالتربية واصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أي بعد ان مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلا قيل ان هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال انها لتعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت

كي تقر عينها) بلقائه (ولا تحزن) حينئذ (ولتعلم أن وعد الله) برده اليها (حق ولكن أكثرهم) أى الناس (لا يعلمون) بهذا الوعد ولا بأن
هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها ١٦٢ الى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربى فأتت به فرعون

فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة الشعراء ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (ولما بلغ أشده) وهو ثلاثون سنة أو ثلاث (واستوى) أى بلغ أربعين سنة (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها فى الدين قبل أن يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لأنفسهم (ودخل) موسى (المدينة) مدينة فرعون وهى منف بعد أن غاب عنه مدة (على حين غفلة من أهلها) وقت القيلولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) أى اسرائيلى (وهذا من عدوه) أى قبطى يسخر الاسرائيلى ليحمل حطبا الى مطبخ فرعون (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) فقال له موسى خل سبيله فقيل انه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك (فوكزه موسى) أى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فقضى عليه) أى قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه فى الرمل (قال هذا) أى قتله (من عمل الشيطان) المهيج غضبى (انه عدو) لابن آدم (مضل) له (مبين) بين الاضلال (قال) نادما (رب انى ظلمت نفسى) بقتله (فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم) أى المتصف بهما أزلا وأبدا (قال رب بما أنعمت) بحق انعامك (على) بالمغفرة اعصمنى
(فلن أكون ظهيرا) عونا (للمجرمين) الكافرين بعد هذا ان عصمتنى (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) ينتظر ما يناله من جهة القتيل
(فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه) يستغيث به على قبطى آخر (قال له موسى انك لغوى مبين) بين الغواية لما فعلته أمس واليوم

وهم له أى للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكى طالبا الرضاع وهو يعلله شفقة عليه فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وقال لها أقيمى عندنا لارضاعه فقالت لا أقدر على فراق بيتى فان رضيتم أرضعته فى بيتى والا فلا حاجة لى فيه وأظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة عنها فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر (قوله كى تقر عينها) أى تبرد وتسكن من ألم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بأن مضمرة بعد كى (قوله فمكث عندها الى ان فطمته) أى وهو سنتان (قوله وأخذتها لأنها مال حربى) جواب عما يقال كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على ارضاع ولدها (قوله أو ثلاث) أو لتنويع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كمل عقله وانتهى شبابه لأن موسى أقام فى مصر ثلاثين سنة ثم ذهب الى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقعة قتل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه) أى مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه نجزى المحسنين على احسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة وهى من أعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وقيل هى مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء وسبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما قدم قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فأدركه المقيل فى أرض منف فدخلها وليس فى طرقها أحد (قوله وهذا من عدوه) أى وكان طباخا لفرعون واسمه فليثون أراد أن يسخر الاسرائيلى لحمل الحطب (قوله فاستغاثه) أى طلب غوثه ونصره (قوله أن أحمله) أى الحطب (قوله فوكزه موسى) أى دفعه بجمع كفه وأما اللكز فهو الضرب بأطراف الأصابع (قوله بجمع كفه) أى بكفه مجموعة فهو من اضافة الصفة للموصوف (قوله فقضى عليه) أى أوقع عليه القضاء وهو الموت (قوله ولم يكن قصد قتله) جواب عما يقال كيف تجرأ على قتل القبطى وحاصل ايضاح الجواب أن قتله كان خطأ وقد يقال قتله من باب دفع الصائل وهو واجب والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث انه لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له أن قتله خلاف الأولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرحه الفتن (قوله انى ظلمت نفسى) الحق أن هذا تواضع منه وحسنات الأبرار سيآت المقربين (قوله بحق انعامك على) أشار بهذا الى أن ما مصدرية وأن الكلام على حذف مضاف وأشار بقوله اعصمنى الى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن أكون جواب شرط قدره بقوله ان عصمتنى وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جماعته وتكثير سواده (قوله فاذا الذى) اذا فجائية والذى مبتدأ نعت لمحذوف أى فاذا الاسرائيلى الذى واستنصره صلته ويستصرخه خبر المبتدا (قوله على قبطى آخر) أى يريد أن يسخره والاستصراخ الاستغاثة وسميت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ فى طلب الغوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس ان القبط قالوا لفرعون ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطى فقال للاسرائيلى انك لغوى مبين (قوله لما فعلته أمس واليوم) أى حيث

قاتلت

(فلما أن) زائدة (أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) لموسى والمستغيث به (قال) المستغيث ظانا أنه يبطش به لما قال له (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن) ما (تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق اليه (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون (من أقصى المدينة) آخرها (يسعى) يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم (قال يا موسى إن الملأ) من قوم فرعون (يأتمرون بك) يتشاورون فيك (ليقتلوك فاخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) في الأمر بالخروج (فخرج منها خائفا يترقب) لحوق طالب أو غوث الله اياه (قال رب نجني من القوم الظالمين) قوم فرعون (ولما توجه) قصد بوجهه (تلقاء مدين) جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق أي الطريق الوسط اليها فأرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به اليها (ولما ورد ماء مدين) بئر فيها أي وصل اليها (وجد عليه أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سواهم (امرأتين تذودان) تمنعان أغنامهما عن الماء (قال) موسى لهما (ما خطبكما) أي ما شأنكما لا تسقيان (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) جمع راع أي يرجعون عن سقيهم خوف الزحام فنسقي وفي قراءة يصدر من الرباعي أي يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقي (فسقى لهما) من بئر أخرى بقربها رفع حجرا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس (ثم تولى) انصرف (الى الظل) لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع (فقال رب إني لما أنزلت الي من خير طعام (فقير) محتاج فرجعتا الى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما فقال لاحداهما ادعيه لي قال تعالى (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) أي واضعة

قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (قوله فلما أن أراد أن يبطش الخ) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي أنه يريد أن يبطش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله إنك لغوي مبين فقال يا موسى أتريد الخ (قوله جبارا في الأرض) الجبار هو الذي يقتل ويضرب ويتعاظم ولا ينظر في العواقب (قوله من المصلحين) أي بين الناس (قوله هو مؤمن آل فرعون) هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو الذي ذكر في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون (قوله يسعى) صفة لرجل أو حال منه لوجود المخصص قبله (قوله يتشاورون فيك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك (قوله أو غوث الله اياه) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال رب نجني الخ) أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم (قوله ولما توجه تلقاء مدين) أي بالهام من الله لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها وأن بينه وبين أهل مدين قرابة لكونهم من ذرية ابراهيم وهو كذلك (قوله ابن ابراهيم) أي الخليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مداين فأولاده أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومداين وانما لم يصرح في القرآن بمدين ومداين لأنهما لم يكونا نبيين (قوله ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رئيت خضرته في باطنه من خارج وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من اضافة الصفة للموصوف أي السبيل السوي (قوله أي الطريق الوسط) أي وكان لها ثلاث طرق فأخذ موسى يمشي في الوسطى وجاء الطلاب في أثره فساروا في الأخريين ولم يعرفوا محله (قوله ملكا) أي وكان راكبا على فرس قيل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هي فوق العصا ودون الرمح في طرفها حربة كحربة الرمح (قوله بئر فيها) أشار بذلك الى أنه أطلق الحال وأراد المحل فأطلق الماء وأراد البئر (قوله أي وصل اليها) أشار بذلك الى أن المراد بالورود هنا الوصول لأن الورود يطلق على الدخول في الشئ وعلى الاطلاع على الشئ والوصول اليه ومنه قوله تعالى وإن منكم إلا واردها على مشهور التفاسير (قوله جماعة) أي كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لأنها بمعنى لقي فتنصب مفعولا واحدا (قوله مواشيهم) هو معمول يسقون وقد حذف في هذه الآية معمول يسقون وتذودان ولا نسقي لأن المقصود الفعل لا المفعول (قوله جمع راع) أي على غير قياس وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) أي فهذا أوجب مباشرتنا السقي بأنفسنا قال الأجهوري في شرح خطبة الشيخ خليل تتمة عاش شعيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق وفي رواية وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب وفي رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهوري (قوله لا يقدر أن يسقي) أي فيرسلنا اضطرارا (قوله فسقى لهما) أي سقى أغنامهما لأجلهما (قوله إلا عشرة أنفس) وقيل سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل مائة (قوله لسمرة) بضم الميم وهي شجرة عظيمة من شجر الطلح وهي التي أمر صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالنزول والصلاة عندها (قوله إني لما أنزلت الي) إن حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر إن وأنزلت بمعنى تنزل والمعنى إني فقير ومحتاج لما تنزله الي من أي شئ كان قليلا أو كثيرا (قوله ادعيه لي) أي اطلبيه ليحضر عندي (قوله فجاءته الخ) عطف على ما قدره المفسر بقوله فرجعتا الخ (قوله تمشي

كم درعها على وجهها حياء منه (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فأجابها منكرا في نفسه أخذ الاجرة كأنها قصدت المكافأة ان كان ممن يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت الى ان جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا قال لا عادتي

وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فأكل وأخبره بحاله قال تعالى (فلما جاءه وقص عليه القصص) مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون على مدين (قالت احداهما) وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى (يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا يرعى غنمنا أي بدلنا (ان خير من استأجرت القوي الامين) أي استأجره لقوته وأمانته فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي وزيادة انها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب في انكاحه (قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين) وهي الكبرى أو الصغرى (على ان تأجرني) تكون أجيرا لي في رعي غنمي (ثماني حجج) أي سنين (فان أتممت عشرا) أي رعي عشر سنين (فمن عندك) التمام (وما أريد أن أشق عليك) باشتراط العشر (ستجدني ان شاء الله) للتبرك (من الصالحين) الوافين بالعهد (قال) موسى (ذلك) الذي قلته (بيني وبينك أيما الاجلين) الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه (قضيت) به أي فرغت منه (فلا عدوان علي) بطلب الزيادة عليه (والله على ما نقول) أنا وأنت (وكيل) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصي الانبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب (فلما قضى موسى الاجل) أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به (وسار بأهله) زوجته باذن أبيها نحو مصر (آنس) أبصر من بعيد (من جانب

حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير في تمشي والاستحياء هو الحياء بالمد وهو حالة تعتري الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) أي قميصها (قوله منكرا في نفسه أخذ الاجرة) أي فلم يكن قصده بالاجابة أخذ الاجرة بل للتبرك بأبيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح وقيل هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن ميمون بن عنفاش بن مدين بن ابراهيم عليه السلام (قوله وهي المرسلة) أي وهي التي تزوجها موسى عليه السلام (قوله ان خير من استأجرت) تعليل للامر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) أي بأن قال لها وما أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) أي على ما ذكرته من القوة والامانة وقد يقال ان هذا من جملة الامانة فلا زيادة (قوله صوب رأسه) أي خفضه (قوله فرغب في انكاحه) أي رغب شعيب في انكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه انه كان له غيرهما قيل كان له سبع بنات (قوله على أن تأجرني) حال من الفاعل أو المفعول ومفعول تأجرني محذوف والمعنى تأجرني نفسك وقوله ثماني حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا الزاما (قوله للتبرك) أي فالاستثناء للتبرك والتفويض الى توفيقه تعالى لا للتعليق لان صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ وبيني وبينك خبره والمعنى ذلك الذي وقع مني وعاهدتني عليه ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا ويصح ان يكون ذلك مفعولا لمحذوف أي قبلت ذلك وقوله بيني وبينك الخ حال من اسم الاشارة والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائنا بيني وبينك لم يكن علينا شهيد الا الله (قوله أيما الاجلين) أي شرطية وجوابها فلا عدوان علي وما زائدة كما قال المفسر (قوله الثمان أو العشر) بالنصب تفسير لاي (قوله فتم العقد) أي عقد النكاح والاجارة ان قلت ان الذي وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون الا بصيغة ابرام وأيضا لم يبين المنكوحة وأيضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها أجيب بجوابين الاول ان هذا كان في شرعه جائزا الثاني انه يمكن تنزيله على شرعنا بانه قصد بالوعد انشاء الصيغة وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك وبانه يمكن انه بين المنكوحة باشارة مثلا وبان الغنم يمكن ان يكون بعضها مملوكا لها فثمرة الرعي عائدة عليها (قوله فوقع في يدها عصا آدم) قيل انه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب فامر ابنته ان تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة عنده فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آس الجنة) أي وتوارثها الانبياء بعد آدم وصارت منه الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت لشعيب وكان لا يأخذها غير نبي الا أكلته (قوله وهو المظنون به) أي وان لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالمعول عليه انه وفى العشر (قوله بأهله) أي زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) أي لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه ورد انه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك ان يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل أبلق وبلقاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله الى موسى وابنته فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام (قوله من جانب

الطور) اسم جبل (نارا قال لاهله امكثوا) هنا (انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق وكان قد أخطأها (أو جذوة) بتثليث الجيم قطعة وشعلة (من النار لعلكم تصطلون) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها (فلما أتاها نودى من شاطئ) جانب (الوادى الايمن) لموسى (فى البقعة المباركة) لموسى لسماعه كلام الله فيها (من الشجرة) بدل من شاطئ باعادة الجار لنباتها فيه وهى شجرة عناب أو عليق او عوسج (أن) مفسرة لا مخففة (ياموسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك) فالقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) أى يرجع فنودى (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك) أدخل (يدك) اليمنى بمعنى الكف (فى جيبك) هو طوق القميص وأخرجها (تخرج) خلاف ما كانت عليه من الادمة (بيضاء من غير سوء) أى برص فادخلها وأخرجها تضئ كشعاع الشمس تغشى البصر (واضمم اليك جناحك من الرهب) بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الاول وضمه أى الخوف الحاصل من اضاءة اليد بان تدخلها فى جيبك فتعود الى حالتها الاولى وعبر عنها بالجناح لانها للانسان كالجناح للطائر (فذانك) بالتشديد والتخفيف أى العصا واليد وهما مؤنثتان وانما ذكر المشار به اليهما المبتدا لتذكير خبره (برهانان) مرسلان (من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطى السابق (فاخاف أن يقتلون) به (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أبين (فارسله معى ردأ) معينا وفى قراءة بفتح الدال بلا همزة (يصدقنى) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجملته صفة ردأ (انى أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك) نقويك (باخيك ونجعل لكما سلطانا) غلبة (فلا يصلون اليكما)

الطور) أى الايمن بدليل ما يأتى (قوله عن الطريق) أى لانستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) أى وكلها سبعيه فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) أى عود غليظ كان فى رأسه نار اولا وقيل هو ما فى رأسه نار فقوله من النار وصف مخصص على الاول وكاشف على الثانى (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) أى فاصله تصتلون وقعت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلبت طاء (قوله بكسر اللام) أى من باب رضى وقوله وفتحها أى من باب رمى (قوله نودى من شاطئ الوادى الخ) قيل ان موسى لما رأى النار مشتعلة فى الشجرة الخضراء علم ان ذلك لا يقدر عليه الا الله فلما نودى علم ان الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الايمن) صفة للشاطئ أو للوادى من اليمن وهو البركة أو اليمين مقابل اليسار والمعنى الشاطئ الذى يلى يمين موسى (قوله فى البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) أى لانه فى ذلك المحل حصلت له البركة التامة فتلك الليلة أسعد لياليه كليلة الاسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير فى نودى والتقدير نودى موسى والحال انه كائن فى جهة الشجرة وليس المراد انه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على انه سمع الكلام بجميع أجزائه بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون له فى الآخرة عند رؤيته ذاته بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) أى بدل اشتمال (قوله أو عوسج) أى شوك (قوله مفسرة) أى لانه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لا مخففة) أى لعدم افادتها المعنى المقصود (قوله انى أنا الله رب العالمين) هكذا قال هنا وفى سورة طه انى أنا ربك وقال فى النمل نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ولا تنافى بل الكل قاله الله (قوله وان ألق) عطف على قوله ان ياموسى (قوله من سرعة حركتها) أى فهو وجه شبهها بالجان وقوله فى الآية الاخرى فاذا هى ثعبان مبين أى فى عظم الجثة فتحصل انها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولى مدبرا) أى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه الصفة وردانه لم تدع سحرة ولا معجزة الا يتلعثمها حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الصخر والشجر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا (قوله من الادمة) أى الحمرة (قوله تغشى البصر) أى تغطيه (قوله واضمم اليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموما وفى آية طه مضموما اليه حيث قال واضمم يدك الى جناحك لان المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح (قوله من الرهب) متعلق باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) أى فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله بان تدخلها) أى تدخل اليد اليمنى التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود لحالتها الاولى فيزول عنك الخوف والفزع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) أى لان الطائر اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمان ضمهما اليه (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد والمخفف تثنية ذاك فالتشديد عوض عن اللام فى المفرد (قوله وانما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال ان العصا واليد مؤنثتان فكان اللائق الاشارة اليهما بتان فاجاب بانه روعى الخبر (قوله مرسلان) أشار بذلك الى أن قوله من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائه) أى جماعته (قوله لسانا) أى كلاما (قوله ردأ) حال من ضمير ارسله (قوله بفتح الدال) أى مع التنوين وهى سبعية أيضا (قوله يصدقنى) أى يقوينى فى الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) أى الذى هو قوله فارسله معى لان طلب الادنى من الاعلى دعاء (قوله ان يكذبون) أى بسبب العقدة التى كانت فيه بسبب الجمرة التى وضعها وهو صغير فى فيه (قوله نقويك) أى فشد العضد كناية عن التقوية من اطلاق السبب وارادة

بسوء اذهبا (بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) لهم (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات حال (قالوا ما هذا الا

سحر مفترى) مختلق (وما سمعنا بهذا) كائنا (في) أيام (آبائنا الأولين وقال) بواو وبدونها (موسى ربي أعلم) أي عالم (بمن جاء بالهدى من عنده) الضمير للرب (ومن) عطف على من قبلها (تكون) بالفوقانية والتحتانية (له عاقبة الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي وهو أنا فى الشقين فأنا محق فيما جئت به (انه لا يفلح الظالمون) الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين) فاطبخ لي الآجر (فاجعل لي صرحا) قصرا عاليا (لعلي أطلع الى اله موسى) أنظر اليه وأقف عليه (واني لأظنه من الكاذبين) في ادعائه الها آخر وأنه رسوله (واستكبر هو وجنوده في الارض) أرض مصر (بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) بالبناء للفاعل والمفعول (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) طرحناهم (في اليم) البحر المالح فغرقوا (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم) في الدنيا (أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء رؤساء في الشرك (يدعون الى النار) بدعائهم الى الشرك (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) خزيا (ويوم القيامة هم من المقبوحين)

المبعدين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) قوم نوح

المسبب لان شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد يستلزم القوة (قوله بسوء) متعلق بيصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهبا بدليل الآية الاخرى اذهبا الى فرعون وجمعهما في ضمير واحد مع ان هرون لم يكن حاضرا على المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لان الله أرسل جبريل الى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله ولما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لان كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) أى فرعون وقومه (قوله مختلق) اى مخترع من قبل نفسه (قوله وما سمعنا بهذا الخ) هذا محض عناد وكذب اذهم يعرفون ان قبله الرسل كابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم (قوله بواو وبدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تابعا لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفا جواب سؤال (قوله أى عالم) أشار بذلك الى انه لا مفاضلة فى أوصاف الله تعالى لان التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله عطف على من قبلها) أى فهى فى محل جر والعلم مسلط عليها (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان فله خبر يكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل ولانه مجازى التأنيث (قوله أى العاقبة المحمودة الخ) أشار بذلك الى أن المراد بالدار الدار الآخرة وان الاضافة على معنى فى ويصح أن المراد بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة ان العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو أنا فى الشقين) تفسير للموصول كأنه قال ان لم تشهدوا لى بالصدق وبان العاقبة المحمودة لى فالله عالم بانى جئت بالهدى وبان العاقبة المحمودة لى (قوله انه لا يفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى أعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) أى بعد أن شاهد ايمان السحرة وما وقع منهم (قوله ما علمت لكم من اله غيرى) أى ليس لى علم بوجود اله غيرى وليس مراده بالهية نفسه كونه خالق السموات والارض وما فيهما اذ لا يشك عاقل فى أن الله هو الخالق لكل شئ وكان اعتقاده ان العالم العلوى اثر فى العالم السفلى فلا حاجة للصانع (قوله على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا قيل انه أول من اتخذ الآجر وبنى به وهو الذى علم صنعته لهامان ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء فطبخ الآجر والجبس ونشر الخشب وسبك المسامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد عمل فى الصرح عملا الا هلك (قوله لعلى أطلع) كأنه من قبحه توهم ان اله موسى فى السماء يمكن الرقى اليه (قوله وانه رسوله) أى ان موسى رسول الاله (قوله واستكبر) أى تكبر (قوله فى الارض) أى أرض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأخذناه) أى عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به المشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله وابدال الثانية ياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الابدال من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله بدعائهم الى الشرك) أى المؤدى للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى المطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) اخبار من الله لقريش بامتنانه على بنى اسرائيل حين أهلك الامم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وصاروا فى زمن فترة بانزال التوراة ليتعبدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الامة المحمدية والمعنى كما

أنزل

وعاد وثمود وغيرهم (بصائر للناس) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنوار القلوب (وهدى) من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) يتعظون بما فيه من المواعظ (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل أو الوادي أو المكان (الغربي) من موسى حين المناجاة (اذ قضينا) أوحينا (الى موسى الأمر) بالرسالة الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لذلك فتعلمه فتخبر به (ولكنا أنشأنا قرونا) أمما بعد موسى (فتطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا اليك خبر موسى وغيره (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (ولكنا كنا مرسلين) لك واليك بأخبار المتقدمين (وما كنت بجانب الطور) الجبل (اذ) حين (نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أرسلناك (رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) وهم أهل مكة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر وغيره (فيقولوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ والمعنى لولا الاصابة المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك اليهم رسولا (فلما جاءهم الحق) محمد (من عندنا قالوا لولا) هلا (أوتي مثل ما أوتي موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) حيث (قالوا) فيه وفي محمد (ساحران)

أنزل على موسى التوراة وقومه في فترة وجهل أنزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به (قوله وعاد وثمود) عطف على قوم نوح ولم ينونه لانه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله وغيرهم) أي كفرعون (قوله حال من الكتاب) أي اما على حذف مضاف أي ذا بصائر أو مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل وكذا يقال في قوله هدى ورحمة (قوله أي أنوار القلوب) أي تبصر به القلوب كما ان انسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) أي العاقل اذا علم ان كتاب الله من أوصافه انه منور القلوب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر الى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربي الخ) المقصود من ذلك اقامة الحجة على من كذبه صلى الله عليه وسلم يعني كيف تكذبونه بعد اتيانه بتفاصيل ما حصل للامم السابقة وانبيائهم والحال انكم تعلمون انه لم يكن حاضرا لذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) ان قلت ان هذا معلوم نفيه من قوله وما كنت بجانب الغربي فما ثمرة ذكره عقبه أجيب بانه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصوله مشاهدته لذلك ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه (قوله بعد موسى) أي لان أنبياء بني اسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذي الكفل كانوا بعد موسى (قوله واندرست العلوم) أي فكيف يأتيك الخبر من غير وحي (قوله وأوحينا اليك خبر موسى وغيره) أي ليكون معجزة لك وتذكيرا لقومك (قوله وما كنت ثاويا) ان قلت ان قصة مدين متقدمة على قصة الارسال فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها أجيب بان المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب اشارة الى أن أي واحدة تكفي في اثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (قوله مقيما) أي اقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم (قوله في أهل مدين) متعلق بثاويا (قوله ولكنا كنا مرسلين) أي وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أي كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي اذ أرسل الله موسى الى فرعون فكذلك لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لاخذ التوراة وبين الارسال وايتاء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسماني لاقامة الحجة على الخصم وأما بالنظر للعالم الروحاني فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم الى أن ظهر بجسمه الشريف ولكن لا يخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) أي لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستمائة سنة (قوله ولولا أن تصيبهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وان وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) عطف على تصيبهم والفاء للسببية (قوله وجواب لولا) أي الاولى وأما الثانية فهي تحضيضية (قوله أو لولا قولهم الخ) أي فالمعنى الاول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الارسال بثبوت ضده وهو الارسال لوجود السبب والمسبب معا والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشئ عن السبب فتدبر (قوله لما أرسلناك اليهم رسولا) أي فالحامل على ذلك تعللهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم ارسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا أرسلت الخ ان قلت ان الآية تقتضي وجود اصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع انهم حين نزول تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا أجيب بان الآية على سبيل الفرض والتقدير فالمعنى لو اصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما أرسلناك اليهم فهو بمعنى قوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا الآية (قوله قالوا) أي تعنتا (قوله أو الكتاب جملة) أشار بذلك الى قول آخر في تفسير المثل (قوله من قبل) أي قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر لمحذوف

وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاونا (وقالوا انا بكل) من النبيين والكتابين (كافرون قل) لهم (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) من الكتابين (أتبعه ان كنتم صادقين) في قولكم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك بالاتيان بكتاب (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) في كفرهم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أضل منه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (ولقد وصلنا) بينا (لهم القول) القرآن (لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي القرآن (هم به يؤمنون) أيضا نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام (واذا يتلى عليهم) القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) موحدين (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) بايمانهم بالكتابين (بما صبروا) بصبرهم على العمل بهما (ويدرؤن) يدفعون (بالحسنة السيئة) منهم (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (واذا سمعوا اللغو) الشتم والأذى من الكفار (أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) سلام متاركة أي سلمتم منا من الشتم وغيره (لا نبتغي الجاهلين) لا نصحبهم * ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه أبي طالب (انك لا تهدي من أحببت) هدايته (ولكن

أي هما (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تعاونا) أي بتصديق كل منهما الآخر وذلك ان كفار مكة بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر (قوله والكتابين) الواو بمعنى أو (قوله قل فأتوا بكتاب الخ) أي اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق فان أتيتم به اتبعته وهذا تنزل للخصم زيادة في اقامة الحجة عليهم (قوله أتبعه) مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره ان أتيتم به اتبعته (قوله فان لم يستجيبوا لك) أي لم يفعلوا ما أمرتهم به (قوله أنما يتبعون أهواءهم) أي ليس لهم مستند الا اتباع هواهم الفاسد (قوله أي لا أضل منه) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله ولقد وصلنا) العامة على تشديد الصاد وهو مأخوذ اما من وصل الشيء بالشيء بمعنى جعله تابعا له لان القرآن تابع بعضه بعضا قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا أو من وصل الحبل جعله أوصالا أي أنواعا لان القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون ويؤمنون خبر الثاني وهو وخبره خبر الاول (قوله أيضا) أي كما آمنوا بكتابهم (قوله نزل في جماعة أسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وقيل انها نزلت في أربعين رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله انا كنا من قبله مسلمين) أي فاسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عندنا الان في كتبهم صفة النبي ونعته فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا وافق صفاته وأحواله فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الاسلام (قوله بصبرهم) أشار بذلك الى ان ما مصدرية وقوله على العمل بهما أي أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم (قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة أي الكلمة الطيبة الجميلة أو المعنى اذا وقعت منهم معصية محوها بطاعة كالتوبة (قوله واذا سمعوا اللغو الخ) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (قوله سلام متاركة) أي اعراض وفراق لا سلام تحية (قوله لا نصحبهم) الاوضح ان يقول لا نطلب صحبتهم (قوله ونزل في حرصه الخ) وذلك انه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ثم أنشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكني سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وبني عبد مناف ثم مات فأتى علي ابنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقال عمك الضال قد مات فقال له اذهب فواره وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح وقيل انه أحيي وأسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله انك لا تهدي من أحببت) أي لا تقدر على هدايته ان قلت ان بين هذه الآية وآية وانك لتهدي الى صراط مستقيم تنافيا أجيب بان المنفي هنا خلق الاهتداء والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم (قوله ولكن

الله يهدى من يشاء) أى فسلم أمرك لله فانه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولا تبالى بأحد (قوله أى قومه) أى وهم بعض أهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انا نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ان يتخطفونا من أرضنا (قوله الهدى) أى وهو دين الاسلام (قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا) أى نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لأنه بمعنى جعل يدل عليه الآية الأخرى وهى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا (قوله يأمنون فيه) أشار بذلك الى أن فى الكلام مجازا عقليا (قوله يجبى) أى يحمل ويساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شئ) مجاز عن الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله الحرام ويسعى اليه فهو من خيار الخلق لقوله فى الآية يجبى اليه ثمرات كل شئ (قوله من كل أوب) أى ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) اما بمعنى مرزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات أو باق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا لمعنى يجبى أى نرزقهم رزقا (قوله ان ما نقوله حق) قدره اشارة الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله وكم أهلكنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم أن العبارة بالعكس وان خوف التخطف يكون بالكفر لا بالايمان وانهم ما داموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) أى كفرت نعمة ربها فى زمن معيشتها أى حياتها (قوله فتلك مساكنهم) أى خربة بسبب ظلمهم والاشارة الى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فان السفار تمر على تلك المساكن وتنزل بها فى بعض الاوقات (قوله للمارة يوما أو بعضه) أى لان المار فى الطريق اذا نزل للاستراحة انما يستمر فى الغالب يوما أو بعضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الالهية التى سبقت بها مشيئته تعالى والمعنى ما ثبت فى حكمه أن يهلك قرية قبل الانذار (قوله أى أعظمها) أى وهى المدن بالنسبة لما حوا اليها لجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن لانهم أعقل وأفطن ويتبعهم غيرهم ولما كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا لجميع الخلق كانت بلده أفضل البلاد على الاطلاق وقبيلته أشرف القبائل على الاطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) أى لقطع الحجج والمعاذير (قوله الا وأهلها ظالمون) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال ما كنا نهلكهم فى حال من الأحوال الا فى حال كونهم ظالمين (قوله وما أوتيتم من شئ الخ) ما اسم موصول مبتدأ وأوتيتم صلته ومن شئ بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى العموم ويصح أن تكون ما شرطية وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبر مبتدا محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفنى) أى يذهب بفنائكم فجميع ما فى الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب أهله ولا يبقى الا جزاؤه فحلال الدنيا حساب وحرامها عقاب (قوله وهو ثوابه) أى ثواب الاعمال التى قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خير وأبقى) أى دائم بدوام الله (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر فى أحوالكم فلا تعقلون فمن آثر الفانى على الباقى فلا عقل عنده لما فى الحديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولله در الامام الشافعى حيث قال

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا

وليس المراد من ذلك ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرة بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وانما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما فى الحديث نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح فالمضر شغل القلب والنية السوء (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ان الباقى خير من الفانى) قدره اشارة الى أن مفعول يعقلون محذوف واستفيد منه أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقى على الفانى ومن هنا قال الامام الشافعى رضى الله عنه

الله يهدى من يشاء وهو أعلم) أى عالم (بالمهتدين وقالوا) أى قومه (ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أى ننتزع منها بسرعة قال تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) يأمنون فيه من الاغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض (يجبى) بالفوقانية والتحتانية (اليه ثمرات كل شئ) من كل أوب (رزقا) لهم (من لدنا) أى عندنا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ما نقوله حق (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى عيشها وأريد بالقرية أهلها (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) للمارة يوما أو بعضه (وكنا نحن الوارثين) منهم (وما كان ربك مهلك القرى) بظلم منها (حتى يبعث فى أمها) أى أعظمها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) بتكذيب الرسل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى (وما عند الله) أى ثوابه (خير وأبقى أفلا تعقلون) بالتاء والياء أن الباقى خير من الفانى

(أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه) مصيبه وهو الجنة (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) فيزول عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) النار الأول المؤمن والثاني الكافر أي لا تساوي بينهما (و) اذكر (يوم يناديهم) الله (فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) هم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) بدخول النار وهم رؤساء الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) هم مبتدأ وصفة (أغويناهم) خبره فغووا (كما غوينا) لم نكرههم على الغي (تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا ايانا يعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (وقيل ادعوا شركاءكم) أي الاصنام الذين كنتم تزعمون انهم شركاء الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) دعاءهم (ورأوا) هم (العذاب) أبصروه (لو أنهم كانوا يهتدون) في الدنيا لما رأوه في الآخرة (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) اليكم (فعميت عليهم الانباء) الاخبار المنجية في الجواب (يومئذ) أي لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فهم لا يتساءلون) عنه فيسكتون (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أدى الفرائض (فعسى أن يكون من المفلحين) الناجين بوعد الله (وربك يخلق ما يشاء ويختار) ما يشاء (ما كان لهم) للمشركين (الخيرة) الاختيار في شئ

من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف الى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ). من مبتدأ وجملة وعدناه صلتها وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدا والمعنى أيستوى من وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه بمن انهمك في طلب الفاني حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (قوله مصيبه) أي مدركه لا محالة لان وعده لا يتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أي المشوب بالاكدار (قوله الأول) أي وهو من وعدناه والثاني وهو من متعناه (قوله أي لا تساوي بينهما) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله ويوم يناديهم) أي المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب أو النداء من الله لهم والمنفي في آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلا ينافى أنه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائي) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركائي) أشار بذلك الى أن مفعولي تزعمون محذوفان (قوله قال الذين حق عليهم القول) كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا وجواب هذا السؤال انه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والاتباع فقال الأتباع انهم أضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى وبرزوا لله جميعا الخ وبمعنى واذ يتحاجون في النار الخ (قوله حق عليهم القول) أي ثبت وتحقق وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) أي الذين أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين أغوينا الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول نعته وأغوينا صلته والعائد محذوف قدره المفسر وأغويناهم خبره وصح الاخبار به لتقييده بقوله كما غوينا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم في الغي فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكتب التى فيها المواعظ والأوامر والنواهي فلم نجبرهم عن أنفسنا بل اخترنا لهم ما اخترناه لانفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله تبرأنا اليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) أي وهو قوله ايانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) أي استغيثوا بآلهتكم التى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم (قوله ورأوا العذاب) أي نازلا بهم (قوله ما رأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ما قبله فحصل انهم يسئلون عن اشراكهم وجوابهم للرسل (قوله فعميت عليهم الأنباء) أي خفيت عليهم فلم يهتدوا للجواب فيه راحة لهم أو الكلام على القلب والأصل فعموا عن الانباء أي ضلوا وتحيروا في ذلك فلم يهتدوا الى جواب به نجاتهم (قوله فهم لا يتساءلون عنه) أي عن الخبر المنجي لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فأما من تاب الخ) أي رجع عن كفره في حال الحياة (قوله فعسى أن يكون من المفلحين) الترجي في القرآن بمنزلة التحقق لانه وعد كريم ومن شأنه لا يخالف وعده (قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار) سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فنزلت هذه الآية ردا عليه واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة فقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته وقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء لنبوته وقيل يخلق ما يشاء محمدا ويختار الانصار لدينه وقيل يخلق ما يشاء محمدا ويختار ما يشاء أصحابه وأمته لما روى أن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون اهـ فقد اختار محمدا على سائر المخلوقات واختار أمته على سائر الأمم فكما هو أفضل الخلق على الاطلاق أمته أفضل الأمم على الاطلاق (قوله ما كان لهم الخيرة) بالتحريك والاسكان معناهما واحد وهو الاختيار وما نافية وكان فعل ناقص والجار والمجرور خبرها مقدم والخيرة اسمها مؤخر والجملة مستأنفة والوقف على يختار والمعنى ليس للخلق جميعا الاختيار في شئ لا ظاهرا ولا باطنا بل الخيرة لله تعالى في أفعاله لما في الحديث القدسي يا عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون الا ما أريد فان سلمت لي ما أريد

أعطيتك ما تريد وان لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد وانما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول ويصح أن تكون ما مصدرية وما بعدها مؤول بمصدر والمعنى ويختار اختيارهم فيه ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف والتقدير ويختار الذي لهم فيه الاختيار وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار والأول أظهر فالواجب على الانسان أن يعتقد أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في شيء أبدا وانما الذي يظهر على أيدي الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها (قوله سبحان الله) أي تنزيها له عما لا يليق به (قوله من الكفر وغيره) أي كالايمان فيجازي الكافر بالخلود في النار والمؤمن بالخلود في الجنة (قوله له الحمد في الأولى والآخرة) أي هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة لانه لا معطي للنعم فيهما الا هو سبحانه وتعالى فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن كما حمدوه في الدنيا لكن الحمد في الدنيا مكلفون به وأما في الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت قال العلماء لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الأولى بعد أم القرآن وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية وفي الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمي حاجته وروي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى ما يسبق الى قلبك واعمله فان الخير فيه انتهى فان لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين يقرأ قل يا أيها الكافرون والاخلاص فان لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ اللهم خر لي واختر لي كما روي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما واعلم ان هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة فليس واردا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كرهه العلماء وقالوا انه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم ان جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا في الليل أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف وهو مفعوله الأول ومفعولها الثاني جملة الاستفهام بعده وان حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول أول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون وتقدم الكلام على نظير ذلك في الانعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائما) أي بان يسكن الشمس تحت الأرض (قوله الى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من اله غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال ان المقام لهل لانها لطلب التصديق لا من التي لطلب التعيين لأنه يوهم وجود اله غيره تعالى فأجاب بانه مجاراة للمشركين في زعمهم وجود آلهة معه (قوله سماع تفهم) أي تدبر واعتبار لان مجرد الابصار لا يفيد (قوله ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء (قوله ومن رحمته) أي تفضله واحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) أي لان المرء في الدنيا لابد وأن يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج اليه في معاشه فجعل الله له محل تكسب وهو النهار ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل (قوله ولتبتغوا من فضله) استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق لما ورد الكاسب حبيب الله (قوله ذكر ثانيا ليبني عليه ونزعنا الخ) أي واشارة الى أن الشرك أمره عظيم لا شيء أجلب منه لغضب الله كما أن التوحيد عظيم لا شيء أجلب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالوه) أي وأمة محمد يشهدون للانبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب

(سبحان الله وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وما يعلنون) بألسنتهم من ذلك (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى) الدنيا (والآخرة) الجنة (وله الحكم) القضاء النافذ في كل شيء (واليه ترجعون) بالنشور (قل) لأهل مكة (أرأيتم) أي أخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (الى يوم القيامة من اله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بضياء) نهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الاشراك (قل) لهم (أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بليل تسكنون) تستريحون (فيه) من التعب (أفلا تبصرون) ما أنتم عليه من الخطأ في الاشراك فترجعون عنه (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بالكسب (ولعلكم تشكرون) النعمة فيهما (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) ذكر ثانيا ليبني عليه (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على ما قلتم من الاشراك (فعلموا)

بأن الحق) فى الالهية (لله) لا يشاركه فيه أحد (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) فى الدنيا من أن معه شريكا تعالى عن ذلك (ان قارون

كان من قوم موسى) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فبغى عليهم) بالكبر والعلو وكثرة المال (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء) تثقل (بالعصبة) الجماعة (أولى) أصحاب (القوة) أى تثقلهم فالباء للتعدية وعدتهم قيل سبعون وقيل أربعون وقيل عشرة وقيل غير ذلك اذكر (اذ قال له قومه) المؤمنون من بنى اسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فرح بطر (ان الله لا يحب الفرحين) بذلك (وابتغ) اطلب (فيما آتاك الله) من المال (الدار الآخرة) بأن تنفقه فى طاعة الله (ولا تنس) تترك (نصيبك من الدنيا) أى أن تعمل فيها للآخرة (وأحسن) للناس بالصدقة (كما أحسن الله اليك ولا تبغ) تطلب (الفساد فى الارض) بعمل المعاصى (ان الله لا يحب المفسدين) بمعنى أنه يعاقبهم (قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) أى فى مقابلته وكان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) الامم (من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال أى هو عالم بذلك ويهلكهم الله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فخرج) قارون (على قومه فى زينته) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية

عليهم

(قوله أن الحق لله) أى التوحيد لله خاصة لا لغيره (قوله من ان معه شريكا) بيان لما (قوله ان قارون كان من قوم موسى) هو اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (قوله ابن عمه) أى واسم ذلك العم يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة و يصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان ولدا قاهث بن لاوى من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقيل ان قارون عم موسى (قوله وآمن به) أى وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على امامته (قوله بالكبر) هو احتقار ما سواه ومن جملة تكبره ان زاد فى ثيابه شبرا ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسمى المنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل انه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من اداء الزكاة (قوله ما ان مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وان حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز الشئ الذى مفاتحه تثقل العصبة أولى القوة وكانت مفاتحه أولا من حديد فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدية والمعنى لتثقل المفاتح العصبة (قوله فرح بطر) أى لانه هو المذموم وأما الفرح بالدنيا من حيث انها تعين على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة واطعام الجائع وغير ذلك ولا بأس به (قوله بأن تنفقه فى طاعة الله) أى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى بأن تصرف عمرك فى مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما فى الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز قال الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداآن تدرج فيهما وحنوط [٢]

(قوله وأحسن للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم ويكون تفسيرا لقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وقوله كما أحسن الله اليك الكاف للتشبيه وما مصدرية والمعنى وأحسن احسانا كاحسان الله اليك أو للتعليل (قوله قال انما أوتيته على علم عندى) جواب لما قالوه من الجمل الخمس كأنه ينكر محض الفضل والمعنى انما أوتيته حال كونى متصفا بالعلم الذى عندى فأعطانى الله تلك الاموال لكونى مستحقا لها لفضلى وعلمى (قوله وكان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذى فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثه و يوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما الى ما عنده فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهبا فكثر بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندى المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بعلمى الذى عندى لا من فضل الله كما تقولون (قوله أو لم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ادعى ذلك ولم يعلم أن الله الخ والاستفهام للتوبيخ والمعنى انه اذا أراد اهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسئلهم الله عن ذنوبهم اذا أراد عقابهم ان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون أجيب بان السؤال قسمان سؤال استعتاب وسؤال توبيخ وتقريع فالمنفى سؤال الاستعتاب الذى يعقبه العفو والغفران كسؤال المسلم العاصى والمثبت سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه الا النار (قوله فخرج على قومه) عطف على قوله انما أوتيته على علم وما بينهما اعتراض وكان خروجه يوم السبت وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف وقيل تسعين ألفا

[٢] (قوله تدرج) يقرأ بتسكين الجيم للوزن

عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة
جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الاحمر وكانت بغلته شهباء
بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الارجوان بضم الهمزة والجيم وهو
قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى وكانوا مؤمنين غير انهم محجوبون (قوله كلمة
زجر) أى وهى منصوبة بمقدر أى ألزمكم الله ويلكم والاصل فى الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى
الزجر والردع (قوله مما أوتى قارون فى الدنيا) أى لان الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أى
يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المعصية) أى وعلى الرضا بأحكامه تعالى (قوله فخسفنا به
وبداره الارض) قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون
وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى واعتزل بأتباعه وجعل موسى
يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا
وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه
ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه
قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار واحد وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة
على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى
اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم قالت بنو اسرائيل
أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى
بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف
درهم وقيل جعل لها طشتا من ذهب وقيل قال لها قارون أمولك وأخلطك بنسائى على ان تقذفى موسى
بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى الى موسى فقال
له ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى براح من الارض
فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة
جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت قال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال
قارون فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة الزانية قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى
يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة
الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت
لا والله ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال اللهم ان كنت
رسولك فاغضب لى فأوحى الله اليه انى أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى
اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل
فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الارض باقدامهم ثم قال
يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الارض الى أوساطهم ثم قال
يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه فى كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله
والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم
فانطبقت عليهم قال قتادة خسفت به فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم
القيامة وفى الخبر اذا وصل قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل فى الصور وأصبحت
بنو اسرائيل يتحدثون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله
موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض قال بعضهم مقتضى هذا الحديث ان الارض
لا تأكل جسمه فيمكن ان يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فئة) من
زائدة وفئة اسم كان أن كانت ناقصة والجار والمجرور خبرها أو فاعل بها ان كانت تامة (قوله من

(قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) فى الدنيا (انه لذو حظ) نصيب (عظيم) واف فيها (وقال) لهم (الذين أوتوا العلم) بما وعد الله فى الآخرة (ويلكم) كلمة زجر (ثواب الله) فى الآخرة بالجنة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون فى الدنيا (ولا يلقاها) أى الجنة المثاب بها (الا الصابرون) على الطاعة وعن المعصية (فخسفنا به) بقارون (وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أى غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك (وما كان من

المتصرين) أى المتنعين بانفسهم (قوله أى من قريب) أشار بذلك الى ان المراد بالامس الوقت الماضى القريب لا اليوم الذى قبل يومك (قوله ويكأن الله الخ) ويكأن فيها خمسة مذاهب الاول أن وى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وأن وما دخلت عليه مجرور بها أى أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ فالوقف على وى وهو قراءة الكسائى الثانى ان كأن للتشبيه غير انه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وى كالذى قبله الثالث ان ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف أى اعلم ان الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على ويك وهو قراءة أبى عمرو الرابع ان أصلها ويلك حذفت اللام وحينئذ فالوقف على الكاف أيضا الخامس ان ويكأن كلها كلمة بسيطة ومعناها ألم تر ان الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على النون (قوله لولا أن من الله علينا) أى بالايمان والرحمة (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويكأنه) تأكيد لما قبله ويجرى فيها ما يجرى فى التى قبلها (قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة فان فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار وموسى وهرون اختارا التواضع فآل أمرهما للعز الدائم الذى لا يزول ولا يحول (قوله أى الجنة) أى وما فيها من النعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم وسماع كلامه القديم (قوله لا يريدون علوا) التعبير بالارادة أبلغ للنفى لانه نفى للفعل وزيادة (قوله نجعلها) أى نصيرها (قوله بالبغى) أى الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما (قوله بعمل المعاصى) أى كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الامور التى تخالف أوامره تعالى (قوله للمتقين) أظهر فى مقام الاضمار اظهارا لشأنهم ومدحا لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلا على ضدهم (قوله من جاء بالحسنة) تقدم انه ان أريد بالحسنة لا اله الا الله فالمراد بالخير الجنة ومن للتعليل وليس فى الصيغة تفضيل وان أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر أمثالها كما جاء مصرحا به فى الآية الاخرى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فقول المفسر ثواب بسببها الخ اشارة للمعنى الثانى (قوله وهو عشر أمثالها) هذا أقل المضاعفة وتضاعف لسبعين ولسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وهذا فى الحسنة التى فعلها بنفسه أو فعلت من أجله كالقراءة والذكر اذا فعل وأهدى ثوابه للميت مثلا وأما الحسنة التى تؤخذ فى نظير الظلامة فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنة للمظلوم وأما المضاعفة فتكتب للظالم لانها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فعل والمضاعفة مخصوصة بهذه الامة وأما غيرهم فلا مضاعفة له (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيآت الخ) أظهر فى مقام الاضمار تسجيلا وتقبيحا على فاعل السيآت لينزجر عن فعلها (قوله أى مثله) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله انزله) أى أو فرضه بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به (قوله الى مكة وكان اشتاقها) تقدم ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم لما أذن له فى الهجرة الى المدينة وخرج من الغار مع أبى بكر ليلا سار فى غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل عليه جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد يعنى الى مكة ظاهرا عليهم وسميت البلد معادا لان شأن الانسان ان ينصرف من بلده ويعود اليها وتقدم أن هذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر تفاؤلا بعوده لوطنه ولا يقال ان الآية قيلت للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف تقال لغيره لانه يقال ان القرآن نزل للتعبد والاقتداء به فكأنه قال كما صدقت وعد نبيك فاصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة له الخ) أى كما قالت بنو اسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم بقوله وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله وأعلم بمعنى عالم) انما احتيج الى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه والا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترجوا) أى قبل مجىء الرسالة اليك (قوله أن يلقى اليك الكتاب) أى فانزاله عليك ليس عن ميعاد ولا تطلب منك ومن هنا قال العلماء ان النبوة ليست مكتسبة لاحد

المتصرين) منه (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أى من قريب (يقولون ويكأن الله يبسط) يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يضيق على من يشاء ووى اسم فعل بمعنى أعجب أى أنا والكاف بمعنى اللام (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) بالبناء للفاعل والمفعول (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمه الله كفارون (تلك الدار الآخرة) أى الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بالبغى (ولا فسادا) بعمل المعاصى (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) عقاب الله بعمل الطاعات (من جاء بالحسنة فله خير منها) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا) جزاء (ما كانوا يعملون) أى مثله (ان الذى فرض عليك القرآن) أنزله (لرادك الى معاد) الى مكة وكان قد اشتاقها (قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين) نزل جوابا لقول كفار مكة له انك فى ضلال أى فهو الجائى بالهدى وهم فى الضلال وأعلم بمعنى عالم (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) القرآن (الا)

قال

قال في الجوهرة

ولم تكن نبوة مكتسبه * ولو رقى في الخير اعلى عقبه

الخ (قوله لكن ألقى اليك الخ) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد غيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذفت نون الرفع للجازم) أى وهو لا الناهية (قوله لالتقائها مع النون الساكنة) أى ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما مشى عليه المفسر في تصريف الفعل انما يأتى على ندور وهو تأكيد الفعل الخالى عن الطلب فالاولى أن يقول وأصله يصدونك دخل الجازم فحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد اذ أنزلت اليك) أى بعد وقت انزالها عليك (قوله أى لا ترجع اليهم) أى لا تركن الى أقوالهم (قوله ولا تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم في الفعل) أى لفظا وان كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه) أى بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدنك فتأثر بالجازم وان كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فانه فصل بينهما واو الجماعة قال ابن مالك

* وأعربوا مضارعا ان عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) أشار بذلك الى أن المراد بالدعاء العبادة وحينئذ فليس في الآية دليل على مازعمه الخوارج من أن الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فانه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث اجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجبا لانه من التمسك بالاسباب ولا ينكر الاسباب الا جحود أو جهول (قوله كل شئ هالك الا وجهه) أى كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه لان وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال

من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال

والعارفون فنوا به لم يشهدوا * شيأ سوى المتكبر المتعالى

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * في الحال والماضى والاستقبال

وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطى في قوله

ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون في حيز العدم

هى العرش والكرسى ونار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهى معنى قول صاحب الجوهرة

وكل شئ هالك قد خصصوا * عمومه فاطلب لما قد لخصوا

ولا مفهوم لما عده السيوطى بل منها اجساد الانبياء والشهداء ومن في حكمهم والحور والولدان (قوله الا اياه) أشار بذلك الى أن المراد بالوجه الذات ويصح ان المراد به ما عمل لاجله سبحانه وتعالى فان ثوابه باق (قوله واليه ترجعون) أى في جميع أحوالكم

﴿سورة العنكبوت مكية﴾

مبتدأ وخبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهى تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدا والخبر بالجملة الحالية وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم ان أسماء السور توقيفى وقوله مكية أى كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية الا عشر آيات من أولها الى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فانها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة ان هذا القول أسلم لانه من المتشابه الذى يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستفهام يصح أن يكون للتقرير وحينئذ فيكون المعنى يجب على الناس أن يعترفوا بانهم لا يتركون سدى بل يمتحنون ويبتلون لان الدنيا دار بلاء وامتحان أو للتوبيخ وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان أى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بانهم لا يتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد

لكن ألقى اليك (رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا) معينا (للكافرين) على دينهم الذى دعوك اليه (ولا يصدنك) أصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك) أى لا ترجع اليهم في ذلك (وادع) الناس (الى ربك) بتوحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين) باعانتهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه (ولا تدع) تعبد (مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) الا اياه (له الحكم) القضاء النافذ (واليه ترجعون) بالنشور من قبوركم

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) الله أعلم بمراده به (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا) أى بقولهم (آمنا وهم لا يفتنون) يختبرون

مفعولى حسب وأن يقولوا علة للحسبان وقوله وهم لا يفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس
ويكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين أو من أجل نطقهم
بالشهادتين بل لابد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين ليتميز الراسخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة
ايمانهم) أى من المشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب فى الانفس والاموال (قوله نزل فى جماعة)
أى كعمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود
من الآية تسلية هؤلاء وتعليم من يأتى بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) أما حال من الناس
وحينئذ فالمعنى احسبوا ذلك والحال انهم علموا أن ذلك ليس سنة الله وان تجد لسنة الله تبديلا أو من
فاعل يفتنون والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الامم السابقة روى البخارى
عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة
فقلنا ألا تستنصر ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها فيؤتى
بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن
دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه
ولكنكم كنتم تستعجلون (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى وفى جانب
الكذب باسم الفاعل اشارة الى ان الكاذبين وصفهم مستمر لم يظهر منهم الا ما كان مخبأ وأما الصادقون
فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما
يقال ان علم الله لا تجدد فيه والجواب ان المراد ليظهر متعلق علم الله للناس ببيان الصادق من الكاذب
(قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ الى توبيخ فالاول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات
بمجرد الايمان من غير مشقة ولا تعب والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم انهم يفوتون عذاب الله
ويفرون منه مع دوامهم على الكفر (قوله الذين يحكمونه الخ) أشار بذلك الى أن ما اسم موصول
فاعل ساء ويحكمون صلته والعائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا ويصح أن
تكون ما مميزا والفاعل ضمير مفسر بما قال ابن مالك

وما مميز وقيل فاعل * فى نحو نعم ما يقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد ويجزم بأنه يلاقى الله فيرجو رحمته ويخاف عقابه وهذا
التفسير اتم مما قاله المفسر لان المؤمن المصدق بلقاء الله لابد له من الرجاء والخوف معا ويؤيد ما قلناه
جواب الشرط الذى قدره بقوله فليستعد له أى يتهيأ ويستحضر للرحمة والنجاة من العذاب (قوله فان
أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط والالزم ان من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له
بل الجواب ما قدره المفسر (قوله بأفعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الاصغر
وقوله أو نفس أى وهو الجهاد الاكبر وذلك لان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس أخته
ولا تغيب عن الانسان أبدا وهى خفية تظهر المحبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وأيضا اذا قتله
الكافر مات شهيدا وأما اذا قتلته نفسه فاما عاص أو كافر فلا شك ان جهاد النفس أكبر من جهاد
الكفار ولذا ورد فى الحديث انه قال بعد رجوعه من الجهاد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر قيل يا رسول الله وأى جهاد أكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان (قوله فانما يجاهد
لنفسه) أى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له فى توفيقكم لعبادته فالحصر اضافى فلا
ينافى انه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد فالمقصود نفى النفع عن الله لاستحالته عليه
(قوله ان الله لغنى عن العالمين) أى فلا يصل له منهم نفع ولا ضر لما فى الحديث القدسى يا عبادى لو أن
أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيأ يا عبادى
لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيأ
(قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية وهذا وعد حسن للمتصفين بالايمان (قوله لنكفرن

بما يتبين به حقيقة ايمانهم نزل فى جماعة آمنوا فآذاهم المشركون (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا) فى ايمانهم علم مشاهدة (وليعلمن الكاذبين) فيه (أم حسب الذين يعملون السيئات) الشرك والمعاصى (أن يسبقونا) يفوتونا فلا ننتقم منهم (ساء) بئس (ما) الذى (يحكمون) ه حكمهم هذا (من كان يرجوا) يخاف (لقاء الله فان أجل الله) به (لآت) فليستعد له (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بأفعالهم (ومن جاهد) جهاد حرب أو نفس (فانما يجاهد لنفسه) فان منفعة جهاده له لا لله (ان الله لغنى عن العالمين) الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن

عنهم سيئاتهم) أى لانؤاخذهم بها وهذا ظاهر فى غير المعصومين وأما المعصومون فلا سيئات لهم فما معنى تكفيرها أجيب بأن الكلام على الفرض والتقدير بمعنى انه لو وجدت منهم سيئات تكفر أو المراد بالسيئات خلاف الاولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله بمعنى حسن) أى فاسم التفضيل ليس على بابه لانه يوهم انهم يجازون على الاحسن لا على الحسن وقد يقال المراد بالاحسن الثواب الواقع فى مقابلة الاعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب فى نظير اعمالهم الصالحة فتأمل (قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا) سبب نزولها هى وآية لقمان والاحقاف ان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه احد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين الى الاسلام لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبى سفيان أن لاتأكل ولاتشرب ولاتستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فابى سعد أن يطيعها فصبرت ثلاثة أيام لاتأكل ولاتشرب ولاتستظل حتى غشى عليها فأتاها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلى وان شئت فلا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية بالوصية عليها وانما أمر الله الاولاد ببر والديهم دون العكس لان الاولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين فيكلفهم الله بما يخالف طبعهم والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالاولاد فوكلهم الله لما جبلوا عليه (قوله أى ايصاء ذا حسن) أشار بذلك الى ان حسنا صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف ويصح ان يبقى على مصدريته مبالغة على حذو زيد عدل (قوله بأن يبرهما) أى يحسن اليهما وأوجه البر كثيرة منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما فى غير معاصى الله وغير ذلك (قوله وان جاهداك لتشرك بى) أتى هنا باللام وفى لقمان بعلى حيث قال وان جاهداك على أن تشرك بى لان ماهنا موافق لما قبله فى قوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وما فى لقمان ضمن جاهداك معنى حملاك (قوله ما ليس لك به علم) ما مفعول تشرك أى الها لاعلم لك به (قوله موافقة للواقع) علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع أى ان الواقع ان الاله واحد فليس الهك به علم واله لاعلم لك به وأما الاصنام فاشراكها مع الله فى العبادة هزؤ ومخافة عقل اذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل ماعلم الها غير الله ولاظنه ولاتوهمه (قوله الى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن بر والديه واتبع الهدى ووعيد لمن عق والديه واتبع سبل الردى (قوله بما كنتم تعملون) أى بالصالح والسيء فيترتب على كل جزاؤه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم موصول مبتدأ وآمنوا صلته وقوله لندخلنهم الخ خبره (قوله بأن نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل ويجتمعون بهم فى البرزخ فاذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن أحب من الانبياء والاولياء حتى تقوم القيامة فحينئذ يكون مرافقا لهم فى الدرجات العالية قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما (قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ) لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم بين هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الاسلام وأخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ مؤخر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فاذا أوذى فى الله) أى آذاه الكفار على اظهار الايمان (قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى لم يصبر على الأذى بل ترك الدين الحق والتشبيه من حيث ان عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الايمان وكان يمكنهم الصبر على الاذى الى حد الاكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالايمان (قوله فيطيعهم) أى ظاهرا وباطنا وأما المكره فقد أطاع ظاهرا لا باطنا والمؤاخذة مرجعها للقلب (قوله والواو الخ) عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أى ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله انا كنا معكم فى الايمان) أى وان الذى وقع منا انما هو على سبيل الاكراه (قوله أى بعالم) أشار بذلك الى ان التفضيل فى صفات الله وأسمائه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أى ليظهر متعلق علمه للناس فيفتضح المنافق ويظهر شرف المؤمن الخالص (قوله ان كانت) أى على فرض حصولها والا فهم ليسوا مسلمين ان فى أتباعهم خطايا (قوله والامر بمعنى الخبر) أى فالمعنى ليكن منكم الاتباع ومنا

عنهم سيئاتهم) بعمل الصالحات (ولنجزينهم أحسن) بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء (الذى كانوا يعملون) وهو الصالحات (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى ايصاء ذا حسن بان يبرهما (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به) باشراكه (علم) موافقة للواقع فلا مفهوم له (فلا تطعهما) فى الاشراك (الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم به (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) الانبياء والاولياء بان نحشرهم معهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس) أى أذاهم له (كعذاب الله) فى الخوف منه فيطيعهم فينافق (ولئن) لام قسم (جاء نصر) للمؤمنين (من ربك) فغنموا (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (انا كنا معكم) فى الايمان فاشركونا فى الغنيمة قال تعالى (أوليس الله بأعلم) أى بعالم (بما فى صدور العالمين) بقلوبهم من الايمان والنفاق بلى (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) ديننا (ولنحمل خطاياكم) فى اتباعنا ان كانت والامر بمعنى الخبر قال تعالى (وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) فى ذلك (وليحملن أثقالهم) أوزارهم

(وأثقالا مع أثقالهم) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يكذبون على الله سؤال
توبيخ واللام في الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) وعمره اربعون سنة أو أكثر (فلبث

فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) يدعوهم الى توحيد الله (فكذبوه فأخذهم الطوفان) أي الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا (وهم ظالمون) مشركون (فأنجيناه) أي نوحا (وأصحاب السفينة) أي الذين كانوا معه فيها (وجعلناها آية) عبرة (للعالمين) لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسلهم وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة او أكثر حتى كثر الناس (و) اذكر (ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) خافوا عقابه (ذلكم خير لكم) مما أنتم عليه من عبادة الاصنام (ان كنتم تعلمون) الخير من غيره (انما تعبدون من دون الله) أي غيره (أوثانا وتخلقون افكا) تقولون كذبا ان الاوثان شركاء لله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يقدرون أن يرزقوكم (فابتغوا عند الله الرزق) اطلبوه منه (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا) أي تكذبوني يا أهل مكة (فقد كذب أمم من قبلكم) من قبلي (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الابلاغ البين في هاتين القصتين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في قومه (أولم يروا) بالياء والتاء ينظروا (كيف يبدئ الله الخلق) هو بضم أوله وقرئ بفتحه

من بدأ وأبدأ بمعنى أي يخلقهم ابتداء (ثم) هو (يعيده) أي الخلق
كما بدأهم (ان ذلك) المذكور من الخلق الاول والثاني (على الله يسير) فكيف ينكرون الثاني

الجمل (قوله وأثقالا مع أثقالهم) أي لان الدال على الشر كفاعله من غير أن ينقص من وزر الاتباع شيء (قوله عما كانوا يفترون) أي يختلقون من الاباطيل التي من جملتها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الامة وبين ان من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار بين هنا أن هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الامة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقدم ان نوحا اسمه عبد الغفار وقيل يشكر وكان يسمى السكن لان الناس بعد آدم سكنوا اليه فهو أبوهم ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روي انه مر بكلب فقال في نفسه ما أقبحه فأوحى الله اليه أعبتني أم اعبت الكلب اخلق أنت أحسن منه ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام (قوله وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدم انه اختلف في الاكثر فقيل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين وقيل مائة سنة وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم ألف سنة الخ) الحكمة في ذكر لبثه هذه المدة تسليته صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار في الاسلام فكان الله يقول لنبيه لا تحزن فان نوحا لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه الا القليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك والحكمة في المغايرة بين العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالخمسين اشارة الى أن نوحا لما غرقوا استراح وبقي في زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة (قوله طاف بهم وعلاهم) أي أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك (قوله ستين أو أكثر) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله وابراهيم) قرأ العامة بالنصب عطف على نوحا أو معمول لمحذوف كما درج عليه المفسر حيث قدر اذكر وقرئ شذوذا بالرفع على انه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين ابراهيم (قوله اعبدوا الله) أي امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) أي اجتنبوا نواهيه (قوله ذلكم) أي ما ذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما أنتم عليه الخ) أي في زعمكم ان فيه خيرا أو الاحسن ان يقال ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة (قوله الخير) أي وهو عبادة الله وقوله من غيره أي وهو عبادة غيره (قوله أوثانا) جمع وثن وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبودا (قوله وتخلقون افكا) أي تختلقونه وتخترعونه (قوله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطلبوه منه) أي ولا تطلبوه من غيره لانه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها (قوله واعبدوه واشكروا له) أي لان بالشكر تزداد النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله اليه ترجعون) أي تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصي (قوله وان تكذبوا) شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرني تكذيبكم وانما تضرون أنفسكم وقوله فقد كذب أمم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا الى قوله فما كان جواب قومه جمل معترضة بين كلام ابراهيم وجواب قومه له اشارة الى ان المقصود بالخطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلي) من اسم موصول مفعول كذب والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم (قوله في هاتين القصتين) أي قصة نوح وابراهيم (قوله وقد قال تعالى) أي ردا على منكري البعث (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدئ الله الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر وهذه الاصول الثلاثة يجب الايمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحه) أي شذوذا (قوله من بدأ وأبدأ) لف ونشر مشوش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير اشارة

الى

(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) لمن كان قبلكم وأماتهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) مدا وقصرا مع سكون الشين (ان الله على كل شئ قدير) ومنه البدء والاعادة (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (في الارض ولا في السماء) لو كنتم فيها أي لا تفوتونه (وما لكم من دون الله) اي غيره (من ولي) يمنعكم منه (ولا نصير) ينصركم من عذابه (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) أي القرآن والبعث (أولئك يئسوا من رحمتي) أي جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم) مؤلم قال تعالى في قصة ابراهيم (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار) التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردا وسلاما (ان في ذلك) أي انجائه منها (لآيات) هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها واخمادها وانشاء روض مكانها في زمن يسير (لقوم يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بها (وقال) ابراهيم (انما اتخذتم من دون الله أوثانا) تعبدونها وما مصدرية (مودة بينكم) خبران وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة المعنى تواددتم على عبادتها (في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الاتباع (ويلعن بعضكم بعضا) يلعن الاتباع القادة (ومأواكم) مصيركم جميعا (النار وما لكم من ناصرين) مانعين منها (فآمن له) صدق بابراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وقال) ابراهيم (اني مهاجر) من قومي (الى ربي) أي الى حيث أمرني ربي وهجر قومه وهاجر من سواد العراق الى الشام (انه هو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ووهبنا له) بعد اسمعيل (اسحق ويعقوب) بعد اسحق (وجعلنا في ذريته النبوة) فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته (والكتاب) بمعنى الكتب أي التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه أجره في الدنيا)

الى ان الجملة ليست معطوفة على ما قبلها بل هي مستأنفة (قوله قل سيروا في الارض) أمر من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقول لمنكري البعث ما ذكر لتشاهدوا كيف انشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على انشائها ابتداء اقدر على اعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصر والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) أي في الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء أي فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) أشار بذلك الى أن المراد بالارض والسماء حقيقتهما ويصح أن يراد بهما جهة السفل والعلو (قوله أي القرآن والبعث) لف ونشر مرتب فالاول راجع للآيات والثاني راجع للقاء (قوله أولئك يئسوا من رحمتي) أي يوم القيامة وعبر بالماضي لتحقق وقوعه (قوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه الخ) أي لم يكن جواب قوم ابراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الاوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة الا ذلك فان النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسئ الى من أحسن اليها وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لان الشأن ان الآمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والذي يتولى ذلك الصغار وأجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أتى هنا بالترديد واقتصر في الانبياء على أحد الامرين وهو الذي فعلوه اشارة الى أن ما هنا حكاية عن اصل تشاورهم وما في الانبياء عن عزمهم وتصميمهم على ما فعلوه (قوله فأنجاه الله من النار) في الكلام حذف والتقدير فقذفوه في النار فأنجاه الله الخ والى هذا أشار المفسر بقوله التي قذفوه فيها (قوله هي) أي الآيات (قوله واخمادها) أي سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الاخماد فهو طفء النار بالمرة (قوله في زمن يسير) أي مقدار طرفة عين (قوله لانهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير وخصوا بالذكر لانهم الخ (قوله وقال ابراهيم) عطف على قوله فأنجاه الله من النار (قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا) ان حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم ان وأوثانا مفعول أول والمفعول الثاني محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها ومودة خبران ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة أي سواء قرئ بتنوين مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ اما متعد لواحد أو لاثنين والثاني هو قوله من دون الله ويصح ان تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلته والعائد محذوف والتقدير ان الذي اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لاجل المودة بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على اضافة مودة للظرف وبني لاضافته لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح اذا جعل بينكم فاعلا فتحصل ان القراآت اربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبعية (قوله المعنى) أي الحاصل من تلك القراآت (قوله يتبرأ القادة) أي ينكرونهم ويقولون لهم لا نعرفكم (قوله صدق بابراهيم) أي بنبوته وان كان مؤمنا قبل ذلك ويجب الوقف على لوط لان قوله وقال اني مهاجر من كلام ابراهيم فلو وصل لتوهم انه من كلام لوط (قوله أي الى حيث أمرني ربي) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ اثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) أي فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم وكان عمر ابراهيم اذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) أي بعد هجرته (قوله بعد اسمعيل) أي باربع عشرة سنة (قوله في ذريته) أي ابراهيم (قوله فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته) أي لانحصار الانبياء في اسمعيل واسحق ومدين جد شعيب

وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا (و) اذكر (لوطا إذ قال لقومه أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لتأتون الفاحشة) أي أدبار الرجال (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) الإنس والجن (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم (وتأتون في ناديكم) أي متحدثكم (المنكر) فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه (قال رب انصرني) بتحقيق قولي في إنزال العذاب (على القوم المفسدين) العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) بإسحق ويعقوب بعده (قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية) أي قرية لوط (إن أهلها كانوا ظالمين) كافرين (قال) إبراهيم (إن فيها لوطا قالوا) أي الرسل (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) بالتخفيف والتشديد (وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) صدرا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك) بالتشديد والتخفيف (وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (إنا منزلون) بالتخفيف والتشديد (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما) بالفعل الذي (كانوا يفسقون) به أي بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) ظاهرة هي آثار خرابها (لقوم يعقلون) يتدبرون (و) أرسلنا (إلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) اخشوه هو يوم القيامة (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة أفسد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (و) أهلكنا (عادا وثمودا)

(قوله وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان) أي فجميع أهل الأديان يحبونه ويذكرونه بخير وينتمون إليه (قوله لمن الصالحين) أي الكاملين في الصلاح (قوله ولوطا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) أي أهل سذوم وتوابعها (قوله وإدخال ألف بينهما) أي وعدمه فالقراآت أربع سبعيات (قوله الإنس والجن) أي من عهد آدم إلى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم) قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) أي والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله إلا أن قالوا ائتنا الخ) أي على سبيل الاستهزاء (قوله بإتيان الرجال) أي وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) أي فأمر الملائكة بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين فبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة وأنذروا قوم لوط بالعذاب (قوله بإسحق ويعقوب) أي وبهلاك قوم لوط (قوله قال إن فيها لوطا) هذا بعض المجادلة التي تقدمت في قوله يجادلنا في قوم لوط حيث قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا إلى أن قال أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقين في العذاب) أي الذين لم يخلصوا منه لأن الدال على الشر كفاعله وهي قد دلت القوم على أضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما أن جاءت) أن زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أن الباء في بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول عن الفاعل أي ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسير لحاصل المعنى وإلا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محل الكاف) أي وهو النصب على أنها مفعول منجو (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هي آثار خرابها) وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله عز وجل حتى أدركها أوائل هذه الأمة وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (قوله لقوم يعقلون) متعلق بتركنا أو بينة وخصهم لأنهم المنتفعون بالاتعاظ بها (قوله وإلى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) أي لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذي هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) أي وحدوه (قوله وارجوا اليوم) يصح أن يبقى الرجاء على معناه ويكون المعنى ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر ويصح أن يكون بمعنى خافوا والمعنى خافوا عقاب الله في اليوم الآخر وإليه يشير المفسر بقوله اخشوه (قوله من عثي بكسر المثلثة) أي من باب تعب ويصح أن يكون من باب قال (قوله فكذبوه) إن قلت مقتضى الظاهر أن يقال فلم يمتثلوا أوامره لأن التكذيب إنما يكون في الأخبار أجيب بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للخبر كأنه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع إلى الأخبار (قوله فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم في هود فأخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فإن سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب في هلاكهم فتارة يضاف الأخذ للسبب

بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة (وقد تبين لكم) اهلاكهم (من مساكنهم) بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) ذوى 181 بصائر (و) أهلكنا (قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم) من قبل (موسى بالبينات) الحجج الظاهرات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين عذابنا (فكلا) من المذكورين (أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى أصناما يرجون نفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه (وان أوهن) أضعف (البيوت لبيت العنكبوت) لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها (لو كانوا يعلمون) ذلك ما عبدوها (ان الله يعلم ما) بمعنى الذى (يدعون) يعبدون بالياء والتاء (من دونه) غيره (من شئ وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (وتلك الامثال) فى القرآن (نضربها) نجعلها (للناس وما يعقلها) أى يفهمها (الا العالمون) المتدبرون (خلق الله السموات والأرض بالحق) أى محقا (ان فى ذلك لآية) دلالة على قدرته تعالى (للمؤمنين) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها فى الايمان بخلاف الكافرين (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) القرآن (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) شرعا أى من شأنها ذلك ما دام المرء فيها

وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه العلمية التى هى احدى علتى منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبى القبيلة فقد وجدت فيه العلتان (قوله اهلاكهم) أشار بذلك الى ان فاعل تبين ضمير عائد على الاهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لعاد (قوله وكانوا مستبصرين) أى بواسطة الرسل فلم يكن لهم عذر فى ذلك لان الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى بصائر) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أى تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم فى رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالما لانه انما هو المتصرف فى ملكه على ما يريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه أى فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناما يعبدونها فى اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت فى اتخاذها بيتا لا يغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الأولياء على الاصنام مخرج للاولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق باذيالهم مأمور به وهم أسباب عادية تتنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم خلافا لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال انه أقنع الحيوانات جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه أصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم فى الجمع عناكب وفى التصغير عنيكيب (قوله وان أوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الاصنام لا تنفع عابديها) أى فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شئ ومن التجأ الى الله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعف الاشياء (قوله ما عبدوها) قدره اشارة الى أن جواب لو محذوف (قوله بمعنى الذى) أشار بذلك الى أن ما اسم موصول وجملة يدعون صلتها والموصول وصلته معمول ليعلم (قوله أى يفهمها) أى تفهم صحتها وفائدتها (قوله الا العالمون) خصهم لانهم المنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) أشار بذلك الى أن الباء فى بالحق للملابسة والجار والمجرور حال (قوله خصوا بالذكر) جواب عما يقال ان فى خلق السموات والارض آية لكل عاقل (قوله اتل ما أوحى اليك) أى ما أوحاه الله اليك بنزول جبريل به والمعنى تقرب الى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك لان فيه محاسن الآداب ومكارم الاخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله وأقم الصلاة) أى دم على اقامتها بأركانها وشروطها وآدابها فانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والخطاب للنبى والمراد هو وأمته بدليل مدحهم فى آية ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أى المواظبة عليها تكون سببا فى تطهيره من الفحشاء والمنكر اذا استوفيت شروطها وآدابها لان الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والمعنوى وتجديد التوبة فاذا وقف بين يدى الله وخشع وتذكر أنه واقف بين يدى مولاه وانه مطلع عليه يراه فحينئذ يظهر على جوارحه هيئتها وقوله ما دام المرء فيها هذا أحد قولين والقول الصحيح انها تنهى عنها فى سائر الأوقات لما روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف للنبى صلى الله

عليه وسلم حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله وروى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم فى ذلك فقال انى واقف بين يدى الله تعالى وحق لى هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بان كانت لاخشوع فيها ولاتذكر فانها لاتكون سببا فى نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ماهو عليه من البعد لما ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الابعدا (قوله ولذكر الله) أى بسائر أنواعه أكبر أى أفضل الطاعات على الاطلاق لما روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة فالذكر أفضل الاعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد انه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالاكثار منه فتتنور قلوبهم (قوله والله يعلم ما تصنعون) أى من خير وشر فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) أى لا تدعوهم الى دين الله الا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلهم يهتدون وقوله الا الذين ظلموا أى فادعوهم الى دين الله بالاغلاظ والشدة وقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بان حاربوا الخ) أشار بذلك الى أن المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعا فلا يقال ان الكل ظالمون لانهم كفار (قوله أو يعطوا الجزية) أى يلتزموا باعطائها (قوله وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) أى لما روى أنه كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم الآية وفى رواية وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ومحل ذلك مالم يتعرضوا الأمور توجب نقض عهدهم كان يظهروا أن شرعهم غير منسوخ وان نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاتلهم ومحله أيضا مالم يخبرونا بخبر موافق لما فى كتابنا والا وجب تصديقهم من حيث ان الله أخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) أى نفعناهم به بان أعطيناهم نوره وظهرت ثمرته عليهم هم الذين يؤمنون به والا فالجميع علماؤهم أوتوا الكتاب ولم يسلم منهم الا القليل ويصح أن يكون المراد فريق من أهل الكتاب الخ (قوله وما يجحد بآياتنا) أى ينكرها بعد معرفتها (قوله أى اليهود) لامفهوم له بل النصارى والمشركون كذلك فالمناسب أن يقول الا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب) شروع فى اثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وانه معجز للبشر كأن الله يقول لأهل الكتاب أنتم لا عذر لكم فى انكار القرآن ولا فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم لان من جملة صفاته فى كتبهم انه أمى لا يقرأ ولا يكتب ووجد بهذه الصفة ولو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك فى نبوته وفى القرآن لوجوده على خلاف الصفة التى فى كتبهم (قوله من كتاب) مفعول تتلو ومن زائدة (قوله أى لو كنت قارئا كاتبا) لف ونشر مرتب (قوله اليهود) لامفهوم له (قوله بل هو آيات بينات) اضراب عما تقدم من الارتياب (قوله أى المؤمنين يحفظونه) أى لفظا ومعنى لما ورد وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم أى كالأناجيل والمعنى أن القرآن محفوظ فى صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتا فى أناجيلهم

(ولذكر الله أكبر) من غيره من الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) فيجازيكم به (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى) أى المجادلة التى (هى أحسن) كالدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه (الا الذين ظلموا منهم) بان حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية (وقولوا) لمن قبل الاقرار بالجزية اذا أخبروكم بشئ مما فى كتبهم (آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم فى ذلك (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) القرآن كما أنزلنا اليهم التوراة وغيرها (فالذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) بالقرآن (ومن هؤلاء) أى أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا) بعد ظهورها (الا الكافرون) أى اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائى به محق وجحدوا ذلك (وما كنت تتلو من قبله) أى القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا) أى لو كنت قارئا كاتبا (لارتاب) شك (المبطلون) اليهود فيك وقالوا الذى فى التوراة انه أمى لا يقرأ ولا يكتب (بل هو) أى القرآن الذى جئت به (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) أى المؤمنين يحفظونه



(وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وقالوا) أي كفار مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) أي محمد (آية من
ربه) وفي قراءة آيات كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قل) لهم (إنما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء (وإنما أنا نذير مبين)
مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية (أولم يكفهم) فيما طلبوا (أنا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلى عليهم) فهو آية
مستمرة لا انقضاء لها بخلاف
ما ذكر من الآيات (إن في
ذلك) الكتاب (لرحمة وذكرى)
عظة (لقوم يؤمنون قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا)
بصدقي (يعلم ما في السموات
والارض) ومنه حالي وحالكم
(والذين آمنوا بالباطل) وهو
ما يعبد من دون الله (وكفروا
بالله) منكم (أولئك هم
الخاسرون) في صفقتهم حيث
اشتروا الكفر بالايمان
(ويستعجلونك بالعذاب ولولا
أجل مسمى) له (لجاءهم
العذاب) عاجلا (وليأتينهم
بغتة وهم لا يشعرون) بوقت
إتيانه (يستعجلونك بالعذاب)
في الدنيا (وإن جهنم لمحيطة
بالكافرين يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت
أرجلهم ونقول) فيه بالنون
أي نأمر بالقول وبالياء أي
يقول الموكل بالعذاب (ذوقوا
ما كنتم تعملون) أي جزاءه فلا
تفوتوننا (يا عبادي الذين
آمنوا إن أرضي واسعة فإياي
فاعبدون) في أي أرض
تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا
إليها من أرض لم تتيسر فيها نزل
في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في
ضيق من إظهار الاسلام بها
(كل نفس ذائقة الموت ثم
إلينا ترجعون) بالتاء والياء
بعد البعث (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم) ننزلنهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء الإقامة وتعديته إلى غرفا بحذف في (من الجنة غرفا تجري من
تحتها الأنهار خالدين) مقدرين الخلود (فيها نعم أجر العاملين) هذا الأجر هم (الذين صبروا) أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار
الدين (وعلى ربهم يتوكلون) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وكأين) كم (من دابة لا تحمل رزقها) لضعفها

(قوله وما يجحد بآياتنا) أي القرآن (قوله اليهود) تقدم ما فيه (قوله وفي قراءة آيات) أي وهما
سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) أي على ما يريد ولا دخل لأحد في ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة
يأتي بفضل الله (قوله أولم يكفهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه التقدير أجهلوا ولم
يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أنا أنزلنا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يكف
والتقدير أولم يكفهم إنزالنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله يتلى عليهم (قوله بخلاف
ما ذكر من الآيات) أي فانقضت بموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون
بذلك (قوله ومنه حالي وحالكم) أي من جملة ما في السموات والارض (قوله والذين آمنوا بالباطل)
أي خضعوا له وعبدوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالايمان) أي أخذوا الكفر وتركوا الايمان
(قوله ولولا أجل مسمى له) أي للعذاب (قوله وليأتينهم بغتة) أي كوقعة بدر فإنها أتتهم على حين غفلة
(قوله وهم لا يشعرون) أي لا يظنون أن العذاب يأتيهم أصلا (قوله يستعجلونك بالعذاب) تعجب من
قلة فطنتهم ومن تعنتهم والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لا مفر
لهم منها (قوله يوم يغشاهم العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال أي ستحيط بهم في ذلك
اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم) تفسير للإحاطة وهو بمعنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش (قوله أي نأمر بالقول) إنما أوله جمعا بين ما هنا وبين قوله في الأخرى لا يكلمهم
الله يوم القيامة (قوله أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يا عبادي الذين
آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام في مكة كما قال المفسر والإضافة
لتشريف المضاف (قوله فإياي فاعبدون) إياي منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور (قوله
كانوا في ضيق الخ) أي فوسع الله لهم الأمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن تعسرت عليه
العبادة في بلد فعليه أن يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
فالمهم العبادة في أي مكان تيسر ولا يعول على مكان في الدنيا لأنها دار ممر لا مقر والعارف طريق
لا يعول على مسكن ولا قرار في طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) أي لا تقيموا بدار الشرك خوفا
من الموت فإن كل نفس ذائقة الموت فالحكمة في تخويفهم من الموت كون مفارقة الأوطان تهون
عليهم فإن من أيقن بالموت هان عليه كل شيء في الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر
أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وفي قراءة
بالمثلثة) أي الساكنة بعد النون وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرفا على هذه القراءة إما
منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين نثوي معنى ننزل فيتعدى لاثنين (قوله
تجري من تحتها) أي الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين فيها حال مقدرة
أي أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم في النعيم لسماعهم النداء من قبل الله يا أهل الجنة خلود
بلا موت (قوله هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعت
للعاملين أو خبر لمحذوف كما قال المفسر (قوله لإظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكأين من
دابة لا تحمل رزقها) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا كيف
نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا وقوله لا تحمل رزقها أي لا تدخره
لغد كالبهائم والطير قال سفيان بن عيينة ليس شيء من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة

(الله يرزقها وإياكم) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بضمائركم (ولئن) لام قسم (سألتهم) أي الكفار (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء 184 من عباده) امتحانا (ويقدر) يضيق (له) بعد البسط أي لمن يشاء ابتلاء (ان الله بكل شئ عليم) ومنه محل البسط والتضييق (ولئن) لام قسم (سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) فكيف يشركون به (قل) لهم (الحمد لله) على ثبوت الحجة عليكم (بل أكثرهم لا يعقلون) تناقضهم في ذلك (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) بمعنى الحياة (لو كانوا يعلمون) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) أي الدعاء أي لا يدعون معه غيره لانهم في شدة لا يكشفها الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) به (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك (أولم يروا) يعلموا (أنا جعلنا) بلدهم مكة (حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) قتلا وسبيا دونهم (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) باشراكهم (ومن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن أشرك به (أو كذب بالحق) النبي أو الكتاب (لما جاءه أليس في جهنم مثوى) مأوى (للكافرين) أي فيها ذلك وهو منهم (والذين جاهدوا فينا) في حقنا (لنهدينهم سبلنا) اي طرق السير الينا (وان الله لمع المحسنين) المؤمنين بالنصر والعون

لمعهم

الحديث

(قوله الله يرزقها وإياكم) أي فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوي في أمر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين فينبغي للانسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى ولا ينافي هذا أخذه في الاسباب لان الله تعالى أوجد الاشياء عند أسبابها لا بها فالاسباب لا تنكر ومن أنكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم) أي كفار مكة (قوله من خلق السموات والارض الخ) أتى في جانب السموات والارض بالخلق وفي جانب الشمس والقمر بالتسخير اشارة الى أن الحكمة في خلقهما التسخير الذي ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم بخلاف السموات والارض فالنفع في مجرد خلقهما (قوله فأنى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له) أي فلا تركن لغيره فليس مالك الضر ولا النفع (قوله فأحيا به) أي بالنبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) أي جدبها وقحط أهلها (قوله فكيف يشركون به) أي بعد اقرارهم (قوله بل أكثرهم لا يعقلون) أي والاقل يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وما هذه الحياة الدنيا) أشار بذلك الى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة فينبغي للعاقل التجافي عنها وأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة قال بعض العارفين

تأمل في الوجود بعين فكر ❊ ترى الدنيا الدنية كالخيال

ومن فيها جميعا سوف يفنى ❊ ويبقى وجه ربك ذو الجلال

(قوله الا لهو ولعب) اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه أصلا (قوله وأما القرب) أي كالتوحيد والذكر والعبادة (قوله بمعنى الحياة) أي الدائمة الخالدة التي لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو أي ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فاذا ركبوا في الفلك الخ) أي وذلك أن الكفار كانوا اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله اذا هم يشركون) جواب لما والمعنى عادوا الى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم بأعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصيرورة وقوله وليتمتعوا عطف عليه (قوله وفي قراءة بسكون اللام) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أمر تهديد) أي في الفعلين بدليل الوعيد المترتب عليهما بقوله فسوف يعلمون فالحاصل أنه اذا سكنت اللام في الثاني تعين كونها للامر في الفعلين وان لم تسكن كانت في الفعلين للعاقبة والصيرورة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أعموا ولم يروا الخ (قوله ويتخطف الناس) الجملة حالية على تقدير المبتدا أي وهم يتخطف الخ (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون ان هذه الآية نزلت قبل الامر بالجهاد لكونها مكية وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس قال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقيل والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا لما في الحديث من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم (قوله لنهدينهم سبلنا) أي طرق الوصول الى مرضاتنا فالطريق هي العمل بالاحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار اليها بقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (قوله لمع المحسنين) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لاظهار شرفهم بوصف الاحسان والمعنى وان الله

لمعهم بالعون والنصر والمحبة فهي معية خاصة واليها الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث

﴿سورة الروم﴾

مبتدأ وستون خبر أول ومكية خبر ثان وظاهر المفسر ان كلها مكي وقيل الا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا أصح التفاسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وسمي عيصو لانه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل أن يخرج قبل الآخر فقال عيصو ليعقوب ان لم أخرج قبلك والا خرجت من جنبها فتأخر يعقوب شفقة منه فلهذا كان أبا الانبياء وعيصو أبا الجبارين وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهر زان وبعث قيصر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى يخنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي أدنى الشأم الى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف الجمحي وقال كذبت فقال له الصديق أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل أجلا أناحبك أي أقامرك وأراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر فقال أبي ان ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك وان ظهر فارس على الروم غرمت لي ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا قال فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الاجل فأجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين فقال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال اني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر ولزمه وقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج الى أحد ثم رجع أبي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم اياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به (قوله وهم أهل كتاب) أي نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل الكتاب أي بل هم مجوس فنصرهم علامة على نصر كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يعبدون الأوثان) أي التي من جملتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أي فادنى افعل تفضيل وأل عوض عن المضاف اليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وجملة سيغلبون خبر (قوله في بضع سنين) متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف أي في انتهاء بضع سنين وأبهم البضع لادخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت (قوله فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول) أي يوم بدر ان كانت الواقعة الاولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم

﴿سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الله أعلم بمراده بذلك (غلبت الروم) وهم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الاوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم (في أدنى الارض) أي أقرب أرض الروم الى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أضيف المصدر الى المفعول أي غلبة فارس اياهم (سيغلبون) فارس (في بضع سنين) هو ما بين الثلاث الى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الاول وغلبت الروم فارس

(لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل غلب الروم ومن بعده المعنى ان غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أي ارادته (ويومئذ) أي يوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) اياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب (الرحيم) بالمؤمنين (وعد الله) مصدر بدل من اللفظ بفعله والاصل وعدهم الله النصر (لا يخلف الله وعده) به (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) أى معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك (وهم عن الآخرة هم غافلون) اعادة هم تأكيد (أولم يتفكروا فى أنفسهم) ليرجعوا عن غفلتهم (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) لذلك تفنى عند انتهائه وبعده البعث (وان كثيرا من الناس) أى كفار مكة (بلقاء ربهم لكافرون) أى لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم وهى اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كانوا أشد) عمارة (منهم قوة) كعاد وثمود (وأثاروا الارض) حرثوها وقلبوها للزرع والغرس (وعمروها أكثر مما عمروها) أى كفار مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الظاهرات (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيبهم رسلهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) تأنيث الاسوأ الاقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم واساءتهم (أن) أى بأن (كذبوا بآيات الله) القرآن (وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤ الخلق) أى ينشئ خلق الناس (ثم يعيده) أى خلقهم بعد موتهم (ثم اليه ترجعون) بالتاء والياء

الحديبية ان كانت الاولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فاقبل فى خمسمائة ألف رومى الى الفرس وغلبوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله لله الامر) أى لا لغيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة ببناء قبل وبعد على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (قوله أى من قبل غلب الروم) أى من قبل كونهم غالبين وقوله ومن بعده أى من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى ان غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم وحاصل الجواب ان فائدته اظهار ان ذلك بأمر الله لان شأن من غلب بعد كونه مغلوبا أن يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولا (قوله أى يوم تغلب الروم) أشار بذلك الى أن تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) أى فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا أحد قولين وهو مبنى على أن الواقعة الاولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل يوم الحديبية بناء على ان الاولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) أى مؤكد لمضمون الجملة التى تقدمت وعامله محذوف أى وعدهم الله وعدا (قوله به) أى النصر (قوله لا يعلمون) أى لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) أى الاكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) أى وأما باطنها وهو كونها مجازا الى الآخرة يتزود فيها بالاعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله اعاده) أى لفظ هم (قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اعموا ولم يتفكروا (قوله الا بالحق) أى بالحكمة لا عبثا (قوله تفنى عند انتهائه) أى تنعدم السموات والارض وما بينهما عند انقضاء ذلك الاجل (قوله بلقاء ربهم) متعلق بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها فى غير محلها وهو خبر ان (قوله أولم يسيروا فى الارض) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اقعدوا ولم يسيروا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة أولم يتفكروا عطف سبب على مسبب لان السير سبب للتفكر (قوله وأثاروا الارض) بالقصر لعامة القراء وقرئ شذوذا وآثاروا بألف بعد الهمزة (قوله أكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف أى عمارة أكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى فلم يذعنوا لها بل كذبوا بها (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار بل معاملة ملك عدل رحيم وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالما اذ لا مشارك له فى خلقه ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه (قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) بيان لعاقبة أمرهم اثر بيان حالهم فى الدنيا (قوله خبر كان على رفع عاقبة) أى وعاقبة اسمها وهى مضافة للموصول وأساؤا صلته والسوآى صفة لموصوف محذوف أى المجازاة السوآى وهى جهنم خبر كان وقوله واسم كان على نصب عاقبة أى فالسوآى اسم كان مؤخر وعاقبة خبر كان مقدم وعلى كل فقوله أن كذبوا خبر لمحذوف تقديره واساءتهم ان كذبوا فهى جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوآى وهذا ما اختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها وذكر الفعل لان اسم كان على كل مجازى التأنيث (قوله والمراد بها) أى السوآى (قوله أى بأن كذبوا) أشار بذلك الى أن الكلام على تقدير الباء وهى للسببية (قوله الله يبدؤ الخلق) عبر بالمضارع اشارة الى أن البدء متجدد شيأ فشيأ ما دامت الدنيا (قوله أى ينشئ خلق الناس) أى يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء)

(ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكت المشركون لانقطاع حجتهم (ولم يكن) اى لا يكون (لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم (شفعاء وكانوا) أى يكونون (بشركائهم كافرين) أى متبرئين منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ) تأكيد (يتفرقون) أى المؤمنون والكافرون (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) جنة (يحبرون) يسرون (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) القرآن (ولقاء الآخرة) البعث وغيره (فأولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله) أى سبحوا الله بمعنى صلوا (حين تمسون) أى تدخلون فى المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وحين تصبحون) تدخلون فى الصباح وفيه صلاة الصبح (وله الحمد فى السموات والارض) اعتراض ومعناه يحمده أهلهم (وعشيا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وحين تظهرون) تدخلون فى الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحى ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) أى يبسها (وكذلك) الاخراج (تخرجون) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (ومن آياته) تعالى الدالة على قدرته (أن خلقكم من تراب) أى أصلكم آدم (ثم اذا أنتم بشر) من دم ولحم (تنتشرون) فى الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لتسكنوا اليها) وتألفوها (وجعل بينكم) جميعا (مودة ورحمة ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يتفكرون) فى صنع الله تعالى

أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويوم تقوم الساعة) أى وهو يوم الاعادة (قوله يسكت المشركون) أى عن جواب يدفع عنهم العذاب (قوله أى لا يكون) أشار بذلك الى أن الماضى بمعنى المضارع لان المنفى بلم ماضى المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين (قوله تأكيد) أى لفظى (قوله أى المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أول الله يبدؤ الخلق ثم يعيده (قوله فهم فى روضة) الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة (قوله يحبرون) أى يكرمون وينعمون بما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين روى ان فى الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (قوله وأما الذين كفروا) مقابل قوله فأما الذين آمنوا (قوله وغيره) أى كالجنة والنار (قوله محضرون) أى حاضرون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر أولا انه يبدؤ الخلق ويعيده وان الخلق يكونون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير ذكر هنا أنه منزه عن النقائص اشارة الى أن تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) انما فسر التسبيح بالصلاة لان التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان ولا شئ أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله أى تدخلون فى المساء) أشار بذلك الى أن تمسون وتصبحون فعلان تامان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك الى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس وخصها بالذكر دون سائر العبادات لانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين (قوله اعتراض) أى بين المعطوف والمعطوف عليه والحكمة فى ذلك الاشارة الى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغى أن يحمد عليها (قوله وكذلك تخرجون) أى فالقادر على اخراج الحى من الميت وعكسه واحياء الارض قادر على احياء الخلق بعد موتهم ففى ذلك رد على منكرى البعث (قوله للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومن آياته أن خلقكم من تراب) شروع فى ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وذكر لفظ من آيات ست مرات تنتهى عند قوله اذ أنتم تخرجون وابتدأها بذكر خلق الانسان ثم بخلق العالم علويا وسفليا اشارة الى أن الانسان هو المنتفع بها والحكمة فى ذكر تلك الآيات ليهتدى بها من أراد الله هدايته وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله أى أصلكم آدم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره لان النطفة ناشئة من الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم اذا أنتم بشر) عبر بثم اشارة الى أن تراخى أطواره لكونه أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر أطواره وأتى بعدها باذا الفجائية اشارة الى أنه لم يفصل بين تلك الاطوار وبين البشرية فاصل وان كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) أى زوجات (قوله من ضلع آدم) أى الأيسر القصير وهو نائم فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها فقال وما مهرها فقيل له أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) أى باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فاذا تخلف هذا الأمر بان لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله ان فى ذلك) أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) اى يتأملون فى تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان سيما اذا تأمل فى خلق الله اياه من نطفة ثم جعله بشرا سويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة وأسكن بينهما المحبة والشفقة فاذا أراد جماعها زين له وجعل بينهما اللذة فاذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من أنواع التفكرات فاذا تأمل الانسان فى ذلك كان

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما (وألوانكم) من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (للعالمين) بفتح اللام وكسرها أى ذوى العقول وأولى العلم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) بارادته راحة لكم (وابتغاؤكم) بالنهار (من فضله) أى تصرفكم فى طلب المعيشة بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم) أى اراءتكم (البرق خوفا) للمسافرين من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) أى يبسها بأن تنبت (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) بارادته من غير عمد (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) بأن ينفخ اسرافيل فى الصور للبعث من القبور (اذا أنتم تخرجون) منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى (وله من فى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (كل له قانتون) مطيعون (وهو الذى يبدأ الخلق) للناس (ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو أهون عليه) من البدء بالنظر الى ماعند المخاطبين من أن اعادة الشئ أسهل من ابتدائه والا فهما عند الله تعالى سواء فى السهولة (وله المثل الأعلى فى السموات والارض) أى الصفة العليا وهى أنه لا اله الا الله (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ضرب) جعل (لكم) أيها المشركون (مثلا) كائنا (من أنفسكم) وهو (هل لكم مما ملكت أيمانكم) أى من مماليككم (من شركاء) لكم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها

سببا فى زيادة معارفه وأدبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول الى الله تعالى ومنه ماروى حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة (قوله ومن آياته خلق السموات والأرض) أى انشاؤهما من العدم الى الوجود (قوله أى لغاتكم) أى بأن خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله وألوانكم) أى فجعلكم ألوانا مختلفة منكم الأبيض والأسود والمتوسط وغاير بين أشكالكم حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان فى شئ من ذلك وان كانا فى غاية التشابه وانما قرن هذا بخلق السموات والأرض وان كان من جملة خلق الانسان اشارة الى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لاتحجبهم المصنوعات عن صانعها بل يشهدون الصانع فى المصنوعات قال العارف

* وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد * (قوله منامكم بالليل والنهار) قيل فى الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار حذف حرف الجر لاتصاله بالليل والأحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لاسيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (قوله بارادته) أى فلا قدرة لاحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) أى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غاير بين رؤس الآى تفننا فان أهل العقل هم أهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويريكم مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر وحذفت ان من الفعل لدلالة ماقبله ومابعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم ومايأتى (قوله أن تقوم السماء والارض) أى تثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول (قوله من الأرض) متعلق بدعاكم (قوله فى الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الأرواح الى أجسادها لان فيه طاقات بعدد الأرواح فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله اذا أنتم تخرجون) عبر فى ابتداء خلق الانسان بثم حيث قال ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وتركها من هنا لانه فى ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخى لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تدريج فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) أى لافعاله طاعة انقياد لاطاعة عبادة وقيل المعنى قائمون للحساب وقيل مقرون بالعبودية امابالسان أو الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله يعيد وذكر الضمير مراعاة للخبر (قوله بالنظر الى ماعند المخاطبين) أى فهو مبنى على مايقتضيه عقولهم لان من أعاد منهم شيأ كان أهون عليه وأسهل من انشائه وهو جواب عما يقال ان أفعال الله كلها متساوية بالنسبة الى قدرته تعالى وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه فأهون بمعنى هين (قوله أى الصفة العليا) أشار بذلك الى أن المثل بمعنى الصفة والأعلى بمعنى العليا أى المرتفعة المنزهة عن كل نقص (قوله وهى أنه لا اله الا الله) أى فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) أى صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كائنا من أنفسكم) أشار بذلك الى أن من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلا (قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومن زائدة ومما ملكت أيمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعيضية فتحصل ان من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) أى ملكناكم وأشار بذلك الى أن الرزق حقيقة لله تعالى

وايضاح

(فأنتم) وهم (فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النفى المعنى ليس مماليككم شركاء لكم الى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له (كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعقلون) يتدبرون (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله) أى لا هادى له (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فأقم) يا محمد (وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه أى أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فطرت الله) خلقته (التى فطر الناس عليها) وهى دينه أى الزموها (لا تبديل لخلق الله) لدينه أى لا تبدلوه بأن تشركوا (ذلك الدين القيم) المستقيم توحيد الله (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة (لا يعلمون) توحيد الله (منيبين) راجعين (اليه) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أى أقيموا (واتقوه) خافوه (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين) بدل باعادة الجار (فرقوا دينهم) باختلافهم فيما يعبدونه (وكانوا شيعا) فرقا فى ذلك (كل حزب) منهم (بما لديهم) عندهم (فرحون) مسرورون وفى قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (واذا مس الناس) أى كفار مكة (ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين) راجعين (اليه) دون غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) بالمطر (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أريد به التهديد (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم فيه التفات عن الغيبة (أم) بمعنى همزة الانكار (أنزلنا عليهم سلطانا) حجة وكتابا

وايضاح هذا المثل أن يقال اذا لم يصح أن تكون مماليككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله فلا يصح بالاولى جعل بعض مماليك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فأنتم فيه سواء) أى مستوون معهم فى التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) من جملة المنفى فهو مرتب عليه فالمراد نفى الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف أنفسكم والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم مماليك لكم فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مماليك الله (قوله بمعنى النفى) أى فهو استفهام انكارى (قوله لقوم يعقلون) أى فهذا المثل انما ينتفع العاقل الذى يتدبر الامور (قوله بل اتبع الذين ظلموا الخ) اضراب عما ذكر أولا اشارة الى أنهم لا حجة لهم فى الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لا هادى له) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله فأقم وجهك) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد باقامة الوجه بذل الهمة ظاهرا وباطنا فى الدين (قوله أنت ومن تبعك) أشار بذلك الى أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته (قوله فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزموها وهى ترسم بالتاء المجرورة وليس فى القرآن غيرها وقوله وهى دينه أى دين الاسلام وعلى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيده يوم ألست بربكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه وهذا غير ما سبق فى علم الله وأماه وفعلم أن قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق فى علم الله ايمانه فقد استمر على فطرته الأصلية ومن سبق فى علم الله كفره فقد رجع عن فطرته وان كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم أنت ومن تبعك الفطرة التى فطرك ربك عليها وهى التوحيد وهذا أحد أقوال ثلاثة فى معنى الفطرة وقيل المراد بها الخلقة الأصلية التى ابتداهم الله عليها من سعادة وشقاوة والى ما يصيرون اليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره الى الهدى وان عمل بأعمال أهل الضلالة وقيل انها الخلقة والطبيعة التى فى نفس الطفل يكون بها مهيأ لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات فما دامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه الاوساوس الشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من بنى آدم قبل بلوغه فى الجنة وان كان من أولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الأول (قوله أى لا تبدلوه) أشار بذلك الى أن قوله لا تبديل لخلق الله خبر والمراد منه الأمر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك (قوله لا يعلمون توحيد الله) أى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) أى وما بينهما اعتراض (قوله وما أريد به) أى بالخطاب فانه أريد به محمد ومن تبعه (قوله أى أقيموا) أشار بذلك الى أن قوله واتقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) أى فأهل السعادة فرحون بسعادتهم وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم انهم على حق (قوله وفى قراءة فارقوا) أى وهى سبعية أيضا (قوله واذا مس الناس) اذا شرطية وجوابها قوله دعوا ربهم وقوله أى كفار مكة خص ذلك بهم لانه سبب النزول والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذا فريق) اذا الفجائية قائمة مقام الفاء فهى رابطة للشرط (قوله أريد به التهديد) أى فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع على حد اعملوا ما شئتم (قوله عاقبة تمتعكم) قدره اشارة الى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى الى الخطاب لأجل المبالغة فى زجرهم (قوله بمعنى همزة الانكار) أى فهى منقطعة تفسر

(فهو يتكلم) تكلم دلالة (بما كانوا به يشركون) أي يأمرهم بالاشراك لا (وإذا أذقنا الناس) كفار مكة وغيرهم (رحمة) نعمة (فرحوا بها) فرح بطر (وإن تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) ييأسون من الرحمة ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أولم يروا) يعلموا (أن الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بها (فآت ذا القربى) القرابة (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) المسافر من الصدقة وأمة النبي تبع له في ذلك (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي ثوابه بما يعملون (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (وما آتيتم من ربا) بأن يعطي شيأ هبة أو هدية ليطلب أكثر منه فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة (ليربو في أموال الناس) المعطين أي يزيد (فلا يربو) يزكو (عند الله) أي لا ثواب فيه للمعطين (وما آتيتم من زكوة) صدقة (تريدون) بها (وجه الله فأولئك هم المضعفون) ثوابهم بما أرادوه فيه التفات عن الخطاب (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم) ممن أشركتم بالله (من يفعل من ذلكم من شيء) لا (سبحانه وتعالى عما يشركون) به (ظهر الفساد في البر) أي القفار بقحط المطر وقلة النبات (والبحر) أي البلاد التي على الانهار بقلة مائها (بما كسبت أيدي الناس) من المعاصي (ليذيقهم) بالياء والنون (بعض الذي عملوا)

تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة وبل (قوله فهو يتكلم) داخل في حيز النفي (قوله أي يأمرهم بالاشراك) أشار بذلك الى أن ما مصدرية والاحسن أن يجعلها موصولة أي بالامر الذي كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) أي عجب وكبر فيصرفونها فيما يغضبه تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكسرها سبعيتان (قوله ومن شأن المؤمن) أي من خصلته وهيئته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) أي لانه يشهد أنه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه (قوله امتحانا) أي اختبارا لينظر أيشكر أم يطغى (قوله ابتلاء) أي فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو (قوله فآت ذا القربى حقه) هذه الآية في صدقة التطوع لا في الزكاة الواجبة لان السورة مكية والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) أخذ أبو حنيفة من الآية ان النفقة على الارحام عموما واجبة على القادر وعند مالك والشافعي النفقة على الاصول والفروع واجبة وما عدا ذلك مندوب (قوله وأمة النبي الخ) أشار بذلك الى أن الامر وان كان للنبي فالمراد هو وأمته (قوله وأولئك هم المفلحون) أي الظافرون بمقصودهم (قوله وما أوتيتم) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بأن تعطى شيأ الخ) أشار بذلك الى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب وهي أن يريد الرجل بهديته أكثر منها وهي مكروهة في حقنا وأما في حقه صلى الله عليه وسلم فحرمة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر والحكم فيها اذا وقعت انه اذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وان لم يشترط عليه فلا يلزمه الا دفع قيمتها ان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له لا من نحو غني لفقير (قوله فسمي) أي المعطي وهو الهدية (قوله باسم المطلوب) أي الذي يأخذه من المهدى اليه في مقابلة ما أعطاه (قوله في أموال الناس) أي في تحصيلها (قوله المعطين) أي الآخذين للهبة والهدية (قوله أي لا ثواب فيه للمعطين) أي الدافعين لما ذكر فالاول اسم مفعول والثاني اسم فاعل (قوله صدقة) أي صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة اشارة الى أنها مطهرة للاموال والأبدان والاخلاق (قوله هم المضعفون) أي الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي تعظيما لحالهم أو قصد العموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون (قوله الله الذي خلقكم) جملة من مبتدإ وخبر وهي تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل مبتدأ مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شيء لكونه نعت نكرة تقدم عليها ومن شيء مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذي يفعل شيأ من ذلكم من شركائكم واسم الاشارة يعود على ما ذكر من الامور الاربعة وهي الخلق والرزق والاماتة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ما قبله أي فاذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولا شريك له في شيء منها فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص (قوله أي القفار) بكسر القاف جمع قفر وهي الارض التي لا ماء بها ولا نبات وأما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذي لا أدم معه (قوله بقحط المطر) أي منعه من النزول (قوله أي البلاد التي على الانهار) وقيل ان قلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو أجواف الاصداف وتعمود وابه فاذا أمطرت السماء تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ وتكثر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كسبهم (قوله من المعاصي) أي ومبدؤها قتل قابيل هابيل لان الارض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الاسد لا يصول على الغنم ونحوها فلما قتله اقشعرت الارض ونبت الشوك في الاشجار وصار ماء البحر ملحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا) اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا

أى عقوبته (لعلهم يرجعون) يتوبون (قل) الكفار مكة (سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم
مشركين) فاهلكوا باشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فاقم وجهك للدين القيم) دين الاسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) هو
يوم القيامة (يومئذ يصدعون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار (من كفر فعليه كفره) وبال
كفره وهو النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يوطئون منازلهم فى الجنة (ليجزى) متعلق بيصدعون (الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله) يثيبهم (انه لا يحب الكافرين) أى يعاقبهم (ومن آياته) تعالى (أن يرسل الرياح مبشرات) بمعنى لتبشركم بالمطر (وليذيقكم) بها (من رحمته) المطر والخصب (ولتجرى الفلك) السفن بها (بامره) بارادته (ولتبتغوا) تطلبوا (من فضله) الرزق بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحات على صدقهم فى رسالتهم اليهم فكذبوهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) أهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) على الكافرين باهلاكهم وانجاء المؤمنين (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) تزعجه (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) من قلة وكثرة (ويجعله كسفا) بفتح السين وسكونها قطعا متفرقة (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) أى وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر
(وان) وقد (كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله) تأكيد (لمبلسين) آيسين من انزاله (فانظر الى أثر) وفى قراءة آثار (رحمت الله)
أى نعمته بالمطر (كيف يحيى الارض بعد موتها) أى يبسطها بان تنبت (ان ذلك) المحيى الارض (لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير
ولئن) لام قسم (أرسلنا ريحا) مضرة على نبات (فرأوه مصفرا لظلوا) صاروا جواب القسم (من بعده) أى بعد اصفراره (يكفرون)
يجحدون النعمة بالمطر

فمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر والا فالمصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكفير
سيآت (قوله أى عقوبته) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة
الذين من قبل) أى وهى الدمار والهلاك ان لم يتوبوا وكذلك يحل بكفار مكة ان لم يتوبوا كما قال تعالى كذلك
نجزى القوم الظالمين (قوله فاقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو
وأمته والمعنى ابذل همتك فى دين الاسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لا مرد له)
أى وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله بل كل انسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك قال تعالى وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله من الله) متعلق بيأتى (قوله يومئذ
يصدعون) التنوين عوض عن جملة أى يوم اذ يأتى هذا اليوم (قوله فيه ادغام التاء فى الاصل فى
الصاد) أى فاصله يتصدعون أبدلت التاء صادا وأدغمت فى الصاد (قوله يتفرقون بعد الحساب) أى
عند سماع قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله وبال كفره) أشار بذلك الى أن الكلام على
حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) أى فالاعمال الصالحة فى الدنيا بها تهيأ المنازل فى الجنة (قوله
متعلق بيصدعون) أى والتقدير يتفرقون ليجزى الذين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله
الرياح) أى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فهى ريح العذاب يدل على ذلك
قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات
كأنه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعيضية أى بعض رحمته (قوله يا أهل مكة) خصهم
لانهم سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله ولقد أرسلنا من قبلك رسلا) هذه الآيات معترضة
بين الآيات المفصلة والمفصلة لان قوله الله الذى يرسل الرياح تفصيل لقوله ومن آياته أن يرسل الرياح
وحكمة ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموما (قوله فانتقمنا من
الذين أجرموا) عطف على محذوف قدره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كان
فعل ناقص ونصر اسمها مؤخر وحقا خبرها مقدم وعلينا متعلق بحقا أو بمحذوف صفة وهذا وعد حسن
من الله للمؤمنين بنصرهم على أعدائهم فى الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح)
مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما أجمل أولا كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزعجه) أى تهيجه وتحركه (قوله
فيبسطه فى السماء) أى ينشره فى جهتها متصلا بعضه ببعض (قوله بفتح السين وسكونها) أى فهما
قراءتان سبعيتان فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين (قوله
اذا هم يستبشرون) اذا الفجائية والمعنى فاجأهم الفرح (قوله وان كانوا) فسران بقد تبعا لغيره فالواو
للحال وقد للتحقيق وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة خبرها بدليل اللام
فى لمبلسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تأكيد) أى اشارة الى أنه أتاهم الفرج بعد تمادى يأسهم
(قوله فانظر الى أثر رحمة الله) أى ما نشأ عن المطر من خضرة الاشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها
(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضرة) أى وهى ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) أى بعد
خضرته (قوله جواب القسم) أى وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة من أنه عند اجتماع
الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما (قوله يجحدون النعمة) أى فشأنهم يفرحون عند الخصب

(فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن) ما (تسمع) سماع إفهام وقبول (إلا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون بتوحيد الله (الله الذي خلقكم من ضعف) ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف) آخر وهو ضعف الطفولية (قوة) أي قوة الشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) ضعف الكبر وشيب الهرم والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه (يخلق ما يشاء) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء (ويوم تقوم

الساعة يقسم) يحلف (المجرمون) الكافرون (ما لبثوا) مكثوا في القبور (غير ساعة) قال تعالى (كذلك كانوا يؤفكون) يصرفون عن الحق البعث كما صرفوا عن الحق الصدق في مدة اللبث (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) من الملائكة وغيرهم (لقد لبثتم في كتاب الله) فيما كتبه في سابق علمه (إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) الذي أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعه (فيومئذ لا ينفع) بالياء والتاء (الذين ظلموا معذرتهم) في إنكارهم له (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله (ولقد ضربنا) جعلنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) تنبيها لهم (ولئن) لام قسم (جئتهم) يا محمد (بآية) مثل العصا واليد للموسى (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (الذين كفروا منهم (إن) ما (أنتم) أي محمد وأصحابه (إلا مبطلون) أصحاب أباطيل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء (فاصبر إن وعد الله) بنصرك عليهم (حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) بالبعث أي لا يحملنك على اسـتكن
الخفة والطيش بترك الصبر أي لا تتركنه ﴿سورة لقمان مكية إلا ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآيتين فمدنيتان وهي أربع وثلاثون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله أعلم بمراده به (تلك) أي هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن (الحكيم) ذي الحكمة والإضافة بمعنى من هو (هدى ورحمة)

فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جحدوا سابق نعمة الله عليهم (قوله فإنك لا تسمع الموتى) تعليل لمحذوف والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فهم موتى صم عمي وأنت لا تسمع من كان كذلك (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا من يؤمن بآياتنا) أي يصدق بها (قوله من ضعف) أي أصل ضعيف (قوله ماء مهين) أي حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) أي وهو بياض الشعر الأسود ويحصل أوله غالبا في السنة الثالثة والأربعين وهو أول سن الكهولة والأخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيبتدئ وهو أول سن الشيخوخة فيبتدئ الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العمر وهذا في غير أهل التقوى والصلاح وأما هم فيتزايد عقلهم لآخر عمرهم (قوله بضم أوله وفتحه) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله تقوم الساعة) أي تحصل وتوجد والمراد بها القيامة سميت بذلك لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا (قوله الكافرون) أي المنكرون للبعث (قوله مكثوا في القبور) إنما استقلوا تلك المدة لأن عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار وقيل المراد مكثوا في الدنيا فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة (قوله يصرفون عن الصدق) أي الإقرار والاعتراف به في الدنيا (قوله وقال الذين أوتوا العلم) أي ردا عليهم وتكذيبا لهم (قوله وغيرهم) أي كالأنبياء والمؤمنين (قوله أنكرتموه) أي في الدنيا (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جمل محذوفة أي يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين ورد عليهم الملائكة وغيرهم وبينوا كذبهم لا تنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله معذرتهم) أي اعتذارهم (قوله العتبى) كالرجعى وزنا ومعنى والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا (قوله من كل مثل) من للتبعيض أي بعض كل صفة لأجل إرشادهم (قوله ولئن جئتهم بآية) أي مما اقترحوا (قوله حذف منه نون الرفع الخ) هذا سبق قلم من المفسر فالصواب أن يقول هو فعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لأن اللام مفتوحة باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) أي إذا علمت حالهم وأنهم لا يؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر الخ (قوله إن وعد الله حق) تعليل للأمر بالصبر (قوله والطيش) عطف مرادف على الخفة (قوله أي لا تتركنه) أي لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم

﴿سورة لقمان مكية﴾

مبتدأ وخبر سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها (قوله إلا ولو أن ما في الأرض الخ) هذا أحد أقوال ثلاثة وقيل مكية كلها وقيل إلا ثلاث آيات من قوله ولو أن ما في الأرض إلى خبير وهذا القول الثالث للبيضاوي (قوله أي هذه الآيات) أي آيات السورة وأشير إليها بإشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله وإن كانت قريبة من الأذهان (قوله ذي الحكمة) أي المشتمل على الحكمة وهي العلم النافع ويصح أن يراد بالحكيم المحكم أي المتقن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويصح أن يراد الحكيم قائله حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور فبانقلابه مرفوعا

بالرفع (للمحسنين) وفى قراءة العامة بالنصب حالا من الآيات العامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة (الذين يقيمون الصلاة) بيان للمحسنين (و يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) هم الثانى تأكيد (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) أى ما يلهى منه عما يعنى (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيل الله) طريق الاسلام (بغير علم و يتخذها) بالنصب عطفا على يضل و بالرفع عطفا على يشترى (هزؤا) مهزوأبها (أولئك لهم عذاب مهين) ذو اهانة (واذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (ولى مستكبرا) متكبرا (كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا) صمما وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولى أوالثانية بيان للاولى (فبشره) أعلمه (بعذاب أليم) مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الأعاجم و يحدث بها أهل مكة و يقول ان محمدا يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه و يتركون استماع القرآن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرا خلودهم فيها اذا دخلوها (وعد الله حقا) أى وعدهم الله ذلك وحقه حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمنعه من انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يضع شيأ الا فى محله (خلق السموات بغير عمد ترونها) أى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلا (وألقى فى الأرض رواسى) جبالا مرتفعة لـ(أن) لا (تميد) تتحرك (بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا) فيه التفات عن الغيبة (من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) صنف حسن (هذا خلق الله) أى مخلوقه (فأرونى) أخبرونى يا أهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) غيره أى آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى وما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره وأرونى معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (بل)

استكن فى الصفة المشبهة (قوله بالرفع) أى لحمزة على انه خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله وفى قراءة العامة) أى وهم السبعة ما عدا حمزة (قوله حالا من الآيات) أى حالة كون كل منهما حالا (قوله من معنى الاشارة) أى كأنه قال أشير الى تلك الآيات حال كونها هدى ورحمة (قوله الذين يقيمون الصلاة) أى يؤدونها بأركانها وآدابها (قوله و يؤتون الزكاة) أى يعطونها لمستحقيها (قوله وهم بالآخرة هم يوقنون) أى يؤمنون بلقاء الله والبعث (قوله الفائزون) أى بما أعد لهم من النعيم المقيم (قوله ومن الناس من يشترى الخ) شروع فى ذكر مقابل الفريق الاول على حكم عادته تعالى فى كتابه والجار والمجرور خبر مقدم والاسم الموصول مبتدأ مؤخر واعلم أن من لفظها مفرد ومعناها جمع فروعى لفظها فى جميع الضمائر الآتية وروعى معناها فى قوله أولئك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) اما من اضافة الصفة للموصوف أى الحديث اللهو أى المشغل عما يعنى أو الاضافة على معنى من واليه يشير المفسر بقوله أى ما يلهى منه (قوله بفتح الياء) أى ليستمر على الضلال وقوله وضمها أى ليوقع غيره فى الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الاسلام) أى الامور الموصلة للاسلام فاللهو كل ما يشغل عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغانى والمزامير وغيرها من الامور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل يشترى أى حالة كونه جاهل القلب وان كان عليم اللسان (قوله و يتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مهزوأبها) أى لخلطه لها بالخرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك الى أن المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر وان لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك ما يقال ان الاخبار بالعذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر فكان المناسب أن يذكره بأو (قوله النضر بن الحرث) أى ابن كلدة كان صديقا لقريش (قوله فيستملحون حديثه) أى يعدونه مليحا فيصغون له (قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لا خصوص المسماة بهذا الاسم (قوله أى مقدرا خلودهم) أى فهم عند دخولهم يقدرون الخلود لسماعهم النداء من قبل الله يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله وعد الله حقا) مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الاولى والعامل مختلف والتقدير وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله الذى لا يغلبه شئ) أى لا يقهره أحد (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على انه عزيز حكيم لا يمنعه أحد عن انجاز وعده ووعيده (قوله أى العمد) أشار بذلك الى أن جملة ترونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) أى كاهب جمع اهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهى السارية (قوله وهو صادق الخ) أى لان السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو المراد هنا و يصح أن يراد الشق الثانى وهو أن يكون لها عمد لا ترى وهى قدرة الله تعالى (قوله رواسى) أى ثوابت (قوله جبالا مرتفعة) قال ابن عباس هى سبعة عشر جبلا منها ق وأبوقبيس والجودى ولبنان وطور سينين (قوله أن تميد بكم) قدر المفسر لام التعليل ولا النافية اشارة الى أن حكمة تثبيت الارض بالجبال عدم تحركها بأهلها (قوله وبث فيها) أى نشر وقوله من كل دابة من زائدة (قوله فيه التفات) أى من الغيبة الى التكلم زيادة فى التبكيت والزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أى ما ذكر من السموات والارض وما فيهما (قوله استفهام انكار) وتوبيخ وتقريع (قوله معلق عن العمل) أى فى اللفظ وأما فى المحل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره أن أرونى تنصب ثلاثة مفاعيل الياء

و جملة الاستفهام التى سدت مسد الثانى والثالث وهذا غيرماذكروه من ان أرى ان كانت بمعنى أخبر فانها تتعدى لمفعولين الاوّل مفرد صريح والثانى جملة الاستفهام فالمناسب للمفسر أن تقول سدت مسد الثانى (قوله للانتقال) أى من تبكيتهم الى الاخبار بتقبيح الظالمين عموما (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف فى لقمان فقيل اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل عربى ومنع من الصرف للعلمية و زيادة الالف والنون واختلف فيه أيضا فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر فعلى هذا هو ابن ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته يقال انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة والشعبى فقالا بنبوّته وقيل خير بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما فى وسط النهار فنودى يالقمان هل لك أن يجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم ان الله تعالى ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يالقمان قال ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان عدل نجا وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى بها داود بعده فقبلها وكان لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنينى (قوله منها العلم والديانة) أى فالحكمة هى العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والامانة وقيل هى نور فى القلب يدرك به الاشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم (قوله وقال فى ذلك) اى فى شأن الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقلنا له أن اشكر الخ) أشار بذلك الى أن ان زائدة وجملة اشكر مقول القول والانسب أن ان تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمه) أى فهى نعمة يجب الشكر عليها بصرفها فى مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تعليل للامر بالشكر (قوله محمود فى صنعه) أى فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات (قوله واد قال لقمان لابنه) أى واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما قيل وضع لقمان جرابا من خردل الى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة و يخرج خردلة خردلة فنفد الخردل فقال يابنى وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يابنى) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله اشفاق) أى محبة (قوله فرجع اليه) أى الى دين أبيه وهو الاسلام وقال له أيضا يابنى اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتيك الربح من غير بضاعة يابنى احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا يابنى لا تكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك يابنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة يابنى لا ترغب فى ود الجاهل فيرى انك ترضى عمله يابنى اتق الله ولا تر الناس انك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يابنى ماندمت على الصمت قط فان الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يابنى اعتزل الشر كما يعتزلك فان الشر للشر خلق يابنى عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها أيسر من افهام من لا يفهم يابنى لا ترسل رسولك جاهلا فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يابنى لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يابنى يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم يابنى اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما

للانتقال (الظالمون فى ضلال مبين) بين باشراككم وأنتم منهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) منها العلم والديانة والاصابة فى القول وحكمه كثيرة مأثورة كان يفتى قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال فى ذلك ألا أكتفى اذا كفيت وقيل له أى الناس شر قال الذى لا يبالى ان رآه الناس مسيئا (أن) أى وقلنا له أن (اشكر لله) على ما أعطاك من الحكمة (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان ثواب شكره له (ومن كفر) النعمة (فان الله غنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه (و) اذكر (اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى) تصغير اشفاق (لا تشرك بالله ان الشرك) بالله (لظلم عظيم) فرجع اليه وأسلم

ينفعك علمك وان تك غبيا يعلموك وان يطلع الله عز و جل عليهم برحمة تصبك معهم يا بنى لا تجلس فى المجلس الذى لا يذكر فيه الله عز و جل فانك ان تكن عالما لا ينفعك علمك وان تك غبيا يزيدوك غباوان يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بنى لا يأكل طعامك الا الاتقياء وشاور فى أمرك العلماء يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بها وشراعها التوكل على الله لعلك ان تنجو يا بنى انى حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيأ أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر يا بنى ان الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك يا بنى لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم يا بنى اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه والا فاحذره يا بنى انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترتحل يا بنى عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لى فان لله ساعات لا ترد يا بنى اياك والدين فانه ذل النهار وهم الليل يا بنى ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته الى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام (قوله ووصينا الانسان الخ) هاتان الآيتان نزلتا فى شأن سعد بن أبى وقاص كما تقدم فهما معترضتان بين كلامى لقمان والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فأل فى الانسان للجنس (قوله أن يبرهما) أى يحسن اليهما (قوله فوهنت) قدر الفعل اشارة الى أن وهنا مفعول مطلق والاحسن جعله حالا من أمه أى ذات وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أى ضعفا كائنا على ضعف والمراد التوالى لا خصوص وهنين بدليل قول المفسر أى ضعفت للحمل الخ (قوله أى فطامه) أى ترك رضاعه (قوله فى عامين) أى فى انقضائهما (قوله أن اشكر لى) أن يحتمل انها مفسرة لجملة وصينا أو مصدرية (قوله أى المرجع) أى فاجازى المحسن على احسانه والمسىء على اساءته (قوله موافقة للواقع) أى فلا مفهوم له وهو جواب عما يقال ان الشريك مستحيل على الله تعالى فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبهما فى الدنيا) أى أمورها التى لا تتعلق بالدين (قوله أى بالمعروف) أشار بذلك الى أنه منصوب بنزع الخافض (قوله واتبع سبيل من أناب الى) قيل ان الخطاب للمكلفين عموما ويراد بمن أناب النبى وأصحابه ومن على قدمهم وقيل الخطاب لسعد بن أبى وقاص والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضى الله عنه وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم جاءهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء سابقون للاسلام بارشاد أبى بكر رضى الله عنه (قوله فأجازيكم عليه) أى على العمل الحسن والسيئ (قوله وجملة الوصية) أى وهى قوله ووصينا الانسان الخ وقوله وبما بعدها أى وهو قوله وان جاهداك الخ وقوله اعتراض أى بين كلامى لقمان (قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله فقال له تلك المقالة وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه اذ هو مسلم لا يعتقد ان الله تخفى عليه خافية وانما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل الى المعرفة والمشاهدة ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو أصغر حب والمراد أصغر شىء بدليل ضرب المثل بالذرة فى الآية (قوله فى صخرة) قيل المراد بها التى تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الارض على حوت والحوت فى الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة وهى التى ذكرها لقمان فليست فى السماء ولا فى الارض (قوله أى فى أخفى مكان من ذلك) أى من الصخرة والسموات والارض فاخفى الصخرة باطنها وأخفى السموات أعلاها وأخفى الارض أسفلها (قوله يأت بها الله) جواب الشرط (قوله ان الله لطيف) أى عالم بخفيات الامور (قوله خبير) أى عالم ببواطن الاشياء كظواهرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها فمات مسلما شهيدا رضى الله عنه (قوله يا بنى أقم الصلاة) أى

(ووصينا الانسان بوالديه) أمرنا ان يبرهما (حملته أمه) فوهنت (وهنا على وهن) أى ضعفت للحمل وضعفت للطلق ضعفت للولادة (وفصاله) أى فطامه (فى عامين) وقلنا له (ان اشكر لى ولوالديك الى المصير) أى المرجع (وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم) موافقة للواقع (فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) أى بالمعروف البر والصلة (واتبع سبيل) طريق (من أناب) رجع (الى) بالطاعة (ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (يا بنى انها) أى الخصلة السيئة (ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض) أى فى أخفى مكان من ذلك (يأت بها الله) فيحاسب عليها (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمكانها (يا بنى أقم الصلاة

بشروطها وأركانها وآدابها لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى (قوله وأمر بالمعروف) أى بكل ماعرف شرعا لان الدال على الخير كفاعله (قوله وانه عن المنكر) أى باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة فان لم يفد فالهجر أولى بالمعروف (قوله بسبب الامر والنهى) المناسب حمله على العموم فالصبر على المصائب سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم لان الكل فى الحقيقة من الله والمراد بالصبر التسليم لاحكام الله والرجوع اليه قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله التى يعزم عليها لوجوبها) أى يحتمها على المكلفين فلا ترخيص فى تركها (قوله ولا تصعر خدك للناس) الصعر بفتحتين فى الاصل داء يصيب البعير يلوى عنقه ثم استعمل فى ميل العنق وانقلاب الوجه الى أحد الشدقين لاجل الفخر على الناس والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك اذا كلموك (قوله وفى قراءة تصاعر) أى وهما سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أى خيلاء) أى عجبا وتكبرا قال تعالى انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قوله فخور على الناس) أى لظنه ان نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه اياها فتكبر بها على الناس (قوله واقصد فى مشيك) لما أمره أولا بحسن الباطن أمره ثانيا بحسن الظاهر ليجمع له فى وصيته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الدبيب) أى وهو ضعف المشى جدا قال الشاعر

زعمتنى شيخا ولست بشيخ * انما الشيخ من يدب دبيبا

(قوله والاسراع) أى وهو قوة المشى وهى مذمومة لما ورد سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن ان قلت ورد فى الحديث كأنما نجهد أنفسنا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتضى انه كان يسرع فى مشيه أجيب بانه صلى الله عليه وسلم فى نفسه مشيه متوسط وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشيا منهم لما فى الحديث المتقدم وهو غير مكترث كأن الارض تطوى له (قوله من صوتك) يحتمل أن من تبعيضية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف أى شيأ من صوتك (قوله لصوت الحمير) أى هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك والحمار يصيح لغير سبب وصياح كل شئ تسبيح لله تعالى الا الحمار ان قلت ان دق النحاس بالحديد أشد صوتا من الحمير أجيب بان الصوت الشديد لحاجة يحتمله العقلاء بخلاف الصوت الخالى عن الثمرة والفائدة وهو صوت الحمار (قوله أوله زفير) أى صوت قوى وقوله وآخره شهيق أى صوت ضعيف وهما صفة صوت أهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يا مخاطبين) القياس بالواو لانه منادى مفرد وهو مبنى على ما يرفع به الا أن يقال انه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) أما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان أو الافراد بتاء التأنيث نكرة فهما نعتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هى حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة العقبى وقيل الظاهرة ما ترى بالابصار كالمال والجاه والجمال فى الناس والباطنة ما يجده الانسان فى نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل صحيح (قوله وتسوية الاعضاء) أى تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف ومن حذا حذوهم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) أى بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) أى من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) أى نير واضح الدلالة (قوله واذا قيل لهم) الجمع باعتبار المعنى (قوله أيتبعونه) أشار بذلك الى أن هذا الشرط للحال والتقدير أيتبعونه والحال ان الشيطان يدعوهم الى العذاب وحينئذ فلا جواب للو (قوله يدعوهم الى عذاب السعير) أى يدعو آباءهم لان مدار انكار الاتباع كون الرؤساء تابعين للشيطان (قوله لا) أى لا يليق منهم ذلك (قوله أى يقبل على طاعته) أشار بذلك الى أن المراد بالوجه الذات والمعنى من يبذل ذاته فى طاعة ربه والحال انه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فالاقبال على الله ظاهرا أو باطنا موجب للامن من عذاب الله ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك بسبب الامر والنهى (ان ذلك) المذكور (من عزم الامور) أى معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (ولا تصعر) وفى قراءة تصاعر (خدك للناس) لا تمل وجهك عنهم تكبرا (ولا تمش فى الارض مرحا) أى خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) متبختر فى مشيه (فخور) على الناس (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك السكينة والوقار (واغضض) اخفض (من صوتك ان أنكر الاصوات) أقبحها (لصوت الحمير) أوله زفير وآخره شهيق (ألم تروا) تعلموا يا مخاطبين (أن الله سخر لكم ما فى السموات) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وما فى الارض) من الثمار والانهار والدواب (وأسبغ) أوسع وأتم (عليكم نعمه ظاهرة) هى حسن الصورة وتسوية الاعضاء وغير ذلك (وباطنة) هى المعرفة وغيرها (ومن الناس) أى أهل مكة (من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى) من رسول (ولا كتاب منير) أنزله الله بل بالتقليد (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال تعالى (أ) يتبعونه (ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) أى موجباته لا (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يقبل على طاعته (وهو محسن)

موحد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بالطرف الاوثق الذى لايخاف انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) مرجعها (ومن كفر فلا يحزنك)
يامحمد (كفره) لاتهتم بكفره (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات ١٩٧ الصدور) أى بما فيها كغيره فجازعليه
(نمتعهم) فى الدنيا (قليلا) أيام حياتهم (ثم نضطرهم) فى الآخرة (الى عذاب غليظ) وهو عذاب النار لايجدون عنه محيصا (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) حذف منه نون الرفع لتوالى الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قل الحمد لله) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لايعلمون) وجوبه عليهم (لله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا فلا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود فى صنعه (ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر) عطف على اسم ان (يمده من بعده سبعة أبحر) مداد (مانفدت كلمات الله) المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك لان معلوماته تعالى غير متناهية (ان الله عزيز) لايعجزه شئ (حكيم) لايخرج شئ عن علمه وحكمته (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) خلقا وبعثا لانه بكلمة كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لايشغله شئ عن شئ (ألم تر) تعلم يامخاطبا (أن الله يولج) يدخل (الليل فى النهار ويولج النهار) يدخله
(فى الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وسخر الشمس والقمر كل) منهما (يجرى) فى فلكه (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة
(وأن الله بما تعملون خبير ذلك) المذكور (بأن الله هو الحق) الثابت (وأنما يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه الباطل) الزائل
(وأن الله هو العلى) على خلقه بالقهر (الكبير) العظيم

بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون (قوله موحد) انما فسره بذلك ليشمل الاسلام فى حق العامة وهو التوحيد والا فالاحسان الكامل أن تعبد الله كانك تراه (قوله بالطرف الاوثق) أى الموصل الى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى الى شاهق جبل فتمسك بأوثق حبل فهو تشبيه تمثيلى بذكر طرفى التشبيه (قوله مرجعها) أى فيجازى عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الاول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاى وبضم الياء وكسر الزاى قراءتان سبعيتان أى فتسل ولا تغتم على ذلك (قوله فننبئهم بما عملوا) اى نخبرهم بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا (قوله ثم نضطرهم) أتى بثم اشارة الى أن العذاب الغليظ انما يكون لهم فى الآخرة لافى الدنيا كما أن المؤمن اذا نعم فى الدنيا بأنواع النعم فليس ذلك جزاء لاعماله الصالحة (قوله لايجدون عنه محيصا) أى ملجأ (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع اما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن (قوله وواو الضمير) أى لا لتقائها ساكنة مع نون التوكيد وبقيت الضمة دليلا عليها (قوله بل أكثرهم لايعلمون وجوبه عليهم) أى بل يعتقدون أن الاشراك يقرب الى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله لله مافى السموات والارض) هذا نتيجة ماقبله أى فحيث ثبت انه الخالق لها تحقق انه المالك لها (قوله المحمود فى صنعه) أى المتصف بالكمالات أزلا وأبدا لايستحق الحمد غيره (قوله ولو أن مافى الارض) أن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول فى محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة اشارة الى استغراق الافراد كأنه قال لو أن كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والبحر) أى المحيط لان الحقيقة اذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم ان) أشار بذلك الى توجيه قراءة النصب وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال اما عطف على جملة ان واسمها وخبرها لان موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لو ثبت ان مافى الارض الخ أو مبتدأ خبره يمده والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ماتجعل تلك الابحر فأجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله فى الآية الاخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الخ (قوله كلمات الله) أى مدلولات كلامه النفسى القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله المعبر بها فان مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم ولذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) سبب نزولها ان أبى بن خلف وجماعة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول انا نبعث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فنزلت والمعنى ان الله لايصعب عليه شئ بل خلق العالم وبعثه برمته كخلق نفس واحدة وبعثها (قوله خلقا وبعثا) لف ونشر مرتب (قوله يامخاطبا) نصبه لكونه قصد انه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) أى بالجزء الذى نقص من الآخر وهو اربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيدها الليل وتارة يزيدها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج عبر فى الاول بالمضارع لان الايلاج متجدد بخلاف التسخير (قوله الى أجل مسمى) عبر هنا بالى وفى فاطر والزمر باللام تفننا لان اللام والى للانتهاء (قوله ذلك المذكور) اى من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بأن الله هو الحق (قوله الثابت) اى الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء)

(ألم تر أن الفلك) السفن (تجري في البحر بنعمت الله ليريكم) يا مخاطبين بذلك (من آياته إن في ذلك لآيات) عبرا (لكل صبار) عن معاصي الله (شكور) لنعمته (وإذا غشيهم) أي علا الكفار (موج كالظلل) كالجبال التي تظلل من تحتها (دعوا الله مخلصين له الدين) أي الدعاء بأن ينجيهم أي لا يدعون معه غيره (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) متوسط بين الكفر والايمان ومنهم باق على كفره (وما يجحد بآياتنا) ومنها الانجاء من الموج (الا كل ختار) غدار (كفور) لنعم الله تعالى (يا أيها الناس) أي أهل مكة (اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي) يغني (والد عن ولده) فيه شيأ (ولا مولود هو جاز عن والده) فيه (شيأ ان وعد الله حق) بالبعث (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) عن الاسلام (ولا يغرنكم بالله) في حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الله عنده علم الساعة) متى تقوم (وينزل) بالتخفيف والتشديد (الغيث) بوقت يعلمه (ويعلم ما في الأرحام) ذكر أم أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر ويعلمه الله تعالى (وما تدري نفس بأي أرض تموت) ويعلمه الله تعالى (ان الله عليم) بكل شئ (خبير) بباطنه كظاهره روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة ان الله عنده علم الساعة الى آخر السورة

﴿سورة السجدة مكية ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الله أعلم بمراده به

أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر أن الفلك الخ) هذا دليل آخر على اثبات الالوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) أي احسانه (قوله أي علا الكفار) أي أحاط بهم فعلا فعل ماض لا حرف جر (قوله أي لا يدعون معه غيره) أي كالاصنام لانهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول فلا يجدون ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والايمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفي بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدي في يده فسكن الريح فرجع عكرمة الى مكة فأسلم وحسن اسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) أي وهو المشار اليه بقوله وما يجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) أي لانه نقض العهد ورجع الى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لا يجزي والد عن ولده الخ) كل من الجملتين نعت ليوما والمعنى ان يوم القيامة يقول كل انسان نفسي نفسي لا أملك غيرها ولا يهتم بقريب ولا بعيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالأولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الأولاد قال تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته أنا لا أغني عنك من الله شيأ فهو تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الانساب (قوله ولا مولود) مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول أو معطوف على والد (قوله في حلمه وامهاله) أشار بذلك الى أن الباء سببية والكلام على حذف مضاف والأصل ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله الغرور (قوله ان الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد ألقيت الحب في الارض فمتى السماء تمطر وامرأتي حامل فهل حملها ذكر أم أنثى وأي شئ أعمله غدا ولقد علمت بأي أرض ولدت فبأي أرض أموت (قوله متى تقوم) أي وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) أي وفي أي مكان ينزله (قوله وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) أي من حيث ذاتها وأما باعلام الله للعبد فلا مانع منه كالأنبياء وبعض الأولياء قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قال العلماء وكذا ولي فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات فتكون معجزة للنبي وكرامة للولي ولذلك قال العلماء الحق انه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكتمها والحكمة في كونه تعالى أضاف العلم الى نفسه في الثلاثة الاول ونفى العلم عن العباد في الاخيرتين منها مع ان الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها ونفي علم العباد بها ان الثلاثة الاول أمرها عظيم لا يتوهم في الخلق علمها بخلاف الاخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فاذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علمهم بغيرهما أولى (قوله بأي أرض تموت) لم يقل بأي وقت تموت فيه لان انتقال الانسان من مكان الى آخر في وسعه واختياره فتوهمه علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على انتفاء علم الاقرب ليفهم منه علم الابعد بالأولى (قوله ان الله عليم خبير) أشار بذلك الى أن علمه تعالى ليس مختصا بهذه الأشياء المتقدمة بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها

﴿سورة السجدة﴾

أي التي ذكرت فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره ان جميعها مكي وقال غيره الا ثلاث آيات وقيل الا خمس آيات أولها قوله تتجافى جنوبهم وآخرها قوله الذي كنتم به تكذبون وورد في فضلها أحاديث منها ما في الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب السجدة وهل أتى على الانسان حين من الدهر وقد أخذ بهذا الحديث الامام الشافعي

رضى الله عنه ولم يأخذ به مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وتسمى أيضا المنجية لانها أحد المنجيات السبع وهى هذه السورة ويس والدخان والواقعة وهل أتى والملك والبروج ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال اقرؤا المنجية وهى الم تنزيل فانه بلغنى أن رجلا كان يقرؤها ما يقرأ شيأ غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله ومجيئه (قوله من رب العالمين) أى لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا أحسن الأعاريب فى هذا الموضع ويصح أن يكون حالا من ضمير الخبر (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل قوله لا فانه اشارة الى أن الاستفهام انكارى مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها أسقطت من قلم ناسخ المبيضة (قوله بل هو الحق) اضراب انتقالى من نفى الافتراء عنه الى اثبات حقيته ويصح أن يكون ابطاليا لقولهم كأنه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما فى القرآن من الاضراب انتقالى يحمل على غير هذا والمعنى ان القرآن محصور فى الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين (قوله لتنذر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الأول قوما والثانى محذوف قدره المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوما واختلف فى القوم فقيل المراد بهم العرب لانهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لعلهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم والمعنى لتنذر قوما راجيا الاهتداء لهم لا آيسا منه (قوله الله الذى خلق السموات والأرض) مبتدأ وخبر وهو شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله أولها الأحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع فخلق الارض أولا فى الأحد والاثنين وخلق ما فيها فى الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات فى الخميس والجمعة وفى ذلك اشكال وهو أن الأيام لم تكن معروفة اذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس والأفلاك التى بها تعرف الأيام وأجيب بأن المراد فى مقدار ستة أيام كائنة فى علمه تعالى بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا انها كأيام الدنيا وبه قال الحسن وقال ابن عباس والضحاك اليوم منها مقداره ألف سنة (قوله سرير الملك) أى ومنه قال نكروا لها عرشها والمراد به هنا الجسم النورانى المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذا اشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وهو أسلم ولذا سلكه المفسر وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر اذ هو أحد معنى الاستواء ومنه قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام فى هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله أى فحيث ثبت أنه الخالق للسموات والأرض وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكه) خصهم لانهم سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اسم ما) أشار بذلك الى أن ما حجازية وولى اسمها مؤخر ومن دونه خبرها مقدم وفيه ان شرط اعمالها الترتيب وهو مفقود هنا الا أن يقال انه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه فى عملها والأحسن جعلها تميمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لان القرآن لا ينبغى حمله على ضعيف (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الأمر) أى الشأن والحال والمعنى يتصرف فى الخلق على طبق علمه وارادته وهو القضاء والقدر المشار اليهما بقول الأجهورى

ارادة الله مع التعلق * فى أزل قضاؤه فحقق

والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين أراده علا

(تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (لا ريب) شك (فيه) خبر أول (من رب العالمين) خبر ثان (أم) بل (يقولون افتراه) محمد لا (بل هو الحق من ربك لتنذر) به (قوما ما) نافية (أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) بانذارك (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) وهو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (ما لكم) يا كفار مكة (من دونه) أى غيره (من ولى) اسم ما بزيادة من أى ناصر (ولا شفيع) يدفع عذابه عنكم (أفلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (يدبر الامر

و بعضهم قد قال معنى الأول * العلم مع تعلق في الأزل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى كل يوم هو في شان فالتصريف الذي يظهر في الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والارادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وارادته به قضاء فكل شئ بقضاء وقدر (قوله من السماء الى الارض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل و روى أنه يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين فأما جبريل فوكل بالارياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والماء وأما ملك الموت فوكل بقبض الأرواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الآيات ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أى وهي كما ورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الألف السادس ومدة أمته تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطي في الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله يرجع الأمر والتدبير اليه) أى ينتقل التصريف الظاهرى من أيدى العبيد يوم القيامة و يكون لله وحده ظاهرا و باطنا قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (قوله لشدة أهواله الخ) هذا اشارة لوجه الجمع بين الآيتين أى فالمراد من ذكر الالف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه و جمع أيضا بأن مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف فهذه الآيات بينت أحد المواقف وآية سأل بينت المواقف كلها وهذا هو الأقرب و جمع أيضا بأن العذاب مختلف فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة ثم ينقل الى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة الصبح فهو في حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر أول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذى أحسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على انهما بدلان من الهاء في اليه وقرئ أيضا بجر عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الاشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير في اليه (قوله الذى أحسن) أى أحكم وأتقن (قوله صفة) أى لكل أولشئ (قوله و بسكونها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتمال) أى من كل شئ (قوله ذريته) سميت نسلا لانها تنسل أى تنفصل (قوله أى خلق آدم) أشار بذلك الى أن الضمير في سواه عائد على آدم ويصح أن يكون عائدا على النسل و يكون المعنى سوى أعضاءه في الرحم وصورها بعد ان كان يشبه الجماد حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة (قوله من روحه) الاضافة للتشريف (قوله أى الذرية) فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والنكتة ان الخطاب انما يكون مع الحى فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أئذا ضللنا) حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر اللام و بضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وادخال ألف بينهما) أى وتركه فتكون القراآت أربعا سبعيات (قوله في الموضعين) أى وهما أئذا ضللنا أئنا (قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون) انتقال من جحدهم البعث الى جحدهم لقاء الله بالمرة (قوله قل لهم) أى للكفار وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى في هذه الآية لملك الموت وفي آية الأنعام للرسل وفي الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها فما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم وما في الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض روحه فان المباشر لاخراجها من الظفر الى الحلقوم أعوانه وما في الزمر محمول على الحقيقة فان المتوفى حقيقة هو الله تعالى روى أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد يأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب و روى أن خطوته ما بين المشرق والمغرب و روى

تعدون) في الدنيا وفي سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة الى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث (ذلك) الخالق المدبر (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب عن الخلق وما حضر (العزيز) المنيع في ملكه (الرحيم) بأهل طاعته (الذى أحسن كل شئ خلقه) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة و بسكونها بدل اشتمال (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) علقة (من ماء مهين) ضعيف هى النطفة (ثم سواه) أى خلق آدم (ونفخ فيه من روحه) أى جعله حيا حساسا بعد ان كان جمادا (وجعل لكم) أى لذريته (السمع) بمعنى الاسماع (والأبصار والأفئدة) القلوب (قليلا ما تشكرون) ما زائدة مؤكدة للقلة (وقالوا) أى منكرو البعث (أئذا ضللنا في الأرض) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أئنا لفى خلق جديد) استفهام انكار بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين قال تعالى (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث (كافرون قل) لهم (يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) أى بقبض أرواحكم (ثم الى ربكم ترجعون) أحياء

أنه جعلت له الارض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء وقيل انه على معراج بين السماء والارض وقيل ان له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل أحد ممن يصلح له (قوله ناكسو رؤسهم) أى خافضوها (قوله وسمعنا منك تصديق الرسل) أى فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله انا موقنون الآن) أى آمنا فى الحال ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرأيت أمرا فظيعا) أى شنيعا عجيبا (قوله هداها) أى ايمانها والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الايمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) أى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم لان دخول الجن النار أكثر من الانس (قوله أى بترككم الايمان) أشار بذلك الى أن المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) كرره ليبان مفعول ذوقوا الأول (قوله بما كنتم تعملون) أى بسبب عملكم (قوله انما يؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر على كفره كأن الله يقول لنبيه لا تحزن فان أهل الايمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن وأهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به فالخلق فريقان فى علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بأنه يقتضى مدح كل من سمع القرآن واتعظ به ويسجد لله وان لم يكن موضع سجود وأجيب بأن السنة بينت مواضع السجود فى القرآن فمدح المتعظين بالقرآن فى كل آية الساجدين فى مواضع السجود (قوله خروا سجدا) أى على وجوههم تعظيما لآياته وامتثالا لأمره وخص السجود بالذكر لانه غاية الذل والخضوع وهو لا يكون الا لله وفعله لغيره كفر ولانه روح الصلاة وأعظم أركانها ولانه يقرب العبد من الله تعالى لما فى الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله ملتبسين بحمد ربهم) أى جمعوا فى سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض وبقولهم سبحان الله والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه أيضا الدعاء ومما ورد فيما يقال فى سجدات القرآن اللهم اكتب لى بها أجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) أى لا يتكبرون ولا يأنفون (قوله تتجافى جنوبهم) أسند التجافى للجنوب لان الواعظ الذى يكون سببا فى القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالانسان اذا كان مشغولا بربه سلط عليه واعظ فى قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والهجوع قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فاذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما فى الحديث مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لا ينامون (قوله فلا تعلم نفس) أى لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهم والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلا والا نحن نعلمه اجمالا كالأشجار والأنهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك لان عطاء الجنة لا تحيط به العقول ففى الحديث لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها (قوله من قرة أعين) أى سرورها وفرحها فلا يلتفتون لغيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضارع) أى والفاعل مستتر تقديره أنا ففى الحديث أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله جزاء) مفعول مطلق أو مفعول لأجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها انه كان بين على بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك صبى وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال على اسكت فانك فاسق وهذه الآية بمعنى قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات

ما أنكرناه من البعث (وسمعنا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) فيها (انا موقنون) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو لرأيت أمرا فظيعا قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فتهتدى بالايمان والطاعة باختيار منها (ولكن حق القول منى) وهو (لأملأن جهنم من الجنة) الجن (والناس أجمعين) وتقول لهم الخزنة اذا دخلوها (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى بترككم الايمان به (انا نسيناكم) تركناكم فى العذاب (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم (بما كنتم تعملون) من الكفر والتكذيب (انما يؤمن بآياتنا) القرآن (الذين اذا ذكروا) وعظوا (بها خروا سجدا وسبحوا) ملتبسين (بحمد ربهم) أى قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة (تتجافى جنوبهم) ترتفع (عن المضاجع) مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدا (يدعون ربهم خوفا) من عقابه (وطمعا) فى رحمته (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (فلا تعلم نفس ما أخفى) خبئ (لهم من قرة أعين) ما تقر به أعينهم وفى قراءة بسكون الياء مضارع (جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا

كمن كان فاسقا لا يستوون) أى المؤمنون والفاسقون (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) هو ما يعد للضيف (بما
كانوا يعملون وأما الذين فسقوا) بالكفر والتكذيب (فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى
كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا بالقتل والاسر والجدب سنين والامراض (دون) قبل (العذاب
الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) أى من بقى منهم (يرجعون) الى الايمان (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) القرآن (ثم أعرض عنها) أى لا أحد أظلم منه (انا من المجرمين) أى المشركين (منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن فى مرية) شك (من لقائه) وقد التقيا ليلة الاسراء (وجعلناه) أى موسى أو الكتاب (هدى) هاديا (لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء قادة (يهدون) الناس (بأمرنا لما صبروا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وكانوا بآياتنا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يوقنون) وفى قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم) أى يتبين لكفار مكة اهلاكنا كثيرا (من القرون) الامم بكفرهم (يمشون) حال من ضمير لهم (فى مساكنهم) فى أسفارهم الى الشام وغيرها فيعتبروا (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرتنا (أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) اليابسة التى لا نبات فيها (فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم
أفلا يبصرون) هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم (ويقولون) للمؤمنين (متى هذا الفتح) بيننا وبينكم (ان كنتم صادقين قل يوم الفتح)
بانزال العذاب بهم (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم

(قوله كمن كان فاسقا) أى كافرا (قوله لا يستوون) أى فى المآل وقد راعى المعنى فجمع لان المراد الفريق فى كل وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ويبتدئ بقوله لا يستوون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) أى مهيأة ومعدة لاكرامهم كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) أى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل وعملوا السيئات اشارة الى أن مجرد الكفر كاف فى الخلود فى النار فلا التفات الى الأعمال معه وأما العمل الصالح فله مع الايمان تأثير فلذا قرنه به (قوله فمأواهم النار) أى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم روى أن النار تضربهم فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقائل لهم الخزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفى سبأ بالتأنيث نظرا للمضاف اليه وهو النار (قوله والجدب سنين) أى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب (قوله أى من بقى منهم) أى بعد القحط وبعد يوم بدر والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان اجمالى لحال المكذب اثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) أى ترك الايمان بها (قوله أى لا أحد الخ) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة فى ذكر موسى قربه من النبى ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الاسراء) أى فى الارض عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره وفى السماء السادسة كما ورد بذلك الحديث وفى كلامه اشارة الى أن الضمير فى لقائه عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائك موسى ليلة الاسراء وهو أقوى الاحتمالات فى هذا الموضع (قوله وجعلنا منهم أئمة) أى وهم الأنبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل أو أتباع الانبياء (قوله وابدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعية لكن من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) أى تحملوا المشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل

الصبر كالصبر مر فى مذاقته * لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية أى جعلناهم أئمة لاجل صبرهم (قوله بينهم) أى المؤمنين والمشركين أو بين الأنبياء وأممهم (قوله أولم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم يتبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله ان فى ذلك) أى المذكور من كثرة اهلاك الأمم الخالية (قوله اليابسة التى لا نبات فيها) أى التى قطع وأزيل بالمرة فالجرز معناه القطع سميت الارض اليابسة بذلك لقطع النبات منها وقيل المراد بالجرز موضع باليمن (قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) قدم الانعام لان أكلها مقدم لكونها تأكله قبل أن يثمر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها أن المسلمين كانوا يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة اذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم الفتح) المراد به يوم القيامة لانه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) أى لان الايمان المقبول هو الذى يكون فى الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها

(قوله

(قوله ولا هم ينظرون) أي يؤخرون وقوله أو معذرة أي اعتذار (قوله فأعرض عنهم) أي اتركهم ولا تتعرض لهم (قوله وهذا قبل الامر بقتالهم) أي انه منسوخ بآية الجهاد ويحتمل أن الآية محكمة ومعنى فأعرض عنهم اقبل عذر من أسلم منهم واترك ماهو عليه وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشي حين أسلم بعد قتله حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح

﴿سورة الاحزاب﴾

أي التي ذكر فيها قصة الاحزاب وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فأبقى الله منها ماهو بأيدينا ورفع الزائد خلافا للروافض حيث زعموا أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلها الداجن (قوله مدنية) أي بإجماع (قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الانبياء حيث قال يا موسى يا عيسى يا داود لكونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والاجلال حيث قال يا أيها النبي يا أيها الرسول وان ذكر اسمه صريحا أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال محمد رسول الله وما محمد الا رسول الى غير ذلك (قوله أي دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال ان في الآية تحصيل الحاصل وسبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور عمرو بن سفيان السلمي قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال اني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة (قوله ان الله كان عليما حكيما) تعليل للامر والنهي (قوله ان الله كان بما يعملون خبيرا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية وضمير النبي وأمته على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أي اعتمد عليه وفوض أمورك اليه (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة في فاعل كفى ووكيلا حال (قوله تسع له في ذلك) أي فيما ذكر من قوله اتق الله الى هنا (قوله من قلبين في جوفه) أي لان القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لانه يؤدي للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال الخ) أي وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهري كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء الا من أجل أن له قلبين وكان هو يقول لي قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا فقال ما بال احدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده (قوله بهمزة وياء وبلا ياء) أي فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التي قال ابن مالك بالات واللاء التي قد جمعا (قوله بلا ألف قبل الهاء) أي فأصله تتظهرون بتاءين سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء (قوله وبها والتاء الثانية في الاصل مدغمة في الظاء) أي فيها تان قراءتان سبعيتان وبقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذفت احداهما وضم التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر وهذه القراآت واردة في قد سمع أيضا غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء لان المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تتأتى فيه وفي الماضي ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كتقاتل وظاهر كقاتل (قوله يقول الواحد مثلا لزوجته الخ) أي وضابطه ان يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهر مؤبدة التحريم

ولا هم ينظرون) يمهلون لتوبة أو معذرة (فأعرض عنهم وانتظر) انزال العذاب بهم (انهم منتظرون) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الامر بقتالهم

﴿سورة الاحزاب مدنية ثلاث وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) دم على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (ان الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلقه (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي القرآن (ان الله كان بما يعملون خبيرا) وفي قراءة بالفوقانية (وتوكل على الله) في أمرك (وكفى بالله وكيلا) حافظا لك وأمته تبع له في ذلك كله (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ردا على من قال من الكفار ان له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وما جعل أزواجكم اللائي) بهمزة وياء وبلا ياء (تظهرون) بلا ألف قبل الهاء وبها والتاء الثانية في الاصل مدغمة في الظاء (منهن) يقول الواحد مثلا لزوجته أنت علي كظهر أمي

(أمهاتكم) أي كالامهات في تحريمها بذلك المعد في الجاهلية طلاقا وانما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة

(وماجعل أدعياءكم) جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ابناله (أبناءكم) حقيقة (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (والله يقول الحق) في ذلك (وهو يهدي السبيل) سبيل الحق لكن (ادعوهم لآبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) بنو عمكم (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) في ذلك (ولكن) في (ماتعمدت قلوبكم) فيه وهو بعد النهي (وكان الله غفورا) لما كان من قولكم قبل النهي (رحيما) بكم في ذلك (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فيما دعاهم اليه ودعتهم أنفسهم الى خلافه (وأزواجه أمهاتهم) في حرمة نكاحهن عليهم (وأولوا الأرحام) ذووا القرابات (بعضهم أولى ببعض) في الارث (في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) أي من الارث بالايمان والهجرة الذي كان أول الاسلام فنسخ (الا) لكن (أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) بوصية فجائز (كان ذلك) أي نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث ذوي الارحام (في الكتاب مسطورا) وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ (و) اذكر (اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم)

جناح

(قوله أمهاتكم) مفعول ثان لجعل (قوله بشرطه) أي وهو العزم على العود فان لم يعزم على العود فلا تجب عليه الكفارة مالم يمسها والا تحتمت عليه ولو طلقها بعد ذلك (قوله وماجعل أدعياءكم) نزلت في حق زيد بن حارثة وهو كما روي كان من سبايا الشام فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم خيراه فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك يامعشر قريش اشهدوا انه ابني يرثني وأرثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فمكثت معه مدة ثم أخبر الله نبيه انه زوجه زينب فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله فتكلم المنافقون وقالوا تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها فنزلت هذه الآية رداعليهم وسنأتي هذه القصة في أثناء السورة (قوله جمع دعي) أي بمعنى مدعو وأصله دعيو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أي اليهود) تفسير للكاف في أفواهكم (قوله ادعوهم لآبائهم) روي ان عمر بن الخطاب قال ماكنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم (قوله هو أقسط) أي دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق (قوله فاخوانكم في الدين) أي فادعوهم بعبادة الاخوة بأن تقول له يا أخي مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للموالي فانه يطلق على معان من جملتها ابن العم والمعنى اذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمي مثلا (قوله وليس عليكم جناح) أي اثم (قوله ولكن ماتعمدت) اي ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم (قوله النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي انه صلى الله عليه وسلم أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولا فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس في كل شئ من أمور الدين والدنيا لانها طاعة لله قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله واذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالاولى فحقه صلى الله عليه وسلم على أمته أعظم من حق السيد على عبده وهذه الآية أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم اليه) اي من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة فاذا طلب النبي شيأ من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه فالحق في الطاعة للنبي وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة ولكن من كمال أخلاقه انه كان يتداين من اليهود ويشتري الشئ بالثمن وانما جعله الله أولى بالمؤمنين لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيأ عن هوى نفسه بل عن وحي لجميع أفعاله وأقواله عن ربه (قوله وأزواجه أمهاتهم) اي من عقد عليهن سواء دخل بهن أو لا مات عنهن أو طلقهن وسراريه اللاتي تمتع بهن كذلك (قوله في حرمة نكاحهن عليهم) أي وا لتعظيم والاحترام والبر لا في غير ذلك من النظر والخلوة فانهن في ذلك كالاجانب (قوله وأولوا الارحام) مبتدأ وبعضهم بدل أو مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله في الارث) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير الاقارب أولى بارث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الاجانب (قوله أي من الارث بالايمان والهجرة) أشار بذلك الى أن قوله من المؤمنين متعلق بأولى يعني ان الاقارب أولى بارث بعضهم من الارث بسبب الايمان والهجرة الذي كان في صدر الاسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض (قوله الا أن تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن (قوله الى أوليائكم) اي من توالونه من الاجانب (قوله بوصية) أي فلما نسخ الارث بالايمان والهجرة توصل الى نفع الاجانب بالوصية وهي خارجة من ثلث المال (قوله مسطورا) أي مكتوبا (قوله واذ أخذنا) ظرف لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله وهي أصغر النمل) أي فكل أربعين منها أصغر من

جناح بعوضة (قوله بان يعبدوا الله) أى يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا الى عبادته) أى يبلغوا شرائعه للخلق فعهد الانبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والنكتة كونهم أولى العزم ومشاهير الرسل وتقدمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهو عبادة الله والدعاء اليها (قوله وهو اليمين) أى الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته فالميثاق الثانى غير الاول لان الاول ابتداء على التوحيد والدعوى اليه من غير يمين والثانى مغلظ باليمين والشئ مع غيره غيره فى نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق بأخذنا وفى الكلام التفات من التكلم للغيبة كما أشار له المفسر بقوله ثم أخذ الميثاق والمراد بالصادقين الرسل (قوله تبكيتا للكافرين) أى تقبيحا عليهم أى فالحكمة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما امروا به مع علمه تعالى انهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على أخذنا) ويصح أن يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما أثبت فى الاول والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فاعد لهم نعيما مقيما ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم واعد لهم عذابا اليما (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الاحزاب وكانت فى شوال سنة أربع وقيل خمس وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم حيى بن أخطب وكنانة بن الربيع وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير الى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم قالت قريش لأولئك اليهود يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول فاخبرونا أنحن على الحق أم محمد فقالوا بل أنتم على الحق فانزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان وقيس عيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن ولما تهيأ الكل للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا محمدا بما اجتمعوا عليه فشرع فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسى فقالوا له يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حاصرونا خندقنا علينا فعمل فيه النبى والمسلمون حتى أحكموه وكان النبى يقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ومكثوا فى حفره ستة أيام وقيل خمسة عشر وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا واذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فأتى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق وأخذ المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعنى المدينة حتى كأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الاول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل الاول وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد رأيت شيأ ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم قال ضربت ضربتى الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فاضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فبرق لى الذى رأيتم اضاءت لى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم اضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد

بأن يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق (ليسأل) الله (الصادقين عن صدقهم) فى تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم (وأعد) تعالى (للكافرين) بهم (عذابا أليما) مؤلما هو عطف على أخذنا (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون منكم و يعدكم الباطل و يخبرانه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن
كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل قوله تعالى
واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله تعالى قل اللهم مالك
الملك الآية فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة
والخندق بينهم و بين المسلمين فلما رأته قريش قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك
عسكره والخندق بينهم و بين القوم وخرج عدو الله حيى بن أخطب رئيس بنى النضير حتى أتى كعب
ابن أسد القرظى سيد بنى قريظة فلما سمع كعب حييا أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فابى أن يفتح له
وقال له و يحك يا حيى انك امرؤ مشؤم انى عاهدت محمدا فلست بناقض فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا فما
زال حيى به و يقول له جئتك بعز الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله فلما انتهى الخبر الى رسول الله
بعث لهم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم نقضوا
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاتموهم وقالوا لهم لا عهد بيننا و بينكم ورجعوا أخبروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين فشرعوا يتراموا
مع المسلمين بالنبل ومكثوا فى ذلك الحصار خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين
الخوف ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى من غطفان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انى
أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان
استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم قد
عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى و بينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان
جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم
وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم
ونساؤهم بغيره وان رأوا انهزة وغنيمة أصابوا وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين هذا
الرجل ولا طاقة لكم عليه ان خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتأخروا فقالوا لقد اشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا
فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا على أن
أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين
محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من
أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم أن نعم فان بعثت
اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال
يا معشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا
نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة
خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة
فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا و بينه
فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل شيأ فيه وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم
يخف عليكم ولسنا مع الذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز
معكم محمدا فانا نخشى ان ضرمتكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل
فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش
وغطفان تعلمن والله أن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم
رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم

قوله ولسنا مع الذى نقاتل معكم هكذا فى النسخ والذى فى الزرقانى على المواهب ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم

الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا وهى ريح الصبا فى ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الارض وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا أحد ثم صلى هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا أحد من شدة الخوف والجوع والبرد ثم قال يا حذيفة فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته فأخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمى ثم انطلقت امشى نحوهم كأنما امشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وأبو سفيان قاعد يصطلى فأخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فاردت ان أرميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسى فقلت من أنت فقال سبحان الله اما تعرفنى أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أمشى فى حمام فأتيته وهو قائم يصلى فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفأ فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم فأنامنى عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان (قوله اذ جاءتكم) بدل من نعمة والعامل اذكروا (قوله متحزبون) أى مجتمعون وتقدم انهم كانوا اثنى عشر ألفا وكان المسلمون اذ ذاك ثلاثة آلاف والمنافقون من جملتهم (قوله ريحا) أى وهى الصبا التى تهب من المشرق ولم تجاوزهم (قوله ملائكة) أى وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وانما ألقوا الرعب فى قلوبهم (قوله وبالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (قوله من أعلى الوادى) أى وهم أسد وغطفان (قوله وأسفله) أى وهم قريش وكنانة (قوله من المشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) أى المحيط من كل جانب (قوله وهى منتهى الحلقوم) اى من أسفله (قوله الظنونا) بألف بعد النون وصلا ووقفا وبدونها فى الحالين وباثباتها وقفا وحذفها وصلا ثلاث قرا آت سبعيات وتجرى فى قوله أيضا السبيلا والرسولا فى آخر السورة (قوله بالنصر) أى من المؤمنين وقوله واليأس أى من المنافقين وبعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان أى فى ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاى فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بفتح الزاى وهما لغتان فى مصدر الفعل المضعف اذا جاء على فعلال كصلصال وقلقال (قوله واذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير وقال أيضا يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا وخوفا ما هذا الا وعد غرور (قوله واذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيظى بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين (قوله هى أرض المدينة) أى فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديما وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تسميتها بذلك

اذ جاءتكم جنود) من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) من الملائكة (وكان الله بما تعملون) بالتاء من حفر الخندق وبالياء من تحزيب المشركين (بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) من أعلى الوادى وأسفله من المشرق والمغرب (واذ زاغت الابصار) مالت عن كل شئ الى عدوها من كل جانب (وبلغت القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وتظنون بالله الظنونا) المختلفة بالنصر واليأس (هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وزلزلوا) حركوا (زلزالا شديدا) من شدة الفزع (و) اذكر (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) بالنصر (الا غرورا) باطلا (واذ قالت طائفة منهم) أى المنافقين (يا أهل يثرب) هى أرض المدينة ولم تصرف للعلمية

ووزن الفعل (لا مقام لكم) بضم الميم وفتحها أي لا اقامة ولا مكانة (فارجعوا) الى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم الى سلع جبل خارج المدينة للقتال (ويستأذن فريق منهم النبي) في الرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة يخشى عليها قال
تعالى (وما هي بعورة ان) ما (يريدون الا فرارا) من القتال (ولو دخلت) أي المدينة (عليهم من أقطارها) نواحيها (ثم سئلوا)
أي سألهم الداخلون (الفتنة) الشرك (لآتوها) بالمد والقصر أي أعطوها وفعلوها (وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا) ان فررتم (لا تمتعون) في الدنيا بعد فراركم (الا قليلا) بقية آجالكم (قل من ذا الذي يعصمكم) يجيركم (من الله ان أراد بكم سوأ) هلاكا وهزيمة (أو) يصيبكم بسوء ان (أراد الله بكم رحمة) خيرا (ولا يجدون لهم من دون الله) أي غيره (وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين) المثبطين (منكم والقائلين لاخوانهم هلم) تعالوا (الينا ولا يأتون البأس) القتال (الا قليلا) رياء وسمعة (أشحة عليكم) بالمعاونة جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي) كنظر أو كدوران الذي (يغشى عليه من الموت) أي سكراته (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) آذوكم أو ضربوكم (بألسنة حداد أشحة على الخير) أي الغنيمة يطلبونها (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة
(فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) بارادته (يحسبون الاحزاب) من الكفار (لم يذهبوا)
الى مكة لخوفهم منهم (وان يأت الاحزاب) كرة أخرى (يودوا) يتمنوا (لو أنهم بادون في الاعراب) أي كائنون في البادية (يسألون عن
أنبائكم) اخباركم مع الكفار (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم في رسول الله أسوة)

وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) أي فهي على وزن يضرب (قوله
بضم الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) أي تمكنا وهو بمعنى الاقامة (قوله جبل
خارج المدينة) أي بينها وبين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم اليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن)
عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) أي من السراق لكونها
قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أي تكذيبا لهم (قوله ولو دخلت عليهم) أي دخلها الاحزاب (قوله
الشرك) أي ومقاتلة المسلمين (قوله بالمد والقصر) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي أعطوها
وفعلوها) لف ونشر مرتب (قوله وما تلبثوا بها الا يسيرا) أي ما أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد واظهار
الكفر وقتال المسلمين الا زمنا قليلا ويهلكون فالعزة لله ورسوله والمسلمين فالمعنى لو دخل الكفار المدينة
وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار لأخذهم الله بأيديكم سريعا بقطع دابرهم فلا تخشوا منهم داخل
المدينة أو خارجها (قوله من قبل) أي قبل غزوة الخندق (قوله لا يولون الادبار) أي بل يثبتون على
القتال حتى يغنموا أو يستشهدوا (قوله مسؤلا عن الوفاء به) أي مسؤلا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله ان فررتم من
الموت أو القتل) أي لأنه مصيبكم لا محالة (قوله واذا لا تمتعون الا قليلا) أي وان نفعكم الفرار وتمتعتم
بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا زمنا قليلا (قوله أو أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله أو
يصيبكم بسوء لأنه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله
المثبطين) أي المكسلين غيرهم عن القتال في سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين) عطف على
المعوقين وقوله لاخوانهم أي في الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالقائلين اليهود
من بني قريظة (قوله هلم الينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث
وهذه لغة أهل الحجاز وعند تميم هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى
عبارة المفسر انه لازم حيث فسره بتعالوا ويصح جعله متعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير
أنفسكم الينا (قوله رياء وسمعة) أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله الا قليلا لغرض
خبيث (قوله أشحة عليكم) أي مانعين الخير عنكم (قوله جمع شحيح) هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء
كخليل وأخلاء والشح البخل (قوله رأيتهم ينظرون اليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لأن شأن الجبان
الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظر أو كدوران) أشار بذلك الى أن قوله كالذي
يغشى عليه نعت لمصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذي يغشى عليه من الموت) أي
لأنه يشخص بصره ويذهب عقله (قوله سلقوكم) السلق بسط العضو ومده للقهر كان يدا أو لسانا ففي
الآية استعارة بالكناية حيث شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو
السلق بمعنى الضرب فاثباته تخييل والحداد ترشيح (قوله أشحة على الخير) أي مانعين له فلا نفع في
أنفسهم ولا في مالهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) أي بقلوبهم وان أسلموا ظاهرا (قوله فأحبط الله أعمالهم)
أي أظهر بطلانها (قوله يحسبون) أي المنافقون لشدة جبنهم (قوله الاحزاب) أي قريشا وغطفان
واليهود (قوله لو أنهم بادون في الاعراب) أي ساكنون في البادية خارج المدينة ليكونوا في بعد عن
الاحزاب (قوله يسألون عن أنبائكم) يصح أن يكون حالا من الواو في بادون أو جملة مستأنفة والمعنى
يسألون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما بينهم ان غلب المسلمون
قاسمناهم في الغنيمة وان غلب الكفار فنحن معهم (قوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) هذه
الآية

الآية وما بعدها الى قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من تمام قصة الاحزاب وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمنافقين (قوله بكسر الهمزة وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) أشار بذلك الى أن الاسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء يقال ائتسى فلان بفلان أى اقتدى به (قوله فى القتال) لامفهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فى الاقوال والافعال والاحوال لانه لاينطق ولايفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ولذا قال العارف

وخصلك بالهدى فى كل أمر * فلست تشاء الاماشاء

وانما خص القتال بالذكر لانه معرض السبب (قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى فالمتصف بهذه الاوصاف ثبتت له الاسوة الحسنة فى رسول الله وأما من لم يكن متصفا بتلك الاوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) أى بلسانه أو جنانه أو ماهو أعم (قوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب) أى أبصروهم محدقين حول المدينة (قوله قالوا هذا ماوعدنا الله) أى بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وقوله ورسوله أى بقوله ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر والعاقبة لكم عليهم (قوله وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله ورسوله فى الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله واظهر فى محل الاضمار زيادة فى تعظيم اسم الله ولانه لو اضمر لجمع بين اسم الله واسم رسوله فى ضمير واحد مع أن النبى صلى الله عليه وسلم عاب على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله (قوله وما زادهم ذلك) أى الوعد أو الصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا الخ) هم جماعة من الصحابة نذروا انهم اذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا (قوله فمنهم من قضى نحبه) أى وفى نذره بموته فى القتال يقال نحب ينحب من باب قتل نذر ومن باب ضرب بكى (قوله ومنهم من ينتظر ذلك) أى قضاء النحب بالموت فى سبيل الله (قوله بخلاف حال المنافقين) أى فقد بدلوا وغيروا فكان الواحد منهم اذا أراد القتال انما يقاتل خوفا على نفسه وماله لاطمعا فى رضا الله (قوله ليجزى الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزى الله الخ (قوله بان يميتهم على نفاقهم) أشار بذلك الى أن مفعول شاء محذوف ودفع بذلك مايقال ان عذابهم متحتم فكيف علق على المشيئة والتعليق بحسب علمنا وأما فى علم الله فالامر محتم اما بالسعادة أو الشقاوة وسيظهر ذلك للعباد (قوله بغيظهم) الجملة حالية أى ملتبسين بالغيظ (قوله لم ينالوا خيرا) حال ثانية (قوله وكفى الله المؤمنين القتال) أى لم يحصل بينهم اختلاط فى الحرب بل انما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم (قوله بالريح) أى فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) أى بالقاء الرعب فى قلوبهم وتقدم بسط ذلك فى القصة (قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب الخ) شروع فى ذكر قصة بنى قريظة وذكرت عقب الاحزاب لكون بنى قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه قال العلماء بالسير لما أصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التى انصرف فيها الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف هو والمؤمنون الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من استبرق راكبا على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه الايمن فقال يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة ومارجعت الآن الامن طلب القوم فقال ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة فانهض اليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال والقيت الرعب فى قلوبهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم المسلمون

بكسر الهمزة وضمها (حسنة) اقتداء به فى القتال والثبات فى مواطنه (لمن) بدل من لكم (كان يرجوا الله) يخافه (واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) بخلاف من ليس كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) من الكفار (قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) من الابتلاء والنصر (وصدق الله ورسوله) فى الوعد (وما زادهم ذلك الا ايمانا) تصديقا بوعد الله (وتسليما) لامره (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) من الثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (فمنهم من قضى نحبه) مات أو قتل فى سبيل الله (ومنهم من ينتظر) ذلك (وما بدلوا تبديلا) فى العهد وهم بخلاف حال المنافقين (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء) بأن يميتهم على نفاقهم (أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا) لمن تاب (رحيما) به (ورد الله الذين كفروا) أى الاحزاب (بغيظهم لم ينالوا خيرا) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على ايجاد مايريده (عزيزا) غالبا على أمره (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أى قريظة (من صياصيهم) حصونهم جمع صيصية

خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنزلون على حكمى فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس فرضوا به فحكمه فيهم فقال سعد انى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذرارى والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذى هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فأتى بهم اليه وفيهم حيى بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد رئيس بنى قريظة وكانوا ستمائة أو سبعمائة فامر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم فى ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شانهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه فى وقعة الاحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده انى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (قوله وهو ما يتحصن به) أى سواء كان من الحصون أو لا حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك تسمى صيصية (قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أى وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة (قوله أى الذرارى) أى وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أى الآن وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وهى خيبر) أى وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك الى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أى بسنتين أو ثلاث على الخلاف المتقدم فى قريظة هل هى فى الرابعة أو الخامسة وخيبر كانت فى السابعة فى أول المحرم وهى مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل وأقبل عليها صبيحة النهار وفى تلك الليلة لم يصح لها ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرها وبنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربعمائة نخلة وسبى أهلها وأصاب من سبيها صفية بنت حيى بن أخطب رئيس بنى النضير وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبى فتنازع بعض الصحابة فى شأن ذلك فأخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخى موسى فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله ياأيها النبى قل لأزواجك) اختلف المفسرون فى هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على أنهن ان اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن وذهب قوم الى أنه كان تفويضا وانهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لانشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) أى وهن اللاتى مات عنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة هى بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيى ابن أخطب من بنى النضير وهند هى أم سلمة بنت أبى أمية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية ورملة هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وسودة هى بنت زمعة (قوله ان كنتن تردن الحياة الدنيا) أى التنعم فيها (قوله وزينتها) أى زخارفها روى أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فأذن لابى بكر فدخل ثم جاء عمر فاذن له فدخل فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لأقولن شيأ أضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها

وهو ما يتحصن به (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا تقتلون) منهم وهم المقاتلة (وتأسرون فريقا) منهم أى الذرارى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها) بعد وهى خيبر أخذت بعد قريظة (وكان الله على كل شئ قديرا ياأيها النبى قل لأزواجك) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها

كلاهما يقول تسألن رسول الله ماليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ
أبدا ماليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك حتى بلغ للمحسنات
منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة انى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى
فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير
أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكر لهن ذلك فأنزل الله لا تحل
لك النساء من بعد ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وبقوله
ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل أمر مبنى على السكون ونون النسوة
فاعل (قوله أمتعكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض ويصح أن يكون مجزوما في جواب الامر
والجواب هو قوله فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرار) أى من غير تعب ولا مشقة (قوله فاخترن
الآخرة على الدنيا) أى ودمن على ذلك فكن زاهدات فى الدنيا حتى وردان عائشة دخل عليها ثمانون
ألف درهم من بيت المال فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها فى مجلس واحد فلما فرغت طلبت عائشة
منها شيأ تفطر به وكانت صائمة فلم تجد منها شيأ (قوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة الخ) هذه
الآيات خطاب من الله لأزواج النبي اظهارا لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لان العتاب
والتشديد فى الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهن ضجيعاته
فى الجنة فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذ وزعم أن حب النبي والقرب
منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل
لحدت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للامة وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع
نساء الانبياء مصونات من الزنا ولذا قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما خانت امرأة نوح ولوط فى
الايمان والطاعة وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق وقيل الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط
وان وردت منكرة فهى سائر المعاصى وان وردت منعوتة كما هنا فهى عقوق الزوج وسوء عشرته
وقيل المراد بها جميع المعاصى وهو الاظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن أشركت
ليحبطن عملك والا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) أى
فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بينت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفى قراءة يضعف) أى والثلاث
سبعيات (قوله العذاب) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (قوله أى مثليه) أى فضعف الشئ مثله
وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا فلا يبالى الله بأحد وان
عظمت رتبته فليس أمر الله كأمر الخلق يترك تعذيب الاعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم
بل المكرم عند الله هو المتقى (قوله وتعمل صالحا) أى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء
ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) أى مرة على الطاعة والتقوى ومرة أخرى على خدمة رسول
الله الخدمة الباطنية التى لا تتيسر من غيرهن (قوله يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) تقدم ان حكمة
التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم
رتبتهن فلا يليق منهن التوغل فى الشهوات وتطلب زينة الدنيا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لست من الدنيا وليست الدنيا منى والمقربون منه كذلك والمعنى ليست الواحدة منكن كالواحدة من
آحاد النساء فالتفاضل فى الافراد (قوله ان اتقيتن) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه كما يشير له
المفسر بقوله فانكن أعظم والمعنى ان اتقيتن الله فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء
(قوله فلا تخضعن) كلام مستأنف مفرع على التقوى (قوله بالقول) أى بان تتكلمن بكلام
رقيق يميل قلوب الرجال اليكن اذ لا يليق منكن ذلك لكونكن أعظم النساء (قوله فيطمع الذى
فى قلبه مرض) فى ذلك احتراس عما يقال انهن أمهات المؤمنين والانسان لا يطمع فى أمه فأجاب بأن
الذى يقع منه الطمع انما هو المنافق لان شهوته حاصلة معه وهو منزوع الخشية والخوف من الله ولكن

فتعالين أمتعكن) أى متعة
الطلاق (وأسرحكن سراحا
جميلا) أطلقكن من غير
ضرار (وان كنتن تردن الله
ورسوله والدار الآخرة) أى
الجنة (فان الله أعد للمحسنات
منكن) بارادة الآخرة (أجرا
عظيما) أى الجنة فاخترن
الآخرة على الدنيا (يا نساء النبي
من يأت منكن بفاحشة
مبينة) بفتح الياء وكسرها أى
بينت أو هى بينة (يضاعف)
وفى قراءة يضعف بالتشديد
وفى أخرى نضعف بالنون معه
ونصب العذاب (لها العذاب
ضعفين) ضعفى عذاب
غيرهن أى مثليه (وكان ذلك
على الله يسيرا ومن يقنت)
يطع (منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها أجرها
مرتين) أى مثلى ثواب
غيرهن من النساء وفى قراءة
بالتحتية فى تعمل ونؤتها
(وأعتدنا لها رزقا كريما)
فى الجنة زيادة (يا نساء النبي
لستن كأحد) كجماعة (من
النساء ان اتقيتن) الله فانكن
أعظم (فلا تخضعن بالقول)
للرجال (فيطمع الذى فى قلبه
مرض) نفاق (وقلن

يريبن جوماسد الذريعة (قوله قولا معروفا) أي حسنا فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لا ريبة فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من القرار) أي الثبات بيان لمعنى القراءتين (قوله وأصله اقررن بكسر الراء) أي من باب ضرب وقوله وفتحها أي من باب علم فماضي الاول مفتوح والامر منه مكسور والثاني بالعكس (قوله نقلت حركة الراء) أي الاولى وحركتها اما كسرة على الاول أو فتحة على الثاني (قوله مع همزة الوصل) أي للاستغناء عنها بتحريك القاف والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن الا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الاولى) اختلف في زمنها فقيل هي ما قبل ابعثة ابراهيم وقيل ما بين آدم ونوح وقيل ما بين نوح وادريس وقيل ما بين نوح وابراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى وقيل ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هي ما قبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر المفسر وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى (قوله من اظهار محاسنهن للرجال) أي فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين وكانت النساء يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار وينفرد زوجها بما دون الازار الى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل (قوله والاظهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال ان اظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الاولى فأجاب بأنه تقدم النهي عنه في قوله ولا يبدين زينتهن الخ (قوله وأقمن الصلاة) أي بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) أي لمستحقيها (قوله وأطعن الله ورسوله) أي في جميع الاوامر والنواهي فلا تلبق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) أي الذنب المدنس لعرضكن (قوله أهل البيت) منصوب على انه منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر (قوله أي نساء النبي) قصره عليهن لمراعاة السياق والا فقد قيل الآية عامة في أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركم تطهيرا) أكده اشارة الى الزيادة في التطهير بسبب التكاليف فالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهي الخلوص من دنس المعاصي فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصي فهو ضال كذاب (قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن) أي لتذكرن به انفسكن أو غيركن وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من أهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحي وكل ذلك موجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) أي عالما بخفيات الامور (قوله خبيرا) أي مطلعا على كل شئ (قوله ان المسلمين والمسلمات الخ) سبب نزولها ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن ان الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء فنخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت جبرا لخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) انما عطف وصفهما بالايمان على وصفهما بالاسلام وان كانا متحدين شرعا نظرا الى أنهما مختلفان مفهوما اذ الاسلام التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والايمان الاذعان القلبي بشرط النطق باللسان ويكفي في العطف أدنى تغاير (قوله والحافظات) حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) أي بأي ذكر كان من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والكثرة مختلفة باختلاف الاشخاص فالكثرة في حق العامة أقلها ثلثمائة وفي حق المريدين اثنا عشر ألفا وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري يوما حكمت بردتي

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا وتارة في الامتناع عقلا كما في قوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وتارة في الامتناع شرعا

كقوله

قولا معروفا) من غير خضوع (وقرن) بكسر القاف وفتحها (في بيوتكن) من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء الى القاف وحذفت مع همزة الوصل (ولا تبرجن) بترك احدى التاءين من أصله (تبرج الجاهلية الاولى) أي ما قبل الاسلام من اظهار النساء محاسنهن للرجال والاظهار بعد الاسلام مذكور في آية ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الاثم يا (أهل البيت) أي نساء النبي صلى الله عليه وسلم (ويطهركم) منه (تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) السنة (ان الله كان لطيفا) بأوليائه (خبيرا) بجميع خلقه (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات) المطيعات (والصادقين والصادقات) في الايمان (والصابرين والصابرات) على الطاعات (والخاشعين) المتواضعين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة) للمعاصي (وأجرا عظيما) على الطاعات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة

كقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا (قوله اذا قضى الله ورسوله أمرا) ذكر اسم الله للتعظيم واشارة الى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى واذا يصح ان تكون ظرفا معمولا لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمرا كون الخيرة لهم ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله (قوله ان تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة والياء نظرا الى أن الخيرة مجازى التأنيث أو للفصل بين العامل والمعمول (قوله الخيرة) بفتح الياء وقرئ شذوذا باسكانها ومعناهما واحد وهو الاختيار (قوله أى الاختيار) أشار بذلك الى ان الخيرة مصدر (قوله من أمرهم) حال من الخيرة (قوله وأخته زينب) اى بنت جحش وأمها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبي وعنى لزيد) أى بعد أن كان زوجه أولا أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقها وقيل أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة أشهر وقيل ستة و ولدت لزيد أسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله فكرها ذلك) أى كون الخطبة لزيد وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا بنت عمتك فلا أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود (قوله ثم رضيا للآية) أى حين نزلت الآية توبيخا لهما (قوله ومن يعص الله ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل فى شأنهما فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) أى أخطأ طريق الصواب (قوله فزوجها النبي لزيد) أى وأعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على ان معنى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه هو حبها الذى درج عليه المفسر تبعا لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لا سيما بجنابه الشريف وأيضا يبعد ان النبي يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفى حجره (قوله فقال أمسك عليك زوجك) أى لا تفارقها (قوله منصوب باذكر) أى فهو معمول لمحذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه تسمح بل الذى فى السير ان خديجة اشترته بأربعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صورى والا فهو كان حرا لانه لم يكن الرق بالسبى مشروعا لكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلماء عرفوا الرق بانه عجز حكمى سببه الكفر روى ان عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه الى صدره وقال له من انت قال لمحمد بن عبد الله فاتوه وقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرضوا عليه فان اختاركم فخذوه فبعث الى زيد وخيره فقال يا رسول الله ما اختار عليك أحدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك قال نعم هى أحب الى من أن أكون عندكم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من محبتها) بيان لما أبداه وهذا القول مردود لما تقدم انه ينزه عنه رسول الله والصواب أن يقول ان الذى أخفاه فى نفسه هو ما أخبره الله به من انها ستصير احدى زوجاته بعد طلاق زيد لها لما روى عن على بن الحسين رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما اشتكا زيد للنبي خلق زينب وانها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله على جهة الأدب والوصية اتق الله فى قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذى أخفى فى نفسه وخشى رسول الله ان يلحقه قول الناس فى ان يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه فعاتبه الله على الكتم لاجل هذا العذر والحكمة فى تزوج رسول الله بزينب ابطال حكم التبنى والتفرقة بين ولد الصلب و ولد التبنى من حيث ان ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته و ولد التبنى لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا فى بعض النسخ بصيغة الامر وفى نسخة ويتزوجها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أى بان لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها وفى ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان

اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون) بالتاء والياء (لهم الخيرة) أى الاختيار (من أمرهم) خلاف أمر الله ورسوله نزلت فى عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وعنى زيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما لظنهما قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بينا فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع فى نفسه حبها وفى نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (واذ) منصوب باذكر (تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبى الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أمسك عليك زوجك واتق الله) فى أمر طلاقها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) مظهره من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها (وتخشى الناس) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (والله أحق أن تخشاه) فى كل شئ وتزوجها ولا عليك من قول الناس ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة (زوجناكها)

اسمه قرآنا يتلى في الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة وزاد في الآيات قال واذ تقول للذي أنعم الله عليه أي بالايمان فدل على انه من أهل الجنة فعلم ذلك قبل موته فهذه فضيلة أخرى (قوله فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن) أي ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التي لم يشاركه فيها أحد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفتخر على أزواج النبي وتقول لهن زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وكانت تقول للنبي جدي وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غيري وقد أنكحنيك الله والسفير في ذلك جبريل (قوله وأشبع المسلمين خبزا ولحما) أي فذبح شاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه ولم يولم النبي على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج الخ) أي فهو دليل على ان هذا الامر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) أي موجودا لا محالة (قوله من حرج) أي اثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم في النكاح) أي فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية (قوله قدرا مقدورا) هو من التأكيد كظل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أي أبوة حقيقية فلا ينافي انه أبوهم من حيث انه شفيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على انه خبر لكان المحذوفة وقرئ شذوذا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة اذ لم يعش له ولد ذكر وقرئ أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أي هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفي الابوة عنه ان حقه ليس أكيدا فأفاد أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة (قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) النفي في الحقيقة متوجه للوصف أي كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده والا فقد كان له من الذكور أولاد ثلاث ابراهيم والقاسم والطيب ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له وأورد عليه بمنع الملازمة اذ كثير من الانبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بانبياء وأجيب بأن الملازمة ليست عقلية بل على مقتضى الحكمة الالهية وهي ان الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل ونبينا أكرمهم وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمعه المزايا المتفرقة في غيره فتدبر (قوله واذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى وخاتم النبيين وعيسى ينزل بعده وهو نبي ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء في الاحاديث مما يخالف شرعنا لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) في هذه اشارة الى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وأفاض عليهم الانوار وحياهم والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم قال تعالى اذكروني أذكركم وليس المقصود منها نفعه تعالى بذلك تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضر قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم فذكرنا لانفسنا لانه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين واذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وأبدا واعلم ان الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فلم يجعل له حدا ولم يعذر أحدا في تركه الا من كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم به في جميع الاحوال قال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه اشارة الى أن الذكر أمره عظيم وفضله جسيم (قوله وسبحوه بكرة وأصيلا) خص التسبيح بالذكر وان كان داخلا فيه لكونه أعلى مراتبه وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين لكونهما أشرف الاوقات وبسبب تنزل الملائكة فيهما (قوله هو الذي يصلي عليكم) استئناف في

فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما (لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله) مقضيه (مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض) أحل (الله له سنة الله) أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض (في الذين خلوا من قبل) من الانبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وكان أمر الله) فعله (قدرا مقدورا) مقضيا (الذين) نعت للذين قبله (يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وكفى بالله حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فليس أبا زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا (وكان الله بكل شيء عليما) منه بأن لا نبي بعده واذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره (هو الذي يصلي عليكم) أي يرحمكم

معنى التعليل للامر بالذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر فى يصلى والفاصل موجود (قوله أى يستغفرون لكم) أى يطلبون لكم من الله المغفرة قال تعالى ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم اخراجه اياكم) جواب عما يقال ان اخراجه ايانا من الظلمات حاصل بمجرد الايمان وايضاح الجواب ان المراد دوام هذا الاخراج لان الغفلة من الخالق اذا دامت ربما أخرجت العبد من النور والعياذ بالله (قوله من الظلمات الى النور) جمع الاول لتعدد أنواع الكفر وأفرد الثانى لان الايمان شئ واحد لا تعدد فيه فمن ادعى الايمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أى يقبل القليل من أعمالهم ويعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا فى اعمالهم (قوله تحيتهم منه تعالى) أى التحية الصادرة منه تعالى زيادة فى الاعتناء بهم وتعظيما لقدرهم (قوله يوم يلقونه) اختلف فى وقت اللقى فقيل عند الموت وقيل عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أى لما ورد اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له ربك يقرئك السلام وفى الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الاقيلا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أى وما فيها من النعيم المقيم (قوله على من أرسلت اليهم) أى لتترقب أحوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الاعمال الحسنة والقبيحة فالاعمال تعرض عليه حيا وميتا ويصح أن يكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول الدعوى لا يحتاج فى دعواه الى شهادة أحد فيشهد للانبياء بالتبليغ وعلى الامم اما بالتصديق أو التكذيب (قوله بامره) دفع بذلك ما يقال ان الاذن حاصل بقوله أرسلناك فاجاب بأن المراد بالاذن الامر والحكمة فى الاذن تسهيل الامر وتيسيره لان الدخول فى الشئ من غير اذن متعذر فاذا حصل الاذن سهل وتيسر ومن هنا أخذ الاشياخ استعمال الاجازة للمريدين فمن أجازه أشياخه بشئ من العلم والارشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل ان المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ويحتمل ان المراد به المصباح وحينئذ فيقال انما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع ان نورها أتم لان السراج يسهل اقتباس الانوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقتبس منه الانوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أى حيث كنت متصفا بالصفات الخمسة فبشر المؤمنين (قوله ولا تطع الكافرين) أى لا تدار الكفار ولا تلين لهم جانبك فى أمر الدين بل اثبت على ما أوحى اليك وبلغه ولا تكتم منه شيأ (قوله ودع أذاهم) اما من اضافة المصدر لفاعله أى أذيتهم اياك فلا تقاتلهم جزاء على ما صدر منهم أو لمفعوله أى اترك أذيتك لهم فى نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أى ثق به فى أمورك واعتمد عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة فى الفاعل أى ان الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفى الآية اشارة الى أن التوكل أمره عظيم فاذا عجز الانسان عن أمر فعليه بالتوكل على الله والتفويض اليه فان الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله اذا نكحتم المؤمنات) المراد بالنكاح العقد بدليل قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ الكتابيات كذلك وانما خص المؤمنات بالذكر اشارة الى أن الاولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات وأما نكاح الكتابيات فمكروه أو خلاف الاولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى ولو طال زمن العقد (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان (قوله أى تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) اما من العدد أو من الاعتداد أى تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عد الدراهم فاعتدها أى استوفى عددها (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك فالمطلقة قبل الدخول ان سمى لها صداق فلا متعة لها ولا عدة

(وملائكته) أى يستغفرون لكم (ليخرجكم) ليديم اخراجه اياكم (من الظلمات) أى الكفر (الى النور) أى الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم) منه تعالى (يوم يلقونه سلام) بلسان الملائكة (وأعد لهم أجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من أرسلت اليهم (ومبشرا) من صدقك بالجنة (ونذيرا) منذرا من كذبك بالنار (وداعيا الى الله) الى طاعته (باذنه) بأمره (وسراجا منيرا) أى مثله فى الاهتداء به (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) هو الجنة (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (ودع) اترك (أذاهم) لا تجازهم عليه الى أن تؤمر فيهم بأمر (وتوكل على الله) فهو كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا اليه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفى قراءة تماسوهن أى تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالأقراء وغيرها (فمتعوهن) اعطوهن ما يستمتعن به أى ان لم يسم لهن أصدقة والا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعى (وسرحوهن سراحا جميلا)

عليها وان لم يسم لها صداقا بان نكحت تفويضا فلا عدة عليها ولها المتعة اما وجوبا كما هو عند الشافعى أو ندبا كما هو عند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أى اتركوهن (قوله من غير اضرار) أى بأن تمسكوهن تعنتا حتى يفتدين منكم أو تؤذوهن وتتكلموا فى اعراضهن (قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك الخ) اختلف المفسرون فى المراد بهذه الآية فقيل المعنى ان الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله لا تحل لك النساء من بعد فهذه الآية وان كانت متقدمة فى التلاوة فهى متأخرة فى النزول عن الآية المنسوخة بها كآية الوفاة فى البقرة وقيل المراد أحللنا لك أزواجك الكائنات عندك لانهن اخترنك على الدنيا ويؤيده قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أى النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء الا من سمى سر نساؤه بذلك والقول الاول أصح (قوله اللاتى آتيت أجورهن) بيان لما كان يفعله من مكارم الاخلاق والا فالله أحل له أن يتزوج بلا مهر (قوله مما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل الملك بالشراء كذلك (قوله كصفية) هى بنت حيى بن أخطب من نسل هرون أخى موسى وتقدم انها كانت من سبى خيبر اذن النبى صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبى فى أخذ جارية فأخذها فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم أعطيته سيدة بنى قريظة والنضير وهى لا تصلح الا لك نخشى عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فىّ قالت نعم يا رسول الله انى كنت أتمنى ذلك فى الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم فى حجرها فرأت قمرا وقع فى حجرها فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت فى رمضان سنة خمسين ودفنت فى البقيع (قوله وجويرية) أى وهى بنت الحرث الخزاعية وكانت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى فكاتبها فجاءت تسأل النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من ذلك أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت أعظم فى قومها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق وقسم لها النبى صلى الله عليه وسلم وكانت بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله وبنات عمك وبنات عماتك) أى نساء قريش المنسوبات لابيك وقوله وبنات خالك وبنات خالاتك أى نساء بنى زهرة المنسوبات لامك وحكمه افراد العم والخال دون العمة والخالة ان العم والخال يعمان اذا أضيفا لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة والعمة والخالة لا يعمان لوجود التاء (قوله بخلاف من لم يهاجرن) أى ولا يحللن له وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطا فى الاسلام فلما نسخ حكم الهجرة نسخ هذا الحكم (قوله وامرأة مؤمنة) معطوف على مفعول أحللنا أى وأما غير المؤمنة فلا تحل له وظاهر الآية ان النكاح ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ فيكون من خصوصياته والنساء اللاتى وهبن أنفسهن أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم واعلم أنه يحرم على النبى تزوج الحرة الكتابية لما فى الحديث سألت ربى أن لا أزوج الا من كان معى فى الجنة فأعطانى ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يليق أن تكون المشركة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا نكاح الامة ولو مسلمة لان نكاحها مشروط بأمرين خوف العنت وعدم وجود مهر الحرة وكلا الامرين مفقود منه صلى الله عليه وسلم وأما تسريه بالامة الكتابية ففيه خلاف (قوله ان وهبت نفسها للنبى) أظهر فى محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف واظهارا لعظمة قدره عنده (قوله ان أراد النبى أن يستنكحها) هذا الشرط قيد فى الشرط الاول فان هبتها نفسها لا توجب حلها الا اذا أراد نكاحها بأن يحصل منه القبول بعد الهبة أو يسألها فى ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خالصة) مصدر معمول لمحذوف أى خلصت لك خالصة ومجىء المصدر على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية والكاذبة (قوله

خلوا سبيلهن من غير اضرار (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) من الكفار بالسبى كصفية وجويرية (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) بخلاف من لم يهاجرن (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها) يطلب نكاحها بغير صداق (خالصة لك من دون المؤمنين) النكاح بلفظ الهبة

من

من غير صداق (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي المؤمنين (في أزواجهم) من الاحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر (و) في (ما ملكت أيمانهم) من الاماء بشراء وغيره بأن تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء (لكيلا) متعلق بما قبل ذلك (يكون عليك حرج) ضيق في النكاح (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة في ذلك (ترجي) بالهمز والياء بدله تؤخر (من تشاء منهن) أي أزواجك عن نوبتها (وتؤوي) تضم (اليك من تشاء) منهن فتأتيها (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) من القسمة (فلا جناح عليك) في طلبها وضمها اليك خير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه (ذلك) التخيير (أدنى) أقرب الى (أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن) ما ذكر المخير فيه (كلهن) تأكيد للفاعل في يرضين (والله يعلم ما في قلوبكم) من أمر النساء والميل الى بعضهن وانما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت (وكان الله عليما) بخلقه (حليما) عن عقابهم (لا تحل) بالتاء والياء (لك النساء من بعد) بعد التسع اللاتي اخترنك (ولا أن تبدل) بترك احدى التاءين في الاصل (بهن من أزواج) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك) من الاماء فتحل لك وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية

من غير صداق) أي ومن غير ولي وشهود (قوله وغيره) أي كهبة (قوله بخلاف المجوسية الخ) أي فلا تحل لمالكها الا اذا استسلمها وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب لانهن يجبرن على الاسلام ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه (قوله وأن تستبرأ قبل الوطء) أي كتابية كانت أو مجوسية (قوله متعلق بما قبل ذلك) أي وهو قوله انا أحللنا لك والمعنى أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لئلا يكون عليك ضيق (قوله لما يعسر التحرز عنه) أي لقولهم اذا ضاق الامر اتسع (قوله ترجي من تشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاشرته لنسائه واختلفوا في تأويلها وأصح ما قيل فيها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أغار على النبي صلى الله عليه وسلم على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أوتهب المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله ما أرى ربك الا يسارع في هواك وقيل ان ذلك في الواهبات أنفسهن وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن وتترك من شئت وقيل ان ذلك في الطلاق فالمعنى لك طلاق من شئت منهن وامساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء (قوله والياء بدله) أي بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) أي من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) أي التي طلبت ردها الى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة فلا جناح عليك (قوله بعد أن كان القسم واجبا عليه) هذا أحد قولين وقيل كان مخيرا من أول الامر ولم يكن واجبا عليه ابتداء (قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن) هذا اشارة الى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لان التخيير أقرب الى سكون أعينهن وعدم حزنهن وأقرب الى رضاهن بما حصل لهن لانهن اذا علمن ان الله لم يوجب على النبي شيأ من القسم وحصل منه القسم سررن بذلك وقمن به (قوله تأكيد للفاعل) أي فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب توكيد المفعول (قوله والله يعلم ما في قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم ويحتمل ان يراد العموم (قوله والميل الى بعضهن) أي بالطبع فكان يميل الى بعضهن أكثر وكان يقول اللهم ان هذا حظي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك واتفق العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات غير سودة رضي الله عنها فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها (قوله حليما عن عقابهم) أي يعلم العيب ويستره فينبغي للانسان ان لا يفرط في حقوقه لان انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما في الحديث اتقوا غيظ الحليم ففي الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) أي بعد اجتماعهن في عصمتك فهن في حقك كالاربع لآحاد الامة فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتي توفي عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج) البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال بأي وجه (قوله من أزواج) من زائدة في المفعول (قوله ولو أعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله الا ما ملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع لاخراجه من الازواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) أي القبطية أهداها له المقوقس ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن أبي بلتعة

بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام صورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية فلما جاء حاطب بالكتاب الى المقوقس وجده في الاسكندرية فدفعه اليه فقرأه ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية ثم كتب جوابه في كتاب صورته بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا اليه وعلمت ان نبيا قد بقي وما كنت أظن الا انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أى فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أى وهما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطي مصر وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى اليه جارية أخرى زائدة على الجاريتين وخصيا يقال له مأبور والبغلة هي دلدل وكانت شهباء وفرسا وهو اللزاز فانه سأل حاطبا ما الذى يحب صاحبك من الخيل فقال له الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى اليه عسلا من عسل بنها قرية من قرى مصر فأعجب به صلى الله عليه وسلم وقال ان كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له ابراهيم) أى في ذى الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما وقيل سنة وعشرة أشهر (قوله ومات في حياته) أى ولم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الخ) هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر وأنزل الحجاب (قوله الا أن يؤذن لكم) أى الا بسبب الاذن لكم (قوله الى طعام) متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين اناه) هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضي ان الدخول مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع انه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير اذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من غير اذن وينتظرون نضج الطعام فنهاهم الله عن كل من الامرين والحاصل ان أسباب النزول في هذه الآيات تعددت منها ان قوما كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام ومنها ان قوما كانوا يدخلون باذن ويجلسون بعد الطعام واستأنسين لحديث ومنها ان قوما كانوا الاجانب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب ونهى عن ذلك كله وهذه آيات الحجاب لخصوص أمهات المؤمنين وأما العموم الامة فقد تقدمت في سورة النور تأمل (قوله مصدر أنى يأنى) أى من باب رمى وقياس مصدره أنى لكنه لم يسمع وانما المسموع انى بالكسر والقصر (قوله فاذا طعمتم) أى أكلتم الطعام (قوله فانتشروا) أى اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب (قوله ولا مستأنسين) أشار بذلك الى أن مستأنسين حال من محذوف وذلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذى النبي) أى لتضييقه عليه (قوله فيستحيى منكم) أى من اخراجكم (قوله والله لا يستحيى من الحق) المراد بالحق اخراجكم من منزله وأطلق الاستحياء في حق الله وأريد لازمه وهو ترك المبادرة (قوله بياء واحدة) أى قراءة شاذة في الثانى (قوله فاسئلوهن من وراء حجاب) روى أن عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب

ووُلدت له ابراهيم ومات في حياته (وكان الله على كل شيء رقيبا) حفيظا (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) في الدخول بالدعاء (الى طعام) فتدخلوا (غير ناظرين) منتظرين (اناه) نضجه مصدر أنى يأنى (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا) تمكثوا (مستأنسين لحديث) من بعضكم لبعض (ان ذلكم) المكث (كان يؤذى النبي فيستحيى منكم) أن يخرجكم (والله لا يستحيى من الحق) أن يخرجكم أى لا يترك بيانه وقرئ يستحى بياء واحدة (واذا سألتموهن) أى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب) ستر

فنزلت وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وهي تأكل معهم فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) أي ماذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر المريبة) اى أنقى وأبعد لدفع الريبة والتهمة وهو يدل على انه لا ينبغي لاحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه (قوله وما كان لكم) أى ماصح وما استقام لكم وقوله أن تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وأن تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال في سره اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله وأعتق رقبة فكفر الله عنه (قوله من بعده) أى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها الان كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد تحريمها على أمته وأما اماؤه ولا يحرمن على غيره الا بمسه لهن (قوله ان ذلكم) أى ماذكر من ايذائه ونكاح أزواجه من بعده (قوله ان تبدوا شيأ) اى تظهروه على السنتكم وقوله أو تخفوه أي في صدوركم وقوله فيجازيكم عليه جواب الشرط وقوله فان الله كان بكل شئ عليما تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (قوله لا جناح عليهن في آبائهن الخ) هذا في المعنى مستثنى من قوله واذا سألتموهن متاعا الآية روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت هذه الآية وقوله في آبائهن أى أصولهن وان علون وقوله ولا أبنائهن المراد فروعهن وان سفلوا (قوله ولا نسائهن) الاضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الاسلام فقول المفسر أى المؤمنات تفسير للمضاف ومفهومه ان النساء الكافرات لا يجوز لهن النظر لازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لازواج النبي بل جميع النساء المسلمات كذلك فلا يحل للمسلمة ان تبدى شيأ منها للكافرة لئلا تصفها لزوجها الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ما أمرتن به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بامهات المؤمنين وان تقدم في سورة النور عموما دفع توهم ان أزواج النبي كالامهات من كل وجه فأفادهنا انهن كالامهات في التعظيم والتوقير لا في الخلوة والنظر فانهن كالاجانب بل هن أشد فذكر لهن حجابا مخصوصا فلا يقال انه مكرر مع ما تقدم في النور (قوله لا يخفى عليه شئ) أى من الطاعات والمعاصى الظاهرة والخفية (قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم ان وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره ان الله يصلى وملائكته يصلون وهذا هو الاتم لتغاير الصلاتين والمراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شئ تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات (قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة واظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لانه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه ان قلت ان صلاتهم طلب من الله أن يصلى عليه وهو مصلى عليه مطلقا طلبوا أولا أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك أن يكافئه ولا شك ان الصلاة الواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لا تقف عند حد فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهى دائمة بدوام الله (قوله وسلموا تسليما) ان قلت خص السلام

(ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر المريبة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) بشئ (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله) ذنبا (عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه) من نكاحهن بعده (فان الله كان بكل شئ عليما) فيجازيكم عليه (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أى المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (واتقين الله) فيما أمرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لا يخفى عليه شئ (ان الله وملائكته يصلون على النبي) محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

بالمؤمنين دون الله والملائكة أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي والاذية انما
هي من البشر فناسب التخصيص بهم لان في السلام سلامة من الآفات وأكد السلام دون الصلاة لانها
لما اسندت لله وملائكته كانت غنية عن التأكيد واعلم ان العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة
وعند الشافعي تجب في التشهد الاخير من كل فرض وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة وقيل تجب
عند ذكره وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم وفضلها
جسيم وهي من أفضل الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين انها توصل الى الله تعالى من
غير شيخ لان الشيخ والسند فيها صاحبها لانها تعرض عليه ويصلي على المصلي بخلاف غيرها من الاذكار
فلا بد فيها من الشيخ العارف والا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها (قوله أي قولوا اللهم صل على
محمد وسلم) أي اجمعوا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى
وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك بأي صيغة منها حصل له الخير العظيم (قوله ان
الذين يؤذون الله ورسوله) الايذاء في حق الله معناه تعدي حدوده وفي حق الرسول ظاهر (قوله وهم
الكفار) أي اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله في الدنيا) أي حجبهم عن الطاعة والتوحيد
وقوله والآخرة أي بتخليدهم في العذاب الدائم (قوله أبعدهم) أي عن رحمته (قوله ذا اهانة) أي هوان
واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه
وقيل نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها وقيل نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة
يطلبون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فان سكتت المرأة اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وفي
هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهي بمعنى قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ)
سبب نزولها ان المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالاذية يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون الا الاماء
ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل واحد تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكون
ذلك لازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدنين) أي يرخين ويغطين
(قوله التي تشتمل بها) أي تتغطى وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار (قوله فلا يغطين وجوههن)
أي فكن لا يغطين وجوههن وهذا فيما مضى وأما الآن فالواجب على الحرة والامة الستر بثياب غير
مزينة خوف الفتنة (قوله لما سلف منهن من ترك الستر) ورد ان عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة
فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يا لكاع ألقي القناع (قوله لئن لم ينته المنافقون) أي كعبد الله
ابن أبي وأصحابه (قوله والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله
والمرجفون في المدينة) أي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم
يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسلطنك عليهم) أي
فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم
وصعد على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم
من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم
يخرجون (قوله أي الحكم فيهم هذا) أي الاخذ والقتل (قوله على جهة الامر به) أي ان الآية خبر
بمعنى الامر (قوله أي سن الله ذلك) أشار بذلك الى أن سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم أي ولا تحزن على وجود المنافقين في قومك فانه سنة قديمة كما كان في قوم موسى منهم موسى
السامري وأتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي تغييرا ونسخا لكونها بنيت
على أساس متين فليست مثل الاحكام التي تتبدل وتنسخ (قوله يسألك الناس) أي على سبيل

أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم (إن الذين يؤذون الله ورسوله) وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك
و يكذبون رسوله (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) أبعدهم (وأعد لهم عذابا مهينا) ذا اهانة وهو النار (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) يرمونهم بغير ما عملوا (فقد احتملوا بهتانا) تحملوا كذبا (واثما مبينا) بينا (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين بعضها على الوجوه اذا خرجن لحاجتهن الا عينا واحدة (ذلك أدنى) أقرب الى (أن يعرفن) بأنهن حرائر (فلا يؤذين) بالتعرض لهن بخلاف الاماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من ترك الستر (رحيما) بهن اذ سترهن (لئن) لام قسم (لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) بالزنا (والمرجفون في المدينة) المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك) يساكنونك (فيها الا قليلا) ثم يخرجون (ملعونين) مبعدين عن الرحمة (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) أي الحكم فيهم هذا على جهة الامر به (سنة الله) أي سن الله ذلك (في الذين خلوا من قبل)
من الامم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) منه (يسألك الناس) أي أهل مكة

(عن الساعة) متى تكون (قل انما علمها عند الله وما يدريك) يعلمك أى أنت لا تعلمها (لعل الساعة تكون) توجد (قريبا

ان الله لعن الكافرين) أبعدهم (وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة يدخلونها (خالدين) مقدرا خلودهم (فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم عنها (ولا نصيرا) يدفعها عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا) للتنبيه (ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا) أى الاتباع منهم (ربنا انا أطعنا سادتنا) وفى قراءة ساداتنا جمع الجمع (وكبراءنا فأضلونا السبيلا) طريق الهدى (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أى مثلى عذابنا (والعنهم) عذبهم (لعنا كثيرا) عدده وفى قراءة بالموحدة أى عظيما (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا) مع نبيكم (كالذين آذوا موسى) بقولهم مثلا ما يمنعه أن يغتسل معنا الا أنه آدر (فبرأه الله مما قالوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملا من بنى اسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه ولا أدرة به وهى نفخة فى الخصية (وكان عند الله وجيها) ذا جاه * ومما أوذى به نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال يرحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر رواه البخارى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صوابا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبلها (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) نال غاية مطلوبه (انا عرضنا الامانة) الصلوات وغيرها مما فى فعلها من الثواب وتركها من العقاب (على السموات والارض والجبال) بأن خلق فيها فهما ونطقا (فأبين أن يحملنها

الاستهزاء والسخرية لانهم ينكرونها واعلم ان السائل للنبى عن الساعة أهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال اليهود امتحان لان الله أخفى علمها فى التوراة فان أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه وان أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقه فقول المفسر أى أهل مكة أى واليهود (قوله عن الساعة) أى عن أصل ثبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل انما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحدا وهذا انما هو وقت السؤال والا فلم يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة لكن أمر بكتم ذلك (قوله وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام انكارى (قوله لعل الساعة تكون قريبا) لعل حرف ترج ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريبا حال وتكون تامة ولذا فسرها بتوجد والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد ان الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الالف السابع فلم يبق من الدنيا الا القليل (قوله أبعدهم) أى عن رحمته (قوله مقدرا خلودهم) أشار بذلك الى أن قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أى فى السعير وأنثه مراعاة لمعناه (قوله أبدا) تأكيد لما استفيد من قوله خالدين (قوله يوم تقلب) اما ظرف لخالدين أو ليقولون مقدم عليه والمعنى تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوله يقولون يا ليتنا) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسول) بألف بعد اللام ودونها هنا وفى قوله السبيل قراءتان سبعيتان وتقدم التنبيه على ذلك (قوله سادتنا) جمع اما لسيد أو لسائد على غير قياس (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالالف والتاء لسادة الذى مفرده اما سيد أو سائد (قوله أى مثلى عذابنا) أى لانهم ضلوا وأضلوا (قوله وفى قراءة بالموحدة) أى وهما سبعيتان (قوله ما يمنعه أن يغتسل معنا الخ) أى لما روى ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا انه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو اثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظروا اليه فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله ان به ندبا أى أثرا ستة أو سبعة من ضرب موسى (قوله فبرأه الله) أى أظهر براءته لهم (قوله وهى نفخة فى الخصية) أى بسبب انصباب مادة أو ريح غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عنديه مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبى من ذلك) أى وقال كما فى رواية ان لم أعدل من يعدل خسرت وندمت ان لم أعدل (قوله قولا سديدا) المراد قولا فيه رضا الله بأن يكون مما يعنى الانسان فدخل فى ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير أتم من غيره (قوله يتقبلها) أى يثيبكم عليها (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها من الصحف أو يسترها عن الملائكة (قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) اختلف فى المراد بالامانة فأحسن ما قيل فيها أنها التكاليف الشرعية وقيل انها قواعد الدين الخمس وقيل هى الودائع وقيل الفرج وقيل غير ذلك روى ان الله تعالى قال للسموات والارض والجبال أتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله لئلا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما أى عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات الخ (قوله بأن خلق فيها فهما) أى حتى عقلت الخطاب وقوله ونطقا أى حتى ردت الجواب (قوله فأبين أن يحملنها) أى استصغارا أو خوفا من عدم الوفاء بها فليس اباؤهن كاباء ابليس من

(وأشفقن) خفن (منها وحملها الانسان) آدم بعد عرضها عليه (انه كان ظلوما) لنفسه عما حمله (جهولا) به (ليعذب الله) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) المضيعين الامانة (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) المؤدين الامانة (وكان الله غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم

السجود لآدم لان السجود كان فرضا والامانة كانت عرضا واباؤه استكبار واباؤهن استصغارا (قوله وأشفقن منها) أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها (قوله وحملها الانسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الانسان فحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى ان الله عز وجل قال لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي قال الله تعالى أما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلافا فاذا خشيت فأغلق عليه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ماحرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان أخرج من الجنة الامقدار مابين الظهر الى العصر (قوله انه كان ظلوما لنفسه) أي حيث حملها مالا تطيقه وقوله جهولا به أي بما حمله وقيل جهولا بقدر ربه لانه لا يعلم قدره غيره وهذا يناسب تفسير الانسان بآدم وعود الضمير عليه وان أريد بالضمير مايشمله وأولاده فيكون في الكلام استخدام فيقال في الانبياء والصالحين منهم كذلك وفي غيرهم الظلم والجهل من حيث خيانته في الامانة ومجاوزته حد الشرع (قوله ليعذب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصيرورة على حد وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون (قوله وكان الله غفورا للمؤمنين) أي حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيما بهم) أي حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات وحكمة اخبار الامة بما حصل من تحمل آدم الامانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا انهم متحملون أمرا عظيما لم تقدر على حمله الارض والسموات والجبال وقيل في حق المعصوم انه كان ظلوما جهولا

﴿سورة سبأ مكية﴾

(الا ويرى الذين أوتوا العلم الآية وهي أربع أو خمس وخمسون آية)

﴿سورة سبأ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الذي له مافي السموات ومافي الارض) ملكا وخلقا (وله الحمد في الآخرة) كالدنيا يحمده أولياؤه اذا دخلوا الجنة (وهو الحكيم) في فعله (الخبير) بخلقه (يعلم مايلج) يدخل (في الارض) كماء وغيره (ومايخرج منها) كنبات وغيره (وماينزل من السماء) من رزق وغيره (ومايعرج) يصعد (فيها) من عمل وغيره (وهو الرحيم) بأوليائه (الغفور) لهم (وقال الذين كفروا

بالصرف وتركه كما سيأتي سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله المراد به) بالجر نعت لاسم الاشارة (قوله الثناء بمضمونه) أي انشاء الثناء بمضمونه وهو الوصف بالجميل وليس المراد انشاء المضمون لان اتصافه بالجميل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى وانما حمد نفسه تعالى بنفسه ليحمده موافق للحمد الازلي وهذا يؤيده قول بعض العلماء ان أل في الحمد للعهد لان الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه أزلا وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده فتحصل ان الوصف بالجميل ثابت لله أزلا وانشاء الثناء به حادث فقول الله تعالى الحمد لله اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم وهو اتصاف الله بالجميل ان قلت الحمد مدح ومدح النفس مذموم بين الخلق فما وجه ذلك أجيب بأن أوصاف الرب لا تقاس على أوصاف العبيد ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء فانها نقص في الخلق كمال في الخالق وبهذا انهدم قول المعتزلة ان كل ماحسنه العقل يوصف به الرب وكل ماقبحه العقل ينزه عنه وبنوا على ذلك أمورا فاسدة منها وجوب الصلاح والاصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقا) أي ان كل مافي السموات ومافي الارض مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد في الآخرة) أي في نظير النعم التي تعطى لاهل الايمان فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن وأما الكفار فليسوا من أهله (قوله كالدنيا) أشار بذلك الى أن في الآية اكتفاء (قوله يحمده أولياؤه) المراد بهم المؤمنون (قوله اذا دخلوا الجنة) أي فيقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) أي فلا اعتراض عليه في فعل من الافعال (قوله يعلم مايلج في الارض) تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أي كالكنوز والاموات (قوله كنبات وغيره) أي كالكنوز والاموات اذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أي كالبركات والملائكة والصواعق (قوله ومايعرج فيها) ضمن العروج معنى الاستقرار فعداه بفي دون الى (قوله من عمل وغيره) أي كالملائكة فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) أي اذا عصوه أوفرطوا في بعض حقوقه وفي ذلك اشارة الى أن

رحمة الله وغفرانه مختصا بمن يدخل الجنة وهذا في الآخرة وأما في الدنيا فرحمته وسعت كل شئ (قوله لا تأتينا الساعة) أراد الكفار بضمير المتكلم جميع الخلق لا خصوص أنفسهم وأرادوا أيضا بنفي اتيانها نفي وجودها لعدم حضورها مع كونها موجودة في نفس الامر (قوله قل بلى) رد لكلامهم لان كلامهم نفي فأجيب بالنفي ونفي النفي اثبات (قوله وربي) أتى بالقسم تأكيد للرد وقوله عالم الغيب تقوية للتأكيد والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشأن المقسم عليه (قوله بالجر الخ) أي فالقراآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد في صيغة المبالغة (قوله لا يعزب) بضم الزاي في قراءة الجمهور وكسرها في قراءة الكسائي (قوله ولا أصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله الا في كتاب مبين وقرئ بفتح الراء على أن لا نافية للجنس وأصغر اسمها وقوله الا في كتاب مبين خبرها والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو ان كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وانما أثبتها في اللوح لا للاحتياج تنزه الله عنه ان قلت أي حاجة الى ذكر الأكبر بعد الأصغر اذ هو مفهوم بالأولى أجيب بأنه لرفع توهم ان اثبات الأصغر خوف توهم النسيان وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فأفاد أن كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لا للاحتياج (قوله ليجزي الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتأتينكم كأنه قال لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصيرورة (قوله حسن في الجنة) أي محمود العاقبة وأعظمه رؤية الله تعالى (قوله والذين سعوا) عطف على قوله الذين آمنوا وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين وهذا أحسن من جعله مبتدأ أخبره أولئك لهم عذاب الخ (قوله في ابطال آياتنا) أي بالطعن فيها ونسبتها الى الاكاذيب (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مقدرين عجزنا الخ) لف ونشر مرتب والمعنى مؤملين انهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في ابطال القرآن (قوله أو مسابقين لنا) أي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن ظانين ان مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر فيطعنون فيه ويريدون ابطاله لظنهم ان ذلك الابطال ينفعهم فيفرون من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله لظنهم ان لا بعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) أي فيه قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) اما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على انه معطوف على يجزي فقول المفسر يعلم يصح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذي أنزل مفعول أول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان وقوله ويهدي اما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك الحق وهاديا أو مستأنف أو حال بتقدير وهو يهدي (قوله مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) أي عديم النظير والشبيه والمثيل أو من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله (قوله هو محمد) نكر وتجاهلا وسخرية كأنهم لم يعرفوا منه الا أنه رجل مع انه عندهم أشهر من الشمس في رابعة النهار (قوله اذا مزقتم) يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون وتحشرون اذا مزقتم الخ يدل عليه قوله انكم لفي خلق جديد ولا يصح أن يكون عامله ينبئكم لان الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وعبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال يخبركم أنكم تبعثون اذا مزقتم لوفى بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) أشار بذلك الى أن ممزق اسم مصدر لان كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله انكم لفي خلق جديد) أي تنشؤن خلقا جديدا بعد تمزيق أجسامكم (قوله أفترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ ويحتمل أن يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغني بها) أي بهمزة الاستفهام لانها كافية في التوصل للنطق بالساكن (قوله في ذلك) أي الاخبار بالبعث (قوله جنون) أي تخيل في عقله

لا تأتينا الساعة) القيامة (قل) لهم (بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب) بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ وعلام بالجر (لا يعزب) يغيب (عنه مثقال) وزن (ذرة) أصغر نملة (في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ليجزي) فيها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) حسن في الجنة (والذين سعوا في) ابطال (آياتنا) القرآن (معجزين) وفي قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب (أولئك لهم عذاب من رجز) سيئ العذاب (أليم) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز وعذاب (ويرى) يعلم (الذين أوتوا العلم) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الذي أنزل اليك من ربك) أي القرآن (هو) فصل (الحق ويهدي الى صراط) طريق (العزيز الحميد) أي الله ذي العزة المحمودة (وقال الذين كفروا) أي قال بعضهم على جهة التعجب لبعض (هل ندلكم على رجل) هو محمد (ينبئكم) يخبركم أنكم (اذا مزقتم) قطعتم (كل ممزق) بمعنى تمزيق (انكم لفي خلق جديد أفترى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) في ذلك (أم به جنة) جنون تخيل به ذلك

(قوله قال تعالى) أشار بذلك الى أن هذا انشاء كلام من الله ردا عليهم وما تقدم وان كان كلامه الا أنه حكاية عنهم (قوله في العذاب) أي في الآخرة وذكره اشارة الى أنه محتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وان كان الضلال حاصلا لهم بالفعل لان التسلية بحصول العذاب لهم أتم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلم يروا الخ (قوله الى ما بين أيديهم) المراد به ما ينظر له من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد ما ينظر له بالتفات فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والارض) بيان لما والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والارض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآيه (قوله ان نشأ) هذا تحذير للكفار كأنه قيل لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم الا تعلق مشيئتنا به (قوله نخسف بهم الارض) أي كما خسفناها بقارون (قوله أو نسقط عليهم كسفا) أي كما أسقطناها على أصحاب الايكة (قوله بسكون السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعا (قوله في الافعال الثلاثة) أي نشأ ونخسف ونسقط (قوله ان في ذلك المرئي) أي من السماء والارض (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتابا) أي وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره اشارة الى أن قوله يا جبال مقول القول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شذوذا أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح فكان داود اذا سبح اجابته الجبال وعطفت عليه الطير من فوقه وقيل كان اذا أدركه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفا على محل الجبال) أي لان محله نصب لكونه منادى مفردا أو مفعولا معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية بالحركة الاعرابية قال ابن مالك

وان يكن مصحوب أل ما نسقا ❊ ففيه وجهان ورفع ينتقى

(قوله وألنا له الحديد) سبب ذلك ان الله تعالى أرسل له ملكا في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود فقال نعم هو لولا خصلة فيه فقال داود ما هي قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال فسأل داود ربه أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح قيل كان يعمل كل يوم درعا ويبيعها بأربعة آلاف درهم ينفق ويتصدق منها لذا قال صلى الله عليه وسلم كان داود لا يأكل الا من عمل يده (قوله فكان في يده كالعجين) أي من غير نار ولا آلة (قوله دروعا كوامل) أشار بذلك الى أن سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر في السرد) اختلف في معنى الآية فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه بل اشتغل بعبادة ربك وقيل قدر المسامير في حلق الدروع لا غلاظا ولا دقاقا ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة اليها بسبب الانة الحديد وحينئذ فالاظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لاختها ضيقة لا ينفذ منها السهم في الغلاظ لا تقبل الكسر ولا تثقل حاملها والا تكل نسبة واحدة (قوله بحيث تتناسب حلقه) بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحتين (قوله أي آل داود) تفسير للواو في اعملوا (قوله صالحا) أي عملا صالحا ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فأجازيكم عليه) أي ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله ولسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به في قوله تعالى وسخرنا له الريح تجري بأمره (قوله بتقدير تسخير) أي فالجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والاصل وتسخير الريح كائن لسليمان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر والمعنى سيرها من الغداة الى الزوال مسيرة شهر للسائر المجد ومن الزوال للغروب مسيرة شهر عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في اصطخر وبينهما مسيرة

قال تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتملة على البعث والعذاب (في العذاب) فيها (والضلال البعيد) من الحق في الدنيا (أفلم يروا) ينظروا (الى ما بين أيديهم وما خلفهم) ما فوقهم وما تحتهم (من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء) وفي قراءة في الافعال الثلاثة بالياء (ان في ذلك) المرئي (لآية لكل عبد منيب) راجع الى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء (ولقد آتينا داود منا فضلا) نبوة وكتابا وقلنا (يا جبال أوبي) رجعي (معه) بالتسبيح (والطير) بالنصب عطفا على محل الجبال أي ودعوناها تسبح معه (وألنا له الحديد) فكان في يده كالعجين وقلنا (أن اعمل) منه (سابغات) دروعا كوامل يجرها لابسها على الارض (وقدر في السرد) أي نسج الدروع قيل لصانعها سراد أي اجعله بحيث تتناسب حلقه (واعملوا) أي آل داود معه (صالحا اني بما تعملون بصير) فأجازيكم به (و) سخرنا (لسليمان الريح) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غدوها) سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال (شهر ورواحها) سيرها من الزوال الى الغروب (شهر) أي مسيرته.

شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وتقدم ان الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لاى جهة توجه اليها فالعاصف تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله وأسلنا له عين القطر) أى جعلنا النحاس فى معدنه جاريا كالعين النابعة من الارض وكانت تلك العين باليمن (قوله فأجريت ثلاثة أيام) قيل مرة واحدة وقيل كان يسيل فى كل شهر ثلاثة أيام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما أعطى سليمان أى صنع الناس للنحاس واذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لانه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله و يصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) أى بطاعة سليمان (قوله بأن يضربه ملك الخ) أى فقد وكل الله ملكا بالجن المسخرين لسليمان وجعل فى يده سوطا من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (قوله أبنية مرتفعة) أى مساجد وغيرها وسميت بذلك لان صاحبها يحارب فيها غيره لما تم اوقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد والاقرب ماقاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التى تقف فيها الائمة فى المساجد اذهى حادثة فى المساجد بعد زمن النبى صلى الله عليه وسلم وسميت بالمحاريب تشبيها لها بالابنية المرتفعة لانها رفيعة القدر ولذا خصوها بالائمة (قوله وتماثيل) قال بعضهم انها صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان أولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أى ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا فى العبادة (قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال ان اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان واعلم ان اتخاذ الصور أولا كان لمقصد حسن فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهى حوض كبير) أى وسمى جابية لان الماء يجبى فيه أى يجمع (قوله آل داود) المراد سليمان وأهل بيته (قوله شكرا) مفعول لاجله أى اعملوا لاجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التى لا تتناهى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لاجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدهم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والافئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النعم التى لا تحصى (قوله وقليل من عبادى الشكور) أى لكون هذا المقصد عزيزا لم يوفق له الا القليل من الناس وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم اما لاجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعا فى الجنة ﴿فائدة﴾ من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس وذلك أن داود ابتدأ بناءه فى موضع فسطاط موسى التى كان ينزل فيها ورفعه قدر قامة فأوحى الله اليه لم يكن تمامه على يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان فلما قضى داود واستخلف سليمان وأحب اتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فارسل بعضهم فى تحصيل الرخام وبعضهم فى تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح فلما فرغ منها ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه فاتى من ذلك بشئ كثير ثم أحضر الصناع ونحت تلك الاحجار واصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت واللآلئ فبناه بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وجعل عمده من البلور الصافى وسقفه بأنواع الجواهر وبسط ارضه بالعنبر فلم يكن على وجه الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه فكان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمه وأخذ مافيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى ملكه بالعراق حين بطرت بنو اسرائيل النعم وقتلوا زكريا ويحيى وكان ابتداء بناء بيت المقدس فى السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثنى عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدا وقام

(وأسلنا) أذبنا (له عين القطر) أى النحاس فاجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وعمل الناس الى اليوم مما أعطى سليمان (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن) بأمر (ربه ومن يزغ) يعدل (منهم عن أمرنا) له بطاعته (نذقه من عذاب السعير) النار فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه (يعملون له مايشاء من محاريب) أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج (وتماثيل) جمع تمثال وهو كل شئ مثلته بشئ أى صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما فى شريعته (وجفان) جمع جفنة (كالجوابى) جمع جابية وهى حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بالسلالم وقلنا (اعملوا) يا (آل داود) بطاعة الله (شكرا) له على ما آتاكم (وقليل من عبادى الشكور) العامل بطاعتى شكرا لنعمتى

على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان وقويتنى على بناء
هذا المسجد اللهم فاوزعنى شكرك على ما أنعمت على وتوفنى على ملتك ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى
اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت
عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله
حتى يخرج منه الا من أراد الحادا أو ظلما يارب العالمين وروى ان سليمان لما بنى بيت المقدس سأل
الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فاوتيه
وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا خرج من خطيئته كيوم ولدته
أمه اذا علمت ذلك فبيت المقدس تم بناؤه وهو حى وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى
ان سليمان كان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه
طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم اخف على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن
لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما فى غد ثم لبس
كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلى واتكأ على عصاه على كرسيه فمات فكان الجن ينظرون
اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة
فى اخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب لا تتميم بناء بيت المقدس كما قيل فان الصحيح انه تم قبل
موته بالزمن الطويل (قوله حتى أكلت الارضة عصاه) فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها فهم
يأتونها بالماء والطين فى جوف الخشب وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما (قوله
مصدر أرضت الخشبة) أى أكلت فمعنى دابة الارض دابة الأكل وهذا أحد وجهين والوجه الآخر أن
المراد بالارض المعروفة وتسميتها بذلك لانها تأكل وهى فيها (قوله بالهمز) أى الساكن أو المفتوح فتكون
القراآت ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى على وفى نسخة له أى لسليمان (قوله لظنهم
حياته) علة لقوله ما لبثوا (قوله وعلم كونه الخ) اما بالبناء للفعول أو مصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ
فتحصل ان الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت فى يوم وليلة مقدارا
فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبا) اللام موطئة لقسم محذوف أى
والله لقد كان الخ ولسبا خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفى مساكنهم حال (قوله بالصرف وعدمه)
أى وفى عدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراآت ثلاث (قوله سميت باسم جدهم) أى وهو
سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان روى ان رجلا قال يارسول الله وما سبا أرض أو امرأة
قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرا من العرب فتيامن منهم ستة أى سكنوا اليمن وتشاءم
منهم أربعة أى سكنوا الشام فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد
والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة
والمقصود من تلك القصة اتعاظ هذه الامة المحمدية ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم والا يحل بهم
ما حل بمن قبلهم (قوله فى مساكنهم) بالجمع كمساجد والافراد اما بكسر الكاف أو فتحها ففيه ثلاث
قراآت سبعيات (قوله باليمن) أى وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) أى فاذا
تأمل العاقل فيها استدل على باهر قدرته وانه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) أى من آية التى هى
اسم كان وصح ابدال المثنى من المفرد لانه فى قوة المتعدد وذلك ان الجنتين لما كانتا متماثلتين وكانت
كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها اليها صح جعلهما آية واحدة نظير قوله تعالى
وجعلنا ابن مريم وأمه آية (قوله عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذاهب
وشماله (قوله وقيل لهم) أى على لسان أنبيائهم لانه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله
وذكروهم نعمه وهذا الامر للاذن والاباحة (قوله واشكروا له) أى اصرفوا نعمه فى مصارفها (قوله
أرض سبا الخ) أشار بذلك الى أن قوله بلدة طيبة خبر لمحذوف فهو كلام مستأنف (قوله ليس بها سباخ)

(فلما قضينا عليه) على سليمان
(الموت) أى مات ومكث
قائما على عصاه حولا ميتا
والجن تعمل تلك الاعمال
الشاقة على عادتها لا تشعر
بموته حتى أكلت الارضة عصاه
فخر ميتا (ما دلهم على موته الا
دابة الارض) مصدر أرضت
الخشبة بالبناء للفعول أكلتها
الارضة (تأكل منسأته)
بالهمز وتركه بألف عصاه لانها
ينسأ أى يطرد ويزجر بها (فلما
خر) ميتا (تبينت الجن)
انكشف لهم (أن) مخففة أى
انهم (لو كانوا يعلمون الغيب)
ومنه ما غاب عنهم من موت
سليمان (ما لبثوا فى العذاب
المهين) العمل الشاق لهم
لظنهم حياته خلاف ظنهم علم
الغيب وعلم كونه سنة بحساب
ما أكلته الارضة من العصا
بعد موته يوما وليلة مثلا (لقد
كان لسبا) بالصرف وعدمه
قبيلة سميت باسم جد لهم من
العرب (فى مساكنهم) باليمن
(آية) دالة على قدرة الله تعالى
(جنتان) بدل (عن يمين
وشمال) عن يمين واديهم
وشماله وقيل لهم (كلوا من
رزق ربكم واشكروا له) على
ما رزقكم من النعمة فى أرض
سبا (بلدة طيبة) ليس بها سباخ

ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وغير الغريب فيها وفي ثيابه تقل فيموت لطيب هوائها (و) الله (رب

غفور فأعرضوا) عن شكره وكفروا (فأرسلنا عليهم سيل العرم) جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر فأغرق جنتيهم وأموالهم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي) تثنية ذوات مفرد على الأصل (أكل خمط) مر بشع بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه (وأثل وشيء من سدر قليل ذلك) التبديل (جزيناهم بما كفروا) بكفرهم (وهل يجازى الا الكفور) بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور أي ما يناقش الا هو (وجعلنا بينهم) بين سبأ وهم باليمن (وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يسيرون اليها للتجارة (قرى ظاهرة) متواصلة من اليمن الى الشام (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء أي وقلنا (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) لا تخافون في ليل ولا في نهار (فقالوا ربنا بعد) وفي قراءة باعد (بين أسفارنا) الى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وظلموا أنفسهم) بالكفر (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم في ذلك (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم في البلاد كل التفرق (ان في ذلك) المذكور (لآيات) عبرا (لكل صبار) عن المعاصي (شكور) على النعم (ولقد صدق) بالتخفيف والتشديد (عليهم) أي الكفار منهم سبأ (ابليس ظنه) أنهم باغوائه يتبعونه (فاتبعوه)

جمع سبخة وهي الأرض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله ولا برغوث بضم البراء (قوله فيموت) أي القمل ومثله باقي الهوام (قوله ورب غفور) أي يستر ذنوبكم (قوله فأعرضوا عن شكره) أي عن أمره واتباع رسله لما روي انه أرسل لهم ثلاثة عشر نبيا دعوهم الى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة وقولوا لربكم فليحبس عنا هذه النعم ان استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار كان له ولد فمات فرفع رأسه الى السماء فبزق وكفر فلا يمر بأرضه أحد الا دعاه للكفر فان أجابه والا قتله (قوله وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره) أي فكان واديهم أرضا متسعة بين جبال شامخة فبنت بلقيس سدا حول ذلك الوادي بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الأوسط ثم من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه فالعرم هو هذا السد وقيل العرم اسم للفأر الذي نقب السد لما أن ردانهم كانوا يزعمون انهم يجدون في كهاناتهم انه يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين صخرتين الا ربطوا الى جانبها هرة فلما جاء ما أراده الله بهم أقبلت فأرة حمراء الى بعض تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عن الحجر ثم وثبت فدخلت في الفرجة التي عندها ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتهما بذلك تهكم بهم لمشاكلة الأول (قوله مفرد على الأصل) أي لأن أصلها ذوية تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا وفي تثنيته وجهان اعتبار الأصل واعتبار العارض فالأول ذواتان والثاني ذاتان (قوله مر بشع) قيل هو شجر الأراك وقيل كل شجر له شوك (قوله بإضافة أكل) أي بضم الكاف لا غير وقوله وتركها أي بضم الكاف وسكونها فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) أي على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح ان السدر وهو النبق نوعان نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه ونوع له ثمر غض لا يؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو المسمى بالضال وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزيناهم مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي ما يناقش الا هو) أشار بذلك الى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق في الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب والا فمطلق المجازات تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أي جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء) أي فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيره أربعة أشهر في أماكن لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أي لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة وأحبوا السعي والتعب في المعايش نظير قول بني اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض الآية وكتمني أهل مكة العذاب بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهو الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد اذا مات وقيل من فاز اذا نجا وسلم سمي بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) أي يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم في البلاد) أي لضيق عيشهم وخراب أماكنهم وهي سنة باقية في كل من بطر النعمة وطغى فقد أفاد بالله في تلك الآيات انه أصابهم بنعمتين وابتلاهم بنقمتين (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) أي وسبب ظنه أمارة رآها منهما كهم في الشهوات أو قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم

فصدق بالتخفيف في ظنه أو صدق بالتشديد ظنه أي وجده صادقا (الا) بمعنى لكن (فريقا من المؤمنين) للبيان أي هم المؤمنون لم يتبعوه (وما كان له عليهم من سلطان) تسليطا منا (الا لنعلم) علم ظهور (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) فنجازي كلا منهما (وربك على كل شئ حفيظ) رقيب (قل) يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أي زعمتموهم آلهة (من دون الله) أي غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم (لا يملكون مثقال) وزن (ذرة) من خير أو شر (في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك) شركة (وما له) تعالى (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين (ولا تنفع الشفاعة عنده) تعالى ردا لقولهم ان آلهتهم تشفع عنده (الا لمن أذن) بفتح الهمزة وضمها (له) فيها (حتى اذا فزع) بالبناء للفاعل وللمفعول (عن قلوبهم) كشف عنها الفزع بالاذن فيها (قالوا) قال بعضهم لبعض استبشارا (ماذا قال ربكم) فيها (قالوا)

في الجنة فأخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له وان كان لم تؤثر وسوسته لآدم (فصدق بالتخفيف في ظنه) أشار بذلك الى أن قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض والمعنى صار فيما ظنه أولا من اغوائهم على يقين وقوله أو صدق بالتشديد الخ أي فظنه مفعول لصدق والمعنى حقق ظنه ووجده صادقا (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح أن يكون متصلا لان بعض المؤمنين يذنب ويتبع ابليس في بعض المعاصي ويكون قوله الا فريقا من المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلا والاقرب الاول لان المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين (قوله تسليطا منا) أي فالشيطان سبب في الاغواء لا خالق الاغواء فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ومن أراد الله اغواءه سلط عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) أي فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة لا للتعليل ومعنى الآية ما كان له عليهم ايجاد اضلال بل خالق الهدى والضلال هو نحن وانما سبقت حكمتنا بتسليطه ليتميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الايمان فاتباعه وعدمه علامة على ما تعلق به علمه تعالى فيتدبر (قوله رقيب) أي فهو تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل التخلص وبالضم اتباعا قراءتان سبعيتان (قوله أي زعمتموهم آلهة) أي فالمفعولان محذوفان الاول لطوله بصلته والثاني لقيام صفته أعني قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا أي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ويجلبوا لكم سعة العيش (قوله مثقال ذرة) أي لا يملكون أمرا من الامور في العالم وذكر السموات والارض للتعميم عرفا (قوله معين) أي على خلق شئ بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والاعدام (قوله ولا تنفع الشفاعة عنده) أي ان الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام الا أن يأذن الله للملائكة والانبياء في الشفاعة لغير الكفار وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم (قوله ردا لقولهم الخ) أي حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وايضاحه ان الشفاعة لا تكون ولا تحصل الا بالاذن والرضا وهم قد ارتكبوا ما يقتضي الغضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب وعدم الاذن في الشفاعة ان هذا الزعم باطل (قوله الا لمن أذن له) يصح وقوع من على الشافعين والمعنى الا الشافع أذن له في الشافعة ويصح وقوعها على المشفوع لهم والمعنى لا تنفع الشفاعة الا المشفوع أذن أن يشفع له فاللام على كل حال متعلقة بأذن والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) أي والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولا وقوله وضمها أي بالبناء للمفعول والآذن هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى اذا فزع) غاية في محذوف تقديره ينتظرون ويتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى اذا فزع الى آخره والتضعيف للسلب كالهمزة كما أشار له بقوله كشف عنها الفزع والمعنى حتى اذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في الاذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضا (قوله بالبناء للفاعل) أي والفاعل ضمير يعود على الله وقوله وللمفعول أي والجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيتان (قوله استبشارا) أي لزوال الكرب والحزن عن القلوب واختلف هل هذا الامر في الآخرة أو الدنيا فقيل في الآخرة ويؤيده ما في سورة النبأ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا وعلى هذا فيكون في الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة الا لمن أذن له ففزع ما ورد على القلوب من المهابة حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا وقيل في الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى اذا أراد أن يوحي بأمر وتكلم بالوحي أخذت السموات والارض منه رجفة أو رعدة شديدة

خوفا

خوفا من الله تعالى فاذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلى الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهى جبريل بالوحى حيث أمر الله تعالى وعن ابن عباس قال كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى وكان اذا نزل الوحى سمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على أهل سماء الا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ثم يقول يكون فى هذا العام كذا ويكون كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة والكهنة تخبر الناس فيجدونه كذلك فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى أسرعوا فى أموالهم فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب أيها الناس أمسكوا على أموالكم فانه لم يمت من فى السماء أما ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر والليل والنهار فقال ابليس لقد حدث فى الارض اليوم حدث فائتونى من كل تربة أرض فأتوه بها فلما شم تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث فانصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث فتحصل ان الفزع على القول بأنه فى الآخرة يكون من جميع الخلق وعلى القول بأنه فى الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للامرين والعموم أولى لان الكفار زعموا ان آلهتهم تنفعهم فى الدنيا والآخرة فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للامرين فتدبر (قوله القول الحق) أشار بذلك الى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلى الكبير) من تمام كلام الشفعاء اعترافا بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبكيت للمشركين واشارة الى أن آلهتهم لا تملك لهم ضرا ولا نفعا وهذه الآية نظير قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله فسيقولون الله (قوله لعلى هدى أو فى ضلال مبين) غاير بين الحرفين اشارة الى أن المؤمنين مستعلون على الهدى كراكب الجواد يسيره حيث شاء والكفار محبوسون فى الضلال كالمنغمس فى الظلمات الذى لا يبصر شيأ (قوله فى الابهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله قل لا تسئلون عما أجرمنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث أسند الاجرام لانفسهم والعمل للمخاطبين (قوله يوم القيامة) أى فى الموقف (قوله أعلمونى) أشار بذلك الى ان أرى علمية فتتعدى الى ثلاثة مفاعيل أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء ويصح أن تكون بصرية فتتعدى الى مفعولين الاول ياء المتكلم والثانى الموصول وشركاء حال من عائد الموصول والقصد من ذلك تبكيتهم واظهار خطئهم بعد اقامة الحجة عليهم (قوله بل هو) الضمير اما عائد على الله أو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله الا كافة) الحصر اضافى جىء به للرد على المشركين الذين يعتقدون ان رسالته غير عامة لجميع بنى آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترض الزمخشرى بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به واذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقديمها على صاحبها وحده أجوز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا أحد أوجه فى الآية ويصح جعل كافة حالا من الكاف فى أرسلناك والتاء للمبالغة كهى فى علامة وراوية والمعنى الا جامعا للناس فى التبليغ لا يخرج عن تبليغك أحد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع أو مصدر كالعاقبة والعافية اما للمبالغة أو على حذف مضاف أى ذا كافة للناس أو صفة لمصدر محذوف تقديره الا رسالة كافة أى محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها أحد والاوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف وهى متقاربة فتحصل ان هذه الآية دلت على انه مرسل لجميع الانس بشيرا ونذيرا وأما ارساله لغيرهم فمأخوذ من آيات أخر منها وما أرسلناك الا رحمة للعالمين لكن ارساله للانس والجن ارسال تكليف وللملائكة قيل ارسال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات

القول (الحق) أى قد أذن فيها (وهو العلى) فوق خلقه بالقهر (الكبير) العظيم (قل من يرزقكم من السموات) المطر (والارض) النبات (قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (وانا أو اياكم) أى أحد الفريقين (لعلى هدى أو فى ضلال مبين) فى الابهام تلطف بهم داع الى الايمان اذا وفقوا له (قل لا تسئلون عما أجرمنا) أذنبنا (ولا نسئل عما تعملون) لانا بريئون منكم (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بما يحكم به (قل أرونى) أعلمونى (الذين ألحقتم به شركاء) فى العبادة (كلا) ردع لهم عن اعتقاد شريك له (بل هو الله العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) فى تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك فى ملكه (وما أرسلناك الا كافة) حال من الناس قدم للاهتمام (للناس بشيرا) مبشرا للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) منذرا للكافرين بالعذاب (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة

(لا يعلمون) ذلك (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (إن كنتم صادقين) فيه (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون) عليه وهو يوم القيامة (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي تقدمه
كالتوراة والانجيل الدالين
على البعث لانكارهم له قال
تعالى فيهم (ولو ترى) يا محمد
(اذ الظالمون) الكافرون
(موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول يقول
الذين استضعفوا) الاتباع
(للذين استكبروا) الرؤساء
(لولا أنتم) أصددتمونا عن
الايمان (لكنا مؤمنين) بالنبي
(قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا أنحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم) لا
(بل كنتم مجرمين) في
أنفسكم (وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار) أي مكر فيهما منكم
بنا (اذ تأمروننا أن نكفر
بالله ونجعل له أندادا) شركاء
(وأسروا) أي الفريقان
(الندامة) على ترك الايمان
به (لما رأوا العذاب) أي
أخفاها كل عن رفيقه مخافة
التعيير (وجعلنا الأغلال في
أعناق الذين كفروا) في
النار (هل) ما (يجزون الا)
جزاء (ما كانوا يعملون) في الدنيا
(وما أرسلنا في قرية من نذير
الا قال مترفوها) رؤساؤها
المتنعمون (انا بما أرسلتم به
كافرون وقالوا نحن أكثر
أموالا وأولادا) ممن آمن (وما
نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط
الرزق) يوسعه (لمن يشاء)
امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن
يشاء ابتلاء (ولكن أكثر
الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى) قربى أي تقريبا (الا)

أن

ارسال تشريف (قوله لا يعلمون ذلك) أي ما ذكر من عموم رسالته وكونه بشيرا ونذيرا (قوله ويقولون) أي على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله ان كنتم) الخطاب للنبي والمؤمنين (قوله لا تستأخرون عنه) أي ان أردتم التأخر وقوله ولا تستقدمون أي ان أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم ان قلت ان الجواب ليس مطابقا للسؤال لان السؤال عن طلب تعيين الوقت والجواب يقتضي انهم منكرون للوقت من أصله وأجيب بان الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم لان سؤالهم وان كان على صورة الاستفهام عن الوقت الا ان مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك ان أهل الكتاب قالوا لهم ان صفة محمد في كتبنا فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه (قوله الدالين على البعث) أي وعلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أي في بيان أحوالهم في الآخرة (قوله ولو ترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضهم الى بعض القول لرأيت أمرا فظيعا (قوله اذ الظالمون) اذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أي محبوسون في الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للمكانة والعظمة لا للمكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع فالجملة لا محل لها من الاعراب (قوله لولا انتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله صددتمونا الخ وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال الذين استكبروا) أي جوابا للمستضعفين (قوله أنحن صددناكم) أي منعناكم (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله وقال الذين استضعفوا) ترك العاطف فيما سبق لانه مراو لا كلامهم فأتى بالجواب مستأنفا من غير عاطف ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفا على كلامهم الاول (قوله بل مكر الليل والنهار) ردوا بذلك لكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل محذوف أي صدنا مكركم بنا في الليل والنهار فحذف المضاف اليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاسناد مجازي (قوله اذ تأمروننا) ظرف للمكر أي مكركم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأسروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة (قوله أي أخفاها كل عن رفيقه) أي فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يعيره الآخر (قوله وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله الا قال مترفوها) حال من قرية وان كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي فيه فقد وجد المسوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية للفواصل (قوله وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) أي فلو لم يكن راضيا بما نحن عليه لما أعطانا الاموال والاولاد في الدنيا واذا كان كذلك فلا يعذبنا في الآخرة (قوله وما نحن بمعذبين) أي لانه لما أكرمنا في الدنيا لا يهيننا في الآخرة على فرض وجودها (قوله قل ان ربي يبسط الرزق الخ) أي فبسط الرزق وضيقه في الدنيا ليس دليلا على رضا الله فقد يبسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وانما هو تابع للقسمة الازلية قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أي فيظنون ان بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستأنف سيق لتقرير ما سبق وتحقيقه (قوله بالتي تقربكم) صفة للاموال والاولاد لان جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة ويصح أن تكون التي صفة لموصوف محذوف تقديره بالاحوال التي (قوله قربى) أشار بذلك الى

لكن (من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي جزاء العمل الحسنة مثلا بعشرة فأكثر (وهم في الغرفات) من الجنة (آمنون) من الموت وغيره وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع (والذين يسعون في آياتنا) القرآن بالابطال (معجزين) لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء من عباده) امتحانا (ويقدر) يضيقه (له) بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء (وما أنفقتم من شئ) في الخير (فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يقال كل انسان يرزق عائلته أي من رزق الله (و) اذكر (يوم نحشرهم جميعا) أي المشركين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم) بتحقيق الهمزتين وابدال الاولى ياء واسقاطها (كانوا يعبدون قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الشريك (أنت ولينا من دونهم) أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا (بل) للانتقال (كانوا يعبدون الجن) الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم ايانا (أكثرهم بهم مؤمنون) مصدقون فيما يقولون لهم قال تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض) أي بعض المعبودين لبعض العابدين (نفعا) شفاعة (ولا ضرا) تعذيبا (ونقول للذين ظلموا) كفروا (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ماهذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) من الاصنام (وقالوا ماهذا) أي القرآن (الا افك) كذب (مفترى) على الله

أنزلني مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلا والخطاب الاول عام كأنه قيل وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح فأولئك الخ (قوله فأولئك) مبتدأ أول ولهم خبر مقدم وجزاء مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم (قوله جزاء الضعف) من اضافة الموصوف لصفته أي الجزاء المضاعف (قوله مثلا) أي أو الحسنة بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر (قوله وغيره) أي من سائر المكاره فلا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مقدرين عجزنا) أي معتقدين اننا عاجزون فلا نقدر عليهم (قوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف في هذه الآية فقيل مكررة مع التي قبلها للتأكيد وقيل مغايرة لها فالاولى محمولة على أشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين فوقت البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال الاول في المفسر أو الاولى محمولة على الكفار وهذه في حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله ويقدر له أي يختبر هل يصبر أولا (قوله وما أنفقتم من شئ) أي على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) أي بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد أو بالثواب في الآخرة وفي الحديث مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى فأما من أعطى واتقى الآيات وأتى بهذه الآية عقب التي قبلها اشارة الى أن الانفاق لا يضيق الرزق بل ربما كان سببا في توسعته فالحيلة في توسعة الرزق الانفاق في وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) أي أحسنهم وأعلاهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل انسان الخ) أي لغة ودفع بذلك ما قيل ان الرازق في الحقيقة واحد وهو الله فأجاب بأن الجمع باعتبار الصورة فالله خالق الرزق والعبيد متسببون فيه ان قلت أي مشاركة بين المفضل والمفضل عليه أجيب بأن الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالامرين والعبد يوصف بالايصال فقط فخيرية الله من حيث انه خالق وموصل فعلم ان العبد يقال له رازق بهذا ولا يقال له رزاق لانه من الاسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق عائلته) أي عياله وعيال الرجل من يعولهم واحده عيل كجيد (قوله وابدال الاولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر اذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء وأما تحقيقهما واسقاط الاولى فقراءتان سبعيتان وبقي ثلاث قراآت سبعيات تحقيق الاولى وتسهيل الثانية وعكسه وابدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الاولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقريع للكفار وذلك كقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك (قوله أنت ولينا من دونهم) أي أنت الذي نواليك ونتقرب اليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل في عبادتهم ايانا (قوله أي يطيعونهم) أي فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون ان الجن تتراءى لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله (قوله أكثرهم بهم مؤمنون) ان قلت حيث أثبت أولا انهم كانوا يعبدون الجن لزم منه ان جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال أكثرهم أجيب بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كأنهم قالوا ان الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ولعل في الوجود من لم يطلع عليه من الكفار وأجيب أيضا بان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون لعدم اطلاعهم على ما في القلوب (قوله أي بعض المعبودين) أي وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين أي وهم الكفار (قوله ونقول) عطف على لا يملك (قوله واذا تتلى عليهم آياتنا) أي دلائل توحيدنا (قوله الا افك) أي

كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذلك هو مفترى أي مختلق من حيث نسبته الى الله فقوله مفترى تأسيس لا تأكيد (قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل انكار عظيم وتعجيب بليغ (قوله قال تعالى) أي رداً عليهم (قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي فالمعنى لا عذر لهم في عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فان لهم كتاباً ودِيناً ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه وان كان عذراً باطلاً وحجة واهية (قوله وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناهم) قيل المعشار لغة في العشر وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزأ من ألف وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل (قوله من القوة الخ) أي ومع ذلك فلم ينفعهم شيء من ذلك في دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلي) عطف على قوله وكذب الذين من قبلهم عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكير) عطف على محذوف تقديره فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم (قوله واقع موقعه) أي فهو في غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل انما أعظكم) أي آمركم وأوصيكم وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة (قوله ان تقوموا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هي وليس المراد بالقيام حقيقته وهو الانتصاب على القدمين بل المراد صرف الهمة والاشتغال والتفكر في أمر محمد وما جاء به لان أول واجب على المكلف النظر المؤدي للمعرفة (قوله مثنى وفرادى) حالان من فاعل تقوموا وانما أمرهم بذلك لان الجماعة ربما يكون في اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر بسبب الاغراض والتعصب وأما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته وأما الواحد فيفكر في نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنوناً أو جربنا عليه كذباً قط وقد علمتم ان محمداً ما به جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلاً وأوزنهم حلماً وأحدهم ذهناً وأرضاهم رأياً وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً واذا علمتم ذلك كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه واذا جاء بها تبين انه صادق فيما جاء به واذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك الى أن نتيجة الفكر العلم ومعمول التفكر محذوف والتقدير فتتفكروا في أحوال محمد فينتج لكم العلم بان ما بصاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما بصاحبكم) أضافه لهم اشارة الى أنه كان مشهوراً بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعونه بالصادق الامين فاذا تفكروا وافقاً سوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بكمال أوصافه (قوله ان هو) أي المحدث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدي عذاب شديد) أي هو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة ان لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ما سألتكم من أجر) يحتمل ان ما شرطية مفعول لسألتكم ومن أجر بيان لما وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل انها موصولة مبتدأ وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما في الموصول من العموم وعلى كل فيحتمل ان المعنى ما أسألكم أجراً ألبتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئاً أصلاً ان أعطيتني شيئاً فخذه ويؤيده قوله ان أجري الا على الله وقول المفسر أي لا أسألكم عليه أجراً ويحتمل ان المعنى لم أسألكم شيئاً يعود نفعه علي وهو كقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا (قوله قل ان ربي) أي مالكي وسيدي (قوله يقذف بالحق) مفعول يقذف محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق ويؤيده قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل أي يدفع الباطل بالحق ويصرفه به ويصح أن تكون الباء للملابسة والمفعول محذوف أيضاً والتقدير يقذف الوحي الى أنبيائه ملتبساً بالحق أو ضمن يقذف معنى يقضي ويحكم والاقرب الاول لان خير ما فسرته بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لان أو خبر مبتدأ محذوف (قوله ما غاب عن خلقه) أي فتسميته غيباً بالنسبة للخلق والا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك أن الوعد منجز ومحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي لم يبق له بداية ولا اعادة أي نهاية فهو كناية عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى وقل جاء الحق

(وقال الذين كفروا للحق) القرآن (لما جاءهم ان) (هذا الا سحر مبين) بين قال تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) فمن أين كذبوك (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا) أي هؤلاء (معشار ما آتيناهم) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا رسلي) اليهم (فكيف كان نكير) انكاري عليهم بالعقوبة والاهلاك أي هو واقع موقعه (قل انما أعظكم بواحدة) هي (أن تقوموا لله) أي لأجله (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) واحداً واحداً (ثم تتفكروا) فتعلموا (ما بصاحبكم) محمد (من جنة) جنون (ان) ما (هو الا نذير لكم بين يدي) أي قبل (عذاب شديد) في الآخرة ان عصيتموه (قل) لهم (ما سألتكم) على الانذار والتبليغ (من أجر فهو لكم) أي لا أسألكم عليه أجراً (ان أجري) ما ثوابي (الا على الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع يعلم صدقي (قل ان ربي يقذف بالحق) يلقيه الى أنبيائه (علام الغيوب) ما غاب عن خلقه في السموات والارض (قل جاء الحق) الاسلام (وما يبدئ الباطل) الكفر (وما يعيد) أي لم يبق له أثر

(قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسي) أي اثم ضلالي عليها (وان اهتديت فبما يوحي الى ربي) من القرآن والحكمة (انه سميع) للدعاء (قريب ولو ترى) يا محمد (اذ فزعوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فلا فوت) لهم منا أي لا يفوتوننا (وأخذوا من مكان قريب) أي القبور (وقالوا آمنا به) بمحمد أو القرآن (وأنى لهم التناوش) بالواو وبالهمزة بدلها أي تناول الايمان (من مكان بعيد) عن محله اذ هم في الآخرة ومحله الدنيا (وقد كفروا به من قبل) في الدنيا (ويقذفون) يرمون (بالغيب من مكان بعيد) أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن وفي القرآن سحر شعر كهانة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من الايمان أي قبوله (كما فعل بأشياعهم) أشباههم في الكفر (من قبل) أي قبلهم (انهم كانوا في شك مريب) موقع الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا

﴿سورة فاطر مكية﴾

(وهي خمس أو ست وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبا (فاطر السموات والارض) خالقهما

وزهق الباطل ان قلت ان السورة مكية والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قوية والاسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فعبر عنه بالماضي كقوله أتى أمر الله (قوله قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) سبب نزولها ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك فضللت والمعنى قل لهم يا محمد ان حصل لي ضلال كما زعمتم فان وبال الضلال على نفسي لا يضر غيري وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وان اهتديت الخ) أي لان الاهتداء لا يكون الا بهدايته وتوفيقه (قوله فبما يوحي الى ربي) أي بسبب ايحاء ربي الي أو بسبب الذي يوحيه الي فما مصدرية أو موصولة والمعنى فهداي بفضل الله تعالى فحاصل المعنى المراد انه ان كان بي ضلال فمن نفسي لنفسي وان كان بي هدى فمن فضل الله بالوحي الي على حد قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك (قوله انه سميع) أي يسمع كل ما خفي وما ظهر وقوله قريب أي قرب مكانة لا مكان (قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت) يحتمل أن مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فزعهم ويحتمل أن اذ مفعول ترى أي ولو ترى وقت فزعهم واسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه أن يسند لهم وقوله عند البعث أحد أقوال في وقت الفزع وقيل في الدنيا يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار الى التوبة وقيل نزلت في ثمانين ألفا يأتون في آخر الزمان يغزون الكعبة ليخربوها فلما يدخلوا البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب (قوله لرأيت أمرا عظيما) أشار بذلك الى أن جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) أي لا مخلص ولا مهرب (قوله أي القبور) أي وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا أو المعنى قبضت أرواحهم في أماكنهم فلم يمكنهم الفرار وقيل أخذوا من مكان قريب وهي القبور لحينهم فخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمنا به) أي قالوا ذلك وقت حصول الفزع وهو وقت نزول العذاب بهم (قوله وأنى لهم) أي كيف يمكنهم الخلاص والظفر بطلوبهم وهم في الآخرة مع ان ذلك لا يحصل ولا يكون الا في الدنيا وهي بعيدة من الآخرة فالماضي بعيد اذ لا يعود والمستقبل قريب لانه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) أي الرجوع الى الدنيا للايمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية أي يستبعد تناولهم الايمان في الآخرة والحال انهم كفروا في الدنيا (قوله ويقذفون بالغيب) أي يتكلمون في الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي اقترحوها في جانب الرسول ويتكلمون في العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث انهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) أي عن الصدق (قوله وحيل بينهم) أي في الآخرة (قوله أي قبوله) أي بحيث يخلصهم في الآخرة (قوله بأشياعهم) جمع شيع وشيع جمع شيعة فالاشياع جمع الجمع وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه والمراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للاشياع (قوله أي قبلهم) أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لا في العذاب فان زمن عذابهم في القيامة متحد (قوله موقع الريبة لهم) أي فهو من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التأكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو في آمنوا أي آمنوا به في الآخرة والحال انهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله

﴿سورة فاطر مكية﴾

ى وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أي تعظيما لنفسه وتعليما لخلقه كيفية الثناء عليه فأل في الحمد الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس ولا يصح أن تكون عهدية لانه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة وأما في كلام العباد فالاولى أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين في أول سورة سبا) أي حيث قال هناك حمد تعالى نفسه

بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل واعلم أن السور المفتتحة بالحمد أربع الانعام والكهف وسبأ وفاطر وحكمة افتتاحها بذلك أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) أي وان كان لها مادة وهو النور المحمدي فالمنفي المثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان للفظ الجلالة وجاعل وان كان بمعنى المضي الا أنه للاستمرار فباعتبار دلالته على المضي تكون اضافته محضة فيصلح لوصف المعرفة به وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال يصلح للعمل في رسلا (قوله الى الانبياء) أي بالوحي وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة أو بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (قوله أولي أجنحة) يصح أن يكون صفة لرسلا وهو وان كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيرا الا أنه يوهم أن الاجنحة لخصوص الرسل مع انها لكل الملائكة فالاحسن جعله صفة أو حالا من الملائكة نظرا لأل الجنسية (قوله مثنى) بدل من أجنحة مجرور بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة المقدرة لانه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) ان قلت في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة قلت لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة (قوله يزيد في الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله في الملائكة) أي في صورهم فقد قال الزمخشري رأيت في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان للطيران يطيرون بهما في الامر من أمور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى وفي الحديث رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتثر من رأسه الدر والياقوت وروى أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين أي يتصاغر الازمان لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير (قوله وغيرها) أي من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وتمام الاعضاء وقوة البطش وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التي أعطاها الله لخلقه (قوله ان الله على كل شئ قدير) كالتعليل لما قبله (قوله ما يفتح الله) ما اما شرطية ويفتح فعل الشرط وقوله فلا ممسك لها جواب الشرط أو موصولة مبتدأ ويفتح صلتها وقوله فلا ممسك لها خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم وقوله من رحمة بيان لما (قوله كرزق) أي دنيوي أو أخروي وعبر في جانب الرحمة بالفتح اشارة الى انها شئ عزيز نفيس شأنه أن يوضع في خزائن وأتى بها منكرة لتعم كل رحمة دنيوية أو أخروية (قوله فلا ممسك لها) أنث مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة (قوله وما يمسك) يصح أن يبقى على عمومه فالتذكير في قوله له ظاهر ويصح أن يكون قد حذف من الثاني لدلالة الاول عليه والتذكير مراعاة للفظ ما وقد أشار المفسر لهذا الثاني بقوله من ذلك يعني من الرحمة (قوله أي أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) أي اشكروه على تلك النعم التي أسداها اليكم (قوله باسكانكم الخ) أشار بذلك الى أن النعمة بمعنى الانعام ويصح أن تكون بمعنى المنعم به (قوله وخالق مبتدا) أي مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان وقوله لفظا أو محلا لف ونشر مرتب وفي بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفا ونشرا مشوشا وقرئ شذوذا بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتقرير) أي والتوبيخ (قوله أي لا خالق رازق غيره) هذا حل معنى لا حل اعراب والا لقال

على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) الى الانبياء (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق) في الملائكة وغيرها (ما شاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة) كرزق ومطر (فلا ممسك لها وما يمسك) من ذلك (فلا مرسل له من بعده) أي بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) في فعله (يا أيها الناس) أي أهل مكة (اذكروا نعمت الله عليكم) باسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هل من خالق) من زائدة وخالق مبتدأ (غير الله) بالرفع والجر نعت لخالق لفظا ومحلا وخبر المبتدا (يرزقكم من السماء) المطر (و) من (الارض) النبات والاستفهام للتقرير أي لا خالق رازق غيره

لاخالق غيره رازق لكم (قوله لا اله الا هو) كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم (قوله فأنى تؤفكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ومنه قوله تعالى قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا وأما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) أى كيف تعبدون غيره مع انه ليس فى ذلك الغير وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله وان يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف والمعنى فتأس بمن قبلك ولا تحزن (قوله فيجازى المكذبين) أى بادخالهم النار وقوله وينصر المرسلين أى بقبول شفاعتهم وادخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) أى كالحساب والعقاب (قوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيهم عن الاغترار بها والمعنى ولا تغتروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (قوله فى حلمه) أى بسببه والمعنى لا تحملوا حلمه وامهاله سببا فى اتباعكم الشيطان (قوله الغرور) هو بالفتح فى قراءة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذا بضمها اما جمع غار كقاعد وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله ان الشيطان لكم عدو) أى عظيم فان عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدوا) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم ولا تأمنوا له فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفا ولا عدلا كما قال البوصيرى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

(قوله انما يدعو حزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته (قوله هذا) أى قوله الذين كفروا الى آخره والمعنى من كفر من أول الزمان الى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان الى آخره فله المغفرة والاجر الكبير (قوله ونزل فى أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والاسود بن المطلب وعقبة بن أبى معيط وأضرابهم ويؤيد هذا القول آيات منها ليس عليك هداهم ومنها ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ومنها فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وغير ذلك ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه وقيل هذه الآية نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وقيل نزلت فى الشيطان حيث زين له أنه العابد التقى وآدم العاصى فخالف ربه لاعتقاده أنه على شئ (قوله أفمن زين له سوء عمله) أى زين له الشيطان ونفسه الامارة عمله السيئ فهو من اضافة الصفة للموصوف (قوله بالتمويه) أى التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله دل عليه) أى على تقدير الخبر والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفى هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك ما أسند الاضلال والهدى لله تعالى (قوله ولا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاط أسباب ذلك وقرئ شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم ايمانهم (قوله حسرات) مفعول لاجله جمع حسرة وهى شدة التلهف على الشئ الفائت (قوله فيجازيهم عليه) أى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أى استحضار تلك الصورة العجيبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزعجه) أى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى الكائنة فى قوله والله الذى أرسل (قوله الى بلد ميت) البلد يذكر ويؤنث يطلق على القطعة من الارض عامرة أو خالية

(لا اله الا هو فأنى تؤفكون) من أين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بأنه الخالق الرازق (وان يكذبوك) يا محمد فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فقد كذبت رسل من قبلك) فى ذلك فاصبر كما صبروا (والى الله ترجع الامور) فى الآخرة فيجازى المكذبين وينصر المرسلين (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث وغيره (حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الايمان بذلك (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) بطاعة الله ولا تطيعوه (انما يدعو حزبه) أتباعه فى الكفر (ليكونوا من أصحاب السعير) النار الشديدة (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) هذا بيان ما لموافقى الشيطان وما لمخالفيه * ونزل فى أبى جهل وغيره (أفمن زين له سوء عمله) بالتمويه (فرآه حسنا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا دل عليه (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم) على المزين لهم (حسرات) باغتمامك أن لا يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه (والله الذى أرسل الرياح) وفى قراءة الريح (فتثير سحابا) المضارع لحكاية الحال الماضية أى تزعجه (فسقناه) فيه التفات عن الغيبة (الى بلد ميت)

(قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لانباتها) أى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أى كمثل احياء الأرض بالنبات احياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق اليها المياه فتحيابها والاجساد تساق اليها الارواح فتحيابها (قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطعه وقوله فلله العزة تعليل للجواب واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هى فقل له لله العزة جميعا وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره وطلبها يكون بطاعته والالتجاء اليه والوقوف على بابه لما ورد فى الحديث من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيره تعالى كسى من وصفه وهو الذل لان وصف العبد الذل ووصف الله العز فمن التجأ الى الله كساه الله من وصفه ومن التجأ للعبد كساه الله من وصف ذلك العبد لما ورد من استعز بقوم أورثه الله ذلهم وقال الشاعر

واذا تذللت الرقاب تواضعا * منا اليك فعزها فى ذلها

(قوله يعلمه) أشار بذلك الى أن فى الكلام مجازا فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الامر الى القاضى يعنى علمه وعبر عنه بالصعود اشارة لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل وقيل المعنى يصعد الى سمائه وقيل يصعد الكتاب الذى كتب فيه طاعة العبد الى السماء (قوله ونحوها) أى من الاذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) أى كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يمكرون) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح (قوله المكرات) قدره اشارة الى أن السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون لان مكر لازم لا ينصب المفعول والمكر الحيلة والخديعة (قوله فى دار الندوة) أى وهى التى بناها قصى بن كلاب للتحدث والمشاورة (قوله كما ذكر فى الانفال) أى فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآيات وقد وصلت هناك (قوله ومكر أولئك) أتى باسم الاشارة البعيد اشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الاول ويصح أن يكون ضمير فصل لا محل له من الاعراب وتوهم ان الفصل لا يقع قبل الخبر اذا كان فعلا مردود بجواز ذلك (قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح أن يراد خلقكم من تراب بواسطة ان النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجا) أى أصنافا (قوله من أنثى) من زائدة فى الفاعل (قوله حال) أى من أنثى (قوله وما يعمر من معمر) بفتح الميم فى قراءة العامة قال ابن عباس ما يعمر من معمر الا كتب عمره كم هو سنة وكم هو شهرا وكم هو يوما وكم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذى يعمره وهذا هو الاحسن وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائة سنة ان أطاع وتسعين ان عصى فأيهما بلغ فهو كتاب وهذا مثل قوله عليه السلام من أحب ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره أى يؤخر فى عمره فليصل رحمه أى انه يكتب فى اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد فى عمره كذا سنة فبين ذلك فى موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الاول دون الثانى ظن انه زيادة أو نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالمعنى ما زاد فى عمر شخص بأن يكون أجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيرا الا فى كتاب (قوله ان ذلك) أى كتابة الاعمار والآجال (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله وما يستوى البحران) هذا مثل للمؤمن والكافر وقوله شديد العذوبة أى يكسر وهج العطش وقوله سائغ أى يسهل الحرارة (قوله شرابه) انما فسر الشراب بالشرب لان الشراب هو المشروب فيلزم اضافة الشئ لنفسه (قوله اجاج) أى يحرق الحلق بملوحته (قوله ومن كل تأكلون الخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع والمثل قد تم بما قبله وهو الاظهر وقيل هو

بالتشديد والتخفيف لانباتها بها (فأحيينا به الارض) من البلد (بعد موتها) يبسها أى أنبتنا به الزرع والكلأ (كذلك النشور) أى البعث والاحياء (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى فى الدنيا والآخرة فلا تنال منه الا بطاعته فليطعه (اليه يصعد الكلم الطيب) يعلمه وهو لا اله الا الله ونحوها (والعمل الصالح يرفعه) يقبله (والذين يمكرون) المكرات (السيئات) بالنبى فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو اخراجه كما ذكر فى الانفال (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يهلك (والله خلقكم من تراب) بخلق أبيكم آدم منه (ثم من نطفة) أى منى بخلق ذريته منها (ثم جعلكم أزواجا) ذكورا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) حال أى معلومة له (وما يعمر من معمر) أى ما يزاد فى عمر طويل العمر (ولا ينقص من عمره) أى ذلك المعمر أو معمر آخر (الا فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) هين (وما يستوى البحران هذا عذب فرات) شديد العذوبة (سائغ شرابه) شربه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (ومن كل) منهما (تأكلون لحما طريا)

من تمام التمثيل يعني انهما وان اشتركا في بعض الاوصاف لا يستويان في جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا في بعض المنافع لا يستويان في جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر التي يجوز أكلها (قوله وقيل منهما) أي ووجهه ان في البحر الملح عيونا عذبة تمتزج بالملح فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف وقيل هو صغار اللؤلؤ (قوله لتبتغوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) أي وغيرها كالغزو والحج (قوله على ذلك) أي على ما أسداه اليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل في النهار) أي فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف وقوله ويولج النهار في الليل أي فيطول الليل حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج وعبر بالمضارع في جانب الليل والنهار لان ايلاج أحدهما في الآخر يتجدد كل عام وأما الشمس والقمر فتسخيرهما من يوم خلقهما الله ولا تجدد فيه وانما التجدد في آثارهم فلذا عبر في جانبهما بالماضي (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الادلة على انفراده تعالى بالألوهية (قوله لفافة النواة) بكسر اللام وهي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة واعلم ان في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهرها والثفروق وهو ما بين القمع والنواة (قوله ما أجابوكم) أي بجلب نفع ولا دفع ضر (قوله باشراككم اياهم) أشار بذلك الى ان المصدر مضاف للفاعل (قوله أي يتبرؤن منكم) أي بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون (قوله ولا ينبئك مثل خبير) أي لا يخبرك أحد مثلي لاني عالم بالاشياء وغيري لا يعلمها وهذا الخطاب يحتمل ان يكون عاما غير مختص بأحد ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم (قوله يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) انما خاطب الناس بذلك وان كان كل ما سوى الله فقيرا لان الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لانفسهم والمعنى يا أيها الناس أنتم أشد الخلق افتقارا واحتياجا الى الله في أنفسكم وعيالكم وأموالكم وفيما يعرض لكم من سائر الامور فلا غنى لكم عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضي الله عنه من عرف نفسه عرف ربه أي من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والمسكنة عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) أي في حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مفتقر له في أي حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) انما ذكره بعد الغنى لدفع توهم ان غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فأفاد انه كما انه غني هو منعم جواد محمود على انعامه لكونه يعطي النوال قبل السؤال للبر والفاجر (قوله ان يشأ يذهبكم) هذا بيان لغناه المطلق يعني ان اذهابكم ليس متوقفا على شيء الا على مشيئته فابقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) أي بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) أي متعذرا ومتعسر (قوله وازرة) فاعل تزر وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله نفس والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى وأما غير الوازرة فتحمل وزر الوازرة بمعنى تشفع لها في غفرانه لا بمعنى أنه ينتقل من الوازرة لغيرها ان دلت ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى وليحملن أثقالهم الآية أجيب بان تلك الآية محمولة على من ضل وتسبب في الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لان تسببه من فعله فلم يحمل الا أثقال نفسه فرجع الامر الى أن الانسان لا يحمل وزر غيره أصلا بل كل نفس بما كسبت رهينة (قوله وان تدع مثقلة الى حملها) أي وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس وبالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة (قوله لا يحمل منه شيء) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وشيء نائب الفاعل وقرئ شذوذا تحمل بفتح التاء وكسر الميم مسندا الى ضمير النفس المحذوفة وشيأ مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قربى) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان واسمها ضمير يعود على المدعو كما قدره المفسر وقرئ شذوذا بالرفع على أن كان تامة والمعنى وان تدع نفس مذنبة نفسا أخرى الى حمل شيء من ذنبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الاخرى قريبة للداعية كابنها

هو السمك (وتستخرجون) من الملح وقيل منهما (حلية تلبسونها) هي اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (فيه) في كل منهما (مواخر) تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا) تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك (يولج) يدخل الله (الليل في النهار) فيزيد (ويولج النهار) يدخله (في الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل منهما (يجري) في فلكه (لاجل مسمى) يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون) تعبدون (من دونه) أي غيره وهم الاصنام (ما يملكون من قطمير) لفافة النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) ما أجابوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم اياهم مع الله أي يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياهم (ولا ينبئك) باحوال الدارين (مثل خبير) عالم وهو الله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) بكل حال (والله هو الغني) عن خلقه (الحميد) المحمود في صنعه بهم (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) شديد (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة أي لا تحمل (وزر) نفس (أخرى وان تدع) نفس (مثقلة) بالوزر (الى حملها) منه أحدا ليحمل بعضه (لا يحمل منه شيء ولو كان) المدعو (ذا قربى) قرابة كالاب والابن وعدم الحمل في

الشقين حكم من الله تعالى (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه وما رأوه لانهم المنتفعون بالانذار (وأقاموا الصلاة) أداموها (ومن تزكى) تطهر من الشرك وغيره (فانما يتزكى لنفسه) فصلاحه مختص به (والى الله المصير) المرجع فيجزى بالعمل فى الآخرة (وما يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات) الكفر (ولا النور) الايمان (ولا الظل ولا الحرور) الجنة والنار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) المؤمنون والكفار وزيادة لا فى الثلاثة تأكيد (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيجيبه بالايمان (وما أنت بمسمع من فى القبور) أى الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (ان) ما (أنت الا نذير) منذر لهم (انا أرسلناك بالحق) بالهدى (بشيرا) من أجاب اليه (ونذيرا) من لم يجب اليه (وان) ما (من أمة الا خلا) سلف (فيها نذير) نبى ينذرها (وان يكذبوك) أى أهل مكة (فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات (وبالزبر) كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) هو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا (ثم أخذت الذين كفروا) بتكذيبهم (فكيف كان نكير) انكارى عليهم بالعقوبة والاهلاك أى هو واقع موقعه (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به ثمرات مختلفا ألوانها) كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها (ومن الجبال جدد) جمع جدة طريق فى الجبل وغيره (بيض وحمر) وصفر وقرئ

أو أبيها الماورد يلقى الاب والام الابن فيقولان له يا بنى احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبى ما على (قوله فى الشقين) أى الحمل القهرى والاختيارى (قوله حكم من الله تعالى) أى وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة (قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم) انما أداة حصر والمعنى أن انذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون أى يخشونه حال كونهم غائبين عنه فالغيبة وصف العبد لا وصف الرب فان وصف الرب القرب قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ووصف العبد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله ويصح أن يكون حالا من المفعول أى يخشونه والحال أنه غائب عنهم أى محتجب بجلاله فلا يرونه والى هذا أشار المفسر بقوله وما رأوه فعدم رؤية الله تعالى انما هو من تحجبه بصفات الجلال فاذا تجلى بالجمال رأته الابصار وذلك يحصل فى الآخرة لاهل الايمان وقد حصل فى الدنيا السيد الخلق على الاطلاق وقد يتجلى بالجمال للقلوب فى الدنيا فتراه وهى الجنة المعجلة لاهل الله المقربين (قوله لانهم المنتفعون بالانذار) جواب عما يقال كيف قصر الانذار على أهل الخشية مع انه لجميع المكلفين فأجاب بأن وجه قصره عليهم انتفاعهم به فكأنه قال انما ينفع انذارك أهل الخشية (قوله أداموها) أى واظبوا عليها باركانها وشروطها وآدابها وفى نسخة أدوها (قوله وغيره) أى كالمعاصى (قوله فصلاحه مختص به) أى فهو قاصر عليه لا يتعداه فيجزى بالعمل فى الآخرة أى الخير والشر (قوله وما يستوى الاعمى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وأفاد أولا الفرق بين ذاتيهما وثانيا بين وصفيهما وثالثا بين داريهما فى الآخرة وأما قوله وما يستوى الاحياء الخ فهو مثل آخر على أبلغ وجه لان الاعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار أنواع الكفر فان أنواعه كثيرة بخلاف الايمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هى الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل وقيل الحرور والسموم بالليل والنهار (قوله وزيادة لا فى الثلاثة) أى فى الجمل الثلاث التى أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الاحياء ولا الاموات وانما زيدت للتأكيد فى الجميع لان نفى المساواة معلوم من ما النافية (قوله ان الله يسمع من يشاء) من هنا الى قوله نكير تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله شبههم بالموتى) أى فى عدم التأثر بدعوته (قوله ان أنت الا نذير) أى فليس عليك الا التبليغ والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كأنه قال أرسلناك حال كونك هاديا (قوله وان من أمة) أى تعلمها وقوله نبى ينذرها أى يخوفها من عقاب الله وتمضى شريعته بموته فما بين الرسولين من أهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وان غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحى وامرئ القيس وحاتم الطائى فقيل ان ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لا يعارض النص القطعى وتقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف ابراهيم) أى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الاربعة فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك الى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهو كلام مستأنف سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته (قوله فيه التفات) أى وحكمته ان المنة فى الاخراج أبلغ من انزال الماء ولما فى الاخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الالهية (قوله ثمرات مختلفا ألوانها) أى فى أصل اللون كالاخضر والاصفر والاحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق

(مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على جدد أي صخور شديدة السواد يقال كثيرا أسود غربيب وقليلا غربيب أسود (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) بخلاف الجهال ككفار مكة (ان الله عزيز) في ملكه (غفور) لذنوب عباده المؤمنين (ان الذين يتلون) يقرؤن (كتاب الله وأقاموا الصلاة) أداموها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) زكاة أو غيرها (يرجون تجارة لن تبور) تهلك (ليوفيهم أجورهم) ثواب أعمالهم المذكورة (ويزيدهم من فضله انه غفور) لذنوبهم (شكور) لطاعتهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) تقدمه من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر (ثم أورثنا) أعطينا (الكتاب) القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمتك (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به أغلب الأوقات (ومنهم سابق بالخيرات) يضم الى العمل التعليم والارشاد الى العمل (باذن الله) بارادته (ذلك) أي ايراثهم الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) اقامة (يدخلونها) الثلاثة بالبناء للفاعل والمفعول خبر جنات المبتدا (يحلون) خبر ثان (فيها من) بعض (أساور من ذهب ولؤلؤا) مرصع بالذهب (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) جميعه (ان ربنا لغفور) في الذنوب (شكور) للطاعات (الذي أحلنا دار المقامة) أي الاقامة (من فضله لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب لعدم التكليف فيها.

وقرئ شذوذا بضم الجيم والدال جمع جديدة وبفتحهما (قوله مختلف ألوانها) مختلف صفة لجدد وألوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم وألوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرابيب سود) الغربيب تأكيد للاسود كالقاني تأكيد للاحمر وانما قدمه عليه للمبالغة (قوله يقال كثيرا) أي بتقديم الموصوف على الصفة وهذا هو الاصل وقوله وقليلا أي بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الاصل ويرتكب للمبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف ألوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدا أي صنف مختلف ألوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف أي اختلافا كذلك (قوله انما يخشى الله من عباده العلماء) أي ان خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاهم له ولذا ورد في الحديث انا أخشاكم لله وأتقاكم له وقرئ شذوذا برفع الجلالة ونصب العلماء والمعنى انما يعظم الله من العباد العلماء وانما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فان الله اخبر أنه يعظمهم ويجلهم (قوله ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية كأنه قيل يجب على كل انسان أن يخشى الله تعالى لانه عزيز قاهر لما سواه غفور للمذنبين (قوله ان الذين يتلون كتاب الله) أي يقرؤنه على طهارة أولا عن ظهر قلب أو في المصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الانفاق كيفما تيسر (قوله يرجون تجارة) خبران أي يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيهم أجورهم) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله شكور) أي يثيبهم على طاعاتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس أو للتبعيض (قوله هو الحق) هو اما ضمير فصل أو مبتدا والحق خبر والجملة خبر الذي ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبواطن والظواهر) لف ونشر مرتب (قوله ثم أورثنا) أتى بثم اشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الامة (قوله وأعطينا) أشار بذلك الى أن المراد بالتوريث الاعطاء ووجه تسميته ميراثا ان الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك اعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفين (قوله وهم أمتك) أي أمة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا أولا والافليس المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقتداء به (قوله فمنهم ظالم لنفسه الخ) أي من غلبت سيئاته على حسناته والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته والسابق من لا تقع منه سيئة اصلا ولذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل الظالم هو راجح السيآت والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه في ربه وائلا يعجب الطائع بعمله فيهلك وهذا على حد ما قيل في قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (قوله باذن الله) متعلق بقوله سابق وانما خص مع ان الكل باذن الله تنبيها على عزة هذه المرتبة فأضيفت لله (قوله يدخلونها الخ) أتى بضمير جماعة الذكور في تلك الآيات تغليبا للمذكر على المؤنث والافلاخصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم أنه أحد قولين وقيل انهم يحلون فيها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ (قوله وقالوا) عبر بالماضي لتحقق وقوعه (قوله جميعه) أي كخوف الامراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها (قوله الذي أحلنا) أي أدخلنا وأسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لاحلنا والمراد بها الجنة التي تقدم ذكرها (قوله لا يمسنا فيها نصب) حال من ضمير أحلنا البارز (قوله تعب) أي فلا نوم في الجنة لعدم التعب بها (قوله اعياء من التعب) أي فاذا اشتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويتمتع بجميع ما أعطاه الله من الحور والغرف والقصور في أقل زمن فعل ولا يحصل له اعياء ولا مشقة وبالجملة فأحوال الجنة لا تقاس على أحوال الدنيا وهذه

الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية (قوله وذكر الثاني) جواب عما يقال ما الفائدة في نفي اللغوب مع ان انتفاءه يعلم من انتفاء النصب لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله ان الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه اذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار (قوله لا يقضى عليهم) أى لا يحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لا يقضى وهو منفي أيضا لانه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب ان قلت ان في هذه الآية دليلا على ان أهل النار لا يموتون وفي رواية أخرى لا يموت فيها ولا يحيي فيقتضي ان أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لا واسطة أجيب بان المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب ولا يحيون حياة طيبة (قوله ولا يخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زمنا ما وبهذا اندفع ما قيل ان بعض أهل النار يخفف عنه كأبي طالب وأبي لهب لما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع في أبي طالب فنقل في ضحضاح من نار ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه وورد ان أبا لهب يسقى في نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل ان المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وان كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه (قوله بالياء) أى المضمومة مع فتح الزاى ورفع كل وقوله والنون المفتوحة أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) أى يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره اشارة الى أن قوله ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه (قوله صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) أى على سبيل التوبيخ والتبكيت (قوله أولم نعمركم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتعتذرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمرا يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر (قوله ما يتذكر) ما نكرة موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره المفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كأنه قال قد وأبأنا عمرناكم وجاءكم النذير (قوله الرسول) أى رسول كان لان هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فما أجبتم فاندفع ما يقال ان ظاهر الآية ربما يوهم ان اذاقتهم العذاب مرتبة على مجيء الرسول مع انه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدا خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والأرض) أى ما غاب عنا فيهما (قوله انه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله كأنه قيل اذا علم ما خفي في الصدور كان أعلم بغيرها من باب أولى وقوله بالنظر الى حال الناس جواب عما يقال علم الله لا تفاوت فيه بل جميع الأشياء مستوية في علمه لا فرق بين ما خفي منها على الخلق وما ظهر لهم فأجاب بما ذكر أى ان الاولوية من حيث عادة الناس الجارية ان من علم الخفي يعلم الظاهر بالأولى (قوله هو الذى جعلكم خلائف في الأرض) أى رعاة مسؤلين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل انسان خليفة في الأرض وهو راع وكل راع مسؤل عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا في بعض النسخ بالتاء وفي بعض النسخ بلا تاء والأولى أولى لان خلف جمعه خلفاء وأما خليفة فجمعه خلائف (قوله أى وبال كفره) أى ولا يضر الا نفسه (قوله ولا يزيد الكافرين الخ) بيان لوبال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرأيتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد ان كانت بلا همز وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين الأول قوله شركاءكم والثاني قوله ماذا خلقوا من الأرض على سبيل التنازع لان كلا من أرأيتم وأروني طالب ماذا خلقوا من الأرض على انه مفعول له (قوله شركاءكم) أضافهم لهم من حيث انهم جعلوهم شركاء أو من حيث انهم شركوهم في أموالهم فانهم كانوا يعينون شيأ من أموالهم لآلهتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الأرض) أى أى شئ خلقوه من الامور التي في الأرض كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك (قوله أم لهم شرك) أم في الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله أم آتيناهم) أى الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع

وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) بالموت (فيموتوا) يستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) طرفة عين (كذلك) كما جزيناهم (نجزي كل كفور) كافر بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاى ونصب كل (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (ربنا أخرجنا) منها (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فيقال لهم (أولم نعمركم) ما وقتا (يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) الرسول فما أجبتم (فذوقوا فما للظالمين) الكافرين (من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور) بما في القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر الى حال الناس (هو الذى جعلكم خلائف في الأرض) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا (فمن كفر) منكم (فعليه كفره) أى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) غضبا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) للآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) أى غيره وهم الاصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أروني) أخبروني (ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك) شركة مع الله (في) خلق (السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة) حجة (منه) بأن لهم معي شركة

لاشيء من ذلك (بل ان) ما (يعد الظالمون) الكافرون (بعضهم بعضا الا غرورا) باطلا بقولهم الأصنام تشفع لهم (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أى يمنعهما من الزوال (ولئن) لام قسم (زالتا ان) ما (أمسكهما) يمسكهما (من أحد من بعده) أى سواه (انه كان حليما غفورا) فى تأخير عقاب الكفار (وأقسموا) أى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن أهدى من احدى الأمم) اليهود والنصارى وغيرهم أى أى واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا اذ قالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (الا نفورا) تباعدا عن الهدى (استكبارا فى الارض) عن الايمان مفعول له (ومكر) العمل (السيئ) من الشرك وغيره (ولا يحيق) يحيط (المكر السيئ الا بأهله) وهو الماكر ووصف المكر بالسيئ أصل واضافته اليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذرا من الاضافة الى الصفة (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنت الاولين) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) أى لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة) فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وما كان الله ليعجزه من شئ) يسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض

قراءتان سبعيتان (قوله لاشئ من ذلك) جواب الاستفهام فى الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل ان يعد الظالمون) لما ذكر نفى الحجج أضرب عنه بذكر الامر الحامل للرؤساء على الشرك واضلال الاتباع وهو قولهم لهم انهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم) بدل من الظالمون (قوله بقولهم) اى الرؤساء للاتباع (قوله أى يمنعهما من الزوال) أشار بذلك الى أن الامساك بمعنى المنع وقوله أن تزولا أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط فقوله ان أمسكهما جواب الاول وحذف جواب الثانى على القاعدة المعروفة (قوله من أحد) من زائدة فى الفاعل وقوله من بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئا من غيره (قوله انه كان حليما غفورا) تعليل لقوله ان الله يمسك السموات والارض أى فامساكهما حاصل بحلمه وغفرانه والا فكانتا جديرتين بان تزولا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الآية فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد اذ لولاه لما بقى شئ من العالم فقول العامة حلم الله يفتت الكبود اساءة أدب (قوله أى كفار مكة) أى قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبى ينذرهم ليكونن أهدى من احدى الامم (قوله جهد أيمانهم) الجهد بالفتح بلوغ الغاية فى الاجتهاد وأما بالضم فهو الطاقة وانما كان الحلف بالله غاية أيمانهم لانهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم فاذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله (قوله ليكونن) هذا حكاية لكلامهم بالمعنى والا فلفظه لنكونن الخ (قوله من احدى الامم) المراد من احدى الاحد الدائر فالمعنى من كل الامم فقول المفسر أى أى واحدة منها الاوضح أن يقول أى كل واحدة منها (قوله ما زادهم الا نفورا) جواب لما وفيه اشعار بان فيهم أصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسمعيل (قوله مفعول له) أى لاجل الاستكبار ويصح أن يكون بدلا من نفورا أو حالا من ضمير زادهم أى حال كونهم مستكبرين (قوله ووصف المكر بالسيئ) أى فى قوله ولا يحيق المكر السيئ وقوله أصل أى جاء على الاصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف (قوله واضافته اليه قبل) أى فى قوله ومكر السيئ (قوله استعمال آخر) أى جاء على خلاف الاصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) أى مضاف اليه وقوله حذرا من الاضافة الى الصفة أى من اضافة المكر الذى هو الموصوف الى السيئ الذى هو الصفة فيجعل المكر مضافا للمحذوف والسيئ صفة لذلك المحذوف وتلك الاضافة من اضافة العام للخاص لان المكر يشمل الاعتقاد والعمل فاضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون الا سنت الاولين) أى فلا ينتظرون الا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنة الله فيهم) أشار بذلك الى أن قوله سنت الاولين مصدر مضاف لمفعوله وسيأتى اضافته لفاعله فى قوله لسنت الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كأنه قيل لا ينتظرون الا تعذيبهم كمن قبلهم لانك أيها العاقل لن تجد الخ (قوله أى لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه) أشار بذلك الى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل نقله لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أولم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أتركوا السفر ولم يسيروا وهو استشهاد على ان سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل والاستفهام انكارى بمعنى النفى ونفى النفى اثبات والمعنى بل ساروا فى الارض ومروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى على أى حالة كانت ليعلموا أنهم ما أخذوا الا بتكذيب رسلهم فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا أشد منهم قوة) أى أطول أعمارا والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الامم السابقة

(قوله انه كان عليما قديرا) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة أي بسبب كسبهم أو الذي كسبوه (قوله من المعاصي) بيان لما (قوله ما ترك على ظهرها من دابة) أي من جميع ما دب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلا فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعا فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهر تشبيها للارض بالدابة من حيث التمكن عليها ويعبر تارة بوجه الارض من حيث ان ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهرها فهو من قبيل اطلاق الضدين على شئ واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو التنفس أي ذي روح (قوله فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك الى أن جواب الشرط محذوف وقوله فان الله الخ تعليل له

انه كان عليما) أي بالاشياء كلها (قديرا) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ما ترك على ظهرها) أي الارض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أي يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم باثابة المؤمنين وعقاب الكافرين

﴿سورة يس مكية أو الا قوله واذا قيل لهم أنفقوا الآية أو مدنية ثنتان وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) الله أعلم بمراده به

﴿سورة يس مكية﴾

أي كلها وقوله أو الا قوله واذا قيل الخ قول ثان وقوله أو مدنية أي كلها وهو قول ثالث وورد في فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يس على موتاكم ومنها ما من ميت يقرأ عليه يس الا هون الله عليه ومنها من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له في تلك الليلة ومنها ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات ومنها ان في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضا الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ومنها من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها في صدر ليلة أعطى يسر ليلته حتى يصبح ومنها عن أبي جعفر من وجد في قلبه قسوة فليكتب سورة يس في جام أي اناء بزعفران ثم يشربه ومنها من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفورا له ومنها من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات ومنها عن يحيى بن أبي كثير بلغني أن من قرأ سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها ومنها ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان ومنها يس لما قرئت له وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرار كأربع أو سبع أو احدى وأربعين أو غير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وان كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الأحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها في الواو بعدها أو باظهارها وقرئ شذوذا بضم النون وفتحها وكسرها فالأول خبر لمبتدا محذوف أي هذه ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والثاني اما على البناء على الفتح تخفيفا كأين وكيف أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف والثالث مبني على الكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة كحم وطس وتقدم ان هذا القول أسلم وقيل معناه يا انسان وأصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اسم للقرآن

(قوله

(قوله والقرآن الحكيم) كلام مستأنف لا محل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله انك لمن المرسلين (قوله المحكم) أى المتقن الذى هو فى أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) أى بالمرسلين ويصح أن يكون خبرا ثانيا لان كأنه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم (قوله أى طريق الانبياء قبلك) أى وقولهم ان شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع وأما الاصول فالكل مستوون فيها ولا يتعلق بها نسخ قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وقال تعالى فبهداهم اقتده (قوله وغيره) أى ان واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدا مقدر) هذا أحد وجهين فى الآية والآخر النصب على انه مفعول لمحذوف أى امدح أو مفعول مطلق لنزل والقراءتان سبعيتان (قوله لتنذر قوما) أى العرب وغيرهم (قوله فى زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب ما بين اسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مرتب على نفى الانذار وقوله أى القوم تفسير للضمير ويصح أن يكون الضمير راجعا للمرسل اليهم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) أى وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله على أكثرهم) أى أكثر المكلفين فى كل زمن فالاقل منهم ايمانه والاكثر منهم كفره وتقدم لما فى سورة الانعام ان الاقل واحد من ألف (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ما قبله وأشار بذلك الى أن الايمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على أحدهما فلا يستطيع التحول عنه وانما الامر بالايمان باعتبار التكليف الظاهرى والنوع الاختيارى ومن هنا قول بعض العارفين

الكل تقدير مولانا وتأسيسه * فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك اذا زادت وساوسه * ابليس لما طغى من كان ابليسه

(قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) قيل نزلت فى أبى جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ اليه رجعت يداه الى عنقه والتصق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثانى وهو الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه فأتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وقال الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك فقال شأنى عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت قط فحلا أعظم منه حال بينى وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلنى فأنزل الله تعالى تلك الآية وفيها اشارة الى ما يحصل لهم فى جهنم من السلاسل والاغلال وعمى أبصارهم وفيها أيضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى امتناعهم من الهدى والايمان بحال من غلت يده فى عنقه وعمى بصره بجامع ان كلا ممنوع من الوصول الى المقصود فتحصل ان الآية دالة على الامور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم فى الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بان تضم اليها الايدى) جعل المفسر هذا توطئة لارجاع الضمير للايدى فى قوله فهى الى الاذقان كأنه قال الايدى وان لم يتقدم لها ذكر صراحة فهى مذكورة ضمنا فى قوله الاغلال لان الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره اشارة الى أن قوله الى الاذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك ان اليد ترفع تحت الذقن ويلبس الغل العنق فتضم اليد اليه تحت الذقن فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) أى استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه اشارة الى سبب النزول والى ما يحصل لهم فى الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأغشيناهم) هو بالغين المعجمة فى قراءة العامة أى غطينا أبصارهم وقرئ شذوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الابصار ليلا والمعنى أضعفنا أبصارهم ليلا والمعنى أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الاعشى (قوله تمثيل) أى استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى سد طرق الايمان عليهم ومنعهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع ان كلا لا يهتدى لمقصوده (قوله

(والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى (انك) يا محمد (لمن المرسلين على) متعلق بما قبله (صراط مستقيم) أى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له لست مرسلا (تنزيل العزيز) فى ملكه (الرحيم) بخلقه خبر مبتدا مقدر أى القرآن (لتنذر) به (قوما) متعلق بتنزيل (ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذروا فى زمن الفترة (فهم) أى القوم (غافلون) عن الايمان والرشد (لقد حق القول) وجب (على أكثرهم) بالعذاب (فهم لا يؤمنون) أى الاكثر (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) بان تضم اليها الايدى لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهى) أى الايدى مجموعة (الى الاذقان) جمع ذقن وهى مجتمع اللحيين (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للايمان ولا يخفضون رؤسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين وضمها فى الموضعين (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) تمثيل أيضا لسد طرق الايمان عليهم

وسواء عليهم أأنذرتهم الخ) هذا نتيجة ما قبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء والمعنى انذارك وعدمه سواء في عدم ايمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف بينهما وتركه فالقراآت خمس لا أربع كما توهمه عبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيات (قوله ينفع انذارك) جواب عما يقال ان ظاهر الآية يقتضي ان رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هي لقوم مخصوصين وهم من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ويخالف قوله سابقا لتنذر قوما الخ فأجاب المفسر عن ذلك بان محط الحصر الانذار النافع فلا ينافي وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالغيب) يصح أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول وتقدم نظيره (قوله فبشره بمغفرة الخ) تفريع على ما قبله اشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله انا نحن نحيي الموتى) أي نبعثهم في الآخرة للمجازاة على أعمالهم (قوله ونكتب ما قدموا) ان قلت ان الكتابة متقدمة قبل الاحياء اذ هي في الدنيا والاحياء يكون في الآخرة أجيب انه قدم الاحياء اعتناء بشأنه اذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله في اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول في صحف الملائكة لان الكتابة التي تكون في حياة العباد انما هي في صحف الملائكة وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ما استن به بعدهم) أي من خير كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كمكس رتبوه أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك لما في الحديث من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء (قوله نصبه بفعل يفسره الخ) أي فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلا لعلهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الاوضح أن يجعله مفعولا أول (قوله انطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة وهي مدينة بأرض الروم ذات سور عظيم من صخر وهي بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلا وحاصل تلك القصة ان عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية اسم أحدهما صادق والثاني مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الأكمه والابرص باذن الله تعالى وذلك كرامة لهما ومعجزة لنبيهما لانه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته قال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فأتى بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخا فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وجلد واكل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما في السجن فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فاني أرى أيها الملك أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر

(وسواء عليهم أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه (أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر) ينفع انذارك (من اتبع الذكر) القرآن (وخشي الرحمن بالغيب) خافه ولم يره (فبشره بمغفرة وأجر كريم) هو الجنة (انا نحن نحيي الموتى) للبعث (ونكتب) في اللوح المحفوظ (ما قدموا) في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وآثارهم) ما استن به بعدهم (وكل شيء) نصبه بفعل يفسره (أحصيناه) ضبطناه (في امام مبين) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (واضرب) اجعل (لهم مثلا) مفعول أول (أصحاب) مفعول ثان (القرية) انطاكية (اذ جاءها)

الى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية (المرسلون) أى رسل عيسى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) الى آخره بدل من اذ الاولى (فعززنا) بالتخفيف والتشديد قوينا الاثنين (بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان) ما (أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم) جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ماقبله لزيادة الانكار في (انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين) التبليغ البين الظاهر بالادلة الواضحة وهى ابراء الأكمه والابرص والمريض واحياء الميت (قالوا انا تطيرنا) تشاءمنا (بكم) لانقطاع المطر عنا بسببكم (لئن) لام قسم (لم تنتهوا لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) مؤلم (قالوا طائركم) شؤمكم (معكم) بكفركم (أئن) همزة استفهام دخلت على ان الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وادخال ألف بينها بوجهيها وبين الاخرى (ذكرتم) وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف أى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بل أنتم قوم مسرفون) متجاوزون الحد بشرككم (وجاء من أقصى المدينة رجل) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد (يسعى)

بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت آلهتك حتى يصنعوا مثل هذا كان لك الشرف ولآلهتك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده الى صاحبيه وأنا أشهد ان لا اله الا الله وان عيسى روح الله وكلمته فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال وانه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم ويذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين (قوله الى آخره) أى آخر القصة وهو قوله الا كانوا به يستهزؤن (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أى رسل عيسى) هذا هو المشهور وقيل انهم رسل من الله من غير واسطة عيسى أرسلوا الى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من اذ الاولى) أى بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا انا اليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بان لتقدم الانكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم (قوله قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) أى فلا مزية لكم علينا (قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويجاب بما يجاب به القسم (قوله لزيادة الانكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى ابراء الاكمه) أى الاعمى (قوله قالوا انا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل سمى بذلك لانهم كانوا يتفاءلون بالطير اذا أرادوا سفرا أو غيره فان ذهب يمنة قالوا خيرا وان ذهب يسرة قالوا شر (قوله لانقطاع المطر عنا بسببكم) قيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حنثوا فيه لان الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طائركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وادخال ألف) أى وتركه فالقرا آت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى انه اذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهو مذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه والمعنى لا ينبغى ولا يليق بكم التطاير والكفر بسبب وعظتم بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشرككم) أى بعد ظهور المعجزات وهذا الخطاب لمن بقى على الكفر منهم وهم الذين رجوا حبيبا النجار وأهلكهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى انطاكية المعبر عنها أولا بالقرية وعبر عنها بالمدينة اشارة الى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) أى ابن اسرائيل كان يصنع لهم الأصنام وهو ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما وفى الحقيقة كل نبى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره عهدا فى قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وأما غيره من الأنبياء فلم يؤمن به أحد الا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسل) أى رسل عيسى وسبب ايمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض وقيل انه هو وكان مجذوما وعبد الاصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف فلما دعاه الرسل الى عبادة الله قال لهم هل من آية قالوا ندعو ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال

يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا) تأكيدا للأول (من لا يسئلكم أجرا) على رسالته (وهم مهتدون) فقيل له أنت على دينهم فقال (ومالي لا أعبد الذى فطرني) خلقني أى لا مانع لى من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم كذلك (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (أأتخذ) فى الهمزتين منه ماتقدم فى أأنذرتهم وهو استفهام بمعنى النفى (من دونه) أى غيره (آلهة) أصناما (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم) التى زعمتموها (شيأ ولا ينقذون) صفة آلهة (انى اذا) أى ان عبدت غير الله (لفى ضلال مبين) بين (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا قولى فرجموه فمات (قيل) له عند موته (ادخل الجنة) وقيل دخلها حيا (قال يا) حرف تنبيه (ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) بغفرانه (وجعلنى من المكرمين وما) نافية (أنزلنا على قومه) أى حبيب (من بعده) بعد موته (من جند من السماء) أى ملائكة لاهلاكهم (وما كنا منزلين) ملائكة لاهلاك أحد (ان) ما (كانت) عقوبتهم (الا صيحة واحدة) صاح بهم جبريل (فاذا هم خامدون) ساكنون ميتون (يا حسرة على العباد) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجازا أى هذا أوانك فاحضرى (ما يأتيهم من رسول

ان هذا لعجيب قد عبدت هذه الاصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا انه ربنا على كل شئ قدير فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن (قوله يشتد عدوا) أى يسرع فى مشيته حرصا على نصح قومه والدفع عن الرسل (قوله تأكيد للأول) أى تأكيدا لفظيا فلفظ اتبعوا الثانى تأكيد للفظ اتبعوا الأول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لا يسئلكم أجرا) بدل من المرسلين والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم العرض الفانى اذ لو كانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال ونازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض لهم بالاتباع أى فاهتدوا أنتم تبعا لهم (قوله أنت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله ومالى لا أعبد الذى فطرنى) تلطف فى ارشادهم وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم والاحسن أن فى الآية احتباكا حيث حذف من الاول نظير ما أثبته فى الآخر والاصل ومالى لا أعبد الذى فطرنى وفطركم واليه ترجعون وأرجع (قوله الموجود مقتضيها) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى الهمزتين منه ماتقدم) أى من القراآت الاربع وتقدم انها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بالف ودونها وابدال الثانية الفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفى) أى وهو انكارى (قوله من دونه) يصح أن يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذ على انها متعدية لاثنين وآلهة مفعول أول مؤخر ويصح أن يكون حالا من آلهة أو متعلقا باتخذ على أنها متعدية لواحد (قوله لا تغن عنى شفاعتهم) أى لا تنفعنى شفاعتهم فهو من الغناء بالفتح وهو النفع ومنه قول البوصيرى * قلن ماباليتيم عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة ان يردن الرحمن الخ فهى فى محل نصب والاوضح أن تكون مستأنفة سيقت لتعليل النفى المذكور لان جعلها صفة يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك (قوله ان عبدت غير الله) أشار بذلك الى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال مبين) أى لثبوت الادلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفت بعدها ياء الاضافة وقرئ شذوذا بفتحها ولا وجه له فى العربية لان فعل الامر بنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ماقلته لكم وهو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجموه فمات) أى وهو يقول اللهم اهد قومى وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره فى سور انطاكية وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ماخرجت روحه الا فى الجنة وفى رواية انهم قتلوا معه الرسل الثلاثة ووضعوهم فى بئر وهى الرس (قوله قيل له عند موته) هذا أحد أقوال ثلاثة اقتصر المفسر على اثنين منها والثالث ان هذا القول كناية عن البشرى بأنه يدخل الجنة (قوله وقيل دخلها حيا) أى نجى هو وانقتل له رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حيا اكراما له كما وقع لعيسى انه رفع الى السماء (قوله قال ياليت قومى) أى وهم الذين نصحهم أولا فقد نصحهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) أشار بذلك الى أن ما مصدرية ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح أن تكون استفهامية أى باى شئ غفر لى أى بامر عظيم وهو توحيدى وصدعى بالحق (قوله وما أنزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم والمعنى لم نحتج فى اهلاكهم الى ارسال جنود من الملائكة بل اهلكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله وما كنا منزلين أى لم يكن شأننا وعادتنا ارسال جنود لاهلاك أحد من الامم قبلهم بل اذا أردنا اهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة أو رجفة أو غير ذلك ان قلت ان الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجيب بأن انزالهم تكرمة للنبى وأصحابه لا للاهلاك العام وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد موته) أى أو بعد رفعه حيا على القول الآخر (قوله لاهلاك أحد) أى من الامم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون) أى فشبهوا بالنار الخامدة لانقطاع النفع فى كل (قوله يا حسرة على العباد) يحتمل أن يكون من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين والمراد بالعباد جميع الكفار فأل للجنس وقيل المراد بالعباد نفس الرسل

وعلى بمعنى من والقائل ذلك الكفار والتقدير ياحسرة علينا من مخالفة العباد والوجه الاول الذى مشى عليه المفسر (قوله الا كانوا به يستهزؤن) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) أى فهو استئناف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما وجه التحسر عليهم فقيل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) أى بواسطة فان الاستهزاء سبب لاهلاكهم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) أى دلالته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لاهلكنا مقدم وقبلهم ظرف لاهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفى (قوله معمولة لما بعدها) أى وليست معمولة ليروا لان كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ما قبلها فيها (قوله معلقة ما قبلها عن العمل) ان قلت ان كم الخبرية لا تعلق وانما التعليق للاستفهامية قال ابن مالك فى باب ظن وأخواتها

وان ولا لام ابتداء أو قسم * كذا والاستفهام ذا له انحتم

أجيب بان الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية فى التعليق (قوله والمعنى انا أهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل مما قبله) أى بدل اشتمال لان اهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كان اهلاكهم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) أى وهو قوله انا أهلكنا الخ والمعنى قد علموا اهلاكنا كثيرا من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم الى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة فينبغى أن يعتبروا بهم (قوله نافية) أى ولما بالتشديد بمعنى الا وقوله أو مخففة أى مهملة ولما بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد أغنت عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد فتحصل أن من شدد لما جعلها بمعنى الا وان نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالبصريون على أن ان مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى الا وان نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك الى أن التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله أى مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بان كل أشير بها لاستغراق الافراد وجميع أشير بها لاجتماع الكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) أى علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله أحييناها اشارة الى أنه صفة للارض والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد (قوله وجعلنا) عطف على أحييناها (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند أهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلا خلاف اذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب وغيرها (قوله وفجرنا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالتخفيف (قوله أى بعضها) أشار بذلك الى أن من تبعيضية ويصح ان تكون زائدة (قوله بفتحتين وبضمتين) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال ان الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية فاجاب بأنه أفرد باعتبار ما ذكر (قوله أى لم تعمل الثمر) أشار بذلك الى ان ما نافية والمعنى انه ليس لهم ايجاد شئ بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الاخرى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ويصح ان تكون موصولة أى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية أى ومن عمل أيديهم واثبات العمل للايدى من حيث الكسب (قوله أفلا يشكرون) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها أى بحيث لا يصرفونها فى مصارفها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحان الذى خلق الازواج) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به (قوله الاصناف كلها) أى فكل زوج صنف لانه مختلف فى الالوان والطعوم والاشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها (قوله مما تنبت الارض) بيان للازواج وكذا ما بعده فتحصل ان هذه الامور الثلاثة لا يخرج عنها شئ من أصناف المخلوقات (قوله الغريبة) أى كالتى فى السموات والتى تحت الارضين وكل ما لم يكن شاهد الناعادة

الا كانوا به يستهزؤن) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى الى اهلاكهم المسبب عنه الحسرة (ألم يروا) أى أهل مكة القائلون للنبى لست مرسلا والاستفهام للتقرير أى علموا (كم) خبرية بمعنى كثير معمولة لما بعدها معلقة ما قبلها عن العمل والمعنى انا (أهلكنا قبلهم) كثيرا (من القرون) الامم (أنهم) أى المهلكين (اليهم) أى المكيين (لا يرجعون) أفلا يعتبرون بهم وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وان) نافية أو مخففة (كل) أى كل الخلائق مبتدأ (لما) بالتشديد بمعنى الا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جميع) خبر المبتدا أى مجموعون (لدينا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (محضرون) للحساب خبر ثان (وآية لهم) على البعث خبر مقدم (الارض الميتة) بالتشديد والتخفيف (أحييناها) بالماء مبتدأ (وأخرجنا منها حبا) كالحنطة (فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) أى بعضها (ليأكلوا من ثمره) بفتحتين وبضمتين أى ثمر المذكور من النخيل وغيره (وما عملته أيديهم) أى لم تعمل الثمر (أفلا يشكرون) أنعمه تعالى عليهم (سبحان الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من الحبوب وغيرها (ومن أنفسهم) من الذكور والاناث (ومما لا يعلمون) من المخلوقات العجيبة الغريبة

(وآية لهم) على القدرة العظيمة (الليل نسلخ) نفصل (منه النهار فإذا هم مظلمون)

(قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ذكر الله تعالى في هذه الآيات ما يتضمن علم الميقات الذي يجب معرفته وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضي الله عنه مقدمة لطيفة في هذا الشأن كافية لمن اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى * وحاصلها مختصر وفيها فائدة أسماء الشهور القبطية توت . بابه . هاتور . كيهك . طوبه . أمشير . برمهات . برموده . بشنس . بؤنه . أبيب . مسري . أسماء البروج . ميزان . عقرب . قوس . جدي . دلو . حوت . حمل . ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ولا يدخل توت الذي هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسري وتسمى أيام النسي . وفصول السنة أربعة . فصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف وأول فصل الخريف انتقال الشمس الى برج الميزان وذلك في نصف توت وفي ثلث الليلة يستوي الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة الى نصف بابه تنتقل الشمس الى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلث درجة الى نصف هاتور تنتقل الشمس الى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس الى طلوعها أربع عشرة ساعة فيصلي الفجر على ثنتي عشرة ساعة وست درج ومن طلوعه الى الشمس أربع وعشرون درجة وذلك في آخر يوم من فصل الخريف منتصف كيهك ثم تنتقل الشمس الى برج الجدي وهو أول فصل الشتاء فيأخذ الليل في النقص والنهار في الزيادة فيزيد النهار كل يوم سدس درجة ثلاثين يوما بخمس درج الى نصف طوبه فتنتقل الشمس الى برج الدلو فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة الى نصف أمشير فتنتقل الى برج الحوت فتسميها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة الى نصف برمهات فتنتقل الشمس الى برج الحمل ويسميها العامة بالشمس الكبيرة وهو أول فصل الربيع وفيه الاعتدال الربيعي يستوي الليل في ثلث الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما في برج الحوت الذي قبله الى منتصف برموده فتنتقل الشمس الى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة الى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة الى نصف بؤنه فتنتقل الى برج السرطان وهو أول فصل الصيف وبه ينتهي طول النهار فيكون النهار من طلوع الشمس الى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهي قصر الليل فيكون من الغروب الى طلوع الشمس عشرة وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل في الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة الى خامس عشر أبيب فتنتقل الشمس الى برج الاسد فيزيد كل يوم ثلث درجة الى نصف مسري فتنتقل الى السنبلة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة الى نصف توت أول السنة فقد علمت ان الدرج الذي يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين مرة في نصف توت الذي هو أول السنة القبطية وهو أول فصل الخريف والمرة الثانية في نصف برمهات أول فصل الربيع وان مبدأ زيادة النهار من الفصل الذي قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالاسداس ثم ثلاثين بالاثلاث ثم ثلاثين بالانصاف لأول فصل الربيع فحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالانصاف أيضا الى نصف برموده ودخول الشمس في الثور فمدة زيادة الانصاف ستون من نصف أمشير ودخول الشمس في الحوت الى نصف برموده ثم ثلاثين بالاثلاث الى نصف بشنس ودخول الشمس في الجوزاء ثم ثلاثين بالاسداس الى نصف بؤنه ودخول الشمس في السرطان فيأخذ الليل في الزيادة بالاسداس ثلاثين ليلة الى نصف أبيب ودخولها في الاسد ثم ثلاثين بالاثلاث الى نصف مسري ثم بالانصاف الى نصف توت ثم بالانصاف أيضا الى نصف بابه ثم بالاثلاث الى نصف هاتور ثم بالاسداس الى نصف كيهك ثم يعود النهار على الليل فسبحان الله المقدر للامور القادر على كل شيء العليم الحكيم اهـ (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره (قوله نسلخ الخ) بيان الكيفية كونه آية (قوله نفصل منه النهار) أي نزيله

عنه لكونه كالساتر له فاذا زال الساتر ظهر الاصل فالليل أصل متقدم فى الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله فاذا هم مظلمون وهذا لا ينافى ما يأتى فى قوله ولا الليل سابق النهار لان معناه لا يأتى الليل قبل وقته المقدر له بان يأتى فى وقت الظهر مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل ان معنى السلخ الفصل والازالة وليس المراد به الكشف والالقال فاذا هم مبصرون لانه يصير المعنى وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار (قوله داخلون فى الظلام) أى فيقال أظلم القوم اذا دخلوا فى الظلام وأصبحوا اذا دخلوا فى الصباح (قوله من جملة الآية) أى فهو عطف مفردات على قوله الارض وقوله أو آية أخرى أى فيكون عطف جمل (قوله لمستقر لها) أى مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها فى ان تطلع من مطلعها فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب وهذا هو الصحيح عند أهل السنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين ذهبت الشمس قال الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقيل ان الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الارض وان كنا لا نعرفه وهذا قول الحكماء ويؤيده ما قاله الفقهاء أن الاوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند آخرين وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط واختلف فى العشاء حينئذ فقالت الحنفية بسقوطها وقالت الشافعية ووافقهم المالكية يقدرها بأقرب البلاد اليهم ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى أداء ولا حرمة عليهم فى ذلك وعلى ما قالته الحكماء فاختلف فى مستقر الشمس فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل مستقرها هو سيرها فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها التى لا تتجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر فقال الرملى من أئمة الشافعية ان لكل شهر قمرا جديدا ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الاحاديث انه متحد (قوله بالرفع) أى على انه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب بفعل يفسره ما بعده) أى فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك الى أن قوله منازل ظرف لقوله قدرناه والتقدير قدرنا سيره فى منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذا منازل (قوله أى كعود الشماريخ) جمع شمراخ وهو عيدان العنقود الذى عليه الرطب (قوله اذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فانه يدق ويتقوس ويصفر) أى فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى بحيث تأتى فى وسط الليل لان ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لان سير القمر أسرع لانه يقطع الفلك فى شهر والشمس لا تقطع فلكها الا فى سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك الشمس فى سيرها ولكن لا سلطنة له (قوله ولا الليل سابق النهار) أى لا يأتى الليل فى أثناء النهار قبل أن ينقضى كأن يأتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلك يسبحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة المغزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور والذى سوغ ذلك وصفهم بالسباحة التى هى من أوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أى حملنا ذريتهم فى الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى آباءهم الاصول) أشار بذلك الى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الاصول لانه من الذرء وهو الخلق فاندفع ما يقال ان الذى حمل فى سفينة نوح أصول أهل مكة لا فروعهم وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية (قوله المملوء) أى لان نوحا جعله

داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) الى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لمستقر لها) أى اليه لا تتجاوزه (ذلك) أى جريها (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه (والقمر) بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قدرناه) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (حتى عاد) فى آخر منازله فى رأى العين (كالعرجون القديم) أى كعود الشماريخ اذا عتق فانه يرق ويتقوس ويصفر (لا الشمس ينبغى) يسهل ويصح (لها أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى الليل (ولا الليل سابق النهار) فلا يأتى قبل انقضائه (وكل) تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر والنجوم (فى فلك) مستدير (يسبحون) يسيرون نزلوا منزلة العقلاء (وآية لهم) على قدرتنا (أنا حملنا ذريتهم) وفى قراءة ذرياتهم أى آباءهم الأصول (فى الفلك) أى سفينة نوح (المشحون) المملوء

(وخلقنا لهم من مثله) أى مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (ما يركبون) فيه (وان نشأ نغرقهم) مع ايجاد السفن (فلا صريخ) مغيث (لهم ولاهم ينقذون) ينجون (الارحمة منا ومتاعا الى حين) أى لانجيهم الارحمتنا لهم وتمتيعنا اياهم بلذاتهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم) من عذاب الدنيا كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) أعرضوا (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل) أى قال فقراء الصحابة (لهم أنفقوا) علينا (مما رزقكم الله) من الاموال (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاءبهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) فى معتقدكم هذا (ان) ما (أنتم) فى قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (الا فى ضلال مبين) بين والتصريح بكفرهم موقع عظيم (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث (ان كنتم صادقين) فيه قال تعالى (ما ينظرون) أى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى نفخة اسرافيل الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء الى الخاء وأدغمت فى الصاد أى وهم فى غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك وفى قراءة يخصمون كيضربون

ثلاث طبقات السفلى وضع فيها السباع والهوام والوسطى وضع فيها الدواب والانعام والعليا وضع فيها الآدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ماقبله والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق وعلمناهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من اما زائدة أو تبعيضية وعلى كل فدخولها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ما عملوه) هذا أحد أقوال ثلاثة فى تفسير المثل والثانى انه خصوص الابل والثالث انه مطلق الدواب التى تركب (قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى اضافة صفة العبيد لانفسهم وان كان هو الخالق لها حقيقة فلم أضافها لنفسه فأجاب بان التعليم والهداية لما كانتا منه أضاف الخلق له لان سفينة نوح التى هى أصل السفن كانت بمحض تعليم الله والهامه له (قوله مع ايجاد السفن) أى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى الصارخ يطلق على المستغيث وعلى المغيث فهو من تسمية الاضداد والمراد الثانى (قوله الارحمة منا) الأداة استثناء ورحمة مفعول لاجله وهو استثناء مفرغ من عموم الاحوال والمعنى لانجيهم لشئ من الاشياء الالاجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الامد الذى سبق فى علمنا (قوله كغيركم) أى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) أشار بذلك الى ان لفظ الخلف كما يطلق على ما مضى يطلق على ما يأتى فهو من تسمية الاضداد وسمى ما يأتى خلفا لغيبته عنا (قوله أعرضوا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعيضية (قوله الا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله واذا قيل لهم أنفقوا الخ) أشار بذلك الى أنهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كالعاص بن وائل السهمى وغيره كان اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك قد منعك الله أفأطعمك أنا وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون لانعطى من حرمه الله ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الاغنياء للآخرة ولولا الفقراء ما انتفع الغنى بغناه (قوله قال الذين كفروا) أى بالصانع أى ينكرون وجوده وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله أطعمه) مفعول أنطعم وقوله أطعمه جواب لو (قوله فى معتقدكم) أى أيها الفقراء المؤمنون لا فى معتقد الكفار الاغنياء فانهم ينكرون الصانع كما علمت (قوله فى قولكم لنا ذلك) أشار بذلك الى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين ويؤيده ما روى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه وكان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال يا أبا بكر أتزعم ان الله قادر على اطعام هؤلاء قال نعم قال فما باله لم يطعمهم قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى وأمر الفقراء بالصوم والاغنياء بالاعطاء فقال أبو جهل والله يا أبا بكر ان أنت الا فى ضلال أتزعم أن الله قادر على اطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت وقيل انه من كلام المؤمنين للكفار وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) أى وهو التبكيت والتقبيح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى (قوله أى ما ينتظرون) هذا مجاراة لاول كلامهم لان شأن من يسأل عن الشئ أن يكون معترفا بوجوده والا فهم جازمون بعدمها (قوله الاولى) أى وهى التى يموت عندها من كان موجودا على وجه الارض (قوله نقلت حركة التاء الى الخاء) أى بتمامها أو بعضها ففيهما قراءتان (قوله وادغمت) أى بعد قلبها صادا وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء [٣] وقوله وفى قراءة الخ تلخص من كلامه ان القراآت هنا ثلاث وبقى رابعة وهى فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل وانما هى لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين وكل تلك القراآت سبعية (قوله أى وهم فى غفلة عنها) أشار بهذا الى أن المراد من الاختصام لازمه وهو الغفلة التى ينشأ عنها الاختصام وغيره وفى الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه

٣ (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا انما هو فى الماضى الذى هو اختصم راجع حاشية العلامة الجمل

ولتقومن

ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري (قوله أي يخصم بعضهم بعضا) بيان لحاصل المعنى والمفعول محذوف على القراءة الاخيرة (قوله أي ان يوصوا) أي على أولادهم وأموالهم (قوله ولا الى أهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح وقيل أربعون يوما وقيل غير ذلك (قوله أي المقبورون) أي من شأنه ان يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من أكلته السباع ونحوه (قوله من الاجداث) جمع جدث كفرس وأفراس وقرئ شذوذا الاجداف بالفاء وهي لغة في الاجداث (قوله يخرجون بسرعة) أي يسرعون في مشيهم قهرا لا اختيارا (قوله أي الكفار) أي لا كل الخلائق اذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك ما يقال ان النداء مختص بالعقلاء فكيف ينادي الويل وهو لا يعقل فأجاب بأن يا للتنبيه والمعنى تنبهوا فان الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة باضافته الى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تأنيث وقرئ شذوذا ياويلتنا بتاء التانيث وياويلتى بابدال الياء ألفا وعلى قراءة الافراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لا فعل له من لفظه) أي بل من معناه وهو هلك (قوله من بعثنا) قرأ العامة بفتح ميم من على أنها استفهامية مبتدأ وجملة بعثنا خبره وقرئ شذوذا بكسر الميم على انها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بويلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والمرقد يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان أي من رقادنا أو من مكان رقادنا (قوله لانهم كانوا بين النفختين نائمين) أي حين يرفع الله عنهم العذاب فيرقدون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النوم فاذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ما وعد الرحمن الخ) مفعول وعد وصدق محذوف والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون (قوله اقروا الخ) أشار بذلك الى أن هذه الجملة من كلام الكفار فهي في محل نصب مقول القول كأنهم لما سألوا ولم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أي من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وانما عدلوا عن جواب سؤالهم لان الباعث لهم معلوم وانما لهم السؤال عن البعث (قوله ان كانت) أي النفخة الثانية (قوله الا صيحة واحدة) أي وهي قول اسرافيل أيتها العظام النخرة والاوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (قوله فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي مجموعون في موقف الحساب (قوله فاليوم لا تظلم نفس شيأ) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله ان أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه اذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله في شغل) أبهمه ونكره اشارة الى تعظيمه ورفعة شأنه والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية كالتفكه بالاكل والشرب والسماع وضرب الاوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون الغين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله كافتضاض البكر) أي لما روي ان أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكارا فيفتضوهن من غير قذر ولا ألم (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهي التنعم والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم (قوله جمع ظلة) أي كقباب جمع قبة وزنا ومعنى (قوله أو ظل) أي كشعاب جمع شعب (قوله أي لا تصيبهم الشمس) أي لعدم وجودها (قوله في الحجلة) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أي في الحجلة فالاريكة فيها قولان قيل هي السرير الكائن في الحجلة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أي قوله على الارائك فتحصل ان هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه وفي ظلال خبر أول ومتكئون خبر ثان وعلى الارائك متعلق بمتكئون قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أي من كل نوع من أنواع الفواكه لا مقطوع ولا ممنوع قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة (قوله ولهم ما يدعون) أصله يدتعيون بوزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ما قبلها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما ثم أبدلت التاء دالا وأدغمت

أي يخصم بعضهم بعضا (فلا يستطيعون توصية) أي أن يوصوا (ولا الى أهلهم يرجعون) من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها (ونفخ في الصور) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فاذا هم) أي المقبورون (من الاجداث) القبور (الى ربهم ينسلون) يخرجون بسرعة (قالوا) أي الكفار منهم (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (من بعثنا من مرقدنا) لانهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا (هذا) أي البعث (ما) أي الذي (وعد به (الرحمن وصدق) فيه (المرسلون) أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل يقال لهم ذلك (ان) ما (كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا) عندنا (محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يلتذون به كافتضاض الابكار لا شغل يتعبون فيه لان الجنة لا نصب فيها (فاكهون) ناعمون خبر ثان لان والاول في شغل (هم) مبتدأ (وأزواجهم في ظلال) جمع ظلة أو ظل خبر أي لا تصيبهم الشمس (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها (متكئون) خبر ثان متعلق على (لهم فيها فاكهة ولهم) فيها (ما يدعون) يتمنون

(سلام) مبتدأ (قولا) أي بالقول خبره (من رب رحيم) بهم أي يقول لهم سلام عليكم (و) يقول (امتازوا اليوم أيها المجرمون) أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم (ألم أعهد إليكم) آمركم (يا بني آدم) على لسان رسلي (أن لا تعبدوا الشيطان) لا تطيعوه (إنه لكم عدو مبين) بين العداوة (وأن اعبدوني) وحدوني وأطيعوني (هذا صراط) طريق (مستقيم ولقد أضل منكم جبلا) خلقا جمع جبيل كقديم وفي قراءة بضم الباء (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) عداوته وإضلاله أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون ويقال لهم في الآخرة (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم) أي الكفار لقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) وغيرها (بما كانوا يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر منه (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعميناها طمسا (فاستبقوا) ابتدروا (الصراط) الطريق ذاهبين كعادتهم (فأنى) فكيف (يبصرون) حينئذ أي لا يبصرون (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير أو حجارة (على مكانتهم) وفي قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان أي في منازلهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء (ومن نعمره) بإطالة أجله (ننكسه) وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (في الخلق) أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرما

في الدال والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الأعاريب وقيل إنه بدل من قوله ما يدعون أو صفة لما أو خبر لمبتدأ محذوف (قوله أي بالقول) أشار بذلك إلى أن قولا منصوب بنزع الخافض ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر (قوله أي يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرؤهم السلام لما في الحديث بينما أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (قوله ويقول امتازوا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضا (قوله عند اختلاطهم بهم) أي حين يسار بهم إلى الجنة لما ورد في الحديث ما معناه إذا كان يوم القيامة ينادي مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن يمين العرش ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في نقرة إبهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد المنافقون أن يسجدوا فيصير ظهرهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم أعهد إليكم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمراد بالعهد ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الأوامر والنواهي (قوله آمركم) أي وأنهاكم ففيه اكتفاء (قوله أن لا تعبدوا الشيطان) أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل مجزوم بها (قوله إنه لكم عدو مبين) تعليل لوجوب الانتهاء (قوله ولقد أضل منكم) تأكيد للتعليل (قوله جبلا) بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام (قوله وفي قراءة بضم الباء) أي مع ضم الجيم وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضا وهي بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل (قوله هذه جهنم) هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع (قوله اصلوها) أي ذوقوا حرارتها (قوله بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم (قوله اليوم نختم على أفواههم) أي نختمها عن الكلام النافع فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وهذا مرتبط بقوله اصلوها اليوم روي أنهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون لا نجيز علينا شاهدا إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم ويقال لأركانهم انطقوا فتنطق بما صدر منهم وحكمة إسناد الختم لنفسه والشهادة للأيدي والأرجل دفع توهم أن نطقها جبرا والمجبور غير مقبول الشهادة فأفاد أن نطقها اختياري (قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الخ) مفعول المشيئة محذوف أي لو نشاء طمسها لفعلنا وقوله فاستبقوا الصراط أي أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله فأنى يبصرون استفهام إنكاري مرتب على ما قبله أي فلا يبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها والمسخ تغيير الصور وعلى بمعنى في والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتوبيخ الكفار وإعلامهم بأن الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية (قوله ومن نعمره) أي من يكون في سابق علمنا طويل العمر (قوله وفي قراءة بالتشديد) أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد والمعنى نقلبه فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه عكس ما كان عليه أول أمره (قوله أي خلقه) أي خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا)

(أفلا يعقلون) ان القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفى قراءة بالتاء (وما علمناه) أى النبي (الشعر) رد لقولهم ان ما أتى به من القرآن شعر (وما ينبغى) يسهل (له) الشعر (ان هو) ليس الذى أتى به (الا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للاحكام وغيرها (لينذر) بالياء والتاء به (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون (ويحق القول) بالعذاب (على الكافرين) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أولم يروا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (انا خلقنا لهم) فى جملة الناس (مما عملت أيدينا) أى عملناه بلا شريك ولا معين (أنعاما) هي الابل والبقر والغنم (فهم لها مالكون) ضابطون (وذللناها) سخرناها (لهم فمنها ركوبهم) مركوبهم (ومنها يأكلون ولهم فيها منافع) كأصوافها وأوبارها وأشعارها (ومشارب) من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب أو موضعه (أفلا يشكرون) المنعم عليهم بها فيؤمنون أى ما فعلوا ذلك (واتخذوا من دون الله) أى غيره (آلهة) أصناما يعبدونها (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لا يستطيعون) أى آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نصرهم وهم) أى آلهتهم من الاصنام (لهم جند) بزعمهم نصرهم (محضرون) فى النار معهم (فلا يحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغير ذلك (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه

مقابل قوته وقوله وهرما مقابل وشبابه فهو لف ونشر مرتب وهذا فى غير الانبياء عليهم السلام وأما هم فلا يعتريهم الضعف فى العقل والبدن وان طال عمرهم جدا واستعاذته صلى الله عليه وسلم من الرد لارذل العمر تعليم لامته ويلحق بالانبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وما علمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله اليه اذ لو كان العقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم ان ما أتى به من القرآن شعر) أى وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن بشعر لان الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن العزيز الذى تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبغى له) أى لا يصح ولا يليق منه لان الشعر شأنه الا كاذيب وهى عليه مستحيلة ولذا قيل أعذبه أكذبه فتحصل ان النبى لا ينبغى له الشعر ولا يليق منه ان قلت انه تمثل بقول ٣ ابن رواحة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأنشأ من نفسه قوله أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

قلت أحسن ما أجيب به ان انشاده بيت ابن رواحة وانشاء البيتين المتقدمين لم يكن عن قصد وانما وافق وزن الشعر كما فى بعض الآيات القرآنية فليس كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الشعر شاعرا وانما وافق وزن الشعر (قوله لينذر) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) أى وخصوا بالذكر لانهم هم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة فى قوله من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين فى نظير هذه الآية وهما ان الهمزة اما مقدمة من تأخير لان لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله انا خلقنا لهم) اللام للحكمة أى حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك الى ان هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم ولغيرهم (قوله مما عملت أيدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى وهذا كقول الانسان كتبته بيدى مثلا يعنى انى انفردت به ولم يشاركنى فيه غيرى فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لان منافعها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) أى قاهرون مذللون والاحسن ان يفسر قوله مالكون بالملك الشرعى أى يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله وذللناها لهم تأسيسا النعمة أخرى لا تتميما لما قبله (قوله كأصوافها) أى وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله أو موضعه) أى وهو الضروع (قوله أى ما فعلوا ذلك) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى وان قوله واتخذوا الخ عطف على محذوف (قوله يعبدونها) تفسير للاتخاذ (قوله لعلهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى لمشاكلة عابدهم فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدأ وجند خبر أول ولهم متعلق بجند ومحضرون خبر ثان (قوله أى آلهتهم من الاصنام) هذا أحد وجهين والآخر انه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهى لا تستطيع ان تنصرهم (قوله محضرون فى النار) أى ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن من قولهم بل اتركه ولا تلتفت له (قوله انا نعلم الخ) تعليل للنهى قبله (قوله فنجازيهم عليه)

---

٣ (قوله ابن رواحة) صوابه طرفة العبدى كما فى الخطيب اه

(أولم ير الانسان) يعلم وهو العاصي بن وائل (أنا خلقناه من نطفة) مني الى ان صيرناه شديدا قويا (فاذا هو خصيم) شديد

الخصومة لنا (مبين) بينها في نفي البعث (وضرب لنا مثلا) في ذلك (ونسي خلقه) من المني وهو أغرب من مثله (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية ولم يقل بالتاء لانه اسم لا صفة وروى أنه أخذ عظما رميما ففتته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أترى يحيي الله هذا بعد ما بلي ورم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) مجملا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه (الذي جعل لكم) في جملة الناس (من الشجر الاخضر) المرخ والعفار أو كل شجر الا العناب (نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب (أوليس الذي خلق السموات والارض) مع عظمهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) أي الاناسي في الصغر (بلى) أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه (وهو الخلاق) الكثير الخلق (العليم) بكل شئ (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ) أي خلق شئ (أن يقول له كن فيكون) أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذي بيده ملكوت) ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على (كل شئ واليه ترجعون) تردون في الآخرة

﴿سورة والصافات مكية مائة واثنتان وثمانون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا)

أي على ما صدر منهم سرا وعلانية خيرا أو شرا (قوله أولم ير الانسان) في الهمزة التقرير ان السابقان وهما كونها مقدمة من تأخير أو عاطفة على محذوف والتقدير أعمي ولم ير (قوله وهو العاصي بن وائل) وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله أنا خلقناه من نطفة) أي قذرة خسيسة والمقصود التعجب من جهله حيث تصدى لمخاصمة العزيز الجبار ولم يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة (قوله فاذا هو خصيم مبين) عطف على جملة النفي (قوله في نفي البعث) متعلق بخصيم (قوله وضرب لنا مثلا) أي أورد كلاما عجيبا في الغرابة كالمثل حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق (قوله ونسي خلقه) أي ذهل عنه وهذا عطف على ضرب داخل في حيز الانكار واضافة خلق للضمير من اضافة المصدر لمفعوله أي خلق الله اياه (قوله قال من يحيي العظام الخ) بيان لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) أشار بذلك الى سؤال حاصله ان فعيلا بمعنى فاعلا يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة ان يقال رميمة فاجاب المفسر بان محل ذلك اذا لم تغلب عليه الاسمية فاذا صار اسما بالغلبة لما بلي من العظام فلا تلحقه التاء في مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا انه مقطوع بكفره وخلوده في النار وزيادة ذلك في الجواب لانه متعنت لامتهم وجزاء المتعنت المنكر ان يجاب بما يكره وبضدها ما ترقب ويسمى عند علماء البلاغة الاسلوب الحكيم (قوله الذي أنشأها) أي أوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) أي بكيفية خلقها وباجزاء الاشخاص تفصيلا (قوله الذي جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله في جملة الناس) أشار بذلك الى انه ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة شجر سريع القدح وقوله والعفار بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فالف فراء وكيفية ايقاد النار منهما ان يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ وقيل يؤخذ منهما غصنان خضراوان ويسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى (قوله أو كل شجر) أي وقد شوهد في بعضه كالبرسيم اذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فانه يحرق نفسه وما حوله (قوله الا العناب) أي ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين (قوله والخشب) بفتحتين أو ضمتين أو ضم فسكون (قوله أوليس الذي) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض بقادر (قوله أي الاناسي) تفسير للضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفي وهو صادر منه تعالى اشارة الى تعينه قالوه أولا (قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله ان يقول له كن) في الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها ان يقال شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع ولا توقف وحينئذ فمعنى ان يقول له كن ان تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله فسبحان الذي الخ) أي تنزيهه عما لا يليق به (قوله واليه ترجعون) قرأ العامة بينائه للمفعول وقرئ شذوذا ببنائه للفاعل ﴿تتمة﴾ تقدم في فضل يس انها قلب القرآن ووجه ذلك انها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمان بذلك متعلق بالقلب فلذلك سميت قلبا ومن هنا أمر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت لكون القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به قوة ويقينا

﴿سورة والصافات مكية﴾

أي بالاجماع وسميت باسم أول كلمة منها من باب تسمية الشئ باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله والصافات الخ) الواو حرف قسم وجر والصافات مقسم به مجرور وما بعده عطف عليه وقوله ان الهكم لواحد جواب القسم وهو المقسم عليه والمعنى وحق الصافات وحق الزاجرات وحق التاليات وانما خص ماذكر لاعظم قدرها عنده ولا يعكر عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله لان

النهي

النهى للمخلوق حذرا من تعظيم غير الله وأما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم وغير ذلك (قوله الملائكة تصف نفوسهم الخ) أشار بذلك الى أن المفعول محذوف ان قلت ان التاء فى الصافات وما بعدها للتأنيث والملائكة منزهون عن الاتصاف بالانوثة كالذكورة أجيب بانها للتأنيث اللفظى والمنزهون عنه التأنيث المعنوى وقوله الملائكة هو أحد أقوال فى تفسير الصافات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون أو الطير تصف أجنحتها (قوله فى العبادة) أى فى مقاماتها المعلومة (قوله أو أجنحتها فى الهواء) أى ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ما تؤمر به) أى من صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجى لان مبدأ الصلاة الاصطفاف ثم يعقبه زجر النفس ثم يعقبه التلاوة وهكذا ويحتمل انها للترتيب فى المزايا ثم هو اما باعتبار الترقى فالصافات ذوات فضل فالزاجرات أفضل فالتاليات أكثر فضلا أو باعتبار التدلى فالصافات أعلى ثم الزاجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله الملائكة تزجر السحاب) وقيل المراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح ان يكون مفعولا للتاليات والمراد بالذكر القرآن وغيره من تسبيح وتحميد والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم (قوله ان الهكم لواحد) ان قلت ما حكمة ذكر القسم هنا لانه ان كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لانهم مصدقون ولو من غير قسم وان كان المقصود الكفار فلا حاجة له أيضا لانهم غير مصدقين على كل حال أجيب بان المقصود منه تأكيد الادلة التى تقدم تفصيلها فى سورة يس ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويزداد الكافر طردا وبعدا (قوله رب السموات والارض) اما بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمحذوف (قوله أى والمغارب) أشار بذلك الى أن فى الآية اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر وانما اقتصر على المشارق لان نفعه أعم من الغروب ان قلت انه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مقابله وجمعهما فى سأل وثناهما فى الرحمن وأفردهما فى المزمل فما وجه الجمع بين هذه الآيات أجيب بان الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لان الشمس لها فى السنة ثلثمائة وستون مشرقا وثلثمائة وستون مغربا فتشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم فى مقابله من تلك المغارب والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والافراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أوائلها (قوله السماء الدنيا) أى القربى من الارض (قوله بزينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب فى سماء الدنيا أو ثوابت فى العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لان السموات شفافة لا تحجب ما وراءها (قوله بضوئها) أى نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله أو بها أى ان ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق وجدها فى غاية الزينة (قوله المبينة بالكواكب) أى فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها وبقى قراءة ثالثة سبعية وهى تنوين زينة ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحذوف تقديره أعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) أى معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) أى وكانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها ويلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرارى (قوله مستأنف) أى لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعتريهم من العذاب (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أدغمت التاء فى السين) أى بعد قلبها سينا واسكانها (قوله من آفاق السماء) أى نواحيها وجهاتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أى ومن فى محل رفع بدل من الواو أو فى محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ويجوز أن تكون من شرطية وجوابها فاتبعه أو موصولة مبتدأ وخبرها فاتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر

الملائكة تصف نفوسها فى العبادة أو أجنحتها فى الهواء تنتظر ما تؤمر به (فالزاجرات زجرا) الملائكة تزجر السحاب أى تسوقه (فالتاليات) أى قراء القرآن يتلونه (ذكرا) مصدر من معنى التاليات (ان الهكم) يا أهل مكة (لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) أى والمغارب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) أى بضوئها أو بها والاضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب (وحفظا) منصوب بفعل مقدر أى حفظناها بالشهب (من كل) متعلق بالمقدر (شيطان مارد) عات خارج عن الطاعة (لا يسمعون) أى الشياطين مستأنف وسماعهم مستأنف وسماعهم هو فى المعنى المحفوظ عنه (الى الملأ الاعلى) الملائكة فى السماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء وفى قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون أدغمت التاء فى السين (ويقذفون) أى الشياطين بالشهب (من كل جانب) من آفاق السماء (دحورا) مصدر دحره أى طرده وأبعده وهو مفعول له (ولهم) فى الآخرة (عذاب واصب) دائم (الا من خطف الخطفة) مصدر أى المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أى لا يسمع الا الشيطان الذى سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة

الامن تولى وكفر (قوله فاتبعه شهاب ثاقب) ان قلت تقدم ان الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين انها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك أجيب بانه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها ان قلت ان الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون أجيب بأن الأقوى يحرق الأضعف كالحديد يقطع بعضه ان قلت اذا كان الشيطان يعلم انه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة أخرى أجيب بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فانه يشاهد الغرق المرة بعد المرة ويعود طمعا في السلامة (قوله يثقبه) أي بحيث يعوقه من ثقبه وقوله أو يحرقه أي ويعود أيضا وأو في كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافي وصف الشهاب بالثاقب لان معنى الثاقب المضيء أي الذي يثقب الظلام خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أو يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله ويطلق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكري البعث حيث ادعوا أنه مستحيل وحاصل الرد أن يقال لهم ان استحالته التي تدعونها اما لعدم المادة وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء ترابا وهو قادر على ان ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خلق أباهم آدم من طين أو لعدم القدرة وهو مردود بأن القادر على هذه الاشياء العظام من السموات والارض وغيرهما قادر على اعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه الآية نظير قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الخ (قوله أهم أشد خلقا) أي أقوى خلقة أو أصعب أو أشق ايجادا (قوله أم من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي أشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلصق باليد أي انه لضعفه لا قوام له بنفسه (قوله المعنى ان خلقهم الخ) التفت المفسر الى انه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذي منه انكار البعث (قوله بل عجبت) اضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال لا تستفتهم فانهم جاهلون معاندون لا منفعة في استفتائهم بل انظر الى حالك وحالهم والمقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح التاء) أي وبضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى ومعناه في حقه الغضب والمؤاخذة على حد ومكروا ومكر الله والمعنى يجازيهم على تكذيبهم اياك وقد يطلق التعجب في حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما في الحديث عجب ربك من شاب ليس له صبوة (قوله وهم يسخرون من تعجبك) أي أو من تعجبي أي غضبي عليهم ومجازاتي لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) أي لقيام الغفلة بهم (قوله أئذا متنا الخ) أصل الكلام أنبعث اذا متنا وكنا ترابا وعظاما قدموا الظرف وكرروا الهمزة وأخروا العامل وعدلوا به الى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار اشعارا بانهم مبالغون في الانكار (قوله وادخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراآت أربع في كل موضع وبقي قراءتان سبعيتان أيضا الاولى بألفين والثانية بواحدة والعكس وبسط تلك القراآت يعلم من كتبها (قوله وبفتحها) أي والقراءتان سبعيتان هنا وفي الواقعة وتقدم في الاعراف أو أمن أهل القرى (قوله للاستفهام) أي الانكاري (قوله أو الضمير في لمبعوثون) أي على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا ان قلت ان ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلها فكان الاولى ان يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون أجيب بانها مؤكدة للأولى لا مقصودة بالاستقلال فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد (قوله والفاصل) أي بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر وبين المعطوف وهو آباؤنا فتحصل انه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل ان واسمها لا غير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه ويجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر في لمبعوثون ويكفي الفصل بهمزة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى نعم كأنه قيل تبعثون والحال انكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم (قوله فانما هي زجرة الخ) هذه الجملة جواب

(فاتبعه شهاب) كوكب مضيء (ثاقب) يثقبه أو يحرقه أو يخبله (فاستفتهم) استخبر كفار مكة تقريرا أو توبيخا (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) من الملائكة والسموات والارضين وما فيهما وفي الاتيان بمن تغليب العقلاء (انا خلقناهم) أي أصلهم آدم (من طين لازب) لازم يلصق باليد المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بانكار النبي والقرآن المؤدي الى هلاكهم اليسير (بل) للانتقال من غرض الى آخر وهو الاخبار بحاله وحالهم (عجبت) بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم أي من تكذيبهم اياك (و) هم (يسخرون) من تعجبك (واذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لا يذكرون) لا يتعظون (واذا رأوا آية) كانشقاق القمر (يستسخرون) يستهزؤن بها (وقالوا) فيها (ان) ما (هذا الا سحر مبين) بين وقالوا منكرين للبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (أو آباؤنا الاولون) بسكون الواو عطفا باو وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل ان واسمها أو الضمير في لمبعوثون والفاصل همزة الاستفهام (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هي) ضمير مبهم يفسره (زجرة)

أى صيحة (واحدة فاذا هم) أى الخلائق أحياء (ينظرون) ما يفعل بهم (وقالوا) أى الكفار (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هذا يوم الدين) أى الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (الذى كنتم به تكذبون) ويقال للملائكة (أحشروا الذين ظلموا) أنفسهم بالشرك (وأزواجهم) قرناءهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى غيره من الاوثان (فاهدوهم) دلوهم وسوقوهم (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم عند الصراط (انهم مسؤلون) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويقال لهم توبيخا (ما لكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم فى الدنيا ويقال عنهم (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون اذلاء (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتلاومون ويتخاصمون (قالوا) أى الاتباع منهم للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن الجهة التى كنا نأمنكم منها لحلفكم انكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضللتمونا (قالوا) أى المتبوعون لهم (بل لم تكونوا مؤمنين) وانما يصدق الاضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الايمان الينا (وما كان لنا عليكم من سلطان) قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) ضالين مثلنا (فحق) وجب (علينا) جميعا (قول ربنا) بالعذاب أى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا) جميعا (لذائقون) العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم (فأغويناكم) المعلل بقولهم (انا كنا غاوين) قال تعالى (فانهم يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) أى لاشتراكهم فى الغواية (انا كذلك) كما نفعل بهؤلاء (نفعل بالمجرمين) غير هؤلاء أى نعذبهم التابع منهم والمتبوع (انهم) أى هؤلاء بقرينة ما بعده (كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا) فى همزتيه ما تقدم

شرط مقدر أو تعليل لنهى مقدر تقديره اذا كان الامر كذلك فانما هى الخ أو لا تستصعبوه فانما هى الخ (قوله أى صيحة واحدة) أى وهى النفخة الثانية (قوله فاذا هم ينظرون) أى ينتظرون (قوله لا فعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك الى أن الوقف تم عند قوله ياويلنا وما بعده كلام مستقل وهذا أحد احتمالات ويحتمل انه من كلام بعضهم لبعض ويحتمل انه من كلام الله تعالى تبكيتا لهم ويحتمل انه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) أى من مقامهم الى الموقف أو من الموقف الى النار (قوله قرناءهم من الشياطين) هذا أحد أقوال وقيل المراد بأزواجهم نساؤهم اللاتى على دينهم وقيل أشباههم وأخلاؤهم من الانس لان زوج الشئ يطلق على مقاربه ومجانسه فيقال لمجموع فردتى الخف زوج ولاحداهما زوج (قوله من الاوثان) أى كالاصنام والشمس والقمر (قوله انهم مسؤلون) بكسر الهمزة فى قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التعليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة والمعنى قفوهم لاجل سؤال الله اياهم (قوله عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أى لما فى الحديث لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به (قوله ويقال لهم) أى والقائل خزنة جهنم (قوله كحالكم فى الدنيا) تشبيه فى المنفى (قوله ويقال عنهم) أى فى شأنهم على سبيل التوبيخ (قوله وأقبل بعضهم) أى بعض الكفار يوم القيامة وهذا بمعنى ما تقدم فى سورة سبأ فى قوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول (قوله يتلاومون ويتخاصمون) أى يلوم بعضهم بعضا ويخاصم بعضهم بعضا كما قال تعالى فى شأنهم كلما دخلت أمة لعنت أختها بخلاف تساؤل المؤمنين فى الجنة فهو شكر وتحدث نعم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير والآية محتملة لتلك المعانى والمفسر اختار الاول وعليه فعن بمعنى من والمعنى كنتم تأتوننا من الجهة التى كنا نأمنكم منها فتلك الجهة مصورة بحلفكم انكم على الحق الخ (قوله المعنى انكم أضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لا على ما قاله المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا باجوبة خمسة آخرها فأغويناكم انا كنا غاوين والمعنى انكم لم تتصفوا بالايمان فى حال من الاحوال (قوله أن لو كنتم مؤمنين) أى ان لو اتصفتم بالايمان (قوله فرجعتم عن الايمان الينا) أى باضلالنا واغوائنا كانهم قالوا لهم ان من آمن لا يطيعنا البتة لثبات الايمان فى قلبه فلو حصل منكم الايمان لما أطعتمونا (قوله قول ربنا) أى وعيده ومقول القول محذوف قدره بقوله لأملأن جهنم الخ (قوله انا لذائقون) اخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع باذاقة العذاب (قوله فأغويناكم) أى تسببنا لكم فى الغواية من غير اكراه ولا ينافى ما قبله (قوله انا كنا غاوين) أى فأحببنا لكم ما قام بأنفسنا لان من كان متصفا بصفة شنيعة يحب أن يتصف بها غيره لتهون المصيبة عليه (قوله يوم القيامة) أى حين التحاور والتخاصم (قوله كما نفعل بهؤلاء) أى عبدة الاصنام وقوله غير هؤلاء أى كالنصارى واليهود (قوله انهم كانوا الخ) أى عبدة الاصنام وسبب ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أبى طالب عند موته وقريش مجتمعون عنده فقال قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فأبوا وأنفوا من ذلك وقالوا أئنا لتاركوا آلهتنا الخ (قوله يستكبرون) أى يتكبرون عن قولها وعلى من يدعوهم اليها (قوله فى همزتيه ما تقدم) أى من التحقيق فيهما وتسهيل الثانية بألف ودونها فالقراآت أربع

(لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أي لاجل قول محمد قال تعالى (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله (إنكم) فيه التفات (لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا) جزاء (ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين) أي المؤمنين استثناء منقطع أي ذكر جزاؤهم في قوله (أولئك) الخ (لهم) في الجنة (رزق معلوم) بكرة وعشيا (فواكه) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذا لا لحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد (وهم مكرمون) بثواب الله سبحانه وتعالى (في جنات النعيم على سرر متقابلين) لا يرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم) على كل منهم (بكأس) هو الإناء بشرابه (من معين) من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء (بيضاء) أشد بياضا من اللبن (لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (لا فيها غول) ما يغتال عقولهم (ولا هم عنها ينزفون) بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهن (عين) ضخام الأعين حسانها (كأنهن) في اللون (بيض) للنعام (مكنون) مستور بريشه لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء (فأقبل بعضهم) بعض أهل الجنة (على بعض يتساءلون) عما مر بهم في الدنيا (قال قائل منهم إني كان لي قرين) صاحب ينكر البعث (يقول) لي تبكيتا (أئنك لمن المصدقين) بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا) في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (لمدينون) مجزيون ومحاسبون أنكر ذلك أيضا (قال) ذلك القائل لإخوانه (هل أنتم مطلعون) معي إلى النار لننظر حاله فيقولون لا (فاطلع) ذلك القائل من بعض كوى الجنة (فرآه) أي رأى قرينه (في سواء الجحيم) أي وسط النار (قال) له تشميتا (تالله إن) مخففة من الثقيلة (كدت) قاربت (لتردين) لتهلكني بإغوائك (ولولا نعمة ربي) علي بالإيمان (لكنت من المحضرين) معك في النار وتقول أهل الجنة جواب

(قوله لتاركوا آلهتنا) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله أي لتاركون آلهتنا والمعنى لتاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) أي من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التقبيح عليهم (قوله إلا ما كنتم تعملون) أي فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير فجزاؤه بأضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) أي من الواو في تجزون (قوله أولئك) أي عباد الله المخلصين (قوله إلى آخره) أي وهو قوله كأنهن بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) أي أوقاته وصفاته فلا ينافي آية يرزقون فيها بغير حساب فإن المراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) أي كل من كل لأن جميع ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لا لحفظ صحة) المناسب أن يقول لا لحفظ بنية (قوله بخلق أجسادهم للأبد) أي فهم يدومون بدوام الله لا يفنون أبدا (قوله وهم مكرمون) أي معظمون مجلون بالتحية والكلام اللين (قوله في جنات النعيم) إما متعلق بمكرمون أو خبر ثان أو حال (قوله على سرر) قال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة (قوله متقابلين) أي تواصلا وتحابا وقيل الأسرة تدور كيف شاؤوا فلا يرى أحد قفا أحد (قوله يطاف عليهم) أي والطائف الولدان كما في آية يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس (قوله هو الإناء بشرابه) أي فإن لم يكن فيه شراب فإنه يسمى قدحا ويطلق الكأس على الخمر نفسه من باب تسمية الشيء باسم محله (قوله من معين) أي ظاهر للعيون أو خارج من العيون فعلى الأول اسم مفعول كمبيع وعلى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى نبع وصف به خمر الجنة لأنه يجري كالماء النابع (قوله بيضاء) إما صفة الكأس أو للخمر (قوله لذة) إما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصدر فالوصف بها مبالغة أو على حذف مضاف أي ذات لذة (قوله ما يغتال عقولهم) أي يفسدها وقيل الغول صداع في الرأس وعليه فيكون ما بعده تأسيسا (قوله ولا هم عنها ينزفون) عن سببية أي ولا هم ينزفون بسببها (قوله بفتح الزاي) أي مع ضم الياء فهو مبني للمفعول وقوله وكسرها أي مع ضم الياء أيضا فهو مبني للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نزف الشارب الخ) أي فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهي الواسعة العين اتساعا غير مفرط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهن بيض مكنون) شبهن هنا ببيض النعام وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه وكون بياضه مشوبا ببعض صفرة مع لمعان لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة (قوله عما مر بهم في الدنيا) أي من الفضائل والمعارف وما عملوه في الدنيا (قوله قال قائل منهم) أي من أهل الجنة لإخوانه في الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيتا) أي توبيخا على عدم إنكار البعث (قوله ما تقدم) أي من القراءات الأربع وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه (قوله مجزيون) أي فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أي الجزاء والحساب وقوله أيضا أي كما أنكر البعث (قوله لإخوانه) أي من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طيقاتها (قوله تشميتا) أي فرحا بمصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أي واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهي

جواب القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله الا موتتنا الاولى) الا أداة حصر وموتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله بميتين و يكون استثناء مفرغا وهو بمعنى قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (قوله هو استفهام تلذذ) أي فهو من كلام بعضهم لبعض وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت و يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت و يا أهل النار خلود بلا موت (قوله من تأبيد الحياة الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذي ذكر لاهل الجنة) أي من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى (قوله فليعمل العاملون) أي ليجتهد المجتهدون في الاعمال الصالحة فان جزاءها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو أفنى الانسان عمره في خدمة ربه ولم يشتغل بشئ سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) أي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه أي يقول بعضهم لبعض و يبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون فان العمل والترغيب فيه انما يكون في الدنيا فالاولى انه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكلفين في عمل الطاعات (قوله أذلك) معمول لمحذوف تقديره قل يا محمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت أذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) أي لاهل الجنة من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخير وقوله أم شجرة الزقوم أم حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الاشارة وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلا والتعبير بخير ونزلا تهكم بهم وللمشاكلة (قوله من ضيف وغيره) الضيف من يأتي بدعوة وغيره من يأتي زائرا للمحبة والالفة وربما كان أعز من الضيف (قوله أم شجرة الزقوم) من التزقم وهو البلع بشدة واكراه للاشياء الكريهة سميت بذلك لان أهل النار يكرهون على الاكل منها وهي شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات وهي خبيثة مرة كريهة الطعم (قوله وهي من أخبث الشجر) أي وهي صغيرة الورق منتنة (قوله انا جعلناها بذلك) أي بسبب اخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة للظالمين) أي امتحانا واختبارا أهل يصدقون أم لا (قوله اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته) أي ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شئ (قوله تخرج في أصل الجحيم) أي تنبت في أسفلها (قوله الى دركاتها) أي منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لاهل الجنة فان أصلها في عليين وما من بيت في الجنة الا وفيه غصن منها (قوله طلعها) الطلع في الاصل اسم لثمر النخل أول بروزه فتسميته طلعا تهكم بهم (قوله أي الحيات القبيحة المنظر) أي ووجه الشبه الشناعة والسم في كل وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة وقيل شبه طلعها برؤس الشياطين حقيقة ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل لكن يرد عليه انه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين وأجيب بأن الشيطان وان كان غير معلوم في الخارج فهو معروف في الاذهان والخيالات كالغول فانه مرسوم في خيال كل أحد بصورة قبيحة وقيل الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدة جوعهم) أي ولقهرهم على الاكل منها زيادة في عذابهم (قوله ثم ان لهم عليها) أي على ما يأكلونه منها اذا شبعوا وغلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين في قراءة العامة مصدر على أصله وقرئ شذوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد انهم يخرجون منها) هذا أحد قولين والآخر وهو قول الجمهور انهم لا يخرجون أصلا لقوله تعالى وما هم بخارجين منها وحينئذ فالمعنى انه يتنوع عذابهم وهم في النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الحميم وتارة بالزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب فاذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه يردون الى الاشتغال بعذاب غيره والحال انهم في النار لا يخرجون منها ويمكن التوفيق بين القولين بأن يحمل القول بأنه خارجها على انه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه وليس المراد أنه خارج النار بالكلية لمعارضته صريح النص فيخرجون الى ذلك المحل للاكل والشرب ثم يردون الى محل العذاب الذي كانوا فيه أولا (قوله انهم ألفوا آباءهم) هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب والمعنى

(أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) أي التي في الدنيا (وما نحن بمعذبين) هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب (ان هذا) الذي ذكر لاهل الجنة (لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) قيل يقال لهم ذلك وقيل هم يقولونه (أذلك) المذكور لهم (خير نزلا) وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره (أم شجرة الزقوم) المعدة لاهل النار وهي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي (انا جعلناها) بذلك (فتنة للظالمين) أي الكافرين من أهل مكة اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) المشبه بطلع النخل (كأنه رؤس الشياطين) أي الحيات القبيحة المنظر (فانهم) أي الكفار (لآكلون منها) مع قبحها لشدة جوعهم (فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم) أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها (انهم ألفوا) وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم

يهرعون) يزعجون الى أتباعهم فيسرعون اليه (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) من الامم الماضية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) من الرسل مخوفين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين أى عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) أى المؤمنين فانهم نجوا من العذاب لاخلاصهم فى العبادة أو لان الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام (ولقد نادانا نوح) بقوله رب انى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) له نحن أى دعانا على قومه فاهلكناهم بالغرق (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا) أبقينا (عليه) ثناء حسنا (فى الآخرين) من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام) منا (على نوح فى العالمين انا كذلك) كما جزيناهم (نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) كفار قومه (وان من شيعته) أى ممن تابعه فى أصل الدين (لابراهيم) وان طال الزمان بينهما وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح (اذ جاء) أى تابعه وقت مجيئه (ربه بقلب سليم) من الشك وغيره (اذ قال) فى هذه الحالة المستمرة له (لابيه وقومه) موبخا (ماذا) ما الذى (تعبدون أئفكا)

ان سبب استحقاقهم العذاب تقليد آبائهم فى الضلال من غير شئ يتمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) أى من غير تأمل ولا تدبر (قوله ولقد ضل قبلهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف وكل من الجملتين سيق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر (قوله الا عباد الله) استثناء منقطع لان ما قبله وعيد وهم لم يدخلوا فيه (قوله لاخلاصهم فى العبادة) أى على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) أى والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع فى تفصيل ما أجمله فى قوله ولقد أرسلنا فيهم منذرين وقد ذكر فى هذه السورة سبع قصص قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة الذبيح وقصة موسى وهرون وقصة الياس وقصة لوط وقصة يونس وذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كفر من أمته (قوله رب انى مغلوب) أى مقهور وقوله فانتصر أى انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) الواو للتعظيم وقوله نحن هو المخصوص بالمدح (قوله وأهله) أى من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد وقيل كان لغير ولد نوح أيضا نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لانه علم على قبيلة (قوله والخزر) بفتح الخاء والزاى بعدهما راء مهملة هكذا فى النسخ الصحيحة وهو الصواب وفى بعض النسخ والخزرج وهو تحريف فاحش لان الخزرج من جملة العرب والخزر صنف من الترك صغار الاعين يعرفون الآن بالططر (قوله وما هنالك) أى وهم قوم عند يأجوج ومأجوج اذا طلعت عليهم الشمس دخلوا فى أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى (قوله ثناء حسنا) قدره اشارة الى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح كلام مستقل انشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالاول ثناء الخلق والثانى ثناء الخالق وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يمسى سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب (قوله فى العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان (قوله انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة فى اجابة دعائه وابقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم الله عليه فى العالمين أى بهذا الجزاء نجزى كل من اتصف بالاحسان كنوح (قوله انه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسنا وفيه اجلال لشأن الايمان واظهار لفضله وترغيب فى تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجيناه وأهله بالترتيب حقيقى لان نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وان من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أى ممن تبعه الخ) أى فالشيعة الأتباع والحزب (قوله فى أصل الدين) أى وان اختلفت فروع شرائعهما فالاتباع فى أصول الدين وهو التوحيد لا فى الفروع كالصلاة مثلا (قوله وان طال الزمان الخ) الجملة حالية والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال ان الزمان طال بينهما وطول المدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألفان الخ) هذا أحد قولين والآخر ان بينهما ألف سنة ومائة واثنين وأربعين سنة (قوله وكان بينهما هود وصالح) أى وكان قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث وآدم فجملة من قبل ابراهيم من الانبياء ستة (قوله اذ جاء ربه الخ) معنى مجيئه لربه بقلبه مخلصا له بعزل الكلام استعارة تبعية تقريرها ان تقول شبه اقباله على ربه مخلصا له قلبه بمجيئه بتحفة مجيئه والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا واشتق من المجئ جاء بمعنى اقبل بقلبه (قوله أى تابعه وقت مجيئه) اشار بذلك الى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته ويصح جعله متعلقا بشيعته لما فيها من معنى المشايعة لكن فيه انه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله بأجنبى وهو قوله لابراهيم وأيضا يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بانه يتوسع فى الظروف ما لا يتوسع فى غيرها (قوله من الشك وغيره) أى من الآفات والعلائق التى تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لابيه وقومه) تقدم الخلاف فى كونه اباه حقيقة أو عمه وانما عبر بالاب لان العم

في همزتيه ما تقدم (آلهة دون الله تريدون) وأفكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون والافك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله (فما ظنكم برب العالمين) اذ عبدتم غيره انه يترككم بلا عقاب لا وكانوا نجامين خرجوا الى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا أكلوه وقالوا للسيد ابراهيم أخرج معنا (فنظر نظرة في النجوم) ايهاما لهم انه يعتمد عليها ليعتمدوه (فقال اني سقيم) عليل أي سأسقم (فتولوا عنه) الى عيدهم (مدبرين فراغ) مال في خفية (الى آلهتهم) وهي الاصنام وعندها الطعام (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) فلم ينطقوا فقال (ما لكم لا تنطقون) فلم يجب (فراغ عليهم ضربا باليمين) بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه (فاقبلوا اليه يزفون) أي يسرعون المشي فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها (قال) لهم موبخا (أتعبدون ما تنحتون) من الحجارة وغيرها أصناما (والله خلقكم وما تعملون) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قالوا) بينهم (ابنوا له بنيانا) فاملؤه حطبا وأضرموه بالنار فاذا التهب (فألقوه في الجحيم) النار الشديدة (فارادوا به كيدا) بالقائه في النار لتهلكه (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين فخرج من النار سالما (وقال اني ذاهب الى ربي) مهاجرا اليه من دار الكفر (سيهدين) الى حيث أمرني ربي بالمسير اليه وهو الشام فلما وصل الى الارض المقدسة قال (رب هب لي) ولدا (من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) أي ذي حلم كثير

أب والمراد بقومه النمروذ وجماعته (قوله في همزتيه ما تقدم) أي وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بالف بينهما وتركها (قوله وافكا مفعول له) أي وقدم على المفعول به لاجل التقبيح عليهم بانهم على افك وباطل (قوله أي أتعبدون غير الله) كان عليه أن يزيد قوله لاجل الافك ليوفي بالمفعول لاجله (قوله اذ عبدتم غيره) أي وقت عبادتكم غيره (قوله انه يترككم بلا عقاب) معمول للظن والمعنى أي سبب حملكم على ظنكم انه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره وأشار بقوله لا الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي أي ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن المذكور واذا انتفى السبب انتفى المسبب بالاولى (قوله وكانوا نجامين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم (قوله خرجوا الى عيد لهم) أي وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز (قوله زعموا التبرك عليه) أي انها تنزل عليه البركة (قوله فنظر نظرة في النجوم) أي في علم النجوم متفكرا في أمر يعذرونه بسببه فيتركونه (قوله أي سأسقم) جواب عما يقال كيف قال اني سقيم والحال انه لم يكن سقيما واجيب أيضا بان المعنى سقيم القلب من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع وقد أشار بقوله اني سقيم الى سقم مخصوص وهو الطاعون وكان الطاعون أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن ابراهيم خوفا منها فهربوا الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام (قوله وهي الاصنام) أي وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من حجر وبعضها من خشب وبعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من نحاس وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نورا (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) ان قلت أي فائدة في خطاب ما لا يعقل أجيب بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم (قوله فراغ عليهم) أي مال في خفية من قولهم راغ الثعلب روغانا تردد وأخذ الشئ خفية (قوله بالقوة) أي القدرة (قوله فأقبلوا اليه) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) بكسر الزاي مع فتح الياء أو ضمها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا نحن نعبدها الخ) أي بعد أن سألوه وأجابهم فلما تحققوا انه هو الذي كسرها قالوا نحن نعبدها الخ وقد تقدم بسط ذلك في الأنبياء (قوله موبخا) أي على ما وقع منهم حيث يأتون للخشب مثلا فيصنعون منه صورة ويتخذونها الها مع انها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضر ولا تنفع (قوله وما مصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه وبقي رابع كونها استفهامية والمعنى وأي شئ تعملونه وكونها نافية والمعنى ليس العمل في الحقيقة لكم وانما هو لله تعالى (قوله بنيانا) قيل بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا في كيفية رميه فعلمهم ابليس المنجنيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله واضرموه بالنار) أي أوقدوه بها (قوله النار الشديدة) أي فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيما من الجحمة وهي شدة التأجج (قوله المقهورين) أي بابطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال اني ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ والمعنى انه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه احد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته الى أرض الشام وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة الله وقوله الى ربي أي الى عبادة ربي وطاعته (قوله سيهدين) أي الى ما فيه صلاح ديني وبلوغ مطالبي (قوله الى حيث أمرني ربي) أي الى مكان أمرني الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب ويهدين (قوله فلما وصل الى الارض المقدسة) قدره توطئة لقوله رب هب لي الخ (قوله من الصالحين) أي بعض الصالحين يكون خليفة لي ويرث حالي (قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤا له في صورة أضياف فسروه

بالغلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين الى قرية لوط وهى سدوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك فى سورة هود ويأتى فى الذاريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر الى أن قوله معه ظرف متعلق بالسعى وفيه انه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من أن والفعل عليه وهو لا يجوز وأجيب بانه يغتفر فى الظروف ما لا يغتفر فى غيرها ويصح جعله متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كأن قائلا قال مع من بلغ السعى فقيل بلغ معه ولا يصح جعله متعلقا ببلغ ولا حالا من ضميره لانه يوهم اقترانهما فى بلوغ السعى لان المصاحبة تقتضى المشاركة مع ان المقصود وصف الصغير بذلك فقط. (قوله قال يا بنى) جواب لما والحكمة فى ذلك ان ابراهيم اتخذه الله تعالى خليلا والخلة هى صفاء المودة ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سأل ربه الولد فلما وهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فأمر بذبح المحبوب لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل أمر ربه وقدم محبته على محبة ولده (قوله أى رأيت) أشار بذلك الى أن الرؤيا وقعت بالفعل لما روى انه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح فكر فى نفسه انه من الله فلما أمسى رأى مثل ذلك فى الليلة الثانية ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فقال له يا بنى الخ ولذلك سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر لانه فى اليوم الاول تروى وفى الثانى عرف وفى الثالث نحر (قوله انى أذبحك) أى أفعل الذبح أو أومر به احتمالان ويشير للاول قوله قد صدقت الرؤيا وللثانى قوله افعل ما تؤمر (قوله ماذا ترى) يصح أن تكون ماذا مركبة وحينئذ فهى منصوبة بترى وما بعدها فى محل نصب بانظر لانها معلقة له ويصح أن تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ما مبتدأ وخبرا وقوله ترى بفتحتين من الرأى وفى قراءة سبعية ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان أى تريني اياه من صبرك واحتمالك وقرئ شذوذا بضم ففتح أى ما يخيل لك (قوله شاوره ليأنس الخ) أى وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله (قوله قال يا أبت) أى بفتح التاء وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فهى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افعل ما تؤمر) قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ هذا الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال يا أبت افعل ما تؤمر (قوله ان شاء الله) أتى بها تبركا واشارة الى انه لا حول عن المعصية الا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة الا بمعونة الله (قوله فلما أسلما) أى الوالد والولد (قوله وتله للجبين) أى صرعه ورماه على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع قال ابن عباس لما فعل ذلك قال الابن يا أبت اشدد رباطى كى لا أضطرب واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شئ فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون على واذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت أن ترد قميصى عليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيأ فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثا كل ذلك لا تستطيع أن تقطع شيأ فنعت بقدرة الله تعالى وقيل ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ فى القدرة الالهية وهو منع الحديد عن اللحم فعند ذلك قال الابن يا أبت كبنى لوجهى على جبينى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر الى الشفرة فأجزع منها ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فنودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الخ (قوله بمنى) يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة (قوله وأمر السكين) هذا أحد قولين مشهورين وهو ما تقدم عن ابن عباس والآخر انه لم يمر السكين بل لما أضجعه وأراد أن يمر السكين جاءه النداء وبالاول استدل أهل السنة على أن الامور العادية لا تؤثر شيأ الا بنفسها ولا بقوة أودعها الله فيها وانما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد ابراهيم وتخلف الاحراق فى ابراهيم (قوله فجملة ناديناه جواب

(فلما بلغ معه السعى) أى أن يسعى معه ويعينه قيل بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة (قال يا بنى انى أرى) أى رأيت (فى المنام انى أذبحك) ورؤيا الانبياء حق وافعالهم بامر الله تعالى (فانظر ماذا ترى) من الرأى شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للامر به (قال يا أبت) التاء عوض عن ياء الاضافة (افعل ما تؤمر) به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على ذلك (فلما أسلما) خضعا وانقادا لامر الله تعالى (وتله للجبين) صرعه عليه ولكل انسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيأ بمانع من القدرة الالهية (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أى يكفيك ذلك فجملة ناديناه جواب

ـما بزيادة الواو (انا كذلك) كما جزيناك (نجزي المحسنين) لانفسهم بامتثال الامر بافراج الشدة عنهم (ان هذا) الذبح المأمور به (لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر (وفديناه) أى المأمور بذبحه وهو اسمعيل أو اسحق قولان (بذبح) بكبش (عظيم) من الجنة وهو الذى قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد ابراهيم مكبرا (وتركنا) أبقينا (عليه فى الآخرين) ثناء حسنا (سلام) منا (على ابراهيم كذلك) كما جزيناه (نجزي المحسنين) لانفسهم (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق) استدل بذلك على أن الذبيح غيره (نبيا) حال مقدرة أى يوجد مقدرا نبوته (من الصالحين وباركنا عليه) بتكثير ذريته (وعلى اسحق) ولده بجعلنا أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) بين الكفر (ولقد مننا على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) أى استعباد فرعون اياهم (ونصرناهم) على القبط (فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والاحكام وغيرهما وهو التوراة (وهديناهما الصراط) الطريق (المستقيم وتركنا) أبقينا (عليهما فى الآخرين) ثناء حسنا (سلام) منا (على موسى وهرون انا كذلك) كما جزيناهما (نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس) بالهمز أوله وتركه (لمن المرسلين) قيل هو ابن أخى هرون أخى موسى وقيل غيره

(قوله الخ) هذا أحد أوجه ثلاثة والثانى انه محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما الاجر والثالث ان قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بافراج الشدة) المناسب أن يقول بتفريج الشدة أو بفرجها لان الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فصدره اما التفريج أو الفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) أى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل أكبر أو اسحق فمن قال بالاول قال ان الذبيح اسمعيل ومن قال بالثانى قال ان الذبيح اسحق واعلم ان كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بأن الذبيح اسحق أقوى فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير أرى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح الكبش فذبحه وسار الى الشام مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الاودية والجبال وبقى قول ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى (قوله كبش عظيم) وقيل انه كان تيسا جبليا أهبط عليه من ثبير (قوله وهو الذى قربه هابيل) أى ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين (قوله فذبحه السيد ابراهيم) أى وبقى قرناه معلقين على الكعبة الى أن احترق البيت فى زمن ابن الزبير وما بقى من الكبش أكلته السباع والطيور لان النار لا تؤثر فيما هو من الجنة (قوله مكبرا) روى انه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فصار سنة (قوله استدل بذلك الخ) أى وهو مذهب الشافعى وقال مالك وأبو حنيفة لا دليل فيها لان اسحق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته فمعنى قوله وبشرناه باسحاق نبيا بشرناه بنبوة اسحق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) اما صفة لنبيا أو حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه اشارة الى ان النسب لا مدخل له فى الهدى ولا فى الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ما قبله عطف قصة على قصة واللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم وقوله بالنبوة أى المصاحبة للرسالة لانهما كانا رسولين ولا مفهوم للنبوة بل أعطاهما الله تعالى نعما جمة دينية ودنيوية وانما خصها لانها أشرف النعم (قوله بنى اسرائيل) أى أولاد يعقوب (قوله أى استعباد فرعون اياهم) وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائد على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الغالبين) يصح أن يكون هم ضمير فصل أو بدلا من الواو فى كانوا والاول أظهر (قوله وغيرهما) أى كالقصص والمواعظ (قوله وهديناهما الصراط المستقيم) أى وصلناهما للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله منا وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والمسوغ للابتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها فى الجار والمجرور بعدها (قوله كما جزيناهما) أى بما تقدم من الانجاء والنصر وايتاء الكتاب وابقاء الثناء (قوله نجزي المحسنين) فى مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين اشعار بان كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله انهما من عبادنا المؤمنين) أى الكاملين فى الايمان البالغين الغاية فيه (قوله وان الياس) معطوف على ما قبله عطف قصة على قصة (قوله بالهمزة أوله وتركه) أى بناء على انها همزة قطع أو وصل قراءتان سبعيتان وسبب جواز الامرين انه اسم أعجمى استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبران (قوله قيل هو ابن أخى هرون الخ) الصحيح أنه من ذرية هرون لقول محمد بن اسحق هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون ابن عمران والياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك انه قيل هو ادريس وقيل هو اليسع

أرسل الى قوم بعلبك ونواحيها (اذ) منصوب باذكر مقدرا (قال لقومه ألا تتقون) الله (أتدعون بعلا) اسم صنم لهم من ذهب وبه سمى البلد أيضا مضافا الى بك أى أتعبدونه (وتذرون) تتركون

(قوله أرسل الى قوم بعلبك) حاصل قصته كما قال محمد بن اسحق وعلماء السير والأخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت الأحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أبناءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده ثم ان الملك ارتد واشتد غضبه على الياس وقال يا الياس ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسئم الكمون فى الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى أمر به اذ أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل وأوحى الله اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع وقد أعطى الله الياس معجزات جمة منها تسخير الجبال له والاسود وغيرهما وأعطاه الله قوة سبعين نبيا وكان على صفة موسى فى الغضب والقوة روى ان الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس ويحضران موسم الحج كل عام ويفترقان عن أربع كلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وقيل فى الرواية غير ذلك والياس موكل بالفيافى والقفار والخضر موكل بالبحار ولا يموتان الا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن وعن أنس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا عند فج الناقة فسمعت صوتا يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآنى قال أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم قال فارجع اليه فاقرأه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء يمشى وأنا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبى وتأخرت أنا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شئ يشبه السفرة ودعوانى فأكلت معهما واذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر الى بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء انتهى (قوله ألا تتقون الله) أى تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه (قوله وبه سمى البلد) أى ثانيا وأما أولا فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضاف الى بك) أى مضموما اليه والا فالتركيب مزجى لا اضافى (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل فى حيز الانكار

(قوله

(أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) برفع الثلاثة على اضمار هو وبنصبها على البدل من أحسن (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) أى المؤمنين منهم فانهم نجوا منها (وتركنا عليه فى الآخرين) ثناء حسناء (سلام) منا (على الياسين) هو الياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم للمهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أى أهله المراد به الناس أيضا (انا كذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين) اذكر (اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين) كفار قومه (وانكم لتمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم فى أسفاركم (مصبحين) أى وقت الصباح يعنى بالنهار (وبالليل أفلا تعقلون) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) هرب (الى الفلك المشحون) السفينة المملوأة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى وعدهم به فركب السفينة فوقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة (فساهم) قارع أهل السفينة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة فألقوه فى البحر (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه (فلولا أنه كان من المسبحين) الذاكرين بقوله كثيرا فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة (فنبذناه) ألقيناه من بطن الحوت (بالعراء) بوجه الارض أى بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما (وهو سقيم) عليل كالفرخ

(قوله أحسن الخالقين) أى المصورين لانه سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح وغيره يصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله فانهم نجوا منها) أشار بذلك الى أن الاستثناء من الواو فى لمحضرون كأنه قال فكذبوه فانهم لمحضرون الا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا فانهم غير محضرين (قوله قيل هو الياس المتقدم) أى وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة وهى لغة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أى وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله المراد به الياس أيضا) أى فاطلق الاول وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به فتحصل ان فى الآية ثلاث عبارات الياس فى أولها والياسين وآل ياسين فى آخرها وكلها سبعية (قوله وان لوطا لمن المرسلين) عطف على ما قبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله اذكر اذ نجيناه الخ) قدر المفسر اذكر اشارة الى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لانه يوهم انه قبل النجاة لم يكن رسولا مع انه رسول قبل النجاة وبعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله الا عجوزا) هى امرأته (قوله أى وقت الصباح) بيان لمعناه فى الاصل وقوله يعنى بالنهار بيان للمراد منه وقوله وبالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أتشاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وان يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن العجوز التى نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونس صبى يرضع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس أذن له فى السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المرأة فخرجت فى أثر الياس تطوف وراءه فى الجبال حتى وجدته فسألته أن يدعو الله لها لعله يحيى لها ولدها فجاء الياس الى الصبى بعد أربعة عشر يوما مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس ابن متى بدعوة الياس عليه السلام وأرسل الله يونس الى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام (قوله اذ أبق) ظرف لمحذوف تقديره اذكر كما تقدم نظيره وقوله أبق بابه فتح والاباق فى الاصل الهروب من السيد واطلاقه على هروب يونس استعارة تصريحية شبه خروجه بغير اذن ربه باباق العبد من سيده (قوله حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها لانهم غاضبوه بعدم الانقياد له والايمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) أى باجتهاد منه لظنه انه ان بقى بينهم قتلوه لانهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لا صغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه فى بطن الحوت على مخالفته الاولى فان الاولى له انتظار الاذن من الله تعالى هذا هو الصواب فى تحقيق المقام وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر فى العقيدة والعياذ بالله تعالى (قوله فوقفت) أى من غير سبب وقوله فى لجة البحر المراد به بحر الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) أى وكان من عادتهم ان السفينة اذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) أى غالبهم قيل مرة واحدة وقيل ثلاثا (قوله فألقوه فى البحر) قدره اشارة الى ان قوله فالتقمه الحوت مرتب على محذوف (قوله أى آت بما يلام عليه) أى والمعنى وهو مليم نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين (قوله قبرا له) أى بأن يموت ويبقى فى بطنه ميتا وقيل بأن يبقى على حياته (قوله فنبذناه) أى أمرنا الحوت بنبذه فنبذه (قوله بالعراء) أى الارض المتسعة التى لا نبات بها (قوله من يومه) أى فالتقمه ضحى ونبذه عشية وما ذكره المفسر خمسة أقوال الاول للشعبى والثانى لمقاتل والثالث

المعط (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي (وأرسلناه) بعد ذلك كقبله الى قوم بنينوى من أرض الموصل (الى مائة ألف أو) بل (يزيدون) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا (فآمنوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فمتعناهم) أبقيناهم ممتعين بما لهم (الى حين) تنقضي آجالهم فيه (فاستفتهم) استخبر كفار مكة توبيخا لهم (ألربك البنات) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (ولهم البنون) فيختصون بالاسنى (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) خلقنا فيقولون ذلك (ألا انهم من افكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) بقولهم الملائكة بنات الله (وانهم لكاذبون) فيه (أصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أي اختار (البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بادغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة أن لله ولدا (فأتوا بكتابكم) التوراة فأروني ذلك فيه (ان كنتم صادقين) في قولكم ذلك (وجعلوا) أي المشركون (بينه) تعالى (وبين الجنة) أي الملائكة لاجتنانهم عن الابصار (نسبا) بقولهم انها بنات الله (ولقد علمت الجنة انهم) أي قائلي ذلك (لمحضرون) للنار يعذبون فيها (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفون) بأن لله ولدا (الا عباد الله المخلصين) أي المؤمنين استثناء منقطع أي فانهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فانكم وما تعبدون) من الاصنام (ما أنتم عليه) كأنه

لعطاء والرابع للضحاك والخامس للسدي (قوله المعط) بضم الميم الاولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة أيضا أي المنتوف شعره (قوله وهو القرع) خص بذلك لانه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعلوه الذباب وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير اليقطين وقيل كانت شجرة التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وأفطر على ثماره (قوله وعلة) اما بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هي الغزالة (قوله كقبله) جواب عما يوهم انه قبل نحو جه لم يكن مرسلا (قوله بنينوى) بكسر النون الاولى وياء ساكنة ونون مضمومة والف مقصورة بعد الواو (قوله أو يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين أي ان الرائي يشك عند رؤيتهم أو للابهام بمعنى ان الله أبهم أمرهم أو الاباحة أو التخيير بمعنى ان الناظر يباح له أو يخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة العذاب) أي عند حضور أماراته ولذا نفعهم ايمانهم وأما مثل فرعون فلم يؤمن الا بعد حصول العذاب بالفعل وأيضا قوم يونس أخلصوا في ايمانهم وفرعون لم يخلص وانما ايمانه عند الغرغرة لدفع الشدة ولو ردوا لعادوا (قوله بما لهم) بفتح اللام أي بالذي ثبت لهم من النعم وتقدم بسط قصة يونس في سورة يونس فراجعها ان شئت (قوله فاستفتهم) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ما تقدم للامم من شركهم ومخالفتهم لانبيائهم فاستفتهم أي اطلب من أهل مكة الخبر لاجل توبيخهم واقامة الحجة عليهم (قوله توبيخا لهم) أي فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم (قوله ألربك البنات ولهم البنون) أي أهذه القسمة الجائرة وجه فانهم كفروا من وجهين الاول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو الثاني كونه خصوص الانثى فانهم لا يرضون بنسبتها لانفسهم بل اما أن يمسكوها على الهوان أو يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنين (قوله فيختصون بالاسنى) أي الاشرف وهو الذكور وفي نسخة بالابناء (قوله أم خلقنا الملائكة اناثا) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة فهو اضراب عما زعموا ورد عليهم وهذا بمعنى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية أي والحال انهم معاينون لخلقهم (قوله ألا انهم من افكهم) استئناف لبيان ابطال ما هم عليه كأنه قيل ليس لهم مستند الا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وانهم لكاذبون فيه) أي في قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله مالكم كيف تحكمون) أي أي شئ ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء في الذال) أي أو بتاء واحدة من غير ادغام قراءتان سبعيتان (قوله أم لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم الى الزامهم الحجة بما لا وجود له ولا يقدرون على اثباته (قوله التوراة) الصواب اسقاطه لان الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للغيبة اشارة الى انهم بعدوا من رحمة الله وليسوا أهلا للخطابه (قوله لاجتنانهم عن الابصار) أي استتارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة الخ) هذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم وما يؤول اليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأبيد (قوله سبحان الله الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وما تعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم (قوله استثناء منقطع) أي من الواو في يصفون وهو في قوة الاستدراك رفع به ما توهم ثبوته أو نفيه

كأنه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لانهم لا يصفونه تعالى الا بالكمالات (قوله أى على معبودكم) أشار بذلك الى أن الضمير فى عليه عائد على ما وعلى هذا فالواو للمعية وما مفعول معه سادة مسد خبران (قوله بفاتنين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أحدا والمعنى انكم مع معبودكم لستم بمفسدين أحدا الا من سبقت له الشقاوة فى علم الله (قوله الا من هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاض (قوله فى علم الله تعالى) أى من علم الله انه من أهل الجحيم فانه يميل الى الكفر وأهله (قوله وما منا الا له مقام معلوم) هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والمعنى ليس منا أحد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتثال ما يأمرنا الله تعالى به قال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى و يسبح قيل ان هذه الثلاث آيات نزلت و رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أهنا تفارقنى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم عن مكانى هذا وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الآيات وفى الحديث ما فى السموات موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم (قوله أحد) قدره اشارة الى أن فى الآية حذف الموصوف وابقاء صفته وهو مبتدأ والخبر جملة قوله الا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا الا له مقام معلوم (قوله أقدامنا فى الصلاة) أشار بذلك الى أن المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة والمعنى ان قريشا كانت تقول قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لو أن لنا كتابا مثل كتاب الاولين لاخلصنا العبادة لله تعالى وهذا نظير قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ما قبله (قوله فسوف يعلمون) أى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلا سوف ترى ما توعدبه وأنت شارع فيه فسوف للوعيد لا للتبعيد (قوله ولقد سبقت كلمتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم وانما صدرت هذه الجملة بالقسم لتأكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) انما سمى الوعد بالنصر كلمة مع انه كلمات لكون معنى الكل واحدا (قوله وهى لأغلبن أنا ورسلى) أى فيكون قوله انهم لهم المنصورون جملة مستأنفة وقوله أو هى قوله انهم الخ أى وعليه فيكون بدلا من كلمتنا أو تفسيرا لها (قوله وان جندنا) الجند فى الاصل الانصار والاعوان والمراد منه أنصار دين الله وهم المؤمنون كما قال المفسر (قوله وان لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا ما يقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين فى بعض الازمان فأجاب بأن النصر اما فى الآخرة للجميع أو فى الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال وأجيب أيضا بأن الانبياء المأذون لهم فى القتال لا بد لهم من النصر فى الدنيا ولا تقع لهم هزيمة أبدا وانما ان وقع للكفار بعض غلبة كما فى أحد فهو لحكم عظيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وأما غيرهم فتارة ينصرون فى الدنيا وتارة لا وانما ينصرون فى الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) أى فكان أولا مأمورا بالتبليغ والصبر ثم لما كان فى السنة الثانية من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد وغزواته سبع وعشرون غزوة قاتل فى ثمان منها بنفسه بدر واحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف (قوله وأبصرهم اذا نزل بهم العذاب) أى من القتل والاسر والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك قريب كأنه واقع مشاهد (قوله عاقبة كفرهم) أى من نزول العذاب بساحتهم (قوله تهديدا لهم) أى فليس الاستفهام على حقيقته بل المقصود تهديدهم (قوله تكتفى بذكر الساحة) أى تستغنى على سبيل الكفاية فالمعنى فاذا نزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم فى ديارهم ففى ضمير العذاب استعارة بالكناية والنزول تخييل (قوله بئس صباحا) أشار بهذا الى أن الفاعل ضمير والتمييز محذوف والمذكور مخصوص والاوضح ما قاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمخصوص محذوف وعليه فالتقدير بئس صباح المنذرين

أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بفاتنين) أى أحدا (الا من هو صال الجحيم) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم (وما منا) معشر الملائكة أحد (الا له مقام معلوم) فى السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه (وانا لنحن الصافون) أقدامنا فى الصلاة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لا يليق به (وان) مخففة من الثقيلة (كانوا) أى كفار مكة (ليقولون لو أن عندنا ذكرا) كتابا (من الاولين) أى من كتب الامم الماضية (لكنا عباد الله المخلصين) العبادة له قال تعالى (فكفروا به) أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الاشرف من تلك الكتب (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا) بالنصر (لعبادنا المرسلين) وهى لأغلبن أنا ورسلى أو هى قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا) أى المؤمنين (لهم الغالبون) الكفار بالحجة والنصرة عليهم فى الدنيا وان لم ينصر بعض منهم فى الدنيا ففى الآخرة (فتول عنهم) أى أعرض عن كفار مكة (حتى حين) تؤمر فيه بقتالهم (وأبصرهم) اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب قال تعالى تهديدا لهم (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم قال الفراء العرب تكتفى بذكر الساحة عن القوم (فساء) بئس صباحا (صباح المنذرين)

فيه اقامة الظاهر مقام المضمر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) كرر تأكيدا لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (سبحان ربك رب العزة) الغلبة (عما يصفون) بأن له ولدا (وسلام على المرسلين) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع (والحمد لله رب العالمين) على نصرهم وهلاك الكافرين

صباحهم (قوله فيه اقامة الظاهر مقام المضمر) أي في التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم (قوله سبحان ربك الخ) الغرض من هذا تعليم المؤمنين ان يقولوه ولا يغفلوا عنه لما روى عن علي كرم الله وجهه قال من أحب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (قوله رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترتب على كل من القولين مسئلة اليمين فعلى الاول ينعقد بها اليمين لانها من صفات الله تعالى وعلى الثاني لا ينعقد لانها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم

﴿سورة ص﴾

﴿سورة ص مكية ست أو ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) الله أعلم بمراده به (والقرآن ذي الذكر) أي البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف أي ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بل الذين كفروا) من أهل مكة (في عزة) حمية وتكبر عن الايمان (وشقاق) خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم (كم) أي كثيرا (أهلكنا من قبلهم من قرن) أي أمة من الامم الماضية (فنادوا) حين نزول العذاب بهم (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أي استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (هذا ساحر كذاب)

أي ويقال لها سورة داود (قوله مكية) أي كلها (قوله أو ثمان) أو لحكاية الخلاف (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لان تفويض الامر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الادب واعلم ان في لفظ ص قراآت خمسة السبعة على السكون لا غير والباقي شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على انه خبر لمحذوف على انه اسم للسورة أي هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والفتح اما على انه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ أو نحوه أو مبني على الفتح كأين وكيف والاول أقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر الى اللفظ (قوله أي البيان) أي لما يحتاج اليه في أمر الدين وقوله أو الشرف أي ان من آمن به كان شريفا في الدنيا والآخرة قال تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم وأيضا القرآن شريف في ذاته من حيث اشتماله على المواعظ والاحكام وغيرهما فهو شريف في نفسه مشرف لغيره وقيل المراد بالذكر ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده وقيل المراد به الموعظة وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا أحد أقوال وهو أحسنها وقيل تقديره انك لمن المرسلين كما في يس وقيل هو قوله كم أهلكنا وفيه حذف اللام والاصل لكم أهلكنا وانما حذفت لطول الكلام نظير حذفها في قوله قد أفلح من زكاها بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) اضراب وانتقال من قصة الى قصة (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكر لانهم سبب النزول والا فالمراد كل كافر (قوله أي كثيرا) أشار بذلك الى ان كم خبرية بمعنى كثيرا مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز لها (قوله ولات حين) اختلفت المصاحف في رسم التاء فبعضهم رسمها مفصولة وبعضهم رسمها متصلة بحين وينبني على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء وبعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلفوا والجمهور والسبعة يقفون على التاء المجرورة اتباعا للمرسوم الخط الشريف والاقل منهم يقف بالهاء وهذا الوقف للاختبار لانه من جملة الاوقاف الجائزة (قوله مناص) المناص يطلق على المنجى والمفر والتقدم والتأخر وكل هنا يناسب المقام (قوله أي ليس الحين الخ) أشار بذلك الى مذهب الخليل وسيبويه في لات من حيث انها تعمل عمل ليس وأن اسمها محذوف وهو وخبرها لفظ الحين والى ذلك أشار ابن مالك بقوله

وما للات في سوى حين عمل * وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

(قوله والتاء زائدة) أي لتأكيد النفي (قوله من فاعل نادوا) أي وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) أي جعلوا مجيء رسول من جنسهم أمرا خارجا عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) أي من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أي زيادة في التقبيح عليهم واشعارا بأن كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) أي فيما يظهره من الخوارق كذاب

أجعل الآلهة إلهاً واحداً) حيث قال لهم قولوا لا إله إلا الله أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إن هذا لشيء عجاب) أي عجيب (وانطلق الملأ منهم) من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله (أن امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) اثبتوا على عبادتها (إن هذا) المذكور من التوحيد (لشيء يراد) منا (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) أي ملة عيسى (إن) ما (هذا إلا اختلاق) كذب (أأنزل) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (عليه) على محمد (الذكر) القرآن (من بيننا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا أي لم ينزل عليه قال تعالى (بل هم في شك من ذكري) وحيي أي القرآن حيث كذبوا الجائي به (بل لما) لم (يذوقوا عذاب) ولو ذاقوه لصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز) الغالب (الوهاب) من النبوة وغيرها فيعطونها من شاؤوا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) إن زعموا ذلك (فليرتقوا في الأسباب) الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار (جند ما) أي هم جند حقير (هنالك) أي في تكذيبهم لك (مهزوم) صفة جند (من الأحزاب) صفة جند أيضاً أي كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء (كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة)

أي فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال (قوله أجعل الآلهة الخ) الاستفهام تعجبي أي كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد وسبب هذا التعجب قياسهم القديم على الحادث ولم يعلموا أنه واحد لا من قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد تنزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب) أشار بذلك إلى أن عجاب مبالغة في عجيب (قوله عند أبي طالب) روي أنه لما أسلم عمر شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأحضره وقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء والإنصاف فلا تمل كل الميل على قومك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم فقالوا نعم وعشر أمثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وانطلقوا قائلين امشوا واصبروا على آلهتكم (قوله أي يقول بعضهم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية وضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) أي استمروا على عبادتها (قوله إن هذا) تعليل للأمر بالصبر (قوله يراد منا) أي يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه (قوله ما سمعنا بهذا الخ) أي وإنما سمعنا فيها التثليث (قوله بتحقيق الهمزتين) أي فالقراآت أربع سبعيات (قوله أي لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله بل هم في شك) إضراب عن مقدر تقديره إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) إضراب انتقالي لبيان سبب الشك والمعنى سببه أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به (قوله لم يذوقوا) أشار بذلك إلى أن لما بمعنى لم فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم (قوله حينئذ) أي حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له (قوله الغالب) أي الذي لا يغلبه شيء بل هو الغالب لكل شيء (قوله الوهاب) أي الذي يهب ما يشاء لمن يشاء (قوله أم لهم ملك السموات والأرض) المعنى ليس لهم تصرف في العالم الذي هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا في الأسباب) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر قدره بقوله إن زعموا ذلك أي المذكور من العندية والملكية والمعنى فليصعدوا في المعاريج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (قوله بمعنى همزة الإنكار) أي وبعضهم قدرها ببل والهمزة (قوله أي هم جند) أشار بذلك إلى أن جند خبر لمحذوف والتنوين للتقليل والتحقير وما لتأكيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند أو لمهزوم (قوله مهزوم) أي مقهور ومغلوب والمعنى أن قريشاً جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تكترث بهم وتسل عنهم (قوله صفة جند أيضاً) أي فقد وصف جند بصفات ثلاث الأولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الأحزاب (قوله وأولئك) أي الأحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب (قوله باعتبار المعنى) أي وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أي يدق ويغرز والأوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح (قوله يشد إليها يديه الخ) أي ويضجعه مستلقياً على ظهره (قوله ويعذبه) قيل يتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل معنى ذو الأوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفي الأوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وهو لا يثبت إلا بالأوتاد (قوله

أى الغيضة) أى الاشجار الملتفة المجتمعة وتقدم انهم أهلكوا بالظلة (قوله أولئك الاحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله ان كل الخ استئناف جىء به تقريرا للتكذيبهم وبيانا للكيفية وتمهيدا لما يعقبه وان نافية لاعمل لها لانتقاض النفى بالا (قوله لانهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال ان كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اخوانهم الاحزاب (قوله هى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله ما لها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة فى المبتدا (قوله بفتح الفاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وقال ابن عباس ما لها من رجوع من أفاق المريض اذا رجع الى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فأما من أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصيبنا وحظنا وأصله من قط الشىء أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) سمى قطا لانه مقطوط أى مقطوع لان صحيفة الاعمال قطعة ورق مقطوعة من غيره (قوله قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله اصبر على ما يقولون) فيه تهديد للكفار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص اظهار فضل المتقدمين وتسليته صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والاضافة فى عبدنا للتشريف المضاف (قوله ذا الايد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد اذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما ويفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود ولان النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطلقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ولا شك أنه جهاد عظيم (قوله ويقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبى والبيضاوى وأبى السعود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام ان أحب الصيام الى الله صيام داود وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولعله كان أحيانا هكذا وأحيانا هكذا (قوله انه أواب) تعليل لكونه ذا قوة فى الدين (قوله الى مرضاة الله) المرضاة بمعنى الرضا (قوله انا سخرنا الجبال) تعليل آخر لقوته فى الدين (قوله يسبحن) أى بلسان المقال ويسرن معه فى السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره أن المراد بها العشاء الاخيرة والذى يفهم من كلام غيره انها المغرب حيث قال فكان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله ويتناهى ضوؤها) أى وهو ربع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب فى قراءة العامة معطوفة على الجبال وقرئ شذوذا بالرفع مبتدا وخبر (قوله كل له أواب) أشار المفسر الى أن الضمير فى له عائد على داود وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطير مطيع لداود فى تسبيحه ان رفع رفعوا وان خفض خفضوا وهو أحد قولين والآخر انه عائد على الله تعالى والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتحتين اسم جمع كخدم أو بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس (قوله ثلاثون ألف رجل) فى رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفا (قوله النبوة والاصابة فى الامور) هذا أحد أقوال فى تفسير الحكمة وقيل هى العلم بكتاب الله تعالى وقيل العلم والفقه وقيل السنة (قوله البيان الشافى) أى الاظهار المنبه للمخاطب من غير التباس وهو أحد أقوال فى تفسير فصل الخطاب وقيل الفصل فى القضاء وقيل هو البينة على المدعى واليمين على من أنكر وقيل هو أما بعد وقيل غير ذلك (قوله التعجب) أى حمل المخاطب على التعجب أو ايقاعه فى العجب (قوله الى استماع ما بعده) أى لكونه أمرا غريبا كقولك لجليسك هل تعلم ما وقع اليوم تريد أن يستمع الكلام لك ثم تذكر له ما وقع (قوله اذ تسوروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم الخصم ولا

أى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أولئك الاحزاب ان) ما (كل) من الاحزاب (الا كذب الرسل) لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فحق) وجب (عقاب وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) أى كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهى نفخة القيامة تحل بهم العذاب (ما لها من فواق) بفتح الفاء وضمها رجوع (وقالوا) لما نزل فأما من أوتى كتابه بيمينه الخ (ربنا عجل لنا قطنا) أى كتاب أعمالنا (قبل يوم الحساب) قالوا ذلك استهزاء قال تعالى (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد) أى القوة فى العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه (انه أواب) رجاع الى مرضاة الله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) بتسبيحه (بالعشى) وقت صلاة العشاء (والاشراق) وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها (و) سخرنا (الطير محشورة) مجموعة اليه تسبح معه (كل) من الجبال والطير (له أواب) رجاع الى طاعته بالتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون ألف رجل (وآتيناه الحكمة) النبوة والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) البيان الشافى فى كل قصد (وهل) معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده (أتاك) يا محمد (نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) محراب داود

أى مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أى خبرهم وقصتهم

(اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف) نحن (خصمان) قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاآ فى صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل العرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها (بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) تجر (واهدنا) ارشدنا (الى سواء الصراط) وسط الطريق الصواب (ان هذا أخى) أى على دينى (له تسع وتسعون نعجة) يعبر بها عن المرأة (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أى اجعلنى كافلها (وعزنى) غلبنى (فى الخطاب) أى الجدال وأقره الآخر على ذلك (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك) ليضمها (الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين فى صورتيهما الى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى (وظن) أى أيقن (داود أنما فتناه) أوقعناه فى فتنة أى بلية بمحبته تلك المرأة (فاستغفر ربه وخر راكعا) أى ساجدا (وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى) أى زيادة خير فى الدنيا (وحسن مآب) مرجع فى الآخرة

يصح أن يكون ظرفا لأتاك لأن اتيان النبأ كائن فى عهد رسول الله لا فى عهد داود ولا للنبأ لأن النبأ واقع فى عهد داود ولا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أى مسجده) أى الذى كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أى لكونهم أتوه فى اليوم الذى كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله ففزع منهم) أى لانهم نزلوا من أعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لا تخف) جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبنى على أن الداخل عليه كان أزيد من اثنين فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكين (قوله وقيل اثنان) أى شخصان وهو مبنى على أن الداخل المتداعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) أى لانه فى الاصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة أى التعريض وهو جواب عما يقال ان الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البغى أو الكذب فأجاب بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا بغى فيه ولا كذب (قوله لتنبيه داود) أى ايقاظه على ما صدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره أوريا بن حنان لسر عظيم وهو كما قيل انها أم سليمان عليه السلام (قوله وتزوجها ودخل بها) مشى المفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته ثم بعد وفاء عدتها تزوجها داود ودخل بها وهو أحد أقوال ثلاثة والثانى أن داود لما تعلق بها قلبه أمر أوريا بالذهاب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل فلما قتل فى الجهاد تزوجها داود والثالث أن أوريا لم يكن متزوجا بها وانما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها وكان ذلك كله جائزا فى شرعه وانما عاتبه الله لرفعة قدره وللسيد أن يعاتب عبده على ما يقع منه وان كان جائزا من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من اشطط اذا تجاوز الحد وقرئ شذوذا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشط من أشط رباعيا الا انه أدغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله ان هذا أخى الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما ان هذا أخى الخ (قوله أى على دينى) أى فليس المراد أخوة النسب لان الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) أى يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة (قوله أى اجعلنى كافلها) هذا هو معناه الاصلى والمراد هنا ملكنيها وانزل لى عنها (قوله وعزنى فى الخطاب) أى فهو أفصح منى فى الكلام فالغلبة له على لضعفى (قوله وأقره الآخر) أى المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيأ من المدعى عليه فأجيب بأنه سمع منه الاقرار والاعتراف (قوله بسؤال نعجتك) من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى بأن سألك نعجتك (قوله ليضمها) أشار بذلك الى أنه ضمن السؤال معنى الاضافة والضم (قوله من الخلطاء الشركاء) أى الذين خلطوا أموالهم وفيه اشارة الى أن داود سايرظاهر دعواهم (قوله الا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) أى علم انهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أنما فتناه) ما زائدة والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) أى طلب منه المغفرة وتقدم انه ليس بذنب وانما هو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله أى ساجدا) عبر بالركوع عنه لان كلا منهما فيه انحناء (قوله وأناب) أى رجع الى مولاه قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام الاربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا كشف عنه

الخطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهواى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور قيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب فى غير ما طلب ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد ورد انه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان سنه اذ ذاك سبعين سنة فقسم الدهر على أربعة أيام يوم للقضاء ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والسواحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فاذا كان يوم سياحته خرج الى الفيافى ويرفع صوته بالبكاء فتبكى معه الاشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء الى الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكى معه دواب البحر وطين الماء فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله وقد ورد أيضا انه لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لى فكيف لى أن لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر للخاطئين قبل نفسه وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وكان اذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت أوصاله واذا ذكر رحمة الله تراجعت اه ملخصا (قوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) يحتمل أنه كلام مستأنف بيان للزلفى فى قوله وان له عندنا لزلفى ويحتمل أنه مقول لقول محذوف معطوف على قوله فغفرنا له كأنه قيل فغفرنا له وقلنا يا داود الخ وفى هذه الآية دليل على أن خلافته التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر أمر الناس) أى لكونك ملكا وسلطانا عليهم فقد جمع لداود بين النبوة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر فيحكم السلطان بما يأمره به النبى (قوله بالحق) أى العدل لان الاحكام اذا كانت موافقة لما أمر الله به صلحت الخلق واستقام نظامهم بخلاف ما اذا كانت موافقة لهوى النفس فان ذلك يؤدى الى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدى للهلاك وهو معنى قولهم العدل ان دام عمر والظلم ان دام دمر (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه اعلام أمته بانه معصوم ولتتبعه فيما أمر به لانه اذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى وهو أولى من جعله مجزوما عطفا على النهى وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله أى عن الدلائل الدالة على توحيده) انما فسر السبيل بذلك وان كان شاملا

(يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) تدبر أمر الناس (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس (فيضلك عن سبيل الله) أى عن الدلائل الدالة على توحيده (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أى عن الايمان بالله (لهم عذاب شديد بما نسوا)

لفروع

بنسيانهم (يوم الحساب) المرتب عليه تركهم الايمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا)
أي عبثا (ذلك) أي خلق ما ذكر لا لشيء (ظن الذين كفروا) من أهل مكة (فويل) واد (للذين كفروا من النار أم نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الانكار (كتاب) خبر مبتدا محذوف أي هذا (أنزلناه اليك مبارك ليدبروا) أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال (آياته) ينظروا في معانيها فيؤمنوا (وليتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) أصحاب العقول (ووهبنا لداود سليمان) ابنه (نعم العبد) أي سليمان (انه أواب) رجاع في التسبيح والذكر في جميع الاوقات (اذ عرض عليه بالعشي) هو ما بعد الزوال (الصافنات) الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث واقامة الاخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الجياد) جمع جواد وهو السابق المعنى أنها اذا استوقفت سكنت وان ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لارادته الجهاد عليها العدو وعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم (فقال اني أحببت) أي أردت (حب الخير) أي الخيل (عن ذكر ربي) أي صلاة العصر (حتى توارت) أي الشمس (بالحجاب)
أي استترت بما يحجبها عن الابصار (ردوها علي) أي الخيل المعروضة فردوها
(فطفق مسحا) بالسيف (بالسوق) جمع ساق (والاعناق) أي ذبحها وقطع أرجلها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة
وتصدق بلحمها فعوضه الله تعالى خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء

الفروع الدين الموصلة الى الله تعالى ليوافق قوله لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب اما ظرف لقوله لهم عذاب شديد أو مفعول لنسوا (قوله المرتب عليه الخ) أي فالسبب الحقيقي في حصول العذاب لهم هو ترك الايمان ونسيان يوم الحساب سبب في ترك الايمان فاكتفى بذكر السبب (قوله وما خلقنا السماء والارض الخ) استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب (قوله باطلا) نعت لمصدر محذوف أي خلقا باطلا أو حال من ضمير الخالق (قوله ذلك ظن الذين كفروا) أي مظنونهم (قوله فويل) هو في الاصل معناه الهلاك أي هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظاهر تقبيحا عليهم واشارة الى أن ظنهم انما نشأ من أجل كفرهم (قوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو اضراب انتقالي من أمر البعث والحساب الى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب وهو نظير قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله أم نجعل المتقين الخ) تنويع آخر في الاضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الانكار) أي مع بل التي للاضراب (قوله خبر مبتدا محذوف) أي وأنزلناه صفة كتاب ومبارك خبره مبتدا محذوف أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب لانه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا في معانيها) أي يتأملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرؤنه مرتلا مجودا مراعى بعض معانيه على حسب الطاقة والخاصة يقرؤنه ملاحظين أنهم في حضرة الله تعالى يقرؤن كلامه عليه وخاصة الخاصة يقرؤنه فانين عن أنفسهم مشاهدين أن ألسنتهم ترجمان عن الله تعالى رضي الله عنهم وعنا بهم (قوله أولوا الالباب) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أي من المرأة التي أخذها من أوريا وكان سنه اذ ذاك سبعين سنة (قوله أي سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله اذ عرض عليه) ظرف لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض الخ والمعنى اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال) أي الى الغروب (قوله وهي القائمة) أي الواقفة على ثلاث قوائم (قوله على طرف الحافر) أي من رجل أو يد (قوله وهو من صفن) أي مأخوذ منه والصافن من الآدميين الذي يصف قدميه ويقرن بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطلق على كل من الذكر والانثى مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق والمعنى طويلة العنق لفراهتها (قوله المعنى) أي معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت ألف فرس) روى أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة ووضع يده عليها لبيت المال وقيل خرجت له من البحر ولها أجنحة (قوله لارادة الجهاد) أي ليختبرها (قوله فقال اني أحببت الخ) أي على وجه الاعتذار عما صدر منه وندما عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن (قوله أي الخيل) انما سماها خيرا لتعلق الخير بها لما في الحديث الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة (قوله بالحجاب) أي وهو جبل دون جبل ق بمسيرة سنة تغرب من ورائه (قوله ردوها علي) الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التي شملته وهي التسعمائة وأما المائة الأخرى فلم يذبحها وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة (قوله أي ذبحها وقطع أرجلها) أي وكان مباحا له ولذا لم يعاتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل الضمير في قوله ردوها عائد على الشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر في وقتها وقال الفخر الرازي معنى قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق انه مسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها

(ولقد فتنا سليمان) ابتليناه بسلب ملكه وذلك

وأمراضها لكونه كان أعلم بأحوال الخيل وإشارة إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يباشر الأمور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولا عقر ولم تفوت عليه صلاة ومعنى إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي أي لأجل طاعة ربي لا لهوى نفسي ومعنى توارت بالحجاب أي الخيل غابت عن بصره حين أمر بإجرائها ليختبرها للغزو فقال ردوها علي فردوها فصار يمسح في أعناقها وسوقها كما تقدم وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة اهـ بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) أجمل المفسر في القصة وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا ولا جمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحب مثله أحدا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فألبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليه في ولائدها أي جواريها فتسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع في ملكه أي أبيها وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فأتاه وقال يا نبي الله إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فأتي بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ولا ينسجها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا إلى الله تعالى وتضرعا إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد ابن عمير في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال هات خاتمي يا أمينة فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل ويقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوي الأخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود

ما رأيتم فقالوا نعم فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بأرغفة وبقر بطن الأخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده وخر لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف ان الذي دخل عليه من أجل ما حدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهو باق فيها الى النفخة وسيأتي رد تلك القصة وانها من موضوعات الأخباريين (قوله انزوجه بامرأة) أي واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هويها يعني أحبها من باب صدي وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) أي وهو صورة أبيها ومدة ذلك أربعون يوما (قوله وكان ملكه في خاتمه) أي كان ملكه مرتبا على لبسه اياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها واذا نزعه زال عنه ذلك وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الاشياء التي نزل بها آدم من الجنة وقد نظمها بعضهم بقوله

وآدم معه أنزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة * وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود المراد به عود البخور وقوله واليمين بمكة المراد به الحجر الاسود وورد في الحديث أن نقش خاتم سليمان لا اله الا الله محمد رسول الله (قوله ووضعه عند امرأته) في عبارة غيره أم ولده المسماة بالامينة (قوله هو ذلك الجني) أي وسمي جسدا لانه ليس فيه روح سليمان وان كان فيه روحه هو لان الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه (قوله وهو صخر) أي ابن عمير المارد (قوله في غير هيئته) أي المعتادة التي كانوا يعرفونه بها (قوله رجع سليمان الى ملكه) هذا التفسير مبني على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله وألقينا على كرسيه جسدا وقال غيره انه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى انابته رجوعه الى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أي أربعين قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة وفي رواية على مائة امرأة كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وفتنته من نسيان المشيئة فامتحن بهذا فتاب ورجع وقيل ان المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان وأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ ألقي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه في ذلك فتنبه واستغفر ربه اذا علمت ذلك فالمناسب أن يعرج على ما في الصحيحين ويترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لي) انما قال ذلك تواضعا واظهارا للخضوع للمولى عز وجل والا فهو لم يحصل منه ذنب وانما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله وهب لي ملكا الخ) قدم طلب المغفرة اهتماما بأمر الدين (قوله لا ينبغي لأحد من بعدي) أي ليكون معجزة لي فليس طلبه للمفاخرة بامور الدنيا وانما كان هو من بيت النبوة والملك وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطلب ما يكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره (قوله انك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة (قوله فسخرنا له الريح) أي أعدنا له تسخير الريح بعدما كان قد ذهب بزوال ملكه وهذا على ما مشى عليه المفسر وعلى

انزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند ارادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالامينة على عادته فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها (وألقينا على كرسيه جسدا) هو ذلك الجني وهو صخر أو غيره جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فانكروه (ثم أناب) رجع سليمان الى ملكه بعد أيام بأن وصل الى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي) لا يكون (لأحد من بعدي) أي سواي نحو فمن يهديه من بعد الله أي سوى الله (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح

تجري بأمره رخاء) لينة (حيث أصاب) أراد (والشياطين كل بناء يبني الابنية العجيبة (وغوّاص) في البحر يستخرج اللؤلؤ (وآخرين) منهم (مقرنين) مشدودين (في الأصفاد) القيود بجمع أيديهم الى أعناقهم وقلنا له (هذا عطاؤنا فامنن) أعط منه من شئت (أو أمسك) عن الاعطاء (بغير حساب) أي لا حساب عليك في ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) تقدم مثله (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني) أي بأني (مسني الشيطان بنصب) ضر (وعذاب) ألم ونسب ذلك الى الشيطان وان كانت الاشياء كلها من الله تأدبا معه تعالى وقيل له (اركض) اضرب (برجلك) الارض فضرب فنبعت عين ماء فقيل (هذا مغتسل) ماء تغتسل به (بارد وشراب) تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) أي أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم (رحمة) نعمة (منا وذكرى) عظة (لأولي الالباب) لاصحاب العقول (وخذ بيدك ضغثا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فاضرب به) زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لابطائها عليه يوما (ولا تحنث) بترك ضربها فأخذ مائة عود من الاذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (انا وجدناه صابرا نعم العبد) أيوب (انه أواب) رجاع الى الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب

ما مشى عليه المحققون فيقال أدمنا تسخيرها (قوله تجري بأمره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أي غير عاصفة وهذا في اثناء سيرها وأما في أوله فهي عاصفة فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله بأمره) أي اياها فالمصدر مضاف لفاعله (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء وذلك أن سليمان قسم الشياطين الى عملة استخدمهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مقرنين في السلاسل كالمردة والعتاة (قوله القيود) من المعلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتئم مع قوله بجمع أيديهم الخ فلو فسر الاصفاد بالأغلال لكان أولى لانها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقلنا له هذا) أي هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه متعلق بعطاؤنا أي أعطيناك بغير حساب وبغير حصر الثاني انه حال من عطاؤنا أي في حال كون عطائنا غير محاسب عليه والثالث انه متعلق بامنن أو أمسك والمعنى اعط من شئت وامنع من شئت لا حساب عليك في عطاء ولا منع قال الحسن ما أنعم الله نعمة على أحد الا عليه فيها تبعة الا سليمان فانه ان اعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة (قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) أي زيادة خير في الدنيا والآخرة (قوله واذكر عبدنا أيوب) عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة على قصة وليس معطوفا على قصة سليمان لانه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدر في قصته بقوله واذكر عبدنا سليمان مثلا بل كانا كأنهما قصة واحدة وتقدم انه في الانبياء ان أيوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقيل انه ابن عيصو بن اسحق وقيل هو ابن موص بن رعويل بن عيص بن اسحق وتقدمت قصته مفصلة في سورة الانبياء (قوله اذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله اني مسني الشيطان) أي حين ابتلي بفقد ماله وولده وتمزق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين وقيل سبعا وقيل عشرا وقيل ثماني عشرة (قوله بنصب) بضم فسكون التعب والمشقة وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تأدبا معه تعالى) أي لان الشيطان هو السبب في ذلك لانه نفخ في أنفه فمرض جسده ظاهرا وباطنا الا قلبه ولسانه (قوله وقيل له) أي حين رجاوقت شفائه (قوله فنبعت عين ماء) ظاهره انها عين واحدة وهو أحد قولين وقيل كانتا عينين بأرض الشام في أرض الجابية فاغتسل من احداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى فأذهب الله باطن دائه وكانت احدى العينين حارة والاخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (قوله ووهبنا له أهله) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاغتسل الخ (قوله من مات من أولاده) أي وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث اناث وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) أي من زوجته وزيد في شبابها واسمها قيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لاجله أي لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله أولو الالباب (قوله وخذ بيدك ضغثا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) أي ملء الكف (قوله لابطائها عليه يوما) واختلف في سبب بطئها المتسبب عنه حلفه فقيل ان الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوي المرضى فرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه فقالت له عندي مريض فقال أداويه على انه اذا برئ قال أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه فقالت نعم فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل انها باعت ذوائبها برغيفين حين لم تجد شيأ تحمله الى أيوب وكان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنث) أي لا تقع في يمينك بحيث تلزمك كفارته وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته وأما في شرعنا فلا يبر الا بضرب المائة وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها الا اذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله انا وجدناه صابرا) أي علمناه والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله واذكر عبادنا ابراهيم الخ) أي اذكر

أولي الأيدي) أصحاب القوى في العبادة (والأبصار) البصائر في الدين وفي قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (إنا أخلصناهم بخالصة) هي (ذكرى الدار) الآخرة أي ذكرها والعمل لها وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان (وإنهم عندنا لمن المصطفين) المختارين (الأخيار) جمع خير بالتشديد (واذكر إسمعيل واليسع) هو نبي واللام زائدة (وذا الكفل) اختلف في نبوته قيل كفل مائة نبي فروا إليه من القتل (وكل) أي كلهم (من الأخيار) جمع خير بالتثقيل (هذا ذكر) لهم بالثناء الجميل هنا (وإن للمتقين) الشاملين لهم (لحسن مآب) مرجع في الآخرة (جنات عدن) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مفتحة لهم الأبواب) منها (متكئين فيها) على الأرائك (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الأعين على أزواجهن (أتراب) أسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب (هذا) المذكور (ما توعدون) بالغيبة وبالخطاب التفاتا (ليوم الحساب) أي لأجله (إن هذا لرزقنا ما له من نفاد) أي انقطاع والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لإن أي دائما أو دائم (هذا) المذكور للمؤمنين (وإن للطاغين) مستأنف (لشر مآب جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) الفراش (هذا) أي العذاب المفهوم مما بعده (فليذوقوه حميم) أي ماء حار محرق (وغساق) بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار (وآخر) بالجمع والإفراد (من شكله) أي مثل المذكور من الحميم والغساق (أزواج) أصناف أي عذابهم من أنواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم (هذا فوج) جمع (مقتحم) داخل (معكم) النار بشدة

صبرهم على ما امتحنوا به (قوله أولي الأيدي) العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد فكنى بذلك عن الأعمال لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها وقيل المراد بالأيدي النعم وفسرها المفسر بالقوة في العبادة وكلها معان متقاربة وقرئ شذوذا بحذف الياء تخفيفا (قوله إنا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة (قوله هي ذكرى الدار) جعلها المفسر خبر المحذوف (قوله وفي قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان سبعيتان فعلى القراءة الأولى يكون ذكرى مرفوعا على إضمار مبتدإ وعلى الثاني يكون مجرورا بالإضافة وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة والإضافة بيانية كما قال المفسر (قوله واذكر إسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بذكرهم مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن أخطوب ابن العجوز استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم نبأه الله عليهم كما تقدم (قوله اختلف في نبوته) روى الحاكم عن وهب أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل فهو بشر بن أيوب اختلف في نبوته ولقبه والصحيح أنه نبي وسمي ذا الكفل إما لما قاله المفسر أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بما التزم وتقدمت قصته في الأنبياء (قوله أي كلهم) أي المتقدمين من داود إلى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدإ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فهي للانتقال من غرض إلى آخر ففيها التخلص من قصة إلى قصة وكذا يقال في قوله هذا وإن للطاغين الخ (قوله وإن للمتقين الخ) شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل (قوله الشاملين لهم) أي فالمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والأبواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء في لهم والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي لأنه لا جوع فيها (قوله حابسات الأعين) أي لا ينظرن إلى غيرهم نظر شهوة وميل (قوله أسنانهن واحدة) أي فقد استوين في السن والجمال وقيل معنى أتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لأجله) أي لأجل وقوعه فيه فوقوعه وإنجازه فيه علة للوعد به في الدنيا (قوله إن هذا لرزقنا) من كلام الله تعالى والمعنى أن هذا أي ما ذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا أي لهو الرزق الذي نتفضل به على عبادنا ما له من نفاد أي انقطاع أبدا (قوله أي دائما الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدأ حذف خبره قدره بقوله المذكور وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين فهو بمنزلة أما بعد (قوله وإن للطاغين) أي الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله في حق المتقين لحسن مآب (قوله يصلونها) أي يكونون بها على سبيل التأبيد وهو لازم للدخول (قوله الفراش) أي الغطاء والوطاء (قوله هذا) مبتدأ وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة أولى لآخر وأزواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين المبتدإ والخبر وهذا أحسن ما يقال (قوله محرق) أي للأمعاء لقوله في الآية الأخرى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من صديد الخ) بيان لما كأنه قال وهو صديد أهل النار الذي يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والإفراد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي مثل المذكور) أي في كونه حارا يقطع الأمعاء (قوله من أنواع مختلفة) أي كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب أجارنا الله منه (قوله ويقال لهم) أي من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الإلقاء في الشيء بشدة فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع

فيقول المتبوعون (لا مرحبا بهم) أى لا سعة عليهم (انهم صالوا النار قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه)
أى الكفر (لنا فبئس القرار) انا ولكم النار (قالوا) أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) أى مثل عذابه على كفره (فى النار وقالوا) أى كفار مكة وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار اتخذناهم سخريا) بضم السين وكسرها أى كنا نسخر بهم فى الدنيا والياء للنسب أى أمفقودون هم (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (ان ذلك لحق) واجب وقوعه وهو (تخاصم أهل النار) كما تقدم (قل) يا محمد لكفار مكة (انما أنا منذر) مخوف بالنار (وما من اله الا الله الواحد القهار) لخلقه (رب السموات والارض وما بينهما العزيز) الغالب على أمره (الغفار) لاوليائه (قل) لهم (هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون) أى القرآن الذى أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم الا بوحى وهو قوله) ما كان لى من علم بالملأ الأعلى) أى الملائكة (اذ يختصمون) فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة الخ (ان) ما (يوحى الى الا انما أنا) أى انى (نذير مبين) بين الانذار اذكر (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) هو آدم (فاذا سويته) أتممته (ونفخت) أجريت (فيه من روحى)

(قوله فيقول المتبوعون) اى جوابا للخزنة كانهم يقولون انحمد على كثرة أتباعنا مع كوننا واياهم فى النار (قوله لا مرحبا بهم) مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحبا أى مكانا واسعا (قوله انهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء أى انهم صالوا النار كما صليناها (قوله قالوا) أى الاتباع أى جوابا للرؤساء (قوله بل أنتم لا مرحبا بكم) أى أنتم أحق بما قلتم لنا فدأبهم انه كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله أنتم قدمتموه لنا) أى دللتمونا عليه بتزيين الأعمال السيئة لنا واغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالذم (قوله قالوا أيضا) أشار بذلك الى أن هذا من كلام الاتباع (قوله أى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فان الدال على الشر كفاعله (قوله أى كفار مكة) أى كأبى جهل وأبى بن خلف وغيرهما (قوله وهم فى النار) الجملة حالية (قوله مالنا لا نرى رجالا) اى أى شئ ثبت لنا لا نبصر رجالا الخ (قوله من الأشرار) انما سموهم أشرارا لانهم خالفوا دينهم (قوله اتخذناهم) اما بوصل الهمزة مكسورة أو قطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعلى الاولى تكون الجملة صفة لرجالا أى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار وبكوننا نسخر بهم فى الدنيا وعلى الثانية فالجملة استفهامية حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها والمعنى مالنا لا نرى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الاشرار أتخذناهم سخريا فهم مفقودون من النار أم زاغت عنهم الابصار أى هم معنا فى النار لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم (قوله بضم السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل (قوله والياء للنسب) أى على كل من القراءتين (قوله أم زاغت) على قراءة الوصل تكون أم بمعنى بل وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب اسقاطه لان الكلام فى أهل مكة وهو انما أسلم فى المدينة (قوله ان ذلك) أى المحكى عنهم من أقوالهم وأحوالهم (قوله وهو تخاصم) أشار بذلك الى أن تخاصم خبر لمحذوف والجملة بيان لاسم الاشارة (قوله انما أنا منذر) أى لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الانذار لان كلامه مع الكفار وهم انما يناسبهم الانذار فقط وان كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) أى المعدوم المثيل فى ذاته وصفاته وأفعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالالوهية (قوله رب السموات والارض) أى مالكهما (قوله قل هو نبأ عظيم) كرر الامر اشارة الى الاهتمام به (قوله اى القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم) أى من القصص والاخبار وغيرهما (قوله وهو) أى ما لا يعلم الا بوحى وفيه ان ما لا يعلم الا بوحى هو قوله اذ قال ربك للملائكة الخ لا قوله ما كان لى من علم الخ الا أن يقال انه ذكر توطئة وتمهيدا لما لا يعلم الا بالوحى (قوله أى الملائكة) أى وابليس (قوله اذ يختصمون) منصوب اما بعلم أو بمحذوف والتقدير ما كان لى من علم بالملأ الأعلى وقت اختصامهم أو ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم (قوله الا انما أنا نذير مبين) الأداة حصر وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل يوحى والتقدير ما يوحى الى الا كونى نذيرا مبينا والحصر فيه وفى قوله انما أنا منذر اضافى والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله اذ قال ربك) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر ويصح أن يكون بدلا من قوله اذ يختصمون ان حمل الاختصام على ما حصل فى شأن آدم فقط وأما ان جعل عاما فلا يصح جعله بدلا منه بل ظرف لمحذوف (قوله انى خالق بشرا) أى انسانا ظاهر البشرة أى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله أجريت فيه من روحى) أشار بذلك الى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الاصح وقيل ان الروح عرض وهى الحياة التى صار الجسم بها حيا وقيل انها ليست بجسم

فصار حيا واضافة الروح اليه تشريف لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الانسان

ولاعرض بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولاخارج
عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفوذه فيه) أى سريانه فيه كسريان الماء فى العود الاخضر (قوله
فقعوا) الفاء واقعة فى جواب اذا (قوله سجود تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود
لغير الله تعالى وتقدم قول بانه كان سجودا حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بأن محل كون السجود
لغير الله غير جائز مالم يأمر به المولى تعالى أو يقال ان السجود لله تعالى وآدم جعل كالقبلة (قوله
فسجد الملائكة الخ) قيل أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم
الملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر وقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة
(قوله فيه تأكيدان) أى فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر وقيل ان كل للاحاطة وأجمعون
للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم وانهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات
(قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وهو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله فى
علم الله) أى ان الله تعالى علم فى الازل انه يكفر فيما لايزال وكان مسلما عابدا طاف بالبيت أربعة
عشر ألف عام وعبد الله ثمانين ألف عام (قوله أى توليت خلقه) أى بذاتى من غير واسطة أب وأم
وتثنية اليد لاظهار الكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام (قوله استكبرت الآن الخ) أشار المفسر الى
جواب سؤال وارد وهو ان قوله من العالين معناه المتكبرين فيلزم عليه التكرار فاجاب بأن المعنى
أتركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر (قوله قال أنا خير منه) هذا
جواب من ابليس لم يطابق الاستفهام السابق لانه أجاب بأنه انما ترك السجود لكونه خيرا منه وبين
ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين والنار أشرف من الطين لكون النار نورانية والطين
من الارض وهى ظلمانية والنورانى أشرف من الظلمانى وهذه شبهته وقد أخطأ فيها لان مآل النار
الى الرماد الذى لاينتفع به والطين أصل لكل نام نابت كالانسان والشجرة ومن المعلوم ان
الانسان والشجرة خير من الرماد وزيادة على ذلك ان النوع الانسانى تشرف بأمور الاول من جهة
الفاعل المشار اليه بقوله لما خلقت بيدى والثانى من جهة الصورة المشار اليها بقوله ونفخت فيه من
روحى ومن جهة الغاية المشار اليها بقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يحصل ذلك لغير النوع
الانسانى فدل على أفضليته (قوله أى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع
فى أمر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله فقوله أى من الجنة مبنى على الاول
وقوله أو من السموات مبنى على الثانى وقيل المعنى أخرج من الخلقة التى كنت عليها أولا لما ورد
ان ابليس كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم
بعدما كان نورانيا وروى أن ابليس كان رئيسا على اثنى عشر ألف ملك وكان له جناحان من
زمرد أخضر فلما طرد غيرت صورته وجعله الله معكوسا على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ
أعور وفى لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعيناه مشقوقتان فى طول وجهه وأنيابه خارجة
كأنياب الخنازير ورأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير وشفتاه كشفتى الثور ومنخراه
مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله فانك رجيم الخ) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه
ولزم التكرار أجيب بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو أبلغ (قوله وان
عليك لعنتى) ذكرها هنا بالاضافة وفى غيرها بالتعريف تفننا (قوله الى يوم الدين) فان قلت كلمة
الى لانتهاء الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجىء يوم الدين مع انها لاتنقطع أجيب بأن اللعنة قبل
يوم الدين من الله وعيد بخلوده فى العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحقق الوعيد
والمطلوب (قوله قال رب فأنظرنى) أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف تقديره اذ جعلتنى
رجيما فامهلنى ولاتمتنى الى يوم يبعثون أى آدم وذريته وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ
منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لاموت بعد البعث فاجابه تعالى بالامهال مدة الدنيا

بنفوذه فيه (فقعوا له ساجدين)
سجود تحية بالانحناء (فسجد
الملائكة كلهم أجمعون) فيه
تأكيدان (الا ابليس) هو أبو
الجن كان بين الملائكة
(استكبر وكان من
الكافرين) فى علم الله تعالى
(قال يا ابليس ما منعك أن
تسجد لما خلقت بيدى) أى
توليت خلقه وهذا تشريف
لآدم فان كل مخلوق تولى الله
خلقه (أستكبرت) الآن عن
السجود استفهام توبيخ (أم
كنت من العالين) المتكبرين
فتكبرت عن السجود
لكونك منهم (قال أنا خير
منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها) أى
من الجنة وقيل من السموات
(فانك رجيم) مطرود (وان
عليك لعنتى الى يوم الدين)
الجزاء (قال رب فأنظرنى الى
يوم يبعثون) أى الناس (قال
فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم) وقت النفخة
الاولى

(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) أي المؤمنين (قال فالحق والحق أقول) بنصبهما و رفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أي أحق الحق وقيل على نزع حرف القسم و رفعه على انه مبتدأ محذوف الخبر أي فالحق مني وقيل فالحق قسمي وجواب القسم (لأملأن جهنم منك) بذريتك (وممن تبعك منهم) أي الناس (أجمعين قل ما أسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (من أجر) جعل (وما أنا من المتكلفين) المتقولين القرآن من تلقاء نفسي (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكر) عظة (للعالمين) للإنس والجن العقلاء دون الملائكة (ولتعلمن) يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) أي يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر أي والله

﴿سورة الزمر مكية إلا قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية وهي خمس وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (إنا أنزلنا إليك) يا محمد (الكتاب بالحق) متعلق بأنزل (فاعبد الله مخلصا له الدين) من الشرك أي موحدا له (ألا لله الدين الخالص) لا يستحقه غيره (والذين اتخذوا من دونه) الأصنام (أولياء) وهم كفار مكة قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) قربى مصدر بمعنى تقريبا (إن الله يحكم بينهم) وبين المسلمين (فيما هم فيه يختلفون) من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (إن الله لا يهدي من هو كاذب)

لأجل الاغواء لا بالنجاة من الموت (قوله قال فبعزتك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى قال فبما أغويتني فان اغواء الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الأول الخ) أي فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أي المذكور في بعض الاعاريب المتقدمة أو المحذوف (قوله أجمعين) توكيد للضمير في منك وما عطف عليه (قوله دون الملائكة) انما أخرجهم من العالمين وان كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله ان هو الا ذكر والذكر معناه الموعظة والتخويف وهو لا يناسب الا الانس والجن (قوله خبر صدقه) أي من ذكر الوعد والوعيد (قوله أي يوم القيامة) تفسير لبعد حين والحين مدة الدنيا وقال ابن عباس بعد الموت وقيل من طال عمره علم ذلك اذا جاء نصر الله والفتح (قوله بمعنى عرف) أي فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه وقيل ان علم على بابها فتنصب مفعولين والثاني قوله بعد حين

﴿سورة الزمر﴾

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها في قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وسيأتي ان الزمر جمع زمرة وهي الطائفة وتسمى أيضا سورة الغرف لذكر الغرف فيها قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية وروي من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغرف وورد انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر و بني اسرائيل (قوله الا قل يا عبادي الخ) أي فانها نزلت في وحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه أسلم بالمدينة وظاهره انها آية واحدة وقيل ان الذي نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها وقيل انهما آيتان هذه الآية وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث الآية فتحصل ان فيها ثلاثة أقوال قيل مكية الا آية وقيل الا آيتين وقيل الا سبعا (قوله وهي خمس وسبعون) وقيل ثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) أي انزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره نزل ردا لقول المشركين انما يعلمه بشر ولقولهم ان به جنة (قوله انا أنزلنا الخ) شروع في بيان تشريف المنزل عليه اثر بيان شأن المنزل حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الاول لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بأنزل) أي والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذي أتت عليه واثباته واظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله انا أنزلنا اليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصا) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله أي موحدا له) أي مفردا له بالعبادة والاخلاص بان لا تقصد بعملك ونيتك غير ربك (قوله ألا لله الدين الخ) ألا اداة استفتاح والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص (قوله والذين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله قالوا وقوله ما نعبدهم الخ مقول لذلك القول وقوله ان الله يحكم بينهم الخ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الاحسن وقيل ان خبر المبتدا هو قوله ان الله يحكم الخ وقوله ما نعبدهم حال من فاعل اتخذوا على تقدير القول أي قائلين ما نعبدهم الخ (قوله الاصنام) قدره اشارة الى أن اتخذوا تنصب مفعولين الاول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للموصول (قوله قالوا ما نعبدهم الخ) أي فكانوا اذا قيل لهم من خلقكم ومن خالق السموات والارض ومن ربكم فيقولون الله فيقال لهم وما معنى عبادتكم الاصنام فيقولون لتقربنا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (قوله مصدر) أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى أو ليقربونا قربى (قوله وبين المسلمين) أشار بذلك الى أن المقابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله ان الله لا يهدي) أي لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار أي محمول على

الكذب

الكذب والكفر في علمه تعالى (قوله في نسبة الولد اليه) أشار بذلك الى أن قوله ان الله لا يهدي الخ توطئة
لقوله لو أراد الله الخ ويصح أن يكون من تتمة ما قبله وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الالوهية لغيره تعالى
(قوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا) أي لو تعلقت ارادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية اشارة
الى قياس استثنائي حذفت صغراه ونتيجته وتقريره أن يقال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما
يخلق ما يشاء لكنه لم يصطف من خلقه شيأ فلم يرد أن يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) أي غير المخلوق
الذي قالوا في شأنه انه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) أي لانه ممتنع عقلا ونقلا اما عقلا فلانه
يلزم أن يكون الولد من جنس خالقه وكونه جنسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل وأما نقلا فقد
تواترت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والكتب السماوية على ان الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله
هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه في الصفات اثر بيان تنزهه في الذات لان الواحدة تنافي
المماثلة فضلا عن الولد والقهار به تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد والاشتراك فتعالى الله
عن ذلك (قوله خلق السموات والارض) تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالالوهية واتصافه
بالصفات الجليلة (قوله يكور الليل) من التكوير وهو في الأصل اللف والليّ يقال كور العمامة على
رأسه أي لفها ولواها ثم استعمل في الادخال والاغشاء فكأن الليل يغشى النهار والنهار يغشى الليل
(قوله فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربعة عشر ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة أربع
ساعات تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله ليوم القيامة) أي ثم ينقطع جريانه لانتقال
العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر انما كان في الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت
مصالحه (قوله ألا هو العزيز الغفار) انما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء
بمضمونها كأنه قال تنبهوا يا عبادي فاني الغالب على أمري الستار لذنوب خلقي فلا تشركوا بي شيأ
وأحلوا عبادتكم لي (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة
والقهر وجميع صفات الالوهية (قوله ثم جعل منها زوجها) ان قلت ان ثم للترتيب فيقتضي ان خلق
الذرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف المشاهد وأجيب بثلاثة أجوبة الاول ان ثم لمجرد الاخبار
لا لترتيب الايجاد الثاني ان المعطوف متعلق بمعنى واحدة وثم عاطفة عليه كأنه قال خلقكم من نفس
كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شفعت بزوج الثالث ان معنى خلقكم من نفس واحدة أخرجكم
منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لان الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالذر ثم أخرجهم
وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم الى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وأنزل لكم من الانعام الخ) انما عبر عنها
بالنزول لانها تكونت بالنبات وهو غذاؤها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدريج ومنه
قوله تعالى قد أنزلنا عليكم لباسا الآية وقيل ان الانزال حقيقة لما روي ان الله خلق الانعام في الجنة ثم
أنزلها في الارض كما قيل في قوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم لما أهبط الى الارض
نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج ما معه آخر من جنسه ولا يستغني بأحدهما عن الآخر
(قوله كما بين في سورة الانعام) أي في قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيات (قوله يخلقكم في
بطون أمهاتكم) هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم
وقوله من بعد خلق صفة لخلقا (قوله أي نطفا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الايجاد فالمناسب أن يقول
أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد
نطف (قوله في ظلمات) بدل اشتمال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضر الفصل بين البدل
والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس بأجنبي (قوله وظلمة المشيمة) أي وهي داخل الرحم
وهو داخل البطن والمشيمة بوزن كريمة وأصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء نقلت كسرة الياء
الى الساكن قبلها وهي غشاء ولد الانسان ويقال لها الغلاف والكيس ويقال لها من غير ولد
الانسان السلا (قوله ذلكم) مبتدأ والله ربكم خبران له وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا اله الا هو)

في نسبة الولد اليه (كفار) بعبادته غير الله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) واتخذه ولدا غير من قالوا من الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) لخلقه (خلق السموات والارض بالحق) متعلق بخلق (يكور) يدخل (الليل على النهار) فيزيد (ويكور النهار) يدخله (على الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل يجري) في فلكه (لاجل مسمى) ليوم القيامة (ألا هو العزيز) الغالب على أمره المنتقم من أعدائه (الغفار) لاوليائه (خلقكم من نفس واحدة) أي آدم (ثم جعل منها زوجها) حواء (وأنزل لكم من الانعام) الابل والبقر والغنم الضأن والمعز (ثمانية أزواج) من كل زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الانعام (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) أي نطفا ثم علقا ثم مضغا (في ظلمات ثلاث) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو

جملة مستأنفة نتيجة ما قبله أى حيث ثبت انفراده بتناوله الملك نتج منه انه لا اله الا هو (قوله فانى تصرفون) أى تمنعون (قوله فان الله غنى عنكم) أى له الغنى المطلق فلا يفتقر الى ما سواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) أى لا يفعل فعل الرضى بأن يثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وان أراده من بعضهم) أشار بهذا الى أنه لا تلازم بين الرضا والارادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وانما التلازم بين الامر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والارادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ومن هنا قال العلماء ان الامور اربعة تارة يأمر ويريد وهو الايمان من المؤمنين وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يأمر ولا يريد وهو الايمان من الكفار وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار وحكى أن رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلى سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السنى سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء فقال المعتزلى أيريد ربك أن يعصى فقال السنى أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلى أرأيت ان منعنى الهدى وحكم على بالردى أحسن الى أم أساء فقال ان منعك ما هو لك فقد أساء وان منعك ما هو له فالمالك يفعل فى ملكه كيف يشاء فبهت المعتزلى (قوله يرضه لكم) أى لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به تعالى الله عن ذلك (قوله بسكون الهاء الخ) أى فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل شخص اثم كفر شخص آخر وما ورد من أن الدال على الشر كفاعله فمعناه أن عليه اثم فعله واثم دلالته ولا شك أن دلالته من فعله فآل الامر الى أن عقابه على فعله لا على فعل غيره وقوله وازرة أى وأما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها بمعنى ان من كان ناجيا وأذن له فى الشفاعة يشفع فى غيره فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة ان كان مسلما وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله انه عليم بذات الصدور) علة لقوله فينبئكم بما كنتم تعملون أى يخبركم بأعمالكم لانه عليم بما فى القلوب فضلا عن غيرها (قوله أى الكافر) أشار بهذا الى ان أل فى الانسان للعهد (قوله ضر) المراد به جميع المكاره كانت فى نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا اليه) أى تاركا عبادة الاصنام لعلمه بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به (قوله أعطاه انعاما) أى أعطاه على سبيل الانعام والاحسان فانعاما مفعول لاجله لان التخويل هو اعطاء النعم على سبيل التفضل والاحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) أشار بذلك الى أن ما موصولة بمعنى الذى مرادا بها الله تعالى ويصح أن يراد بها الضر والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو لكشفه ويصح أن تكون ما مصدرية والمعنى نسى كونه داعيا من قبل تخويل النعمة والاظهر ما قاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله بفتح الياء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الامر للتهديد وفيه اشعار بقنوطه من التمتع فى الآخرة (قوله بقية أجلك) أشار بذلك الى أن قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله انك من أصحاب النار) أى ملازميها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام المأمور بقوله وحينئذ فالمعنى قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) أى والهمزة للاستفهام الانكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع انى بالكسر والقصر كمعى وامعاء (قوله ساعاته) أى أوله وأوسطه وآخره وفى الآية دليل على افضلية قيام الليل على النهار لما فى الحديث مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لا ينامون وقال ابن عباس من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل (قوله وفى قراءة أمن) أى بالتشديد وعليها فام داخلة على من الموصولة فادغمت الميم فى الميم وترسم على هذه القراءة ميما واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير وقوله بمعنى بل أى التى للاضراب الانتقالى وقوله والهمزة أى التى للاستفهام الانكارى والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أى وهم المؤمنون العارفون بربهم وقوله والذين لا يعلمون أى وهم الكفار (قوله أى لا يستويان) أشار به الى أن الاستفهام

فانى تصرفون) عن عبادته الى عبادة غيره (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) وان أراده من بعضهم (وان تشكروا) الله فتؤمنوا (يرضه) بسكون الهاء وضمها مع اشباع ودونه أى الشكر (لكم ولا تزر) نفس (وازرة وزر) نفس (أخرى) أى لا تحمله (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذا مس الانسان) أى الكافر (ضر دعا ربه) تضرع (منيبا) راجعا (اليه ثم اذا خوله نعمة) أعطاه انعاما (منه نسى) ترك (ما كان يدعو) يتضرع (اليه من قبل) وهو الله فما فى موضع من (وجعل لله أندادا) شركاء (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيله) دين الاسلام (قل تمتع بكفرك قليلا) بقية أجلك (انك من أصحاب النار أمن) بتخفيف الميم (هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) فى الصلاة (يحذر الآخرة) أى يخاف عذابها (ويرجو رحمة ربه) كمن هو عاص بالكفر أو غيره وفى قراءة أم من فام بمعنى بل والهمزة (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى لا يستويان كما لا يستوى العالم والجاهل

انكاري بمعنى النفي (قوله انما يتذكر أولوا الالباب) أي أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لانهم المنتفعون بالتذكر (قوله قل يا عبادي الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأوامر لنفسه ولامته زيادة في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والاوهام (قوله بأن تطيعوه) أي تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التي هي جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفي هذه الدنيا متعلق بأحسنوا وحسنة مبتدأ مؤخر (قوله هي الجنة) أي بجميع مافيها من النعيم المقيم فهي بمعنى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله وأرض الله واسعة) جملة من مبتدأ وخبر وهي حالية (قوله فهاجروا اليها الخ) أشار بذلك الى أن المراد بالارض أرض الدنيا والمعنى من تعسرت عليه التقوى في محل فليهاجر الى محل آخر يتمكن فيه من ذلك اذ لا عذر في التفريط أصلا وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا في صحة الاسلام فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطا وصارت تعتريها الاحكام فتارة تكون واجبة كما اذا هاجر من أرض لا يتيسر له فيها اقامة دينه لأرض يتعلم فيها دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبة كما اذا هاجر من أرض لا أخيار بها لارض بها أخيار يجتمع عليهم للارشاد وتكون مكروهة كما اذا هاجر من أرض بها الاخيار وأهل العلم والصلاح لارض لا أخيار بها ولا علم ولا عمل وتارة تكون محرمة كما اذا هاجر من أرض يأمن فيها على دينه لارض لا يأمن فيها عليه (قوله انما يوفى الصابرون) هذا ترغيب في التقوى المأمور بها (قوله على الطاعات) أي أو عن المعاصي (قوله وما يبتلون به) أي ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها في قوله وأرض الله واسعة (قوله بغير حساب) أي لما ورد تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قوله قل اني أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة في هذا الاخبار اعلام الامة بأن يتصفوا به ويلزموه فان العادة ان المتصف بخلق ثم يأمر به أو يعرض بالامر به يؤثر في غيره كما قيل حال رجل في ألف رجل أنفع من حال ألف رجل في رجل (قوله من هذه الامة) جواب عما يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أول المسلمين مطلقا فأجاب بان الاولية بحسب سبق الدعوة (قوله قل اني أخاف) سبب نزولها ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي أتيتنا به الا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فنزلت والمقصود منها زجر الغير عن المعاصي لانه صلى الله عليه وسلم اذا كان خائفا مع كمال طهارته وعصمته فغيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يخبرون غيرهم بما هم متصفون به ليكونوا مثلهم لا الملوك والمتجبرين حيث يأمرون غيرهم بما لم يتصفوا به (قوله فيه تهديد لهم) أي من حيث الامر (قوله وايذان) أي اعلام (قوله الذين خسروا) خبران (قوله وأهليهم) أي أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل المراد أهلهم في الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده (قوله يوم القيامة) أي حين يدخلون النار (قوله بتخليد الانفس) راجع لقوله أنفسهم وقوله بعدم وصولهم الى الحور العين الخ راجع لقوله وأهليهم على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أي الذي لا خفاء فيه وتصدير الجملة بأداة التنبيه اشارة الى فظاعته وشناعته (قوله لهم من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طباق) أي قطع كبار واطلاق الظلل عليها تهكم والا فهي محرقة والظلة تقي من الحر (قوله ومن تحتهم ظلل) أي لغيرهم وان كان فراشا لهم لان النار دركات فما كان فراشا لجماعة يكون ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) أي فالحكمة في ذكر أحوال أهل النار تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله يدل عليه) أي على الوصف

(انما يتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) أصحاب العقول (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) أي عذابه بان تطيعوه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) بالطاعة (حسنة) هي الجنة (وأرض الله واسعة) فهاجروا اليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (انما يوفى الصابرون) على الطاعة وما يبتلون به (أجرهم بغير حساب) بغير مكيال ولا ميزان (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) من الشرك (وأمرت لان) أي بان (أكون أول المسلمين) من هذه الامة (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني) من الشرك (فاعبدوا ماشئتم من دونه) غيره فيه تهديد لهم وايذان بانهم لا يعبدون الله تعالى (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليد الانفس في النار وبعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا (ألا ذلك هو الخسران المبين) البين (لهم من فوقهم ظلل) طباق (من النار ومن تحتهم ظلل) من النار (ذلك يخوف الله به عباده) أي المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يا عباد فاتقون)

المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضى الله عنهم سألوا أبا بكر رضى الله عنه فاخبرهم بايمانه فآمنوا (قوله الاوثان) هذا أحد أقوال فى تفسيره وقيل هو الشيطان وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة) أى على ألسنة الرسل أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت وفى الحقيقة البشرى تحصل لهم فى الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادى) أى الموصوفين باجتناب الاوثان والانابة الى الله تعالى والاضافة لتشريف المضاف (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون المحكم ويعملون به ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أى الموصوفون بتلك الاوصاف (قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل ان من شرطية وجوابها قوله أفانت تنقذ من فى النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الانكار واطول الكلام وأقيم الظاهر مقام المضمر أى أفانت تنقذه ويحتمل انها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله أفانت تنقذ من فى النار مستقلة مؤكدة لما قبلها وهذه الآية نزلت فى حق أبى لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان وقد كان حريصا على ايمانهم (قوله والهمزة) أى الاولى والثانية توكيدلها (قوله للانكار) أى الاستفهام الانكارى (قوله والمعنى لا تقدر على هدايته الخ) أشار بهذا الى أن قوله أفانت تنقذ من فى النار مجاز مرسل حيث أطلق المسبب وأراد السبب لان الادخال فى النار مسبب عن الضلال وترك الهدى كأنه قال أنت تهدى من أضله الله وجعل له النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندى فى حواشى رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول فى النار على طريق المكنية فى المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمزله بذكر شئ من لوازمه وهو الانقاذ وفيه اشكال انظر بسطه فى حاشيتنا على رسالة البيان لاستاذنا الشيخ الدردير (قوله لكن الذين اتقوا) أى وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية ولكن ليست للاستدراك وانما هى للاضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله فى حق أهل النار لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (قوله بفعله المقدر) أى وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاغترار بها (قوله ادخله أمكنة نبع) أى فراده بالينابيع الامكنة التى أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الارض وتطلق الينابيع على نفس الماء الجارى على وجه الارض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها (قوله مختلفا ألوانه) أى من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض واختلاف تلك الالوان اما فى ثماره أو فى عوده ومراده بالزرع كل ما يستنبت (قوله فتاتا) أى متفتتا ومتكسرا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام انكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله انما يتذكر أولوا الالباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء وفى الحديث اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله (قوله دل على هذا) أى المقدر (قوله كلمة

عذاب

والذين اجتنبوا الطاغوت) الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا) أقبلوا (الى الله لهم البشرى) بالجنة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وهو ما فيه صلاحهم (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) أصحاب العقول (أفمن حق عليه كلمة العذاب) أى لأملأن جهنم الآية (أفأنت تنقذ) تخرج (من فى النار) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لكن الذين اتقوا ربهم) بان أطاعوه (لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وعد الله) منصوب بفعله المقدر (لا يخلف الله الميعاد) وعده (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع) أدخله أمكنة نبع (فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج) ييبس (فتراه) بعد الخضرة مثلا (مصفرا ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) تذكيرا (لاولى الالباب) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أفمن شرح الله صدره للاسلام) فاهتدى (فهو على نور من ربه) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فويل) كلمة

عذاب (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى عن قبول القرآن (أولئك فى ضلال مبين) بين (الله نزل أحسن الحديث كتابا) بدل من أحسن أى قرآنا (متشابها) أى يشبه بعضه بعضا فى النظم وغيره (مثانى) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما (تقشعر منه) ترتعد عند ذكر وعيده (جلود الذين يخشون) يخافون (ربهم ثم تلين) تطمئن (جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى عند ذكر وعده (ذلك) أى الكتاب (هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد أفمن يتقى) يلقى (بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) أى أشده بأن يلقى فى النار مغلولة يداه الى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وقيل للظالمين) أى كفار مكة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى جزاءه (كذب الذين من قبلهم) رسلهم فى اتيان العذاب (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا تخطر ببالهم (فأذاقهم الله الخزى) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا) أى المكذبون (يعلمون) عذابها ما كذبوا (ولقد ضربنا) جعلنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون (قرآنا عربيا) حال مؤكدة (غير ذى عوج) أى لبس واختلاف (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله) للمشرك والموحد (مثلا رجلا) بدل من مثلا (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون سيئة أخلاقهم (ورجلا سالما) خالصا (لرجل هل يستويان مثلا)

عذاب) أى كلمة تفيد العذاب للمخاطب بها (قوله أى عن قبول القرآن) أشار بذلك الى أن من بمعنى عن وفى الكلام مضاف محذوف ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل أى قست قلوبهم من أجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسرانها ومن المعلوم المشاهد ان الاطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ومن هنا قول بعض العارفين ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل أحسن الحديث الخ) سبب نزولها ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) أى اللفظ وقوله وغيره أى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى

ردت بلاغتها دعوى معارضها * رد الغيور يد الجانى عن الحرم

فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسأم

واعلم أنه فى هذه الآية أثبت ان القرآن متشابه وفى آية أخرى أثبت انه محكم وفى آية أخرى ان بعضه محكم وبعضه متشابه ووجه الجمع بينها ان المراد بالمتشابه فى آية الاقتصار عليه ما أشبه بعضه بعضا فى اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب وبالمحكم فى آية الاقتصار عليه ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالمتشابه فى آية الجمع ما خفى معناه وبالمحكم ما ظهر معناه وتقدم هذا الجمع (قوله مثانى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لان الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر نظير قولك الانسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرهما) أى كالقصص والاحكام (قوله تقشعر منه) أى تنقبض وتجتمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا أن الى بمعنى عند (قوله تطمئن) أى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا الى أن الى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعداه بالى والمفسر قد جمع بينهما * والحاصل ان الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لان الخوف والرجاء معهودان للعبد كجناحى الطائر ان عدم أحدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى الموصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب فى الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغلولة يداه) اى برمى فى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الاوضح أن يقول أى الكفار من هذه الامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال المكذبين قبلهم وما حصل لهم فى الدنيا من العذاب (قوله لا تخطر ببالهم) المراد بالجهة السبب أى أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم كاللواط فى قوم لوط مثلا (قوله لو كانوا يعلمون) أى يصدقون ويوقنون وقوله ما كذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطئة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أى لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها كما تقول جاء زيد رجلا صالحا (قوله غير ذى عوج) نعت لقرآنا أو حال اخرى (قوله أى لبس واختلاف) أى فمعناه صحيح لا لبس ولا تناقض فيه (قوله لعلهم يتقون) علة لقوله لعلهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلا الخ) المعنى اضرب يا محمد لقومك هذا المثل واذكره لهم لعلهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلا سالما) بألف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءتان سبعيتان فالاولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرئ شذوذا بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) الاستفهام انكارى بمعنى

تمييزا أي لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد فان الاول اذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد (الحمد لله) وحده (بل أكثرهم) اى أهل مكة (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (انك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (ميت وانهم ميتون) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت نزلت لما استبطؤا موته صلى الله عليه وسلم (ثم انكم) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن) اى لا احد (أظلم ممن كذب على الله) بنسبة الشريك والولد اليه (وكذب بالصدق) بالقرآن (اذ جاءه أليس في جهنم مثوى) مأوى (للكافرين) بلى (والذي جاء بالصدق) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وصدق به) هم المؤمنون فالذي بمعنى الذين (أولئك هم المتقون) الشرك (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) لانفسهم بايمانهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن (أليس الله بكاف عبده) اى النبي بلى (ويخوفونك) الخطاب له (بالذين من دونه) أي الاصنام ان تقتله او تخبله (ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز) غالب على أمره (ذي انتقام) من أعدائه بلى (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون) تعبدون (من دون الله) أي الاصنام (ان أرادني الله بضر

الجزء

(قوله تمييز) أي محول عن الفاعل والمعنى لا يستوي مثلهما وصفتهما (قوله أي لا يستوي العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذي يعبد غير الله وقوله لجماعة أى سيئة أخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذي يعبد الله وحده وقوله فان الاول الخ تقرير للمثل الاول ولم يتعرض للثاني لوضوحه (قوله الحمد لله) اى على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى مع بيان ظهوره وهو اضراب انتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس لا يعلمون ذلك (قوله انك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت واما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل (قوله فلا شماتة بالموت) الشماتة الفرح ببلية العدو (قوله نزلت لما استبطؤا موته الخ) أى وذلك انهم كانوا ينتظرون موته فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم فلا معنى لشماتة الفاني بالفاني (قوله أيها الناس) اى مؤمنكم وكافركم وقوله تختصمون أى يخاصم بعضكم بعضا فيقتص للمظلوم من الظالم لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المفلس من يأتي يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (قوله أى لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله ممن كذب على الله) أى ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بأن يقول مثلا قال رسول الله كذا أو هذا شرعه والحال انه لم يكن قاله ولم يكن شرعه (قوله اذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) أشار بذلك الى أن الاستفهام تقريري والمعنى في جهنم مثوى للكافرين لان بلى يجاب بها النفي ويصيره اثباتا كما تقدم (قوله فالذي بمعنى الذين) اى بالنسبة للصلة الثانية ولذا روعي معناه فجمع في قوله أولئك هم المتقون وروعي لفظه في قوله جاء وصدق (قوله لهم ما يشاؤن) أى كل ما يشتهون من وقت حضور الموت كالأمن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف الى غير ذلك (قوله لانفسهم) متعلق بالمحسنين وفيه اشارة الى أن احسان الانسان لنفسه وثمرته عائدة عليه افلا يعود على الله نفع محسن ولا ضرر مسيء تعالى الله عنه والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء اليه وبذل المعروف للخلق محبة في الخالق وبهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * وبضدها تتميز الاشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف أى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والصيرورة وهو تفصيل لقوله لهم ما يشاؤن (قوله بمعنى السيء والحسن) أى فأفعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه انه يكفر عنهم الاسوأ فقط ويجازون على الاحسن فقط ولا يكفر عنهم السيء ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به الخالص في العبودية لله وهو الاتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهي سبعية أيضا والمعنى أن من أخلص لله في عبادته كفاه ما أهمه في دينه ودنياه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح أن تكون الجملة حالية والمعنى ان الله كافيك في كل حال حتى في حال تخويفهم لك ويصح ان تكون مستأنفة (قوله أو تخبله) أى تفسد أعضاءه وتذهب عقله (قوله ذي انتقام) اى ينتقم من أعدائه لا وليائه وتأخير قوله بلى للاشارة الى انه راجع لقوله ذي انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى ولا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على انه المنفرد بالخلق والايجاد (قوله قل أفرأيتم الخ) أى متعد به لمفعولين الاول قوله ما تدعون والثاني قوله هل هن كاشفات ضره الخ وقوله ان أرادني الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الاول والثاني وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثاني عليه وتقديره لا كاشف غيره (قوله ان أرادني الله بضر) قدمه لان دفعه أهم وخص نفسه لانه جواب لتخويفهم من

الاصنام

هل هن كاشفات ضره) لا (أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) لا وفي قراءة بالاضافة فيهما (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) يثق الواثقون (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (اني عامل) على حالتي (فسوف تعلمون ٢٨٧ من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق) متعلق بأنزل (فمن اهتدى فلنفسه) اهتداؤه (ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الهدى (الله يتوفى الانفس حين موتها و) يتوفى (التي لم تمت في منامها) أي يتوفاها وقت النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) أي وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (ان في ذلك) المذكور (لآيات) دلالات (لقوم يتفكرون) فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا في ذلك (أم) بل (اتخذوا من دون الله) اى الاصنام آلهة (شفعاء) عند الله بزعمهم (قل) لهم (أ) يشفعون (ولو كانوا لا يملكون شيأ) من الشفاعة وغيرها (ولا يعقلون) أنكم تعبدون ولا غير ذلك لا (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مختص بها فلا يشفع أحد الا باذنه (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده) أي دون آلهتهم (اشمأزت) نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) أي الاصنام (اذا هم يستبشرون قل اللهم) بمعنى يا الله (فاطر السموات والارض) مبدعهما (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين

الاصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الاناث تحقيرا لها ولانهم كانوا يسمونها بأسماء الاناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله قل حسبي الله) أي كافي ولا ألتفت لغيره (قوله يثق الواثقون) أي يعتمد المعتمدون (قوله قل يا قوم اعملوا الخ) هذا الامر للتهديد (قوله حالتكم) أي وهي الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان بجامع الثبوت والاستقرار في كل (قوله مفعولة العلم) أي لانها بمعنى عرف فتنصب مفعولا واحدا (قوله يخزيه) أي يهينه ويذله (قوله للناس) اى لمصالح الناس في معاشهم ومعادهم (قوله متعلق بانزل) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال اما من فاعل أنزل أو من مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى ليس هداهم بيدك ولا في ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وانما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وان شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الانفس حين موتها) أي يقبض الارواح عند حضور آجالها فالنفس والروح شيء واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطنا بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة (قوله ويتوفى التي لم تمت في منامها) أشار بهذا الى أن الموصول معطوف على الانفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الارواح التي لم تحضر آجالها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس لا باطنا فان الحياة والنفس والحركة باقيه ولذا عرفوا النوم بانه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك وأما في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهرا وباطنا لانها جسم لطيف شفاف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر على هيئة جسد صاحبها وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فاصلها في وسطه ونورها سار في جميع أجزائه (قوله فيمسك التي قضى عليها الموت) أي لا يردها الى جسدها لتحيا حياة دنيوية (قوله أي وقت موتها) ظاهره ان قوله الى أجل مسمى راجع لقوله ويرسل الاخرى فقط ويصح رجوعه له وللذي قبله ويراد بالاجل المسمى في الممسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التمييز) أي والاحساس (قوله نفس الحياة) أي والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) أي فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والاحساس واعلم انه اختلف هل في الانسان روح واحدة والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق أو روحان احداهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة بانها اذا كانت في الجسد كان الانسان متيقظا فاذا خرجت منه نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والاخرى روح الحياة التي أجرى الله العادة بانها اذا كانت في الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فاذا رجعت اليه حيي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) أي من التوفي والامساك والارسال (قوله وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله أم اتخذوا اضرابا انتقاليا (قوله أي الاصنام) بيان للمفعول الاول (قوله أيشفعون) أشار بهذا الى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) أشار به الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله أي هو مختص بها) جواب عما يقال مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى مع انه قد جاء في الاخبار ان للانبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب بان المعنى لا يملك الشفاعة الا الله وشفاعات هؤلاء باذن الله ورضاه قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (قوله ثم اليه ترجعون) أي تردون فيجازيكم باعمالكم (قوله واذا ذكر الله وحده) اذا معمولة لقوله اشمأزت (قوله اذا هم يستبشرون) اى لنسيانهم حق الله تعالى وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أي التجئ الى ربك بالدعاء والتضرع فانه القادر على كل شئ (قوله أي يا الله) أي حذفت ياء النداء وعوض عنها الميم وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه (قوله

اهدنى) هذا هو المقصود بالدعاء وتمام تلك الدعوة النبوية على ما ورد اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم (قوله ولو أن للذين ظلموا الخ) بيان لغاية شدة ما نزل بهم (قوله لافتدوا به) أى بالمذكور من الامرين (قوله يوم القيامة) ظرف لافتدوا (قوله وبدا لهم الخ) كلام مستأنف أو معطوف على قوله ولو أن للذين ظلموا الخ (قوله سيآت ما كسبوا) أى الاعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم (قوله الجنس) أى فهو اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده (قوله انعاما) أى تفضلا واحسانا (قوله على علم من الله الخ) أى أو منى بوجوه كسبه أوانى أعطيته بسبب محبة الله لى وفلاحى (قوله أى القولة) أشار بذلك الى أن الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى ان النعمة فتنة أى امتحان واختبار له ل يشكر عليها أو يكفرها (قوله ان التخويل) أى اعطاء النعم تفضلا واحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك الى ان قومه لم يقولوها بالفعل وانما نسبت لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيآت ما كسبوا) أى جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله فقحطوا سبع سنين) أى أوائل سنى الهجرة حتى اكلوا الجيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) أى استدراجا لهم لارضا عليهم (قوله أولم يعلموا) أى القائلون انما أوتيته على علم عندى (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) أى وان كان لاحيلة له ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أى لمن يشاء وان كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدنيوى ولا لقبضه مدخل فى محبة الله ولا بغضه بل بحكمته تعالى (قوله ان فى ذلك) أى المذكور (قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى وحشى قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فأرسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم انه من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فأنزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال وحشى أرانى بعد فى شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لا أرى شرطا فأسلم وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل انها أرجى آية فى كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعانى والبيان أمور حسان منها اقباله تعالى على خلقه ونداؤه اياهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل أسمائه الجامع لجميع الاسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بان وضمير الفصل فى قوله انه هو الغفور الرحيم للاشارة الى انه تعالى لا وصف له مع عباده الا الغفران والرحمة ومناسبة هذه الآية لما قبلها ان الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم فى قوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف (قوله الذين أسرفوا على أنفسهم) أى فرطوا فى الاعمال الصالحة وارتكبوا سيء الاعمال وأكثروا منه (قوله لا تقنطوا من رحمة الله) ان قلت ان فى هذا اغراء بالمعاصى واتكالا على غفرانه تعالى وهو لا يليق أجيب بأن المقصود تنبيه العاصى على انه ينبغى له أن يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك اغراء بالمعاصى بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم فى الاقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أى من باب جلس وعلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أى من باب دخل وهى شاذة (قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى شركا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لانها يخرج العاصى من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما فى الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأما من مات مسلما ولم يتب من ذنوبه فأمره مفوض لربه ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخله الجنة وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لان دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهى لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) انما خص الشرك لان التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى قل للذين

كفروا

أهدنى لما اختلفوا فيه من الحق (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا) ظهر (لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) يظنون (وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى العذاب (فاذا مس الانسان) الجنس (ضر دعانا ثم اذا خولناه) أعطيناه (نعمة) انعاما (منا قال انما أوتيته على علم) من الله بأنى له أهل (بل هى) أى القولة (فتنة) بلية يبتلى بها العبد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن التخويل استدراج وامتحان (قد قالها الذين من قبلهم) من الامم كقارون وقومه الراضين بها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاؤها (والذين ظلموا من هؤلاء) أى قريش (سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين) بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) به (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا) بكسر النون وفتحها وقرئ بضمها تيأسوا (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب من الشرك

كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق أن تعذيب العاصي تطهير وتعذيب الكافر غضب فمآل العاصي للجنة وان طالت مدته في النار لان معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله انه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنيبوا الى ربكم) اتى بهذه الآية عقب التي قبلها لئلا يتكل العاصي على الغفران و يترك التوبة والرجوع الى الله فأفاد أن الرجوع الى الله والاقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله ان لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل أن يأتيكم العذاب (قوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) أي على لسان أحسن نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنيبوا والمعنى ارجعوا الى ربكم والزموا أوامر أحسن كتاب أنزل اليكم ونواهيه وهذا الخطاب عام للاولين والآخرين من لدن آدم الى يوم القيامة ولكن من أدركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بأن كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لو فرض انه أدركه ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم انه ان ظهر محمد وأحدهم حي يلزمه اتباعه وفي الحديث لو أدركني موسى ما وسعه الا اتباعي وحينئذ فالمعنى اتبعوا يا عبادي من أول الزمان لآخره أحسن كتاب أنزل اليكم من ربكم فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كلف به من بقي حيا حتى أدركه كالخضر والياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لأحسن فان ما أنزل الينا من ربنا كتب كثيرة وأحسنها القرآن وهذا كله على ما فهمه المفسر وقيل معنى أحسن ما أنزل اليكم الخ أي من القرآن وهو أوامره دون نواهيه أو عزائمه دون رخصه أو ناسخه دون منسوخه أو ما هو أعم والخطاب لخصوص هذه الامة فتدبر (قوله أن تقول نفس) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله بادروا واقبل ان تقول الخ وقدره غيره كراهة أو مخافة أن تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لأجله وهو أسهل مما قدره المفسر والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله يا حسرتي) أي فقلبت الياء ألفا فهي في محل جر وندأوها مجاز أي هذا أوانك فاحضري (قوله أي طاعته) أشار بذلك الى أن المراد بالجنب الطاعة مجازا لان الجنب في الاصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه لان الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وان كنت لمن الساخرين) الجملة حالية والمعنى فرطت في جنب الله وأنا ساخر (قوله أو تقول الخ) أو للتنويع في مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفي نسخة بالطاقة أي اسعافه ولو قال بالآيات لكان أظهر (قوله فأكون من المحسنين) اما معطوف على كرة فيكون من جملة التمني والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص نظير قول الشاعر

لولا توقع معتر فأرضيه * ما كنت أوثر أترابا على ترب

ويكون اضمار أن جائزا لا واجبا قال ابن مالك

وان على اسم خالص فعل عطف * تنصبه ان ثابتا أو منحذف

أو منصوب في جواب التمني و يكون مرتبا على التمني والفاء للسببية واضمار أن واجب (قوله فيقال له الخ) أي جوابا للمقالة الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودي فان الكافر أولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يتمنى الرجوع الى الدنيا ان قلت ان بلى يجاب بها النفي ولا نفي في الآية أجيب بأن الآية متضمنة للنفي لان معنى قوله لو أن الله هداني لم يهدني (قوله وهي سبب الهداية) أشار بذلك الى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل وأما ان أريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك الى أن المراد كذب يؤدي للكفر والافظاهر الآية يعم كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى كالافتاء بغير الشرع و رواية الحديث بالكذب (قوله وجوههم مسودة) الجملة حالية ان جعلت الرؤية بصرية أو مفعول ثان ان جعلت علمية (قوله أليس

(انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا) ارجعوا (الى ربكم وأسلموا) أخلصوا العمل (له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) بمنعه ان لم تتوبوا (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) هو القرآن (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) قبل اتيانه بوقته فبادروا واقبل (أن تقول نفس يا حسرتى) أصله يا حسرتي أي ندامتي (على ما فرطت في جنب الله) أي طاعته (وان) مخففة من الثقيلة أي واني (كنت لمن الساخرين) بدينه وكتابه (أو تقول لو أن الله هداني) بالطاعة أي فاهتديت (لكنت من المتقين) عذابه (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بلى قد جاءتك آياتي) القرآن وهي سبب الهداية (فكذبت بها واستكبرت) تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بنسبة الشريك والولد اليه (وجوههم مسودة أليس

فى جهنم مثوى) مأوى (للمتكبرين) عن الايمان بلى (وينجى الله) من جهنم (الذين اتقوا) الشرك (بمفازتهم) أى بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه (لايمسهم السوء ولاهم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل) متصرف فيه كيف يشاء (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (والذين كفروا بآيات الله) القرآن (أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمرونى بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بادغام وفك (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) والله (لئن أشركت) يا محمد فرضا (ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله) وحده (فاعبد وكن من الشاكرين) انعامه عليك (وما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره (والارض جميعا) حال أى السبع (قبضته) أى مقبوضة له أى فى ملكه وتصرفه (يوم القيامة والسموات مطويات) مجموعات (بيمينه) بقدرته (سبحانه وتعالى عما يشركون) معه

فى جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوههم (قوله اتقوا الشرك) أى جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الايمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصى وتقوى خواص الخواص عدم خطور الغير ببالهم (قوله بمفازتهم) الباء سببية متعلقة بينجى وفى قراءة سبعية أيضا بمفازاتهم جمعا باعتبار الاشخاص (قوله أى بمكان فوزهم) أى بمكان ظفرهم بمقصودهم والمعنى ينجى الله المتقين بسبب دخولهم فى مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لايمسهم السوء) يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم فلا محل لها من الاعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شئ) هذا دليل لما قبله ودخل فى الشئ الجنة وما فيها والنار وما فيها وحينئذ فلا مشارك لله فى خلقه (قوله له مقاليد السموات والارض) المقاليد جمع مقلاد أو مقليد والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف فى كل شئ فى السموات أو الارض وروى عن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لااله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولاحول ولاقوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها فتحت له (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله وينجى) أى فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتأمرونى) أى والاصل أتأمرونى بأن أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمرونى العامل فى عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أى مخففة مع فتح الياء لاغير وهذه النون نون الرفع كسرت للمناسبة واستغنى بها عن نون الوقاية (قوله بادغام) أى مع فتح الياء وسكونها وقوله وفك أى مع سكون الياء لاغير فالقراآت أربع سبعيات (قوله ولقد أوحى اليك الخ) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد أوحى الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ والمعنى أوحى اليك هذا الكلام (قوله فرضا) أى على سبيل التقدير وفرض المحال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الانبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك ان قلت كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم فما وجه افراد الخطاب أجيب بأن المعنى أوحى الى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الامير حلة أى كسا كل واحد منا حلة (قوله ليحبطن عملك) من باب تعب وقرئ شذوذا من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثانى وهو لئن أشركت والقسم الثانى وجوابه جواب عن القسم الاول وهو لقد أوحى وحذف جواب الشرط وهو ان أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاعبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله وكن من الشاكرين) أى على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لان الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقى النعم (قوله وما قدروا الله حق قدره) ان قلت ان مفهوم الآية يقتضى ان المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وقوله سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته انه لا يعلم الله الا الله فكيف الجمع بينهما أجيب بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها ولا شك ان المؤمنين عرفوه حق معرفته التى فرضت عليهم وهى تنزيهه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التى لم تفرض على العباد وهى معرفة الحقيقة والكنه فتدبر فتحصل أن العجز عن الادراك ادراك والبحث عن الذات اشراك ولم يكلفنا الله الا بأن ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى (قوله أو ما عظموه حق عظمته) مفهومه انهم عظموه لاحق تعظيمه وهو كذلك لانهم معترفون بأنه الاله الا كبر الخالق لكل شئ (قوله والارض جميعا الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة والمعنى ما عظموه حق تعظيمه والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الارض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أى فى ملكه وتصرفه) أشار بذلك الى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهرا أو باطنا بخلاف أمور الدنيا فان للعبيد فيها أملاكا ظاهرية وقيل انه كناية عن انعدامها

بالمرة وهو ظاهر ويقال في الطي مثل ذلك (قوله ونفخ في الصور الخ) التعبير في هذا وما بعده بالماضي لتحقق وقوعه أي لكونه واقعا في علم الله تعالى أزلا لان كل ما ظهر فهو جار في سابق علمه تعالى والنافخ اسرافيل و جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام والصور بسكون الواو في قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الارواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الارواح وتتصل باجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الارواح الى الموتى وشعبة في فم اسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق و جناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماه قد نزلتا عن الارض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الاولى) ظاهر المفسر أن النفخ مرتان نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية وقيل ان النفخ ثلاث مرات فالنفخة الاولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسجير البحار والناس أحياء والهون ينظرون اليها فتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهي المعنية بقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حيا حياة دنيوية وأما من كان حيا حياة برزخية فانه يغشى عليه والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتستريح الارض من الهول الذي حصل لها وفي تلك المدة تمطر السماء وتنبت الارض ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات (قوله مات) أي من كان حيا في الدنيا ويغشى على من كان ميتا من قبل لكنه حي في قبره كالانبياء والشهداء (قوله من الحور الخ) أي فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بمعنى الغشي والدهش موسى عليه السلام فانه لا يغشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لانه صعق في الدنيا في قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرهما) اى كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون بالنفخة الاولى وانما يموتون بين النفختين لما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا ونفخ في الصور الآية فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى قال هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول يا رب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني فيقول الله تعالى يا جبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أي بعد أربعين سنة على الصحيح وقرب نفخة القيام تأتي سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خاثرا كالمني فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم وكل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب فانه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فتركب عليه أجزاؤه فاذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ثم قام خلقا سويا وفي النفخة الثانية يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة والاعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة ان الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادي قوموا للعرض على الجبال فيقومون كما قال تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر الآية فاذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون براكب من رحمة الله كما قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ويمشي المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم كما قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي الآية الاخرى يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شذوذا بالنصب على الحال وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أي من الحساب والمرور على الصراط ودخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الارض بنور ربها) المراد بالارض الارض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أي حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما في الحديث سترون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضيء به

(ونفخ في الصور) النفخة الاولى (فصعق) مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) من الحور والولدان وغيرهما (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم) أي جميع الخلائق الموتى (قيام ينظرون) ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) حين يتجلى لفصل القضاء

(ووضع الكتاب) الاعمال للحساب (وجيء بالنبيين والشهداء) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ (وقضى بينهم بالحق) أى العدل (وهم لا يظلمون) شيأ (ووفيت كل نفس ماعملت) أى جزاءه (وهو أعلم) أى عالم (بما تفعلون) فلا يحتاج الى شاهد (وسيق الذين كفروا) بعنف (الى جهنم زمرا) جماعات متفرقة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) جواب اذا (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم) القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أى لأملأن جهنم الآية (على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى) مأوى (المتكبرين) جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم) بلطف (الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) الواو فيه للحال بتقدير قد (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) حالا (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها

الارض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى فى القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله (قوله وجيء بالنبيين والشهداء) أى وذلك ان الله تعالى يجمع الخلائق الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ماجاءنا من نذير فيسأل الله تعالى الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما كانوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله الله تعالى عن أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه اذ لا مشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج الى شاهد) أى لانه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها وانما الشهود وكتابة الاعمال لحكم عظيمة منها اقامة الحجة على من عاند وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله

والعرش والكرسى ثم القلم * والكاتبون اللوح كل حكم

لا لاحتياج وبها الايمان * يجب عليك أيها الانسان

(قوله وسيق الذين كفروا الخ) هذه الآية ومابعدها تفصيل لما أجمل فى قوله ووفيت كل نفس ماعملت (قوله بعنف) أى شدة لانهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من أمام بالسلاسل والاغلال (قوله الى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت سموا بذلك لان الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) أى فوجا فوجا كما فى آية كلما ألقى فيها فوج والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى اذا جاؤها) حتى ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل (قوله فتحت أبوابها) أى ليتلقون حرارتها بانفسهم (قوله جواب اذا) أى باتفاق (قوله رسل منكم) أى من جنسكم (قوله القرآن) أى بالنسبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وغيره أى بالنسبة لبقية الامم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الاشخاص فيكون نعيما وسرورا للمؤمنين وشدة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) اقرار بما وقع منهم وانما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعا فى النجاة فلما قامت الحجج عليهم وتحتم الامر بعذابهم رأوا أن الانكار لا فائدة فيه فأقروا وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم وتارة يقرون بألسنتهم (قوله على الكافرين) أظهر فى محل الاضمار اشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) أشار بذلك الى أن قوله خالدين حال مقدرة وذلك لانهم عند الدخول ليسوا خالدين وانما هم منتظرون ومقدرون الخلود (قوله فبئس مثوى المتكبرين) أظهر فى محل الاضمار اشارة الى بيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب وقوله جهنم هو المخصوص بالذم (قوله وسيق الذين اتقوا ربهم) أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله بلطف) أشار بذلك الى أن السوق فى الموضعين مختلف فسوق الكفار سوق اهانة وانتقام وسوق المؤمنين سوق تشريف واكرام وفى المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لانهم يذهبون راكبين فيسرع بهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين وهذا من بديع الكلام وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان فى حق جماعة وعلى العز والرضوان فى حق آخرين (قوله زمرا) أى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى اذا جاؤها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها ان أبواب السجن مغلقة الى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله جاؤها (قوله سلام عليكم) أى سلمتم من كل مكروه وقوله طبتم أى

طهرتم من دنس المعاصي لما وردانه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من احداهما فتطهر أجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (قوله وجواب اذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة وقيل ان جوابها قوله وفتحت والواو زائدة وقيل هو قوله وقال لهم خزنتها والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتكرمة خبره وكذا ما بعده (قوله وقالوا) أي بعد استقرارهم في الجنة (قوله الذي صدقنا وعده) أي حققه لنا في قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (قوله وأورثنا الارض) أي ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فأخذها أولاده ارثا لها منه وقيل المراد أورثنا أرض الجنة التي كانت للكفار لو آمنوا والاقرب ان المراد ملكنا اياها كالميراث فانه ملك بلا ثمن ولا شبهة لأحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لا يختار فيها مكان على مكان) أي بل يرضى كل انسان بمكانه الذي أعد له بحيث لو اطلق له الاختيار لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب وهذا جواب عما قيل كيف ذلك مع ان كل انسان له محل معد لا سبيل له الى غيره واجيب أيضا بأن المعنى يختار من منازله ما يشاء لما ورد ان كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسنا فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يخطر بباله غيرها (قوله فنعم أجر العاملين) هذا من كلام الله تعالى زيادة في سرور أهل الجنة وقوله الجنة هو المخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة في السرور لان رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم لاتحاد روحانيتهم مع الانس وأما في الدنيا ففزع لان النوع الانساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقربين (قوله حافين) أي محيطين مصطفين بحافته وجوانبه (قوله أي يقولون سبحان الله وبحمده) أي تلذذا لان منتهى درجاتهم الاستغراق في تسبيحه تعالى وتقديسه (قوله ختم استقرار الفريقين الخ) أي كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغي حمده في مبدا كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) أي بل ومن جميع الخلق فان جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويحمدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم

تم

وجواب اذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح الابواب قبل مجيئهم تكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها اليهم اهانة لهم (وقالوا) عطف على دخلوها المقدر (الحمد لله الذي صدقنا وعده) الجنة (وأورثنا الارض) أي أرض الجنة (نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) لانها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) حال (من حول العرش) من كل جانب منه (يسبحون) حال من ضمير حافين (بحمد ربهم) ملابسين للحمد أي يقولون سبحان الله وبحمده (وقضي بينهم) بين جميع الخلائق (بالحق) أي العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وقيل الحمد لله رب العالمين) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة

﴿تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة غافر﴾

فهرست الجزء الثالث من حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين

تمت

الجزء الرابع

من حاشية العالم العلامة العارف بالله
تعالى الشيخ أحمد الصاوى
المالكى على تفسير
الجلالين نفعنا الله
بهم أجمعين
آمين

طبع

على ذمة حضرة مصطفى أفندى فهمى

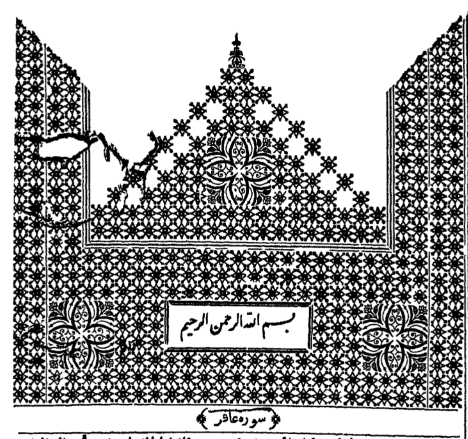
الكتبى وشريكيه

الطبعة الأولى

بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣١٩ هجريه

على صاحبها أفضل الصلاة

وأزكى التحية



﴿ سورة غافر ﴾

وتسمى سورة المؤمن لقوله في اثنائها وقال رجل مؤمن وسورة الطول لافتتاحها به في أوصاف الباري تعالى واعلم انه ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القرآن ومنها لكل شئ ثمرة وان ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم ومنها مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب ومنها لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم ومنها الحواميم سبع وأبواب النار سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فكل حم تقف يوم القيامة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني فتحصل انه يقال حواميم وآل حم وذوات حم خلافا لمن انكر الاول (قوله مكية) اى وكذا بقية الحواميم (قوله الا الذين يجادلون الخ) الصواب ان يقول الا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر الآيتين وأول الآية الثانية لخلق السموات والارض الآية لان هاتين الآيتين هما المدنيتان خلافا لما يوهمه المفسر (قوله خمس وثمانون) وقيل ثنتان وثمانون (قوله حم) بسكون الميم في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الميم وفتحها وكسرها فالاول على انه خبر لمحذوف والثاني على انه مفعول لمحذوف ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث أو شبه العجمة والثالث على انه مبني على الكسر مبتدأ خبره محذوف أى هذا محله مثلا (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا القول في مثل هذا الموضع أسلم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل مفاتح خزائنه وقيل اسم الله الاعظم وقيل مفاتح السور وقيل كل حرف منه يشير الى كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنان وهكذا لما روى أن اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لساننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بدء أسماء وفواتح سور (قوله العزيز) في خلقه) أشار الى انه من عز بمعنى قهر وغلب (قوله غافر الذنب) أى ماحيه من الصحف واعلم ان غافر وغفار وغفور صيغ نسب على الصحيح لان أوصافه تعالى لا تفاوت فيها بخلاف أوصاف الحوادث (قوله وقابل التوب) أتى بالواو اشارة الى انه

﴿ سورة غافر مكية الا الذين يجادلون الآيتين خمس وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه (غافر الذنب) للمؤمنين (وقابل التوب) لهم

تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير اذ يمكن محو الذنوب من غير توبة و يمكن قبول التوبة فى بعض الذنوب دون بعض (قوله مصدر) وقيل جمع توبة كدوم ودومة (قوله للكافرين) أى وأما العصاة وان عوقبوا فلا يعاملهم الله بالشدة (قوله أى الانعام الواسع) وقيل الطول بالفتح المن وقيل هو الغنى والسعة وكلها تر جع لما قال المفسر (قوله وهو موصوف على الدوام الخ) هذه العبارة جواب عما يقال ان الصفات الثلاثة التى هى غافر وقابل وشديد مشتقات واضافة المشتق لا تفيده تعريفا فكيف وقعت صفات للمعرفة التى هى لفظ الجلالة فأجاب المفسر بان محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام والا تعرف بالاضافة ونظيره ما قيل فى مالك يوم الدين وأجيب أيضا بان الكل ابدال وهو لا يشترط فيه التبعية فى التعريف (قوله لا اله الا هو) يصح أن يكون حالا لان الجمل بعد المعارف أحوال و يصح أن يكون مستأنفا (قوله اليه المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله (قوله ما يجادل فى آيات الله) أى فى ابطالها والطعن فيها وهذا هو الجدال المذموم وأما الجدال فى نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذى هو وظيفة الانبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح ومنه قوله تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن (قوله فلا يغررك تقلبهم الخ) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت انهم كفار فلا تحزن ولا يغررك امهالهم فانهم مأخوذون عن قريب وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم أيضا (قوله من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله ليأخذوه) أى يتمكنوا من اصابته بما أرادوه به (قوله أى هو واقع موقعه) أى فهو عدل منه سبحانه وتعالى (قوله وكذلك) أى كما وقع للامم السابقة (قوله حقت كلمت ربك) أى وجبت وثبتت والمعنى مثل ما وقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء يحصل لهؤلاء فى الآخرة وأكرامهم فى الدنيا بالنعم اغا هو ببركتك يا محمد (قوله بدل من كلمة) أى بدل كل من كل ان أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله انهم أصحاب النار أو بدل اشتمال ان فسرت الكلمة بقوله لأملأن جهنم الخ ولا شك ان الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله انهم أصحاب النار (قوله الذين يحملون العرش مبتدأ) أى الاسم الموصول مبتدأ ويحملون صلته وقوله ومن حوله اسم الموصول معطوف على الموصول قبله وحوله صلته والتقدير والذين حوله وليس معطوفا على الضمير فى يحملون لايهامه ان من حوله حامل أيضا واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية وورد أن لكل ملك منهم وجه رجل و وجه أسد و وجه ثور و وجه نسر وكل وجه من الاربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فينصدع وجناحان يصفق بهما بالهواء يروى ان أقدامهم فى تخوم الارض السفلى والارضون والسموات الى حجزهم ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون اطرافهم وهم أشد خوفا من أهل السابعة وأهلها أشد خوفا من أهل السادسة وهكذا والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا ويكسى كل يوم ألف لون من النور (قوله ومن حوله) أى وهم الكروبيون سادات الملائكة قال وهب ان حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء و يدبر هؤلاء يكبر فريق و يهلل فريق ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك اللهم و بحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك والخلق كلها اليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر ما بين جناحى أحدهم ثلثمائة عام وما بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه أربعمائة (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى لما ورد أن حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (قوله ببصائرهم) جواب عما يقال ان وصفهم بالتسبيح يغنى عن وصفهم بالايمان

مصدر (شديد العقاب) للكافرين أى مشدده (ذى الطول) أى الانعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة (لا اله الا هو اليه المصير) المرجع (ما يجادل فى آيات الله) القرآن (الا الذين كفروا) من أهل مكة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) للمعاش سالمين فان عاقبتهم النار (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب) كعاد وثمود وغيرهما (من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) يقتلوه (وجادلوا بالباطل ليدحضوا) يزيلوا (به الحق فأخذتهم) بالعقاب (فكيف كان عقاب) لهم أى هو واقع موقعه (وكذلك حقت كلمة ربك) أى لأملأن جهنم الآية (على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة (الذين يحملون العرش) مبتدأ (ومن حوله) عطف عليه (يسبحون) خبره (بحمد ربهم) ملابسين للحمد أى يقولون سبحان الله وبحمده (ويؤمنون به) تعالى ببصائرهم أى يصدقون بوحدانيته

(ويستغفرون للذين آمنوا) يقولون (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسع رحمتك كل شئ وعلمك كل شئ (فاغفر للذين تابوا) من الشرك (واتبعوا سبيلك) دين الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن) اقامة (التى وعدتهم ومن صلح) عطف على هم فى وأدخلهم أوفى وعدتهم (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) فى صنعه (وقهم السيآت) أى عذابها (ومن تق السيآت يومئذ) يوم القيامة (فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار (لمقت الله) اياكم (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون) فى الدنيا (الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين) اماتتين (وأحييتنا اثنتين) احياءتين لانهم نطفا أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) بكفرنا بالبعث (فهل الى خروج) من النار والرجوع الى الدنيا لنطيع ربنا (من سبيل) طريق وجوابهم لا (ذلكم) أى العذاب الذى أنتم فيه (بأنه) أى بسبب أنه فى الدنيا (اذا دعى الله وحده كفرتم) بتوحيده (وان يشرك به) يجعل له شريك (تؤمنوا) تصدقوا بالاشراك (فالحكم) فى تعذيبكم (لله العلى) على خلقه (الكبير) العظيم (هو الذى يريكم آياته) دلائل توحيده (وينزل لكم من السماء رزقا) بالمطر (وما يتذكر) يتعظ (الا من ينيب) يرجع عن الشرك (فادعوا الله) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) اخلاصكم منه (رفيع الدرجات) أى الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين فى الجنة (ذو العرش) خالقه (يلقى الروح) الوحى

فما فائدة ذكره عقبه فأجاب بأن التسبيح من وظائف اللسان والايمان من وظائف القلب فأفاد فائدة لم تكن فى الاول فذكره للاعتناء بشأنه (قوله ويستغفرون للذين آمنوا) أى يطلبون المغفرة لهم وحكمة طلبهم المغفرة لهم انهم تكلموا فى بنى آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم ففيه تنبيه على أن من تكلم فى غيره ينبغى له أن يستغفر له (قوله يقولون) أى فى كيفية الاستغفار لهم وهذه الجملة المقدرة حال من ضمير يستغفرون (قوله ربنا وسعت كل شئ الخ) قدم هذا بين يدى الدعاء توطئة له للاشارة الى انه ينبغى للانسان أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالاجابة ولا يتردد فى الدعاء فانه مانع من الاجابة (قوله رحمة وعلما) قدم الرحمة على العلم لان المقام للدعاء والرحمة مقصودة فيه بالذات والا فالعلم سابق عليها (قوله من الشرك) أى وان كان عليهم ذنوب (قوله واتبعوا سبيلك) أى بان آمنوا (قوله وقهم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه بان توفقهم لصالح الاعمال (قوله ومن صلح من آبائهم الخ) أى بأن مات على غير الكفر فيدخل فيه أهل الفترة والمجنون (قوله وأزواجهم) أى زوجاتهم لما ورد اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم فاذا اجتمع بأهله فى الجنة كان أكمل لسروره ولذته (قوله فى وأدخلهم) أى وهو أولى لانه يصير الدعاء لهم بالدخول صريحا بخلافه على وعدتهم فانه ضمنى (قوله وقهم السيآت) الضمير راجع للآباء والازواج والذرية (قوله يومئذ) أى التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق والتقدير يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار وهو يوم القيامة (قوله وذلك) أى ما ذكر من الرحمة ووقاية السيآت (قوله ان الذين كفروا) شروع فى ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النار اثر بيان انهم من أصحاب النار (قوله وهم يمقتون أنفسهم) أى يبغضونها ويظهرون ذلك على رؤس الاشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه مقتك يا نفسى فتقول الملائكة لهم وهم فى النار لمقت الله اياكم اذ أنتم فى الدنيا وقد بعث اليكم الرسل فلم تؤمنوا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم (قوله لمقت الله) أى بغضه والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب لان حقيقته محالة فى حق الله تعالى (قوله لانهم نطفا أموات) كذا فى بعض النسخ بنصب نطفا على الحال والمناسب أن يقول لانهم كانوا أو خلقوا نطفا فان الاماتة اعدام الحياة ابتداء أو بعد سبق الحياة (قوله ذلكم) مبتدأ وبأنه خبره والضمير للشان (قوله فالحكم لله) هذا من جملة ما يقال لهم فى الآخرة بدليل قوله فى تعذيبكم وأما قوله هو الذى يريكم آياته فكلام مستأنف منقطع عما قبله ويصح أن يكون الكلام تم بقوله وان يشرك به تؤمنوا وقوله فالحكم لله تفريع على ما تقدم كأنه قال اذا علمتم ان الخلق فريقان مؤمنون وكفار فلا تعترضوا فان الحكم لله أى القضاء بان هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار لله وحده الموصوف بكونه يريكم آياته فيعتبر بها من يشاء فيهتدى ويكذب بها من يشاء فيضل (قوله وينزل لكم) أى من أجلكم (قوله بالمطر) أى بسببه فان الماء سبب فى جميع الارزاق كما هو مشاهد (قوله فادعوا الله) يطلق الدعاء على الطلب حقيقة وليس مرادا هنا باجماع بقرينة ما قبله وما بعده وعلى العبادة مجازا كما هنا من باب تسمية الكل باسم جزئه لان الدعاء جزء من أجزاء العبادة وسميت العبادة دعاء لانه أعظم أجزائها لما فى الحديث الدعاء مخ العبادة (قوله مخلصين) حال من فاعل ادعوا وأشار بذلك الى أن الانسان مأمور بالعبادة ظاهرا وباخلاص قلبه من أنواع الشك والشرك الاكبر والاصغر فقوله من الشرك عام فى الشرك الاكبر وهو الكفر والاصغر وهو الرياء (قوله ولو كره الكافرون) مبالغة فيما قبله أى اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم هذا اذا رضى الكافرون بذلك بل ولو كرهوا وقاتلوكم ومانعوكم من عبادته (قوله أى الله عظيم الصفات) أشار بذلك الى أن رفيع صفة مشبهة خبر لمحذوف أى هو منزه فى صفاته عن كل نقص وقوله أو رافع أشار به الى ان فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل (قوله يلقى الروح)

(من أمره) أي قوله (على من يشاء من عباده لينذر) يخوّف الملقى عليه الناس ٥ (يوم التلاق) بحذف الياء وإثباتها يوم القيامة

أي الوحي سمي بذلك لأنه يسري في القلوب كسريان الروح في الجسد ولذا كان لا يطرأ على النبي
النسيان (قوله من أمره) بيان للروح أو حال منه أي قوله وقيل المراد بالأمر القضاء (قوله الملقى عليه)
هو فاعل الإنذار وهو كناية عن الموصول في قوله على من يشاء والمفعول الأول محذوف قدره المفسر
بقوله الناس والمفعول الثاني هو قوله يوم التلاق (قوله بحذف الياء) أي وصلا ووقفا وقوله وإثباتها
أي وصلا ووقفا أو وصلا فقط فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لتلاقي أهل السماء) علة لتسميته
يوم التلاق (قوله يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويكتب يوم هنا وفي الذاريات
في قوله يوم هم على النار يفتنون منفصلا لأن هم مرفوع بالابتداء فيهما فالمناسب القطع وأما في غير
هذين المحلين نحو يومهم الذي يوعدون يومهم الذي فيه يصعقون فيكتب موصولا لأن هم مجرور
فالمناسب وصله (قوله خارجون من قبورهم) أي ظاهرون لا يسترون بشيء لكون الأرض إذ ذاك
قاعا صفصفا لما في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا (قوله لا يخفى على الله منهم شيء) الحكمة في
تخصيص ذلك اليوم مع أن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا
استتروا بالحيطان مثلا لا يراهم الله وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم (قوله لمن الملك اليوم)
هذا حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه
قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك الخ (قوله بقوله تعالى) قيل في القيامة كما ورد يحشر
الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادي لمن الملك اليوم فيقول العباد
مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا وتلذذا ويقوله الكافرون
غما وانقيادا وخضوعا وقيل بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده فلا يرى غير
نفسه فيقول لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بعد أربعين سنة لله الواحد القهار لأنه بقي وحده وقهر خلقه
(قوله اليوم تجزى كل نفس الخ) إما من تتمة الجواب أو حكاية لما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق
(قوله لا ظلم اليوم) لا نافية للجنس ظلم اسمها واليوم خبرها (قوله في قدر نصف نهار) أي ولا يشغله
حساب أحد عن أحد بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب (قوله من أزف الرحيل) من باب تعب أي
دنا وقرب (قوله إذ القلوب) بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر وهو متعلق
بمحذوف قدره بقوله ترتفع (قوله الحناجر) جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى أو جمع حنجرة (قوله من
حميم) من زائدة في المبتدأ (قوله ولا شفيع يطاع) أي يؤذن له في الشفاعة فيقبل (قوله إذ لا شفيع
لهم أصلا) أي لا مطاع ولا غيره (قوله أي لو شفعوا الخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثاني (قوله يعلم خائنة
الأعين) خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر عنه برفيع وما بعده والإضافة على معنى من أي الخائنة
من الأعين (قوله بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه
غض بصره فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره (قوله وما تخفي الصدور)
أي عن العباد من خير وشر (قوله أي كفار مكة) يفسر للواو في يدعون (قوله بالياء والتاء) أي فهما
قراءتان سبعيتان (قوله لا يقضون بشيء) من باب التهكم بهم إذ الجماد لا يوصف بقضاء ولا بغيره (قوله
إن الله هو السميع البصير) وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم أي فيجازيكم بها (قوله أو لم يسيروا في
الأرض) لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال أو لم يسيروا
الخ وقوله كيف كان عاقبة الخ كيف خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على المفعولية
وقوله كانوا الخ جواب كيف والواو اسم كان والضمير للفصل وأشد خبرها (قوله فينظروا) ويجوز أن
يكون منصوبا في جواب الاستفهام وأن يكون مجزوما نسقا على ما قبله (قوله عاقبة الذين كانوا من
قبلهم) أي حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (قوله وفي قراءة منكم) أي
بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب (قوله وآثارا في الأرض) عطف على قوة (قوله من مصانع) أي
أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله وما كان لهم الخ) لهم خبر كان مقدم وواق اسمها

لتلاقي أهل السماء والأرض
والعابد والمعبود والظالم
والمظلوم فيه (يوم هم بارزون)
خارجون من قبورهم
(لا يخفى على الله منهم
شيء لمن الملك اليوم) يقوله
تعالى ويجيب نفسه (لله
الواحد القهار) أي لخلقه (اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت
لا ظلم اليوم إن الله سريع
الحساب) يحاسب جميع الخلق
في قدر نصف نهار من أيام
الدنيا لحديث بذلك (وأنذرهم
يوم الآزفة) يوم القيامة من
أزف الرحيل قرب (إذ القلوب)
ترتفع خوفا (لدى) عند
(الحناجر كاظمين) ممتلئين غما
حال من القلوب عوملت بالجمع
بالياء والنون معاملة أصحابها
(ما للظالمين من حميم) محب
(ولا شفيع يطاع) لا مفهوم
للوصف إذ لا شفيع لهم أصلا
فما لنا من شافعين أو له مفهوم بناء
على زعمهم أن لهم شفعاء أي
لو شفعوا فرضا لم يقبلوا (يعلم)
أي الله (خائنة الأعين)
بمسارقتها النظر إلى محرم (وما
تخفي الصدور) القلوب (والله
يقضي بالحق والذين يدعون)
يعبدون أي كفار مكة بالياء
والتاء (من دونه) وهم الأصنام
(لا يقضون بشيء) فكيف
يكونون شركاء لله (إن الله هو
السميع) لأقوالهم (البصير)
بأفعالهم (أو لم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم كانوا هم
أشد منهم) وفي قراءة منكم
(قوة وآثارا في الأرض) من
مصانع وقصور (فأخذهم الله) أهلكهم (بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) عذابه

بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق) بالصدق (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا) استبقوا (نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال) هلاك (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (وليدع ربه) ليمنعه مني (إني أخاف أن يبدل دينكم) من عبادتكم إياي فتتبعونه (وأن يظهر في الأرض الفساد) من قتل وغيره وفي قراءة أو وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال (وقال موسى) لقومه وقد سمع ذلك (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل هو ابن عمه (يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن) أي لأن (يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) به من العذاب عاجلا (إن الله لا يهدي من هو مسرف) مشرك (كذاب) مفتر (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين حال (في الأرض) أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله) عذابه إن قتلتم أولياءه (إن جاءنا) أي لا ناصر لنا (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى

مؤخر على زيادة من ومن الله متعلق بواق ومن فيه ابتدائية ومفعول واق محذوف قدره بقوله هذا انه وكان للاستمرار أي ليس لهم واق أبدا (قوله ذلك) أي أخذهم بسبب أنهم كانت الخ (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون وحكمة تكرارها وغيرها تسلية صلى الله عليه وسلم وزيادة في الاحتجاج على من كفر من أمته (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به نفس الآيات فالعطف مرادف وإنما التغاير باعتبار العنوانين وقيل المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بهما (قوله إلى فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء فإن فرعون كان ملكا وهامان وزيره وقارون صاحب الأموال والكنوز وإنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما في الكفر والتكذيب في آخر الأمر وإن آمن أولا فإن قوله آخرا دل على أنه مطبوع على الكفر كابليس (قوله فقالوا) نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر (قوله هو ساحر) أشار بذلك إلى أن ساحر خبر لمحذوف وكذاب عطف على ساحر والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله (قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا الخ) أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم فهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد فلما بعث الله موسى وعجز عن معارضته أعاد القتل في الأولاد ليمتنع الناس من الإيمان ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى وجعل كيدهم في نحورهم (قوله استبقوا نساءهم) أي بناتهم للخدمة (قوله هلاك) أي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا (قوله لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) في حكمة منعهم له عن قتله وجوه أولها أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره فكان صاحب سر فرعون وكان يتحيل في منع فرعون من قتله ثانيها أنهم منعوه من قتله احتقارا له فكانوا يقولون أنه ساحر ضعيف فإن قتلته قالت الناس أنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته ثالثها خوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالا رابعها اشتغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا من يشتغلوا به تعرضوا الرعايا هم (قوله وليدع ربه) اللام للأمر وهو أمر تعجيز في زعم فرعون (قوله فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون (قوله وفي قراءة أو الخ) تحصل أن القراآت أربع سبعيات رفع الفساد ونصبه مع الواو وأو (قوله وقال موسى إني عذت) بإدغام الذال في التاء وإظهارها قراءتان سبعيتان (قوله من كل متكبر) لم يسم فرعون بل ذكره في ضمن المتكبرين لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر (قوله وقال رجل مؤمن) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى قيض له من يخاصم عنه هذا اللعين قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي قال لموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك الخ وفي الحديث الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم وكان اسم الرجل حزقيل وقيل شمعان بفتح المعجمة توزن سلمان (قوله قيل هو ابن عمه) وقيل كان من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون (قوله أي لأن يقول الخ) أي لأجل هذا القول من غير تأمل وتفكر (قوله وقد جاءكم بالبينات) الجملة حالية من فاعل يقول (قوله بعض الذي يعدكم) أي إن لم يصبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه إن تعرضتم له بسوء (قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون فالأول معناه أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات ومن كان كذلك فلا يكون مسرفا كذابا فموسى ليس بمسرف ولا كذاب والثاني معناه أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الألوهية وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه (قوله يا قوم لكم الملك الخ) أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل (قوله حال) أي من الضمير في لكم (قوله قال فرعون) أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها (قوله أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي) أي فلا أظهر لكم

(وما أهديكم الا سبيل الرشاد) طريق الصواب (وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى يوم حزب بعد حزب (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) مثل بدل من مثل قبله أى مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم فى الدنيا ٧

(وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) بحذف الياء واثباتها أى يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لاهلها وبالشقاوة لاهلها وغير ذلك (يوم تولون مدبرين) عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله) أى من عذابه (من عاصم) مانع (ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل) أى قبل موسى وهو يوسف ابن يعقوب فى قول عمر الى زمن موسى أو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب فى قول (بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم) من غير برهان (لن يبعث الله من بعده رسولا) أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره (كذلك) أى مثل اضلالكم (يضل الله من هو مسرف) مشرك (مرتاب) شاك فيما شهدت به البينات (الذين يجادلون فى آيات الله) معجزاته مبتدأ (بغير سلطان) برهان (أتاهم كبر) جدالهم خبر المبتدأ (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك) أى مثل اضلالهم (يطبع) يختم (الله) بالضلال (على كل قلب متكبر جبار) بتنوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا) بناء عاليا (لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات) طرقها الموصلة اليها (فأطلع) بالرفع عطفا على أبلغ وبالنصب جوابا لابن

أمراوا كتم عنكم غيره (قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم الا الى طريق الهدى (قوله أى يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك الى أن قوله يوم الاحزاب مفرد فى معنى الجمع أى أيامها (قوله أى مثل جزاء الخ) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله عادة) تفسير للدأب والمعنى جزاء الامر الذى اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم (قوله وما الله يريد ظلما للعباد) أى فلا يعاقبهم بغير ذنب (قوله ويا قوم انى أخاف عليكم الخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوى شرع يخوفهم بالعذاب الاخروى (قوله بحذف الياء) أى فى الوصل والوقف وقوله واثباتها أى فى الوصل والوقف فالقرا آت أربع سبعيات وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فحذوفة لا غير (قوله وغير ذلك) من جملته ان ينادى ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وان ينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وان ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر يا ليتنى لم أوت كتابيه وان ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فهذه الامور كلها تقع فى هذا اليوم (قوله مدبرين عن موقف الحساب الى النار) أى لانهم اذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعوا الى مكانهم (قوله ما لكم من الله) الجملة حالية وقوله من عاصم مبتدأ ومن زائدة ومن الله متعلق بعاصم (قوله فما له من هاد) باثبات الياء وحذفها فى الوقف وبحذفها فى الوصل مع حذفها فى الخط على كل (قوله ولقد جاءكم يوسف الخ) المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن وقيل من كلام موسى (قوله عمر الى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين لان بين يوسف وموسى أربعمائة سنة فالصواب أن يقول عمر الى زمن فرعون فان فرعون أدركه وعمر الى أن أدرك موسى وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم يتعدى بالتضعيف (قوله أو يوسف بن ابراهيم) أى فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله الى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله فما زلتم فى شك) أى فما زالت أصولكم (قوله أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا دفعا لما يتبادر من ظاهر الآية انهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه بل كانوا كفارا به وانقيادهم له خوفا من سطوته بهم وطمعا فى جاهه الدنيوى (قوله الذين يجادلون الخ) من كلام الرجل المؤمن وقيل ابتداء كلام من الله تعالى (قوله أتاه) صفة لسلطان (قوله خبر المبتدا) هذا أحسن الاعاريب فى هذا المقام وقوله مقتا تمييز محول عن الفاعل أى كبر مقت جدالهم وعند ظرف لكبر ومقت الله اياهم سخطه وانزال العذاب بهم (قوله مثل اضلالهم) المناسب أن يقول مثل ذلك الطبع (قوله بتنوين قلب ودونه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومتى تكبر القلب الخ) أشار بذلك الى التوفيق بين القراءتين لانه يلزم من اتصاف القلب بالكبر اتصاف الشخص به لان القلب سلطان الاعضاء فمتى فسد فسدت (قوله لعموم الضلال جميع القلب) أى جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل فان قاعدتها انها اذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة تكون لعموم الافراد واذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الاجزاء وهنا قد دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الافراد وانما أريد هذا المعنى وان كان مخالفا للقاعدة للمبالغة فى وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها (قوله وقال فرعون) أى معرضا عن كلام المؤمن (قوله بناء عاليا) أى مفردا طويلا ضخما وتقدمت قصته فى سورة القصص (قوله طرقها) أى أبوابها الموصلة اليها وحكمة التكرار فى أسباب التفخيم والتعظيم أن الشئ اذا أبهم ثم وضح كان أدخل فى تعظيم شأنه (قوله عطفا على أبلغ) أى فيكون داخلا فى حيز الترجى (قوله بالنصب جوابا لابن) أى فهو منصوب بان مضمرة بعد الفاء كقوله

يا ناق سيرى عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

(الى اله موسى وانى لأظنه) أى موسى (كاذبا) فى ان له الها غيرى قال فرعون ذلك تمويها (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسار (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون)

باثبات الياء وحذفها (أهدكم سبيل الرشاد) تقدم (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يزول (وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس (يرزقون فيها بغير حساب) رزقا واسعا بلا تبعة (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز) الغالب على أمره (الغفار) لمن تاب (لا جرم) حقا (أنما تدعوننى اليه) لأعبده (ليس له دعوة) أى استجابة دعوة (فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا) مرجعنا (الى الله وأن المسرفين) الكافرين (هم أصحاب النار فستذكرون) اذا عاينتم العذاب (ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم (فوقاه الله سيئات ما مكروا) به من القتل (وحاق) نزل (بآل فرعون) قومه معه (سوء العذاب) الغرق ثم (النار يعرضون عليها) يحرقون بها (غدوا وعشيا) صباحا ومساء (ويوم تقوم الساعة) يقال (ادخلوا) يا (آل فرعون) وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء امر للملائكة (أشد العذاب) عذاب جهنم (و) اذكر (اذ يتحاجون) يتخاصم الكفار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزءا (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها)

وقيل انه منصوب فى جواب الترجى والقراءتان سبعيتان (قوله الى اله موسى) أى أنظر اليه وأطلع على حاله (قوله تمويها) أى تلبيسا وتخليطا على قومه والا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق فى جميع ما قاله (قوله وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (قوله بفتح الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقال الذى آمن) هو الرجل المؤمن وقيل المراد به موسى عليه السلام (قوله اتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله باثبات الياء وحذفها) أى وهما سبعيتان وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فهى محذوفة لا غير لانها من ياآت الزوائد (قوله تمتع يزول) أى تمتع قليل يسير لا بقاء له (قوله دار القرار) أى الثبات فلا تحول عنها (قوله من عمل سيئة) أى ولم يتب منها (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله بضم الياء الخ) أى وهما سبعيتان (قوله يرزقون فيها بغير حساب) أى وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها فهذا فى ابتداء الامر عند المحاسبة على الاعمال فاذا تم الحساب تفضل الله على عباده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله بلا تبعة) أى فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع ثمن بل يتنعمون نعيما خاليا من العلل صافيا من الكدر جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه (قوله ويا قوم مالى أدعوكم الخ) أتى بالواو فى النداء الأول والثالث لانه كلام مستقل مستأنف وتركها من الثانى لانه من تعلقات الكلام الاول والعطف يقتضى المغايرة وقوله مالى أى أى شئ ثبت لى فما مبتدأ والجار والمجرور خبر عنه وقوله أدعوكم حال والاستفهام للتعجب ومحط العجب هو قوله وتدعوننى الى النار كانه قال اعجب من هذه الحال ادعوكم الى النجاة والخير وتدعوننى الى النار والشر (قوله تدعوننى لاكفر الخ) هذا بدل من قوله تدعوننى الاول بدل مفصل من مجمل (قوله ما ليس لى به) أى بوجوده والمراد نفى المعلوم من أصله (قوله وأنا ادعوكم) راجع لقوله أدعوكم الى النجاة (قوله الى العزيز الغفار) أى الى عبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله لا جرم) لا نافية وجرم فعل ماض بمعنى حق وقوله أنما تدعوننى فاعله والمعنى حق و وجب عدم استجابة دعوة آلهتكم (قوله حقا) مفعول لمحذوف دل عليه لا جرم والمعنى حق ما تدعوننى اليه حقا وهى كلمة فى الاصل بمنزلة لا بد ثم تحولت الى معنى القسم (قوله أنما تدعوننى) ما اسم موصول فحقها ان تفصل من النون وانما وصلت بها تبعا للمصحف (قوله أى استجابة دعوة) أى لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى وقيل المعنى ليست له دعوة الى عبادته لان الأصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادة نفسها وفى الآخرة تتبرأ من عبادها (قوله ما أقول لكم) أى من النصيحة (قوله لما توعدوه) أى ففر هاربا الى جبل فارسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فاكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتله فرعون (قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد مكرهم وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضا (قوله قومه معه) أى ولم يصرح به لانه أولى منهم بذلك (قوله ثم النار) أتى بثم اشارة الى انه كلام مستأنف والنار مبتدأ وجملة يعرضون عليها خبره والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة على النار لما روى ان أرواح الكفار فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين وذلك عرضها (قوله ويوم تقوم الساعة) اما معمول لادخلوا أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا وعليه درج المفسر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا فعلى القراءة الأولى يكون المنادى على حذف ياء النداء وعلى الثانية يكون مفعولا لادخلوا (قوله عذاب جهنم) تفسير للاشد فانه أشد مما كانوا فيه لان ذلك عرض وهذا دخول واستيطان (قوله فيقول الضعفاء) تفصيل للتخاصم (قوله جمع تابع) كخدم وخادم (قوله دافعون) أشار بذلك الى ان مغنون مضمن معنى دافعون فنصب نصيبا ويصح أن يضمن معنى حاملون ومن النار صفة لنصيبا (قوله انا كل فيها) أى فلو استطعنا الدفع عن انفسنا

ان الله قد حكم بين العباد) فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) أى قدر يوم (من العذاب قالوا) أى الخزنة تهكما (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (قالوا بلى) أى فكفروا بهم (قالوا فادعوا) أنتم فانا لا نشفع لكافر قال تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) انعدام (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع) بالياء والتاء (الظالمين معذرتهم) عذرهم لو اعتذروا (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) الآخرة أى شدة عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) التوراة والمعجزات (وأورثنا بنى اسرائيل) من بعد موسى (الكتاب) التوراة (هدى) هاديا (وذكرى لأولى الالباب) تذكرة لاصحاب العقول (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) بنصر أوليائه (حق) وأنت ومن تبعك منهم (واستغفر لذنبك) ليستن بك (وسبح) صل متلبسا (بحمد ربك بالعشى) وهو من بعد الزوال (والابكار) الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون فى آيات الله) القرآن (بغير سلطان) برهان (أتاهم ان ما (فى صدورهم الا كبر) تكبر وطمع أن يعلوا عليك (ماهم ببالغيه فاستعذ) من شرهم (بالله انه هو السميع) لاقوالهم (البصير) باحوالهم ونزل فى منكرى البعث (لخلق السموات والارض)

أنفسنا فكيف ندفع عنكم (قوله ان الله قد حكم بين العباد) أى فلا يغنى أحد عن أحد شيأ (قوله وقال الذين فى النار) أى من الضعفاء والمستكبرين جميعا حين حصل لهم اليأس من تحمل بعضهم عن بعض (قوله لخزنة جهنم) أتى بالظاهر فى محل الضمير تقبيحا عليهم أو لبيان محلهم فيها (قوله يوما من العذاب) أى يخفف عنا شيأ من العذاب فى يوم وقوله أى قدر يوم أشار بذلك الى أنه ليس فى الآخرة ليل ولا نهار (قوله قالوا أولم تك تأتيكم الخ) المقصود من ذلك الزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم (قوله قالوا بلى) اتونا فكذبناهم وتقدم انهم قبل الدخول ينكرون وبعده يقرون (قوله فانا لا نشفع لكافر) أى لتحتم خلوده فى النار فالشفاعة لا تفيد شيأ (قوله انعدام) أى من الاجابة (قوله انا لننصر رسلنا) أى بالحجة والظفر على الاعداء وان وقع لهم بعض امتحان فالعبرة بالعواقب وغالب الامر (قوله ويوم يقوم الأشهاد) معطوف على قوله فى الحياة الدنيا والمعنى ننصرهم فى الدنيا والآخرة (قوله جمع شاهد) أى ويصح أن يكون جمع شهيد قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد (قوله وهم الملائكة) أى والانبياء والمؤمنون اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وأما الانبياء فانهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم وأما المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتشهد على باقى الأمم يوم القيامة (قوله يوم لا ينفع) بدل من يوم الاول (قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله لو اعتذروا) جواب عما يقال مقتضى الآية انهم يذكرون أعذارهم الا انها لا تنفعهم وحينئذ يكون بينها وبين الآية الأخرى وهى ولا يؤذن لهم فيعتذرون تناف فاجاب بان معنى لو اعتذروا فرضا لا تنفعهم معذرتهم فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير (قوله ولقد آتينا موسى الهدى) هذا مرتب على قوله انا لننصر رسلنا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد فهذا من النصر الدنيوى الموصل للنصر الأخروى (قوله من بعد موسى) أى الى نزول عيسى فاتاه الله الانجيل ناسخة لبعض أحكام التوراة (قوله الكتاب) لم يعبر عنه فى جانب بنى اسرائيل بالهدى كما عبر فى جانب موسى اشارة الى انه لم يكن هدى لجميعهم بل هدى لمن آمن وصدق ووبال لمن طغى وكفر (قوله هاديا) أشار بذلك الى أن هدى حال من الكتاب وكذا قوله وذكرى (قوله فاصبر ان وعد الله حق) هذا نتيجة ما قبله أى اذا علمت ان الله ناصر لرسله فى الدنيا والآخرة فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك (قوله واستغفر لذنبك) أى اطلب المغفرة من ربك لذنبك والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب جميعا صغائر أو كبائر قبل النبوة وبعدها على التحقيق كجميع الانبياء والى هذا أشار المفسر بقوله ليستن بك أى يقتدى بك وأجيب أيضا ان الكلام على حذف مضاف والتقدير واستغفر لذنب أمتك وانما أضيف الذنب له لانه شفيع لهم وأمرهم متعلق به فاذا لم يسع فى غفرانه فى الدنيا أتعبه فى الآخرة قال تعالى عزيز عليه ما عنتم وكل هذا تشريف لهذه الأمة المحمدية فقد تشرفت بامور منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها ومنها صلاة الله وملائكته عليها وغير ذلك وأجيب أيضا بان المراد بالذنب خلاف الأولى وسمى ذنبا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله صل) انما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله بعد بالعشى والابكار (قوله وهو من بعد الزوال) أى وفيه أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله والابكار أى وهو من الفجر الى الزوال وفيه صلاة واحدة وهى الصبح فلذلك قال الصلوات الخمس (قوله ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير الخ) بيان لتفصيل ان جدالهم ناشئ من الحقد الذى فى صدورهم وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم وما أعد لهم فى نظيره (قوله بغير سلطان أتاهم) وصف كاشف اذ يستحيل المجادلة فى آيات الله بسلطان (قوله ان فى صدورهم خبر ان (قوله ماهم ببالغيه) هذا وعد حسن من الله تعالى بان المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره وانما يجعل كيده فى نحره (قوله فاستعذ بالله) أى تحصن بالله من كيدهم والتجئ اليه فى دفع مكرهم (قوله انه هو السميع البصير) تعليل لما قبله (قوله لخلق السموات الخ) أى سبعا طباقا على هذا الوجه المشاهد (قوله

ابتداء) أى من غير سبق مثال (قوله أكبر) أى أعظم بحسب العادة والافالكل بالنسبة اليه تعالى لاتفاوت فيها بين الصغير والكبير بدأ واعادة (قوله ولكن أكثر الناس لايعلمون) أى والاقل يعلمه وهو من آمن (قوله فهم كالاعمى الخ) هذا نتيجة ماقبله وهو دخول على قوله ومايستوى الاعمى الخ (قوله ولا الذين آمنوا الخ) راجع للبصير وقوله ولا المسىء راجع لقوله الاعمى على سبيل اللف والنشر المشوش وهو من أنواع البلاغة (قوله فيه زيادة لا) أى للتوكيد لطول الكلام بالصلة (قوله قليلا ماتتذكرون) قليلا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق أى يتذكرون تذكرا قليلا وما زائدة لتوكيد القلة (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى تذكرهم قليلا) هكذا بالنصب على الحال والخبر محذوف والتقدير يحصل حال كونه قليلا (قوله لاريب فيها) أى لوضوح الأدلة على حصولها (قوله ولكن أكثر الناس لايؤمنون بها) أى جحدوا عنادا والاقل يؤمنون لقيام الدليل العقلى والشرعى على انه تعالى قادر على كل شىء وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا فلو جوز تخلفه للزم اما كذب خبره تعالى أو عجزه وكلاهما محال تنزه الله عنه (قوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء فى الأصل السؤال والتضرع الى الله تعالى فى الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة ومنه ماورد ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله اذا انقطع وقوله أستجب لكم أى أجبكم فيما طلبتم لما ورد اذا قال العبد يارب قال الله لبيك ياعبدى ان قلت ان قوله أستجب لكم وعد بالاجابة ووعده لايتخلف مع انه مشاهد ان الانسان قد يدعو ولا يستجاب له أجيب بان الدعاء له شروط فاذا تخلف بعضها تخلفت الاجابة منها اقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء بحيث لايحصل فى قلبه غير ربه وأن لايكون لمفاسد وأن لايكون فيه قطيعة رحم وأن لايستعجل الاجابة وأن يكون موقنا بها فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما أن يؤخرها له فالاجابة على مراده تعالى وحينئذ فالذى ينبغى للانسان ان يدعو الله تعالى و يفوض له الامر فى الاجابة ولذا ورد مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له فى الدنيا واما أن يؤخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت فما استجاب لى والدعاء من خصائص هذه الامة لما حكى عن كعب الاحبار قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن أمة قبلهم الا نبى كان اذا أرسل نبى قيل له أنت شاهد على أمتك وقال تعالى لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى ليس عليك فى الدين من حرج وقال تعالى لهذه الامة وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى ادعنى أستجب لك وقال لهذه الامة ادعونى أستجب لكم وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازا من اطلاق الخاص وارادة العام وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثانى وعبر عنها بالدعاء اشارة الى أن المقصود من العبادة الذل والخضوع والفقر والمسكنة والدعاء مشعر بذلك (قوله بقرينة مابعده) أى وهو قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى الخ فحصل ان فى الآية تفسيرين أحدهما حقيقة والثانى مجاز اختار المفسر الثانى لوجود القرينة و يصح ارادة الحقيقة لانها الأصل (قوله بفتح الياء وضم الخاء) أى والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى اذلاء فمن أنف واستكبر فى الدنيا ألبس ثوب الذل فى الآخرة ومن تواضع وتذلل فى الدنيا ألبس ثوب العز والفخر فى الآخرة فباب الذل والانكسار من أعظم الابواب الموصلة الى الله تعالى لما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى انه قال طرقت الابواب الموصلة الى الله تعالى فوجدتها مزدحمة الا باب الذل والانكسار وورد ان داود سأل ربه فقال يارب كيف الوصول اليك قال يا داود دع نفسك وتعال (قوله الله الذى جعل لكم الليل الخ) هذا من جملة الادلة على باهر قدرته تعالى كأنه قال لايليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله (قوله مجازى) أى عقلى من اسناد الشىء الى زمانه (قوله لذو فضل) أى جود واحسان (قوله ولكن أكثر الناس) أى وهم الكفار وكان حقا على الناس جميعهم ان يشكروا الله تعالى و يوحدوه (قوله ذلكم) الاشارة مبتدأ والله وربكم وخالق كل شىء ولا اله الا هو أخبار أربعة له (قوله فأنى تؤفكون) من الافك بفتح الهمزة وهو الصرف وأما الافك

ابتداء (أكبر من خلق الناس) مرة ثانية وهى الاعادة (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة (لايعلمون) ذلك فهم كالاعمى ومن يعلمه كالبصير (ومايستوى الأعمى والبصير و) لا (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهو المحسن (ولا المسىء) فيه زيادة لا (قليلا ماتتذكرون) يتعظون بالياء والتاء أى تذكرهم قليل جدا (ان الساعة لآتية لاريب) شك (فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون) بها (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم بقرينة مابعده (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جهنم داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجازى لانه يبصر فيه (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون) الله فلا يؤمنون (ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان

بالكسر فهو الكذب (قوله كذلك يؤفك الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن يا محمد فلا خصوصية لامتك بل من قبلهم كذلك (قوله أفك الذين) بضم الهمزة فعل ماض مبني للمجهول وأشار بذلك الى أن المضارع بمعنى الماضي وأتى به مضارعا استحضارا للصورة الغريبة (قوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله قرارا) أي محل قرار أي سكون مع كونها في غاية الثقل لا يمسكها الا قدرة الله تعالى (قوله فاحسن صوركم) أي صوركم أحسن تصوير حيث جعلكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الاعضاء تمشون على رجلين وجعل محل المواجهة من أعلى ومحل الاقذار من أسفل فسبحان الحكيم العليم (قوله ورزقكم من الطيبات) أي المستلذات ملبسا ومطعما ومركبا (قوله ذلكم) أي الفاعل لذلك كله واسم الاشارة مبتدأ والله وربكم خبران له (قوله هو الحي) أي الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء (قوله اعبدوه) تقدم انه أحد تفسيرين ويصح ارادة الآخر وهو السؤال والتضرع والمعنى اذا علمتم ان الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره فاسألوه في جميع ما تحتاجون لان خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره (قوله مخلصين) حال وقوله الدين مفعول للمخلصين والمعنى غير مشركين غيره لا ظاهرا ولا باطنا (قوله الحمد لله رب العالمين) يحتمل انه من كلام العباد فهو مقول لقول محذوف حال والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين فهو اشارة الى أن العبد لا يؤجر على الحمد ولا يعد به شكورا الا اذا كان موحدا وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثورا ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليما للعباد كيفية الحمد (قوله قل اني نهيت الخ) أمر الله تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك زجرا لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الادلة العقلية والنقلية (قوله لما جاءني) أي حين جاءني (قوله دلائل التوحيد) الادلة العقلية والنقلية (قوله وأمرت أن أسلم الخ) اما من الاسلام بمعنى الانقياد أو بمعنى الخلوص وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الاول أسلم أمري له وعلى الثاني اخلص قلبي من عبادة غيره تعالى (قوله هو الذي خلقكم من تراب الخ) لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهي الليل والنهار والارض والسماء وثلاثة من دلائل الانفس وهي التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكر هنا كيفية خلق الانفس ابتداء وانتهاء (قوله بخلق أبيكم آدم الخ) أي فالكلام على حذف مضاف ويصح ابقاء الكلام على ظاهره باعتبار ان أصل النطفة الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم من علقة) أي بعد مضي أربعين يوما (قوله ثم يخرجكم طفلا) اجمل هنا في المراتب وفصلها في سورة المؤمنون في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ أي فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العاري عن اللحم (قوله بمعنى اطفالا) انما أوله بالجمع لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها فان طفلا حال من الكاف في يخرجكم فالحال مفردة لفظا جمع معنى لان لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومن ذلك قوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا (قوله ثم يبقيكم لتبلغوا) أشار بذلك الى أن قوله لتبلغوا متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله يخرجكم (قوله ثم لتكونوا) معطوف على لتبلغوا (قوله بضم الشين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره اشارة الى أن قوله ولتبلغوا معطوف على محذوف وهما علتان والمعلول ما تقدم من الافعال الصادرة منه تعالى (قوله وقتا محدودا) أي وهو وقت الموت (قوله ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتبلغوا ويصح أن يكون معطوفا على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ولعلكم تعقلون (قوله هو الذي يحيي ويميت) هذا نتيجة ما قبله وقوله فاذا قضى أمرا مرتب على ما تقدم والمعنى من ثبت ان هذه أفعاله علم انه لا يعسر عليه شئ ولا يتوقف الا على تعلق ارادته به (قوله بضم النون) أي على انه خبر لمبتدا محذوف أي فهو يكون (قوله وفتحها) أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة في جواب الامر والقراءتان سبعيتان (قوله عقب الارادة التي هي معنى القول المذكور) والاوضح أن يقول وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الايجاد فالمعنى ان أراد ايجاد شئ وجد سريعا من غير توقف على شئ والا فكلام

(كذلك يؤفك) أي مثل افك هؤلاء افك (الذين كانوا بآيات الله) معجزاته (يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) سقفا (وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله لما جاءني البينات) دلائل التوحيد (من ربي وأمرت ان أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب) بخلق أبيكم آدم منه (ثم من نطفة) مني (ثم من علقة) دم غليظ (ثم يخرجكم طفلا) بمعنى أطفالا (ثم) يبقيكم (لتبلغوا أشدكم) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين (ثم لتكونوا شيوخا) بضم الشين وكسرها (ومنكم من يتوفى من قبل) أي قبل الاشد والشيخوخة فعل ذلك بكم لتعيشوا (ولتبلغوا أجلا مسمى) وقتا محدودا (ولعلكم تعقلون) دلائل التوحيد فتؤمنون (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا) أراد ايجاد شئ (فانما يقول له كن فيكون) بضم النون وفتحها بتقدير ان أي يوجد عقب الارادة التي هي معنى القول المذكور

(ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله) ١٢١ القرآن (أنى) كيف (يصرفون) عن الايمان (الذين كذبوا بالكتاب) القرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فسوف يعلمون) عقوبة تكذيبهم (اذ الاغلال في أعناقهم) اذ بمعنى اذا (والسلاسل) عطف على الاغلال فتكون في الاعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في ارجلهم أو خبره (يسحبون) أي يجرون بها (في الحميم) اي جهنم (ثم في النار يسجرون) يوقدون (ثم قيل لهم) تبكيتا (أين ما كنتم تشركون من دون الله) معه وهي الاصنام (قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلا نراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) انكروا عبادتهم اياها ثم احضرت قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها (كذلك) أي مثل اضلال هؤلاء المكذبين (يضل الله الكافرين) ويقال لهم أيضا (ذلكم) العذاب (بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق) من الاشراك وانكار البعث (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون في الفرح (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى) مأوى (المتكبرين فاصبر ان وعد الله) بعذابهم (حق فاما نرينك) فيه ان الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك (أو نتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا يرجعون) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) تفصيلا

المفسر يقتضي ان معنى الآية فاذا أراد ايجاد شئ فانما يريد ايجاده فيوجد وهذا لامعنى له (قوله ألم تر الى الذين يجادلون الخ) هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة وبيان لعاقبة أمرهم (قوله الذين كذبوا) اما بدل من الموصول قبله فهو في محل جر او في محل نصب أو رفع على الذم (قوله من التوحيد) أي وسائر الكتب والشرائع (قوله اذ بمعنى اذا) جواب عما يقال ان سوف للاستقبال واذ للماضي وحينئذ فلا يصح تعلق الماضي بالمستقبل فاجاب بانها مستعملة في الاستقبال مجازا والمسوغ الاشارة الى ان هذا الامر محقق وواقع (قوله عطف على الاغلال) أي وقوله في أعناقهم خبر عنهما (قوله أو مبتدأ الخ) أي وجملة يسحبون حال من الضمير المستكن في الظرف أو مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر كانه قيل فما حالهم فقيل يسحبون في الحميم (قوله أو خبره يسحبون) أي وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله بها فتحصل ان المعنى ان الاغلال والسلاسل تكون في أعناقهم ويسحبون في جهنم على وجوههم وهذا على الاعرابين الاولين وعلى الثالث فالمعنى ان الاغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم ويسحبون في جهنم وكل صحيح (قوله أي جهنم) وقيل الحميم الماء الحار (قوله يسجرون) أي يعذبون بانواع العذاب (قوله ثم قيل لهم) التعبير بالماضي لتحقق الوقوع (قوله أين ما كنتم) ترسم أين مفصولة من ما (قوله وهي الاصنام) تفسير لما (قوله بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) هذا في أول الامر يتبرؤن من عبادة الاصنام لرجائه ينفعهم فهو اضراب عن قوله ضلوا عنا وهذا قبل ان تقرن بهم آلهتهم (قوله ثم احضرت) جواب عما يقال ان حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فاجاب بانهم أولا تضل عنهم آلهتهم ويتبرؤن ثم تحضر وتقرن بهم (قوله ويقال لهم أيضا) أي توبيخا (قوله تتوسعون في المعاصي) أي تظهرون السرور في الدنيا بالمعصية وكثرة المال وضياعه في المحرمات فالمرح شدة الفرح وهو وان كان ذما في الكفار يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله فله من هذا الوعيد نصيب (قوله ادخلوا أبواب جهنم) عطف على قوله ذلكم الخ داخل في حيز القول المقدر (قوله فبئس مثوى المتكبرين) لم يقل فبئس مدخل المتكبرين لان الدخول لا يدوم وانما يدوم المثوى ولذا خصه بالذم (قوله فاصبر ان وعد الله حق) هذا تسلية من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووعد حسن بالنصر له على أعدائه (قوله بعذابهم) أي وسمي وعدا بالنظر لكونه نصرا للنبي فهو في الحقيقة وعد ووعيد (قوله فيه) خبر مقدم وان الشرطية مبتدأ مؤخر وقوله مدغمة حال من ان ولم يذكر المدغم فيه وهو ما الزائدة وقوله تؤكد معنى الشرط أي التعليق وقوله أول الفعل حال من ما الزائدة والمعنى حال كونها واقعة في أول فعل الشرط وقوله والنون تؤكد أي تؤكد الفعل فحذف المؤكد بالفتح وقوله آخره حال من النون أي حال كونها واقعة في آخر الفعل فتحصل ان هنا مؤكدين بالكسر وهما ما والنون ومؤكدين بالفتح وهما التعليق وفعل الشرط (قوله بعض الذي نعدهم) مفعول نرينك الثاني والكاف مفعول أول (قوله وجواب الشرط) أي الاول (قوله أو نتوفينك) عطف على قوله نرينك (قوله فالجواب المذكور للمعطوف فقط) أي ولا يصح ان يكون جوابا عن الأول لان من المعلوم ان جواب الشرط مسبب عن فعله ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم في الآخرة مسببا عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم تعذيبهم في الدنيا وفي الحقيقة قوله فالينا يرجعون دليل الجواب والجواب محذوف أيضا والتقدير فلا يفوتهم (قوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى يقول له انا قد أرسلنا قبلك رسلا وآتيناهم معجزات وجادلهم قومهم وصبروا على أذاهم فتأس بهم وقوله رسلا المراد بهم ما يشمل الانبياء (قوله منهم من قصصنا عليك) أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن وهم خمسة وعشرون (قوله ومنهم من لم نقصص عليك) أي لم نذكر لك قصصهم في القرآن تخفيفا ورحمة بامتك لئلا يعجزوا عن حفظه وبهذا التقدير اندفع ما قد يتوهم ان النبي صلى الله عليه وسلم مساو لامته في عدم علم ما عدا الخمسة والعشرين فتحصل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الانبياء

روى انه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) منهم (أن يأتي بآية الا باذن الله) لانهم عبيد مربوبون (فاذا جاء أمر الله) بنزول العذاب على الكفار (قضي) بين الرسل ومكذبيها

(بالحق وخسر هنالك المبطلون) أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك (الله الذي جعل لكم الانعام) قيل الابل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم (لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) من الدر والنسل والوبر والصوف (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) هي حمل الاثقال الى البلاد (وعليها) في البر (وعلى الفلك) السفن في البحر (تحملون ويريكم آياته فأي آيات الله) الدالة على وحدانيته (تنكرون) استفهام توبيخ وتذكيرأي أشهر من تأنيثه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) من مصانع وقصور (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فرحوا) أي الكفار (بما عندهم) أي الرسل (من العلم) فرح استهزاء وضحك منكرين له (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب (فلما رأوا بأسنا) أي شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله)

تفصيلا كيف لا وهم مخلوقون منه وصلوا خلفه ليلة الاسراء في بيت المقدس ولكنه من العلم المكتوم وانما ترك بيان قصصهم للامة رحمة بهم فلم يكلفهم الا بما يطيقون (قوله روى) في عبارة غيره قيل والصحيح ما روى عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا (قوله وما كان لرسول) أي ما صح وما استقام (قوله الا باذن الله) أي بارادته (قوله مربوبون) أي مملوكون والمملوك لا يستطيع ان يأتي بأمر الا باذن سيده وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهبا وغير ذلك مما تقدم تفصيله في سورة الاسراء (قوله فاذا جاء أمر الله) أي حكمه وقضاؤه والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم (قوله وخسر هنالك المبطلون) الحكمة في ختم هذه الآية بالمبطلون وختم السورة بالكافرون انه ذكر هنا الحق فكان مقابلته بالباطل أنسب وهناك ذكر الايمان فكان مقابلته بالكفر انسب (قوله أي ظهر القضاء الخ) دفع بذلك ما يقال انهم خاسرون من قبل يوم القيامة فأجاب بأن المراد ظهر الامر الذي كان مخفيا (قوله قيل الابل خاصة) أي لانها هي التي يوجد فيها جميع المنافع الآتية (قوله لتركبوا منها الخ) هذه الآية نظير قوله تعالى في النحل والانعام خلقها لكم فيها دفء الآية (قوله وعليها في البر الخ) افرد الحمل عما قبله لكونه مزية عظيمة وقرن بينها وبين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة حتى سميت الابل سفائن البر وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى وقال اركبوا فيها لما قيل ان سفينة نوح كانت مغطاة فظاهرها كباطنها فالخلق مظروفون فيها وما عداها فالشأن فيها انها غير مغطاة فالخلق على ظاهرها (قوله فأي آيات الله الخ) أي منصوب بتنكرون قدم لكونه له صدر الكلام (قوله وتذكيره أشهر من تأنيثه) أي فلم يقل أية آيات الله وذلك لان التفرقة في الاسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب وهي في أي اغرب لابهامها (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ والاستفهام انكاري وتقدم نظيره غير مرة (قوله كانوا أكثر منهم) كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها (قوله وآثارا) عطف على قوة (قوله من مصانع) أي اماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله والقصور) أي الاماكن المرتفعة (قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية (قوله فرح استهزاء) أي سخرية حيث لم يأخذوه بالقبول ويمتثلوا أمر الله ويجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (قوله أي العذاب) أي فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا فيستهزؤن بالعذاب الموعود به قال تعالى حكاية عن أهل مكة واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله فلما رأوا بأسنا) أي في الدنيا (قوله بفعل مقدر من لفظه) أي والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم (قوله التي قد خلت) أي مضت وسبقت (قوله وخسر هنالك الكافرون) أي وقت رؤيتهم العذاب (قوله تبين خسرانهم) أي ظهر ما كان خافيا وهو جواب عن سؤال مقدر كالذي قبله

سورة فصلت

مبتدأ وثلاث وخمسون آية خبر اول ومكية خبر ثان وتسمى أيضا سورة حم السجدة وسورة المصابيح وسورة السجدة (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة ان هذا القول اسلم (قوله من الرحمن الرحيم) خص هذين الاسمين اشارة الى ان نزول القرآن من أكبر النعم ولا شك ان النعم من مظهر تجلي الرحمة فالقرآن نعمة باقية الى يوم القيامة (قوله مبتدأ) أي وسوغ الابتداء به عمله في الجار والمجرور بعده على حد ورغبة في الخير خير (قوله كتاب خبره) أي وفصلت آياته نعت للخبر (قوله بينت بالاحكام) أي

نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (التي قد خلت في عباده) في الامم أن لا ينفعهم الايمان وقت نزول العذاب (وخسر هنالك الكافرون) تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ﴿سورة حم السجدة مكية ثلاث وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل من الرحمن الرحيم) مبتدأ (كتاب) خبره (فصلت آياته) بينت بالاحكام والقصص والمواعظ (قرآنا عربيا)

ميزت ووضحت لفظا ومعنى فاللفظ في أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق والمعنى كالوعد والوعيد والقصص والاحكام وغير ذلك من المعاني المختلفة فاذا تأملت في القرآن تجد بعض آياته متعلقا بذات الله وصفاته وبعضها متعلقا بعجائب خلقه من السموات والارض وما فيهما وبعضها متعلقا بالمواعظ والنصائح وغير ذلك قال البوصيري في ذلك المعنى

فلا تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسأم

(قوله حال من كتاب) أي كل من قرآنا وعربيا فتكون حالا مؤسسة ويصح أن يكون الحال لفظ قرآنا وعربيا صفته (قوله بصفته) أي الكتاب والمعنى أن المسوغ لمجيء الحال منه مع كونه نكرة وصفه بما بعده (قوله متعلق بفصلت) أي والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء (قوله يفهمون ذلك) أي تفاصيل آياته (قوله وهم العرب) أي وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم وأما غيرهم فلا يفهم القرآن الا بواسطتهم (قوله صفة قرآنا) ويصح أن يكونا حالين من كتاب وهذا على قراءة الجمهور وقرئ شذوذا على انه خبر لمحذوف أي هو بشير ونذير أو نعت لكتاب (قوله فاعرض أكثرهم) أي تكبرا وعنادا واستفيد منه ان الاقل لم يعرض بل خضع وانقاد وآمن وذلك كابي بكر واضرابه (قوله وقالوا) معطوف على فاعرض وقوله قلوبنا في أكنة جمع كنان وهو ما تجعل فيه السهام ويسمى جعبة بفتح الجيم ويجمع على جعاب (قوله مما تدعونا اليه) ما واقعة على التوحيد والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعوله (قوله وفي آذاننا وقر) شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم من حيث انها تمج الحق ولا تميل الى استماعه (قوله ومن بيننا وبينك حجاب) من لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ناشئ من جهتنا فلا نستطيع التوصل لما عندك والحجاب ناشئ من جهتك فلا تستطيع التوصل لما عندنا فنحن معذورون في عدم اتباعك لوجود المانع من جهتنا ومن جهتك (قوله خلاف) أي مخالفة في الدين (قوله فاعمل على دينك) أي استمر عليه وقوله اننا عاملون أي مستمرون على ديننا (قوله قل انما أنا بشر مثلكم) هذا رد لما زعموا من الحجاب كانه قال دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها لاني بشر من جنسكم تعرفون حالي وطبعي وأعرف حالكم وطبعكم فلست مغايرا لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين ولست بداع لكم الى شئ لا تقبله العقول والاسماع بل أنا داع لكم الى توحيد خالقكم وموجدكم الذي قامت عليه الادلة العقلية والنقلية (قوله فاستقيموا اليه) ضمنه معنى توجهوا فعداه بالى (قوله واستغفروه) أي مما أنتم عليه من سوء العقيدة وفيه اشارة الى ان الاستقامة لا تتم الا بالاستغفار والندم على ما مضى بحيث يكره ان يعود للكفر كما يكره الوقوع في النار (قوله وويل للمشركين) مبتدأ وخبر وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله الذين لا يؤتون الزكاة) انما خص منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة لان المال أخو الروح فاذا بذله الانسان في سبيل الله كان دليلا على قوته وثباته في الدين قال تعالى ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم الخ أي يثبتون أنفسهم ولذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف حديث العهد بالايمان بالمال وقاتل أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ففي هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة وتحضيض على أدائها وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد فان قلت على تفسير الجمهور يشكل بان الآية مكية والزكاة فرضت بالمدينة فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها والجواب أن المراد بالزكاة صرف المال في مراضي الله تعالى (قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ذكر تعالى وعد المؤمنين اثر وعيد المشركين جريا على عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله غير ممنون مقطوع) أي بل هو دائم مستمر بدوام الله وهذا أحد تفاسير في هذه الآية وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون به عليهم فلا يعدد الله ولا الملائكة عليهم النعم في الجنة ويطلبهم بشكرها لانقطاع التكليف بالموت وأيضا نفوس أهل الجنة مطهرة لا تزال تشكر الله تعالى

وان

حال من كتاب بصفته (لقوم) متعلق بفصلت (يعلمون) يفهمون ذلك وهم العرب (بشيرا) صفة قرآنا (ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) سماع قبول (وقالوا) للنبي (قلوبنا في أكنة) أغطية (مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) ثقل (ومن بيننا وبينك حجاب) خلاف في الدين (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) بالايمان والطاعة (واستغفروه وويل) كلمة عذاب (للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع

وان كان غير مطلوب منهم تلذذا وفرحا بنعم الله تعالى ولان الجنة دار ضيافة مولانا تعالى والكريم
لا يعدد نعمه على أضيافه (قوله قل أئنكم) قدم الاستفهام على التأكيد لان له صدر الكلام وهو
استفهام انكار وتشنيع وان واللام لتأكيد الانكار والمعنى أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم
العلوي والسفلي فكيف تجعلون له شريكا (قوله وادخال ألف الخ) المناسب ان يقول وتركه لان
القراآت السبعة هنا أربع لا ثنتان كما توهمه كلامه (قوله في يومين) قال ابن عباس ان الله خلق يوما
فسماه يوم الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء
ثم خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق
مواضع الانهار والشجر والقرى يوم الاربعاء وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفة يوم
الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا هو الصحيح وقد مشى عليه المفسر
وقيل ان مبدأ الخلق السبت (قوله وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون عطف سبب على مسبب
(قوله ذلك رب العالمين) اسم الاشارة عائد على الموصول وأتى بالخطاب مفردا اشارة الى ان المخاطب
فرد غير معين (قوله وجمع الخ) جواب عما يقال انه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله والجمع
لا بد أن يكون له افراد ثلاثة فأكثر فأجاب بانه جمع باعتبار أنواعه (قوله بالياء والنون) اشارة لسؤال
آخر فلو أتى بالواو لكان أوضح وحاصل هذا السؤال ان هذا الجمع خاص بالعقلاء والعالم غالبه غير
عاقل فأجاب بقوله تغليبا الخ (قوله مستأنف الخ) هذه العبارة في بعض النسخ وهي معترضة بانه
لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة ولا يقال انه وقع بين أجزاء صلة الموصول لانه يقال
الموصول قد استوفى صلته ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع فالاولى اسقاط هذه العبارة كما هو
في بعض النسخ وقوله للفاصل أي وهو قوله وتجعلون الخ فانه معطوف على تكفرون فليس من أجزاء
الصلة (قوله من فوقها) الحكمة في قوله من فوقها انه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لتوهم انها
هي التي أمسكتها عن النزول فجعل الله الجبال فوقها ليعلم الانسان ان الارض وما عليها ممسكة بقدرة
الله تعالى (قوله وقدر فيها أقواتها) قال محمد بن كعب قدر الاقوات قبل أن يخلق الخلق والابدان فخص
كل قوت بقطر من الاقطار وأضاف القوت الى الارض لكونه متولدا منها وناشئا فيها وذلك أنه تعالى
جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان أهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء الموجودة
في تلك البلدة وهكذا فصار ذلك سببا لرغبة الناس في التجارة واكتساب الاموال وجميع ما خلقه الله
لا ينقص عن حاجة المحتاجين ولو زادت الخلق اضعافا وانما ينقص توصل بعضهم اليه فلا يجد له
ما يكفيه وفي الارض اضعاف كفايته (قوله في تمام أربعة أيام) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف
مضاف دفعا لما يتوهم ان الايام ثمانية يومان في خلق الارض وأربعة في خلق الاقوات ويومان في خلق
السموات فينافي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والحكمة في تقدير هذه
المدة مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لمحة تعليم العباد التمهل والتأني في الامور والبعد من العجلة
(قوله في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها (قوله للسائلين) متعلق بسواء والمعنى مستوية للسائلين أي
جواب السائلين فيها سواء لا يتغير لسائل بزيادة ولا نقص (قوله قصد الى السماء) أي أراد والمعنى
تعلقت ارادته بخلق السموات (قوله وهي دخان) المراد به بخار الماء وذلك ان العرش كان على الماء
قبل خلق السموات والارض ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطرابا فأزبد وارتفع فخرج منه دخان
فارتفع وعلا فخلق منه السموات وأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الارض
(قوله فقال لها الخ) اختلف في قول الله للارض والسموات وجوابهما له فقيل هو حقيقة واجابتاه
بلسان المقال ولا مانع منه لان القادر لا يعجزه شئ فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا
ويؤيده ما روى انه نطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء محاذيها فوضع الله فيهما حرمة
وقيل انه معنى القول في حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وكلاهما كناية عن الطاعة والانقياد (قوله

(قل أئنكم) بتحقيق الهمزة
الثانية وتسهيلها وادخال
ألف بينها بوجهيها وبين
الاولى (لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين) الاحد
والاثنين (وتجعلون له أندادا)
شركاء (ذلك رب) مالك
(العالمين) جمع عالم وهو
ماسوى الله وجمع لاختلاف
أنواعه بالياء والنون تغليبا
للعقلاء (وجعل) مستأنف
ولا يجوز عطفه على صلة الذي
للفاصل الاجنبي (فيها رواسي)
جبالا ثوابت (من فوقها
وبارك فيها) بكثرة المياه
والزروع والضروع (وقدر)
قسم (فيها أقواتها) للناس
والبهائم (في) تمام (أربعة
أيام) أي الجعل وما ذكر معه
في يوم الثلاثاء والاربعاء (سواء)
منصوب على المصدر أي
استوت الاربعة استواء لا تزيد
ولا تنقص (للسائلين) عن
خلق الارض بما فيها (ثم
استوى) قصد (الى السماء
وهي دخان) بخار مرتفع (فقال
لها وللارض ائتيا) الى مرادي
منكما (طوعا أو كرها) في
موضع الحال أي طائعتين أو
مكرهتين (قالتا أتينا) بمن فينا
(طائعين)

فيه تغليب المذكر العاقل) أي حيث جمع جمعه (قوله فقضاهن) تفصيل لتكوين السماء (قوله أي صيرهما سبع سموات) أشار بذلك الى أن قضى مضمن معنى صير فسبع مفعول به (قوله وفيها خلق آدم) ظاهره ان آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السموات وهو خلاف المشهور من ان بين خلق آدم وخلقها الوفا من السنين وأجيب بان المراد انه خلق في مثل ذلك اليوم كما تقول ولد محمد يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين (قوله ووافق ماهنا الخ) أي بتقدير المضاف السابق والمشهور ان الايام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا فتكون الستة أيام بقدر ستة آلاف سنة ان قلت ان اليوم عبارة عن الليل والنهار وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل خلق السموات لا يعقل حصول اليوم فضلا عن تسميته بالاحد ونحوه أجيب بان الله تعالى قدر مقدارا خلق فيه الارض وسماه الاحد والاثنين ومقدارا خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والاربعاء وهكذا فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الاشياء * بقي شئ آخر وهو ان ماهنا يقتضي ان الارض خلقت قبل السموات فيخالف آية النازعات المفيدة ان الارض خلقت بعد السموات قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الى أن قال والارض بعد ذلك دحاها وأجيب بان الله تعالى خلق الارض أولا في يومين كربة ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحى الارض و بسطها فخلق الجميع في ستة أيام والدحي بعد ذلك فلا تناقض واستشكل ذلك الرازي وأجاب عنه بما لا طائل تحته (قوله وأوحى في كل سماء أمرها) الوحي كناية عن التكوين (قوله الذي أمر به من فيها الخ) وقيل المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلج (قوله بفعله المقدر) أي وهو معطوف على زينا (قوله ذلك) أي المذكور بتفاصيله (قوله فان أعرضوا) مرتب على قوله فيما تقدم قل أئنكم لتكفرون الخ والمعنى بين يا محمد لقومك طريق الرشاد وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك فان أعرضوا بعد اقامة الحجج وبيان الهدى فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الامم لانه جرت عادة الله تعالى ان لا يعذب أمة الا بعد طلوع شمس الحق لهم واعراضهم عنه وفي قوله أعرضوا التفات من خطابهم بقوله أئنكم الى الغيبة اشارة الى انهم كما أعرضوا حوزوا بالاعراض والالتفات من خطابهم لان الخطاب شأن من يرجى اقباله وهم ليسوا كذلك (قوله فقل أنذرتكم) عبر بالماضي اشارة الى تحققه وحصوله (قوله صاعقة) هي في الاصل الصيحة التي يحصل بها الهلاك أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد والمراد هنا العذاب المهلك وقرئ شذوذا صعقة بغير ألف مع سكون العين في الموضعين وقوله مثل صاعقة عاد وثمود التشبيه في مطلق الهلاك وان كان هلاك عاد وثمود عاما وهلاك هذه الامة خاص ببعض أفرادهم فهو تشبيه جزئي بكلي وبهذا اندفع ما قد يقال ان العذاب العام لا يأتي لهذه الامة لما ورد في الاحاديث الصحيحة من أمن الامة من ذلك وأجيب أيضا بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل وحينئذ فالمعنى أنتم ارتكبتم أمورا تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود (قوله اذ جاءتهم) ظرف لصاعقة الثانية والمعنى صعقتهم وقت مجيء رسلهم اليهم والضمير في جاءتهم عائد على عاد وثمود وقوله الرسل المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وادريس وشيث وآدم لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقي ومجيء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم لان كل رسول قد جاء بالتوحيد وتكذيب واحد تكذيب للجميع (قوله أي مقبلين عليهم) أي وهم هود وصالح وقوله ومدبرين عنهم أي وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح وهو لف ونشر مرتب (قوله أن لا تعبدوا الخ) يصح ان تكون ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية وكلام المفسر يشير للمعنيين الاولين حيث قدر الباء ولا ناهية في الاوجه الثلاثة ويصح أن تكون نافية أيضا في الوجه الثاني والفعل منصوب بان حذفت منه النون للناصب ولا النافية لا تمنع عمل ان في الفعل (قوله قالوا) أي عاد وثمود لهود وصالح (قوله لو شاء ربنا) أي انزال ملائكة بالرسالة

ففعول

فيه تغليب المذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته (فقضاهن) الضمير يرجع الى السماء لانها في معنى الجمع الآيلة اليه أي صيرها (سبع سموات في يومين) الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ماهنا آيات خلق السموات والارض في ستة أيام (وأوحى في كل سماء أمرها) الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) بنجوم (وحفظا) منصوب بفعله المقدر أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذلك تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه (فان أعرضوا) أي كفار مكة عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي عذابا يهلككم مثل الذي أهلكهم (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والاهلاك في زمنه فقط (أن) أي بان (لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل علينا ملائكة فانا بما أرسلتم به)

فمفعول شاء محذوف والمعنى لو شاء ربنا ارسال رسول لجعله ملكا لا بشرا وهذا توصل منهم لانكار الرسالة لزعمهم انها لا تكون للبشر (قوله على زعمكم) أى والا فهم ينكرون رسالتهما (قوله فأما عاد فاستكبروا فى الارض) أى تعظموا على أهلها واستعلوا فيها وهذا شروع فى حكايات ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الاجمال فى كفرهم (قوله من أشد منا قوة) أى فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوتنا قال ابن عباس ان أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا (قوله يجعلها) أى يضعها حيث شاء (قوله أولم يروا الخ) هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه مخوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم للتعجب من مقالتهم الشنيعة والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيقولون ذلك ولم يروا (قوله وكانوا بآياتنا يجحدون) ضمنه معنى يكفرون فعداه بالباء وهو معطوف على قوله فاستكبروا (قوله صرصرا) من الصر وهو البرد أو من الصرير وهو التصويت بشدة والمفسر جمع بينهما (قوله بكسر الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان قيل هما صفة مشبهة والسكون للتخفيف كأشر وفرح وقيل انه بالسكون مصدر وصف به (قوله مشؤمات) أى غير مباركات من الشؤم ضد اليمن وهو تفسير لكل من القراءتين وكانت آخر شوال صبح الاربعاء الى غروب الاربعاء التى تليها وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما قال ابن عباس ما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (قوله عذاب الخزى) أى العذاب الخزى فهو من اضافة الموصوف لصفته وقوله الذل وصف به العذاب مبالغة والا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب (قوله وأما ثمود فهديناهم) شروع فى ذكر أحوال الطائفة الثانية (قوله بينا لهم طريق الهدى) أى فالمراد بالهداية الدلالة لا الوصول بالفعل (قوله على الهدى) أى الايمان (قوله المهين) أى الموقع فى الاهانة والذل (قوله بما كانوا يكسبون) أى من الكفر وتكذيب نبيهم (قوله ونجينا الذين آمنوا) أى مع صالح وكانوا أربعة آلاف وتقدم فى الاعراف انه نجا من كان مع هود قال تعالى فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا أربعة آلاف أيضا كما تقدم لنا فى سورة هود (قوله واذكر يوم يحشر) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالياء) أى مع فتح الشين ورفع أعداء على أنه نائب فاعل (قوله وفتح الهمزة) أى من أعداء على انه مفعول والفاعل على كل هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله أعداء الله) المراد بهم كل من كان من أهل الخلود فى النار مطلقا من أول الزمان لآخره (قوله الى النار) المراد موقف الحساب وانما عبر عنه بالنار لانها عاقبة حشرهم (قوله يساقون) وفسره البيضاوى بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ولا ينافى ما قاله المفسر فان المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم (قوله زائدة) أى للتأكيد وانما أكده لانهم ينكرون مضمون الكلام (قوله شهد عليهم سمعهم الخ) أى بان يخلق الله فيها النطق والفهم والادراك كاللسان فتقر بما فعلته من المعاصى حقيقة وهو التحقيق وقيل النطق كناية عن ظهور المعاصى على تلك الجوارح كظهور النتانة على فروج الزناة ونحو ذلك وقيل النطق من غير فهم ولا ادراك عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ما تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرنى من الظلم فيقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبينها فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (قوله وجلودهم) المراد بها مطلق الجوارح فيكون من عطف العام على الخاص وقيل المراد بالجلود خصوص الفروج ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا فى شهادة الزنا وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على اتيان الزنا والاقرب الاول (قوله وقالوا لجلودهم) أى توبيخا وتعجبا من هذا الامر الغريب (قوله قالوا أنطقنا الله الخ) أى جوابا لهم واعتذارا عما صدر منهم (قوله ترجعون) أى تردون اليه بالبعث

على زعمكم (كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا) لما خوفوا بالعذاب (من أشد منا قوة) أى لا أحد كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أولم يروا) يعلموا (ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا) المعجزات (يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فى أيام نحسات) بكسر الحاء وسكونها مشؤمات عليهم (لنذيقهم عذاب الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد (وهم لا ينصرون) بمنعه عنهم (وأما ثمود فهديناهم) بينا لهم طريق الهدى (فاستحبوا العمى) اختاروا الكفر (على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) المهين (بما كانوا يكسبون ونجينا) منها (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله (و) اذكر (يوم يحشر) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أعداء الله الى النار فهم يوزعون) يساقون (حتى اذا ما) زائدة (جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) أى أراد نطقه (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون)

وعبر بالمضارع مع ان المقالة بعد الرجوع بالفعل لان المراد بالرجوع البعث وما يترتب عليه من العذاب الدائم والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم (قوله قيل هو) أي قوله وهو خلقكم الخ (قوله كالذي بعده) أي وهو قوله وما كنتم تستترون (قوله وموقعه) أي مناسبته قوله وهو خلقكم ووجه مناسبته له في المعنى انه يقرب من المقول من حيث ان القادر على الابداء والاعادة قادر على انطاقها (قوله وما كنتم تستترون) أي تستخفون من هؤلاء الشهود وهو لا يكون الا بترك الفعل بالكلية لانها ملازمة للانسان في حركاته وسكناته (قوله من أن يشهد) أشار بذلك الى ان قوله ان يشهد في محل نصب بنزع الخافض ويصح ان يكون مفعولا لاجله والتقدير مخافة ان يشهد الخ (قوله عند استتاركم) أي من الناس (قوله ان الله لا يعلم كثيرا) المراد به ما أخفوه عن الناس من الاعمال فظنوا ان علم الله مساو لعلم الخلق فكل ما ستروه عن الناس لا يعلمه الله (قوله وذلكم ظنكم الخ) اعلم ان الظن قسمان حسن وقبيح فالحسن ان يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والاحسان والخير ففي الحديث أنا عند ظن عبدي بي والقبيح ان يظن بالله نقصا في ذاته أو صفاته أو افعاله (قوله فأصبحتم من الخاسرين) نتيجة ما قبله (قوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم) ان قلت ان النار مأوى لهم صبروا أو لا فما وجه التقييد بالصبر وأجيب بان في الآية حذفا والتقدير فان يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم وانما حذف المقابل للعلم به لانه اذا كانت لهم النار مع الصبر فهي لهم مع عدمه بالاولى بخلاف الدنيا فان الانسان مع الصبر ربما تخف مصيبته او يعوض خيرا ومع عدمه يزاد فيها او يغضب الله عليه (قوله أي الرضا) وقيل العتبى الرجوع الى ما يحبون (قوله المرضيين) أي المرضي عليهم (قوله وقيضنا لهم) أي لكفار مكة ومعنى سببنا هيأنا وبعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض وهو قشر البيض على البيض (قوله فزينوا لهم) أي من القبائح (قوله ما بين أيديهم من أمر الدنيا الخ) وقيل ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا قال القشيري اذا أراد الله بعبد سوأ قيض له اخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك الشيطان وأشر منه النفس وبئس القرين يدعوه اليوم الى ما فيه الهلاك ويشهد عليه غدا واذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها وفي الحديث اذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه عنده وعن عائشة قالت اذا أراد الله بالوالي خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى (قوله وحق عليهم القول) أي ثبت وتحقق (قوله في أمم) حال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة أمم (قوله قد خلت) صفة لامم (قوله هلكت) المناسب ان يقول مضت (قوله انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب (قوله وقال الذين كفروا) أي من كفار مكة وانما قالوا ذلك لانه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصغي اليها المؤمن والكافر خافوا ان يتبعه الناس (قوله والغوا فيه) اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه وهو بفتح الغين في قراءة العامة من لغي كفرح وقرئ شذوذا بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث أنصت فقد لغوت (قوله باللغط) بسكون الغين وفتحها وهو كلام فيه جلبة واختلاط (قوله لعلكم تغلبون) أي في القول فاذا علمتموه سكت لانه لم يكن مأمورا حينئذ بقتالهم (قوله قال تعالى فيهم) أي في شأنهم (قوله الذين كفروا) أي استمروا على الكفر وماتوا عليه (قوله أي أقبح جزاء عملهم) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف دفعا لما قد يتوهم انهم يجزون بنفس عملهم الذي عملوه في الدنيا كالكفر مثلا والمعنى ان المستهزئين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم وفي هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط في حال قراءة القرآن ويشوش على القارئ ويخلط عليه

فانه

قيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بان القادر على انشائكم ابتداء واعادتكم بعد الموت احياء قادر على انطاق جلودكم واعضائكم (وما كنتم تستترون) عن ارتكابكم الفواحش من (ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) لانكم لم توقنوا بالبعث (ولكن ظننتم) عند استتاركم (ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم) مبتدأ (ظنكم) بدل منه (الذي ظننتم بربكم) نعت والخبر (أرداكم) أي أهلككم (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا) على العذاب (فالنار مثوى) مأوى (لهم وان يستعتبوا) يطلبوا العتبى أي الرضا (فما هم من المعتبين) المرضيين (وقيضنا) سببنا (لهم قرناء) من الشياطين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) بالعذاب وهو لأملأن جهنم الآية (في) جملة (أمم قد خلت) هلكت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لعلكم تغلبون) فيسكت عن القراءة قال الله تعالى فيهم (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي أقبح جزاء عملهم

فانه حرام باجماع ان لم يقصد ابطال النفع بالقرآن كراهة فيه والا فهو كافر (قوله ذلك) أى المذكور من الامرين كما قال المفسر (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى الكائنة أول اعداء والقراء ثان سبعيتان (قوله عطف بيان) هذا أحد أوجه فى اعرابها ويصح ان يكون بدلا من جزاء ورد بان البدل يصح حلول المبدل منه محله وهنا لا يصح لانه يصير التقدير ذلك النار ويصح ان يكون مبتدأ ولهم فيها دار الخلد خبره ويصح ان يكون خبر مبتدأ محذوف (قوله لهم فيها دار الخلد) فى الكلام تجريد وهو ان ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر موافقا له فى تلك الصفة على سبيل المبالغة فقد انتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد والمعنى ان الدار نفسها هى دار الخلد (قوله منصوب على المصدر بفعله المقدر) والتقدير يجزون جزاء (قوله بآياتنا) الباء اما زائدة أو ضمن يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء (قوله فى النار) حال من فاعل قال (قوله أرنا) أصله أرأينا فالراء فاء الكلمة والهمزة الثانية عينها والياء لامها حذفت الياء لبناء الفعل على حذفها ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها فسقطت الهمزة وصار وزنه افنا وهى بصرية فعدت بالهمزة للمفعول الثانى الذى هو الاسم الموصول ومفعولها الاول الضمير والمعنى صيرنا رائين بابصارنا الخ (قوله من الجن والانس) أى لان الشيطان على قسمين جنى وانسى كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقدم الجن لانهم أصل الضلال (قوله سنا الكفر والقتل) لف ونشر مرتب فقابيل قتل أخاه هابيل فهو أول من سن القتل وابليس أول من كفر بالله (قوله نجعلهما تحت أقدامنا) أى اما حقيقة فيكونان أشد عذابا منا فتشتفى قلوبنا أو هو كناية عن كونهم فى الدرك الاسفل (قوله ليكونا من الاسفلين) أى فى دركات النار (قوله ان الذين قالوا ربنا الله الخ) شروع فى بيان حال المؤمنين اثر بيان وعيد الكافرين والمعنى قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (قوله ثم استقاموا) أى ظاهرا وباطنا بان فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداموا على ذلك الى الممات قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (قوله عند الموت) أى أو عند الخروج من القبر ولا مانع من الجمع والمراد ملائكة الرحمة تأتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (قوله ان لا تخافوا) ان مخففة من الثقيلة أو مصدرية أو مفسرة وكلام المفسر يحتمل المعنيين الاولين والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل والحزن غم يلحقها لفوات نفع فى الماضى (قوله وأبشروا بالجنة) أى وهى دار الكرامة التى فيها من النعيم الدائم والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله التى كنتم توعدون) أى فى الكتب المنزلة وعلى ألسنة الرسل (قوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا الخ) يحتمل ان يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولى المؤمنين ومولاهم ويحتمل ان يكون من كلام الملائكة والمعنى كنا أولياءكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (قوله ما تدعون) من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الاول والمعنى لكم كل ما تشتهون وكل ما تطلبون ولو لم يكن مشتهى كالرتب العلية والفضائل السنية (قوله منصوب بجعل مقدرا) ويصح ان يكون حالا من قوله ما تدعون (قوله من غفور رحيم) متعلق بتدعون أو صفة لنزلا وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلا اشارة الى مزيد السرور لهم واكرامهم وانه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة ويتجلى لهم باوصاف الجمال دون أوصاف الجلال (قوله ومن أحسن قولا الخ) قيل نزلت هذه الآية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذى جمع تلك الاوصاف لان الداعين الى الله تعالى أقسام فمنهم الداعون الى الله بالتوحيد قولا كالاشعرى والماتريدى ومن تبعهما الى يوم القيامة وفعلا كالمجاهدين ومنهم الداعون الى الله تعالى بالاحكام الشرعية كالائمة الاربعة ومن على قدمهم ومنهم الداعون الى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب بحيث يكون دائما فى حضرة الله ليس فى قلبه سواه كالجنيد واضرابه من الصوفية أهل الحقيقة ومنهم من يدعو الى الله تعالى بالاعلام باداء الفرائض كالمؤذنين وهذه

(ذلك) العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله) بتحقيق الهمزة الثانية وابدالها واوا (النار) عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك (لهم فيها دار الخلد) أى اقامة لا انتقال منها (جزاء) منصوب على المصدر بفعله المقدر (بما كانوا بآياتنا) القرآن (يجحدون وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) أى ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل (نجعلهما تحت أقدامنا) فى النار (ليكونا من الاسفلين) أى أشد عذابا منا (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) بان (لا تخافوا) من الموت وما بعده (ولا تحزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) أى نحفظكم فيها (وفى الآخرة) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) تطلبون (نزلا) رزقا مهيأ منصوب بجعل مقدرا (من غفور رحيم) أى الله (ومن أحسن قولا) أى لا أحد أحسن قولا (ممن دعا الى الله)

الاقسام مجموعة فى النبى عليه الصلاة والسلام متفرقة فى أصحابه ثم انتقلت منهم الى من بعدهم وهكذا الى يوم القيامة لقوله فى الحديث الشريف لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك (قوله بالتوحيد) أى وفروعه وأعمالخصه لانه رأس الامور وأساسها (قوله وعمل صالحا) أى امتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعيا الى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولا ويؤثر فى القلوب وأما من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولا ولا يؤثر فى القلوب ولا تنبغى محبته قال العارف لاتصحب من لاينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وقال بعضهم

أتنهى الاناس ولاتنتهى * متى تلحق القوم يالكع
ويامجر السن أما تستحى * تسن الحديد ولاتقطع

فمن لم يؤثر كلامه فى نفسه فلا يؤثر فى غيره بالاولى قال بعضهم

ياأيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى * بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وبالجملة فالدعوة الى الله لاتنفع الا من قلب ناصح وأعظم الداعين الى الله تعالى الاولياء المسلكون الذين يوصلون الخلق الى طريق الحق وهم موجودون فى كل زمن غير انه لايجتمع بهم ولا يعرفهم الا من لحظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين الاولياء عرائس مخدرة ولايرى العرائس المجرمون نفعنا الله بهم أجمعين (قوله وقال اننى من المسلمين) أى تحدثا بنعمة ربه وفرحا بالاسلام (قوله ولا السيئة) يحتمل ان لا زائدة للتوكيد لان الاستواء لايكون من واحد بل من اثنين كانه قال لاتستوى الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر ويحتمل ان لا أصلية والمعنى لاتستوى مراتب الحسنات بل بعضها أعلى من بعض ولا تستوى مراتب السيئات بل بعضها أعلى من بعض فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات وهذا ما مشى عليه المفسر (قوله ادفع بالتى هى أحسن) أى حيث فعلت معك سيئة ادفعها بخصلة هى أحسن (قوله كالغضب بالصبر الخ) أى أعلى المراتب ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وقد كان هذا اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فاذا الذى بينك وبينه عداوة الخ) اذا الفجائية ظرف لمعنى التشبيه فعاملها معنوى مؤخر واغتفر تأخير عاملها المعنوى لانه يغتفر فى الظرف مالا يغتفر فى غيرها والذى مبتدأ وبينك خبر مقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول وكانه الخ خبر الموصول والمعنى فاذا فعلت مع عدوك ماذكر فاجأك فى الحضرة انقلابه وصيرورته مسابها فى المحبة للصديق الذى لم تسبق منه عداوة (قوله كانه ولى حميم) الحميم يطلق على الماء الحار وعلى القريب الذى تهتم لامره وهو المراد هنا (قوله فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولى الحميم فالولى القريب والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولى قال بعضهم فى وصفه

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(قوله فى محبته) هذا هو وجه الشبه (قوله اذا فعلت ذلك) أى الاحسان للعدو (قوله التى هى أحسن) الاوضح أن يقول وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (قوله ثواب عظيم) وقيل المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس (قوله واما ينزغنك الخ) المراد بالنزغ الوسوسة والمعنى وان يوسوس لك الشيطان بترك ماأمرت به فاستعذ بالله أى اطلب التحصن من شره ومن جملة وسوسته الغضب فانه ربما يحمله على

بالتوحيد (وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولاتستوى الحسنة ولا السيئة) فى جزئياتهما لان بعضهما فوق بعض (ادفع) السيئة (بالتى) أى بالخصلة التى (هى أحسن) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والاساءة بالعفو (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى فيصير عدوك كالصديق القريب فى محبته اذا فعلت ذلك فالذى مبتدأ وكأنه الخبر واذا ظرف لمعنى التشبيه (ومايلقاها) أى يؤتى الخصلة التى هى أحسن (الا الذين صبروا ومايلقاها الا ذو حظ) ثواب (عظيم وأما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) أى يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فاستعذ بالله) جواب الشرط وجواب الامر محذوف أى يدفعه عنك



ارتكاب منهي عنه فاذا حصل عنده فليدفعه بالاستعاذة فان لم يزل فليدفعه بالسكون ثم بالجلوس ان كان قائماً ثم بالاضطجاع ان كان جالساً فان لم يزل بعد ذلك ذهب من المكان الذي هو به (قوله انه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وفي هذه الآية دليل على استعمال التعوذات في الصباح والمساء لان الانسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية فلذلك ورد في الاحاديث وفي كلام العارفين كثرة التعوذ في هذين الوقتين فتدبر (قوله ومن آياته) خبر مقدم والليل وما عطف عليه مبتدأ مؤخر والمعنى ومن دلائل قدرته وانفراده بالالوهية الليل الخ أي ظهور كل من هذه الاربع (قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) خصهما بالذكر لان الكفار عبدوهما من دون الله (قوله أي الآيات الاربع) وانما عبر عنها بضمير الاناث مع ان غالبها مذكر والعادة تغليب المذكر لا العكس نظراً للفظ الآيات فان مفرده آية وهو مؤنث (قوله ان كنتم اياه تعبدون) أي تفردونه بالعبادة فاتركوا عبادة غيره (قوله فان استكبروا) أي تكبروا وعاندوا حيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله الهاً معبودا (قوله فالذين عند ربك) علة لجواب الشرط المحذوف والتقدير فلا تنعدم العباد لأن الذين الخ والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان فهو كما تقول عند الملك من الجند كذا وكذا (قوله يسبحون له بالليل والنهار) هذا من مجاراة الكفار والا فلو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شيء لما في الحديث يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيأ (قوله ومن آياته) خبر مقدم وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير ومن آياته رؤيتك الارض الخ (قوله يابسة) أي الارض الخاشعة هي الغبراء التي ليس بها نبات استعير لها حال الخاشع وهو الذل والتقاصر (قوله اهتزت وربت) أي تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة وارتفع ترابها وعلا فالآية باقية على أصلها خلافاً لمن قال ان فيها قلباً والتقدير ربت واهتزت (قوله لمحيي الموتى) أي يبعثهم (قوله ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون عن الاستقامة في الدين ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللغو والاكاذيب (قوله من ألحد ولحد) أشار بذلك الى ان هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعيا وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثيا من باب نفع والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه أميل الى ناحية منه (قوله فنجازيهم) أي بأعمالهم (قوله أم من يأتي آمنا) عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل أم من يدخل الجنة تصريحاً بحصول الامن لهم وانتفاء الخوف عنهم (قوله تهديد لهم) أي للكفار وزيادة مسرة للمؤمنين (قوله ان الذين كفروا الخ) خبر ان محذوف قدره المفسر بقوله نجازيهم وهو أحد أعاريب وهو أسهلها وقيل انه جملة لا يأتيه الباطل الخ والعائد محذوف والتقدير لا يأتيه الباطل منهم والمعنى لا يبلغون مرادهم فيه بل هو محفوظ منهم وقيل ان الخبر قوله ما يقال لك الخ والعائد محذوف والتقدير ما يقال لك في شأنهم وقيل غير ذلك (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كفروا (قوله وانه لكتاب عزيز) الجملة حالية من الذكر والمعنى كفروا بالقرآن حين جاءهم والحال انه كتاب يرد المعارض ويقهره قال البوصيري

كم جدلت كلمات الله من جدل * فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله منيع) فعيل بمعنى فاعل أي مانع المعارض عن الخوض فيه ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال (قوله أي ليس قبله كتاب يكذبه الخ) أي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع ليس بعده كتاب أصلا وليس قبله ما يقدح فيه وفي كلام المفسر لف ونشر مشوش فقوله ليس قبله راجع للخلق وقوله ولا بعده راجع لما بين يديه (قوله من حكيم) الحكيم هو الذي يضع الشيء في محله (قوله ما يقال لك الخ) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على ما يصيبه من أذى الكفار (قوله من التكذيب) أي من أجل حصوله ووقوعه (قوله ان ربك لذو مغفرة الخ) هذا هو المقول والمعنى ما يقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم الا قولا مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو ان ربك لذو مغفرة

(انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) أي الآيات الاربع (ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا) عن السجود لله وحده (فالذين عند ربك) أي فالملائكة (يسبحون) يصلون (له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت (وربت) انتفخت وعلت (ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ان الذين يلحدون) من ألحد ولحد (في آياتنا) القرآن بالتكذيب (لا يخفون علينا) فنجازيهم (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) تهديد لهم (ان الذين كفروا بالذكر) القرآن (لما جاءهم) نجازيهم (وانه لكتاب عزيز) منيع (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تنزيل من حكيم حميد) أي الله المحمود في أمره (ما يقال لك) من التكذيب (الا) مثل (ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة) للمؤمنين (وذو عقاب أليم) للكافرين

الخ (قوله ولو جعلناه قرآناً أعجمياً) لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (قوله لقالوا لولا فصلت آياته) أي بلسان نفهمه وهو لسان العرب وقوله أأعجمي الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم والمعنى انهم طلبوا أولا نزوله بلغة العجم فرد الله عليهم بقوله وقالوا لولا فصلت آياته أي جاءت بلغة العرب وأخبر الله تعالى أنه لو جاءهم بلغة العجم لادعوا التنافي بين كونه بلغة العجم وكون الجائي به عربيا وغرضهم بذلك انكار كون القرآن من عند الله على أي حال والأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري وأعجمي خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله اقرآن الخ وكذا قوله وعربي (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أي من غير ألف بينهما وقوله وقلبها ألفا أي ممدودة مدا لازما وهاتان قراءتان وقوله باشباع ودونه سبق قلم منه والصواب أن يقول وتسهيل الثانية باشباع ودونه فالاشباع هو ادخال ألف بين المحققة والمسهلة وعدمه هو ترك الاشباع وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضا وهي اسقاط الهمزة الاولى (قوله قل هو للذين آمنوا) أي صدقوا به وأذعنوا له (قوله وشفاء من الجهل) أي ومن الامراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية (قوله والذين لا يؤمنون) مبتدأ وفي آذانهم خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ الاول (قوله فلا يسمعونه) أي لوجود الحجاب على قلوبهم فلا يوفقون لاتباعه (قوله أي هم كالمنادى الخ) أي فالكلام فيه استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ واعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من ينادى من مكان بعيد والجامع عدم الفهم في كل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم (قوله لقضى بينهم) أي عجل لهم العذاب في الدنيا (قوله لفي شك منه) أي من أجل المخالفة وقوله مريب أي مورث شكا آخر (قوله فلنفسه عمل) أشار بذلك الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف ويصح أن يكون خبر المحذوف أي فعمله الصالح لنفسه والجملة على كل حال جواب الشرط ان جعلت من شرطية أو خبرها ان جعلت موصولة وكذا يقال في الجملة بعدها (قوله أي بذي ظلم) جواب عما يقال ان الآية لم تنف أصل الظلم وأجاب بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز أي منسوب للتمر والخبز ان قلت ان الظلم مستحيل على الله تعالى عقلا لانه التصرف في ملك الغير ولا ملك لأحد معه فكيف يتصور اثباته حتى يحتاج لنفيه أجيب بأن المراد بالظلم المنفي في الآية تعذيب المطيع لا حقيقة الظلم وانما سماه ظلما تفضلا منه واحسانا كان الله تعالى يقول لا أدخل أحدا النار من غير ذنب فان فعلت ذلك كنت ظالما وهو مستحيل على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة فتدبر (قوله اليه يرد علم الساعة) أي لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة وهذه الآية بمعنى قوله تعالى قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو فالمعنى تعيين وقت مجيئها لا يعلمه الا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله ان الله عنده علم الساعة (قوله لا يعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور والمعنى لا يفيد علمه غيره تعالى فلا ينافي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن ومن جملته وقت الساعة ولكن أمر بكتمانه فلا يفيد السائل عنه شيأ (قوله من ثمرة) المراد الجنس وقوله وفي قراءة أي وهي سبعية أيضا والجمع ظاهر (قوله جمع كم) بكسر الكاف أي وهو ما يغطي الثمرة من النور والزهر ويجمع أيضا على أكمة وكمام وأما ما يغطي اليد من القميص فبالضم وجمعه أكمام وقيل ما يغطي الثمرة بالضم والكسر وما يغطي اليد بالضم فقط (قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الخ) أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته وكونه ذكرا أو أنثى واحدا أو متعددا أو غير ذلك ويعلم وقت وضعه ومكانه (قوله الا بعلمه) استثناء مفرغ من عموم الاحوال والتقدير وما يحدث شئ من خروج ثمرة أو حمل حامل أو وضعها الا ملتبسا بعلمه فقد حذف من الاولين لدلالة الثالث عليه ان قلت قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف وبعض الكهنة والمنجمين أجيب بأن صاحب الكشف علمه بالهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط وأما الكهنة والمنجمون فعلمهم مستند

(ولو جعلناه) أي الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا لولا) هلا (فصلت) بينت (آياته) حتى نفهمها (أ) قرآن (أعجمي و) نبي (عربي) استفهام انكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا باشباع ودونه (قل هو للذين آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) ثقل فلا يسمعونه (وهو عليهم عمى) فلا يفهمونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة (لقضى بينهم) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) أي المكذبين به (لفي شك منه مريب) موقع في الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) عمل (ومن أساء فعليها) أي فضرر اساءته على نفسه (وما ربك بظلام للعبيد) أي بذي ظلم لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة (اليه يرد علم الساعة) متى تكون لا يعلمه غيره (وما تخرج من ثمرة) وفي قراءة ثمرات (من أكمامها) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف الا بعلمه (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم

لامر ظنية قد تصيب والغالب عليها الخطأ (قوله أين شركائي) أي بزعمكم وفيه تقريع وتهكم بهم (قوله
قالوا) أي يقولون وعبر بالماضي لتحقق الوقوع (قوله الآن) أشار بذلك الى أن المراد الانشاء لا الاخبار
عما سبق فالجملة خبر به لفظا انشائية معنى ويصح أن يراد الاخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة
اعلامهم به فأخبر وا وقالوا آذناك (قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون) أي غاب نفعهم عنهم فلا يشفعون
لهم ولا ينصرونهم وهذا في المحشر وأما في النار فيجمعون معهم (قوله من محيص) أي فرار ومهرب
من النار (قوله والنفي) أي وهو ما وقوله في الموضعين أي وهما ما منا وما لهم (قوله معلق عن العمل)
التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا والعامل المعلق هو آذن وظن (قوله وجملة النفي) أي في الموضعين
(قوله سدت مسد المفعولين) أي الاول والثاني لظنوا والثاني والثالث لآذنا فانه يتعدى لثلاثة كأعلم
وأرى والمفعول الاول الكاف (قوله لا يسأم الانسان) المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر (قوله
من دعاء الخير) المصدر مضاف لمفعوله (قوله وغيرهما) أي كالولد ونحوه من خير الدنيا (قوله فيؤوس
قنوط) خبران لمبتدا محذوف أي فهو قيل اليأس والقنوط مترادفان وجمع بينهما للتأكيد وقيل
اليأس قطع الرجاء من رحمة الله والقنوط اظهار آثاره على ظاهر البدن ويطلق اليأس على العلم كما
في قوله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا ويئس من باب فهم وقنط من باب جلس ودخل وطرب (قوله
وما بعده) أي وهو قوله ولئن أذقناه الى قوله للحسنى وأما قوله فلننبئن الخ تصريح في الكافرين لا يحتاج
للتنبيه عليه (قوله ليقولن هذا لي) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده
للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله أي بعملي) أي بما لي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير (قوله وما أظن الساعة قائمة)
أي تقوم (قوله ولئن رجعت الى ربي) أي كما تقول الرسل على فرض صدقهم وقد أكدت هذه الجملة
بأمور زيادة في التعنت منها القسم وان وتقديم الظرف والجار والمجرور (قوله فلننبئن الذين كفروا)
جواب لقول الكافر ولئن رجعت الخ (قوله الجنس) أي من حيث هو مسلما أو كافرا ولكنه مشكل
بالنسبة للكافر فانه تقدم انه عند مس الشر كان يؤسا قنوطا وهنا أفاد انه ذو دعاء عريض فيقتضي انه
راج فحصل بين الآيتين التناقض وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل
لكن الاوقات مختلفة فبعض الاوقات يكونون آيسين وبعض الاوقات يكونون راجين (قوله ونأى بجانبه)
بتقديم الالف على الهمزة بوزن قال وقوله وفي قراءة أي وهي سبعية أيضا وقوله بتقديم الهمزة أي على
الالف بوزن رمى والنون مقدمة على كليهما (قوله فذو دعاء عريض) أي فهو ذو دعاء (قوله كثير) أشار
بذلك الى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال أطال فلان الكلام وأعرض في الدعاء اذا أكثر
(قوله قل أرأيتم) رأى في الاصل علمية أو بصرية أطلق العلم أو الابصار وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر
ثم أطلق الاستفهام عن العلم أو الابصار وأريد منه طلب الأخبار ففيه مجازان (قوله كما قال النبي)
المناسب اسقاطه (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله أوقع هذا) أي قوله
ممن هو في شقاق بعيد (قوله سنريهم آياتنا في الآفاق) الضمير عائد على كفار مكة والمعنى سنري كفار
مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق جمع أفق كأعناق وعنق ويقال أفق بفتحتين كعلم وأعلام
(قوله من النيرات) أي الشمس والقمر والنجوم وقوله والاشجار والنبات أي والرياح والامطار
والجبال والبحار وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية (قوله وفي أنفسهم) أي بخلقهم أولا نطفا ثم
علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم بعد تمام مدتهم في البطون يخرجهم الى فضاء الدنيا ضعافا ثم يعطيهم القوة
شيأ فشيأ وهكذا واستشكل ظاهر الآية بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال مع انهم
مشاهدون هذه الآيات في الحال أجيب بأن الكلام على حذف مضاف والتقدير سنريهم عواقب
آياتنا وأسرارها ففيه وعد للمعتبر ووعيد لغيره لان حكمة هذه الآيات النظر والتأمل والاعتبار فمن اعتبر

أين شركائي قالوا آذناك
أعلمناك الآن (ما منا من
شهيد) أي شاهد بأن لك
شريكا (وضل) غاب
(عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون
(من قبل) في الدنيا من
الاصنام (وظنوا) أيقنوا (ما لهم
من محيص) مهرب من
العذاب والنفي في الموضعين
معلق عن العمل وجملة النفي
سدت مسد المفعولين
(لا يسأم الانسان من دعاء
الخير) أي لا يزال يسأل ربه
المال والصحة وغيرهما (وان
مسه الشر) الفقر والشدة
(فيؤس قنوط) من رحمة الله
وهذا وما بعده في الكافرين
(ولئن) لام قسم (أذقناه
آتيناه (رحمة) غنى وصحة (منا
من بعد ضراء) شدة وبلاء
(مسته ليقولن هذا لي) أي
بعملي (وما أظن الساعة قائمة
ولئن) لام قسم (رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى) أي
الجنة (فلننبئن الذين كفروا
بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ) شديد واللام في الفعلين
لام قسم (واذا أنعمنا على
الانسان) الجنس (أعرض
عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى
عطفه متبخترا وفي قراءة بتقديم
الهمزة (واذا مسه الشر فذو
دعاء عريض) كثير (قل
أرأيتم ان كان) أي القرآن
(من عند الله) كما قال النبي
كفرتم به من) أي لا أحد
(أضل ممن هو في شقاق
خلاف (بعيد) عن الحق أوقع
هذا موقع منكم بيانا لحالهم
(سنريهم آياتنا في الآفاق
أقطار السموات والارض من النيرات والنبات والاشجار (وفي أنفسهم

بهذه الآيات فقد سعد ومن تركه فقد شقي (قوله من لطيف الصنعة وبديع الحكمة) من ذلك ما خلقه
وأبدعه في نفس الانسان كالأكل والشرب يدخل من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين
مختلفين لا يختلط أحدهما بالآخر والبصر فانه ينظر به من السماء الى الأرض مسيرة خمسمائة عام
والسمع فانه يفرق به بين الاصوات المختلفة وغير ذلك وهذا ما قرر به المفسر الآية * وهناك احتمالات
أخر منها ان المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية والمراد بالآفاق فتح
القرى له ولخلفائه من بعده الذي لم يتيسر مثله لاحد من خلفاء الأرض قبلهم والمراد بأنفسهم فتح مكة
وملكهم وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده ومنها ان المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة والمراد
بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والاسر ومنها غير ذلك (قوله أولم يكف بربك الخ) الهمزة داخلة
على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أتحزن على انكارهم ومعارضتهم لك ولم يكفك ربك والاستفهام
انكاري والباء زائدة في الفاعل والمعمول محذوف تقديره يكفيك وأن وما دخلت عليه في تأويل
مصدر بدل من الفاعل بدل كل من كل والمعنى أتحزن على كفرهم ولم يكفك شهادة ربك وعليهم
والمفسر قرر الآية بتقرير آخر والمؤدى واحد حيث جعل الآية اخبارا عن حالهم وعليه فالمعنى ألم يعتبروا
اولم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب (قوله لانكارهم البعث) أي بألسنتهم
والمعنى ان الدليل لنا على كونهم في شك من لقاء ربهم انكارهم بألسنتهم للبعث ولا يقال ان عندهم جزما
في قلوبهم بعدم البعث لانا نقول لا دليل لهم عليه حتى يحصل الجزم بالأوهام ووساوس شيطانه والحجة
القطعية انما هي على البعث وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر (قوله الا انه بكل شئ محيط) تسلية له
صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على كفرهم فان الله محيط بكل شئ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ومن لازمه انه يجازيهم فلذلك قال المفسر فيجازيهم

﴿ سورة الشورى ﴾

بالتعريف وتسمى أيضا سورة شورى من غير تعريف وسورة حم عسق وسورة عسق وسورة حم سق
(قوله الا قل لا أسألكم عليه أجرا الخ) وقيل أول المدني ذلك الذي يبشر الله عباده وينتهي الى عليم
بذات الصدور وقيل فيها من المدني أيضا قوله والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل
(قوله حم عسق) أجمع القراء على أن حم مفصولة من عسق في الخط وعلى ان كهيعص متصلة
بعضها والحكمة في ذلك أن حم عسق فصلت لما قيل انهما اسمان للسورة وأيضا ليطابق سائر الحواميم
(قوله أي مثل ذلك الايحاء) أشار بذلك الى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة والمعنى
يوحي اليك والى الذين من قبلك ايحاء مثل ذلك الايحاء في المعنى لما ورد عن ابن عباس ليس من نبي
صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق ووجه المشابهة ان الموحى به في الكل يرجع لأمور ثلاثة
التوحيد والنبوة والبعث فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب (قوله يوحي اليك)
جمهور القراء على انه بالياء مبنيا للفاعل والله فاعله وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول ونائب الفاعل اما
ضمير عائد على كذلك أو الجار والمجرور وقوله الله العزيز الحكيم فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من
يوحيه فقيل يوحيه الله نظير يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال وقرئ شذوذا بالنون مبنيا للفاعل
ولفظ الجلالة بدل من الضمير في يوحي الواقع فاعلا (قوله وأوحي الى الذين من قبلك) أشار بذلك الى
أن يوحي مستعمل في حقيقته ومجازه فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن
حينئذ وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين (قوله فاعل
الايحاء) أي على قراءة الجمهور واما على قراءة البناء للمفعول فهو فاعل بفعل محذوف وعلى قراءة
النون فهو بدل من ضمير نوحي (قوله وهو العلي على خلقه) أي المنزه عن صفات خلقه (قوله
العظيم) أي المنفرد بالكبرياء والعظمة (قوله بالنون الخ) ظاهره ان القراآت أربع من ضرب

من لطيف الصنعة وبديع
الحكمة (حتى يتبين لهم أنه)
أي القرآن (الحق) المنزل
من الله بالبعث والحساب
والعقاب فيعاقبون على
كفرهم به وبالجائي به (أولم
يكف بربك) فاعل يكف (أنه
على كل شئ شهيد) بدل منه
أي أولم يكفهم في صدقك أن
ربك لا يغيب عنه شئ ما (ألا
انهم في مرية) شك (من لقاء
ربهم) لانكارهم البعث (ألا
انه) تعالى (بكل شئ محيط)
علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم

﴿ سورة الشورى مكية الا قل
لا أسألكم الآيات الأربع
ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(حم عسق) الله أعلم بمراده به
(كذلك) أي مثل ذلك
الايحاء (يوحي اليك و) أوحي
(الى الذين من قبلك الله)
فاعل الايحاء (العزيز) في
ملكه (الحكيم) في صنعه (له
ما في السموات وما في
الارض) ملكا وخلقا وعبيدا
(وهو العلي) على خلقه
(العظيم) الكبير (تكاد)
بالتاء والياء (السموات
ينفطرن) بالنون وفي قراءة
بالتاء والتشديد (من فوقهن)

أى تنشق كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ملابسين للحمد (ويستغفرون لمن فى الأرض) من المؤمنين (ألا ان الله هو الغفور) لأوليائه (الرحيم) بهم (والذين اتخذوا من دونه) أى الأصنام (أولياء الله حفيظ) محص (عليهم) ليجازيهم (وما أنت عليهم بوكيل) تحصل المطلوب منهم ما عليك الا البلاغ (وكذلك) مثل ذلك الايحاء (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر) تخوف (أم القرى ومن حولها) أى أهل مكة وسائر الناس (وتنذر) الناس (يوم الجمع) أى يوم القيامة تجمع فيه الخلائق (لا ريب) شك (فيه فريق) منهم (فى الجنة وفريق فى السعير) النار (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى على دين واحد وهو الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون)

اثنتين فى اثنتين وليس كذلك بل هى ثلاثة فقط سبعيات لان من قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز فى ينفطرن الوجهين ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ ينفطرن الا بالتاء مع التشديد (قوله أى تنشق كل واحدة) أى تسقط السابعة فوق السادسة والسادسة فوق الخامسة وهكذا الى أن تسقط الجميع فوق الارض فتنشق الارض وتخر الجبال هدا والتقييد بالفوقية أبلغ فى مزيد الهيبة والجلال (قوله فوق التى تليها) أشار بذلك الى أن الضمير فى فوقهن عائد على السموات ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين أو على الارضين لتقدم ذكر الارض (قوله من عظمته تعالى) أى فالسموات تكاد تنشق وتخر خوفا من الجلال الناشئ عن قولهم اتخذ الله ولدا يدل على ذلك ما تقدم فى سورة مريم (قوله والملائكة يسبحون الخ) هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بنى آدم (قوله من المؤمنين) أى والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله بدليل ما تقدم فى غافر فحمل المطلق على المقيد وقيل المراد مطلق الملائكة ومن فى الارض العموم فيشمل جميع الحيوانات والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء وكل صحيح ولذلك قال بعض العارفين أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين (قوله ألا ان الله الخ) ألا أداة استفتاح يؤتى بها للتأكيد ما بعدها وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة وأكد ذلك بألا الاستفتاحية وان والجملة الاسمية تفضلا منه واحسانا للاشارة الى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى الأصنام) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف والثانى هو قوله أولياء والمعنى والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يدل عليه الآية الأخرى وأما الاولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته فحبهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله لانهم الوسيلة لنا الى الله ورسوله وليست محبتنا لهم وتوسلنا بهم شركا الا اذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلا واعتقاد انهم يؤثرون بذواتهم فى نفع أو ضر خلافا للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا أن كل من توسل الى الله بأحد سواه فهو مشرك (قوله الله حفيظ) أى ضابط لهم ولاعمالهم فلا يغيب عنه شئ منها ولا يفلتون منه فهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) يصح أن يكون مفعولا مطلقا لاوحينا وقرآنا مفعول به والتقدير وأوحينا اليك قرآنا عربيا ايحاء كذلك واسم الاشارة عائد على الايحاء المتقدم فى قوله كذلك يوحى اليك الخ ويصح أن يكون مفعولا به وقرآنا حال والتقدير وأوحينا اليك مثل ذلك الايحاء حال كونه قرآنا عربيا (قوله أم القرى) سميت بذلك لانها أول بلد خلقها الله وشرفها ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ومن حولها) أى من كل جهة فهو مبعوث لسائر أهل الارض بل وأهل السماء وانما اقتصر على الانذار وان كان مبعوثا بالبشارة أيضا لانه فى ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى لان الخلق فى ذلك الوقت كفار (قوله يوم الجمع) هو المفعول الثانى والاول محذوف قدره المفسر بقوله الناس عكس الفعل الاول فانه ذكر المفعول الاول وحذف الثانى تقديره العذاب ففى الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله لا ريب فيه) حال من يوم الجمع (قوله فريق) اما مبتدأ فى كل خبره الجار والمجرور بعده والمسوغ للابتداء بالنكرة وقوعها فى معرض التفصيل وهو الأولى أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم (قوله فى الجنة) المراد بها دار الثواب فيعم جميع الجنان وقوله وفريق فى السعير المراد به دار العذاب بجميع طباقها فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين انسا وجنا والنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين انسا وجنا (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة والمعنى ان الامر كله لله ولا يسئل عما يفعل لحكمة سبقت بأن خلق جنة وخلق لها أهلا وخلق نارا وخلق لها أهلا (قوله وهو الاسلام) أى أو الكفر (قوله ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى بفضله واحسانه وهم فريق الجنة (قوله والظالمون) أى وهم فريق النار وهو مقابل قوله يدخل من يشاء فى رحمته وكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى غضبه وعدل عنه الى ما ذكر اشارة الى دفع توهم ان لهم شفيعا ونصيرا فى الآخرة وأما دخولهم فى

الغضب فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه (قوله الكافرون) تفسير للظالمون فالمراد بالظلم الكفر وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر فلهم نصير يدفع عنهم العذاب لما في الحديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي (قوله التي للانتقال) أي من بيان المسبب لبيان السبب فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب في دخولهم النار (قوله والهمزة للانكار) هذا أحد أوجه في أم المنقطعة وهو أنها تقدر ببل والهمزة ويصح تقديرها ببل وحدها أو الهمزة وحدها (قوله أي ليس المتخذون أولياء) أي فالنفي منصب على المفعول الثاني (قوله فالله هو الولي) أي المعبود بحق المتولي أمور الخلائق والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق الا الله تعالى ان قلت مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق ومقتضى آية الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون انه يتصف به المخلوق فكيف الجمع بينهما أجيب بأن معنى الولي هنا المعبود بحق وذلك لا يتصف به غيره تعالى وأما الولي في تلك الآية فمعناه المنهمك في طاعة الله تعالى المتولي الله أموره وتقدم ذلك (قوله والفاء لمجرد العطف) أي عطف ما بعدها على ما قبلها ورد بذلك على الزمخشري القائل ان الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولي قال أبو حيان لا حاجة الى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (قوله وما اختلفتم فيه من شيء) ما مبتدأ شرطية أو موصولة ومن شيء بيان لما وقوله فحكمه الى الله خبر المبتدا (قوله وغيره) أي كأمور الدنيا (قوله يفصل بينكم) أي فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (قوله ذلكم) اسم الاشارة مبتدأ أخبر عنه بأخبار أولها لفظ الجلالة وآخرها شرع لكم من الدين (قوله عليه توكلت) أي فوضت أموري (قوله مبدعهما) أي على غير مثال سابق (قوله جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم وقوله أزواجا أي نساء (قوله حيث خلق حواء من ضلع آدم) أي اليسرى وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها ومد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا حتى تصلي على محمد ثلاث مرات وفي رواية لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا أعطيها فقال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة فلما فعل ما أمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي اني زوجت أمتي حواء من عبدي آدم والضلع بوزن عنب وجمل فالضاد مكسورة واللام اما مفتوحة أو ساكنة وقوله ضلع من باب تعب اعوج ومن باب نفع مال عن الحق (قوله ومن الانعام أزواجا) أي أصنافا (قوله أي يكثركم بسببه) أشار بذلك الى أن في للسببية والضمير في فيه عائد على الجعل المأخوذ من جعل (قوله والضمير للاناسي) أي وهو الكاف في يذرؤكم (قوله بالتغليب) جواب عما يقال كيف جمع بين العاقل وغيره في ضمير واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال يذرؤكم ويذرؤها (قوله الكاف زائدة) أي للتأكيد وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر وهو أن ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال لأنه يصير التقدير ليس مثل مثله شيء فنفى المماثلة عن مثله فيثبت ان له مثلا ولا مثل له وأيضا يلزم عليه التناقض لأنه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل له تعالى محال فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة والتقدير ليس مثله شيء وهذا الجواب أسهل الأجوبة في هذا المقام وأجيب أيضا بأن مثل زائدة ورد بأن زيادة الأسماء غير جائزة وأيضا يلزم عليه دخول الكاف على الضمير وهو لا يجوز الا في الشعر وأجيب أيضا بأن المثل بمعنى الصفة وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شيء وأجيب أيضا بأن الكاف أصلية والكلام من قبيل الكناية كقولهم مثلك لا يبخل وليس لأخي زيد أخ فنفي المماثلة عن المثل مبالغة في نفيها عنه ولأن العرب تقيم المثل مقام النفس (قوله له مقاليد السموات والأرض) جمع مقلاد أو مقليد أو اقليد (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن وقوله وغيرهما أي كالجواهر المستخرجة من الأرض (قوله انه بكل شيء عليم) تعليل لما قبله (قوله شرع لكم) الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى بين لكم وجعل لكم دينا قويما واضحا تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل وهو تفصيل لما أجمل أولا في قوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك (قوله ما وصى به نوحا الخ) خص هؤلاء بالذكر لأنهم

الكافرون (ما لهم من ولي ولا نصير) يدفع عنهم العذاب (أم اتخذوا من دونه) أي الأصنام (أولياء) أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للانكار أي ليس المتخذون أولياء (فالله هو الولي) أي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم) مع الكفار (فيه من شيء) من الدين وغيره (فحكمه) مردود (الى الله) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب) أرجع (فاطر السموات والأرض) مبدعهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) حيث خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) ذكورا واناثا (يذرؤكم) بالمعجمة يخلقكم (فيه) في الجعل المذكور أي يكثركم بسببه بالتوالد والضمير للاناسي والانعام بالتغليب (ليس كمثله شيء) الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له (وهو السميع) لما يقال (البصير) لما يفعل (له مقاليد السموات والأرض) أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (انه بكل شيء عليم) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا)

هو أول أنبياء الشريعة (والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) هذا هو المشروع الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد (كبر) عظم (على المشركين ما تدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبي اليه) الى التوحيد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب) يقبل الى طاعته (وما تفرقوا) أى أهل الاديان في الدين بان وحد بعض وكفر بعض (الا من بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء (الى أجل مسمى) يوم القيامة (لقضى بينهم) بتعذيب الكافرين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم اليهود والنصارى (لفي شك منه) من محمد صلى الله عليه وسلم (مريب) موقع الريبة (فلذلك) التوحيد (فادع) يا محمد الناس (واستقم) عليه (كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) في تركه (وقل آمنت بما أنزل الله

أكابر الانبياء وأولوا العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المجددة فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد وأما من عداهم من الرسل انما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فمن بين نوح وابراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى وانما لم يذكر من قبلهم لانه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة لان آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش واستمر ذلك الامر الى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ولم يزل ذلك الامر يتأكد بالرسل ويتناصر بالانبياء واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا صلى الله عليه وسلم فقد تبين بهذا ان شرعنا معشر الامة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة (قوله هو أول أنبياء الشريعة) أى فهذا حكمة بداءته بنوح وأيضا المتقدم في الزمان (قوله والذي أوحينا اليك) أتى بالاسم الموصول الذي هو أصل الموصولات وعبر في جانبه صلى الله عليه وسلم بالايحاء تعظيما لشأنه وردا على المشركين المنكرين بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قالوا لست مرسلا (قوله أن أقيموا الدين) الاوضح أن أن تفسيرية بمعنى أى ويصح أن تكون مصدرية اما في محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو اقامة الدين أو في محل نصب بدل من مفعول شرع والمراد باقامة الدين تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه (قوله وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل وأما قوله والذي أوحينا اليك فهو أعم من ذلك فان المراد به جميع الشريعة أصولا وفروعا وانما اقتصر على التوحيد لانه رأس الدين وأساسه (قوله كبر على المشركين) أى شق عليهم (قوله من التوحيد) اقتصر عليه لانه عماد الدين والا فما يدعوهم اليه عام يشمل جميع الاصول والفروع (قوله الله يجتبي اليه) من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه وتخصيصه بالفيوضات الربانية (قوله من ينيب) ضمنه معنى يقبل أو يميل فعداه بالى (قوله وما تفرقوا) الضمير عائد على أهل الاديان المتقدمين من أول الزمان الى آخره كما قال المفسر والمراد باهل الاديان أمم الانبياء المتقدمين كأمة نوح وأمة هود وأمة صالح وغيرهم وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره ففي رواية عنه ان المراد بهم قريش والمراد بالعلم محمد بدليل قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وفي رواية عنه ان المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وفي رواية غيره ان المراد أمم الانبياء المتقدمين (قوله العلم بالتوحيد) أى بان قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل اليهم (قوله بغيا مفعول لاجله) أى تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر (قوله بتأخير الجزاء) أى الى يوم القيامة وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقى ولا لسعيد ان قلت ان كفار الامم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك أجيب بانه ليس بجزاء بل هو علامة الجزاء والخزى (قوله أورثوا) فعل مبنى للمفعول والفاعل الله تعالى (قوله وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورثوا الكتاب وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل والضمير في بعدهم عائد على أصولهم المتفرقين في الحق وقيل معنى من بعدهم من قبلهم ويكون الضمير حينئذ عائدا على مشركى مكة وقيل المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركو العرب والمراد بالكتاب القرآن والضمير في من بعدهم على اليهود والنصارى (قوله لفى شك) المراد به هنا مطلق التردد والتحير (قوله موقع الريبة) أى الشبهات والضلالات (قوله فلذلك) الجار والمجرور متعلق بادع والتقدير فادع الناس لذلك التوحيد الذي تقدم ذكره في قوله شرع لكم من الدين (قوله واستقم) الاستقامة لزوم المنهج القويم (قوله كما أمرت) أى من تقوى الله حق تقاته وعبادته حق العبادة ومن هنا شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شيبتني هود وأخواتها فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقوله كما أمرت الكاف بمعنى مثل والمعنى استقم استقامة مثل الذي أمرت به أى موافقة له (قوله ولا تتبع أهواءهم) أى حيث قالوا اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد الهك سنة

(قوله من كتاب) بيان لما والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى وهذه الآية بمعنى قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه الخ (قوله أى بأن أعدل) أشار بذلك الى أن اللام بمعنى الباء وان المصدرية مقدرة والفعل منصوب بها (قوله فكل يجازى بعمله) أى من خير وشر (قوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك الى أن هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وقيل ليست منسوخة بل المراد من الآية ان الحق قد ظهر والحجج قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال (قوله واليه المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله من خير وشر (قوله والذين يحاجون فى الله) الكلام على حذف مضاف والمعمول محذوف كما أشار لذلك المفسر (قوله من بعد ما استجيب له) أى من بعد دخول الناس فى دينه وأجابوا دعوته والسين والتاء زائدتان (قوله وهم اليهود) تفسير للموصول (قوله داحضة) من الادحاض وهو الازلاق يقال دحضت رجله أى زلقت والمراد هنا الابطال (قوله ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للملابسة (قوله والميزان العدل) أى وسمى العدل ميزانا لان الميزان يحصل به الانصاف والعدل فهو من تسمية المسبب باسم السبب وانزاله الامر به وقيل المراد بالميزان نفسه الذى يوزن به والمراد بانزاله انزال الالهام بعمله والامر بالوزن به وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينكم بكتاب الله (قوله وما يدريك) الاستفهام انكارى والمعنى لا سبب يوصلك للعلم بقربها الا الوحى الذى نزل عليك (قوله أى اتيانها) قرب قدر المضاف ليصح الاخبار بالمذكر عن المؤنث (قوله ولعل معلق للفعل عن العمل) التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا بسبب توسط أداة لها صدر الكلام (قوله أو ما بعده سد مسد المفعولين) أى الثانى والثالث وأما الاول فهو الكاف ويتعين جعل أو بمعنى الواو (قوله الذين لا يؤمنون بها) أى فلا يشفقون منها وقوله والذين آمنوا مشفقون منها أى فلا يستعجلون بها ففى الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله أنها الحق) أى كائنة وحاصلة لا محالة (قوله فى الساعة) أى فى اتيانها (قوله لفى ضلال بعيد) أى عن الاهتداء (قوله الله لطيف بعباده) أى حفى بهم وقيل بار بهم وقيل رفيق بهم وقيل معناه لطيف بهم فى العرض والمحاسبة وقيل يلطف بهم فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره وقيل اللطيف من اذا لجأ اليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه وفى الحديث ان الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل انمحقت آثارهم واضمحلت صورهم وبقى عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم وقيل اللطيف الذى ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب ومنه حديث يامن أظهر الجميل وستر القبيح وقيل هو الذى يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذى يجبر الكسير وييسر العسير وقيل هو الذى لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذى يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذى لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذى لا يرد سائله ولا يؤيس آمله وقيل هو الذى يعفو عمن يهفو وقيل هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذى أوقد فى أسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجا وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعانى الاسماء الجمالية فينبغى للعاقل الاكثار من ذكره سيما اذا قصد بذكره رضا ربه فان له السعادة دنيا وأخرى ويكفى همومهما الماورد اعمل لوجه واحد يكفك كل الاوجه (قوله من كل منهم) بيان لمن والمعنى ان الذى يشاء رزقه هو كل منهم (قوله من كان يريد حرث الآخرة الخ) الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويطلق على الزرع الحاصل منه ثم استعمل فى ثمرات الاعمال ونتائجها على سبيل الاستعارة حيث شبهت ثمرات الاعمال بالغلال الحاصلة من البذر بجامع حصول العمل والتعب فى كل فان من أتعب نفسه أيام البذر واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد كذلك من أتعب نفسه فى الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربه فانه يجد ثمرات أعماله فى الآخرة ومنها هنا حديث الدنيا

من كتاب وأمرت لاعدل) أى بأن أعدل (بينكم) فى الحكم (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فكل يجازى بعمله (لا حجة) خصومة (بيننا وبينكم) هذا قبل أن يؤمر بالجهاد (الله يجمع بيننا) فى المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) المرجع (والذين يحاجون فى) دين (الله) نبيه (من بعد ما استجيب له) بالايمان لظهور معجزته وهم اليهود (حجتهم داحضة) باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل الكتاب) القرآن (بالحق) متعلق بأنزل (والميزان) العدل (وما يدريك) يعلمك (لعل الساعة) أى اتيانها (قريب) ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) يقولون متى تأتى ظنا منهم أنها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون) يجادلون (فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده) برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم (يرزق من يشاء) من كل منهم ما يشاء (وهو القوى) على مراده (العزيز) الغالب على أمره (من كان يريد) بعمله (حرث الآخرة) أى كسبها وهو الثواب (نزد له فى حرثه) بالتضعيف فيه

مزرعة للآخرة وهذه الآية عامة لبيان حال المخلص في عمله لوجه الله والذي يطلب بعمله اعراض الدنيا ذكرا أو أنثى لان من من صيغ العموم وقوله بعمله المراد به خدمته في الدنيا صلاة أو صوما أو غيرهما كالسعي على العيال وحينئذ فالمدار على النية الحسنة انها تصير العادات عبادات (قوله الحسنة) منصوب بالمصدر الذي هو التضعيف (قوله ومن كان يريد حرث الدنيا الخ) أي بعمله وخدمته والمعنى من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها نعطيه ما قسم له منها وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضي ربه ويقصد بعمله وجه خالقه وسيده يحصل له غنى الدنيا والآخرة ومن معنى هذه الآية حديث انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وحديث أوحى الله الى الدنيا يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه (قوله ما قسم له) مفعول نؤته (قوله وماله في الآخرة من نصيب) أي حظ في النعيم * واعلم أن المقام فيه تفصيل فان تجرد عمله للدنيا وعدم السعي فيها على الايمان فهو مخلد في النار وليس له في الآخرة نعيم أصلا وأما ان كان التفريط فيما عدا الايمان كأن يرائي بعمله قصدا لطلب الدنيا فهو مسلم عاص له نعيم في الآخرة غير كامل (قوله أم لهم شركاء) قدرها المفسر ببل التي للانتقال من قصة الى قصة وقدرها غيره ببل والهمزة التي للتوبيخ والتقريع وهو متصل بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (قوله هم شياطينهم) أي الذين شاركوهم في الكفر والعصيان (قوله شرعوا لهم) اسناد الشرع الى الشياطين مجاز من الاسناد للسبب لانها سبب اضلالهم (قوله لقضي بينهم) أي حكم بين الكفار والمؤمنين بان يعذب الكفار ويثيب المؤمنين ولكن حكم الله وقضى في سابق أزله ان الثواب والعقاب يكون يوم القيامة (قوله ترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية (قوله مشفقين حال) أي حال كونهم خائفين في ذلك اليوم وهذا الخوف زيادة عذاب لهم وأما المنجي فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله (قوله أن يجازوا عليها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف أي من جزاء ما كسبوا (قوله لا محالة) أي أشفقوا أو لم يشفقوا (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره في روضات الجنات (قوله انزهها) بالنسبة الى من دونهم أي فروضة الجنة أعلاها وأطيبها وفيه اشارة الى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة غير انهم ليسوا في الأعلى ولا في الأطيب (قوله عند ربهم) ظرف ليشاؤن والعندية مجازية (قوله الفضل الكبير) أي الذي لا يوصف لان الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث (قوله ذلك) مبتدأ والذي يبشر خبره والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به فحذف الجار فاتصل الضمير وهذا على الصحيح من انها اسم موصول وأما على رأي يونس من انها مصدرية فلا تحتاج الى عائد والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده (قوله من البشارة) أي وهي الخبر السار (قوله مخففا ومثقلا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل لا أسألكم عليه أجرا) أي قل يا محمد لأمتك لا أطلب منكم أجرا في نظير تبليغ الرسالة وتبشيري اياكم ولا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك بل جميع الانبياء لا يسألون الأجرة لان سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص في حق غير الانبياء فأولى الانبياء (قوله الا المودة في القربى) اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال الأول عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى أي ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى ان لم تتبعوني فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني بعد عليكم نفعها لما في الحديث الرحم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فثمرته عائدة عليهم لا على النبي صلى الله عليه وسلم الثاني عنه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن في يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من

الحسنة الى العشرة وأكثر (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) بلا تضعيف ما قسم له (وماله في الآخرة من نصيب أم) بل (لهم) لكفار مكة (شركاء) هم شياطينهم (شرعوا) أي الشركاء (لهم) للكفار (من الدين) الفاسد (ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة (لقضي بينهم) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا (وان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم) مؤلم (ترى الظالمين) يوم القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وهو) أي الجزاء عليها (واقع بهم) يوم القيامة لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) أنزهها بالنسبة الى من دونهم (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر) من البشارة مخففا ومثقلا به (الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجرا الا المودة في القربى) استثناء منقطع أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضا

أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم ونزلت الآية وحينئذ فالخطاب للأنصار الثالث عن الحسن
ان معناه الا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة في التقرب الى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوي
فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الأقارب وعلى الثالث بمعنى القرب والتقرب
واعلم ان طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجوه الأول تبري الأنبياء جميعا منه الثاني ان التبليغ واجب
وطلب الأجرة على أداء الواجب لا يليق بأفراد الأمة فضلا عن الأنبياء الثالث ان النبوة أمرها عظيم
والدنيا وان عظمت حقيرة لا تزن جناح بعوضة ولا يليق طلب الخسيس في دفع الشريف وغير ذلك ان
قلت حيث كان الأمر كذلك فما معنى الاستثناء في الآية أجيب بجوابين الأول ان هذا من تأكيد
المدح بما يشبه الذم على حد قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى لا أطلب الا هذا وهو في الحقيقة ليس بأجر لأن المودة بين المسلمين واجبة خصوصا في حق
أشرافهم وحينئذ فيكون الاستثناء متصلا بالنظر للظاهر الثاني أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر
وحينئذ فالكلام تم عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم قال الا المودة في القربى أي أذكركم قرابتي
والمراد بقرابته قيل فاطمة وعلي وابناهما وقيل هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس لما
روي عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي
أذكركم الله في أهل بيتي قيل لزيد بن أرقم فمن أهل بيته فقال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر
وآل عباس وقيل هم الذين تحرم عليهم الزكاة وقيل غير ذلك فتحصل ان الخطاب على القول
الأول لقريش وعلى الثاني للأنصار والعبرة بعموم اللفظ لأن رحم النبي رحم لكل مؤمن لقوله تعالى
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فمحبة أهل البيت فيها السعادة والسيادة دنيا
وأخرى والمرء يحشر مع من أحب وقوله في القربى الظرفية مجازية والمعنى الا المودة العظيمة المحصورة
في القربى واغتنم بعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام فيكون الكلام خاليا من البلاغة فالتعبير بفي
للمبالغة اشارة الى أنهم جعلوا محلا للمودة وهم لها أهل (قوله فان له في كل بطن) أي قبيلة (قوله من
قريش) أي وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم (قوله حسنة) فسرها ابن
عباس بالمودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بتضعيفها) أي من عشرة الى سبعين الى سبعمائة
الى غير ذلك (قوله شكور للقليل) أي يقبله ويثيب عليه (قوله وقد فعل) أي ختم على قلبه
صلى الله عليه وسلم بأن صبره على ما ذكر فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها (قوله
ويمح الله الباطل) كلام مستأنف غير داخل في حيز الشرط لأنه تعالى يمح الباطل مطلقا (قوله
بكلماته) أي القرآن (قوله بما في القلوب) أشار بذلك الى أنه أطلق المحل وأراد الحال (قوله وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده) التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة الى الأحوال المحمودة ولها
شروط ثلاثة الاقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود اليها أبدا فان كانت المعصية
متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رابع وهو استسماح صاحب الحق ويكفي عند مالك براءة
المجهول فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق فاذا تاب بالشروط وقدر الله عليه الوقوع في الذنب
مرة أخرى فانه يتوب ولا يقنط من رحمة الله تعالى ولا ترجع عليه ذنوبه التي تاب منها (قوله منهم)
أشار بذلك الى أن عن بمعنى من والقبول بمعنى الأخذ (قوله المتاب منها) أي ويصح أن المراد ولو لم
يتب منها فمن صفاته تعالى انه يقبل توبة التائب ويعفو عن سيئات من لم يتب اذ لا يسأل عما يفعل
(قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يجيبهم الى ما يسألون) أشار بذلك الى أن السين
والتاء زائدتان والموصول مفعول به والفاعل ضمير يعود على الله تعالى (قوله لبغوا جميعهم) دفع بذلك
ما يقال ان البغي حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه فأجاب بأن اللازم المنتفي هو بغي جميعهم
والملزوم بسط الرزق للجميع والا فبغي البعض وبسط الرزق للبعض حاصل في كل زمن (قوله أي

فان له في كل بطن من قريش
قرابة (ومن يقترف) يكتسب
(حسنة) طاعة (نزد له فيها
حسنا) بتضعيفها (ان الله
غفور) للذنوب (شكور)
للقليل فيضاعفه (أم) بل
(يقولون افترى على الله كذبا)
بنسبة القرآن الى الله تعالى
(فان يشأ الله يختم) يربط
(على قلبك) بالصبر على أذاهم
بهذا القول وغيره وقد فعل
(ويمح الله الباطل) الذي قالوه
(ويحق الحق) يثبته
(بكلماته) المنزلة على نبيه (انه
عليم بذات الصدور) بما في
القلوب (وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده) منهم
(ويعفو عن السيئات)
المتاب عنها (ويعلم ما يفعلون)
بالياء والتاء (ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات)
يجيبهم الى ما يسألون (ويزيدهم
من فضله والكافرون لهم
عذاب شديد ولو بسط الله
الرزق لعباده) جميعهم (لبغوا)
جميعهم

طغوا في الارض) أي لان الله تعالى لو سوى في الرزق بين جميع عباده لامتنع كون البعض محتاجا للبعض وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه فافعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح وان لم يجب على الله فعلها فقد يعلم من حال عبد انه لو بسط عليه الرزق قاده ذلك الى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له في حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى ان من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة واني عليم اني لو أعطيته اياه لدخله العجب فافسده وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لافسده الغنى واني لادبر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير ثم قال أنس اللهم اني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فيبسطها لبعض دون بعض) أي ويبسطها للبعض أحيانا ويضيقها عليه أحيانا فلا يسئل عما يفعل (قوله انه بعباده خبير بصير) تعليل لما قبله والمعنى عليم بالبواطن والظواهر (قوله وهو الذي ينزل) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله من بعد ما قنطوا) العامة على فتح النون وقرئ شذوذا بكسر النون ومضارعها بفتح النون وبه قرئ في المتواتر فتحصل انه في المضارع قرئ بالوجهين قراءة سبعية وفي الماضي لم يقرأ في السبع الا بالفتح والكسر قراءة شاذة وان كان لغة فيه (قوله ببسط مطره) أشار بذلك الى أن المطر سمي باسمين الغيث لانه يغيث من الشدائد والرحمة لانه رحمة واحسان للخلق ويصح أن يراد بالرحمة البركات أي بركات الغيث ومنافعه في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله من عطف المسبب على السبب (قوله المحمود عندهم) أي وعند جميع المخلوقات وانما خص المؤمنين تشريفا لهم (قوله ومن آياته) أي دلائل قدرته وعجائب وحدانيته (قوله خلق السموات والارض) أي فانهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات قال تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الآية (قوله وخلق ما بث) أشار بذلك الى ان قوله وما بث معطوف على السموات مسلط عليه خلق ويصح أن يكون في محل رفع عطف على خلق (قوله هي ما دب على الأرض) أشار بذلك الى أن المراد في أحدهما فهو من اطلاق المثنى على المفرد كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من أحدهما وهو الملح وهذا أسلم وأحسن مما قيل ان الآية باقية على ظاهرها ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات في السموات يمشون فيها كمشي الاناسي على الارض لان ذلك بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام (قوله اذا يشاء) متعلق بجمعهم وقدير خبر الضمير وعلى جمعهم متعلق بقدير والمعنى وهو قدير على جمعهم في أي وقت شاء وهو معنى قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فمتى أراد الله شيأ أبرزه بقدرته (قوله في الضمير) أي وهو قوله على جمعهم ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها (قوله خطاب للمؤمنين) أي وأما مصائب الكفار في الدنيا فتعجيل لبعض العقاب لهم (قوله من مصيبة) بيان لما وقوله فبما كسبت أيديكم جواب الشرط ان جعلت ما شرطية أو خبر المبتدا ان جعلت موصولة وقرنت بالفاء لما في المبتدا من معنى الشرط وهذا على ثبوت الفاء وأما على قراءة حذفها فالاولى جعلها خبرا وما موصولة وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه وهو شاذ والقراءتان سبعيتان (قوله ويعفو عن كثير) من تتمة قوله فبما كسبت أيديكم والمعنى أن الذنوب قسمان قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر قال علي بن أبي طالب هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل واذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فأي شئ يبقى بعد كفارته وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب ألا أخبركم بافضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من

أي طغوا (في الارض ولكن ينزل) بالتخفيف والتشديد من الارزاق (بقدر ما يشاء) فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي (انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث) المطر (من بعد ما قنطوا) يئسوا من نزوله (وينشر رحمته) يبسط مطره (وهو الولي) المحسن للمؤمنين (الحميد) المحمود عندهم (ومن آياته خلق السموات والارض و) خلق (ما بث) فرق ونشر (فيهما من دابة) هي ما يدب على الارض من الناس وغيرهم (وهو على جمعهم) للحشر (اذا يشاء قدير) في الضمير تغليب العاقل على غيره (وما أصابكم) خطاب للمؤمنين (من مصيبة) بلية وشدة (فبما كسبت أيديكم) أي كسبتم من الذنوب وعبر بالايدي لان أكثر الافعال تزاول بها (ويعفو عن كثير) منها فلا يجازي عليه

أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لابد أن أسألك عما أرى بك من الوجع فقال عمران يا أخي لا تفعل فوالله اني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب الناس الى الله قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي أكثر وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره الا بها أو لينال درجة لم يكن ليوصله اليها الا بها وروى أن رجلا قال لموسى يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى فلما نزل اذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب ما بال هذا فقال الله تعالى يا موسى انه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة (قوله وهو تعالى أكرم الخ) متعلق بقوله فبما كسبت أيديكم فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله من أن يثني الجزاء في الآخرة) أي من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة لان الكريم لا يعاقب مرتين (قوله وأما غير المذنبين) أي كالانبياء والأطفال والمجانين (قوله لرفع درجاتهم) وقيل في الاطفال ان مصائبهم لتكفير سيآت أبويهم وفي الحقيقة رفع درجات لهم وتكفير لآبائهم (قوله يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا والصواب يا مشركون لان المنادى يبنى على ما يرفع به وهو يرفع بالواو (قوله بمعجزين الله) أي فائتين من عذابه (قوله ومن آياته) أي أدلة توحيده وعجائب قدرته (قوله الجوار) بحذف الياء خطا لاجماع الرسم بالآت الزوائد واثباتها في اللفظ وصلا ووقفا وحذفها كذلك أربع قرا آت سبعيات (قوله السفن) استشكل بان ظاهر الآية يوهم حذف الموصوف وابقاء صفته مع أن الجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه قال ابن مالك

وما من المنعوت والنعت عقل * يجوز حذفه وفي النعت يقل

أجيب بان محل الامتناع اذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد بان تغلب عليها الاسمية كالابطح والابرق والاجرع والا جاز حذف الموصوف ولذلك فسر الجوار بالسفن ولم يقل أي السفن الجارية (قوله فيظللن) بفتح اللام في قراءة العامة من ظلل بكسرها كعلم وقرئ شذوذا فيظللن بكسر اللام من ظل بفتحها كضرب (قوله أي يصرن) أشار بذلك الى أن المراد من ظل الصيرورة في ليل أو نهار وليس المراد معناها وهو اتصاف المخبر عنه بالخبر نهارا (قوله رواكد) جمع راكد يقال ركد الماء ركودا من باب قعد سكن ويوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه (قوله لكل صبار) أي كثير الصبر على البلايا عظيم الشكر على العطايا (قوله عطف على يسكن) أي فالمعنى ان يشأ يسكن الريح فيصرن رواكد أو يعصفها فيغرقن ولا مفهوم له بل قد يغرقها الله بسبب آخر كقلع لوح أو غير ذلك (قوله بعصف الريح بأهلهن) أي اشتدادها واغراقه وان كانت أسباب الغرق كثيرة نظرا للشأن والغالب (قوله أي أهلهن) تفسير للواو في كسبوا العائد على أهل السفن المعلوم من السياق (قوله ويعف عن كثير) قرأ العامة بالجزم عطفا على جواب الشرط واستشكل بانه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشيئة مع أنه اخبار عن العفو من غير شرط المشيئة وأجيب بان الجزم من حيث الصورة الظاهرية لا من حيث المعنى وقرئ شذوذا ويعفو بالرفع والنصب أما قراءة الرفع فهي محتملة لوجهين الاول الاستئناف الثاني الجزم وزيدت الواو للاشباع كزيادتها في من يتقي ويصبر وأما قراءة النصب فهي على اضمار ان بعد الواو وقال ابن مالك والفعل من بعد الجزا ان يقترن * بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ما قيل في قوله تعالى فيغفر لمن يشاء (قوله منها) أي الذنوب أو السفن (قوله بالرفع مستأنف) أي وهو يعلم وقوله وبالنصب أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لينتقم منهم) أي بالغرق وهو تعليل للاغراق (قوله فما أوتيتم) ما شرطية مفعول ثان لأوتيتم والاول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل ومن شيء

وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة (وما أنتم) يا مشركين (بمعجزين) الله هربا (في الارض) فتفوتونه (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي ولا نصير) يدفع عذابه عنكم (ومن آياته الجوار) السفن (في البحر كالأعلام) كالجبال في العظم (ان يشأ يسكن الريح فيظللن) يصرن (رواكد) ثوابت لا تجري (على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أو يوبقهن) عطف على يسكن أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن (بما كسبوا) أي أهلهن من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يغرق أهله (ويعلم) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل (فما أوتيتم) خطاب للمؤمنين وغيرهم

بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا جملة من مبتدا وخبر جواب الشرط (قوله من أثاث الدنيا) أى منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك واحده أثاثة وقيل لا واحد له من لفظه (قوله ثم يزول) أخذه من قوله متاع لان المتاع هو ما يتمتع به تمتعا ينقضى (قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وماتوا عليه (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله الا اليه ولا ضار ولا نافع سواه والتوكل بهذا المعنى شرط فى صحة الايمان وأما ان أريد به تفويض الامور اليه والاعتماد عليه فى جميع ما ينزل بالشخص فليس شرطا فى صحته بل هو وصف كامل الايمان وليس مرادا هنا لان ما عند الله من الثواب يكون لعموم المؤمنين (قوله ويعطف عليه) أى على قوله الذين آمنوا (قوله يجتنبون كبائر الاثم) هى كل ما ورد فيها حد أو وعيد (قوله من عطف البعض على الكل) مراده عطف الخاص على العام لان من الكبائر ما فيه الوعيد ولا حد فيه كالغيبة والنميمة والعجب والرياء (قوله واذا ما غضبوا الخ) اذا ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط وما صلة وهم مبتدأ ويغفرون خبره والجملة معطوفة على الصلة والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف جملة اسمية على فعلية ويصح أن تكون اذا شرطية وما صلة وغضبوا فعل الشرط وهم تأكيد للواو ويغفرون جواب الشرط وأما جعل هم يغفرون جملة من مبتدا وخبر جواب الشرط فشاذ لخلوه من الفاء ولا ينبغى حمل التنزيل عليه والمعنى ان من مكارم الاخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب ولكن يشترط أن يكون الحلم غير مخل بالمروءة ولا واجبا والا فالغضب مطلوب كما اذا انتهكت حرمات الله فالواجب الغضب لا الحلم وعليه قول الامام الشافعى من استغضب ولم يغضب فهو حمار وقال الشاعر

اذا قيل حلم قل فللحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وبالجملة فكل مقام له مقال (قوله والذين استجابوا لربهم) معطوف على الموصول المتقدم وهذه الآية نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا قبل الهجرة (قوله أجابوه الى ما دعاهم الخ) أى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأشار المفسر الى ان السين والتاء زائدتان (قوله وأقاموا الصلاة) أى أدوها بشروطها وآدابها (قوله وأمرهم شورى بينهم) والشورى مصدر شاورته أى شاركته فى الرأى كالبشرى وكانت الانصار قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى وشاورهم فى الأمر تأليفا لقلوب أصحابه وذلك فى الامور الاجتهادية كالحروب ونحوها ولم يكن يشاورهم فى الاحكام لانها منزلة من عند الله تعالى وكانت الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم يتشاورون فى المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة لان النبى لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف ثم اجتمعوا وتشاوروا فقال عمر رضى لدنيانا ما رضيه النبى لديننا فوافقوه على ذلك وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ما تشاور قوم قط الا هدوا الى أرشد أمورهم وفى الحديث اذا كان أمراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من باطنها وان كان أمراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها (قوله ومما رزقناهم ينفقون) أى فى وجوه البر وكانوا يقدمون غيرهم عليهم قال تعالى فى وصفهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله ومن ذكر صنف) أى المؤمنون المتقدمون فتحصل ان الله تعالى جعل المؤمنين صنفين صنفا يعفون عمن ظلمهم وقد ذكرهم الله تعالى فى قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنفا ينتقمون ممن ظلمهم وقد ذكرهم الله فى قوله والذين اذا أصابهم البغى هم هم ينتصرون (قوله هم ينتصرون) هذا فى الاعراب كقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون سواء بسواء ويزيد هنا انه يصح ان يكون هم توكيدا للضمير المنصوب فى أصابهم وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل (قوله وهذا) أى قوله مثلها وقوله من الجراحات أى وغيرها من سائر الحقوق التى يمكن استيفاؤها (قوله قال بعضهم) هو مجاهد والسدى (قوله فمن عفى) الفاء للتفريع أى اذا كان

من أثاث الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يزول (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ويعطف عليه (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يتجاوزون (والذين استجابوا لربهم) أجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد والعبادة (وأقاموا الصلاة) أداموها (وأمرهم) الذى يبدو لهم (شورى بينهم) يتشاورون فيه ولا يعجلون (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله ومن ذكر صنف (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) صنف أى ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سميت الثانية سيئة لمشابهتها للاولى فى الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات قال بعضهم واذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله (فمن عفى) عن ظالمه

(وأصلح) الود بينه وبين المعفو عنه (فأجره على الله) أي ان الله يأجره لامحالة (انه لا يحب الظالمين) أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه
(ولمن انتصر بعد ظلمه) أي ظلم الظالم اياه (فأولئك ما عليهم من سبيل) مؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون) يعملون
(في الارض بغير الحق) بالمعاصي (أولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (ولمن صبر) فلم ينتصر (وغفر) تجاوز (ان ذلك) الصبر
والتجاوز (لمن عزم الامور) أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا (ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده) أي أحد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد) الى الدنيا (من سبيل) طريق (وتراهم يعرضون عليها) أي النار (خاشعين) خائفين متواضعين (من الذل ينظرون) اليها (من طرف خفي) ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليدهم في النار وعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا والموصول خبر ان (الا ان الظالمين) الكافرين (في عذاب مقيم) دائم هو من مقول الله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أي غيره يدفع عذابه عنهم (ومن يضلل الله فماله من سبيل) طريق الى الحق في الدنيا والى الجنة في الآخرة (استجيبوا لربكم) أجيبوه بالتوحيد والعبادة (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا مرد له من الله) أي انه اذا أتى به لا يرده (مالكم من ملجأ) تلجؤن اليه (يومئذ ومالكم من نكير) انكار لذنوبكم (فان أعرضوا) عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ أعمالهم بان توافق المطلوب منهم (ان) ما (عليك الا البلاغ) وهذا قبل الأمر بالجهاد (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) نعمة كالغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم) الضمير للانسان باعتبار الجنس (سيئة) بلاء (بما قدمت أيديهم) أي قدموه وعبر بالايدي لان أكثر الافعال تزاول بها (فان الانسان كفور) للنعمة

(قوله وأصلح الود بينه وبين المعفو عنه) الواجب في الجزاء رعاية المماثلة فالاولى العفو والاصلاح لتعذر المماثلة غالبا أشار بذلك الى أن الاصلاح من تمام العفو وفيه تحريض وحث على العفو فان أمره عظيم وفيه تفويض الأمر الى الله تعالى والله لا يخيب من فوض الأمر اليه (قوله أي البادئين بالظلم) أي الذين فعلوا الظلم ابتداء (قوله ولمن انتصر بعد ظلمه) اللام للابتداء ومن شرطية وجملة فأولئك الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ وقوله فأولئك خبره ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط (قوله أي ظلم الظالم اياه) أشار بذلك الى أن المصدر مضاف للمفعول وفي هذه الآية اشارة الى ان المظلوم ان يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه وهو جائز بشرط ان لا يزيد على حقه وان يأمن من ولاة الأمور وان يكون حقه ثابتا (قوله فأولئك ما عليهم من سبيل) أي لانهم فعلوا ما هو جائز لهم (قوله بغير الحق) قيد به اشارة الى أن البغي قد يكون مصحوبا بالحق كما اذا أخذ حقه مع التجاوز فيه (قوله ولمن صبر الخ) عطف على قوله ولمن انتصر بعد ظلمه وجملة انما السبيل الخ اعتراض وكرر الصبر اهتماما به وترغيبا فيه واشارة الى انه محمود العاقبة وهو أولى ان لم يترتب عليه مفسدة والا كان الانتصار أولى (قوله لمن عزم الأمور) أي من الأمور التي أمر الله بها وأكد عليها (قوله ومن يضلل الله) أي يمنعه عن الهدى (قوله وترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهي بصرية والجملة بعدها حال (قوله لما رأوا العذاب) عبر عنه بالماضي اشارة لتحقق الوقوع (قوله يعرضون عليها) حال وكذا قوله خاشعين (قوله أي النار) المعلومة من دلالة العذاب عليها (قوله من الذل) متعلق بخاشعين أي من أجل الذل (قوله مسارقة) أي يسارقون النظر اليها خوفا منها وذلا في أنفسهم (قوله يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول واقع في الدنيا أو ظرف لقال فهو واقع يوم القيامة وعبر بالماضي لتحقق الوقوع (قوله بتخليدهم في النار الخ) لف ونشر مرتب (قوله وما كان لهم) لهم خبر مقدم ومن أولياء اسمها مؤخر ومن زائدة وينصرونهم صفة لأولياء (قوله استجيبوا لربكم) السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله أجيبوه والمعنى أجيبوا داعي ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة (قوله من قبل أن يأتي يوم الخ) أي أطيعوا في الدنيا التي هي ظرف للاعمال والايمان قبل أن يأتي يوم الحسرة والندامة فانه اذا جاء لا يرده الله ففيه وعيد للكافرين (قوله لا يرده) أشار بذلك الى أن قوله من الله متعلق بمرد (قوله من ملجأ) أي مفر ومهرب (قوله انكار لذنوبكم) أي لانها مكتوبة في صحائفكم تشهد بها الملائكة والجوارح والمراد انكار نافع والا فالكفار أولا ينكرون الذنوب طمعا في العفو ثم لما لم يجدوا مخلصا يقرون وما قاله المفسر أوضح مما قاله غيره ان المراد بالنكير الناصر الذي ينصرهم لاغناء قوله من ملجأ عنه (قوله فما أرسلناك عليهم حفيظا) هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف والتقدير فلا تحزن أو لا عتاب عليك أو لا تكلف بشيء لاننا ما أرسلناك الخ (قوله بان توافق) أي أعمالهم الصادرة منهم وقوله المطلوب منهم أي الاعمال المطلوبة منهم كالايمان والطاعة والمعنى لم نرسلك لتخلق الهدى في قلوبهم وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذي طلبناه منهم (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) اسم الاشارة عائد على الحصر والمعنى ان هذا الحصر منسوخ لانه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال (قوله وانا اذا أذقنا الانسان الخ) الحكمة في تصدير النعمة باذا والبلاء بان الاشارة الى ان النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء لان رحمة الله تغلب غضبه (قوله فرح بها) أي فرح بطر وتكبر (قوله الضمير) أي في تصبهم (قوله باعتبار الجنس) أي الاستغراق فجمعه باعتبار المعنى (قوله بما قدمت أيديهم)

فى ذلك اشارة الى ان المصيبة تكون بسبب كسب المعاصى والنعمة تكون بمحض فضل الله قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فالواجب على الانسان اذا أعطاه الله نعمة ان يشكره عليها و يصرفها فيما يرضيه واذا أصيب بمصيبة فليصبر عليها و يحمده عليها فلعلها تكون كفارة لما اقترفه (قوله لله ملك السموات والارض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يخلق ما يشاء) أى من حيوانات وغيرها (قوله يهب) من وهب كوضع والمصدر وهبا بسكون الهاء وفتحها وهبة والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء فيهما وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض (قوله لمن يشاء) أى الآباء والأمهات (قوله من الاولاد) متعلق بيهب لا بيان لمن لانها عبارة عن الآباء والأمهات (قوله اناثا) قدمهن اشارة الى انه يفعل ما يشاء لا ما يشاؤه عباده فالاناث مما يشاؤه هو ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الذكور ولذا عرف الذكور وقدمهم آخرا (قوله أى يجعلهم ذكرانا واناثا) اشار بذلك الى ان ذكرانا واناثا مفعول ثان ليزوج والمعنى يجعل الاولاد ذكرانا واناثا حال كونهم مزدوجين (قوله ويجعل من يشاء عقيما) من واقع على الرجل والمرأة فقوله فلا تلد أى اذا كان امرأة وقوله ولا يولد له أى اذا كان رجلا فالعقيم هو الذى لا يولد له ذكر او أنثى وفعله من باب فرح ونصر وكرم وقال ابن عباس يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لانهما لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد ابراهيم عليه السلام لانه لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات أربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى ولكن حمل الآية على العموم أولى لان المراد بيان نفاذ قدرته تعالى فى الكائنات كيف يشاء (قوله ان يكلمه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان (قوله الا ان يوحى اليه وحيا) أشار بذلك الى ان وحيا منصوب على الاستثناء المفرغ خلافا لمن قال انه منقطع نظرا لظاهر اللفظ فان الوحى ليس بتكليم والوحى الاشارة والرسالة والكتابة وكلما ألقيته الى غيرك ليعلمه ثم غلب استعماله فيما يلقى الى الانبياء (قوله فى المنام) أى فرؤيا الانبياء حق وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده فى المنام ولرسول الله حين رأى انه يدخل مكة فصدق الله رؤياهما وقوله أو بالالهام أى الالقاء فى القلوب لا بواسطة ملك وقد يقع الالهام لغير الانبياء كالاولياء غير أن الهام الاولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به لانهم غير معصومين بخلاف الانبياء فالهامهم محفوظ منه (قوله أو الا من وراء حجاب) أشار بذلك الى أن من وراء حجاب معطوف على وحيا باعتبار متعلقه تقديره الا ان يوحى اليه أو يكلمه (قوله ولا يراه) أشار بذلك الى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية والحجاب وصف العبد لا وصف الرب (قوله كما وقع للسيد موسى) أى فى جميع مناجاته كما تقدم مفصلا (قوله أو يرسل رسولا) برفع اللام وكذا يوحى ونصبهما قراءتان سبعيتان فالرفع خبر لمحذوف أى هو يرسل والنصب على أنه معطوف على وحيا باضمار أن قال ابن مالك

وان على اسم خالص فعل عطف * تنصبه أن ثابتا أو منحذف

(قوله كجبريل) أدخلت الكاف غيره كاسرافيل وملك الجبال فان الله تعالى أرسل كلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله انه على عن صفات المحدثين) أى منزه ومقدس عنها (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشئ فى محله (قوله أى مثل ايحائنا الى غيرك الخ) التشبيه فى مطلق الايحاء والارسال لانه صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام والرؤية بخلاف باقى الانبياء فهو من تشبيه الاكمل بالكامل بسابقية الكامل فى الوجود فالحصر المتقدم بالنسبة للانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يقال ان الآية تدل على ان الوحى منحصر فى هذه الثلاثة ولا يشمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هو القرآن) هذا أحد تفاسير فى الروح وقيل هو الرحمة وقيل الوحى وقيل الكتاب وقيل جبريل (قوله به تحيا القلوب) أى فشبه القرآن بالروح من

(لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء من الاولاد (اناثا) ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم) أى يجعلهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) فلا يلد ولا يولد له (انه عليم) بما يخلق (قدير) على ما يشاء (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا) ان يوحى اليه (وحيا) فى المنام او بالالهام (أو) الا (من وراء حجاب) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أو) الا أن (يرسل رسولا) ملكا كجبريل (فيوحى) الرسول الى المرسل اليه أى يكلمه (باذنه) أى الله (ما يشاء) الله (انه على) عن صفات المحدثين (حكيم) فى صنعه (وكذلك) أى مثل ايحائنا الى غيرك من الرسل (أوحينا اليك) يا محمد (روحا) هو القرآن به تحيا القلوب

حيث ان كلا به الحياة فالقرآن به حياة الارواح والروح بها حياة الاشباح (قوله من أمرنا) من تبعيضية حال والمعنى حال كون هذا القرآن بعض ما نوحيه اليك لانه ورد انه أعطى القرآن ومثله معه (قوله ما الكتاب) الكلام على حذف مضاف أى جواب ما الكتاب والمعنى جواب هذا الاستفهام (قوله ولا الايمان) ان قلت ان الانبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها فى الاشباح عن التوحيد الاصلى الكائن فى يوم ألست بربكم بل بعض الاولياء كذلك فكيف يقال فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام ولا الايمان مع انه كان يتعبد قبل البعثة وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده أجاب المفسر بان الكلام على حذف مضاف أى شرائع الايمان ومعالمه كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر والمراد بالايمان الاسلام (قوله والنفى معلق) صوابه الاستفهام لانه متأخر عن النفى وهو المعلق للفعل عن العمل لفظا (قوله أو ما بعده) أو بمعنى الواو (قوله نهدى به) صفة لنورا وسمى نورا لان بالنور الاهتداء فى الظلمات الحسية فكذا القرآن يهتدى به فى الظلمات المعنوية والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله من نشاء (قوله وانك لتهدى) أى تدل والمفعول محذوف أى كل مكلف فتحصل ان المعنى انت يا محمد عليك البلاغ والدلالة واقامة الحجج ونحن نخلق الهداية والتوفيق فى قلب من نختاره من عبادنا (قوله دين الاسلام) أى وسمى طريقا لانه يحصل به الوصول الى المقصود كالطريق الحسى (قوله صراط الله) بدل من صراط الأول بدل معرفة من نكرة (قوله ألا الى الله تصير الأمور) ألا أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها والجار والمجرور متعلق بتصير قدم للحصر وأتى بهذه الجملة عقب التى قبلها اشارة الى أن كل شئ من الله والى الله فافاد بالجملة الأولى أن جميع ما فى السموات وما فى الأرض مملوك له وناشئ منه وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الأشياء مرجعها اليه فى كل ذرة ولمحة فلا غنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام والمعنى شأنه رجوع الأمور اليه تعالى وليس المراد حقيقته لان الأمور متعلقة به فى كل وقت فاذا علمت ذلك فكل شئ لا يستغنى عن الله تعالى طرفة عين قال العارف الشاذلى ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك فاذا شاهد الانسان ذلك أورثه مقام المراقبة وروية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها الى مالكها وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿فائدة﴾ قال سهل بن أبى الجعد احترق مصحف فلم يبق منه الا قوله ألا الى الله تصير الأمور وغرق مصحف فامحى كله الا قوله الا الى الله تصير الأمور انتهى

﴿سورة الزخرف﴾

سميت باسم كلمة منها وهى قوله تعالى وزخرفا (قوله مكية) أى كلها حتى هذه الآية بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل وكان ذلك ليلة الاسراء لبيت المقدس فتكون مكية لكونها قبل الهجرة (قوله وقيل الا قوله تعالى واسأل من أرسلنا الخ) أى بناء على أن المعنى واسأل من أمم رسلنا والمراد بهم اليهود والنصارى (قوله والكتاب المبين) هذا هو المقسم به والمقسم عليه هو قوله انا جعلناه قرآنا عربيا وهو من أنواع البلاغة حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واد واحد كان الله تعالى يقول ليس عندى أعظم من كلامى حتى أقسم به (قوله أوجدنا الكتاب) أى صيرناه مقروا أى مجموعا مسورا موصوفة بكونها عربية رحمة منا وتنزلا لعبادنا لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا فحدونه من حيث قيامه بالمخلوقات وقدمه من حيث وصف الله به وقد تنزه وصفه عن الحروف والاصوات والجمع والتفرق فتدبر ودفع بذلك ما قيل ان ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة الأول انها تدل على ان القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والمخلوق والثانى انه وصفه بكونه قرآنا والمجموع بعضه لبعض مصنوع والثالث وصفه بكونه عربيا والعربى ما كان بلغة العرب وذلك يدل على انه مجعول وأجاب الرازى أيضا عن ذلك بان هذا الذى ذكرتموه حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة وليس لكم منازع فيه (قوله وانه مثبت

الخ

(من أمرنا) الذى نوحيه اليك (ما كنت تدرى) تعرف قبل الوحى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) أى شرائعه ومعالمه والنفى معلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين (ولكن جعلناه) أى الروح أو الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) تدعو بالوحى اليك (الى صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ألا الى الله تصير الأمور) ترجع

﴿سورة الزخرف﴾

مكية وقيل الا واسأل من أرسلنا الآية تسع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الله أعلم بمراده به (والكتاب) القرآن (المبين) المظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة (انا جعلناه) أوجدنا الكتاب (قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) يا أهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (وانه) مثبت (فى أم الكتاب) أصل الكتب أى اللوح المحفوظ (لدينا)

الخ) أشار بذلك الى ان الجار والمجرور خبران وقوله لعلى خبر ثان واعترض بانه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وفى جوازه خلاف فالاحسن ان الجار والمجرور متعلق بعلى ولا يقال ان لام الابتداء لها صدر الكلام لانه يقال محل ذلك فى غير باب ان كما قال ابن هشام فى مغنيه لانها فيه مؤخرة من تقديم ولهذا تسمى المزحلقة (قوله بدل) أى من الجار والمجرور وقوله عندنا تفسير للدينا (قوله لعلى) أى رفيع الشأن على غيره من الكتب (قوله أفنضرب) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب الخ والاستفهام انكار بدليل قول المفسر فى آخر العبارة لا والمعنى لانهملكم برفع الوحى ومنع انزال القرآن ونهمل الهلاك من أجل كونكم قوما مسرفين بل نتم نورنا بتمام الانزال لعبدنا ومن نكث فانما ينكث على نفسه (قوله نمسك) أى عن انزاله لكم (قوله صفحا) أشار المفسر الى انه مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نضرب فى المعنى (قوله فلا تؤمرون ولا تنهون) أى بل تصيرون كالبهائم (قوله ان كنتم قوما مسرفين) بكسر الهمزة على انها شرطية وفتحها على انها تعليلية قراءتان سبعيتان لكن يرد على القراءة الاولى ان ان تفيد الشك مع ان اسرافهم محقق ويجاب بانه يؤتى بها فى مقام التحقيق قصد التجهيل المخاطب بجعله كانه متردد فى ثبوت الشرط شاك فيه (قوله وكم أرسلنا) كم خبرية بمعنى عددا كثيرا مفعول مقدم لارسلنا ومن نبى تمييز لها وفى الاولين متعلق بارسلنا أى فى الامم الاولين (قوله أتاهم) أشار بذلك الى ان المضارع بمعنى الماضى وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة (قوله من نبى) أى رسول بدليل قوله أرسلنا الخ (قوله وهذا تسلية له) أى قوله وكم أرسلنا والمعنى تسل يا محمد ولا تحزن فانه وقع للرسل قبلك ما وقع لك (قوله أشد منهم) صفة لموصوف محذوف مفعول لاهلكنا (قوله بطشا) تمييز أى أهلكنا قوما أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الاخذ (قوله سبق فى الآيات) أى فى القرآن غير مرة (قوله صفتهم فى الاهلاك) وانما سمى مثلا لغرابته فان المثل فى الاصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته (قوله وعاقبة قومك كذلك) أى الهلاك فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم وفى هذه الآيات تعليم للامة أن يصبروا على من آذاهم لينالوا العز الاكبر تأسيا بنبيهم (قوله لام قسم) أى وقوله ليقولن جوابه وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر (قوله حذف منه نون الرفع) أى لتوالى النونات ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة (قوله خلقهن العزيز العليم) كرر الفعل للتوكيد والا فيكفى ان يقال العزيز العليم وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه ولو روعى صدره لجىء بجملة ابتدائية بان يقال هو العزيز العليم مثلا (قوله آخر جوابهم) أى ان ما ذكر آخر جواب الكفار وأما قوله الذى جعل الى قوله لمنقلبون فهو من كلامه تعالى زيادة فى توبيخهم على عدم التوحيد (قوله كالمهد للصبى) أى الفرش له أى ولو شاء لجعلها متحركة لا يثبت عليها شئ ولا يمكن الانتفاع بها فمن رحمته أن جعل الارض قارة مسطحة ساكنة (قوله وجعل لكم فيها سبلا) أى بحيث تسلكون فيها الى مقاصدكم ولو شاء لجعلها سدا ليس فيها طرق بحيث لا يمكنكم السير فيها كما فى بعض الجبال (قوله أى بقدر حاجتكم) أى فليس بقليل فلا تنتفعون به ولا كثير فيضركم (قوله فانشرنا) فى الكلام التفات من الغيبة للتكلم (قوله تخرجون) أى فالقادر على احياء الارض بعد موتها بالماء قادر على احياء الخلق بعد موتهم (قوله الاصناف) أى الاشكال والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى (قوله وجعل لكم من الفلك) أى خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره وألهمكم صنعتها وصيرها لكم فى البحر لتنتفعوا بها (قوله كالابل) ان قلت انه لم يبق شئ من الانعام يركب سوى الابل فالكاف استقصائية الا ان يقال المراد بالانعام ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير لان المقام للامتنان بالركوب (قوله ما تركبون) مفعول لجعل ومن الفلك والانعام بيان له (قوله حذف العائد اختصارا الخ) أى والمعنى جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الانعام ما تركبونه اذ هو مجرور فى الاول بفى منصوب

بدل عندنا (لعلى) على الكتب قبله (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب) نمسك (عنكم الذكر) القرآن (صفحا) امساكا فلا تؤمرون ولا تنهون لاجل (أن كنتم قوما مسرفين) مشركين لا (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما) كان (يأتيهم) أتاهم (من نبى الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم من قومك (بطشا) قوة (ومضى) سبق فى الآيات (مثل الاولين) صفتهم فى الاهلاك فعاقبة قومك كذلك (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خلقهن العزيز العليم) آخر جوابهم أى الله ذو العزة والعلم زاد تعالى (الذى جعل لكم الارض مهادا) فراشا كالمهد للصبى (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجتكم اليه ولم ينزله طوفانا (فأنشرنا) أحيينا (به بلدة ميتا كذلك) أى مثل هذا الاحياء (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذى خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك) السفن (والانعام) كالابل (ما تركبون) حذف العائد اختصارا وهو مجرور فى الاول أى فيه منصوب فى الثانى

فى الثانى بالفعل (قوله لتستووا على ظهوره) اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة متعلقة بجعل (قوله ذكر الضمير) أى المضاف اليه وقوله وجمع الظهر أى الذى هو المضاف وقوله نظرا للفظ ما الخ لف ونشر مرتب والمناسب ان يقول أفرد الضمير وجمع الظهر الخ ولو روعى معناها فيهما لقيل على ظهورها ولو روعى لفظها لقيل على ظهره (قوله ثم تذكروا) أى بقلوبكم (قوله اذا استويتم عليه) أى على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما وكذا فى قوله سخر لنا هذا (قوله وتقولوا سبحان الذى الخ) أى تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان (قوله هذا) أى المركوب من سفينة ودابة وظاهر الآية انه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الاولى وقال بعضهم ان هذا مخصوص بالدابة وأما السفينة فيقول فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الآية وفى الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا كان الانسان يريد السفر زاد اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والمال اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر فى الاهل والمال ومعنى الحور بعد الكور الفرقة بعد الاجتماع وورد ان الانسان اذا قرأ الآية عند ركوبه الدابة تقول الدابة بارك الله فيك من مؤمن خففت عن ظهرى وأطعت ربك أنجح الله حاجتك فالذى ينبغى للانسان أن لا يدع ذكر الله خصوصا فى هذه المواطن فانه معرض فيها للتلف فكم من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق وحينئذ فينقلب الى الله غير منفلت من قضائه فيكون مستعدا لقضاء الله باصلاح نفسه (قوله وما كنا له مقرنين) الجملة حالية وهو من الاقران أو المقارنة (قوله لمنصرفون) أى من الدنيا الى دار البقاء فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الاخروى ففيه اشارة للرد على منكرى البعث (قوله وجعلوا له الخ) هذا مرتبط بقوله ولئن سألتهم الخ والمعنى انهم ينسبون الخلق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون ان له شريكا فالمقصود التأمل فى عقول هؤلاء الكفرة حيث لم يضبطوا أحوالهم (قوله لان الولد جزء الوالد) أى لانه خارج من مخه وعظامه وهذا مناف لقولهم خلقهن العزيز العليم لان من شأن الوالد أن يكون مركبا والاله ليس بمركب بل هو واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله وشأن الخالق أن يكون مخالفا لما خلقه والولد لابد وان يكون مماثلا لوالده لانه جزء منه فتبين ان الولد على الله محال وتبين ان هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط (قوله بين) أشار بهذا الى ان مبين من أبان اللازم ويصح أن يقدر من أبان المتعدى بمعنى مظهر الكفر (قوله بمعنى همزة الانكار) أى والتوبيخ والتقريع ويقدر ببل أو بها وبالهمزة ففيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة (قوله لنفسه) متعلق باتخذ (قوله أخلصكم) أى خصكم (قوله اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم المعطوف على اتخذ الواقع مقولا لقول محذوف فالمعنى انهم قالوا الملائكة بنات الله مع كراهة نسبتها لانفسهم ومحبة نسبة البنين لهم فلزم منه انهم قالوا والبنون لنا (قوله فهو من جملة المنكر) أى لعطفه على اتخذ الداخل عليه أم التى هى بمعنى همزة الانكار (قوله واذا بشر أحدهم الخ) كلام مستأنف تقرير لما قبله وزيادة توبيخ لهم وترق فى الرد عليهم (قوله بما ضرب) ما موصولة واقعة على الانثى بدليل الآية الأخرى واذا بشر أحدهم بالانثى وضرب بمعنى جعل والمفعول الاول محذوف هو العائد أى ضربه ومثلا هو المفعول الثانى (قوله شبها) أشار بذلك الى ان المثل بمعنى الشبه أى المشابه وليس بمعنى الصفة الغريبة (قوله وهو كظيم) الجملة حالية (قوله أومن ينشأ) قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول أى يربى قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا ينشأ بضم الياء مخففا ويناشأ كيقاتل مبنيا للمفعول (قوله همزة الانكار الخ) أى انهما كلمتان لا كلمة واحدة هى أو التى للعطف فتحصل ان من معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف والتقدير أيجترؤن ويسيؤن الادب ويجعلون من ينشأ الخ وقوله الزينة أى ان الانثى تتزين فى الزينة لنقصها اذ لو كملت

(لتستووا) لتستقروا (على ظهوره) ذكر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ ما ومعناها (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) مطيقين (وانا الى ربنا لمنقلبون) لمنصرفون (وجعلوا له من عباده جزأ) حيث قالوا الملائكة بنات الله لان الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (ان الانسان) القائل ما تقدم (لكفور مبين) بين ظاهر الكفر (أم) بمعنى همزة الانكار والقول مقدر أى أتقولون (اتخذ مما يخلق بنات) لنفسه (وأصفاكم) أخلصكم (بالبنين) اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) جعل له شبها بنسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد المعنى اذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات اليه تعالى عن ذلك (أو) همزة الانكار وواو العطف بجملة أى يجعلون لله (من ينشأ فى الحلية) الزينة

فى نفسها لما احتاجت للزينة (قوله وهو فى الخصام غير مبين) الجملة حالية والمعنى غير قادر على تقرير دعواه واقامة الحجة لنقصان عقله وضعف رأيه فقل ما تكلمت امرأة تريد ان تتكلم بحجة لها الا تكلمت بالحجة عليها (قوله مظهر الحجة) أشار بذلك الى انه من ابان المتعدى وسابقا أفاد انه من ابان اللازم وهما استعمالان (قوله وجعلوا الملائكة الخ) المراد بالجعل القول والحكم وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة الملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للانوثة التى هى وصف خسة كفر ورد انهم لما قالوا ذلك سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انها اناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فنزل ستكتب شهادتهم ويسئلون (قوله وقالوا لو شاء الرحمن الخ) مفعول شاء محذوف أى عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم وهذا استدلال منهم بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها لزعمهم ان المشيئة متحدة مع الرضا وهو فاسد لأن الله تعالى قد يريد ما لا يرضاه وهو بيان لنوع آخر من كفرياتهم فتحصل انهم كفروا واعتقادات ثلاث هذه وقولهم الملائكة اناث وقولهم الملائكة بنات الله (قوله ان هم الا يخرصون) قاله هنا بلفظ يخرصون وفى الجاثية بلفظ يظنون لان ما هنا متصل بقوله وجعلوا الملائكة الآية أى قالوا الملائكة بنات الله وان الله قد شاء عبادتنا اياهم وهذا كذب فناسبه يخرصون وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لان قولهم نموت ونحيا صدق وانكارهم البعث وقولهم ما يهلكنا الا الدهر كذب فناسبه يظنون (قوله أم آتيناهم كتابا من قبله) تنويع فى الانكار عليهم مرة طبقوله أشهدوا خلقهم (قوله أى لم يقع ذلك) أشار به الى ان الهمزة للانكار (قوله بل قالوا انا وجدنا الخ) أى لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بانه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم (قوله أمة) قرأ العامة بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى الطريقة أيضا وبالفتح المرة من الام وهو القصد (قوله ماشون) أشار بتقديره هذا الى ان الجار والمجرور خبر ان وعليه فيكون مهتدون خبرا ثانيا (قوله مهتدون) قاله هنا بلفظ مهتدون وفيما يأتى بلفظ مقتدون تفننا (قوله وكذلك) أى والامر كاذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله ما أرسلنا استئناف مبنى لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم أيضا مستند غيره وفيه تسلية لرسول الله (قوله الا قال مترفوها) جمع مترف اسم مفعول وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم (قوله مثل قول قومك) مفعول مطلق نعت مصدر محذوف أى قولا مثل قول قومك وقوله انا وجدنا مقول القول (قوله قل لهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل لقومك يا محمد الخ (قوله باهدى مما وجدتم الخ) أى بدين أهدى وأصوب مما وجدتم الخ أى من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ والتعبير بالتفضيل لاجل التنزل معهم وارخاء العنان (قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أى فلا تكترث بتكذيب قومك لك فان عاقبتهم كغيرهم من المكذبين (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان الظرف معمول لمحذوف وسيأتى ان قوله لعلهم يرجعون متعلق بذلك المحذوف (قوله لابيه) تقدم الخلاف فى كونه اباه حقيقة أو عمه وتوجيه كل من القولين مفصلا (قوله براء) العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهمزة مصدر وقع موقع الصفة وهى برىء فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقرئ شذوذا بضم الباء وكسرها بوزن طوال وكرام (قوله الا الذى فطرنى) يحتمل ان الاستثناء منقطع بناء على انهم كانوا يشركون مع الله غيره وذلك انهم كانوا يعبدون النمرود ويحتمل ان الا صفة بمعنى غير (قوله يرشدنى لدينه) أى يدلنى على احكامه من صلاة وغيرها ودفع بذلك ما يقال ان الهداية حاصلة له لكونه مجبولا على التوحيد من ألست بربكم فكيف يعبر بالمضارع فضلا عن اقترانه بالسين فاجاب بما ذكر نظير ما أجاب به عن قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وأجيب أيضا بان السين زائدة والمضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى يديمنى على الهدى وأجيب أيضا بان المعنى سيثبتنى على الهداية (قوله اى كلمة التوحيد الخ) تفسير للضمير البارز والضمير المستتر يعود على ابراهيم والمعنى ان ابراهيم

(وهو فى الخصام غير مبين) مظهر الحجة لضعفه عنها بالانوثة (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا) حضروا (خلقهم ستكتب شهادتهم) بانهم اناث (ويسألون) عنها فى الآخرة فيترتب عليها العقاب (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة فعبادتنا اياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى (ما لهم بذلك) المقول من الرضا بعبادتها (من علم ان ما (هم الا يخرصون) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى القرآن بعبادة غير الله (فهم به مستمسكون) أى لم يقع ذلك (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) ملة (وانا) ماشون (على آثارهم مهتدون) بهم وكانوا يعبدون غير الله (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) متنعموها مثل قول قومك (انا وجدنا آباءنا على أمة) ملة (وانا على آثارهم مقتدون) متبعون (قل) لهم (أ) تتبعون ذلك (ولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به) أنت ومن قبلك (كافرون) قال تعالى تخويفا لهم (فانتقمنا منهم) أى من المكذبين للرسل قبلك (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين و) اذكر (اذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء) أى برىء (مما تعبدون الا الذى فطرنى) خلقنى (فانه سيهدين) يرشدنى لدينه (وجعلها) أى كلمة التوحيد المفهومة من قوله انى ذاهب الى ربى سيهدين (كلمة باقية فى عقبه) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (لعلهم)

أى أهل مكة (يرجعون) عما هم عليه الى دين ابراهيم أبيهم (بل متعت هؤلاء) المشركين (وآباءهم) ولم أعاجلهم بالعقوبة (حتى جاءهم الحق) القرآن (ورسول مبين) مظهر لهم الاحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) من أية منهما (عظيم) أى الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفى بالطائف (أهم يقسمون رحمت ربك) النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا (ورفعنا بعضهم) بالغنى (فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم) الغنى (بعضا) الفقير (سخريا) مسخرا فى العمل له بالاجرة والياء للنسب وقرئ بكسر السين (ورحمت ربك) أى الجنة (خير مما يجمعون) فى الدنيا (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم) بدل من لمن (سقفا) بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعا (من فضة ومعارج) كالدرج من فضة (عليها يظهرون) يعلون الى السطح (ولبيوتهم أبوابا) من فضة (و) جعلنا لهم (سررا) من فضة جمع سرير (عليها يتكئون

وصى بهذه الكلمة عقبه قال تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك الى ان قوله لعلهم الخ متعلق باذكر الذى قدره والمعنى اذكر يا محمد لقومك ماذكر ليحصل عندهم رجوع الى دين ابراهيم (قوله بل متعت هؤلاء) اضراب انتقالى للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع واسم الاشارة عائد على المشركين الكائنين فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله ولم أعاجلهم بالعقوبة) أى بل أعطيتهم نعما عظيمة وحرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فلم يشكروا وبل ازدادوا طغيانا فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام (قوله حتى جاءهم الحق) غاية لمحذوف والتقدير بل متعت هؤلاء فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم الخ (قوله وقالوا لولا نزل الخ) هذا من جملة شبههم الفاسدة التى بنوا عليها انكار نبوته صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا ان الرسالة منصب شريف لا يليق الا برجل شريف وهذا صدق غير انهم غلطوا فى دعواهم ان الرجل الشريف هو الذى يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق به رسالة الله وليس كذلك بل العبرة بتعظيم الله لا بالمال والجاه فليس كل عظيم المال والجاه معظما عند الله تعالى (قوله من أية منهما) أى من احدى القريتين (قوله أى الوليد بن المغيرة) أى وقد استمر كافرا حتى هلك (قوله وعروة بن مسعود) أى وقد هداه الله للاسلام فأسلم وحسن اسلامه وكان النبى عليه الصلاة والسلام يشبهه بعيسى بن مريم عليه السلام به رضى الله تعالى عنه (قوله أهم يقسمون) الاستفهام انكارى وتعجب من حالهم وتحكمهم (قوله رحمت ربك) ترسم بالتاء المجرورة هنا وفى قوله تعالى فيما يأتى ورحمت ربك اتباعا لرسم المصحف وهذان موضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة ثالثها فى البقرة أولئك يرجون رحمت الله رابعها فى الاعراف ان رحمت الله قريب من المحسنين خامسها فى هود رحمت الله وبركاته عليكم سادسها فى مريم رحمت ربك سابعها فى الروم فانظر الى أثر رحمت الله وما عداها يرسم بالهاء وللقراء فى تلك المواضع السبعة فى الوقف طريقان فمنهم من يقف بالهاء كسائر الهاآت الداخلة على الاسماء كفاطمة وقائمة ومنهم من يقف بالتاء تغليبا لجانب الرسم (قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا لاستقامة نظام العالم لا للدلالة على سعادة وشقاوة (قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اللام للتعليل أى ان القصد من جعل الناس متفاوتين فى الرزق لينتفع بعضهم ببعض ولو كانوا سواء فى جميع الاحوال لم يخدم أحد أحدا فيفضى الى خراب العالم وفساد نظامه (قوله والياء للنسب) أى نسبته للسخرة وهى العمل بلا أجرة اذا علمت ذلك فقول المفسر بالاجرة تقييد بالنظر لصحة التعليل ويصح أن يكون من السخرية التى هى بمعنى الاستهزاء والمعنى ليستهزئ الغنى بالفقير وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة (قوله وقرئ بكسر السين) أى قراءة شاذة جريا على عادته فى التعبير عن الشاذ بقرئ وعن السبعى بوفى قراءة وأما ما فى المؤمنون وص فكسر السين فيهما قراءة سبعية ففرق بين ما هنا وما فى السورتين المتقدمتين (قوله خير مما يجمعون) أى والمعظم من حازها وهو النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه لا من حاز الكثير من المال (قوله ولولا أن يكون الناس الخ) الكلام على حذف مضاف أى ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له المفسر فيما يأتى والاوضح ان يقول لولا رغبة الناس فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لجعلنا الخ لانه تعالى لا يوصف بالخوف ففرق الله الدنيا بين المؤمن والكافر على حسب ما قدره لهم فى الأزل ان قلت لم يوسع الدنيا على المسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لان الناس حينئذ يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهو ايمان المنافقين فما قدره الله تعالى خير لان كل من دخل الايمان فانما يقصد رضا الله فقط (قوله بدل من لمن) أى بدل اشتمال (قوله وبضمهما جمعا) أى على وزن رهن جمع رهن فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومعارج) جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم (قوله وجعلنا لهم سررا) أشار بذلك الى ان سررا معمول لمحذوف معطوف على قوله جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف جمل (قوله

وزخرفا) ذهبا وقيل الزخرف الزينة (قوله مخففة من الثقيلة) أي مهملة لوجود اللام في خبرها (قوله
والآخرة عند ربك للمتقين) أي ان الجنة تكون لكل موحد قال كعب وجدت في بعض كتب الله
المنزلة لولا ان يحزن عبدي المؤمن لكللت رأس عبدي الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه
عرق لوجع أي لا يضرك وفي الحديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وورد لو كانت الدنيا تزن
عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار اليه الفسقة
والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرهما من مبادي الفتنة بان يكون الناس أمة
واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لان من يبقى
اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد له في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن
حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه انتهى (قوله ومن يعش) من العشا وهو
الاعراض والتغافل ويطلق على ضعف البصر وفعله عشا يعشو كدعا يدعو (قوله يعرض) أي يتعامى
ويتغافل وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا (قوله عن ذكر
الرحمن) أضاف الذكر الى هذا الاسم اشارة الى ان الكافر باعراضه عن القرآن سد على نفسه باب
الرحمة ولو اتبعه لعمته الرحمة (قوله نقيض) جواب الشرط وفعله قوله يعش مجزوم بحذف الواو
والضمة دليل عليها (قوله فهو له قرين) أي في الدنيا بان يمنعه من الحلال ويحمله على فعل الحرام
وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية أو في الآخرة اذا قام من قبره لما ورد اذا قام من قبره شفع بشيطان
لا يزال معه حتى يدخله النار وان المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه والاولى العموم (قوله
وانهم) جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان كما أفرد أولا في قوله فهو مراعاة للفظه (قوله ويحسبون أنهم
مهتدون) الجملة حالية أي يعتقدون أنهم على هدى وهو بمعنى قوله تعالى ويحسبون أنهم على شيء الا
انهم هم الكاذبون (قوله في الجمع) أي في المواضع الثلاثة الاول أي ليصدونهم ويحسبون أنهم
وقوله رعاية معنى من أي بعدان روعي لفظها في ثلاثة أيضا الضمير المستتر في يعش والضميران
المجروران باللام في نقيض له فهو له وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في جاء وقال ثم مراعاة
معناها في ثلاثة مواضع ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم (قوله حتى اذا جاءنا) بالافراد والتثنية قراءتان
سبعيتان فعلى الاولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي وعلى الثانية ضمير التثنية (قوله بقرينه)
أي مع قرينه (قوله يا للتنبيه) ويصح أن تكون للنداء والمنادى محذوف تقديره قريني (قوله بعد
المشرقين) اسم ليت مؤخر وفيه تغليب المشرق على المغرب (قوله أي مثل ما بين المشرق والمغرب)
أي في أنهما لا يجتمعان ولا يقرب ان منه لانهما ضدان (قوله أنت) هو المخصوص بالذم (قوله قال تعالى)
الماضي بمعنى المضارع لان هذا القول يحصل في الآخرة (قوله أي العاشين) تفسير للكاف وقوله
تمنيكم وندمكم تفسير للضمير المستتر فيه واشارة الى انه فاعل ينفع وهو معلوم من السياق دل عليه قوله
ياليت بيني وبينك الخ وبعضهم قال ان الفاعل هو انكم وما في حيزها والتقدير وان ينفعكم اليوم
اشتراككم في العذاب وأتى بهذا دفعا لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها كمصائب الدنيا فانها اذا
عمت هانت بل في الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها (قوله أي تبين لكم) أي الآن في الآخرة
ودفع بذلك ما يقال ان الظلم وقع في الدنيا واليوم عبارة عن يوم القيامة واذ بدل من اليوم فكيف
يبدل الماضي من الحال فاجاب بان المراد تبين الظلم وظهوره وذلك يكون يوم القيامة (قوله واذ بدل
من اليوم) أي بدل كل من كل ان قلت ان ينفعكم عامل في اليوم واذ مع انه مستقبل واليوم ظرف حالي
واذ ظرف ماض فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي أجيب بان عمله في الحال من حيث انه
قريب من الاستقبال وتقدم ان الماضي مؤول بالحال (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام انكاري
بمعنى النفي أي أنت لا تسمعهم كما أشار له المفسر وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم وهم لا يزدادون
الا تصميما على الكفر (قوله ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمي ويكفي في العطف تغاير

وزخرفا) ذهبا المعنى لولا خوف
الكفر على المؤمن من اعطاء
الكافر ما ذكر لاعطيناه
ذلك لقلة حظ الدنيا عندنا
وعدم حظه في الآخرة في النعيم
(وان) مخففة من الثقيلة
(كل ذلك لما) بالتخفيف فما
زائدة وبالتشديد بمعنى الا فان
نافية (متاع الحياة الدنيا)
يتمتع به فيها ثم يزول (والآخرة)
الجنة (عند ربك للمتقين ومن
يعش) يعرض (عن ذكر
الرحمن) أي القرآن (نقيض)
نسبب (له شيطانا فهو له
قرين) لا يفارقه (وانهم) أي
الشياطين (ليصدونهم) أي
العاشين (عن السبيل) أي
طريق الهدى (ويحسبون
أنهم مهتدون) في الجمع رعاية
معنى من (حتى اذا جاءنا)
العاشي بقرينه يوم القيامة
(قال) له (يا) للتنبيه (ليت
بيني وبينك بعد المشرقين) أي
مثل بعد ما بين المشرق
والمغرب (فبئس القرين)
أنت لي قال تعالى (ولن
ينفعكم) أي العاشين تمنيكم
وندمكم (اليوم اذ ظلمتم) أي
تبين لكم ظلمكم بالاشراك في
الدنيا (انكم) مع قرنائكم (في
العذاب مشتركون) علة
بتقدير اللام لعدم النفع واذ
بدل من اليوم (أفأنت تسمع
الصم أو تهدي العمي ومن كان
في ضلال مبين) بين أي فهم
لا يؤمنون (فاما) فيه ادغام نون
ان الشرطية في ما الزائدة
(نذهبن بك)

بان نميتك قبل تعذيبهم (فانا منهم منتقمون) فى الآخرة (أو نرينك) فى حياتك (الذى وعدناهم) به من العذاب (فانا عليهم) على عذابهم (مقتدرون) قادرون (فاستمسك بالذى أوحى اليك) أى القرآن (انك على صراط) طريق (مستقيم وانه لذكر) لشرف (لك ولقومك) لنزوله بلغتهم (وسوف تسئلون) عن القيام بحقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) أى غيره (آلهة يعبدون) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أمم من أى أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لان المراد من الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه) أى القبط (فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا) الدالة على رسالته (اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية) من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد (الا هى أكبر من أختها) قرينتها التى قبلها (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) عن الكفر (وقالوا) لموسى لما رأوا العذاب (يا أيها الساحر) أى العالم الكامل لان السحر عندهم علم عظيم (ادع لنا ربك بما عهد عندك)

العنوان والا فالاوصاف الثلاثة مجتمعة فى كل كافر (قوله بأن نميتك قبل تعذيبهم) أى نقبضك الينا قبل انتقامنا منهم (قوله فانا عليهم مقتدرون) أى فلا يعجزوننا وقد وقع بهم العذاب على يده فى الدنيا وعلى أيدى اتباعه بعد موته الى يوم القيامة ولعذاب الآخرة أشد (قوله فاستمسك) أى دم على الاستمساك (قوله انك الخ) تعليل للامر بالاستمساك (قوله ولقومك) أى قريش خصوصا والعرب عموما فهو شرف لكل من تبعه وهذه الآية نظير قوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم (قوله من رسلنا) بيان لمن (قوله أجعلنا من دون الرحمن الخ) أى حكمنا بعبادة الاوثان وأنزلنا ذلك فى كتبنا (قوله قيل هو على ظاهره) أى من غير تقدير فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم وهذا على ان الآية مكية (قوله بأن جمع له الرسل الخ) جواب عما يقال انه متأخر فى البعث عن الرسل فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه (قوله وقيل المراد أمم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف والمعنى اسأل أمم من أرسلنا وقوله أى أهل الكتابين تفسير لامم وهذا على ان الآية مدنية لان أهل الكتابين انما كانوا فى المدينة (قوله ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولين قال ابن عباس وابن زيد لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين وجبريل مع النبى صلى الله عليه وسلم فاذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فقال صلى الله عليه وسلم قد اكتفيت والقول الآخر لغير ابن عباس انهم صلوا خلفه صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف المرسلون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف وكان يلى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم الخليل وعلى يمينه اسمعيل وعلى يساره اسحق ثم موسى ثم سائر المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربى أوحى الى أن أسألكم هل أرسل أحد منكم يدعو الى عبادة غير الله تعالى فقالوا يا محمد انا نشهد انا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا اله الا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك بامامتك ايانا وانه لا نبى بعدك الى يوم القيامة الا عيسى بن مريم فانه مأمور أن يتبع أثرك (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) الحكمة فى ذكر تلك القصة والتى بعدها عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته صلى الله عليه وسلم فان موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه من التعيير بقلة المال والجاه (قوله بآياتنا) أى معجزاتنا التسع والباء للملابسة (قوله فقال انى رسول رب العالمين) فى القصة اختصار قد بين فى سورة طه والقصص والمعنى فقال انى رسول رب العالمين لتؤمن به وترسل معى بنى اسرائيل (قوله فلما جاءهم بآياتنا) مرتب على مقدر أى فطلبوا منه آية تدل على صدقه يدل عليه ما تقدم فى الاعراف قال ان كنت جئت بآية فأت بها الخ (قوله اذا هم منها يضحكون) اذا الفجائية والمعنى حين جاءهم بالآيات فاجؤا المجئ بها بالضحك والسخرية من غير تأمل ولا تفكر (قوله والجراد) أى والقمل والضفادع والدم كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم فيستجيروا بموسى فيدعو الله تعالى فيكشفه عنهم فيمكثون بين كل واحدة والأخرى شهرا ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة فاستجاروا ثم عادوا الطغيان ثم دعا الله فكشفت عنهم ثم دعا عليهم بالطمس فطمست أموالهم فعزموا على قتل موسى وقومه فانتقم الله منهم بالغرق (قوله الا هى أكبر من أختها) الجملة صفة لآية والمعنى الا هى بالغة الغاية فى الاعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنها أكبر من غيرها (قوله لعلهم يرجعون) أى عما هم عليه من الكفر (قوله لان السحر عندهم علم عظيم) أى فقصدوا بذلك تعظيمه لا تنقيصه ان قلت ان الله تعالى قال فى سورة الاعراف حكاية عنهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك الخ فهذا يقتضى انهم نادوه باسمه وهذا صريح فى انهم نادوه بيا أيها الساحر فكيف الجمع بينهما أجيب بأن الخطاب تعدد ولعلهم يا أيها الساحر على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستقصارا لعقولهم (قوله

من كشف العذاب عنا ان آمنا (اننا لمهتدون) أى مؤمنون (فلما كشفنا) بدعاء موسى (عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون) افتخارا (فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار) أى من النيل (تجرى من تحتى) أى تحت قصورى (أفلا تبصرون) عظمتى (أم) تبصرون وحينئذ (أنا خير من هذا) أى موسى (الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) يظهر كلامه للثغه بالجمرة التى تناولها فى صغره (فلولا) هلا (ألقى عليه) ان كان صادقا (أساورة من ذهب) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه ان يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يشهدون بصدقه (فاستخف) استفز فرعون (قومه فأطاعوه) فيما يريد من تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا) اغضبونا (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم أى سابقين عبرة (ومثلا للآخرين) بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم (ولما ضرب) جعل (ابن مريم مثلا) حين نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال المشركون رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى لانه عبد من دون الله (اذا قومك) أى المشركون (منه) من المثل (يصدون) يضحكون فرحا بما سمعوا (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أى عيسى فنرضى ان تكون آلهتنا معه (ما ضربوه) أى المثل (لك الا جدلا) خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بل هم قوم خصمون) شديدو الخصومة (ان) ما (هو) عيسى (الا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه) بوجوده من غير أب (مثلا لبنى اسرائيل) أى كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء (ولو نشاء لجعلنا منكم) بدلكم (ملائكة فى الأرض يخلفون) بأن نهلككم

من كشف العذاب) بيان لما (قوله اننا لمهتدون) أى ان كشف العذاب عنا (قوله اذا هم ينكثون) أى فى كل مرة من مرات العذاب (قوله ونادى فرعون) أى بنفسه أو بمناديه (قوله وهذه الانهار الخ) معطوف على ملك مصر وجملة تجرى حال من اسم الاشارة (قوله أفلا تبصرون) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله عظمتى (قوله أم تبصرون) أشار بذلك الى ان أم متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين والمعادل محذوف واعترض بأن المعادل لا يحذف بعد ام الا ان كان بعدها لا نحو أتقوم أم لا أى أم لا تقوم وأجيب بأن هذا غالب لا مطرد (قوله وحينئذ) أشار بذلك الى ان قوله أنا خير الخ مسبب عن المعادل المحذوف (قوله حقير) أى لانه يخدم نفسه وليس له ملك ولا نفاذ أمر (قوله ولا يكاد يبين) الجملة اما عطف على جملة هو مهين أو حال أو مستأنفة (قوله للثغته) بضم اللام وهى تصيير الراء غينا أو لاما أو السين ثاء (قوله التى تناولها فى صغره) أى حين لطم فرعون على وجهه فاغتم لذلك واراد قتله فمنعته زوجته وقالت له انه صغير لا يعرف التمرة من الجمرة فأتى له بتمر وجمر فاراد أخذ التمرة فحول جبريل يده فأخذ الجمرة فأثرت فى لسانه وقد حلها الله حين أرسله وانما وصفه فرعون بها الآن استصحابا لما كان يعرف منه (قوله فلولا ألقى عليه) أى من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك حقيقة (قوله استفز فرعون قومه) المعنى استخف فرعون عقول قومه فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التى أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه (قوله فلما آسفونا) أصله أأسفونا بهمزتين أبدلت الثانية ألفا (قوله اغضبونا) أى حيث بالغوا فى العناد والعصيان (قوله انتقمنا منهم) أى عاقبناهم (قوله فأغرقناهم أجمعين) تفسير للانتقام وقد أهلكوا بجنس ما تكبروا به ففيه اشارة الى ان من افتخر بشئ وتعزز بغير الله أهلكه به (قوله ومثلا) معطوف على سلفا والمراد بالآخرين المتأخرون فى الزمان وهى الأمة المحمدية (قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا) سبب نزولها انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله الآية قال عبد الله بن الزبعرى وكان قبل ان يسلم أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال رسول الله هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال قد خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرا وبنو مليح يعبدون الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت انتظارا للوحى فظنوا انه ألزم الحجة فضحكوا وارتفعت أصواتهم اذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسر فى القصة (قوله اذا قومك) اذا فجائية والمعنى فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم (قوله يصدون) بضم الصاد وكسرها من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان (قوله فرحا بما سمعوا) أى ان محمدا صار مغلوبا بهذا الجدال (قوله وقالوا أآلهتنا خير الخ) تفصيل لجدالهم والمعنى انهم قالوا آلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان النار فلتكن آلهتنا معه وقوله آلهتنا بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بغير ادخال ألف بينهما فهما قراءتان سبعيتان فقط وقرئ شذوذا بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر (قوله فنرضى ان تكون الخ) هذا تفريع على الشق الثانى (قوله الا جدلا) مفعول من أجله أى لأجل الجدال والمراء (قوله لعلمهم أن ما) أى الواقعة فى قوله تعالى انكم وما تعبدون وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب ان ما تكون لغير العاقل ومن للعاقل (قوله ان هو الا عبد) رد عليهم والمعنى ما عيسى الا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة لا اله ولا ابن اله (قوله بوجوده من غير أب) أى فهو نظير آدم فى خلقه من غير أبوين (قوله ولو نشاء لجعلنا منكم) خطاب لقريش والمعنى اننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم فلو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدونى فى الأرض (قوله بدلكم) أى فهو نظير قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقول الشاعر

(وانه) أى عيسى (لعلم للساعة) تعلم بنزوله (فلا تمترن بها) أى تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين (و) قل لهم (اتبعون) على التوحيد (هذا) الذى آمركم به (صراط) طريق (مستقيم ولا يصدنكم) يصرفنكم عن دين الله (الشيطان انه لكم عدو مبين) بين العداوة ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات والشرائع (قال قد جئتكم بالحكمة) بالنبوة وشرائع الانجيل (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط) طريق (مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) فى عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (فويل) كلمة عذاب (للذين ظلموا) كفروا بما قالوه فى عيسى (من عذاب يوم أليم) مؤلم (هل ينظرون) أى كفار مكة أى ما ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم) بدل من الساعة (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئها قبله (الاخلاء) على المعصية فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة متعلق بقوله (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) المتحابين فى الله على طاعته فانهم أصدقاء و يقال لهم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا) نعت لعبادى (بآياتنا) القرآن (وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم) مبتدأ (وأزواجكم) زوجاتكم (تحبرون) تسرون وتكرمون خبر المبتدأ (يطاف عليهم بصحاف) بقصاع (من ذهب وأكواب) جمع كوب وهو اناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وفيها ما تشتهى الانفس)

جاريه لم تأكل المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا

ويصح ان تكون من تبعيضية والمعنى لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها بان يحول بعضكم الى صورة الملائكة أو يلد بعضكم ملائكة (قوله وانه لعلم) أى نزوله علامة على قرب الساعة فالكلام على حذف مضاف واللام بمعنى على (قوله واتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله ولا يصدنكم الشيطان) معطوف على اتبعون فهو مقول القول وقيل من كلام الله تعالى والمعنى اتبعوا يا عبادى هدى أو رسولى ولا يصدنكم الشيطان الخ (قوله ولما جاء عيسى) أى أرسل لبنى اسرائيل (قوله ولابين لكم) معطوف على قوله بالحكمة أى وجئتكم لأبين ولم يترك العاطف اشارة الى انه متعلق بما قبله اشعارا بالاهتمام بالعلة حتى جعل كأنه كلام برأسه (قوله بعض الذى تختلفون فيه) أى فبين لهم أمر الدين وهو بعض ما يختلفون فيه لان اختلافهم فى أمر الدين وتكسبات الدنيا والانبياء بعثوا لبيان الدين لا لصنائع الدنيا فانها تؤخذ عن أهلها وفى الحديث أنتم أعلم بأمر دنياكم (قوله فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما أبلغه عنه (قوله فاختلف الاحزاب من بينهم) أى تفرقوا من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى (قوله أهو الله) هذه مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية (قوله أو ابن الله) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى المرقوسية (قوله أو ثالث ثلاثة) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى الملكانية وقالت فرقة انه عبد الله و رسوله وانما كفرت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت اليهود انه ليس بنبى فانه ابن زنا لعنهم الله (قوله كلمة عذاب) أى كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ وقوله للذين ظلموا خبره (قوله أى كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب اثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلا (قوله وهم لا يشعرون) الجملة حالية (قوله على المعصية) أى وعليه فيكون الاستثناء منقطعا و يصح ان المراد بالاخلاء الاحباب مطلقا فيكون الاستثناء متصلا (قوله متعلق بقوله بعضهم) أى والفصل بالمبتدا لا يضر (قوله فانهم أصدقاء) أى ويشفعون لبعضهم و يتوددون كما كانوا فى الدنيا (قوله و يقال لهم) أى تشريفا وتطييبا لقلوبهم و ورد انه ينادى مناد فى العرصات يا عبادى لا خوف عليكم اليوم فيرفع أهل العرصة رؤسهم فيقول المنادى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رؤسهم غير المسلمين (قوله يا عبادى) الاضافة للتشريف والتكريم والياء اما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة ثلاث قراآت سبعيات وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور الأول نفى الخوف والثانى نفى الحزن والثالث الأمر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور فى قوله تحبرون (قوله لا خوف عليكم) بالرفع والتنوين فى قراءة العامة وهو مبتدأ وعليكم خبره وقرئ شذوذا بالضم أو الفتح دون تنوين (قوله وكانوا مسلمين) أى مخلصين فى أمر الدين (قوله زوجاتكم) أى المؤمنات (قوله تسرون) أى يظهر أثره على وجوهكم (قوله بقصاع) جمع قصعة وهى الاناء الذى يشبع العشرة وأكبر منها الجفنة والصحفة ما يشبع الخمسة والمئكلة ما يشبع الرجلين أو الثلاثة و ورد انه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا و يراح عليه بمثلها و يطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا (قوله جمع كوب) أى كعود وأعواد (قوله لا عروة له) أى ليس له محل يمسك منه (قوله ليشرب الشارب من حيث شاء) أى لان العروة تمنع من بعض الجهات و روى أنهم يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا (قوله وفيها) أى الجنة (قوله ما تشتهى الأنفس) أى من الاشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة روى أن رجلا

قال

قال يارسول الله أفي الجنة خيل فاني أحب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت الا فعلت فقال اعرابي يارسول الله أفي الجنة ابل فاني أحب الابل فقال يا اعرابي ان أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وتشتهى بها واحدة واثنتين بينهما الباعقراء تان سمعتا ن (قوله تلذذا) أي فطعامها وشرابها لا عن عطش (قوله نظرا) أي وأعظمه النظر الى وجه الله الكريم (قوله وتلك الجنة) مبتدأ وخبر وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب تشريفا لها وتعظيما لقدرها ولم يقل وتلكم والجنة ليكون مناسبا لقوله أورثتموها اشارة الى ان كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال (قوله أورثتموها بما كنتم تعملون) أي أعطيتموها بسبب عملكم وهذا زيادة في الاكرام لاهل الجنة حيث لم يقل أو رثتموها من فضلي وان كانت في الحقيقة من فضله تعالى قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر (قوله يخلف بدله) أي لانها على صفة الماء النابع لا يؤخذ منها شئ الا خلف مكانه في الحال مثله (قوله ان المجرمين الخ) لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة وما فيها شرع في ذكر وعيد الكافرين السيئ بالنار وما فيها على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم في مقابلة المؤمنين (قوله لا يفتر عنهم) الجملة حالية وكذا ما بعدها والفتور السكون يقال من فتر الماء سكن حره (قوله ساكتون) أي فالابلاس السكوت و يطلق على السكون يقال أبلس سكت وسكن (قوله سكوت يأس) أي من رحمة الله تعالى ان قلت ان مقتضى ما هنا انهم يسكتون في النار ومقتضى ما يأتي في قوله ونادوا يا مالك الآية انهم يستغيثون و يتكلمون فحصل التنافي بين الموضعين أجيب بانهم يسكتون تارة و يستغيثون أخرى فاحوالهم مختلفة (قوله ولكن كانوا هم الظالمين) العامة على نصب الظالمين خبر الكان وهم ضمير فصل وقرئ شذوذا الظالمون بالرفع على انهم ضمير منفصل مبتدأ والظالمون خبره والجملة خبر كان (قوله ونادوا) التعبير بالماضي لتحقق الحصول (قوله هو خازن النار) أي كبير خزنتها ومجلسه وسط النار وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها (قوله ليقض علينا ربك) اللام للدعاء ويقض مجزوم بحذف الياء والمعنى سل ربك أن يميتنا فهو من قضى عليه اذا أماته (قوله ليميتنا) أي لنستريح مما نحن فيه (قوله بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال وقيل بعد مائة سنة وقيل بعد أربعين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون (قوله مقيمون في العذاب دائما) أي لا مفر لكم منه بموت ولا غيره (قوله لقد جئناكم الخ) يحتمل انه من كلام الله تعالى خطاب لاهل مكة عموما مبين لسبب مكث الكفار في النار وهو ما مشى عليه المفسر وقوله ولكن أكثركم للحق كارهون أي وأما أقلكم فهو مؤمن يحب الحق و يحتمل انه من كلام مالك لاهل النار جار مجرى العلة كانه قال انكم ما كثون لانا جئناكم الخ و يكون معنى أكثركم كلكم (قوله كارهون) أي لما فيه من منع الشهوات فكراهتكم له من أجل كونه مخالفا لهواكم وشهواتكم (قوله أم أبرموا أمرا) الابرام في الاصل الفتل المحكم يقال أبرم الحبل اذا أتقن فتله ثانيا وأما فتله أولا فيسمى سحلا ثم أطلق على مطلق الاتقان والاحكام وأم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو انتقال من توبيخ أهل النار الى توبيخ الكفار على بعض ما حصل منهم في الدنيا (قوله في كيد محمد) أي كما ذكره في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (قوله أم يحسبون) أم منقطعة تفسر ببل وهمزة الانكار (قوله و رسلنا الخ) الجملة حالية وقوله يكتبون ذلك أي سرهم ونجواهم (قوله قل ان كان للرحمن ولد) أي ان صح وثبت ذلك ببرهان صحيح فانا أول من يعظم ذلك الولد و يعبده (قوله لكن ثبت ان لا ولد له) اشار بذلك الى أنه قياس استثنائي وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله لكن ثبت الخ فانتج نقيض التالي وهو قوله فانتفت عبادته وايضاحه انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محالة في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فحصل نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها (قوله الكرسي) المناسب ابقاء الآية على ظاهرها لان من المعلوم ان العرش غير الكرسي (قوله العذاب) مفعول ثان ليوعدون

تلذذا (وتلذ الاعين) نظ
(وأنتم فيها خالدون وتلك الـ
التي أورثتموها بما ك
تعملون لكم فيها فاكهة كث
منها) أي بعضها (تأكلون)
ما يؤكل يخلف بدله (ا
المجرمين في عذاب جهنم خالد
لا يفتر) يخفف (عنهم وهم ف
مبلسون) ساكتون سكوت
يأس (وما ظلمناهم ولكن كا
هم الظالمين ونادوا يا مالك) ه
خازن النار (ليقض علينا
ربك) ليميتنا (قال) بعد ألف
سنة (انكم ماكثون) مقيمون في
العذاب دائما قال تعالى (لقد
جئناكم) أي أهل مك
(بالحق) على لسان الرسو
(ولكن أكثركم للحق كارهو
أم أبرموا) أي كفار مك
أحكموا (أمرا) في كيد محمد
النبي (فانا مبرمون) محكمون
كيدنا في اهلاكهم (أ
يحسبون أنا لا نسمع سرهم
ونجواهم) ما يسرون الى غيرهم
وما يجهرون به بينهم (بلى)
نسمع ذلك (و رسلنا) الحفظة
(لديهم) عندهم (يكتبون)
ذلك (قل ان كان للرحمن ولد)
فرضا (فانا أول العابدين) للولد
لكن ثبت ان لا ولد له تعالى
فانتفت عبادته (سبحان رب
السموات والارض رب
العرش) الكرسي (عما
يصفون) يقولون من الكذب
بنسبة الولد اليه (فذرهم
يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا)
في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون) فيه العذاب

وفيه متعلق بالعذاب (قوله وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول يوم موتهم لان خوضهم ولعبهم انما ينتهي بيوم الموت (قوله وهو الذى هو فى السماء الخ) قدر الضمير اشارة الى أن العائد محذوف وهو مبتدا واله خبره وفى السماء متعلق باله وانما حذف المبتدا لدلالة المعنى عليه ولطول الصلة بالمعمول نظير قولك ما انا بالذى قائل لك سوأ ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما واله مبتدا مؤخرا لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير جاء الذى فى الدار زيد (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى همزة سماء وهمزة اله وذكر المفسر هنا ثلاث قرا آت وفى الحقيقة هى سبع سبعيات التحقيق وهى قراءة واحدة واسقاط الهمزة الاولى وتسهيلها مع القصر فى سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين وتسهيل الثانية وابدالها ياء مع القصر لا غير (قوله متعلق بما بعده) أى وهو اله لانه بمعنى معبود والتقدير وهو معبود فى السماء ومعبود فى الارض ولاشك ان العابد فى السماء غير العابد فى الارض والمعبود واحد ودفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية ان الاله متعدد لان النكرة اذا أعيدت كانت غيرا (قوله وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها (قوله والتاء) أى فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد والتقريع (قوله ولا يملك الذين الخ) الاسم الموصول فاعل يملك وهو اما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله فيكون الاستثناء متصلا وهو ما تقتضيه عبارة المفسر أو عن خصوص الاصنام فيكون منقطعا (قوله أى الكفار) تفسير للواو فى يدعون (قوله لاحد) قدره اشارة الى أن مفعول الشفاعة محذوف (قوله وهم يعلمون) الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها (قوله ولئن سألتهم) أى العابدين مع ادعاء الشريك (قوله ليقولن الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة (قوله أى قول محمد النبى) تفسير لكل من المضاف والمضاف اليه وقوله ونصبه على المصدر أى فالقول والقيل والقال والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد وفى قراءة سبعية أيضا بالجر اما عطفا على الساعة أو ان الواو للقسم والجواب اما محذوف والتقدير لأفعلن بهم ما أريد أو مذكور وهو قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون (قوله وقل سلام) خبر لمحذوف أى شأنى سلام أى ذو سلامة منكم ومنى فهو تباعد وتبرؤ منهم فليس فى الآية مشروعية السلام على الكفار (قوله وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم) أى فالآية منسوخة ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها

﴿سورة الدخان مكية﴾

أى كلها وهو المعتمد (قوله الآية) أى الى قوله عائدون وورد فى فضل هذه السورة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة قال بعض العلماء ماذكره البيضاوى من الاحاديث الواردة فى فضل السور متكلم فيها الا أحاديث سورة الدخان وحديث يس الذى تقدم لنا وهو ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له الى آخره وحديث سورة الواقعة وهو من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا (قوله والكتاب) الواو للقسم والكتاب مقسم به وجواب القسم هو قوله انا أنزلناه الخ وأما قوله انا كنا منذرين فهو تعليل للجواب وهو أحسن من جعل الجواب قوله انا كنا منذرين وقوله انا أنزلناه جملة معترضة بين القسم وجوابه (قوله القرآن) هذا أحد أقوال فى تفسير الكتاب وهو أقواها وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن فى ليلة مباركة وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن كما تقول للعظيم أتشفع بك لك وفى الحديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الانبياء والضمير فى أنزلناه عائد على القرآن المفهوم من السياق وقيل المراد به اللوح المحفوظ وقوله أنزلناه أى أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن (قوله هى ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين ووجه بأمور منها قوله تعالى انا أنزلناه

وهو يوم القيامة (وهو الذى هو (فى السماء اله) بتحقيق الهمزتين واسقاط الاولى وتسهيلها كالياء أى معبود (وفى الارض اله) وكل من الظرفين متعلق بما بعده (وهو الحكيم) فى تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم (وتبارك) تعظم (الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) متى تقوم (واليه يرجعون) بالياء والتاء (ولا يملك الذين يدعون) يعبدون أى الكفار (من دونه) أى الله (الشفاعة) لاحد (الا من شهد بالحق) أى قال لا اله الا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فانهم يشفعون للمؤمنين (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلقهم ليقولن الله) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فأنى يؤفكون) يصرفون عن عبادة الله (وقيله) أى قول محمد النبى ونصبه على المصدر بفعله المقدر أى وقال (يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال تعالى (فاصفح) أعرض (عنهم وقل سلام) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فسوف يعلمون) بالياء والتاء تهديد لهم

﴿سورة الدخان مكية﴾

وقيل الا انا كاشفوا العذاب الآية وهى ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الله أعلم بمراده به (والكتاب) القرآن (المبين) المظهر الحلال من الحرام (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر

في ليلة القدر فيجب أن تكون الليلة المباركة هي المسماة بليلة القدر لان خير ما فسرته بالوارد ومنها قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فقوله تعالى هنا انا انزلناه في ليلة مباركة يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان فثبت أنها ليلة القدر ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقال هنا يفرق فيها كل أمر حكيم وقال هنا رحمة من ربك وقال في ليلة القدر سلام هي حتى مطلع الفجر واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الأخرى وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو المعتمد وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق ويسلم ذلك الى مدبرات الامور وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة النصف من شعبان ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت (قوله أو ليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة ووجه بامور منها ان ليلة النصف من شعبان لها أربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصك ومنها فضل العبادة فيها لما ورد من صلى فيها مائة ركعة أرسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث أن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا ومنها ان الله تعالى اعطى رسوله في هذه الليلة تمام الشفاعة في امته وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد عن الله شرود البعير (قوله نزل فيها) أي جملة ومعنى انزاله من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ان جبريل املاه منه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة ينزل بها على النبي صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث (قوله انا كنا منذرين) المراد من كان الاستمرار والدوام أي شأننا وعادتنا الانذار والتخويف وهذه الجملة علة للانزال وكونه في ليلة مباركة والمعنى انما أنزلناه في ليلة مباركة لان شأننا الانذار وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة شأنه ان يخاف منه (قوله فيها يفرق) هذه الجملة اما مستأنفة أو صفة لليلة وما بينهما اعتراض (قوله يفصل) أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف (قوله محكم) أي مبرم لا تغيير فيه ولا تبديل (قوله فرقا) أشار بذلك الى أن أمرا منصوب على المصدرية بفعل ملاق له في المعنى كقمت وقوفا وجلست قعودا ويصح أن يكون حالا من فاعل أنزلناه والتقدير أنزلناه حال كوننا آمرين أو من مفعوله والتقدير أنزلناه حال كونه مأمورا به ويصح أن يكون مفعولا لاجله وعامله أنزلناه والتقدير أنزلناه لامر الخلق أي شأنهم بمعنى ان فيه مصالح دينهم ودنياهم قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ (قوله من عندنا) صفة لامرا (قوله انا كنا مرسلين) جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الانزال في ليلة مباركة وكونه أمرا (قوله رحمة) مفعول لأجله والعامل فيه ما أنزلناه واما أمرا واما منذرين واما يفرق واما مرسلين وهو الاقرب ويصح أن يكون منصوبا بفعل محذوف أي رحمناهم رحمة ويصح أن يكون حالا من ضمير مرسلين أي ذوي رحمة ويصح ان يكون بدلا من أمرا (قوله من ربك) متعلق برحمة وفيه التفات من التكلم للغيبة لمزيد الارهاب والترغيب فالارهاب للكفار والترغيب للمؤمنين (قوله انه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وان حرف توكيد ونصب والهاء اسمها وهو ضمير فصل والسميع خبر أول والعليم خبر ثان وقوله رب خبر ثالث كما قال المفسر ففيه اشارة لهذا الاعراب (قوله فايقنوا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف والجملة الشرطية معترضة بين الاخبار فان قوله لا اله الا هو خبر رابع (قوله ربكم ورب آبائكم) بالرفع في قراءة

أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة الى السماء الدنيا (انا كنا منذرين) مخوفين به (فيها) أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان (يفرق) يفصل (كل أمر حكيم) محكم من الارزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة الى مثل تلك الليلة (أمرا) فرقا (من عندنا انا كنا مرسلين) الرسل محمدا ومن قبله (رحمة) رأفة بالمرسل اليهم (من ربك انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأفعالهم (رب السموات والارض وما بينهما) برفع رب خبر ثالث وبجره بدل من ربك (ان كنتم) يا أهل مكة (موقنين) بأنه تعالى رب السموات والارض فأيقنوا بأن محمدا رسوله (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين)

العامة على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السموات والارض فيمن رفعه وقرئ شذوذا بالجر والنصب فالاول على انه نعت لرب السموات في قراءة من جره والثاني على المدح (قوله بل هم في شك) اضراب عن محذوف والمعنى فليسوا موقنين بل هم في شك وقوله يلعبون حال أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الاقوال والافعال والمراد بلعبهم انهماكهم في الفاني واعراضهم عن الباقي قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب (قوله فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي سنين هذا مفرع على محذوف أشار له المفسر بقوله استهزاء اى فلما استهزؤا به وكثر عنادهم دعا عليهم بقوله اللهم أعني عليهم أي على هداهم وفي الحقيقة هو دعاء لهم لان من شأن النفوس أنها اذا شبعت وكثر عليها الخير تكبرت وطغت وبغت فاذا جاعت واشتد بها الالم ذلت وصغرت ورجعت للحق لما ورد أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها من انا قالت له انت أنت وأنا أنا فالقاها في بحر الجوع فذلت وقالت أنت الله لا اله غيرك ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع (قوله قال تعالى) أي اجابة لدعوته واختلف هل حصل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة أو بعد هجرته الى المدينة وهو الراجح (قوله يوم تأتي السماء) مفعول به وعامله فارتقب (قوله بدخان) الدخان بوزن غراب وجبل ورمان الغبار والجمع ادخنة ودواخن ودواخين والتلاوة بوزن غراب (قوله فاجدبت الارض) أشار بذلك الى حصول مطلوبه فيهم بالفعل (قوله كهيئة الدخان) أشار بذلك الى انه ليس المراد حقيقة الدخان بل رأوا اشياء يشبهه من ضعف أبصارهم وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود فلما اشتد الامر عليهم جاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام حتى تضرروا من كثرته فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا فارتفع وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن انه دخان حقيقة يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والارض يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كالزكام وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه واذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت أوقدت فيه النار (قوله يغشى الناس) صفة ثانية للدخان والمراد بهم قريش وامثالهم على ما قاله المفسر وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار (قوله انا مؤمنون) هذا وعد منهم بالايمان وقد أخلفوه وليس المراد انهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا (قوله أي لا ينفعهم الايمان الخ) الاوضح أن يقول أي لا يوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب عنهم وهو استبعاد لايمانهم (قوله وقالوا معلم) أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة انه يعلمه غلام أعجمي وقالوا تارة انه مجنون وتقدم في سورة النحل في قوله انما يعلمه بشر أن رجلا اسمه جبر وهو غلام عامر بن الحضرمي ورجلا اسمه يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه فقال الكفار انما يعلمه بشر فرد الله تعالى عليهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي الآية (قوله انا كاشفوا العذاب) جواب عن قوله ربنا اكشف عنا العذاب (قوله قليلا) قيل الى يوم بدر وقيل الى ما بقي من أعمارهم (قوله فعادوا اليه) أي استمروا عليه لانه لم يوجد منهم ايمان بالفعل (قوله اذكر يوم نبطش) أشار بذلك الى أن يوم منصوب بمحذوف ويصح أن يكون بدلا من يوم تأتي (قوله بلونا) أي امتحنا والمعنى فعلنا بهم فعل الممتحن باقبال النعم عليهم منا ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان (قوله قبلهم) أي قبل قريش (قوله معه) أشار بذلك دفعا لما يتوهم من ظاهر الآية ان الابتلاء لخصوص قوم فرعون فاجاب بان المراد هو وقومه (قوله وجاءهم) هو من جملة الممتحن به (قوله كريم على الله) أي عزيز عليه حيث اختصه بالرسالة والكلام وهذا رد لقول فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين كأنه قال حاشا موسى من المهانة بل هو كريم عزيز على ربه (قوله أي بأن) اشار بذلك الى أن أن مصدرية ويصح أن تكون مفسرة وأن تكون مخففة من الثقيلة (قوله عباد الله) مشى المفسر على ان مفعول أدوا محذوف وعباد الله منادى وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه

بل هم في شك) من البعث (يلعبون) استهزاء بك يا محمد فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف قال تعالى (فارتقب) لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فاجدبت الارض واشتد بهم الجوع الى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والارض (يغشى الناس) فقالوا (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مصدقون نبيك قال تعالى (أنى لهم الذكرى) أي لا ينفعهم الايمان عند نزول العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) بين الرسالة (ثم تولوا عنه وقالوا معلم) أي يعلمه القرآن بشر (مجنون انا كاشفوا العذاب) أي الجوع عنكم زمنا (قليلا) فكشف عنهم (انكم عائدون) الى كفركم فعادوا اليه اذكر (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) منهم والبطش الاخذ بقوة (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم قوم فرعون) معه (وجاءهم رسول) هو موسى عليه السلام (كريم) على الله تعالى (أن) أي بأن (أدوا الي) ما ادعوكم اليه من الايمان أي اظهروا ايمانكم بالطاعة لي يا (عباد) الله

وقيل ان عباد الله مفعول لأدوا والمراد بهم بنو اسرائيل ومعنى تأديتهم اياهم اطلاقهم من الاسر يشير الى هذا قوله تعالى في سورة الشعراء ان ارسل معنا بني اسرائيل وعلى كلا القولين فالخطاب في أدوا لفرعون وقومه (قوله انى لكم رسول أمين) تعليل للامر وقوله على ما أرسلت به متعلق بامين والمعنى مأمون على ما ارسلني الله به فلا أزيد ولا أنقص وذكر الامانة بعد الرسالة وان كانت تستلزمها اشارة الى أنها وصف شريف ينبغي الاعتناء به (قوله وأن لا تعلوا على الله) عطف على قوله ان ادوا (قوله تتجبروا على الله) فسر العلو بالتجبر وفسره غيره بالتكبر والبغي والافتراء والتعاظم والاستكبار وكلها معان متقاربة (قوله انى آتيكم) تعليل للنهي (قوله فتوعدوه بالرجم) ظاهره انه حين قال انى آتيكم بسلطان مبين توعدوه بالرجم ولم يتمهلوا مع أنه تقدم ان فرعون قال له فأت بها ان كنت من الصادقين ومكث بينهم مدة عظيمة وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة ثم لما توعدوه دعا عليهم وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف فالجواب ان القصة ذكرت هنا مجملة وما تقدم ذكرت مبسوطة وذكر الشئ مفصلا ثم مجملا أثبت في النفس (قوله أن ترجمون) الياء فيه وفي قوله فاعتزلون من ياآت الزوائد لا تثبت في الرسم وأما في اللفظ فيجوز اثباتها وحذفها حالة الوصل فقط وأما في الوقف فيتعين حذفها (قوله وان لم تؤمنوا لى) اللام بمعنى الباء ويصح أن تكون لام العلة والمعنى ان لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لاجل برهاني الخ (قوله فاتركوا أذاى) أي لا تتعرضوا الى بسوء (قوله فدعا ربه) عطف على مقدر قدره بقوله فلم يتركوه وقوله ان هؤلاء الخ تعريض بالدعاء كانه قال فافعل ما يليق بهم وأن بفتح الهمزة في قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها على اضمار القول (قوله بقطع الهمزة ووصلها) أي وهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان الاولى من أسرى والثانية من سرى قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده وقال تعالى والليل اذا يسر والاسراء السير ليلا وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ (قوله اذا قطعته أنت وأصحابك) هذا تعليم لموسى عما يفعله في سيره قبل أن يسير والمعنى اذا سريت بهم وتبعك العدو ووصلت الى البحر وأمرناك بضربه ودخلتم فيه ونجوتم منه فاتركه بحاله ولا تضرب به بعصاك فيلتئم بل ابقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم (قوله رهوا) حال من البحر وهو في الاصل مصدر رها يرهو رهوا اما بمعنى سكن واما بمعنى انفرج والمفسر جمع بينهما (قوله فاطمأن بذلك) أي بقوله انهم جند مغرقون والضمير في اطمأن عائد على موسى (قوله كم تركوا من جنات) كم مفعول لتركوا والمعنى تركوا أمورا كثيرة بينها بقوله من جنات الخ (قوله مجلس حسن) أي محافل مزينة ومنازل حسنة كما هو مشاهد في منازل الملوك الآن (قوله متعة) أي أمور يتمتعون بها وينتفعون بها كالملابس والمراكب (قوله فاكهين) العامة بالالف وقرئ شذوذا بغير ألف ومعنى الاولى ناعمين كما قال المفسر أي متنعمين ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله (قوله خبر مبتدا) أي والوقف على كذلك والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها (قوله أي الامر) أي وهو اهلاك فرعون وقومه (قوله وأورثناها) معطوف على كم تركوا والمعنى تركوا أمورا كثيرة وأورثنا تلك الامور بني اسرائيل (قوله أي بني اسرائيل) فقد رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون ان قلت كيف قال الله تعالى وأورثناها قوما آخرين مع انه تقدم ان أموالهم طمست ومسخت حجارة قلت لعل الجواب أنها بعد غرقهم أعيدت كما كانت اكراما لبني اسرائيل لحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس (قوله فما بكت عليهم السماء والارض) اختلف في البكى فقيل حقيقة وعليه فقيل هو واقع من ذات السموات والارض ويؤيده ما ورد ما من مؤمن الا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقداه فيبكيان عليه وتلا فما بكت عليهم السماء والارض ويؤيده أيضا قول مجاهد ان السماء والارض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحا قال أبو يحيى فعجبت من قوله فقال أتعجب وما للارض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل وقيل الكلام على حذف مضاف أي اهل السموات والأرض وقيل ان بكاءهما حمرة أطرافهما ويؤيده قول السدي لما قتل الحسين ابن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وقول محمد بن سيرين أخبرونا ان الحمرة

انى لكم رسول أمين) على ما أرسلت به (وأن لا تعلوا) تتجبروا (على الله) بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان) برهان (مبين) بين على رسالتي فتوعدوه بالرجم فقال (وانى عذت بربي وربكم أن ترجمون) بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى) تصدقوني (فاعتزلون) فاتركوا أذاي فلم يتركوه (فدعا ربه أن) أي بأن (هؤلاء قوم مجرمون) مشركون فقال تعالى (فأسر) بقطع الهمزة ووصلها (بعبادي) بني اسرائيل (ليلا انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط (انهم جند مغرقون) فاطمأن بذلك فاغرقوا (كم تركوا من جنات) بساتين (وعيون) تجري (وزروع ومقام كريم) مجلس حسن (ونعمة) متعة (كانوا فيها فاكهين) ناعمين (كذلك) خبر مبتدا أي الامر (وأورثناها) أي أموالهم (قوما آخرين) أي بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الارض ومصعد عملهم من السماء (وما كانوا منظرين) مؤخرين للتوبة

(ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) قتل الابناء واستخدام النساء (من فرعون) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب وقيل حال من العذاب (انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) منا بحالهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم أي العقلاء (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها (ان هؤلاء) أي كفار مكة (ليقولون ان هي) ما الموتة التي بعدها الحياة (الا موتتنا الاولى) أي وهم نطف (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين أحياء بعد الثانية (فأتوا بآبائنا) أحياء (ان كنتم صادقين) أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا قال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) هو نبي أو رجل صالح (والذين من قبلهم) من الامم (أهلكناهم) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) بخلق ذلك حال (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (ولكن أكثرهم) أي كفار مكة (لا يعلمون ان يوم الفصل) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين)

التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله عنه وقال سليمان القاضي مطرنا دما يوم قتل الحسين وقيل ان البكى كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم (قوله ولقد نجينا بني اسرائيل) هذا من جملة تعداد النعم على بني اسرائيل والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتبشيره بانه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين فانهم لم يبلغوا في التجبر مثل فرعون وقومه (قوله وقيل حال من العذاب) أي متعلق بمحذوف والمعنى واقعا من جهة فرعون (قوله من المسرفين) خبر ثان لكان والمعنى من المتجاوزين الحد (قوله على علم) على بمعنى مع وقوله على العالمين على على بابها للاستعلاء فاختلف معناهما وحينئذ فجاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا (قوله بحالهم) أي بكونهم أهلا للاصطفاء لكون أكثر الانبياء منهم (قوله أي عالمي زمانهم) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية يدل على كون بني اسرائيل أفضل من كل العالمين مع ان أمة محمد أفضل منهم فدفع ذلك بان المراد بالعالمين عالمو زمانهم فلا ينافي ان أمة محمد أفضل منهم (قوله العقلاء) المناسب ان يقول الثقلين فان من جملة العقلاء الملائكة وبنو اسرائيل ليسوا أفضل منهم (قوله من الآيات) بيان مقدم على المبين (قوله نعمة ظاهرة) هذا تفسير للبلاء فان البلاء معناه الاختبار وهو يكون بالمحن وبالنعم هل يصبر أولا وهل يشكر أولا (قوله أي كفار مكة) انما أشار اليهم باشارة القريب تحقيرا لهم وازدراء بهم (قوله ليقولون) أي جوابا لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة دل عليه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون كانهم قالوا مسلم أن لنا موتة تعقبها حياة لكن المراد بها الاولى وهي حال النطفة لا الثانية التي ينقضي بها العمر فانها لا تعقبها حياة (قوله وما نحن بمنشرين) هذه الآية نظير قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (قوله فأتوا بآبائنا) أي احيوهم لنا الخبر ونا بصدقكم (قوله أهم خير) أي في أمور الدنيا (قوله أم قوم تبع) هو تبع الحميري أبو كرب واسمه أسعد واليه تنسب الانصار بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة مدينة بقرب الكوفة وبنى سمرقند وأراد غزو البيت وتخريب المدينة فأخبر بانها مهاجر نبي اسمه أحمد فكف عنهما وكسى البيت بالحبرة وكتب كتابا وأودعه عند أهل المدينة وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه يقال ان الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شئ وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا ينقص (قوله هو نبي أو رجل صالح) أو لحكاية الخلاف فالقول الاول لابن عباس والثاني لعائشة رضي الله عنهما وكان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب فأمر الفريقين ان يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل قربان أهل الكتاب فاسلم (قوله والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع وقوله أهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه (قوله وما خلقنا السموات والارض الخ) هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه وذلك ان الله تعالى خلق النوع الانساني وخلق له ما في الارض جميعا وكلفه بالايمان والطاعة فآمن البعض وكفر البعض وحتم الله في سابق أزله أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون في الدنيا لعدم الاعتداد بها فحينئذ لا بد من البعث ليجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أي بين الجنسين (قوله حال) أي وهي لا يستغنى عنها (قوله أي محقين في ذلك) أي لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدل به الخ (قوله لا يعلمون) أي ليس عندهم علم بالكلية (قوله ان يوم الفصل) الاضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أي

موعدهم والمراد جميع الخلق (قوله للعذاب الدائم) اى للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لا يغني مولى) المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن العم والناصر والجار والحليف (قوله بقرابة) اى بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة توكيد لما قبلها اوالمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما (قوله الا من رحم الله) يصح أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون لبعضهم وهو ما مشى عليه المفسر ويصح أن يكون منقطعا أى ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى من ينفعهم من المخلوقين (قوله انه هو العزيز الخ) تعليل لما قبله (قوله ان شجرت الزقوم) ترسم شجرت بالتاء المجرورة في هذا الموضع دون غيره من القرآن ويوقف عليه بالهاء والتاء وأما غير هذا الموضع فترسم بالهاء ويوقف عليه بالهاء لا غير والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زهر ياسمين الشكل طعام أهل النار ويطلق على شجر له ثمر كالتمر وله دهن عظيم المنافع عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل وعرق النسا والريح الساقطة في الورك يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام وربما أقام الزمنى والمقعدين ويقال أصله الاهليلج الكابلي (قوله أى كدردي الزيت الاسود) هذا أحد معاني المهل ويطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب (قوله وبالتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من المهل) الاظهر انه حال من طعام لان المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان لا وصف المهل لانه لا يتصف بذلك (قوله كغلي الحميم) صفة لمصدر محذوف أى تغلي غليا مثل غلي الحميم (قوله بكسر التاء وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان من باب ضرب ونصر (قوله جروه بغلظة) أى أو اضربوه بالعتلة وهي بفتحتين العصا الضخمة من الحديد لها رأس (قوله ثم صبوا فوق رأسه) أى ليكون محيطا بجميع جسده (قوله من الحميم الذي الخ) أى فاذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته (قوله ويقال له ذق) الامر للاهانة والتحقير (قوله انك) بفتح الهمزة على معنى التعليل وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة قراءتان سبعيتان ووصفه بهذين الوصفين للتهكم والاستهزاء (قوله وقولك) تفسير لقوله بزعمك وقوله ما بين جبليها أي مكة (قوله ما كنتم به تمترون) الجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم (قوله ان المتقين في مقام أمين) مقابل قوله ان شجرت الزقوم طعام الاثيم لانه جرت عادة الله تعالى في كتابه انه اذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال الجنة وقوله المتقين أى الشرك بان ماتوا على التوحيد وهذا أعم من ان يكونوا في أعلى مراتب التقوى وهي تقوى الاغيار بان لا يخطر الغير ببالهم أو أوسطها وهي تقوى المعاصي بفعل الطاعات أو أدناها وهي تقوى مجرد الشرك بالايمان (قوله في مقام) بفتح الميم وضمها قراءتان سبعيتان فالفتح هو موضع القيام ومكانه والضم موضع الاقامة والمكث (قوله يؤمن فيه الخوف) أى من الخلق والخالق والمعنى تطمئن فيه النفس ولا تنزعج من شئ أصلا فاهل الجنة آمنون من غضب الله ومن جميع ما يؤذي في البدن والاهل والمال وآمنون من خطور الاكدار ببالهم (قوله في جنات الخ) بدل من مقام وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية لان الامن من المخاوف تخلية وكونهم في جنات وعيون الخ تحلية (قوله وعيون) أي انهار تجري تحت القصور (قوله يلبسون) خبرا ثان أو مستأنف (قوله أى مارق من الديباج الخ) لف ونشر مرتب والديباج هو الحرير ان قلت كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيما في الجنة مع انه في الدنيا ربما كان غير نعيم أجيب بان غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا بل هو أعلى على ان من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف ويتنعم به كالقطيفة مثلا (قوله متقابلين) أى يواجه بعضهم بعضا ليحصل الانس لبعضهم ببعض وهذا في غير وقت النظر الى وجه الله الكريم واما عنده فينسون النعيم بل ومقابلة اخوانهم لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة ومن هنا قيل ان حكمة المقابلة في خلق العلم والذكر في الدنيا التشبه بمجالس الجنة والانس بمقابلة الاخوان وحكمة الاصطفاف بالصلاة وعدم المقابلة فيها التشبه بالنظر لوجه الله الكريم في الجنة لان في الصلاة اقبالا بالكلية على الله تعالى وقطعا للشواغل (قوله أى لا ينظر بعضهم الى قفا بعض)

العذاب الدائم (يوم لا يغني مولى عن مولى) بقرابة أو صداقة اى لا يدفع عنه (شيأ) من العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل (الا من رحم الله) وهم المؤمنون فانه يشفع بعضهم لبعض باذن الله (انه هو العزيز) الغالب في انتقامه من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (ان شجرت الزقوم) هي من اخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم (طعام الاثيم) أبي جهل وأصحابه ذوي الاثم الكبير (كالمهل) اى كدردي الزيت الاسود خبر ثان (تغلي في البطون) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل (كغلي الحميم) الماء الشديد الحرارة (خذوه) يقال للزبانية خذوا الاثيم (فاعتلوه) بكسر التاء وضمها جروه بغلظة وشدة (الى سواء الجحيم) وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أى من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقال له (ذق) أى العذاب (انك انت العزيز الكريم) بزعمك وقولك ما بين جبليها أعز وأكرم مني ويقال لهم (ان هذا) الذي ترون من العذاب (ما كنتم به تمترون) فيه تشكون (ان المتقين في مقام) مجلس (أمين) يؤمن فيه الخوف (في جنات) بساتين (وعيون يلبسون من سندس واستبرق) اى مارق من الديباج وما غلظ منه (متقابلين) حال أى لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (كذلك)

تقدر قبله الأمر (وزوجناهم) من التزويج أوقرناهم (بحور عين) بنساء بيض واسعات الأعين حسانها (يدعون) يطلبون الخدم (فيها) أى الجنة ان يأتوا (بكل فاكهة) منها (آمنين) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) أى التى فى الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم الا بمعنى بعد (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا) مصدر بمعنى تفضلا منصوب بتفضل مقدرا (من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك لتفهمه العرب منك (لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) انتظر هلاكهم (انهم مرتقبون) هلاكك وهذا قبل نزول الامر بجهادهم

﴿سورة الجاثية مكية الا قل للذين آمنوا الآية وهى ست أو سبع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ان فى السموات والارض) أى فى خلقهما (لآيات) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (للمؤمنين وفى خلقكم) أى فى خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة الى أن صار انسانا (و) خلق ما يبث يفرق فى الارض (من دابة) هى ما يدب على الارض من الناس وغيرهم (آيات لقوم يوقنون) بالبعث

أى لان النظر للقصامما يحزن ولا حزن فى الجنة (قوله يقدر قبله الامر) أى فهو مبتدأ وقوله كذلك خبره والجملة معترضة لتقرير ما قبلها (قوله وزوجناهم) عطف على قوله يلبسون (قوله من التزويج) أى وهو جعل الشئ زوجا والمعنى جعلناهم اثنين اثنين فقوله أوقرناهم مرادف له وليس المراد بالتزويج الانكاح بالعقد فانه لا قائل به (قوله عين) جمع عيناء وأصله عين بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لتصح الياء (قوله بنساء بيض) تفسير للحور وقوله واسعات الاعين تفسير لعين وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقا وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها واختلف هل الافضل فى الجنة نساء الدنيا أو الحور العين والحق أن نساء الدنيا أفضل لما روى ان الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله يدعون) حال من الهاء فى زوجناهم (قوله لا يذوقون) حال من الضمير فى آمنين (قوله قال بعضهم) هو الطبرى وبهذا اندفع ما قيل كيف قال فى صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلا وهذا القول وان كان يدفع الاشكال الا أن مجئ الا بمعنى بعد لم يرد وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعا والمعنى لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (قوله منصوب بتفضل) أى على أنه مفعول مطلق (قوله الفوز العظيم) أى لانه خلوص من المكاره وظفر بالمطلوب (قوله فانما يسرناه بلسانك) هذا اجمال لما فصل فى السورة كأنه قال ذكرهم بهذا الكتاب المبين فانما سهلنا عليك تلاوته وتبليغه اليهم (قوله لكنهم لا يؤمنون) دخول على قوله فارتقب (قوله فارتقب انهم مرتقبون) أشار المفسر الى أن مفعول كل محذوف فقدر الاول بقوله هلاكهم والثانى بقوله هلاكك (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) أى فهو منسوخ لان معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك وبينهم

﴿سورة الجاثية﴾

سميت باسم كلمة منها وهى قوله وترى كل أمة جاثية وتسمى سورة الشريعة لقوله فيها ثم جعلناك على شريعة (قوله مكية الا قوله قل للذين آمنوا الخ) أى الى قوله أيام الله وهو قول ابن عباس وقتادة قالا انها نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عابه عبد الله بن أبى فاراد عمر قتله فنزلت وقيل مكية كلها حتى هذه الآية فانها نزلت فى عمر أيضا شتمه رجل فى مكة من الكفار فاراد قتله فنزلت ثم نسخت بآية الجهاد (قوله من الله خبره) أى متعلق بمحذوف تقديره كائن (قوله العزيز فى ملكه) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشئ فى محله فاقتضت حكمته تعالى انزال أشرف الكتب وهو القرآن على أشرف العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ان فى السموات والارض الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة فى ثلاث فواصل وختم الاولى بالمؤمنين والثانية بيوقنون والثالثة بيعقلون ووجه التغاير ان الانسان اذا تأمل فى السموات والارض وانه لا بد لهما من صانع آمن واذا نظر فى خلق نفسه ونحوها ازداد يقينا واذا نظر فى سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه (قوله أى فى خلقهما) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف يدل عليه التصريح به فى سورة البقرة فى قوله ان فى خلق السموات والارض وما فى سورة آل عمران ان فى خلق السموات والارض (قوله لآيات للمؤمنين) بالنصب بالكسرة باتفاق القراء لانه اسم ان وأما ما يأتى فى قوله آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون ففيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة فالرفع على ان قوله فى خلقكم خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على جملة ان فى السموات والنصب على ان آيات معطوف على آيات الاول الذى هو اسم ان وقوله وفى خلقكم معطوف على قوله فى السموات والارض الواقع خبرا لان ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله وخلق ما يبث) أشار بذلك الى أنه معطوف على خلقكم المجرور بفى على حذف مضاف (قوله هى ما يدب) أى يتحرك

(و) في (اختلاف الليل والنهار) ذهابهما ومجيئهما (وما أنزل الله من السماء من رزق) مطر لانه سبب الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيات لقوم يعقلون) الدليل فيؤمنون (تلك) الآيات المذكورة (آيات الله) حججه الدالة على وحدانيته (نتلوها) نقصها (عليك بالحق) متعلق بنتلو (فبأي حديث بعد الله) أي حديثه وهو القرآن (وآياته) حججه (يؤمنون) أي كفار مكة أي لا يؤمنون وفي قراءة بالتاء (ويل) كلمة عذاب (لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الاثم (يسمع آيات الله) القرآن (تتلى عليه ثم يصر) على كفره (مستكبرا) متكبرا عن الايمان (كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم) مؤلم (واذا علم من آياتنا) أي القرآن (شيأ اتخذها هزوا) أي مهزوأ بها (أولئك) أي الافاكون (لهم عذاب مهين) ذو اهانة (من ورائهم) أي امامهم لانهم في الدنيا (جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا) من المال والفعال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله) أي الاصنام (أولياء ولهم عذاب عظيم هذا) أي القرآن (هدى) من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب) حظ (من رجز) أي عذاب (أليم) موجع (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك) السفن (فيه بأمره) باذنه (ولتبتغوا) تطلبوا بالتجارة (من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات) من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره (وما في الارض) من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيره أي خلق ذلك لمنافعكم (جميعا) تأكيد (منه) حال أي سخرها كائنة منه تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فيؤمنون (قل للذين آمنوا يغفروا للذين

(قوله وفي اختلاف الليل والنهار) أشار المفسر الى أن حرف الجر مقدر يؤيده القراءة الشاذة باثباته (قوله بعد موتها) أي يبسها (قوله وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والدبور فالرياح أربع (قوله تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وجملة نتلوها حال (قوله الآيات المذكورة) أي وهي السموات والارض وما بعدهما (قوله متعلق بنتلو) أي على انه عامل فيه مع كونه حالا والباء للملابسة (قوله أي لا يؤمنون) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله كلمة عذاب) أي فيطلق على العذاب ويطلق على واد في جهنم (قوله كذاب) أي كثير الكذب على الله وعلى خلقه (قوله كثير الاثم) أي المعاصي (قوله يسمع آيات الله) اما مستأنف أو حال من الضمير في أثيم (قوله تتلى عليه) حال من آيات الله (قوله ثم يصر على كفره) ثم للترتيب الرتبي والمعنى ان اصراره على الكفر حاصل بعد تقرير الادلة المذكورة وسماعه اياها (قوله كأن لم يسمعها) كأن مخففة حذف منها ضمير الشأن والجملة اما مستأنفة أو حال (قوله فبشره بعذاب أليم) سماه بشارة تهكما بهم لان البشارة هي الخبر السار (قوله واذا علم من آياتنا شيأ) أي اذا بلغه شئ وعلم انه من آياتنا اتخذها هزوا الخ وذلك نحو قوله في الزقوم انه الزبد والتمر وقوله في خزنة جهنم ان كانوا تسعة عشر فانا ألقاهم وحدي (قوله اتخذها هزوا) أنث الضمير مع انه عائد على شيأ وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية ويصح عوده على آياتنا (قوله أي الافاكون) جمع باعتبار معنى الافاك وراعى أولا لفظه فأفرد (قوله أي امامهم) أشار بذلك الى ان الوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الامام كالجون يستعمل في الابيض والاسود على سبيل الاشتراك (قوله ما كسبوا) ما اما مصدرية أي كسبهم أو موصولة أي الذي كسبوه وهذان الوجهان يجريان في قوله ولا ما اتخذوا ومقتضى عبارة المفسر انها فيهما موصولة حيث قال في الاول من المال والفعال وقال في الثاني أي الاصنام (قوله هذا هدى) أي لمن أذعن له واتبعه وهم المؤمنون ووبال وخسران على الكفار قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (قوله الله الذي سخر لكم البحر) أي ذلله أو ملحا والمعنى ذلله وسهل لكم السير فيه بأن جعله أملس الظاهر مستويا شفافا يحمل السفن ولا يمنع الغوص فيه (قوله باذنه) أي ارادته ومشيئته ولو شاء لم تجر (قوله بالتجارة) أي والحج والغزو وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية (قوله ولعلكم تشكرون) أي تصرفون النعم في مصارفها (قوله وغيره) أي كالملائكة فانهم مسخرون لاهل الارض يدبرون معاشهم وهذا سر قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الآية (قوله تأكيد) أي حال مؤكدة (قوله حال) أي من ما ويصح أن يكون صفة لجميعا والمعنى على الاول سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه أي مخلوقة له وعلى الثاني جميعا كائنا منه تعالى (قوله يتفكرون) أي يتأملون في تلك الآيات (قوله قل للذين آمنوا يغفروا الخ) المراد بالغفر لهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل ما فعلوا واختلف في هذه الآية فقيل مدنية وعليه فسبب نزولها كما قال ابن عباس انهم كانوا في غزوة بني المصطلق نزلوا على بئر يقال له المريسيع فأرسل عبد الله بن أبي غلامه يستقي الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر وقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فنزلت هذه الآية وقيل مكية وعليه فسبب نزولها كما قال مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر بمكة فهم عمر أن يبطش به فنزلت أو كما قال السدي أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى كثير من المشركين

أي الله وفي قراءة بالنون
(قوما بما كانوا يكسبون) من
الغفر للكفار أذاهم (من عمل
صالحا فلنفسه) عمل (ومن
أساء فعليها) أساء (ثم
إلى ربكم ترجعون)
تصيرون فيجازي المصلح
والمسيء (ولقد آتينا بني
إسرائيل الكتاب) التوراة
(والحكم) به بين الناس
(والنبوة) لموسى وهرون
منهم (ورزقناهم من
الطيبات) الحلالات كالمن
والسلوى (وفضلناهم على
العالمين) عالمي زمانهم العقلاء
(وآتيناهم بينات من الأمر)
أمر الدين من الحلال والحرام
وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة
والسلام (فما اختلفوا) في
بعثته (إلا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم) أي لبغي
حدث بينهم حسدا له (إن
ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم
جعلناك) يا محمد (على
شريعة) طريقة (من
الأمر) أمر الدين (فاتبعها
ولا تتبع أهواء الذين
لا يعلمون) في عبادة غير
الله (إنهم لن يغنوا) يدفعوا
(عنك من الله) من عذابه
(شيئا وإن الظالمين)
الكافرين (بعضهم أولياء
بعض والله ولي المتقين)
المؤمنين (هذا) القرآن
(بصائر للناس) معالم
يتبصرون بها في الأحكام
والحدود (وهدى ورحمة لقوم
يوقنون) بالبعث (أم) بمعنى همزة الإنكار (حسب الذين اجترحوا) اكتسبوا (السيئات)

قبل أن يؤمروا بالجهاد فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وما ذكره المفسر فيه إشارة إلى
هذا الأخير (قوله لا يرجون أيام الله) أي لا يتوقعون وقائعه من قولهم أيام العرب أي وقائعهم وهذا
ما مشى عليه المفسر وقيل إن الرجاء باق على معناه الأصلي والمراد بالأيام مطلق الأوقات والمعنى لا يؤملون
الأوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم (قوله أي اغفروا للكفار) أشار بذلك إلى أن مقول
القول محذوف دل عليه قوله يغفروا فهو مجزوم لكونه جواب أمر محذوف والتقدير قل لهم اغفروا
يغفروا (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) أي فهو منسوخ بآية القتال وهذا على أنها مكية وأما على أنها
مدنية فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون إن محمدا يقتل أصحابه حتى جاء الإذن بتمييزهم
وقيل إنها ليست منسوخة بل هي محمولة على ترك المنازعة والتجاوز فيما يصدر عنهم من الكلام المؤذي
(قوله ليجزي قوما) علة لما قبله والقوم هم المؤمنون وهو ما مشى عليه المفسر وقيل الكافرون وقيل كل
منهما فالتنكير إما للتعظيم أو التحقير أو التنويع (قوله وفي قراءة بالنون) أي وهي سبعية أيضا (قوله
أذاهم) مفعول للغفر الواقع مصدرا (قوله من عمل صالحا فلنفسه) جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء
(قوله ولقد آتينا بني إسرائيل الخ) المقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قال لا تحزن على
كفر قومك فإننا آتينا بني إسرائيل الكتاب والنعم العظيمة فلم يشكروا بل أصروا على الكفر (قوله
التوراة) إنما اقتصر عليها لكونها تغني عن غيرها من كتبهم ولا يغني غيرها عنها فإن فيها أحكام شرعهم
وإلا ففي الحقيقة كتب بني إسرائيل ثلاثة التوراة والإنجيل والزبور (قوله والحكم) أي الفصل بين
الخصوم وهذه نعم دينية وقوله ورزقناهم من الطيبات نعم دنيوية فلم يشكروا عليها (قوله كالمن والسلوى)
أي في أيام التيه (قوله العقلاء) تقدم ما فيه وأن الأولى التعبير بالثقلين (قوله وآتيناهم) أي بني
إسرائيل في التوراة والمعنى بينا لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنهم يؤمنون به إن ظهر
بينهم كما أشار له المفسر (قوله فما اختلفوا في بعثته الخ) أي وقد كانوا قبل ذلك متفقين فلما جاءهم العلم
والشرع في كتابهم اختلفوا وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق (قوله يقضي بينهم) أي بالمؤاخذة
والمجازاة (قوله ثم جعلناك على شريعة) الكاف مفعول أول لجعلنا وعلى شريعة هو المفعول الثاني
والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة والمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين
سمي شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش (قوله من الأمر) يطلق على مقابل
النهي وعلى الشأن ويصح إرادة كل منهما هنا والمعنى ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الإسلام
التي كان عليها إبراهيم ولا شك أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وإنما
التغاير في الفروع (قوله أهواء الذين لا يعلمون) أي وهم رؤساء قريش حيث قالوا ارجع إلى دين
آبائك فإنهم كانوا أفضل منك وأسن (قوله إنهم لن يغنوا عنك) تعليل لما قبله وقوله وإن الظالمين عطف
على ما قبله من تتمة التعليل (قوله أولياء بعض) أي في الدنيا وأولى لهم في الآخرة يزيل عنهم العقاب
(قوله والله ولي المتقين) أي في الدنيا والآخرة لأنهم اتقوا الشرك (قوله هذا بصائر) مبتدأ وخبر وجمع
الخبر باعتبار أن المبتدأ مشار به إلى ما تقدم من الآيات ولا شك أنه جمع (قوله معالم) جمع معلم وهو في
الأصل الأثر الذي يستدل به على الطريق والمراد هنا أن تلك الآيات تبصر الناس في الأحكام وتدلهم
عليها (قوله وهدى) أي من الضلالة (قوله ورحمة) أي إحسان (قوله لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين
وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم (قوله أم بمعنى همزة الإنكار) أي فهي منقطعة تقدر تارة بالهمزة
وحدها أو ببل وحدها أو بهما معا والمراد إنكار الحسبان أي الظن والمعنى لا ينبغي أن يكون وإلا فالظن
قد وقع بالفعل (قوله الذين اجترحوا السيئات) فاعل حسب وجملة أن نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين
والمراد بالاجتراح الاكتساب كما قال المفسر ومنه الجوارح قال الكلبي الذين اجترحوا السيئات عتبة
وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي

الكفر والمعاصي (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء) خبر (محياهم ومماتهم) مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من
الكاف والضميران للكفار
المعنى احسبوا أن نجعلهم في
الآخرة في خير كالمؤمنين
أي في رغد من العيش مساو
لعيشهم في الدنيا حيث قالوا
للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من
الخير مثل ما تعطون قال
تعالى على وفق انكاره بالهمزة
(ساء ما يحكمون) أي ليس
الأمر كذلك فهم في الآخرة في
العذاب على خلاف عيشهم في
الدنيا والمؤمنون في الآخرة في
الثواب بعملهم الصالحات في
الدنيا من الصلاة والزكاة
والصيام وغير ذلك وما مصدرية
أي بئس حكما حكمهم هذا
(وخلق الله السموات و) خلق
(الارض بالحق) متعلق
بخلق ليدل على قدرته
ووحدانيته (ولتجزى كل نفس
بما كسبت) من المعاصي
والطاعات فلا يساوي الكافر
المؤمن (وهم لا يظلمون
أفرأيت) أخبرني (من اتخذ
الهه هواه) ما يهواه من حجر
بعد حجر يراه أحسن (وأضله
الله على علم) منه تعالى أي عالما
بانه من أهل الضلالة قبل
خلقه (وختم على سمعه وقلبه)
فلم يسمع الهدى ولم يعقله
(وجعل على بصره
غشاوة) ظلمة فلم يبصر الهدى
ويقدر هنا المفعول الثاني
لرأيت أيهتدي (فمن يهديه
من بعد الله) أي بعد اضلاله
اياه أي لا يهتدي (أفلا
تذكرون) تتعظون فيه ادغام
احدى التاءين في الذال
(وقالوا) أي منكرو البعث (ما هي) أي الحياة (الا حياتنا) التي في (الدنيا نموت ونحيا) أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا (وما يهلكنا
الا الدهر) أي مرور الزمان قال تعالى (وما لهم بذلك)

الله عنهم حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا انهم يعطون في الآخرة خيرا مما يعطاه المؤمن كما أخبر الله عنهم في قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى (قوله سواء خبر) أي على قراءة الرفع وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال (قوله والجملة) أي من المبتدإ والخبر (قوله بدل من الكاف) أي الداخلة على الموصول (قوله أي ليس الأمر كذلك) أشار بذلك الى ان همزة الانكار للنفي وكان المناسب للمفسر تقديم هذا على قوله ساء ما يحكمون فانه مرتبط بما قبله والمعنى أم حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شئ منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب المخلد في الممات ولا يعتبر توسعة العيش في الدنيا فانها بحسب القسمة الأزلية للمؤمن والكافر ولكل دابة (قوله أي بئس حكما الخ) مقتضى هذا الحل ان ما مميز وحينئذ فالفاعل مستتر وهو ينافي كونها مصدرية لانها في تلك الحالة تكون فاعلا فالمناسب لجعلها مصدرية أن تقول ساء الحكم حكمهم (قوله وخلق الله السموات الخ) من تتمة قوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الخ وهو كالدليل له كانه قال لا يستوي المؤمن والكافر بدليل ان الله خلق السموات والارض بالحق أي للعبر والاستدلال ولم يترك العباد سدى وجازى كل نفس بما كسبت فلا يستوي جزاء المؤمن بجزاء الكافر (قوله متعلق بخلق) أي على انه حال من الفاعل أو المفعول (قوله ليدل على قدرته الخ) قدره اشارة الى ان قوله ولتجزى عطف على علة محذوفة (قوله وهم) أي النفوس المدلول عليها بقوله كل نفس (قوله لا يظلمون) اي لا ينقص من ثواب المؤمن ولا يزاد في العذاب على ما يستحقه الكافر (قوله أخبرني) تقدم ان فيه مجازين حيث أطلق الرؤية وأراد الاخبار ثم أطلق الاستفهام عن الاخبار وأراد الأمر به وقوله من اتخذ الهه الخ مفعول أول لرأيت والمعنى ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده (قوله من حجر) أي وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلا أو غير عاقل فالكفر هو العبادة بان يتقرب الى غيره كما يتقرب اليه وأما زيارة الصالحين والانبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هي من باب التسبب في نفع الغير لان الترضي عن الأولياء والصلاة والسلام على الانبياء دعاء للغير بذلك ولا شك ان ذلك الغير ينتفع به والمتسبب له مثله لما ورد ان الملك يقول له ولك مثل ذلك فآل الأمر الى ان زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لان أحب عباد الله الى الله أنفعهم لعباده وصدق عليهم انهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية وضلالا عن كونها شركا كما اعتقده ذو الجهل المركب والعقيدة الزائغة (قوله أي عالما بانه من أهل الضلالة) أشار بذلك الى ان قوله على علم حال من الفاعل ويصح ان يكون حالا من المفعول والمعنى أضله في حال كونه عالما بالحق غير جاهل به فهو أشد قبحا (قوله غشاوة) بكسر الغين أو فتحها مع سكون الشين وحذف الألف قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح الغين وضمها واثبات الألف أو بكسر الغين وحذف الألف أو بالعين المهملة (قوله ويقدر هنا المفعول الثاني) أي وانما حذف لدلالة فمن يهديه عليه ولا حاجة للتقدير اذ يصح ان تكون هي المفعول الثاني وقد وصفهم الله تعالى باربعة أوصاف الأول قوله اتخذ الخ الثاني قوله وأضله الخ الثالث قوله وختم الخ الرابع قوله وجعل الخ فكل وصف منها مقتض للضلالة فلا يمكن ايصال الهدى اليه بوجه من الوجوه (قوله احدى التاءين) أي الثانية (قوله أي الحياة) بيان لمرجع الضمير ويقال لهذا الضمير ضمير القصة (قوله أي يموت بعض الخ) دفع بذلك ما يقال ان قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع انهم ينكرونها ويجاب أيضا بان الآية فيها تقديم وتأخير أي نحيا ونموت (قوله أي مرور الزمان) أي فكان الجاهلية يقولون الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا فلذلك رد

المقول (من علم ان) ما (هم
الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا)
من القرآن الدالة على قدرتنا
على البعث (بينات) واضحات
حال (ماكان حجتهم الا أن قالوا
ائتوا بآبائنا) أحياء (ان كنتم
صادقين) أنا نبعث (قل الله
يحييكم) حين كنتم نطفا (ثم
يميتكم ثم يجمعكم) أحياء (الى
يوم القيامة لاريب) شك (فيه
ولكن أكثر الناس) وهم
القائلون ماذكر (لايعلمون
ولله ملك السموات والارض
ويوم تقوم الساعة) يبدل منه
(يومئذ يخسر المبطلون)
الكافرون أي يظهر خسرانهم
بأن يصيروا الى النار (وترى
كل أمة) أي أهل دين (جاثية)
على الركب أو مجتمعة (كل
أمة تدعى الى كتابها) كتاب
أعمالها ويقال لهم (اليوم
تجزون ما كنتم تعملون) أي
جزاءه (هذا كتابنا) ديوان
الحفظة (ينطق عليكم بالحق
انا كنا نستنسخ) نثبت ونحفظ
(ما كنتم تعملون فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته)
جنته (ذلك هو الفوز المبين)
البين الظاهر (وأما الذين
كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن
آياتي) أي القرآن (تتلى
عليكم فاستكبرتم) تكبرتم (وكنتم
قوما مجرمين) كافرين (واذا
قيل) لكم أيها الكفار (ان
وعد الله) بالبعث (حق
والساعة) بالرفع والنصب
(لا ريب) شك (فيها قلتم
ما ندري

عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذي يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر فقال تعالى يؤذيني ابن آدم أيسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار *والحاصل ان فرقة من الكفار يسمون الدهرية ينسبون الفعل ضرا ونفعا للزمان فرد عليهم بما تقدم (قوله المقول) أي وهو قولهم ماهي الا حياتنا الدنيا الخ (قوله واضحات) أي ظاهرات (قوله حال) أي من آياتنا (قوله ماكان حجتهم) بالنصب خبر كان وقوله الا ان قالوا اسمها أي الا قولهم وتسميتها حجة على سبيل التهكم أو على حسب زعمهم (قوله ائتوا بآبائنا) أي الذين ماتوا قبلنا (قوله قل الله يحييكم) رد لقولهم ما يهلكنا الا الدهر (قوله وهم) أي الأكثر وجمع باعتبار المعنى (قوله ولله ملك السموات والارض) تعميم بعد تخصيص (قوله ويوم تقوم الساعة) ظرف لقوله يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم قبله للتوكيد والتنوين في يومئذ عوض عن جملة مقدرة والتقدير يومئذ تقوم الساعة فهو بدل توكيدي (قوله أي يظهر خسرانهم) جواب عما يقال ان خسرانهم متحتم في الازل (قوله وترى كل أمة جاثية) رأى بصرية وكل مفعولها وجاثية حال واختلف هل الجثي خاص بالكفار وبه قال يحيى بن سلام وقيل عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب ويؤيده ما ورد في القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ان ابراهيم عليه السلام ينادي لا أسألك اليوم الا نفسي وذلك لان الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة الى ان يحصل التمييز والجثو وضع الركبتين بالأرض مع رفع الأليتين ونصب القدمين ويطلق على الجلوس على اطراف القدمين مع وضع الركب بالارض وكل من المعنيين يدل على كونه مستوفزا غير مطمئن وقوله أو مجتمعة أو لحكاية الخلاف وقيل معناه متميزة وقيل خاضعة (قوله كل أمة) بالرفع في قراءة العامة مبتدأ وتدعى خبرها (قوله تدعى الى كتابها) أضيف لهم الكتاب باعتبار انه مشتمل على أعمالهم (قوله ويقال لهم) قدره اشارة الى أن الجملة مقولة لقول محذوف واليوم معمول لتجزون وما كنتم مفعوله الثاني ونائب الفاعل مفعول أول (قوله هذا كتابنا) قيل من قول الله لهم وقيل من قول الملائكة لهم (قوله ينطق عليكم بالحق) أي يدل عليه لانهم يقرؤنه فيذكرهم بما فعلوا لقوله تعالى ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قيل معناه ان لله ملائكة مطهرين ينسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله ويعرضونه على الحفظة كل خميس فيجدونه ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقا لما في أيديهم وقيل ان الملائكة الحفظة اذا رفعت أعمال العباد الى الله عز وجل أمر بان يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب (قوله نثبت ونحفظ) أي فالمراد بالنسخ الاثبات والنقل أما من اللوح المحفوظ أو من صحف الكتبة كما علمت (قوله فأما الذين آمنوا الخ) تفصيل لما أجمل في قوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون (قوله فيدخلهم ربهم في رحمته) أي مع السابقين فلا ينافي ان المؤمن وان لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لا مع السابقين بل اما بعد الحساب أو بعد الشفاعة ولا يقال ان التقييد بالعمل الصالح يخرج من مات على الايمان ولم يعمل صالحا (قوله جنته) انما فسر العام بالخاص لأن الجنة دار الرحمة التي تستقر الخلائق فيها وتوصف بالدخول فهي ادون غيرها من آثار الرحمة (قوله الفوز) أي بلوغ الآمال والظفر بالمقصود (قوله المبين) أي الخالص من الشوائب (قوله فيقال لهم) قدره اشارة الى ان جواب أما محذوف (قوله أفلم تكن آياتي الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أي أتركتم الايمان بالرسل فلم تكن الخ (قوله واذا قيل ان وعد الله حق) هذا من جملة ما يقال لهم وحينئذ فيصير المعنى وكنتم اذا قيل لكم ان وعد الله حق الخ (قوله ان وعد الله حق الخ) بكسر ان في قراءة العامة لحكايتها بالقول وقرئ شذوذا بفتحها اجراء للقول مجرى الظن في لغة سليم (قوله بالرفع والنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان فالرفع على الابتداء وجملة لاريب فيها خبره والنصب عطفا على اسم ان (قوله ما ندري

ما الساعة ان) ما (نظن الا ظنا) قال المبرد أصله ان نحن الا نظن ظنا (وما نحن بمستيقنين) أنها آتية (وبدا) ظهر (لهم) فى الآخرة (سيئات ما عملوا) فى الدنيا أى جزاؤها (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى العذاب (وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى تركتم العمل للقائه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) مانعين منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله) القرآن (هزؤا وغرتكم الحياة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون) بالبناء للفاعل وللمفعول (منها) من النار (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ (فلله الحمد) الوصف بالجميل على وفاء وعده فى المكذبين (رب السموات ورب الارض رب العالمين) خالق ما ذكر والعالم ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه ورب بدل (وله الكبرياء) العظمة (فى السموات والارض) حال أى كائنة فيهما (وهو العزيز الحكيم) تقدم

﴿سورة الاحقاف﴾

مكية الا قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل الآية والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات وهى أربع أو خمس وثلاثون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا) خلقا (بالحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأجل مسمى) الى فنائها يوم القيامة

ما الساعة) هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد (قوله ان نظن الا ظنا) ان قلت ما الجمع بين ما هنا وما تقدم فى قوله ان هى الا حياتنا الدنيا فان ما تقدم أثبت انهم جازمون بعدم البعث وهنا أفاد انهم شاكون فيه ويمكن الجواب بان الكفار لعلهم افترقوا فرقتين فرقة جازمة بنفى البعث وفرقة متحيرة فيه (قوله قال المبرد الخ) جواب عما يقال ان ظاهر الآية وقوع المفعول المطلق استثناء مفرغا مع ان المقرر فى النحو انه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات الا المفعول المطلق فلا يقال ما ضربت الا ضربا لاتحاد مورد النفى والاثبات لانه يصير فى قوة ما ضربت الا ضربت ولا فائدة فى ذلك فأجاب المفسر بان الآية مؤولة بان مورد النفى محذوف تقديره نحن ومورد الاثبات كونه يظن ظنا فكلمة الا مؤخرة من تقديم والمعنى حصر أنفسهم فى الظن ونفى ما عداه (قوله وما نحن بمستيقنين) مبالغة فى نفى ما عدا الظن عنهم (قوله أى جزاؤها) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله نترككم فى النار) أشار بذلك الى أن المراد من النسيان الترك مجازا لان الترك مسبب عن النسيان فان من نسى شيأ تركه فسمى السبب باسم المسبب لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى (قوله أى تركتم العمل للقائه) أشار بذلك الى انه من اضافة المصدر الى ظرفه على حد مكر الليل وفى الكلام حذف قدره المفسر بقوله العمل والمعنى تركتم العمل للقاء الله فى يومكم هذا ولا يصح ان يكون من اضافة المصدر لمفعوله لان التوبيخ على نسيان ما فى اليوم من الجزاء لا على نفس اليوم (قوله ذلكم) أى العذاب الدائم (قوله بأنكم اتخذتم الخ) أى بسبب اتخاذكم (قوله فاليوم لا يخرجون الخ) فيه التفات من الخطاب للغيبة ونكتته الاشارة الى انهم ساقطون عن رتبة الخطاب لهوانهم (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لانها لا تنفع يومئذ) أى وأما فى الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان فالذى ينبغى للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات (قوله على وفاء وعده فى المكذبين) أى وللمؤمنين وانما اقتصر على المكذبين دفعا لما يتوهم انه تعالى انما يحمد على الفضل فأفاد انه كما يحمد على الفضل يحمد على العدل لان أوصافه تعالى جميلة (قوله ورب بدل) أى فى المواضع الثلاثة ويصح ان يكون نعتا للفظ الجلالة (قوله وله الكبرياء) أى آثارها لان وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى وانما تظهر آثارها فى السموات والارض من التصرف والقهر فتصرفه سبحانه وتعالى فى السموات والارض وما فيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته (قوله حال) ويصح ان يتعلق بنفس الكبرياء لانه مصدر (قوله وهو العزيز الحكيم) أى الغالب الذى يضع الشئ فى محله

﴿سورة الاحقاف﴾

سيأتى ان الاحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد وقيل انه جمع حقف وهو التل من الرمل ولا منافاة بين القولين اذ لا مانع من كون التلال فى منازل عاد (قوله الا قوله تعالى قل أرأيتم الخ) أى بناء على ان الشاهد عبد الله بن سلام اذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن الا بالمدينة وأما على ان المراد به موسى عليه السلام فلا تكون مدنية (قوله الثلاث آيات) أى وآخرها قوله أساطير الأولين وحينئذ فجملة الآيات المستثنيات خمس (قوله وهى أربع أو خمس الخ) هذا الخلاف مبنى على ان حم تعد آية مستقلة أولا (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة ان هذا القول هو الاسلم وهو طريقة السلف فى تفويض علم المتشابه لله تعالى (قوله من الله) أى لم يخترعه من نفسه ولم ينقله عن بشر ولا من جنى كما قال الكفار (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى اتقن كل شئ (قوله الا بالحق) هذا هو مصب النفى وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر (قوله ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا) أى وباقى الصفات الكمالية وتنزهه عن النقائص لان بالخلق يعرف الحق لان كل صنعة تدل على وجود صانعها واتصافه بصفات الكمال (قوله وأجل مسمى) عطف على الحق والكلام على حذف مضاف أى والا بتقدير

(والذين كفروا عما أنذروا) خوفوا به من العذاب (معرضون قل أرأيتم) أخبروني (ما تدعون) تعبدون (من دون الله) أي الاصنام
مفعول أول (أروني) أخبروني تأكيد (ماذا خلقوا) مفعول ثان (من الارض) بيان ما (أم لهم شرك) مشاركة (في) خلق (السموات)
مع الله وأم بمعنى همزة الانكار (ائتوني بكتاب) منزل (من قبل هذا) القرآن (أو أثارة) بقية (من علم) يؤثر عن الاولين
بصحة دعواكم في عبادة الاصنام أنها تقربكم الى الله (ان كنتم صادقين) في دعواكم (ومن) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (أضل ممن يدعو) يعبد (من دون الله) أي غيره (من لا يستجيب له الى يوم القيامة) وهي الاصنام لا يجيبون عابديهم الى شئ يسألونه أبدا (وهم عن دعائهم) عبادتهم (غافلون) لانهم جماد لا يعقلون (واذا حشر الناس كانوا) أي الاصنام (لهم) لعابديهم (أعداء وكانوا بعبادتهم) بعبادة عابديهم (كافرين) جاحدين (واذا تتلى عليهم) أي أهل مكة (آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين كفروا) منهم (للحق) أي القرآن (لما جاءهم هذا سحر مبين) بين ظاهر (أم) بمعنى بل وهمزة الانكار (يقولون افتراه) أي القرآن (قل ان افتريته) فرضا (فلا تملكون لي من الله) أي من عذابه (شيئا) أي لا تقدرون على دفعه عني اذا عذبني الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) تقولون في القرآن (كفى به) تعالى (شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور) لمن تاب (الرحيم) به فلم يعاجلكم بالعقوبة (قل ما كنت بدعا) بديعا (من الرسل) أي أول مرسل قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني
(وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالانبياء قبلي أو ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين
قبلكم (ان) ما (أتبع الا ما يوحى الي) أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا

أجل مسمى لأن الاجل نفسه متأخر عن الخلق وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم (قوله والذين كفروا) مبتدأ ومعرضون خبره وقوله عما أنذروا متعلق بمعرضون وما اسم موصول والعائد محذوف قدره المفسر بقوله والاولى ان يقدر منصوبا لاختلاف الجار للموصول وللعائد بان يقول خوفوه (قوله تأكيد) أي لقوله أرأيتم (قوله مفعول ثان) أي ان الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثاني (قوله بيان ما) أشار بذلك الى أن ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبرها وخلقوا صلة الموصول ويصح ان ماذا اسم استفهام مفعول لخلقوا (قوله بمعنى همزة الانكار) أي وبل الاضرابية فهي منقطعة (قوله ائتوني بكتاب) الامر للتبكيت وفيه اشارة الى نفي الدليل النقلي بعد الاشارة الى نفي الدليل العقلي (قوله من قبل هذا) صفة لكتاب والجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصا بقوله منزل والمناسب ان يقدره عاما من مادة الكون (قوله أو أثارة) مصدر على وزن كفالة وقوله من علم صفة لاثارة وهي مشتقة من الاثر الذي هو الرواية أو العلامة أو من أثرت الشئ أثيره أثارة استخرجت بقيته والمعنى ائتوني برواية أو علامة أو بقية من علم يؤثر عن الانبياء أو الصلحاء (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فائتوني (قوله ومن أضل الخ) مبتدأ وخبر (قوله من لا يستجيب) من نكرة موصوفة بالجملة بعدها أو اسم موصول وما بعدها صلتها وهي معمولة ليدعو والمعنى لا أحد أضل من شخص يعبد شيئا لا يجيبه أو الشئ الذي لا يجيبه ولا ينفعه في الدنيا والآخرة (قوله الى يوم القيامة) الغاية داخلة في المغيا وهو كناية عن عدم الاستجابة في الدنيا والآخرة (قوله وهم الاصنام) عبر عنهم بضمير العقلاء مجاراة لما يزعمه الكفار (قوله لانهم جماد) أشار بذلك الى أن المراد بالغفلة عدم الفهم (قوله واذا حشر الناس) أي جمعوا بعد اخراجهم من القبور (قوله جاحدين) أي منكرين وهذا نظير قوله تعالى وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون (قوله حال) أي من آياتنا (قوله قال الذين كفروا) اظهر في مقام الاضمار لبيان وصفهم بالكفر ووصف الآيات بالحق والا فمقتضى الظاهر قالوا لها (قوله لما جاءهم) أي حين جاءهم (قوله ظاهر) أي باهر لا يعارض الاعتداء (قوله أم يقولون الخ) ترق في الانكار وانتقال الى ما هو أشنع (قوله فرضا) أي على سبيل الفرض والتقدير (قوله فلا تملكون لي من الله شيئا) أي فهو المتولي أمري ولا أحد يقدر على دفع ما أصابني منه غيره (قوله هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون وتقدحون في القرآن بقولكم هو شعر هو سحر وغير ذلك (قوله كفى به شهيدا بيني وبينكم) أي فيشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالتكذيب والانكار (قوله الرحيم به) المناسب ان يقول الرحيم بعباده ليحسن ترتيب قوله فلم يعاجلكم الخ عليه (قوله فلم يعاجلكم بالعقوبة) أي بل امهلكم لتتوبوا وترجعوا عما انتم عليه ففيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين الرحمة بجميع العباد اشارة الى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم مع عظم جرمهم (قوله بديعا) أشار بذلك الى أن بدعا صفة كخف وخفيف وهو من الابتداع والاختراع ويصح أن يكون مصدرا على حذف مضاف أي ذا بدع وقرئ شذوذا بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة أي ما كنت صاحب بدع وبفتح الباء وكسر الدال وصف كحذر (قوله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) ما استفهامية مبتدأ والجملة بعدها خبرها وهي معلقة لأدري عن العمل فهي سادة مسد مفعولها ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعله به فنسخت هذه الآية وارغم الله انف الكفار بنزول قوله تعالى ليغفر لك الله

ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآيات فقالت الصحابة هنيأ لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية ونزلت وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذه الآية نزلت في أوائل الاسلام قبل بيان مآل النبي والمؤمنين والكافرين والا فما خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أعلمه الله في القرآن ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة اجمالا وتفصيلا (قوله وما أنا الا نذير مبين) الحصر اضافي أي منذر عن الله لا مخترع من تلقاء نفسي فلا ينافي انه بشير أيضا (قوله ماذا حالكم) أشار بذلك الى أن مفعولي أرأيتم محذوفان دلت عليهما الجملة (قوله جملة حالية) أي وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث ويصح جعل الجمل الاربعة معطوفات على فعل الشرط فقول المفسر فيما يأتي بما عطف عليه يعني من الجمل الاربع فيه تلفيق ويمكن ان يجاب بان المراد العطف اللغوي (قوله هو عبد الله بن سلام) وقيل الشاهد موسى وشهادته ما في التوراة من نعته صلى الله عليه وسلم (قوله أي عليه) أشار بذلك الى أن مثل صلة (قوله ألستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء لان الجملة التي فعلها جامد اذا وقعت جوابا للشرط لزمت الفاء (قوله وقال الذين كفروا الخ) هذا من جملة قبائح الكفار زعما منهم ان عز الآخرة تابع لعز الدنيا ولم يعلموا أن رحمة الله يخص بها من يشاء ولاسيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما أسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار (قوله أي في حقهم) أشار بذلك الى ان اللام بمعنى في ويصح ان تبقى على بابها (قوله لو كان الايمان الخ) أشار بذلك الى ان الضمير في كان عائد على الايمان ويصح عوده على القرآن أو على الرسول وكلها معان متلازمة (قوله ما سبقونا اليه) التفات من الخطاب الى الغيبة وكان مقتضى الظاهر ما سبقتمونا اليه والضمير في اليه عائد على ما عاد عليه ضمير كان (قوله واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف تقديره زادوا طغيانا وليس قوله فسيقولون عاملا فيه لامرين وجود الفاء وكون الفعل مستقبلا لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ولو بين الماضي والاستقبال تضاد فان الفعل مستقبل واذ للماضي (قوله افك قديم) أي من قول الاقدمين أتى به هو ونسبه الى الله تعالى فهو كقولهم أساطير الاولين (قوله ومن قبله) خبر مقدم وكتاب مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو مستأنفة وهو رد لقولهم هذا افك قديم والمعنى لا يصح كونه افكا قديما مع كونكم سلمتم كتاب موسى ورجعتم الى حكمه فان القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين (قوله حالان) أي من كتاب موسى (قوله مصدق للكتب قبله) أي كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية (قوله حال من الضمير في مصدق) ويصح أن يكون حالا من كتاب وعربيا صفة للسان (قوله لينذر) متعلق بمصدق (قوله وبشرى للمحسنين) أشار المفسر بتقدير الضمير الى انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية ويصح ان يكون معطوفا على مصدق فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر أو منصوب عطفا على محل قوله لينذر كأنه قال للانذار والبشارة (قوله ان الذين قالوا ربنا الله) أي وحدوا ربهم وقوله ثم استقاموا الاستقامة هي العلم والعمل وأتى بثم اشارة الى أن اعتبار العلم والعمل انما يكون بعد التوحيد وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للمخالفات (قوله فلا خوف عليهم) أي من موقف حضور الموت الى ما لا نهاية له فيأمنون من الفتانات وسؤال الملكين وعذاب القبر وهول الموقف والنار (قوله ولا هم يحزنون) أي على ما فاتهم في الدنيا (قوله أولئك أصحاب الجنة) أي هي لهم بالاصالة (قوله حال) أي من ضمير أصحاب الجنة (قوله ووصينا الانسان بوالديه) لما كان حق الوالدين مطلوبا بعد حق الله تعالى ذكر الوصية بهما اثر ما يتعلق بحقوقه تعالى ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار لان الانسان يختلف حاله مع أبويه فقد يبرهما فيكون ملحقا باهل الجنة وقد يعقهما فيكون ملحقا باهل النار

(وما أنا الا نذير مبين) بين الانذار (قل أرأيتم) أخبروني ماذا حالكم (ان كان) أي القرآن (من عند الله وكفرتم به) جملة حالية (وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبد الله بن سلام (على مثله) أي عليه انه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) تكبرتم عن الايمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين دل عليه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أي في حقهم (لو كان) الايمان (خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا) أي القائلون (به) أي بالقرآن (فسيقولون هذا) أي القرآن (افك) كذب (قديم ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) أي التوراة (اماما ورحمة) للمؤمنين به حالان (وهذا) أي القرآن (كتاب مصدق) للكتب قبله (لسانا عربيا) حال من الضمير في مصدق (لينذر الذين ظلموا) مشركي مكة (و) هو (بشرى للمحسنين) المؤمنين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على الطاعة (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال (جزاء) منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون (بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا)

(قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله أى امرناه الخ) تفسير لكل من القراءتين (قوله فنصب احسانا الخ) بيان لاعراب القراءتين على اللف والنشر المشوش والحسن والاحسان بمعنى واحد وهو جمال القول والفعل بان يعظمهما ويوقرهما قولا وفعلا (قوله حملته أمه الخ) علة لقوله وصينا واقتصر على ذكر الام لان حقها أعظم ولذلك قيل ان لها ثلثى الاجر (قوله كرها) بفتح الكاف وضمها قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أى على مشقة) أى فى أثناء الحمل اذ لا مشقة فى أوله (قوله وحمله) أى مدة حمله وقوله ثلاثون شهرا خبر قوله حمله على حذف مضاف (قوله ان حملت به ستة) أى من الشهور وقوله أرضعته الباقى أى من الثلاثين وهو أربعة وعشرون أو احد وعشرون قيل ان الآية عامة فى كل انسان وقيل انها خاصة بمن نزلت فى حقه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما روى ان أمه حملت به تسعة أشهر وأرضعته احدا وعشرين شهرا (قوله غاية لجملة مقدرة) أى معطوفة على قوله ووضعته أو مستأنفة (قوله أقله ثلاث وثلاثون سنة) أى لان هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان (قوله الخ) أى وآخرها قوله وانى من المسلمين (قوله نزل) أى المذكور من قوله تعالى ووصينا الانسان الخ وحاصل ذلك ان أبا بكر صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هنالك فسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله أربعين سنة وأكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته آمن به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال رب أوزعنى الآية (قوله ثم آمن أبواه) أى أبوه عثمان بن عامر بن عمرو وكنيته أبو قحافة وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو (قوله وابن عبد الرحمن) أى واسمه محمد وكلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع هذا لاحد من الصحابة غير أبى بكر وامرأة أبى بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى وامرأة أبيه اسمها قيلة (قوله ألهمنى) أى رغبنى ووفقنى (قوله فاعتق تسعة) أى افتداهم من أيدى الكفار وخلصهم من أذاهم فهو عتق صورى ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله عليه (قوله وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعل الصلاح ساريا فيهم وعبر بفى اشارة الى أنهم كالظرف للصلاح لتمكنه منهم (قوله فكلهم مؤمنون) أى فالصلاح مقول بالتشكيك يتحقق باصل الايمان ويتزايدون فيه على حسب مراتبهم (قوله أى قائل هذا القول) أشار بذلك الى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله الذين يتقبل) هو ويتجاوز بالياء مبنيا للمفعول أو بالنون مبنيا للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالياء مبنيا للفاعل (قوله بمعنى حسن) أشار بذلك الى ان اسم التفضيل ليس على بابه (قوله حال) أى من ضمير عنهم (قوله وعد الصدق) مصدر منصوب بفعله المقدر أى وعدهم الله وعد الصدق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله والذى قال لوالديه الخ) اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك الشخص الذى قال لوالديه الخ ويحتمل انه مبتدأ خبره قوله أولئك الذين حق عليهم القول الخ والمراد منه الجنس لا شخص معين ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه فهى واردة فى كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين وهذا هو الصحيح خلافا لمن شذ وقال ان هذه الآية نزلت فى حق عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل اسلامه فانه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم وقد كذبت الصديقة من قال ذلك ويرده أيضا قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الخ (قوله وفى قراءة بالادغام) أى وهى سبعية أيضا (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى من غير تنوين فالقراآت ثلاث سبعيات وهو مصدر أف يؤف أفا بمعنى تبا وقبحا أو هو اسم صوت يدل على تضجر أو اسم فعل أتضجر والمفسر أشار لاثنين

منها

وفى قراءة احسانا أى أمرناه أن يحسن اليهما فنصب احسانا على المصدر بفعله المقدر ومثله حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى على مشقة (وحمله وفصاله) من الرضاع (ثلاثون شهرا) ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقى أكثر مدة الرضاع وقيل ان حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقى (حتى) غاية لجملة مقدرة أى وعاش حتى (اذا بلغ أشده) هو كمال قوته وعقله ورأيه أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وبلغ أربعين سنة) أى تمامها وهو أكثر الاشد (قال رب) الخ نزل فى أبى بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت) بها (على وعلى والدى) وهى التوحيد (وأن أعمل صالحا ترضاه) فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله (وأصلح لى فى ذريتى) فكلهم مؤمنون (انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك) أى قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الذين يتقبل عنهم أحسن) بمعنى حسن (ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة) حال أى كائنين فى جملتهم (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) فى قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات (والذى قال لوالديه) وفى قراءة بالادغام أريد به الجنس (أف) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر

منهما بقوله بمعنى مصدر و بقوله أتضجر منكما (قوله أى نتنا) النتن القذارة والرائحة الكريهة وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أن أخرج) هذا هو الموعود به والباء محذوفة أى بان أخرج وحذف الجار مع ان مطرد (قوله وقد خلت القرون من قبلى) الجملة حالية (قوله ولم تخرج من القبور) أى زعما منه ان الخروج من القبور لو كان صدقا لحصل قبل انقضاء الدنيا (قوله وهما يستغيثان الله) اعلم ان مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة وبالباء أخرى لكن لم ترد فى القرآن الا متعدية بنفسها قال تعالى اذ تستغيثون ربكم وان يستغيثوا يغاثوا فاستغاثه الذى من شيعته (قوله يسئلانه الغوث) أى اغاثة ذلك الولد بتوفيقه للاسلام (قوله ويلك) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقولان الخ وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان والمعنى يستغيثان الله حال كونهما قائلين ويلك فهو فعل أمر (قوله آمن) أى صدق واعترف (قوله ان وعد الله حق) جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها (قوله أكاذيبهم) أى التى اخترعوها من غير أن يكون لها أصل (قوله فى أمم) حال من ضمير عليهم والمعنى ثبت عليهم القول فى عداد أمم الخ (قوله انهم كانوا خاسرين) أى كافرين ابتداء وانتهاء (قوله ولكل) خبر مقدم ودرجات مبتدأ مؤخر والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار (قوله درجات) فى الكلام تغليب لان مراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف لا بالجيم أو تسمح حيث أطلق الدرجات وأراد المنازل مطلقا علوية أو سفلية (قوله مما عملوا) أى من أجل ما عملوا من خير وشر (قوله وليوفيهم) عطف علة على معلول والمعنى جازاهم بذلك ليوفيهم (قوله أى جزاءها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ينقص للمؤمنين) أى من درجاتهم بل قد يزاد لهم فيها (قوله ويزاد للكفار) أى فى دركاتهم بل قد يخفف عن بعضهم كأبى طالب وأبى لهب (قوله ويوم يعرض الخ) يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله يقال لهم الخ والمعنى يقال لهم اذهبتم الخ وقت عرضهم على النار (قوله بان تكشف لهم) أشار بذلك الى أن الكلام فيه قلب والاصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا أى يكشف لهم عنها وأتى به كذلك لان عرض الشخص على النار أشد فى اهانته من عرض النار عليه لان عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المحمول للاحراق وانما كان فيه قلب لان المعروض عليه شأنه العلم والاطلاع والنار ليست كذلك وقيل المراد بالعرض العذاب وحينئذ فليس فيه قلب وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخرا بقوله ويعذبون بها (قوله يقال لهم) هذا المقدر عامل فى جملة أذهبتم وناصب ليوم على الظرفية (قوله اذهبتم طيباتكم) أى ما قدر لكم من المستلذات فقد استوفيتموه فى الدنيا فلم يبق لكم حظ تأخذونه فى الآخرة (قوله بهمزة الخ) أشار المفسر لخمس قراآت تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بالف بينهما على الوجهين وتركه وهمزة واحدة وأجمل فى ذلك فقوله بهمزة هى احدى القراآت الخمس وقوله وبهمزتين أى محققتين بغير مد بينهما ثانيتها وقوله وبهمزة ومدة المناسب وبهمزتين محققتين ومدة وهى ثالثتها وقوله وبهما وتسهيل الثانية أى بمدة ودونها فقد تمت الخمس (قوله أى الهوان) أشار بذلك الى أنه من اضافة الموصوف لصفته (قوله بغير الحق) وصف كاشف لان الاستكبار لا يكون الا بغير الحق فان الكبر يا وصف الله وحده (قوله به) متعلق بتستكبرون وتفسقون وقدره اشارة الى أن العائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية أى بكونهم مستكبرين فاسقين والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية وبالفسق الفواحش الظاهرية (قوله ويعذبون بها) عطف على يعرض عطف تفسير فهو تفسير آخر للعرض فالمناسب تعديه وعلى بمعنى الباء (قوله واذكر أخا عاد) أى فى النسب لا فى الدين لأن هودا هو وقومه ينتسبون لعاد (قوله هو هود) أى ابن عبد الله بن رباح وتقدم ذكره تفصيلا فى سورة هود (قوله بدل اشتمال) أى فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها (قوله بالاحقاف) حال من قومه أى انذرهم والحال أنهم مقيمون بالاحقاف (قوله وادباليمن) أى فهو علم على الوادى لا جمع وقوله ومنازلهم

أى نتنا وقبحا (لكما) أتضجر منكما (أتعدانني) وفى قراءة بالادغام (أن أخرج) من القبر (وقد خلت القرون) الامم (من قبلى) ولم تخرج من القبور (وهما يستغيثان الله) يسألانه الغوث برجوعه ويقولان ان لم ترجع (ويلك) أى هلاكك بمعنى هلكت (آمن) بالبعث (ان وعد الله حق فيقول ما هذا) أى القول بالبعث (الا أساطير الاولين) أكاذيبهم (أولئك الذين حق) وجب (عليهم القول) بالعذاب (فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من جنس المؤمن والكافر (درجات) فدرجات المؤمنين فى الجنة عالية ودرجات الكافرين فى النار سافلة (مما عملوا) أى المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصى (وليوفيهم) أى الله وفى قراءة بالنون (أعمالهم) أى جزاءها (وهم لا يظلمون) شيأ ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) بان تكشف لهم يقال لهم (أذهبتم) بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومدة وبهما وتسهيل الثانية (طيباتكم) باشتغالكم بلذاتكم (فى حياتكم الدنيا واستمتعتم) تمتعتم (بها فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) به وتعذبون بها (واذكر أخا عاد) هو هود عليه السلام (اذ) الخ بدل اشتمال (انذر قومه) خوفهم (بالاحقاف)

واذا اليمن به منازلهم (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه ومن خلفه) أي من قبل هود ومن بعده الى أقوامهم (أن)

أي بأن قال (لا تعبدوا الا الله) وجملة وقد خلت معترضة (انى أخاف عليكم) ان عبدتم غير الله (عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) لتصرفنا عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على عبادتها (ان كنت من الصادقين) في انه يأتينا (قال) هود (انما العلم عند الله) هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) باستعجالكم العذاب (فلما رأوه) أي ما هو العذاب (عارضا) سحابا عرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) أي ممطر ايانا قال تعالى (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح) بدل من ما (فيها عذاب أليم) مؤلم (تدمر) تهلك (كل شئ) مرت عليه (بأمر ربها) بارادته أي كل شئ أراد اهلاكه بها فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والارض ومزقته وبقى هود ومن آمن معه (فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك) كما جزيناهم (نجزى القوم المجرمين) غيرهم (ولقد مكناهم فيما) في الذي (ان) نافية أو زائدة (مكناكم) يا أهل مكة (فيه) من القوة والمال (وجعلنا لهم سمعا) بمعنى أسماعا (وأبصارا وأفئدة) قلوبا (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أي شيأ من الاغناء ومن زائدة (اذ)

تفسيرا آخر وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل وتقدم القولان في أول السورة وقيل ان الاحقاف جبل بالشام (قوله وقد خلت النذر) الواو اعتراضية والنذر بالنسبة لزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بهذه الجملة لبيان أن انذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فلم يكن مختصا بهود ويحتمل أن معنى قوله وقد خلت النذر الخ أي مضى للتذكرهم في القرآن مرارا فلا حاجة للاعادة فهو ذكر لما في القصص اجمالا نظير قوله فيما تقدم وقد مضى مثل الاولين فتدبر (قوله أي من قبل هود الخ) لف ونشر مرتب والذين قبله أربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسمعيل واسحق وسائر أنبياء بني اسرائيل (قوله الى أقوامهم) متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين (قوله أي بأن) أشار بذلك الى ان أن اما مصدرية أو مخففة من الثقيلة والباء المقدرة للتصوير (قوله معترضة) أي بين الانذار ومعموله (قوله انى أخاف) علة لقوله ان لا تعبدوا (قوله عظيم) بالجر صفة ليوم ووصف اليوم بالعظم لشدة هوله (قوله قالوا أجئتنا) أي جوابا لانذاره (قوله ان كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله انما العلم عند الله) أي علم وقت اتيان العذاب عند الله فلا علم لي بوقته ولا مدخل لي في استعجاله (قوله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم) أي ان وظيفتي تبليغكم لا الاتيان بالعذاب اذ ليس في طاقتي وأبلغكم بسكون الباء وتخفيف اللام وبفتحها وتشديد اللام مكسورة قراءتان سبعيتان (قوله ولكنى) بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله أي ما هو العذاب) أشار بذلك الى ان الضمير في رأوه عائد على ما في قوله ما تعدنا (قوله سحابا عرض) أي فالعارض هو السحاب الذي يعرض في الافق (قوله مستقبل أوديتهم) أي متوجها اليها والاضافة لفظية للتخفيف وكذا هي في قوله ممطرنا ولذا وقع المضاف في الموضعين صفة للنكرة وهي عارضا وعارض (قوله أي ممطر ايانا) أي يأتينا بالمطر (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان قوله بل هو الخ من كلامه تعالى ويصح أن يكون من كلام هود ردا لقولهم هذا عارض ممطرنا وهو الاولى (قوله بدل من ما) أي أو خبر لمحذوف أي هي ريح (قوله فيها عذاب أليم) الجملة صفة لريح وكذا قوله تدمر (قوله أي كل شئ أراد اهلاكه بها) تفسير لقوله بأمر ربها (قوله فأهلكت رجالهم) قدر هذا ليعطف عليه قوله فأصبحوا الخ روى أن هودا لما أحس بالريح أخذ المؤمنين ووضعهم في حظيرة وقيل خط حولهم خطا فكانت الريح لا تعدو الخط وجاءت الريح فأمالت الاحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقذفتهم في البحر (قوله وبقى هود ومن آمن معه) أي وهم أربعة آلاف وكانت الريح تأتيهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهي معجزة عظيمة لهود عليه السلام (قوله فأصبحوا) أي صاروا (قوله لا ترى الا مساكنهم) بتاء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة مبنيا للمفعول ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل قراءتان سبعيتان والمعنى فصاروا لا يرى الا أثر مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (قوله كما جزيناهم) أي عادا (قوله ولقد مكناهم) أي عادا (قوله في الذي) أشار به الى ان ما موصولة (قوله نافية) أي بمعنى ما ولم يؤت بلفظها دفعا لثقل التكرار ويكون المعنى ولقد مكنا عادا في الذي لم نمكنكم يا أهل مكة فيه (قوله أو زائدة) أي والمعنى ولقد مكنا عادا في مثل الذي مكناكم فيه ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف والتقدير ولقد مكناهم في الذي ان مكناكم فيه طغيتم وبغيتم وأوضحها أولها (قوله وجعلنا لهم سمعا الخ) افرد السمع لان ما يدرك به متحد وهو الصوت بخلاف ما بعده من الابصار والافئدة فانه يدرك بهما اشياء كثيرة (قوله أي شيأ) أشار بذلك الى ان من شئ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد (قوله

معمولة

معمولة لأغنى) أي لنفعه فان التعليل للنفي والمعنى انتفى نفع هذه الحواس عنهم لانهم كانوا يجحدون الخ (قوله ولقد أهلكنا ما حولكم) الخطاب لاهل مكة (قوله من القرى) أى أهلها (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله ومفعول اتخذوا الخ) أي والمعنى فهلا دفع عنهم العذاب الاصنام الذين اتخذوهم قربانا آلهة والمقصود توبيخهم (قوله وآلهة بدل منه) هذا أحد اعاريب ويصح أن يكون آلهة الثاني وقربانا حال أو مفعول من أجله (قوله بل ضلوا عنهم) اضراب انتقالى من نفي الدفع عنهم الى غيبتها عنهم بالكلية والمعنى لم يحضروا عندهم فضلا عن كونهم يدفعون عنهم العذاب (قوله افكهم) قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر افك يأفك افكا وقرئ شذوذا بفتح الهمزة وهو مصدر له أيضا وبفتحات فعلا ماضيا (قوله وما مصدرية) أى وافتراؤهم وهو الاحسن لتناسب المعطوفين (قوله أى فيه) أى فحذف الجار واتصل الضمير ثم حذف ولو قال أى يفترونه لكان أوضح (قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أى اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا اليك نفرا من الجن ليعتبروا فان رسالتك عامة للانس والجن والملائكة وجميع الخلق لكن ارساله للانس والجن ارسال تكليف اجماعا وارساله للملائكة قيل ارسال تكليف بما يليق بهم وقيل ارسال تشريف وارساله لما عداهم من الحيوانات الغير العاقلة والجمادات ارسال تشريف ورحمة (قوله نفرا) النفر بفتحتين والنفير من ثلاثة رجال الى عشرة (قوله نصيبين) أى وهي قرية باليمن (قوله أو جن نينوى) بنون مكسورة فياء ساكنة فنون مضمومة أو مفتوحة فواو فألف مقصورة وهي قرية يونس عليه السلام قرب الموصل (قوله وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل) الصواب أن يقول وكان ببطن نخلة لانه هو الذى في طريق الطائف وأما بطن نخل فهو المكان الذى صلى فيه صلاة الخوف وهو على مرحلتين من المدينة (قوله يصلى بأصحابه الفجر) فيه شئ اذ لم يثبت انه كان معه من الصحابة الا زيد بن حارثة وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات فالصواب أن يقول كان يصلى في جوف الليل وعبارة المواهب ثم خرج عليه السلام الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعا الى مكة نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلى الخ واعلم ان العلماء ذكروا في سبب هذه الواقعة قولين أحدهما ان الجن كانت تسترق السمع فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبي قالوا ما هذا الا لشئ حدث في الارض فذهبوا فيها يطلبون السبب وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم في الحادية عشر من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعا الى مكة فقام ببطن نخل يقرأ القرآن فمر به نفر من جن نصيبين كان ابليس قد بعثهم يطلبون السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصودا للارسال ثانيهما ان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا منهم يستمعون القرآن وينذرون قومهم وذلك لان الجن مكلفون لهم الثواب وعليهم العقاب ويدخلون الجنة ويأكلون فيها ويشربون كالانس فانتهض النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقال انى أمرت ان أقرأ على الجن الليلة القرآن فأيكم يتبعني فاطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل النبي شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا وأمرني ان اجلس فيه وقال لى لا تخرج حتى أعود اليك فانطلق حتى وصل اليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي منهم مع الفجر

معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل (كانوا يجحدون بآيات الله) حججه البينة (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) أى من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط (وصرفنا الآيات) كررنا الحجج البينات (لعلهم يرجعون فلولا) هلا (نصرهم) بدفع العذاب عنهم (الذين اتخذوا من دون الله) أى غيره (قربانا) متقربا بهم الى الله (آلهة) معه وهم الاصنام ومفعول اتخذ الاول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا الثاني وآلهة بدل منه (بل ضلوا) غابوا (عنهم) عند نزول العذاب (وذلك) أى اتخاذهم الاصنام آلهة قربانا (افكهم) كذبهم (وما كانوا يفترون) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى فيه (و) اذكر (اذ صرفنا) أملنا (اليك نفرا من الجن) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل يصلى بأصحابه الفجر رواه الشيخان

فانطلق الى فقال لى قد غمت فقلت لا والله ولكنني هممت ان آتى اليك لخوفى عليك فقال صلى الله عليه وسلم لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم فأولئك من نصيبين فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن اختصموا فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق وكانت عدة هؤلاء الجن اثنى عشر ألفا وروى عن أنس قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذ اقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها النغمة جنى فقال الشيخ أجل يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أى الجن أنت قال انى هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبى كم أتى عليك من العمر فقال أكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن أعوام فكنت أشرف على الآكام وأصطاد الهام وأحرش بين الانام فقال النبى بئس العمل فقال يارسول الله دعنى من العتب فانى ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وأتيت هودا فعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى به فى المنجنيق وكنت معه فى النار اذ ألقى فيها وكنت مع يوسف اذ ألقى فى الجب فسبقته الى قعره ولقيت موسى بن عمران وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لى ان لقيت محمدا فاقرأ عليه السلام قال أنس فقال النبى وعليه السلام وعليك السلام ياهام ما حاجتك فقال ان موسى علمنى التوراة وان عيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن قال أنس فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل ياأيها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين ولا منافاة بين هذه القصص فلعل الواقعة تعددت فاحداها كان فيها زيد بن حارثة والاخرى كان فيها عبد الله بن مسعود والاخرى كان فيها أنس بن مالك كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت (قوله يستمعون القرآن) جمعه مراعاة لمعنى النفر ولو راعى لفظه لقال يستمع (قوله فلما حضروه) أى القرآن أو الرسول (قوله اصغوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب رمى أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعى (قوله فلما قضى) بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالاولى تؤيد عود الضمير على القرآن والثانية تؤيد عوده على الرسول (قوله ولوا الى قومهم منذرين) أى بأمر الرسول عليه السلام لانه جعلهم رسلا الى قومهم (قوله وكانوا يهودا) أى يفيد أسلموا أى هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجعوا اليهم وأنذروهم سبعون وقال العلماء ان الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وروى أنهم أصناف ثلاثة صنف لهم أجنحة يطيرون بها وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون واختلف فى مؤمنى الجن فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة والليث وبعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا وقال الائمة الثلاثة هم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون ويتنعمون وقيل انهم يكونون حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها (قوله كالتوراة) أى والانجيل والزبور وغيرهما (قوله أى طريقه) أى الاسلام وهو الانقياد وطريقه الاعمال كالصلاة والصوم (قوله يغفر لكم) جواب الامر (قوله ويجركم) أى يخلصكم وينجكم (قوله ومن لا يجب الخ) من شرطية وجوابها قوله فليس بمعجز الخ (قوله أولياء أولئك) هنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس فى القرآن محل لاجتماعهما غير هذا (قوله أولئك الخ) هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (قوله أولم يروا الخ) رجوع لتوجيه الكلام الى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكر ولم يروا (قوله لم يعجز عنه) أى لم يضعف ولم يتعب (قوله وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال ان الباء لا تزاد الا فى خبر ليس وما كما قال ابن مالك * وبعد ما وليس جر البا الخبر * وان للاثبات (قوله لأن الكلام الخ) حاصل الجواب انها واقعة فى خبر ليس تأويلا (قوله بلى) هى جواب النفى وتصير بها اثباتا بخلاف نعم فانها تقرر ما قبلها نفيا واثباتا (قوله ويوم يعرض الذين كفروا الخ) هذا اشارة لبعض ما يحصل

(يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اصغوا لاستماعه (فلما قضى) فرغ من قراءته (ولوا) رجعوا (الى قومهم منذرين) مخوفين قومهم العذاب ان لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا) هو القرآن (أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) أى تقدمه كالتوراة (يهدى الى الحق) الاسلام (والى طريق مستقيم) أى طريقه (ياقومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم الى الايمان (وآمنوا به يغفر) الله (لكم من ذنوبكم) أى بعضها لان منها المظالم ولا تغفر الا برضا أصحابها (ويجركم من عذاب أليم) مؤلم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) أى لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته (وليس له) لمن لا يجب (من دونه) أى الله (أولياء) أنصار يدفعون عنه العذاب (أولئك) الذين لم يجيبوا (فى ضلال مبين) بين ظاهر (أولم يروا) يعلموا أى منكرو البعث (أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) لم يعجز عنه (بقادر) خبر ان وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة أليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى بلى) هو قادر على احياء الموتى (انه على كل شىء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أنذرهم

فى يوم البعث من الاهوال اثر بيان اثباته وتقرره (قوله يقال لهم) قدره اشارة الى ان يوم ظرف لمحذوف والى ان قوله أليس هذا بالحق مقول لقول محذوف (قوله وربنا) الواو للقسم وانما أكدوا كلامهم بالقسم طمعا فى الخلاص حيث اعترفوا بالحق (قوله بما كنتم تكفرون) اى بسبب كفركم (قوله فاصبر الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والصبر تلقى المكاره والشدائد بالرضا والتسليم (قوله كما صبر أولوا العزم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية والتقدير صبرا مثل صبر أولى العزم (قوله فكلهم ذو عزم) أى حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد وقوله وقيل هى للتبعيض فى كلامه اشارة لقولين فى تفسير أولى العزم من جملة أقوال شتى وقيل هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوط وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا الى بنى اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبياء انى مرسل عذابى الى عصاة بنى اسرائيل فشق ذلك على المرسلين فأوحى الله اليهم اختاروا لأنفسكم ان شئتم أنزل بكم العذاب وأنجيت بنى اسرائيل وان شئتم نجيتم وأنزلت العذاب ببنى اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجى الله بنى اسرائيل فانجى الله بنى اسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل وذلك أنه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من حرق بالنار وقيل أولوا العزم أربعة ابراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده وموسى صبر على أذى قومه ووثق بربه حين قال له قومه انا لمدركون فقال كلا ان معى ربى سيهدين وداود صبر على البكا من أجل خطيئته حتى نبت من دموعه الشجر فقعد تحت ظله وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها فكأن الله تعالى يقول لنبيه كن صادقا واثقا بربك مهتما بما سلف منك زاهدا فى الدنيا وقيل أولوا العزم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو المعتمد لانهم أصحاب الشرائع (قوله ولم نجد له عزما) اى تاما لان ارادته أكله من الشجرة غلبت ارادته عدم الاكل منها والا فكل نبى صاحب عزم غير انهم متفاوتون فيه على حسب مراتبهم قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (قوله ولا تستعجل لهم) أى لاجلهم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله نزول العذاب (قوله قيل كأنه ضجر الخ) المناسب حذف كان كما فى عبارة غيره (قوله فانه نازل بهم) أى ولو فى الآخرة (قوله يوم يرون) ظرف لقوله لم يلبثوا الخ (قوله لطوله) تعليل لقوله لم يلبثوا مقدم عليه (قوله الا ساعة من نهار) أى لان ما مضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه لانقضائه (قوله هذا القرآن بلاغ) أشار بذلك الى ان قوله بلاغ خبر لمحذوف (قوله تبليغ من الله اليكم) أى بلغكم الله اياه فآمنوا به أو المعنى موصل من عمل به وآمن الى الدرجات العلى لما ورد يقال له اقرأ وارق ويؤنسه فى قبره وموصل من لم يعمل به الى الدركات السفلى (قوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أى لا يكون الهلاك والدمار الا للكافرين وأما من مات على الايمان ولو عاصيا فهو فائز ولا يقال له هالك وهذه الآية أرجى آية فى القرآن اذ فيها تطميع فى سعة فضل الله ورحمته ﴿فائدة﴾ نقل القرطبى عن ابن عباس ان المرأة اذا تعسر وضعها تكتب هاتان الآيتان والكلمتان فى صحفة ثم تغسل وتسقى منها فانها تاتيسر بعاو هى بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اهـ

﴿سورة القتال﴾

وتسمى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لذكر هذا الاسم فيها وسورة الذين كفروا لابتدائها بهذا اللفظ (قوله مدنية الخ) هذا القول منقول عن ابن عباس وقوله الا وكأين الخ أى فانها نزلت بعد حجة

يقال لهم (أليس هذا) التعذيب (بالحق قالوا بلى وربنا قالوا فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر) على أذى قومك (كما صبر أولوا العزم) ذووا الثبات والصبر على الشدائد (من الرسل) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ولا يونس لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت (ولا تستعجل لهم) لقومك نزول العذاب بهم قيل كأنه ضجر منهم فاحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة لطوله (لم يلبثوا) فى الدنيا فى ظنهم (الا ساعة من نهار) هذا القرآن (بلاغ) تبليغ من الله اليكم (فهل) أى لا (يهلك) عند رؤية العذاب (الا القوم الفاسقون) أى الكافرون

﴿سورة القتال﴾

مدنية الا وكأين من قرية الآية

أومكية وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا) من أهل مكة (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) أي الايمان (أضل) أحبط (أعمالهم) كاطعام الطعام وصلة الارحام فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى (والذين آمنوا) أي الانصار وغيرهم (وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) أي القرآن (وهو الحق من ربهم كفر عنهم) غفر لهم (سيآتهم وأصلح بالهم) أي حالهم فلا يعصونه (ذلك) أي اضلال الاعمال وتكفير السيآت (بأن) بسبب أن (الذين كفروا اتبعوا الباطل) الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق) القرآن (من ربهم كذلك) أي مثل ذلك البيان (يضرب الله للناس أمثالهم) يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلله (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لان الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا) أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الوثاق) ما يوثق به الاسرى (فاما منا بعد) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم باطلاقهم من غير شئ (واما فداء) أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حتى تضع الحرب)

الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا على فراقه وهذا مبني على ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة وهو ضعيف والصحيح ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو بارض مكة ورد أيضا بانه في حجة الوداع خرج منها مختارا ولم يكن عنده حزن لكونها صارت دار اسلام وحينئذ فلا يظهر الوعيد الذي في الآية وقيل انها نزلت لما خرج من مكة الى الغار مهاجرا وعليه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح وسيأتي ايضاحه في تفسيرها (قوله أومكية) هذا القول بالنظر لغالبها وهو ضعيف (قوله وثمان أو تسع الخ) وقيل أربعون آية والخلاف في قوله حتى تضع الحرب أوزارها وقوله لذة للشاربين هل كل آية مستقلة أو من تتمة ما قبلها (قوله الذين كفروا) مبتدأ وقوله أضل أعمالهم خبره ومناسبة هذه الآية لآخر الاحقاف ظاهرة وذلك كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام طعام ونحوه والله لا يضيع أجر المحسنين فاجاب بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم وابطلها (قوله فلا يرون لها في الآخرة ثوابا) أي لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله ويجزون بها في الدنيا) أي بان يوسع لهم في المال ويزاد لهم في الولد والعافية وغير ذلك حيث لم يقصدوا بها فخرا ولا رياء (قوله والذين آمنوا) أي صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقوله وعملوا الصالحات العطف يقتضي المغايرة فاستفيد منه ان العمل الصالح ليس داخلا في حقيقة الايمان بل هو شرط كمال كما هو مختار الاشاعرة (قوله وآمنوا بما نزل الخ) عطف خاص على عام والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه اشارة الى ان الايمان لا يتم بدونه ولذا أكده بقوله وهو الحق أي الثابت الذي ينسخ غيره وهو لا ينسخ (قوله وهو الحق من ربهم) جملة معترضة سيقت لبيان المنزل (قوله غفر لهم سيآتهم) أي محاها من صحف الملائكة (قوله وأصلح بالهم) البال يطلق على الحال والشان والأمر وكلها بمعنى واحد والمعنى أصلح أحوالهم الدنيوية بتوفيقهم للاعمال الصالحة والأخروية بنجاتهم من النار وادخالهم الجنة (قوله فلا يعصونه) أي لا يصرون على معصيته أعم من أن لا تقع منهم أصلا أو تقع ولكن لا يصرون عليها (قوله ذلك) مبتدأ وقوله بان الذين الخ خبر (قوله الشيطان) وقيل الباطل الكفر (قوله الحق القرآن) وقيل الحق الايمان (قوله كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) المثل في الأصل القول السائر المشبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن والكلاب على البقر وليس مرادا هنا بل المراد الأمور العجيبة تشبيها لها بالمثل في الغرابة المؤدية الى التعجب واسم الاشارة عائد على ما بين في أحوال المؤمنين والكافرين (قوله فاذا لقيتم الخ) الفاء الفصيحة لكونها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره اذا علمتم أحوال المؤمنين وانهم أحباب الله وأحوال الكافرين وانهم أعداء الله فالواجب على أحباب الله ان يقاتلوا أعداء الله (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي فهو نائب عن الفعل في المعنى والعمل على الصحيح وقيل في المعنى دون العمل والأصل فاضربوا الرقاب ضربا حذف الفعل وأتى بالمصدر محله وأضيف الى مفعول الفعل وهو الرقاب وهو عامل في الظرف أيضا (قوله أي اقتلوهم) أي فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أي حالة كانت لا خصوص ضرب الرقاب (قوله حتى اذا أثخنتموهم) حتى ابتدائية والمعنى فاذا اعجزتموهم بأي وجه من الوجوه اما بكثرة القتل فيهم وهو الغالب أو بقطع الماء عنهم أو باخذ أسلحتهم أو غير ذلك فأسروهم (قوله أي فأمسكوا) أشار بذلك الى ان في الكلام تقدير جملتين الامساك عن القتل والاسر (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي جيء به لتفصيل جملة فوجب اضمار عامله والتقدير فاما أن تمنوا منا واما أن تفدوا فداء (قوله بعد) أي بعد أسرهم وشد وثاقهم والمعنى ان المسلمين بعد القدرة على الكفار يخيرون فيهم بين أمور أربعة القتل والمن والفداء والاسترقاق وهذا في الرجال المقاتلين وأما النساء والصبيان فليس فيهم الا المن والفداء والاسترقاق وهذا التفصيل للامام الشافعي وعند مالك يزاد في حق الرجال الجزية وعند أبي حنيفة ليس الا القتل أو الاسترقاق واما المن والفداء فمنسوخان بعد بدر (قوله أو أسارى) بالضم

والفتح

والفتح أو بفتح فسكون قراءة مفتوحة (قوله أى أهلها) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله بأن يسلم الكفار) أى فالمراد بوضع آلة القتال ترك القتال لانقضاض شوكة الكفر ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه ترك القتال بوضع آلته واشتق من الوضع تضع بمعنى تترك (قوله وهذه غاية للقتل) أى المذكور فى قوله فضرب الرقاب وقوله والاسر أى المذكور فى قوله فشدوا الوثاق (قوله ماذكر) أى من القتل والاسر وما بعدهما (قوله بغير قتال) أى كالخسف (قوله ليبلو بعضكم ببعض) أى فيظهر لعباده حال الصادق فى الايمان من غيره قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين (قوله والذين قتلوا) مبتدأ وقوله فلن يضل أعمالهم خبره (قوله وفى قراءة قاتلوا) أى وهى سبعية أيضا مفسرة للقراءة الأولى وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل بل المراد قاتلوا قتلوا أولا (قوله وقد فشا الخ) الجملة حالية وقوله القتل ورد انهم سبعون وقوله والجراحات أى الكثير والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل فى سبيل الله لنصر دينه الى يوم القيامة قتل أو جرح أو سلم (قوله فلن يضل أعمالهم) أى سواء نشأت منهم أو تسببوا فيها (قوله الى ما ينفعهم) أى فالذى ينفعهم فى الدنيا العمل الصالح والاخلاص فيه والذى ينفعهم فى الآخرة الجنة وما فيها وحينئذ فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله لحفظ الله اياهم من المخالفات ومنه حديث اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وليس فيه توهم اباحة المعاصى لأهل بدر بل المعنى كما أفنيتم نفوسكم فى محبتى وخرجتم عن شهواتكم فى رضاى جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطى فاشتريت نفوسكم فصارت لى راضية مرضية قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآيات ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله

وبعد الفنا فى الله كن كيفما تشا * فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

(قوله وما فى الدنيا) أى من الهداية واصلاح الحال وقوله ان لم يقتل جواب عما يقال كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم يعنى فى الدنيا مع ان الفرض انهم قتلوا بالفعل وأجيب بأن ذلك يحصل فى الدنيا لمن لم يقتل وعبر بالذين قتلوا تغليبا لهم أو لانهم قتلوا حكما بالنية وأجيب أيضا بأن المراد بالذين قتلوا الذين وقع منهم القتال أعم من أن يقتلوا بالفعل أولا بدليل القراءة الاخرى (قوله فيهتدون الى مساكنهم الخ) أى اذا دخلوها يتفرقون الى منازلهم فهم أعرف بها من أهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله فى الجنة من منزله الذى كان فى الدنيا وما ورد أن العبد المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى يشاهد مسكنه فى الجنة وما أعده الله له من النعيم ويفتح له طاقة فى قبره يشاهد ذلك ما دام فى البرزخ وأن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر فى الجنة وأرواح الانبياء فى قناديل من ذهب معلقة فى العرش تسرح وتأوى اليها وقيل معنى عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (قوله يثبتكم) أشار بذلك الى ان المراد بالاقدام الذوات بتمامها وعبر عنها بالاقدام لان الثبات والتزلزل يظهران فيها (قوله خبره تعسوا الخ) أشار بذلك الى ان الفاء فى قوله فتعسا داخلة على محذوف هو الخبر وتعسا مفعول مطلق لذلك المحذوف وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء (قوله أى هلاكا وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال فى معنى التعس وقيل خزيا لهم وقيل شقاء لهم وقيل شتما لهم من الله وقيل قبحا لهم وقيل رغما لهم وقيل شرا لهم وقيل شقوة لهم وقيل التعس الانحطاط والعثار وكلها معان متقاربة وهو فى الاصل أن يخر لوجهه والنكس أن لا يستقل بعد سقطته حتى يسقط هو ثانية وهى أشد من الاولى وضده الانتعاش وهو قيام من سقط (قوله ذلك) مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ويصح أن يكون اسم الاشارة خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (قوله المشتمل على التكاليف) أى

أى أهلها (أوزارها) أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا فى العهد وهذه غاية للقتل والاسر (ذلك) خبر مبتدأ مقدر أى الامر فيهم ماذكر (ولو يشاء الله لانتصر منهم) بغير قتال (ولكن) أمركم به (ليبلو بعضكم ببعض) منهم فى القتال فيصير من قتل منكم الى الجنة ومنهم الى النار (والذين قتلوا) وفى قراءة قاتلوا الآية نزلت يوم أحد وقد فشا فى المسلمين القتل والجراحات (فى سبيل الله فلن يضل) يحبط (أعمالهم سيهديهم) فى الدنيا والآخرة الى ما ينفعهم (ويصلح بالهم) حالهم فيهما وما فى الدنيا لمن لم يقتل وادرجوا فى قتلوا تغليبا (ويدخلهم الجنة عرفها) بينها (لهم) فيهتدون الى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يثبتكم فى المعترك (والذين كفروا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فتعسا لهم) أى هلاكا وخيبة من الله (وأضل أعمالهم) عطف على تعسوا (ذلك) أى التعس والاضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) من القرآن المشتمل على التكاليف (فاحبط أعمالهم

فهذا وجه كراهتهم له وذلك لان فى التكاليف ترك الملاذ والشهوات والنفوس الخبيثة تكره ذلك وتحب ارخاء العنان لها فى الشهوات فمن تبع نفسه من كل وجه كفر فعلى الانسان أن يجاهد نفسه حتى تصير معتادة لما يرضاه الله تعالى ففى الحديث لا يكمل ايمان أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به فالاصل فى النفوس الخسة لا تجر لصاحبها خيرا ولا تسعى الا فيما يغضب الله فاذا شمر الانسان عن ساعد الجد والاجتهاد وخالف هوى نفسه سكن وهجها واضمحلت شهوتها فاذا دام ذلك حسن حالها وصارت جميلة الاخلاق مطمئنة بخالقها نسأل الله أن يملكنا نفوسنا ولا يسلطها علينا (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اجبنوا وتركوا السير فلم يسيروا (قوله دمر الله عليهم) المفعول محذوف قدره المفسر بقوله أنفسهم الخ (قوله وللكافرين) أى السائرين على قدم من قبلهم من الكفار وقوله أمثالها مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد أى ان لكل واحد من هؤلاء الكفار عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء وشرعه جامع لجميع الشرائع فالكفر به وبشرعه كفر بجميع الشرائع فبسبب ذلك عظم عذاب الكافر به (قوله وان الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم ولا معين ولا مغيث وأما قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فالمراد بالمولى المالك فلم يحصل تناف (قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الخ) بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين فى الآخرة (قوله كما تأكل الانعام) الكاف فى محل نصب اما نعت لمصدر محذوف أى أكلا مثل أكل الانعام أو حال أى أكلا حال كونه مثل أكل الانعام (قوله والنار مثوى لهم) مبتدأ وخبر (قوله وكأين من قرية الخ) كأين مركبة من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية وهى فى محل رفع مبتدأ ومن قرية تمييزها وقوله هى أشد صفة لقرية وقوله التى أخرجتك صفة لقريتك وقوله أهلكناهم خبر المبتدا وسبب نزول هذه الآية انه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فنزلت هذه الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على خروجك من بلدك فان الله يعزك ويذلهم فليس خروجك من مكة الا كخروج آدم من الجنة من حيث انه حصل له العز العظيم وحصل لابليس الذى تسبب فى اخراجه الخزى العظيم (قوله أريد أهلها) أى فهو مجاز فى الظرف حيث أطلق المحل وأريد الحال فيه لا مجاز بالحذف (قوله التى أخرجتك) هذا الوصف للاحتراز عن قريته التى تكون وطنه فيما يستقبل وهى المدينة (قوله أهلكناهم) أى فكذلك نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى (قوله فلا ناصر لهم) تفريع على قوله أهلكناهم (قوله أفمن كان على بينة الخ) شروع فى بيان أحوال المؤمنين والكافرين والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أليس الامر كما ذكر فمن كان على بينة الخ والتعبير بعلى اشارة الى تمكنهم من الحجج والبراهين تمكن المستعلى من المستعلى عليه (قوله واتبعوا أهواءهم) فيه مراعاة معنى من كما روعى لفظها فيما سبق (قوله مثل الجنة) تفصيل لبيان محاسن الجنة وكيفية أنهارها المتقدمة فى قوله تجرى من تحتها الانهار (قوله أى صفة الجنة) أشار بذلك الى ان المراد بالمثل الصفة فكأنه قال وصف الجنة كذا وكذا فليس فى الكلام مشبه ومشبه به (قوله التى وعد المتقون) المراد من لم يحكم الشرع بكفره فيشمل عصاة المؤمنين وأهل الفترة وأولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ (قوله المشتركة بين داخليها) أى فهو بيان لمطلق نعيم الجنة المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم وأما تفصيل مالكل فريق فسيأتى فى سورة الواقعة (قوله خبره فيها أنهار الخ) فيه ان الخبر جملة خالية من رابط يعود على المبتدا وأجيب بأن الخبر عين المبتدا فى المعنى وحينئذ فلا تحتاج لرابط وهذا أسهل الاعاريب وقيل ان مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وفى الكلام حذف مضاف وهمزة الانكار والتقدير أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فى النار وقوله فيها أنهار اما حال من الجنة أو خبر لمبتدا محذوف

أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وللكافرين أمثالها) أى أمثال عاقبة من قبلهم (ذلك) أى نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله مولى) ولى وناصر (الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) أى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون الى الآخرة (والنار مثوى لهم) أى منزل ومقام ومصير (وكأين) وكم (من قرية) أريد بها أهلها (هى أشد قوة من قريتك) مكة أى أهلها (التى أخرجتك) روعى لفظ قرية (أهلكناهم) روعى معنى قرية الاولى (فلا ناصر لهم) من اهلاكنا (أفمن كان على بينة) حجة وبرهان (من ربه) وهم المؤمنون (كمن زين له سوء عمله) فرآه حسنا وهم كفار مكة (واتبعوا أهواءهم) فى عبادة الاوثان أى لا مماثلة بينهما (مثل) أى صفة (الجنة التى وعد المتقون) المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره (فيها أنهار من ماء

غير آسن) بالمد والقصر كضارب وحذر أي غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وأنهار من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وأنهار من عسل مصفى) بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها) أصناف (من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم (كمن هو خالد في النار) خبر مبتدا مقدر أي أمن هو في هذا النعيم (وسقوا ماء حميما) أي شديد الحرارة (فقطع أمعاءهم) أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان (ومنهم) أي الكفار (من يستمع إليك) في خطبة الجمعة وهم المنافقون (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) العلماء الصحابة ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (ماذا قال آنفا) بالمد والقصر أي الساعة أي لا نرجع إليه (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) بالكفر (واتبعوا أهواءهم) في النفاق (والذين اهتدوا) وهم المؤمنون (زادهم) الله (هدى وآتاهم تقواهم) ألهمهم ما يتقون به النار (فهل ينظرون) ما ينتظرون أي كفار مكة (إلا الساعة أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها منها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان

أي هي فيها أنهار وقيل غير ذلك (قوله غير آسن) بالمد والقصر أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله كضارب) أي ففعله أسن يأسن كضرب يضرب وقوله وحذر أي ففعله أسن يأسن كحذر يحذر (قوله لم يتغير طعمه) أي فلا يعود حامضا ولا مكروه الطعم (قوله لذة للشاربين) أي ليس فيها حموضة ولا مرارة ولم تدنسها الأرجل بالدوس ولا الأيدي بالعصر وليس في شربها ذهاب عقل بل هي لمجرد الالتذاذ إن قلت لم يقل في جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين وفي العسل مصفى للناظرين أجيب بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فلذا قال لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة أي ليس في خمر الآخرة كراهة طعم وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة (قوله لذيذة) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لذة مصدر بمعنى الالتذاذ فلا يصح وصف الخمر به لكونه اسم عين فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى) يجوز في العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) أي كفضلات النحل (قوله ولهم) خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما تعلق به الخبر والمبتدا محذوف قدره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدا المحذوف والمعنى لهم في الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والرمان أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضي أنها فيها فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون في الجنة وأيضا هو أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدا مقدر) أي أن قوله كمن هو خالد في النار خبر لمحذوف والاستفهام للإنكار أي لا يستوي من هو في هذا النعيم المقيم بمن هو خالد في النار (قوله وسقوا) معطوف على خالد عطف صلة فعلية على صلة اسمية (قوله في خطبة الجمعة) أي فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتكون مستثنيات من القول بأن السورة مكية (قوله وهم المنافقون) تفسير لمن (قوله استهزاء) علة لقالوا فالاستفهام إنكاري والمعنى لم يقل شيئا يعتد به فلا عبرة بقوله (قوله آنفا) حال والمعنى ماذا قال مؤتنفا أي مبتدئا ومخترعا (قوله بالمد والقصر) أي فهما سبعيتان (قوله أي الساعة) أي فآنفا ظرف حالي بمعنى الآن وهو أحد استعمالين فيه والثاني أنه اسم فاعل بمعنى مؤتنفا كما تقدم (قوله أي لا نرجع إليه) أي إلى قوله الذي قاله آنفا أي لا نعمل به (قوله أولئك) مبتدا وقوله الذين طبع الله الخ خبره (قوله والذين اهتدوا الخ) لما بين الله حال المنافقين وأنهم لا ينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين وأنهم ينتفعون بما يسمعون (قوله ألهمهم ما يتقون به النار) أي خلق فيهم التقوى الخاصة وهي ترك متابعة الهوى والتنزه عما سوى الله تعالى وصرف القلب إلى ما يرضي الله (قوله فهل ينظرون) أي ينتظرون جزاء أعمالهم فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت فإنه يأتيهم قبل مجيئها (قوله أن تأتيهم بغتة) أي فقد قرب قيامها (قوله فقد جاء أشراطها) كالعلة لقوله فهل ينظرون الخ لأن ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره وورد عن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن انتهى (قوله منها بعث النبي الخ) أي أن من علاماتها الصغرى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقد حصل بالفعل وأما العلامات الكبرى فستأتي وإنما عبر عن الجميع بالماضي لتحقق

الوقوع على حد أتى أمر الله (قوله فأنى لهم) خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف دل عليه ما قبله والمعنى كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون (قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله) مرتب على ما قبله كأنه قال إذا علمت أنه لا ينفع التذكر إذا حضرت الساعة فدم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فإنه النافع يوم القيامة وعبر بالعلم إشارة إلى أن غيره لا يكفي في التوحيد كالظن والشك والوهم واعلم أن العلم مراتب الأولى العلم بالدليل ولو جليا ويسمى علم يقين وهذا هو المطلوب في التوحيد الذي يخرج به المكلف من ورطة التقليد وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف الثانية العلم مع مراقبة الله ويسمى عين يقين الثالثة العلم مع المشاهدة ويسمى حق يقين وفي هذه المراتب فليتنافس المتنافسون (قوله أي دم يا محمد الخ) أي فالخطاب له صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن وقوله على علمك بذلك أي بأنه لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله (قوله النافع في القيامة) أي لما ورد من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة (قوله لتستن به أمته) أي تقتدي به وهذا أحد أوجه في تأويل الآية وهو أحسنها وقيل معناه أسأل الله العصمة من الذنوب ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب ففي استغفاره تحدث بنعمة الله عليه وهي عصمته من الذنوب وتعليم للأمة أن يقتدوا به وقيل المراد بذنبه خلاف الأولى مثل ما وقع منه في أسارى بدر وفي إذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته ففي هذه الآية بشرى للأمة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (قوله وقد فعله) أي الاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات وورد في الحديث إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي رواية توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي عز وجل في اليوم مائة مرة وفي رواية إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من ذلك وقوله في الحديث إنه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر ويسمى به الغيم الرقيق الذي يغشى السماء والمراد به أنوار تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمالات فكلما ارتقى إلى مقام رأى أن الذي كان فيه بالنسبة للذي ارتقى إليه ذنبا فيستغفر الله منه (قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أشار المفسر إلى أن معنى متقلبكم متصرفكم لأشغالكم بالنهار ومعنى مثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل وهو أحد تفاسير في هذه الآية وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور وقيل متقلبكم في الدنيا ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار (قوله والخطاب للمؤمنين وغيرهم) أي ولكن خطاب المؤمنين إرشاد لهم إلى مقام المراقبة لله تعالى وهي أن يشاهد الإنسان أن الله مطلع عليه في كل لحظة وطرفة وحركة وسكون وهذا مراد والله معكم أينما كنتم وهو مطلب العارفين وكنز الراسخين قال العارف ابن الفارض

أنلها مع الأحباب رؤيتك التي * إليها قلوب الأولياء تسارع

وقال العارف الدسوقي

قد كان في القلب أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

وفيه فليتنافس المتنافسون وخطاب غيرهم تخويف وتحذير (قوله ويقول الذين آمنوا الخ) أي حين اشتد كرب المسلمين من أذى المشركين تمنوا الأمر بالجهاد ووافقهم في الظاهر على هذا التمني المنافقون فهذه الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعا ولو على القول بأن السورة مكية لأن القتال لم يشرع إلا بها وكذا النفاق لم يظهر إلا بها (قوله أي طلبه) أي ذكر فيها الأمر به والحث عليه (قوله أي شك) وقيل ضعف في الدين (قوله نظر المغشي عليه) أي نظرا مثل نظر المغشي عليه والمعنى تشخص أبصارهم كالشخص الذي حضره الموت (قوله خوفا منه) أي الموت (قوله فأولى لهم) أي الحق والواجب لهم أي عليهم طاعة الخ هذا ما مشى عليه المفسر وهو أوضح ما قيل في هذا المقام

(فأنى لهم إذا جاءتهم) الساعة (ذكراهم) تذكرهم أي لا ينفعهم (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة (واستغفر لذنبك) لأجله قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة (وللمؤمنين والمؤمنات) فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم (والله يعلم متقلبكم) متصرفكم لأشغالكم بالنهار (ومثواكم) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم (ويقول الذين آمنوا) طلبا للجهاد (لولا) هلا (نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فإذا أنزلت سورة محكمة) أي لم ينسخ منها شيء (وذكر فيها القتال) أي طلبه (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي شك وهم المنافقون (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) خوفا منه وكراهية له أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فأولى لهم) مبتدأ خبره (طاعة وقول معروف)

أى حسن لك (فاذا عزم الامر) أى فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) وجملة لو جواب اذا (فهل عسيتم) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب أى لعلكم (ان توليتم) أعرضتم عن الايمان (أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) أى تعودوا الى أمر الجاهلية من البغى والقتال (أولئك) أى المفسدون (الذين لعنهم الله فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) عن طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفون الحق (أم) بل (على قلوب) لهم (أقفالها) فلا يفهمونه (ان الذين ارتدوا) بالنفاق (على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول) أى زين (لهم وأملى لهم) بضم أوله وبفتحه واللام والملى الشيطان بارادته تعالى فهو المضل لهم (ذلك) أى اضلالهم (بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أى للمشركين (سنطيعكم فى بعض الامر) أى المعاونة على عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى (والله يعلم اسرارهم) بفتح الهمزة جمع سر وبكسرها مصدر (فكيف) حالهم (اذا توفتهم الملائكة يضربون) حال من الملائكة (وجوههم وأدبارهم) ظهورهم بمقامع من حديد (ذلك) أى التوفى على الحالة المذكورة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) أى العمل بما يرضيه (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) يظهر أحقادهم على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم) عرفناكهم وكررت اللام فى (فلعرفتهم بسيماهم) علامتهم (ولتعرفنهم) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه (فى لحن القول) أى معناه اذا تكلموا عندك بأن يعرضوا

(قوله أى حسن) تفسير لمعروف وقوله لك متعلق بكل من طاعة وقول معروف والمعنى الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن (قوله وجملة لو) أى مع جوابها (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفيه التفات) أى لتأكيد التوبيخ (قوله أى لعلكم الخ) تفسير لعسى ولم يذكر تفسير الاستفهام وهو التقرير والمعنى قرروا بأنه يتوقع منكم ان توليتم الخ والتوقع فى الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفريطهم فى الدين لا لله لأنه هو الخالق لهم العالم بأحوالهم (قوله أعرضتم عن الايمان) تفسير للتولى وقيل معناه تأمرتم وتوليتم أمر الامة (قوله ان تفسدوا) خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه (قوله أولئك) مبتدأ خبره قوله الذين لعنهم الله (قوله فأصمهم وأعمى أبصارهم) أى فلا يهتدون الى سبل الرشاد (قوله أفلا يتدبرون القرآن) أى يتفكرون فى معانيه فيهتدوا وهذه الآية انتقرير ما قبلها كأنه قال أولئك الذين لعنهم الله أى أبعدهم عنه فجعلهم لا يسمعون النصيحة ولا يبصرون طريقة الاسلام فتسبب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن (قوله أم على قلوب الخ) أم منقطعة بمعنى بل وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر الى توبيخهم بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر (قوله لهم) صفة لقلوب (قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الموصوفون بما تقدم دل عليه قوله بالنفاق وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتاب الذين داموا على الكفر به عليه السلام بعد ما وجد وانعته فى كتابهم (قوله من بعد ما تبين لهم الهدى) أى الطريق القويم بالادلة والحجج الظاهرة (قوله بضم أوله) أى وكسر ثالثه وفتح الياء والجار والمجرور نائب الفاعل وقوله وبفتحه واللام أى مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود على الشيطان وهما قراءتان سبعيتان (قوله والملى الشيطان الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره الاملاء معناه الامهال وهو لا يكون الا من الله لأنه الفاعل المختار فكيف ينسب للشيطان فأجاب بأن الملى حقيقة هو الله وأسند للشيطان باعتبار أنه جار على يديه لأنه يوسوس لهم بسعة الأجل (قوله أى للمشركين) أى والقائل هم اليهود أو المنافقون كما حكى الله عنهم ذلك فى سورة الحشر بقوله ألم تر الى الذين نافقوا الآيات (قوله سنطيعكم فى بعض الامر) أى فى بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك لا فى كله لأنهم لا يوافقونهم فى اظهار الكفر (قوله وبكسرها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فكيف) خبر لمحذوف قدره بقوله حالهم (قوله يضربون وجوههم وأدبارهم) أى فالملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من الحديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم (قوله على الحالة المذكورة) أى وهى التوفى مع ضرب الوجوه والأدبار (قوله بأنهم اتبعوا الخ) راجع لضرب الوجوه وقوله وكرهوا رضوانه راجع لضرب الادبار (قوله ما أسخط الله) أى من الكفر وغيره (قوله بما يرضيه) أى من الايمان وغيره من الطاعات (قوله أم حسب الذين الخ) أى وهم المنافقون المتقدم ذكرهم (قوله أحقادهم) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله عرفناكهم) أى فالاراءة علمية لا بصرية (قوله وكررت اللام) أى فى قوله فلعرفتهم للتأكيد والمعنى لو أردنا لدللناك على المنافقين فعرفتهم بسيماهم ورد عن ابن مسعود قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين (قوله فى لحن القول) اللحن يقال على معنيين أحدهما صرف الكلام عن الاعراب الى الخطا والثانى الكناية بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن فيكون ظاهره تعظيما وباطنه تحقيرا وهو المراد هنا ومعنى الآية والله يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول الذى ظاهره ايمان واسلام وباطنه كفر

وسبب (قوله بما فيه تهجين أمر المسلمين) التهجين التقبيح والتعييب فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها القبيح كقولهم راعنا وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة (قوله والله يعلم أعمالكم) أي نجازيكم بحسب قصدكم فقيه وعد ووعيد (قوله بالجهاد وغيره) أي من سائر المشاق كما قال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الآية (قوله علم ظهور) أي علما يشاهده خلقنا مطابقا لما هو في علمنا الازلي أي فنظهر سرائرهم بين عبادنا (قوله في ثلاثتها) وفي نسخة في الافعال الثلاثة وهي لنبلونكم ونعلم ونبلو وهما قراءتان سبعيتان (قوله طريق الحق) أي وهو دين الاسلام (قوله خالفوه) أي خرجوا عن طاعته (قوله ان يضروا الله شيأ) هذه الجملة خبر ان والكلام اما على ظاهره والمعنى أن كفرهم لا يضر الا أنفسهم وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضر أو نفع لما في الحديث القدسي ياعبادي انكم لن تقدروا على ضري فتضروني الى آخره أو على حذف مضاف أي لن يضروا رسول الله لعصمته منهم (قوله في المطعمين من أصحاب بدر) أي في المطعمين الطعام للكفار يوم بدر وذلك ان أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه كأبي جهل وأضرابه وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها الآية وسبب ذلك أن قريشا خرجت لغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجدب وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل نحر لهم عشر جزائر ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهل عشرا بقديد ومالوا منه الى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوما فنحر لهم شيبة تسعا ثم أصبحوا بالابواء فنحر مقيس الجمحي تسعا ونحر العباس عشرا ونحر الحرث تسعا ونحر أبو البختري على ماء بدر عشرا ونحر مقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (قوله أو في قريظة والنضير) أي فكانوا ينفقون على قريش ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فآل أمرهم الى ان أخرج بني النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذراريهم ولم ينفعهم قريش بشيء (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وبالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب (قوله بالمعاصي مثلا) أي كالردة فانها تبطل جميع الاعمال الصالحة من أصلها والعجب والرياء فانهما يبطلان ثواب الاعمال والمن والاذى فانهما يبطلان ثواب الصدقات والمن مذموم الا من الله على عباده والرسول على أمته والشيخ على تلميذه والوالد على ولده فليس بمذموم وأما باقي المعاصي فلا تبطل ثواب الاعمال الصالحة خلافا للمعتزلة القائلين بان الكبائر تحبط الاعمال كالردة ورد كلامهم بقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية أنه يحرم على الشخص قطع الاعمال الصالحة ولو نفلا كالصلاة والصوم والحاصل ان الاصل في النوافل انها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعا منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله

صلاة وصوم ثم حج وعمرة * طواف عكوف والتمام تحتما

وفي غيرها كالوقف والطهر خيرن * فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

ولابن كمال باشا من الحنفية

من النوافل سبع تلزم الشارع * أخذا لذلك مما قاله الشارع

صوم صلاة عكوف حجه الرابع * طوافه عمرة احرامه السابع

(قوله وهم كفار) الجملة حالية (قوله فلن يغفر الله لهم) خبر ان (قوله في أصحاب القليب) هو بئر في بدر ألقيت فيه القتلى من الكفار لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره (قوله فلا تهنوا) الفاء فصيحة وقعت في جواب شرط مقدر أي اذا تبين لكم بالادلة القطعية عز الاسلام وذل الكفر في الدنيا والآخرة فلا تهنوا (قوله بفتح السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان وهذه الآية قيل

بما فيه تهجين أمر المسلمين (والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم) نختبرنكم بالجهاد وغيره (حتى نعلم) علم ظهور (المجاهدين منكم والصابرين) في الجهاد وغيره (ونبلو) نظهر (أخباركم) من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الافعال الثلاثة (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) طريق الحق (وشاقوا الرسول) خالفوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) هو معنى سبيل الله (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالمعاصي مثلا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) طريقه وهو الهدى (ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) نزلت في أصحاب القليب (فلا تهنوا) تضعفوا (وتدعوا الى السلم) بفتح السين وكسرها أي الصلح مع الكفار اذا لقيتموهم

ناسخة

ناسخة لآية وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان الله منع من الميل الى الصلح اذا لم يكن بالمسلمين حاجة اليه وقيل انهما نزلتا في وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج اليه ولا يجوز عند القدرة والاستعداد فهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة (قوله وأنتم الاعلون) الجملة حالية وكذا قوله والله معكم (قوله لام الفعل) أي وأصله الاعلوون بواوين الاولى لام الفعل والثانية واو الجمع تحركت الواو الاولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان فحذفت الالف (قوله بالعون والنصر) أي فالمراد معية معنوية (قوله ينقصكم) أي أو يفردكم عنها لان الترة تطلق بالمعنيين يقال وتره حقه يتره وتراً نقصه وأوتره أرضه بمعنى أفرده (قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو) اللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل واللهو ما يشغل الانسان عن مهمات نفسه (قوله ولا يسألكم أموالكم) أي لا يأمركم باخراج جميع أموالكم في الزكاة بل يأمركم باخراج بعضها (قوله فيحفكم) عطف على الشرط وتبخلوا جوابه (قوله يبالغ في طلبها) أي حتى يستأصلها (قوله ويخرج أضغانكم لدين الاسلام) أي أحقادكم وبغضكم لدين الاسلام وذلك لان الانسان جبل على محبة الاموال ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره فمن رحمته على عباده عدم التشديد عليهم في التكاليف (قوله ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر وتدعون خبره وجملة النداء معترضة بين المبتدا والخبر (قوله فمنكم من يبخل) أي ومنكم من يجود وحذف هذا المقابل لان المراد الاستدلال على البخل (قوله يقال بخل عليه وعنه) أي فيتعدى بعلى اذا ضمن معنى شح وبعن اذا ضمن معنى امسك (قوله وأنتم الفقراء اليه) أي في جميع الاحوال (قوله وان تتولوا) اما خطاب للصحابة والمقصود منه التخويف لانه لم يبدل أحد من بعدهم لرتبتهم والشرطية لاتقتضي الوقوع أو خطاب للمنافقين والتبديل حاصل بالفعل واختلف في القوم المستبدلين فروى عن أبي هريرة قال تلا رسول الله هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفس محمد بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل هم العجم وقيل هم فارس والروم وقيل الانصار وقيل الملائكة وقيل التابعون وقيل من شاء من سائر الناس وروى أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الي من الدنيا

﴿سورة الفتح﴾

سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في السنة السادسة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار فاحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة أرسل عثمان مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام ولم يكن قاصدا حربا فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم وأشاع ابليس في الصحابة ان عثمان قتل فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على انهم يدخلون مكة حربا فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأتي في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدي ثم رجعوا راجعين فلحقهم الحزن والكآبة فأراد الله تسليتهم واذهاب الحزن عنهم فانزل الله عليه وهو سائر ليلا في رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة انا فتحنا لك فتحا مبينا الى آخر السورة فقال صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال المسلمون هنيئا مريئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله فوزا عظيما (قوله مدنية) أي لكونها نزلت بعد الهجرة (قوله انا فتحنا لك الخ) الفتح والظفر بالبلاد عنوة أو صلحا فتسمية الظفر بالبلاد فتحا لان فيه فتح الباب المغلق بجامع

(وأنتم الاعلون) حذف منه واو لام الفعل الاغلبون القاهرون (والله معكم) بالعون والنصر (ولن يتركم) ينقصكم (أعمالكم) أي ثوابها (انما الحياة الدنيا) أي الاشتغال فيها (لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها (ان يسألكموها فيحفكم) يبالغ في طلبها (تبخلوا ويخرج) البخل (أضغانكم) لدين الاسلام (ها أنتم) يا (هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) ما فرض عليكم (فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) يقال بخل عليه وعنه (والله الغني) عن نفقتكم (وأنتم الفقراء) اليه (وان تتولوا) عن طاعته (يستبدل قوما غيركم) أي يجعلهم بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن طاعته بل مطيعين له عز وجل

﴿سورة الفتح مدنية تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا فتحنا لك)

التمكن فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرنا أى مكناك من البلاد وحذف المعمول ليؤذن بالعموم وأسند الى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح واشارة الى أن هذا الامر لا يتيسر الا بارادة الله وتوفيقه (قوله قضينا بفتح مكة وغيرها) أى كخيبر وحنين والطائف ونحوها وهو جواب عما يقال ان الآية نزلت فى رجوعه من الحديبية عام ست ومكة لم تفتح الا فى السنة الثامنة فكيف عبر بالماضى فأجاب بأن التعبير بالماضى بالنسبة للقضاء الازلى والمعنى حكمنا لك فى الازل بالفتح المبين وحينئذ فالتعبير بالماضى حقيقة وأجيب أيضا بأن التعبير بالماضى مجاز لتحقق الوقوع نظير ونفخ فى الصور وأجيب أيضا بأن الفتح على حقيقته وان المراد به صلح الحديبية لانه أصاب فيه مالم يصب فى غيره قال الزهرى لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء اليها فى ألف وأربعمائة فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم على بعض وعلموا وسمعوا من الله فما أراد أحد الاسلام الا تمكن منه فما مضت تلك السنتان الا والمسلمون قد جاؤا الى مكة فى عشرة آلاف وقال الشعبى فى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح الحديبية لقد أصاب فيها مالم يصب فى غزوة غيرها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس وفرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اه (قوله عنوة) هذا مذهب مالك وأبى حنيفة نظرا لكون النبى وأصحابه دخلوها قهرا ووقوع القتل من بعض الصحابة كخالد بن الوليد وأصحابه فى جهة أسفلها ومذهب الشافعى انها فتحت صلحا نظرا للظاهر وهو عدم حصول القتال من النبى وتأمينه أبا سفيان وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظيا (قوله بجهادك) متعلق بقوله بفتح مكة وهو جواب عما يقال ان الفتح ناشئ من الله والمغفرة تكون للشخص فكيف تترتب عليه وانما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص فأجاب بأن الفتح وان كان من الله لكنه ترتب على فعل النبى وهو الجهاد فصح أنه يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار (قوله لترغب أمتك) علة لترتب الغفران على الفتح (قوله وهو مؤول) أى ان اسناد الذنب له صلى الله عليه وسلم مؤول اما بان المراد ذنوب أمتك أو هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أو بأن المراد بالغفران الاحالة بينه وبين الذنوب فلا تصدر منه لان الغفر هو الستر والستر اما بين العبد والذنب أو بين الذنب وعذابه فاللائق بالانبياء الاول وبالامم الثانى ان قلت ان عصمة النبى عليه السلام من الذنوب حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها فكيف تكون مرتبة على جهاده أجيب بأن المرتب اظهارها للخلق لا هى نفسها (قوله من الذنوب) أى صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها (قوله للعلة الغائية) اى وهى المترتبة على آخر الفعل وليست علة باعثة لاستحالة الاغراض على الله تعالى فى الافعال والاحكام (قوله لا سبب) أى لان السبب ما يضاف اليه الحكم كالزوال للوجوب الظهر والمغفرة ليست كذلك (قوله بالفتح المذكور) أى وهو فتح مكة وغيرها بجهادك (قوله يثبتك عليه) أى يديمك ويقويك عليه أو المراد يزيدك فى الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين (قوله ذا عز) جواب عما يقال ان العز يوصف به المنصور لا النصر وتوضيح جوابه ان فعيل صيغة نسبة أى نصرا منسوبا للعز (قوله لا ذل معه) أى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وأما مطلق نصر فيكون حتى لبعض الكفار فى الدنيا (قوله فى قلوب المؤمنين) أى وهم أهل الحديبية حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصل لهم ما شأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع أحد منهم عن الايمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر بن الخطاب لما روى انه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعط الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أوليس كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى فقلت فلم نعط الدنية فى ديننا اذا قال أيها

الرجل

قضينا بفتح مكة وغيرها المستقبل عنوة بجهادك (فتحا مبينا) بينا ظاهرا (ليغفر لك الله) بجهادك (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) منه لترغب أمتك فى الجهاد وهو مؤول لعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلى القاطع من الذنوب واللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب (ويتم) بالفتح المذكور (نعمته) انعامه (عليك ويهديك) به (صراطا) طريقا (مستقيما) يثبتك عليه وهو دين الاسلام (وينصرك الله) به (نصرا عزيزا) ذا عز لا ذل معه (هو الذى أنزل السكينة) الطمأنينة (فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)

الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بأمره ولا تخالفه فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه فتطوف به قال العلماء لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما هو معروف من شدته وصلابته في الدين وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه رضي الله عنهما وعنا بهما (قوله بشرائع الدين) متعلق بايمانا وقوله مع ايمانهم متعلق بمحذوف أي بالله ورسوله (قوله ولله جنود السموات والارض) اختلف في المراد بجنود السموات والارض فقيل هم ملائكة السموات والارض وقيل ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض الحيوانات وقيل ان جنود السموات مثل الصواعق والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكل صحيح (قوله لفعل) أي لكنه لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك الاعداء بأيديهم ليحصل لهم الشرف والعز دنيا وأخرى (قوله متعلق بمحذوف) أي لا بفتحنا أي لئلا يلزم عليه عمل العامل في حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى من غير عطف ولا بدل ولا توكيد (قوله ويكفر عنهم سيئاتهم) أي يمحوها وهو معطوف على قوله ليدخل المؤمنين الخ عطف سبب على مسبب لان دخول الجنة مسبب عن تكفير السيئات وقدم الادخال في الذكر على التكفير مسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى (قوله وكان ذلك) أي المذكور من الادخال والتكفير (قوله عند الله) حال من فوزا لانه صفة له في الاصل فلما قدم عليه صار حالا أي كائنا عند الله أي في علمه وقضائه (قوله ويعذب المنافقين) قدمهم على المشركين لانهم أشد ضررا من الكفار المجاهرين وذلك لان المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه ايمانه (قوله ظن السوء) اما من اضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين أو ان السوء صفة لموصوف محذوف أي ظن الامر السوء فحذف المضاف اليه وأقيمت صفته مقامه (قوله بفتح السين وضمها) أي فالفتح الذم والضم العذاب والهزيمة والشر (قوله في المواضع الثلاثة) أي هذين والثالث قوله فيما يأتي وظننتم ظن السوء وهو سبق قلم والصواب أن يقول في الموضع الثاني وأما الاول والثالث فليس فيهما الا الفتح باتفاق السبعة (قوله عليهم دائرة السوء) اما اخبار عن وقوعه بهم أو دعاء عليهم كأن الله يقول سلوني بقولكم عليهم دائرة السوء والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه والجامع الاحاطة في كل (قوله وغضب الله عليهم) عطف على قوله عليهم دائرة السوء (قوله ولله جنود السموات والارض الخ) ذكر هذه الآية أولا في معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله عليما حكيما وذكرها ثانيا في معرض الانتقام فذيلها بقوله عزيزا حكيما فلا تكرار (قوله أي لم يزل الخ) أشار بذلك الى أن كان في أوصاف الله معناها الاستمرار (قوله انا أرسلناك الخ) امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى كافة الخلق شاهدا على أعمال أمته (قوله شاهدا على أمتك) أي بالطاعة والعصيان (قوله لتؤمنوا بالله) متعلق بارسلناك (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله وضميرهما الله الخ) أي فهما احتمالان أي فاذا أردت الجري على وتيرة واحدة جعلتها كلها عائدة على الله تعالى وأما قوله وتسبحوه فهو عائد على الله قولا واحدا ويؤخذ من هذه الآية أن من اقتصر على تعظيم الله وحده أو على تعظيم الرسول وحده فليس بمؤمن بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ولكن التعظيم في كل بحسبه فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث ووصفه بالكمالات وتعظيم رسوله اعتقاد انه رسول الله حقا وصدقا للكافة الخلق بشيرا ونذيرا الى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية (قوله ان الذين يبايعونك الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى انه أرسله بشيرا ونذيرا بين ان متابعته متابعة له وطاعته طاعة له وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدره عند ربه والبيعة في الاصل العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر

بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها منها الجهاد (ولله جنود السموات والارض) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك (ليدخل) متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد (المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) بالذل والعذاب (وغضب الله عليهم ولعنهم) أبعدهم (وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) أي مرجعا (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا) في ملكه (حكيما) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك في القيامة (ومبشرا) لهم في الدنيا بالجنة (ونذيرا) منذرا مخوفا فيها من عمل سوءا بالنار (لتؤمنوا بالله ورسوله) بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده (وتعزروه) ينصروه وقرئ بزاءين مع الفوقانية (وتوقروه) يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله (وتسبحوه) أي الله (بكرة وأصيلا) بالغداة والعشي (ان الذين يبايعونك) بيعة الرضوان بالحديبية

(انما يبايعون الله) هو نحو من يطع الرسول فقد أطاع الله (يد الله فوق أيديهم) التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى مطلع
على مبايعتهم فيجازيهم عليها
(فمن نكث) نقض البيعة
(فانما ينكث) يرجع وبال
نقضه (على نفسه ومن أوفى
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه)
بالياء والنون (أجرا عظيما
سيقول لك المخلفون من
الأعراب) حول المدينة أى
الذين خلفهم الله عن صحبتك
لما طلبتهم ليخرجوا معك الى
مكة خوفا من تعرض قريش
لك عام الحديبية اذا رجعت
منها (شغلتنا أموالنا وأهلونا)
عن الخروج معك (فاستغفر
لنا) الله من ترك الخروج
معك قال تعالى مكذبا لهم
(يقولون بألسنتهم) أى من
طلب الاستغفار وما قبله
(ما ليس فى قلوبهم) فهم
كاذبون فى اعتذارهم (قل فمن)
استفهام بمعنى النفى أى لا أحد
(يملك لكم من الله شيأ ان أراد
بكم ضرا) بفتح الضاد وضمها
(أو أراد بكم نفعا بل كان الله
بما تعملون خبيرا) أى لم يزل
متصفا بذلك (بل) فى
الموضعين للانتقال من
غرض الى آخر (ظننتم أن
لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى
قلوبكم) أى أنهم يستأصلون
بالقتل فلا يرجعون (وظننتم
ظن السوء) هذا وغيره
(وكنتم قوما بورا) جمع بائر
أى هالكين عند الله بهذا
الظن (ومن لم يؤمن بالله
ورسوله فانا أعتدنا للكافرين
سعيرا) نارا شديدة (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا
رحيما) أى لم يزل متصفا بما ذكر (سيقول المخلفون) المذكورون (اذا انطلقتم الى مغانم) هى مغانم خيبر (لتأخذوها

الحديبية

هنالك واختلف فيها فقيل من الحرم وقيل بعضها من الحل ويجوز فيها التخفيف والتشديد (قوله انما يبايعون الله) اعلم أن فى هذا المقام استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخييلية ومشاكلة فالتبعية فى الفعل وهو يبايعون وذلك لان المبايعة معناها مبادلة المال بالمال فشبه المعاهدة على دفع الانفس فى سبيل الله طلبا لمرضاة الله بدفع السلع فى نظير الاموال واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم فى سبيل الله والمكنية فى لفظ الجلالة وذلك لان المتعاهدين اذا كان هنالك ثالث يضع يده فوق يديهما ليحفظهما فشبه اطلاع الله ومجازاته على فعلهم بملك وضع يده على يد أميره ورعيته وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو اليد فاثباتها تخييل والمشاكلة لذكر الايدى بعده (قوله هو نحو من يطع الرسول الخ) أى من حيث انه فى المعنى يرجع له وفيه اشارة الى أنه تعالى منزه عن الجوارح (قوله يرجع وبال نقضه) أشار الى أن فى الكلام حذف مضافين (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله أجرا عظيما) أى وهو الجنة وهذه الآية وان كان سبب نزولها مبايعة الرضوان الا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الامام على الطاعة والوفاء بالعهد ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد (قوله سيقول لك المخلفون الخ) أى وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا طلب من الاعراب وأهل البوادى حول المدينة أن يخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا عنه وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (قوله حول المدينة) حال من الاعراب أو صفة لهم (قوله اذا رجعت منها) ظرف ليقول (قوله وأهلونا) أى النساء والصبيان فانا لو تركناهم لضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط فى العيال (قوله فهم كاذبون فى اعتذارهم) أى وطلب الاستغفار (قوله قل فمن يملك لكم الخ) أى فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (قوله ان أراد بكم ضرا) أى كقتل وهزيمة ونحوهما (قوله بفتح الضاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا) ترق فى الرد عليهم (قوله للانتقال من غرض الى آخر) أى فاضرب عن تكذيبهم فى اعتذارهم الى ايعادهم بجزاء أعمالهم من التخلف والاعتذار الباطل ثم اضرب عن بيان بطلان اعتذارهم الى بيان ما حملهم على التخلف وهذا على سبيل الترقى فى الرد عليهم (قوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول) أى لا يرجع الى المدينة وسبب ظنهم ذلك اعتقادهم عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى قالوا ما هم فى قريش الا أكلة رجل (قوله جمع بائر) أى كحائل وحول وقيل البور مصدر بمعنى الهلاك (قوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله) لما بين حال المخلفين عن رسول الله وبين حال ظنهم الفاسد وانه يفضى بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة على سبيل العموم ومن اما شرطية أو موصولة والاسم الظاهر قائم مقام العائد وقوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا دليل الجواب أو الخبر (قوله نارا شديدة) أى فالمراد جميع طبقات النار لا الطبقة المسماة بذلك (قوله ولله ملك السموات والارض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يغفر لمن يشاء) هذا قطع لطمعهم فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم كان الله يقول لهم لا يستحق أحد عندى شيأ وانما أغفر لمن أريد وأعذب من أريد وقد سبقت حكمتى ان المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين فلا تطمعوا فى المغفرة ما دمتم كفارا (قوله سيقول المخلفون الخ) هذا من جملة الاخبار عما يحصل منهم (قوله اذا انطلقتم) ظرف لما بعده والمعنى يقولون عند انطلاقكم الخ (قوله هى مغانم خيبر) أى وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم شيأ وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل مغانمها لمن شهد

الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ وكان المتولى للقسمة بخيبر جبار بن صخر الانصارى من بنى سلمة وزيد بن ثابت من بنى النجار كانا حاسبين قاسمين وأمر صلى الله عليه وسلم بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب ولم يغب منهم عنها غير جابر ابن عبد الله فقسم له صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر (قوله ذرونا) أى دعونا وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك وأصل مادته وذر يذر وذر افهو واذر والامر منه ذر وهذه الجملة مقول القول (قوله يريدون) اما مستانف أو حال من المخلفون (قوله أن يبدلوا كلام الله) أى يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية به من جعل غنائم خيبر لهم عوضا عن فتح مكة فى ذلك العام (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل لن تتبعونا) نفى فى معنى النهى للمبالغة (قوله كذلكم) أى مثل هذا القول وهو لن تتبعونا (قوله قال الله) أى حكم بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (قوله فسيقولون) أى عند سماعهم النهى (قوله بل تحسدوننا) أى فليس هذا النهى حكما من الله تعالى بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم فى الغنائم (قوله من الدين) أشار بذلك الى أن الاضراب الاول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للمخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم اشعارا بشناعته ومبالغة فى ذمهم (قوله قيل هم بنو حنيفة) أى وهم جماعة مسيلمة الكذاب والداعى للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب اليمامة) اسم لبلاد فى اليمن ولامرأة كانت بها ويقال لها زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام (قوله وقيل فارس والروم) أى والداعى لهم عمر بن الخطاب وقيل ان ذلك فى هوازن وغطفان يوم حنين والداعى لهم رسول الله ان قلت ان الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعو المخلفين الى الجهاد فى قوله فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وحينئذ فيبعد أن ذلك فى غزوة حنين والداعى لهم رسول الله وأجيب بأنه لا بعد اذ قوله لن تخرجوا معى أبدا الخ انما نزلت بعد الفتح فى غزوة تبوك فحصل ان الاقوال ثلاثة وكل صحيح (قوله أو هم يسلمون) أشار بذلك الى ان الجملة مستأنفة وليست أو بمعنى الى أو الا والا لنصب الفعل بحذف النون ومعنى يسلمون ينقادون ولو بعقد الجزية فان الروم نصارى وفارس مجوس وكل منهما يقر بالجزية وأما بالنسبة لبنى حنيفة فمعناه يسلمون بالفعل لانهم كانوا مرتدين والمرتد لا يقر بالجزية بل اما السيف أو الاسلام (قوله كما توليتم من قبل) أى فى الحديبية (قوله ليس على الاعمى حرج) نزلت لما قال أهل الزمانة والعاهة والآفة كيف بنا يا رسول الله حين سمعوا قوله تعالى وان تتولوا الخ (قوله فى ترك الجهاد) أى فى التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة وذلك لان الاعمى لا يمكنه الكر ولا الفر وكذلك الاعرج والمريض ومثل هذه الاعذار الفقر الذى لا يمكن صاحبه أن يقضى مصالحه وأشغاله التى تعوق عن الجهاد وكل هذا ما لم يفجأ العدو والا وجب على كل بما يمكنه (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لقد رضى الله عن المؤمنين) أى فعل بهم فعل الراضى من الثواب والفتح المبين وفى ذلك تلميح الى ان الكافرين غير راض عنهم ولهم الخذلان فى الدنيا والآخرة وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحق عن أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله فأتى رسول الله فأخبره فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله انى أخاف على نفسى قريشا وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها منى لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذرونا) اتركونا (نتبعكم) لنأخذ منها (يريدون) بذلك (أن يبدلوا كلام الله) وفى قراءة كلم الله بكسر اللام أى أى مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) أى قبل عودنا (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك (بل كانوا لا يفقهون) من الدين (الا قليلا) منهم (قل للمخلفين من الأعراب) المذكورين اختبارا (ستدعون الى قوم أولى) أصحاب (بأس شديد) قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة وقيل فارس والروم (تقاتلونهم) حال مقدرة هى المدعو اليها فى المعنى (أو) هم (يسلمون) فلا تقاتلون (فان تطيعوا) الى قتالهم (يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) مؤلما (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) فى ترك الجهاد (ومن يطع الله ورسوله يدخله) بالياء والنون (جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه) بالياء والنون (عذابا أليما لقد رضى الله عن المؤمنين

عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكتب له كتابا بعثه معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وان الله سيظهر دينه فخرج عثمان وتوجه الى مكة فوجد قريشا قد اتفقوا على منعه صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاصي حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا فأصروا على أنه لا يدخلها هذا العام وقالوا لعثمان ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المسلمون قالوا هنيئا لعثمان خلص الى البيت وطاف به دوننا فقال صلى الله عليه وسلم ان ظني به أن لا يطوف حتى يطوف معنا وبشر عثمان المستضعفين واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان وهذا يشعر بان النبي قد علم بنور النبوة ان عثمان لم يقتل حتى بايع عنه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بايع الناس اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فضرب باحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه صلى الله عليه وسلم (قوله اذ يبايعونك) ظرف لرضي وعبر بصيغة المضارع استحضارا لصورة المبايعة (قوله تحت الشجرة) معمول ليبايعونك (قوله هي سمرة) بضم الميم من شجر الطلح وهو الموز كما عليه جمهور المفسرين في قوله تعالى وطلح منضود وهذه الشجرة قد أخفيت لئلا يحصل الافتتان بها وروى ان عمر بلغه ان قوما يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (قوله أو أكثر) قيل وأربعمائة وهو الصحيح وقيل وخمسمائة (قوله على أن يناجزوا قريشا) أي يقاتلوهم (قوله فعلم ما في قلوبهم) معطوف على يبايعونك (قوله بعد انصرافهم من الحديبية) أي في ذي الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (قوله ومغانم) معطوف على فتحا وتأخذونها صفة لمغانم أو حال منها (قوله وعدكم الله) الالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وهو لأهل الحديبية (قوله من الفتوحات) أي غير خيبر مما استقبلهم بعد كفتح مكة وهوازن وبلاد كسرى والروم (قوله غنيمة خيبر) مقتضى ما تقدم من أن السورة نزلت كلها في رجوعه من الحديبية أن يقول قوله فعجل لكم هذه من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه ومن الاخبار بالغيب (قوله في عيالكم) أي عن عيالكم والجار والمجرور بدل من قوله عنكم والمراد بالناس أهل خيبر وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان (قوله لما خرجتم) أي للحديبية وقوله وهمت بهم اليهود أي يهود خيبر هموا بأخذ عيال النبي والصحابة من المدينة في غيبة النبي للحديبية وكان هو السبب في أخذ خيبر (قوله عطف على مقدر) هذا أحد قولين والآخر انها زائدة وعليه فيكون تعليلا لقوله كف (قوله آية للمؤمنين) أي أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند الرجوع من الحديبية بتلك الغنائم (قوله أي طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر لأن الحاصل من الكف ليس الا ذلك ولأن أصل الهدى حاصل قبله ﴿تنبيه﴾ ملخص غزوة خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع وكان اذا غزا قوما ينتظر الصباح فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب عليهم فخرجوا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس أي الجيش فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

اذ يبايعونك بالحديبية (تحت الشجرة) هي سمرة وهم ألف وثلثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا وأن لا يفروا من الموت (فعلم الله ما في قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها) من خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) أي لم يزل متصفا بذلك (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) من الفتوحات (فعجل لكم هذه) غنيمة خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب (ولتكون) أي المعجلة عطف على مقدر أي لتشكروه (آية للمؤمنين) في نصرهم (ويهديكم صراطا مستقيما) أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمر اليه تعالى (وأخرى) صفة مغانم مقدرا

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قدم ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال و برز له عمى عامر فقال قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه رضى الله عنه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عمى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلنى الى على وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وفى رواية أخرى انه خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابنى يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون و يقتل المقاتلة و يسبى الذرية و يحوز الاموال فجمع السبى فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها فاعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها فلما دخل بها رأى فى عينها أثر خضرة فسألها عن سببها فقالت انى رأيت فى المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع ان قمرا وقع فى حجرى فقصصت رؤياى على زوجى فقال ما هذا الا انك تتمنيت ملك الحجاز محمدا فلطم وجهى لطمة اخضرت منها عينى فلما ظهر رسول الله على خيبر أراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوهم العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وان يسيرهم و يخلوا له الاموال ففعل بهم ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف كاهل خيبر ففعل فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية وهى مشوية وسألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت

مبتدا (لم تقدروا عليها) هي فارس والروم (قد أحاط الله بها) علم أنها ستكون لكم (وكان الله على كل شئ قديرا) أي لم يزل متصفا بذلك
(ولو قاتلكم الذين كفروا) بالحديبية (لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا سنة الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من
هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين أي سن الله ذلك سنة (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) منه (وهو الذي كف
أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) بالحديبية (من بعد أن أظفركم عليهم) فان ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وكان الله بما يعملون بصيرا) بالياء والتاء أي لم يزل متصفا بذلك (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أي عن الوصول اليه (والهدى) معطوف على كم (معكوفا) محبوسا حال (أن يبلغ محله) أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) موجودون بمكة مع الكفار (لم تعلموهم) بصفة الايمان (أن تطؤهم) أي تقتلوهم مع الكفار لو اذن لكم في الفتح بدل اشتمال من هم (فتصيبكم منهم معرة) أي اثم (بغير علم) منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب لولا محذوف أي لاذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (ليدخل الله في رحمته من يشاء) كالمؤمنين المذكورين (لو تزيلوا) تميزوا عن الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكة حينئذ بان نأذن لكم في فتحها (عذابا أليما) مؤلما (اذ جعل) متعلق بعذبنا (الذين كفروا) فاعل (في قلوبهم الحمية) الانفة من الشئ (حمية الجاهلية) بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام

فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله فلفظها ثم قال ان هذا العظم يخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان قطع أبهري فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة (قوله مبتدأ) أي وخبره قوله قد أحاط الله بها وقوله لم تقدروا عليها صفة لمغانم المقدر وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف وهذا أسهل الاعاريب ولذا اختاره المفسر (قوله هي فارس والروم) أي وباقي الاقطار (قوله قد أحاط الله بها) أي أعدها لكم في قضائه وقدره فهي محصورة لا تفوتكم (قوله أي لم يزل متصفا) أشار بذلك الى ان المراد من كان الاستمرار (قوله ولو قاتلكم الذين كفروا) أي وهم أهل مكة ومن وافقهم وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد الى كراع الغميم ولم يكن أسلم حينئذ فما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أي بغبار أثرهم فانطلق يركض نذيرا لقريش (قوله لولوا الادبار) أي مضوا منهزمين (قوله من هزيمة الكافرين) من بيانية (قوله التي قد خلت) اي مضت وقوله من قبل أي فيمن مضى من الامم (قوله تبديلا منه) أي من الله تعالى والمعنى ان الله لا يبدل ولا يغير سنته وطريقته من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين (قوله بالحديبية) بيان لبطن مكة والمراد بمكة الحرم والحديبية تقدم فيها الخلاف هل هي منه أو بعضها فعلى الاول التعبير بالبطن ظاهر وعلى الثاني فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور (قوله من بعد أن أظفركم) أي أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة (قوله وكان ذلك) أي العفو عنهم وتخلية سبيلهم (قوله سبب الصلح) أي لعلمهم ان هذا الامر لا يقع الا من قادر على قتالهم غير مكترث بهم (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله معطوف على كم) اي الضمير المنصوب في صدوكم وهو أحسن الاعاريب (قوله محبوسا) أي فالعكوف الاحتباس ومنه الاعتكاف المشهور وهو حبس النفس على ما تكره مع ملازمة المسجد (قوله أي مكانه) أي المعهود وهو منى للحرم بالحج والمروة للمحرم بالعمرة وهو الافضل والا فالحرم كله محل النحر (قوله بدل اشتمال) أي من الهدي والمعنى صدوا بلوغ الهدي محله ويصح ان يكون على اسقاط الخافض أي عن ان يبلغ الهدي محله والجار والمجرور اما متعلق بصدوكم او بمعكوفا (قوله موجودون) هو خبر المبتدا (قوله بدل اشتمال من هم) أي والمعنى لم تعلموا وطأهم ويصح ان يكون بدلا من رجال ونساء والمعنى ولولا وطء رجال ونساء (قوله اثم) أي مكروه كالتأسف عليهم او المراد بالاثم حقيقته بسبب ترك التحفظ (قوله بغير علم منكم به) أي بالقتل (قوله وجواب لولا محذوف) أي والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (قوله حينئذ) اي عام الحديبية (قوله ليدخل الله الخ) علة لما قدره المفسر بقوله لكن لم يؤذن (قوله كالمؤمنين المذكورين) أي وكالمشركين لانه آل أمر أهل مكة الى الاسلام الا القليل (قوله تميزوا) أي تفرقوا وانفردوا ولكن لم يتميزوا بل اختلط المستضعفون بالمشركين والاصول المشركون بالفروع المسلمين كالذراري الذين علم الله اسلامهم فلم يحصل العذاب (قوله الانفة) بفتحتين أي التكبر (قوله حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها وهي فعيلة مصدر يقال حميت من كذا حمية وحمية الجاهلية عدم الاذعان

الاذعان للحق ونصرة الباطل (قوله فانزل الله سكينته) معطوف على شئ مقدر أى فضاقت صدور المسلمين واشتد الكرب عليهم فانزل الخ روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما تريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (قوله على ان يعودوا من قابل) أى وعلى وضع الحرب عشر سنين قال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء على ان من أتاهم من المشركين مسلما ردوه اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح فكتب بذلك كتابا فلما فرغ من قضية الكتاب قال لاصحابه قوموا وانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد لما حصل لهم من الغم قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت له يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ففعل فلما رأوا ذلك منه قاموا فنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضا وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم واشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءنا منكم رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا روى انه بعد عقد الصلح جاء جندل بن سهل بن عمرو بقيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لى قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وعقدا وانا لا نغدر فقام عمر وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه الى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلما فارسلوا فى طلبه رجلين فسلمه لهما النبي صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما وفر عنه الآخر فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين فلحقوا به حتى تكاملوا نحوا من سبعين رجلا فما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا تعرضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فارسل قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم بانه لا يرسل اليهم من أتاه منهم مسلما وأبطلوا هذا الشرط فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فاحضرهم المدينة (قوله وألزمهم كلمة التقوى) أى اختار لهم فهو الزام اكرام وتشريف والمراد تقوى الشرك (قوله لا اله الا الله) هذه رواية أبي بن كعب وقيل انها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقيل انها بسم الله الرحمن الرحيم (قوله وكانوا أحق بها) أى فى علم الله لانه اختارهم لدينه (قوله تفسيرى) أى لأحق بها أو الضمير فى بها لكلمة التوحيد وفى أهلها للتقوى (قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أى جعل رؤياه صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لانه معصوم منه هو وجميع الانبياء وتأخيرها لا ينافى كونها حقا وصدقا فانظر رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له فتأخرت الزمن الطويل وبعد ذلك تحققت (قوله وراب بعض المنافقين) اى ارتاب حيث قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله

(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم (وألزمهم) أى المؤمنين (كلمة التقوى) لا اله الا الله محمد رسول الله وأضيفت الى التقوى لانها سببها (وكانوا أحق بها) بالكلمة من الكفار (وأهلها) عطف تفسيرى (وكان الله بكل شئ عليما) أى لم يزل متصفا بذلك ومن معلومه تعالى أنهم أهلها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت وقوله بالحق متعلق بصدق

أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرها (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) للتبرك (آمنين محلقين رؤسكم) أي جميع شعورها

(ومقصرين) بعض شعورها وهما حالان مقدرتان (لا تخافون) أبدا (فعلم) في الصلح (ما لم تعلموا) من الصلاح (فجعل من دون ذلك) أي الدخول (فتحا قريبا) هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) أي دين الحق (على الدين كله) على جميع باقي الأديان (وكفى بالله شهيدا) أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى (محمد) مبتدأ (رسول الله) خبره (والذين معه) أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره (أشداء) غلاظ (على الكفار) لا يرحمونهم (رحماء بينهم) خبر ثان أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تراهم) تبصرهم (ركعا سجدا) حالان (يبتغون) مستأنف يطلبون (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم مبتدأ (في وجوههم) خبره وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا (من أثر السجود) متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذلك) أي الوصف المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) مبتدأ وخبر (ومثلهم في الإنجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها فراخه (فآزره) بالمد والقصر قواه وأعانه (فاستغلظ) غلظ (فاستوى) قوي واستقام

ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام (قوله أو حال من الرؤيا) أي فهو متعلق بمحذوف والتقدير ملتبسة بالحق ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير صدقا ملتبسا بالحق ويصح أن يكون بالحق قسما وجوابه قوله لتدخلن الخ وعليه فالوقف على قوله الرؤيا وعلى ما قبله فالوقف على قوله الحق وقوله لتدخلن اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للتبرك) أي مع تعليم العباد الأدب وتفويض الأمر إليه وهو جواب عما يقال إن الله تعالى خالق للأشياء كلها وهو عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق إنما يكون من المخبر المتردد أو الشاك في وقوع المعلق والله منزه عن ذلك فأجاب بأن المقصود التبرك لا التعليق ويجاب أيضا بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش فإن الذين حضروا عمرة القضاء كانوا سبعمائة وأما باعتبار المجموع فالقضاء مبرم لا تعليق فيه ويجاب أيضا بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله أو حكاية عن كلام الرسول عليه السلام (قوله آمنين) حال مقارنة للدخول والجملة الشرطية معترضة (قوله مقدرتان) دفع بذلك ما قد يقال إن حال الدخول هو حال الإحرام وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير (قوله لا تخافون أبدا) أشار بذلك إلى أنه غير مكرر مع قوله آمنين والمعنى آمنون في حال الدخول وحال المكث وحال الخروج وقد كان عند أهل مكة أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الإحرام (قوله من الصلاح) أي وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين (قوله من دون ذلك) أي قبله (قوله هو فتح خيبر) وقيل هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة (قوله هو الذي أرسل رسوله) تأكيد لتصديق الله رؤياه والمعنى حيث جعله رسولا فلا يريه خلاف الحق (قوله بالهدى) أي القرآن أو المعجزات (قوله ليظهره على الدين كله) أي ليعليه على جميع الأديان فينسخ ما كان حقا ويظهر فساد ما كان باطلا (قوله بما ذكر) أي بالهدى ودين الحق (قوله كما قال) أشار بذلك إلى أن قوله محمد رسول الله مؤكد لقوله هو الذي أرسل رسوله (قوله لا يرحمونهم) أي لا يرأفون بهم وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم (قوله رحماء بينهم) أي فكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه (قوله تراهم ركعا) إما خبر آخر أو مستأنف والمعنى أنهم في النهار على الأعداء أسود وفي الليل ركع سجود (قوله حالان) أي من مفعول تراهم (قوله مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم فقيل يبتغون الخ (قوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود) اختلف في تلك السيما فقيل إن مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر وقيل هو صفرة الوجوه من سهر الليل وقيل الخشوع الذي يظهر على الأعضاء حتى يترا أى أنهم مرضى وليسوا بمرضى وليس المراد به ما يصنعه بعض الجهلة المرائين من العلامة في الجبهة فإنه من فعل الخوارج وفي الحديث إني لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود (قوله من ضميره) أي من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنة (قوله المنتقل إلى الخبر) أي وهو الجار والمجرور (قوله أي الوصف المذكور) أي وهو كونهم أشداء رحماء تراهم ركعا الخ سيماهم في وجوههم الخ (قوله مثلهم في التوراة) أي وصفهم العجيب الجاري في الغرابة مجرى الأمثال (قوله مبتدأ وخبر) أي أن قوله مثلهم مبتدأ خبره قوله في التوراة والجملة خبر عن ذلك (قوله ومثلهم في الإنجيل الخ) يصح أن يكون مبتدأ خبره قوله كزرع وحينئذ فيوقف على قوله في التوراة ويكونان مثلين وعليه مشى المفسر ويصح أنه معطوف على مثلهم الأول وحينئذ فيوقف على قوله الإنجيل ويكونان مثلا واحدا في الكتابين وقوله كزرع خبر لمحذوف أي مثلهم كزرع الخ وكلام مستأنف (قوله بسكون الطاء وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان والشطء أفراخ النخل والزرع أو ورقه (قوله فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظا ومعنى (قوله بالمد) أي وأصله أأزره بوزن أكرمه قلبت الهمزة الثانية ألفا للقاعدة المعلومة وقوله والقصر أي فهو من باب ضرب وهما قراءتان سبعيتان (قوله غلظ) أي فهو من باب استحجر الطين (قوله

على

على سوقه) متعلق باستوى (قوله يعجب الزراع) الجملة حالية والمعنى حال كونه معجبا (قوله فكثروا) هو مأخوذ من قوله أخرج شطأه وقوله فآزره مأخوذ من قوله فاستغلظ وقوله على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله فاستوى على سوقه يعجب الزراع (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال أنماهم وقواهم وكثرهم ليغيظ الخ (قوله لبيان) أى لا للتبعيض كما زعمه بعضهم (قوله لمن بعدهم) أى كالتابعين وأتباعهم الى يوم القيامة (قوله فى آيات) متعلق بما تعلق به قوله لمن بعدهم والمعنى وهما ثابتان لمن بعد الصحابة فى آيات كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الى قوله أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴿خاتمة﴾ قد جمعت هذه الآية وهى قوله محمد رسول الله الى آخر السورة جميع حروف المعجم وفى ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضى الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه * وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما فى الحقيقة للنبى صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية وردا وحصنا منيعا

﴿سورة الحجرات مدنية﴾

أى بالاجماع وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل واختلف فى تسميته بذلك فقيل لكثرة الفصل فيه بين السور وقيل لكون جميعه محكما لا نسخ فيه (قوله يا أيها الذين آمنوا) ذكر هذا اللفظ فى هذه السورة خمس مرات اعتناء بشأن المؤمنين فى الاوامر والنواهى نظير خطابات لقمان لابنه فى قوله يا بنى ولئلا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا وذكر يا أيها الناس مرة خطابا لما يعم المؤمن والكافر لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى انا خلقناكم من ذكر وأنثى وهذه السورة جمعت آدابا ظاهرية وباطنية وأوامر ونواهى ظاهرية وباطنية عامة وخاصة فهى متضمنة لطريقة الصوفية التى من تمسك بها وصل (قوله من قدم بمعنى تقدم) العامة على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان أحدهما انه متعد حذف مفعوله اقتصارا كقولهم هو يعطى ويمنع وكلوا واشربوا والاصل لا تقدموا ما لا يصلح والثانى انه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح فى الثلاثة والاصل لا تتقدموا فحذفت احدى التاءين وفى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه تجرى الصحابة على الحكم فى أمر من أمور الدين بغير اذن من الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدى متبوعه اذا سار فى طريقه من غير اذن فانه فى العادة مستهجن ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملا فى جانب المشبه به من الالفاظ والغرض التنفير من التجرى بغير اذن الله ورسوله ومثله قوله تعالى فى حق الملائكة لا يسبقونه بالقول أصله لا يسبق قولهم قوله فمدحهم بنفى السبق تنبيها على استهجان السبق أو المراد بين يدى رسول الله وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله وعلى هذا فلا استعارة (قوله بقول أو فعل) مثال القول ما ذكره المفسر فى سبب النزول ومثال الفعل ما قيل فى سبب النزول أيضا من انهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله فامرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وما ورد عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الضحاك هو عام فى القتال وشرائع الدين أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله وهو الاولى (قوله واتقوا الله) أى فى التقدم الذى نهاكم عنه (قوله على النبى) الاولى أن يقول عند النبى ففى الحديث انه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا أن يؤمر عليهم واحدا منهم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا أى تخاصما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت تلك الآيات الخمس الى قوله غفور رحيم ومعنى قول عمر ما أردت خلافك

(على سوقه) أصوله جمع ساق (يعجب الزراع) أى زراعه لحسنه مثل الصحابة رضى الله عنهم بذلك لانهم بدؤا فى قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه (ليغيظ بهم الكفار) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أى شبهوا بذلك (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) أى الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لانهم كلهم بالصفة المذكورة (مغفرة وأجرا عظيما) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا فى آيات

﴿سورة الحجرات مدنية ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) من قدم بمعنى تقدم أى لا تتقدموا بقول ولا فعل (بين يدى الله ورسوله) المبلغ عنه أى بغير اذنهما (واتقوا الله ان الله سميع) لقولكم (عليم) بفعلكم نزلت فى مجادلة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الاقرع ابن حابس أو القعقاع بن معبد

أى ما أردت مخالفتك زعمتنا وانما أردت أن تولية الاقرع أصلح بهم ولم يظهر لك ذلك (قوله ونزل فيمن رفع صوته الخ) أى كابى بكر وعمر فى القصة المذكورة كما ان قوله ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبى أى كابى بكر وعمر حين بلغهما النهى عن رفع الصوت فصارا يخفضان صوتهما عند النبى كما أن قوله ونزل فى قوم الخ هم بنو تميم الذين تكلم فى شأنهم أبو بكر وعمر فتلخص انه لما اختلف أبو بكر وعمر فى تأمير الامير على الوفد المذكور ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذى يشير بذلك نزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الآية ولما رفعا أصواتهما فى تلك القضية نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ان الذين يغضون أصواتهم الآية ولما نادى الركب المذكور النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات نزل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآيتين (قوله اذا نطقتم) أى تكلمتم وقوله اذا نطق أى تكلم (قوله ولا تجهروا له بالقول) لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها مع ان العطف يأباه أشار المفسر الى أن المراد بالاول اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حدا يبلغه صوته بل يكون كلامكم دون كلامه والمراد بالثانى انكم اذا كلمتموه وهو صامت فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم (قوله اذا ناجيتموه) أى كلمتموه وهو صامت (قوله بل دون ذلك) راجع لكل من النهيين أى بل اجعلوا أصواتكم دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض وقوله اجلالا له تعليل لما تضمنه قوله بل دون ذلك (قوله ان تحبط أعمالكم) أى يبطل ثوابها وقوله وأنتم لا تشعرون أى بحبوطها (قوله أى خشية ذلك) أشار به الى أن تحبط على حذف مضاف أى خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعه لا ترفعوا ولا تجهروا فيكون مفعولا لاجله والعامل فيه الثانى أو الاول (قوله بالرفع والجهر) الباء سببية متعلقة باسم الاشارة لانه واقع على الحبوط فكانه قال أى خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر لان فى الرفع والجهر استخفافا بجنابه فيؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم له قصد الاهانة وعدم المبالاة روى انه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فىّ وأنا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم أخاف ان يحبط عملى وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشى فسدى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فانزل الله ان الذين يغضون أصواتهم الآية قال أنس وكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم قال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وانه قال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عنده فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمة فائت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وائت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضى عنى وفلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه (قوله فيمن كان يخفض صوته) أى مخافة من

ونزل فيمن رفع صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) اذا نطقتم (فوق صوت النبى) اذا نطق (ولا تجهروا له بالقول) اذا ناجيتموه (كجهر بعضكم لبعض) بل دون ذلك اجلالا له (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم

مخالفة النهي السابق واجلالا وتعظيما (قوله كأبي بكر وعمر الخ) أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله اجلالا له وتعظيما (قوله أولئك الذين الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول بعده خبر والجملة خبر ان وجملة لهم مغفرة وأجر عظيم مستأنفة لبيان ما أعد لهم (قوله امتحن الله قلوبهم) الامتحان افتعال من محنت الاديم محنا أوسعته ومعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها (قوله أي لتظهر منهم) أي فانها لا تظهر الا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة فالاختبار سبب لظهور التقوى لا سبب للتقوى نفسها فهو من اطلاق السبب على المسبب أي فالاختبار يظهر ما كان كامنا في النفس من التقوى كما ان سماع الالحان يظهر ما كان كامنا في النفس من الحب فتدبر (قوله ونزل في قوم) أي وهم وفد بني تميم (قوله من وراء الحجرات) أي من خارجها خلفها أو قدامها لان وراء من الاضداد تكون بمعنى خلف وبمعنى قدام قال مجاهد وغيره نزلت في أعراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا الفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما للقائلة وسئل صلى الله عليه وسلم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم وقيل كانوا جاؤا شفعاء في أسارى بني عنبر فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لاعتق جميعهم بغير فداء (قوله وهي ما يحجر عليه) أي يحوط عليه للمنع من الدخول (قوله كأن كل واحد منهم الخ) أتى بصيغة لا جزم فيها لان المقام مقام احتمال وذلك لان مناداتهم يحتمل أن تكون كما قال المفسر أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها (قوله مناداة الاعراب) معمول لينادونك (قوله أكثرهم لا يعقلون) المراد بالاكثر الكل لان العرب قد تعبر بالاكثر وتريد الكل (قوله محلك الرفيع) معمول ليعقلون وفي نسخة بمحلك فيكون معمولا لفعلوه فالمحل على الأول المكانة والرتبة وعلى الثاني الدار المحسوسة ومعنى الرفيع على الأول العلي القدر وعلى الثاني المحفوظ من اساءة الأدب لملوك فيه فان الظرف يعظم بالمظروف قال الشاعر

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

(قوله أنهم في محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج الى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقيل الخبر محذوف وجوبا لوقوعه بعد لو (قوله أي ثبت) بيان للفعل المقدر والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين ورجح بان فيه ابقاء له على الاختصاص بالفعل (قوله لكان خيرا لهم) أي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب قال العارفون الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى وسعادة الدنيا والآخرة (قوله ونزل في الوليد بن عقبة) بن أبي معيط أخو عثمان بن عفان لأمه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد الوقعة معهم واليا يجبي الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله وبعث خالد بن الوليد في عسكره خفية وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فافعل فيهم ما تفعل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين في امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقات أموالهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله وأخبره الخبر فنزلت الآية واستشكل بان الوليد صحابي جليل ولا يليق اطلاق لفظ الفاسق عليه فان المراد به الكافر قال

كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن) اختبر (الله قلوبهم للتقوى) أي لتظهر منهم (لهم مغفرة وأجر عظيم) الجنة ونزل في قوم جاؤا وقت الظهيرة والنبي صلى الله عليه وسلم في منزله فنادوه (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الارض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه في أي حجرة مناداة الاعراب بغلظة وجفاء (أكثرهم لا يعقلون) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم (ولو أنهم صبروا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت (حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) لمن تاب منهم * ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق

مصدقا فخافهم لترة كانت بينه وبينهم فى الجاهلية فرجع وقال انهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهم النبى صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاؤا منكرين ما قاله عنهم (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) خبر (فتبينوا) صدقه من كذبه وفى قراءة فتثبتوا من الثبات

(أن تصيبوا قوما) مفعول له أى خشية ذلك (بجهالة) حال من الفاعل أى جاهلين (فتصبحوا) تصيروا (على ما فعلتم) من الخطا بالقوم (نادمين) وارسل صلى الله عليه وسلم اليهم بعد عودهم الى بلادهم خالدا فلم يرفيهم الا الطاعة والخير فاخبر النبى بذلك (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره بالحال (لو يطيعكم فى كثير من الأمر) الذى تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (لعنتم) لاثمتم دونه اثم التسبب الى المرتب (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه) حسنه (فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لان من حبب اليه الايمان الخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره (أولئك هم) فيه التفات عن الخطاب (الراشدون) الثابتون على دينهم (فضلا من الله) مصدر منصوب بفعله المقدر أى أفضل (ونعمة) منه (والله عليم) بهم (حكيم) فى انعامه عليهم (وان طائفتان من المؤمنين) الآية نزلت فى قضية هى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبى فبال الحمار فسد ابن أبى أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدى والنعال والسعف (اقتتلوا) جمع نظرا الى المعنى لان كل طائفة جماعة وقرئ اقتتلتا (فأصلحوا بينهما) ثنى نظرا الى اللفظ (فان بغت) تعدت (احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) ترجع (الى أمر

تعالى ففسق عن امر ربه وأما الذين فسقوا فمأواهم النار الى غير ذلك وأجيب بان الذى وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ وانما سماه الله فسقا تنفيرا عن هذا الفعل وزجرا عليه ويؤخذ من الآية حرمة النميمة وتعليم كيفية ردها على صاحبها (قوله مصدقا) بتخفيف الصاد أى يأخذ الصدقات (قوله لترة) بكسر التاء وفتح الراء أى عداوة (قوله ان جاءكم فاسق) المقصود من الآية أى نمام فان النمام فاسق وليس المقصود عين الوليد فانه ليس بفاسق بل هو صحابى جليل وان كان سبب النزول واقعته (قوله أن تصيبوا قوما) أى بالقتل والسبى (قوله نادمين) أى مغتمين لما وقع منكم (قوله واعلموا أن فيكم رسول الله) أى فلا تكذبوا عليه فان الله يعلمه بسواطنكم فتفتضحوا (قوله لو يطيعكم الخ) حال من الضمير المجرور فى فيكم والمعنى انه فيكم كائنا على حالة منكم يجب تغييرها وهى انكم تودون أن يتبعكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهل والهلاك لكن عصمه الله رحمة بكم (قوله لاثمتم دونه) أى فلا يأثم لعذره وقوله اثم التسبب أى لا اثم الفعل لانكم لم تفعلوا وقوله الى المرتب أى الذى يرتبه النبى صلى الله عليه وسلم على اخباركم ويفعله كقتال بنى المصطلق (قوله حبب اليكم الايمان) أى الكامل وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا حبب اليهم الايمان الجامع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لاضدادها فلذلك قال وكره اليكم الكفر الذى هو مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذى هو مقابلة الاقرار باللسان والعصيان الذى هو مقابلة العمل بالاركان (قوله استدراك من حيث المعنى الخ) أشار بذلك لدفع ما قيل ان لكن يشترط أن يكون ما بعدها مخالفا لما قبلها نفيا واثباتا وتوضيح الجواب ان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فان ما قبل لكن يوهم انهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله فهو استدراك بحسب المعنى (قوله مصدر منصوب الخ) فيه مسامحة اذ هو اسم مصدر والمصدر افضال ويصح ان يكون مفعولا لاجله عامله حبب وما بينهما اعتراض وفى هذه الآية تنبيه على ان السعادة العظمى محبة الله ورسوله وكراهة أهل الكفر والفسوق (قوله هى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب حمارا الخ) ذكر القصة مختصرة ورواها الشيخان بطولها وحاصلها أنه روى عن أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبى واذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى ابن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول أى لا شئ أحسن منه ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتضاربون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا اه (قوله ومر على ابن أبى) أى وكان من الخزرج وقوله فقال ابن رواحة أى وكان من الاوس (قوله وسد ابن أبى أنفه) أى وقال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك (قوله فكان بين قوميهما) أى وهما الاوس والخزرج (قوله والسعف) أى وهو جريد النخل اذا كان عليه الخوص فان جرد منه قيل له عسيب (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله فان بغت احداهما) أى أبت النصح والاجابة الى حكم الله (قوله حتى تفىء) حتى هنا للغاية والنصب بان مضمرة بعدها أى الى أن

ترجع الخ (قوله فأصلحوا بينهما بالعدل) أى بالنصح والدعاء الى حكم الله (قوله بالانصاف) أى فلا تجوروا على احدى الطائفتين بل احكموا بينهما بالانصاف (قوله اعدلوا) أشار به الى أن أقسط معناه عدل فهمزته للسلب بخلاف قسط فمعناه جار قال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (قوله انما المؤمنون اخوة) كالتعليل لما قبله (قوله اخوة فى الدين) اى من حيث انهم ينتسبون الى أصل واحد وهو الايمان (قوله فأصلحوا بين أخويكم) خص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهما النزاع فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر أولى (قوله وقرئ) أى شذوذا وهذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة (قوله لعلكم ترحمون) اى على تقواكم وفى هذا الترجى اطماع من الكريم الرحيم (قوله لا يسخر قوم الخ) يقال سخر منه سخرا من باب تعب والاسم السخرية بضم السين وكسرها والسخرة بوزن غرفة ما سخرته من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن (قوله حين سخروا من فقراء المسلمين) أى لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم وهذا كان فى أول اسلامهم قبل تمكنهم منه والا فقد صار وابعد ذلك اخوانا متحابين فى الله (قوله كعمار الخ) أى وهم أهل الصفة الذين قال الله فيهم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله الآية (قوله أى رجال منكم) أشار بذلك الى أن القوم اسم جمع بمعنى الرجال خاصة واحده فى المعنى رجل وقيل جمع لا واحد له من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال مقابلته بقوله ولا نساء من نساء وهذا هو الموافق لاصل اللغة قال الشاعر

وما أدرى ولست اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وأما قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح ونحوه فالمراد ما يشمل النساء لكن بطريق التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء وسمى الرجال قوما لانهم قوامون على النساء (قوله منكم) قيد به قوم المرفوع وتركه فى المجرور ويصح تقييده بكل ويقال نظيره فى قوله ولا نساء الخ (قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم) الجملة مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهى ولا خبر لعسى لانه يغنى عنه فاعلها والمعنى لا يحتقر أحد أحدا فلعل من يحتقر يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره وبالجملة فينبغى للانسان أن لا يسخر باخيه فى الدين بل ولا باحد من خلق الله فلعله يكون أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن سخر به ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الامر حتى قال بعضهم لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع وقال عبد الله ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان أحول كلبا (قوله ولا نساء من نساء) قال أنس نزلت فى صفية بنت حيى بلغها ان حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبى صلى الله عليه وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت قالت لى حفصة انى بنت يهودى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبى وعمك نبى وانك لتحت نبى ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقى الله يا حفصة وذكر النساء لمزيد الايضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهى خاص بالرجال (قوله ولا تلمزوا أنفسكم) اللمز فى الاصل الاشارة بالعين ونحوها (قوله لا تعيبوا فتعابوا) أشار بذلك الى توجيه قوله أنفسكم وذلك لان الانسان اذا عاب غيره عابه ذلك الغير فقد عاب الشخص نفسه بتسببه (قوله أى لا يعب بعضكم بعضا) هذا توجيه آخر فكان الاولى للمفسر ان يأتى باو والمعنى ان المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ومن هذا المعنى قول العارف

اذا شئت ان تحيا سعيدا من الردى * وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ * فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك معايبا * فدعها وقل يا عين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * وفارق ولكن بالتى هى أحسن

(قوله ولا تنابزوا بالالقاب) النبز بفتح الباء اللقب مطلقا حسنا أو قبيحا ثم صار مخصوصا بما يكرهه الشخص وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الانصارى قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا له اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ومن ذلك الشتم كقولك لاخيك

الله) الحق (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) اعدلوا (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة) فى الدين (فأصلحوا بين أخويكم) اذا تنازعوا وقرئ اخوتكم بالفوقانية (واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر) الآية نزلت فى وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية الازدراء والاحتقار (قوم) أى رجال منكم (من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله (ولا نساء) منكم (من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم) لا تعيبوا فتعابوا أى لا يعب بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالالقاب) لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يا فاسق يا كافر

بالكلب بالحمار ونحو ذلك والمراد بهذه الالقاب ما يكرهه المخاطب وأما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهه المدعو بها وأما الالقاب التي تشعر بالمدح فلا تكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر فاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (قوله بئس الاسم) بئس فعل ماض والاسم فاعل وقوله الفسوق بدل من الاسم كما قال المفسر وعليه فالمخصوص بالذم محذوف تقديره هو والاوضح اعرابه مخصوصا بالذم والمراد بالاسم الذكر المرتفع (قوله الفسوق بعد الايمان) أي الاتصاف بالفسق بعد الاتصاف بالايمان والمراد بالفسوق الخروج عن الطاعة (قوله لافادته انه) أي ماذكر من السخرية الخ (قوله لتكرره عادة) أي انه وان كان المذكور صغيرة لا يفسق بها لكنه في العادة يتكرر فيصير كبيرة يفسق بها (قوله فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بمعاصيهم ومخالفاتهم ففي هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم وان كان في غالب الآيات اطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر (قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما و يتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيأ فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله طعاما فقال رسول الله انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادام فليعطك وكان أسامة خازن طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فأتاه فقال ما عندي شئ فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالوا لو بعثناك الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فلما جاآ الى رسول الله قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية والمعنى أن الله تعالى نهى المؤمن ان يظن بأخيه المؤمن شرا كان يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن به سوأ لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فاما أهل السوء والفسق المتجاهرين بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (قوله كثيرا من الظن) أبهم الكثير اشارة الى انه ينبغي الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى ان يقع في منهي عنه قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به (قوله وهو) أي بعض الظن كثير وقوله وهم أي أهل الخير (قوله بخلافه بالفساق منهم) أي المؤمنين وقوله في نحو ما يظهر منهم أي في نحو المعاصي التي تظهر منهم بأن يجاهروا بها (قوله ولا تجسسوا) العامة على قراءته بالجيم وقرئ شذوذا بالحاء واختلف فقيل معناهما واحد وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها والمعنى خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته (قوله ولا يغتب بعضكم بعضا) اعلم ان الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهي ان تقول في أخيك ما هو فيه وأما الافك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه وأما البهتان فهو ان تقول فيه ما ليس فيه وقيل ان كلا يطلق على كل وهو المشهور ❊ واعلم ❊ ان هذه الامور المتقدم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أولا فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة بينه وبين الله لان المظلمة ما تكون في النفس والمال ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه وقال جماعة يجب عليه ان يستغفر لصاحبها لما ورد عن الحسن كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وقال جماعة عليه الاستحلال منها ولو اجمالا ويستثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور نظمها

(بئس الاسم) أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز (الفسوق بعد الايمان) بدل من الاسم لافادة انه فسق لتكرره عادة (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) أي مؤثم وهو كثير كظن السوء باهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا اثم فيه في نحو ما يظهر منهم (ولا تجسسوا) حذف منه احدى التاءين لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها (ولا يغتب بعضكم بعضا) لا يذكره بشئ يكرهه وان كان فيه

بعضهم بقوله تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف بدعة فسق المجاهر

(قوله أيحب أحدكم الخ) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على أفحش وجه وانما مثله بهذا لان أكل لحم الميت حرام في الدين وقبيح في النفوس (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يحس به) تفسير لميتا وقوله لا أشار به الى ان الاستفهام انكارى (قوله فكرهتموه) الضمير عائد على الاكل المفهوم من يأكل (قوله أي فاغتيابه في حياته الخ) في هذا التمثيل اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الانسان لم يحسن منه قرض عرضه بالاولى (قوله قابل توبة التائبين) يشير به الى أن المبالغة في تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده ولانه ما من ذنب الاو يعفو الله عنه بالتوبة اذا استوفت شروطها * واعلم انه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقال هنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتداء في الآية الاولى بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قوله اجتنبوا كثيرا من الظن ذكر الاثبات الذي هو قريب من الأمر تأمل (قوله يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) اختلف في سبب نزول هذه فقال ابن عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان أنا لا أقول شيأ أخاف أن يخبر به رب السموات فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء وان المدار على التقوى لان الجميع من آدم وحواء وانما الفضل بالتقوى وقيل نزلت في أبي هند حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا وقيل نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل افسح لي فقال ان ابن فلانة يقول افسح لي كناية عن استخفافه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه القوم فنظر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت قال ثابت رأيت أبيض وأسود وأحمر فقال انك لا تفضلهم الا بالتقوى ونزل فيه أيضا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية (قوله آدم وحواء) لف ونشر مرتب (قوله هو أعلى طبقات النسب) أي فالشعوب رؤس القبائل وسمي شعبا لتشعب القبائل منه (قوله ثم الفصائل آخرها) أي فالمراتب ست وزاد بعضهم سابعة وهي العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل (قوله بكسر العين) أي وفتحها ففيها لغتان لكن الافصح الفتح (قوله ليعرف بعضكم بعضا) أي فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم (قوله وانما الفخر بالتقوى) أي الافتخار المحمود انما يكون على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالاسلام وشعائره (قوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أي أعزكم عند الله أكثركم تقوى فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة وانظر الى قوله أتقاكم ولم يقل أكثركم بالاولاد ولا جاها ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التي تفنى (قوله ان الله عليم) أي بعلم ظواهركم خبير بعلم بواطنكم فلا يخفى عليه شيء (قوله نفر من بني أسد) أشار بذلك الى سبب نزول هذه الآية وذلك انهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر وافسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالاطفال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فنزلت هذه الآية (قوله صدقنا بقلوبنا) جواب عما يقال ان الاسلام والايمان متلازمان

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) بالتخفيف والتشديد أي لا يحس به لا (فكرهتموه) أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول (واتقوا الله) أي عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه (ان الله تواب) قابل توبة التائبين (رحيم) بهم (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) آدم وحواء (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وقبائل) هي دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الافخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس فصيلة (لتعارفوا) حذف منه احدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا بعلو النسب وانما الفخر بالتقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب) نفر من بني أسد (آمنا) صدقنا بقلوبنا

(قل) لهم (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) أي انقدنا ظاهرا (ولما) أي لم (يدخل الايمان في قلوبكم) الى الآن لكنه يتوقع منكم (وإن تطيعوا الله ورسوله) بالايمان وغيره (لا يألتكم) بالهمز وتركه وبابداله ألفا لا ينقصكم (من أعمالكم) أي من ثوابها (شيأ إن الله غفور) للمؤمنين (رحيم) بهم (إنما المؤمنون) أي الصادقون في ايمانهم كما صرح به بعد (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا في الايمان (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) فجهادهم يظهر صدق ايمانهم (أولئك هم الصادقون) في ايمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الاسلام (قل) لهم (أتعلمون الله بدينكم) مضعف علم بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا (والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا) من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم (قل لا تمنوا علي إسلامكم) منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن في الموضعين (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين) في قولكم آمنا (إن الله يعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بما يعملون) بالياء والتاء لا يخفى عليه شيء منه

﴿سورة ق﴾

مكية الا ولقد خلقنا السموات والارض الآية فمدنية خمس وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) الله أعلم بمراده به (والقرآن المجيد)

فأجاب بان المنفي هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهرا فهما متغايران بهذا الاعتبار وأما الاسلام والايمان الشرعيان المعتبران فهما متحدان ما صدقا وان كان مفهومهما مختلفا اذ الايمان هو التصديق القلبي بشرط النطق بالشهادتين والاسلام الانقياد الظاهري الناشئ عن التصديق القلبي (قوله قل لم تؤمنوا) أي فلا تقولوا آمنا وقوله ولكن قولوا أسلمنا أي لحصول منكم الاسلام ظاهرا ففي الآية احتباك حذف من كل نظير ما اثبت في الآخر (قوله الى الآن) أخذه من لما لان نفيها مختص بالحال وقوله لكنه يتوقع منكم أشار الى ان منفي لما متوقع الحصول ففيه بشارة لهم بانهم سيؤمنون وقد حصل وبهذا اندفع ما قد يتوهم من ان هذه الجملة مكررة مع قوله لم تؤمنوا* وايضاح الجواب ان هذه الجملة أفادت معنى زائدا وهو نفي الايمان مع توقع حصوله بخلاف الاولى فانها أفادت نفيه فقط (قوله بالهمز) أي من ألت من باب ضرب ونصر (قوله وتركه) أي من لات يليت كباع يبيع فحذفت منه عين الكلمة وهي الياء وقيل هو من ولت يلت كوعد يعد فحذفت منه فاء الكلمة وهي الواو (قوله وبابداله ألفا) أي فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله انما المؤمنون) مبتدأ خبره قوله الذين آمنوا (قوله ثم لم يرتابوا) أتى بثم اشارة الى ان نفي الريب لم يكن وقت حصول الايمان بل هو حاصل فيما يستقبل فكأنه قال ثم داموا على ذلك (قوله في سبيل الله) أي طاعته (قوله فجهادهم يظهر صدق ايمانهم) أي ان الجهاد في سبيل الله دل على انهم صادقون في الايمان وليسوا منافقين وهو جواب عن سؤال وهو ان العمل ليس من الايمان فكيف ذكر انه منه في هذه الآية* وايضاح الجواب عنه ان المراد من الآية الايمان الكامل (قوله أولئك هم الصادقون) فيه تعريض بكذب الاعراب في ادعائهم الايمان فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله يحلفون انهم مؤمنون صادقون وعلم الله منهم غير ذلك فانزل الله قل أتعلمون الله الخ (قوله مضعف علم بمعنى شعر) أي وهو بهذا المعنى متعد لواحد فقط وبواسطة التضعيف يتعدى لاثنين أولهما بنفسه والثاني بحرف الجر (قوله والله يعلم ما في السموات الخ) الجملة حالية (قوله يمنون عليك أن أسلموا) أي يعدون اسلامهم منة عليك (قوله من غير قتال) أي لك ولاصحابك (قوله ويقدر) أي الخافض الذي هو الباء والحاصل انه مقدر في ثلاثة مواضع الاول منها قوله أن أسلموا الثاني قوله قل لا تمنوا على اسلامكم الثالث قوله أن هداكم فموضعان فيهما أن وموضع خال عنها (قوله أن هداكم للايمان) أي على حسب زعمكم كأنه قال ان ايمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي فلا يخفى عليه شيء فيهما (قوله بالياء) أي نظرا لقوله يمنون وما بعده وقوله والتاء أي نظرا لقوله لا تمنوا وهما قراءتان سبعيتان

﴿سورة ق مكية﴾

أي كلها على أحد القولين وقوله الا ولقد خلقنا على القول الآخر وكان المناسب للمفسر أن يقول أو الا ولقد خلقنا ليكون مشيرا للقولين (قوله ق) العامة على قراءته بالسكون وقرئ شذوذا بالبناء على الكسر والفتح والضم (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة ان هذا القول أصح وأسلم وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرفا السماء والسماء عليه مقببة وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل ق فرأى تحته جبالا صغارا فقال له ما أنت قال أنا ق قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له يا ق أخبرني بشيء من عظمة الله قال ان شأن ربنا لعظيم وان وراءي أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة من جبال ثلج بعضها يحطم بعضا لولا هي لاحترقت من حر جهنم ثم قال زدني قال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤسهم فاذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) رسول من أنفسهم يخوفهم النار بعد البعث (فقال الكافرون هذا) الانذار (شئ عجيب أئذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (متنا وكنا ترابا) نرجع (ذلك رجع بعيد) في غاية البعد (قد علمنا ما تنقص الارض) تأكل (منهم وعندنا كتاب حفيظ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الاشياء المقدرة (بل كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فهم) في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (في أمر مريج) مضطرب قالوا مرة ساحر وسحر ومرة شاعر وشعر ومرة كاهن وكهانة (أفلم ينظروا) بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث (الى السماء) كائنة (فوقهم كيف بنيناها) بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) شقوق تعيبها (والارض) معطوف على موضع الى السماء كيف (مددناها) دحوناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) جبالا تثبتها (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبهج به لحسنه (تبصرة) مفعول له أى فعلنا ذلك تبصيرا منا (وذكرى) تذكيرا (لكل عبد منيب) رجاع الى طاعتنا (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير البركة (فأنبتنا به جنات) بساتين (وحب) الزرع (الحصيد) المحصود (والنخل باسقات) طوالا حال مقدرة (لها طلع نضيد) متراكب بعضه فوق بعض (رزقا للعباد) مفعول له (وأحيينا به بلدة ميتا) يستوى فيه المذكر والمؤنث

والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقيل معنى ق قضى الامر كما قيل في حم حم الامر وقيل هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله ق كقادر وقهار وقوى ولعظم فضل تلك السورة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الاضحى والفطر بها وباقتربت الساعة وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة اذا خطب الناس (قوله الكريم) أى فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه (قوله ما آمن كفار مكة الخ) قدره اشارة الى ان جواب القسم محذوف وهو أسهل الاعاريب (قوله بل عجبوا) اضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة والعجب استعظام أمر خفى سببه وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة حيث قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (قوله فقال الكافرون) حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة (قوله هذا شئ عجيب) أى يتعجب منه لانه خارج عن طور عقولنا (قوله أئذا متنا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نرجع (قوله وادخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراآت أربع سبعيات لا اثنتان كما توهمه عبارته (قوله بعيد) أى عن العادة (قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم وتعجبهم (قوله وعندنا كتاب حفيظ) الجملة حالية والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه (قوله هو اللوح المحفوظ) أى وهو من درة بيضاء مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب (قوله فيه جميع الاشياء) يحتمل ان الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ وجميع نائب فاعل به ويحتمل انه خبر مقدم وجميع مبتدأ مؤخر (قوله بل كذبوا بالحق) انتقال من شناعتهم الى ما هو أشنع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة (قوله مريج مضطرب) أى مختلط يقال مرج الأمر ومرج الدين اختلط (قوله أفلم ينظروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اغفلوا وعموا فلم ينظروا الى السماء الخ (قوله كائنة فوقهم) أشار به الى ان فوقهم حال من السماء (قوله كيف بنيناها) كيف مفعول مقدم وجملة بنيناها بدل من السماء (قوله وما لها من فروج) الجملة حالية (قوله معطوف على موضع الى السماء) أى المنصوب بينظروا (قوله يبهج به) أى يسر وفيه اشارة الى ان فعيل بمعنى فاعل أى يحصل السرور به (قوله مفعول له) أى لاجله ويصح أن يكونا منصوبين على المصدر به والتقدير بصرناهم تبصرة وذكرناهم تذكرة (قوله تبصيرا منا) أى تعليما وتفهيما والتبصرة والتذكرة اما عائدان على كل من السماء والارض والمعنى خلقنا السموات تبصرة وذكرى والارض تبصرة وذكرى ويحتمل أنه لف ونشر مرتب فالسماء تبصرة والارض تذكرة والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة والتذكرة فيما آياته متجددة (قوله رجاع الى طاعتنا) أى ذار جوع واقبال عليه فالصيغة للنسبة لا للمبالغة (قوله وحب الحصيد) قدر المفسر الزرع اشارة الى انه حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (قوله المحصود) أى الذى شأنه ان يحصد كالبر والشعير وفيه مجاز الأول أى الزرع الذى يؤول الى كونه محصودا (قوله والنخل باسقات) يقال بسقت النخلة بسوقا من باب قعد طالت وهى باسقة والجمع باسقات وبواسق وبسق الرجل بهر فى علمه (قوله حال مقدرة) أى لانها وقت الانبات لم تكن طوالا وأفردها بالذكر لكثرة منافعها وزيادة ارتفاعها (قوله لها طلع نضيد) الجملة حال من النخل مترادفة أو من الضمير فى باسقات (قوله رزقا للعباد) منصوب على الحال ولم يقيد العباد هنا بالانابة وقيده به فى قوله تبصرة وذكرى لان التذكرة لا تكون الا لمنيب والرزق يعم كل أحد (قوله وأحيينا به) أى بذلك الماء وقوله بلدة ميتا أى أرضا جدبة يابسة فاهتزت وربت بذلك الماء وأنبتت من كل زوج بهيج (قوله يستوى فيه المذكر والمؤنث) جواب عن سؤال مقدر تقديره الارض مؤنثة فكيف وصفها بالمذكر وفى هذا الجواب نظر لأن استواء المذكر والمؤنث فى فعيل وليس هنا والصواب

أن التذكير باعتبار كونه مكانا (قوله كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر والمعنى خروجهم من قبورهم مثل ما تقدم من عجائب خلق السماء وما بعدها (قوله والاستفهام للتقرير الخ) الاولى أن يقول للانكار والتوبيخ وقوله والمعنى الخ غير صحيح اذ لو نظروا وعلموا لآمنوا (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش والتسلية لرسول الله (قوله لمعنى قوم) أي لانه بمعنى أمة (قوله هي بئر) أي فخسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبأموالهم (قوله وقيل غيره) هو شعيب أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود (قوله وثمود) ذكرهم بعد أصحاب الرس لان الرجفة التي أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرس واتبع ثمود بعاد لان الريح التي أهلكتهم ابرصيحة ثمود (قوله واخوان لوط) تقدم انه ابن أخي ابراهيم وانه هاجر معه من العراق الى الشام فنزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم وأرسله الله الى أهلها وهو أجنبي منهم فكيف يقال اخوانه أجيب بانه تزوج فصار صهرا لهم فالاخوة من حيث ذلك (قوله وأصحاب الأيكة) تقدم الكلام عليهم في الشعراء (قوله أي الغيضة) أي وهي الشجر الملتف وهي هنا بأل المعرفة وفي ص والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان (قوله هو ملك كان باليمن) وقيل نبي وهو تبع الحميري واسمه أسعد وكنيته أبو كرب (قوله كل) التنوين عوض عن المضاف أي كل أمة والمراد بالكل الكل المجموعي (قوله كذب الرسل) أي ولو بالواسطة كتبع (قوله فحق وعيد) مضاف لياء المتكلم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها (قوله فلا يضيق صدرك) أي لما تقدم انه تسلية لرسول الله وتهديد لهم (قوله أفعيينا بالخلق الأول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والاصل أقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يحكمون بعجزنا عن الاعادة وفيه الزام لمنكري البعث والعي العجز (قوله بالخلق الأول) الباء سببية أو بمعنى عن والاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله بل هم في لبس) عطف على مقدر يقتضيه السياق كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات (قوله ولقد خلقنا الانسان) المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده (قوله حال بتقدير نحن) أي لأن الجملة المضارعية المثبتة اذا وقعت حالا لا تقترن بالواو بل تحوي الضمير فقط فان اقترنت بالواو أعربت خبرا لمحذوف وتكون الجملة الاسمية حالا قال ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت * حوت ضميرا ومن الواو خلت

وذات واو بعدها انو مبتدا * له المضارع اجعلن مسندا

(قوله ما مصدرية) أي والمقدير ونعلم وسوسة نفسه اياه ويصح ان تكون موصولة والضمير عائد عليها والتقدير ونعلم الامر الذي تحدث نفسه به (قوله الباء زائدة) أي فهو نظير صوت بكذا وقوله أو للتعدية أي فالنفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة (قوله والضمير للانسان) أي تجعل الانسان مع نفسه شخصين تجري بينهما مكالمة ومحادثة تارة يحدثها وتارة تحدثه وهذه الوسوسة لا يؤاخذ بها الانسان خيرا أو شرا ومثلها الخاطر والهاجس وأما الهم فيكتب في الخير لا في الشر وأما العزم فيكتب خيرا أو شرا وقد تقدم ذلك (قوله ونحن أقرب اليه) أي لان الله لا يحجبه شئ بل هو القائم على كل نفس لا تخفى عليه خافية فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه بحيث لا يغيب عنه طرفة عين قال تعالى والله معكم أينما كنتم (قوله من حبل الوريد) هذا مثل في شدة القرب والحبل العرق (قوله والوريدان عرقان بصفحتي العنق) أي مكتنفان صفحتي العنق في مقدمها يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب وبالابهر وهو عرق في الظهر وبالاكحل وهو عرق في الذراع وبالنساء وهو عرق في الفخذ وبالاسلم وهو عرق في الخنصر متى قطع من أي جهة مات صاحبه قال القشيري في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب لقوم أي بحسب تجلي الله تعالى وشهوده فاذا شهد

(كذلك) أي مثل هذا الاحياء (الخروج) من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر (كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث الفعل لمعنى قوم (وأصحاب الرس) هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره (وثمود) قوم صالح (وعاد) قوم هود (وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) أي الغيضة قوم شعيب (وقوم تبع) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه (كل) من المذكورين (كذب الرسل) كقريش (فحق وعيد) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك (أفعيينا بالخلق الاول) أي لم نعي به فلا نعيا بالاعادة (بل هم في لبس) شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم) حال بتقدير نحن (ما) مصدرية (توسوس) تحدث (به) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للانسان (نفسه ونحن أقرب اليه) بالعلم (من حبل الوريد) الاضافة للبيان والوريدان عرقان بصفحتي العنق (اذ) ناصبه اذكر مقدرا (يتلقى)

بأخذه ويثبت (المتلقيان) الملكان الموكلان بالانسان ما يعمله (عن اليمين وعن الشمال) منه (قعيد) أى قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر وكل منهما بمعنى المثنى (وجاءت سكرة الموت) غمرته وشدته (بالحق) من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) تهرب وتفزع (ونفخ فى الصور) للبعث (ذلك) أى يوم النفخ (يوم الوعيد) للكفار بالعذاب (وجاءت) فيه (كل نفس) الى المحشر (معها سائق) ملك يسوقها اليه (وشهيد) يشهد عليها بعملها وهو الايدى والارجل وغيرها ويقال للكافر (لقد كنت) فى الدنيا (فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (فبصرك اليوم حديد) حاد تدرك به ما أنكرته فى الدنيا (وقال قرينه) الملك الموكل به (هذا ما) أى الذى (لدى عتيد) حاضر فيقال لمالك (ألقيا فى جهنم) أى ألق ألق أو ألقين وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا (كل كفار عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كالزكاة (معتد) ظالم (مريب) شاك فى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) تفسيره مثل ما تقدم (قال قرينه) الشيطان (ربنا ما أطغيته) أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) فدعوته فاستجاب لى وقال هو أطغانى بدعائه لى (قال) تعالى (لا تختصموا لدى)

الانسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به ذاب من خشية الله واذا شهد جمال الله ورحمته واحسانه أنس وفرح (قوله بأخذه ويثبت) أى يكتبان فى صحيفتى الحسنات والسيئات وقلمهما لسانه ومدادهما ريقه ومحلهما من الانسان نواجذه (قوله ما يعمله) مفعول يتلقى (قوله أى قاعدان) أشار به الى ان قعيد مفرد أقيم مقام المثنى لان فعيلا يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع (قوله وهو مبتدأ خبره ما قبله) أى والجملة فى محل نصب على الحال من المتلقيان (قوله ما يلفظ من قول الخ) ما نافية ومن زائدة فى المفعول وقوله لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر والجملة حالية (قوله وكل منهما بمعنى المثنى) أى فالمعنى الا لديه ملكان موصوفان بانهما رقيبان وعتيدان فكل منهما موصوف بانه رقيب وعتيد وقوله حاضر أى فلا يفارقه الا فى مواضع ثلاثة فى الخلاء وعند الجماع وفى حال الجنابة فاذا فعل العبد فى تلك الحالات حسنة أو سيئة عرفاها برائحتها وكتباها (قوله وجاءت سكرة الموت) أى حضرت اما بالموت فرادى وهو ظاهر واقع أو دفعة عند النفخة الاولى وانما عبر عنها بالماضى لتحقق وقوعها واشارة الى انها فى غاية القرب (قوله بالحق) الباء للتعدية أى أتت بالامر الحق أى أظهرته والمراد به ما بعد الموت من أهوال الآخرة ومعنى كونه حقا انه واقع لا محالة (قوله وهو نفس الشدة) المناسب حذف هذه العبارة للاستغناء بما قبلها عنها الا أن يقال ان الضمير فى هو عائد على أمر الآخرة والمراد بالشدة الأمر الشديد وهو أهوال الآخرة (قوله تهرب) بضم الراء من باب طلب (قوله ونفخ فى الصور) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد التقمه اسرافيل من حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرا للاذن بالنفخ (قوله الى يوم النفخ) أى فالاشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان (قوله معها سائق وشهيد) اختلف فى معنى السائق والشهيد على أقوال أشهرها ما قاله المفسر قيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه وأعماله وقيل غير ذلك (قوله ويقال للكافر) هذا أحد قولين وقيل ان القول يقع للمسلم أيضا لكن على سبيل التهنئة ومعنى كنت فى غفلة كنت فى حجاب لم تشاهده بالبصر اذ ليس راء كمن سمع فكشفنا عنك غطاءك فتمتع بما رأيت وتمل بما أعطيت من النعيم المقيم (قوله فكشفنا عنك غطاءك) أى حجابك وهو الغفلة والانهماك فى الشهوات (قوله حاد) أى نافذ والمانع للابصار (قوله الملك الموكل به) أى فى الدنيا الكاتبة أعماله وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره والمعنى أن الملك يقول هذا عمله المكتوب عندى حاضر لدى وقيل المراد بقرينه الشيطان المقيض له واسم الاشارة عائد على ذات الشخص الكافر والمعنى يقول الشيطان هذا الشخص الذى عندى حاضر معد ومهيأ للنار (قوله هذا ما لدى عتيد) يصح أن تكون ما نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدى متعلق بعتيد أى هذا شئ حاضر عندى ويصح أن تكون ما موصولة بمعنى الذى ولدى صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر اسم الاشارة (قوله أى ألق ألق الخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد احتاج للجواب عن التثنية فى قوله ألقيا فاجاب بجوابين الاول انه تثنية بحسب الصورة والاصل ان الفعل مكرر للتوكيد فحذف الثانى وعبر عنهما بضمير التثنية فعلى هذا يعرب بحذف النون والالف فاعل الثانى ان الالف ليست للتثنية بل هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة واجرى الوصل هنا مجرى الوقف (قوله وبه قرأ الحسن) أى وهى قراءة شاذة (قوله معاند) أى معرض عن الحق مخالف له (قوله مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول مبتدأ يشبه الشرط (قوله تفسيره) أى تخريجه مثل ما تقدم من حيث الاعتذار عن التثنية (قوله قال قرينه الخ) أى جوابا عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطغانى فالكافر أولا يقول الشيطان أطغانى فيجيبه الشيطان بقوله ربنا ما أطغيته وكان الاولى للمفسر أن يقدم قوله هو أطغانى بان يقول وقال قرينه جوابا لقوله هو أطغانى ربنا الخ (قوله لا تختصموا)

خطاب للكافرين وقرنائهم (قوله أي ما ينفع الخصام هنا) أي في موقف الحساب (قوله وقد قدمت اليكم بالوعيد) ظاهره أن الجملة حال من قوله لا تختصموا وهو مشكل بان التقديم بالوعيد في الدنيا والاختصام في الآخرة واجيب بان الكلام على حذف والاصل وقد ثبت الآن أني قد قدمت اليكم الخ (قوله ولابد) أي لا تطمعوا أني أبدل وعيدي فان وعيدي للكافرين محتم كوعدي للمؤمنين (قوله ما يبدل القول) المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر في النار (قوله في ذلك) أي في ذلك اليوم فاسم الاشارة عائد على يوم الحساب (قوله لا ظلم اليوم) أي واذا انتفى الظلم عنه في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره احرى سبحان من تنزه عن الظلم عقلا ونقلا (قوله ناصبه ظلام) أي والمعنى ما أنا بظلام يوم قولي لجهنم الخ (قوله استفهام تحقيق لوعده بملئها) خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء واجابته جواب العقلاء ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا لما ورد تحاجت الجنة والنار واشتكت النار الى ربها فلا حاجة الى تكلف المجاز مع التمكن من الحقيقة في هذا ونظائره مما ورد في السنة من نطق الجمادات والمراد باستفهام التحقيق التقرير فالله تعالى يقررها بانها قد امتلأت (قوله وتقول) بصورة الاستفهام كالسؤال أي اجابته جوابا صورته استفهام ومعناه الخبر كما أشار له المفسر بقوله أي امتلأت وانما اجابته بصورة الاستفهام ليكون طبق السؤال لكن استفهام السؤال تقريري واستفهام جوابها انكاري هذا ما مشى عليه المفسر وقيل ان الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدني ويدل عليه ما جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوي بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وفي رواية فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا انتهى ولفظ القدم والرجل في الحديث من المتشابه يأتي فيه مذهب السلف والخلف فالسلف ينزهونه عن الجارحة ويفوضون علمه لله تعالى والخلف لهم فيه تأويل منها ان المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار في علم الله لان القدم والرجل يطلقان في اللغة على العدد الكثير من الناس فكأنه قال حتى يضع رب العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها ويؤيده ما ورد عن ابن مسعود ان ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى ما أمر به وما ينتظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ فتنزوي جهنم على من فيها وتنطبق اذ لم يبق أحد ينتظر اه ومنها ان وضع القدم والرجل كناية عن تجلي الجلال عليها فتتصاغر وتضيق وتنزوي فتقول قط قط وهذا هو الاقرب (قوله للمتقين) المراد بهم من ماتوا على التوحيد (قوله مكانا) قدره المفسر اشارة الى ان قوله غير بعيد صفة لموصوف محذوف فهو منصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف ولم يقل غير بعيدة اما لانه صفة لمذكر محذوف أولان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث وأتى بهذه الجملة عقب قوله وأزلفت للتأكيد كقولهم هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل ان قلت ان الجنة مكان والشأن انتقال الشخص للمكان لا انتقال المكان للشخص اجيب بانه أضاف القرب لها اكراما للمؤمنين كأن الاكرام ينقل لهم وهو كناية عن سهولة وصولهم اليها (قوله ويبدل من المتقين) أي باعادة الجار وجملة هذا ما توعدون معترضة بين البدل والمبدل منه (قوله حافظ لحدوده) أي فحفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ (قوله من خشي الرحمن) اما بدل من كل أو مستأنفة خبر لمحذوف (قوله خافه ولم يره) أشار بذلك الى ان قوله بالغيب حال من المفعول والمعنى خشيه والحال أن الله غائب عنه أي محجب بصفة جلاله وكبريائه ويصح ان يكون حالا من الفاعل والمعنى خشي الرحمن والحال ان الشخص غائب عن الله أي محجوب عنه (قوله أي سالمين من كل مخوف) أشار بذلك الى أن قوله بسلام حال من فاعل ادخلوها وهي حال مقارنة (قوله أو مع سلام) أي ان دخولهم مصحوب

بالسلام

أي ما ينفع الخصام هنا (وقد قدمت اليكم في الدنيا (بالوعيد) بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولابد منه (ما يبدل) يغير (القول لدي) في ذلك (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذبهم بغير جرم وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم (يوم) ناصبه ظلام (نقول) بالنون والياء (لجهنم هل امتلأت) استفهام تحقيق لوعده بملئها (وتقول) بصورة الاستفهام كالسؤال (هل من مزيد) أي في لا أسع غير ما امتلأت أي بي قد امتلأت (وأزلفت الجنة) قربت (للمتقين) مكانا (غير بعيد) منهم فيرونها ويقال لهم (هذا) المرئي (ما توعدون) بالتاء والياء في الدنيا ويبدل من المتقين قوله (لكل أواب) رجاع الى طاعة الله (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشي الرحمن بالغيب) خافه ولم يره (وجاء بقلب منيب) مقبل على طاعته ويقال للمتقين أيضا (ادخلوها بسلام) أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا

(ذلك) اليوم الذى حصل فيه الدخول (يوم الخلود) الدوام فى الجنة (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) زيادة على ما عملوا وطلبوا (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هم اشد منهم بطشا) قوة (فنقبوا) فتشوا (فى البلاد هل من محيص) لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا (ان فى ذلك) المذكور (لذكرى) لعظة (لمن كان له قلب) عقل (أو ألقى السمع) استمع الوعظ (وهو شهيد) حاضر بالقلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أولها الاحد وآخرها الجمعة (وما مسنا من لغوب) تعب نزل ردا على اليهود فى قولهم ان الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (فاصبر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (على ما يقولون) أى اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وسبح بحمد ربك) صل حامدا (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) أى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) أى صلاة العشاءين (وأدبار السجود) بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرها مصدر أدبر أى صل النوافل المسنونة عقب الفرائض وقيل المراد حقيقة التسبيح فى هذه الاوقات ملابسا بالحمد (واستمع) يا مخاطب

بالسلام من بعضهم على بعض أو من الله وملائكته عليهم وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلما عليكم (قوله ذلك اليوم الذى حصل فيه الدخول الخ) فائدة هذا القول بشرى للمؤمنين وطمأنينة قلوبهم (قوله لهم ما يشاؤن) أى ما يشتهون ويريدونه يحصل لهم عاجلا وقوله فيها اما متعلق بيشاؤن أو حال من ما (قوله زيادة على ما عملوا وطلبوا) أى وهو النظر الى وجه الله الكريم لما قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد وقيل ان السحابة تمر بهم فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذى قال الله فيه ولدينا مزيد (قوله وكم أهلكنا الخ) كم خبرية معمولة لاهلكنا ومن قرن تمييز لكم وقوله هم أشد منهم مبتدأ أو خبر والجملة صفة اما لكم أو لقرن وبطشا تمييز والمعنى أننا أهلكنا قرونا كثيرة أشد بأسا وبطشا من قريش ففتشوا فى البلاد عند نزول العذاب بهم فلم يجدوا محاصا (قوله فنقبوا فى البلاد) أى ساروا فيها طالبين الهرب (قوله لهم أو لغيرهم) هذا يقتضى ان جملة هل من محيص استئنافية من كلامه تعالى وحينئذ فالوقف على قوله فى البلاد ويكون فى الكلام حذف والتقدير ففتشوا فى البلاد هاربين فلم يجدوا مخلصا فهل من فرار لهم أو لغيرهم وقيل انها من كلامهم والتقدير قائلين هل من محيص انما (قوله ان فى ذلك المذكور) أى من أول السورة الى هنا (قوله أو ألقى السمع) أو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب فان الموعظة لا تفيد ولا ينتفع بها صاحبها الا اذا كان ذا عقل وأصغى بسمعه وأحضر قلبه فان لم يكن كذلك فلا ينتفع بها (قوله استمع الوعظ) أى بكليته حتى كأنه يلقى شيأ من علو الى أسفل (قوله وهو شهيد) الجملة حالية أى ألقى السمع والحال انه حاضر القلب غير مشتغل بشئ غير ما هو فيه وحضور القلب على مراتب مرتبة العامة أن يشهد الاوامر والنواهى من القارئ ومرتبة الخاصة أن يشاهد الشخص منهم أنه فى حضرة الله تعالى يأمره وينهاه ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدون أن القارئ هو الله تعالى وانما لسانه ترجمان عن الله تعالى (قوله فى ستة أيام) أى تعليما لعباده التمهل والتأنى فى الامور والا فلو شاء لخلق الكل فى أقل من لمح البصر (قوله من لغوب) من زائدة فى الفاعل واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الاعياء والتعب والعامة على ضم اللام وقرئ شذوذا بفتحها والجملة اما حالية أو مستأنفة (قوله نزل ردا على اليهود الخ) أى فقالوا خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فنزلت هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله وما مسنا من لغوب (قوله ولعدم المماسة بينه وبين غيره) أى من الموجودات التى يوجدها والتعب والاعياء انما يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله كالنجار والحداد وغير ذلك وهذا انما يكون فى أفعال المخلوقين (قوله انما أمره) أى شأنه (قوله اذا أراد شيأ) أى ايجاد شئ أو اعدامه (قوله أن يقول له كن فيكون) أى من غير فعل ولا معالجة عمل وهذا على حسب التقريب للعقول والا فلا حقيقة لا قول ولا كاف ولا نون (قوله من التشبيه) أى تشبيه الله بغيره اذ نسبوا له الاعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم (قوله وسبح بحمد ربك الخ) أى حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك فاشتغل بعبادة ربك ولا تتركها حزنا على عدم ايمانهم وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين هداية الخلق وعبادة ربه فحيث فاته هدايتهم فلا يترك العبادة لانه ليس مأمورا بجهادهم حينئذ (قوله صل حامدا) أشار بذلك الى ان سبح معناه صل اما مجاز من اطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لان من جملة معانى الصلاة التسبيح لما ورد عن عائشة كنت أصلى سبحة الضحى الخ (قوله بفتح الهمزة جمع دبر) أى أعقاب الصلاة من أدبرت الصلاة اذا انقضت (قوله وبكسرها مصدر أدبر) أى والمعنى وقت ادبار الصلاة أى انقضائها وتمامها والقراءتان سبعيتان (قوله وقيل المراد حقيقة التسبيح) أى لما ورد من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام

مقولى (يوم يناد المناد) هو اسرافيل (من مكان قريب) من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الارض الى السماء يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم) بدل من يوم قبله (يسمعون) أى الخلق كلهم (الصيحة بالحق) بالبعث وهى النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل أن تكون قبل نداثه أو بعده (ذلك) أى يوم النداء والسماع (يوم الخروج) من القبور وناصب يوم ينادى مقدر أى يعلمون عاقبة تكذيبهم (انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تشقق) بتخفيف الشين وتشديدها بادغام التاء الثانية فى الاصل فيها (الارض عنهم سراعا) جمع سريع حال من مقدر أى فيخرجون مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر وذلك اشارة الى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الاحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب (نحن أعلم بما يقولون) أى كفار قريش (وما أنت عليهم بجبار) تجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالجهاد (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وهم المؤمنون

﴿سورة الذاريات مكية ستون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

(والذاريات) الرياح تذرو التراب وغيره (ذروا) مصدر ويقال تذريه ذريا تهب به (فالحاملات) السحب تحمل الماء (وقرا) ثقلا مفعول الحاملات (فالجاريات) السفن تجرى على وجه الماء (يسرا) بسهولة مصدر فى موضع الحال أى ميسرة (فالمقسمات أمرا) الملائكة تقسم الارزاق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد (انما توعدون) ما مصدرية أى ان وعدهم بالبعث وغيره (لصادق) لوعد صادق (وان الدين) الجزاء بعد الحساب (لواقع) لا محالة

المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (قوله مقولى) أشار بذلك الى ان مفعول استمع محذوف أى استمع ما أقول لك فى شأن أحوال يوم القيامة وقوله يوم ينادى كلام مستأنف مبين للمقول المحذوف (قوله يوم يناد) الوقف عليها اما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان والمنادى اما بالياء وصلا ووقفا أو باثباتها وصلا لا وقفا أو بحذفها وصلا ووقفا ثلاث قراآت (قوله هو اسرافيل) هذا أحد قولين وقيل المنادى جبريل والنافخ اسرافيل (قوله أقرب موضع من الارض الى السماء) أى باثنى عشر ميلا (قوله والاوصال) أى العروق (قوله بالحق) حال من الواو أى يسمعون ملتبسين بالحق أو من الصيحة أى ملتبسة بالحق وعبارة المفسر تقتضى أن الباء للتعدية (قوله ويحتمل ان تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضى انها غير النداء المذكور ومع ان النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة فهذا الصنيع غير مستقيم الاولى القول بان المنادى جبريل والنافخ اسرافيل (قوله أى يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر ولو قدره بلصقه لكان أولى (قوله انا نحن نحيى) أى فى الدنيا وقوله والينا المصير أى فى الآخرة (قوله وما بينهما) أى وهو قوله انا نحن نحيى ونميت والينا المصير (قوله بتخفيف الشين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من مقدر) أى ويصح ان يكون حالا من ضمير عنهم (قوله للاختصاص) أى الحصر والمعنى لا يتيسر ذلك الا على الله وحده (قوله نحن أعلم بما يقولون) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بجبار) صيغة مبالغة من جبر الثلاثى ويقال أيضا أجبر رباعيا فهما لغتان فيه (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) أى فهو منسوخ (قوله من يخاف وعيد) برسم بدون ياء وفى اللفظ يقرأ باثباتها وصلا لا وقفا و بحذفها وصلا ووقفا قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون به ويؤخذ من الآية انه ينبغى للشخص ان لا يعظ الا من سمع وعظه وقبله

﴿سورة الذاريات﴾

وفى بعض النسخ الذاريات الرياح (قوله والذاريات) الواو للقسم والذاريات مقسم به والحاملات عطف عليه والجاريات عطف على الحاملات والمقسمات عطف على الجاريات والمقسم عليه قوله انما توعدون لصادق وانما أقسم بهذه الاشياء تعظيما لها ولكونها أدل على باهر قدرة الله ويصح ان يكون الكلام على حذف مضاف أى ورب هذه الاشياء فالقسم بالله لا بتلك الاشياء (قوله تذرو التراب) أى فقعله واوى من باب عدا وأشار به الى أن مفعول الذاريات محذوف (قوله مصدر) أى مؤكد وناصبه اسم الفاعل (قوله ويقال تذريه) أى ففعله يائى من باب رمى (قوله تهب به) راجع لكل من الواوى واليائى (قوله وقرا) الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى (قوله مفعول الحاملات) أى مفعول به للحاملات (قوله أمرا) اما مفعول به أو حال أى مأمورة وعليه فيحتاج الى حذف مفعول المقسمات (قوله الملائكة تقسم الارزاق الخ) أى ورؤساؤها أربعة جبريل وهو صاحب الوحى الى الانبياء وميكائيل صاحب الرزق واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل صاحب قبض الارواح وما مشى عليه المفسر فى تفسير هذه الاشياء هو المشهور وقيل هذه الاوصاف الاربعة للرياح لانها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب (قوله أى ان وعدهم) صوابه بكاف الخطاب (قوله لواقع) أى حاصل (قوله

(والسماء ذات الحبك) جمع حبيكة كطريقة وطرق أى صاحبة الطرق فى الخلقة كالطرق فى الرمل (انكم) ياأهل مكة فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن (لفى قول مختلف) قيل شاعر ساحر كاهن شعر سحر كهانة (يؤفك) يصرف (عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن أى عن الايمان به (من أفك) صرف عن الهداية فى علم الله تعالى (قتل الخراصون) لعن الكذابون أصحاب القول المختلف (الذين هم فى غمرة) جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عن أمر الآخرة (يسئلون) النبى استفهام استهزاء (أيان يوم الدين) أى متى مجيئه وجوابهم يجىء (يوم هم على النار يفتنون) أى يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب (ذوقوا فتنتكم) تعذيبكم (هذا) التعذيب (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا استهزاء (ان المتقين فى جنات) بساتين (وعيون) تجرى فيها (آخذين) حال من الضمير فى خبر ان (ما آتاهم) أعطاهم (ربهم) من الثواب (انهم كانوا قبل ذلك) أى دخولهم الجنة (محسنين) فى الدنيا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أى ينامون فى زمن يسير من الليل ويصلون أكثره (وبالاسحار هم يستغفرون) يقولون اللهم اغفر لنا (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) الذى لا يسأل لتعففه (وفى الأرض) من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها (آيات) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (للموقنين وفى أنفسكم) آيات أيضا من مبدا خلقكم الى منتهاه وما فى تركيب خلقكم من العجائب (افلا تبصرون) ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (وفى السماء رزقكم) أى المطر المسبب عنه النبات الذى هو رزق (وما توعدون) من المآب والثواب والعقاب أى مكتوب ذلك فى السماء

(والسماء ذات الحبك) بضمتين فى قراءة العامة وقرئ بوزن ابل وسلك وجبل ونعم وبرق (قوله فى الخلقة) أشار به الى ان المراد بها الطرق المحسوسة التى هى مسير الكواكب ويصح ان المراد بها الطرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى (قوله انكم لفى قول مختلف) جواب القسم (قوله قيل شاعر الخ) المناسب ان يقول قلتم (قوله عن النبى والقرآن) أى فالضمير عائد على أحدهما وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فما من عبد كفر بك الا السابق كفره أزلا ويصح أن يكون الضمير عائدا على القول المذكور والمعنى يصرف عن هذا القول المختلق من صرف عنه وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين (قوله قتل الخراصون) هذا التركيب فى الاصل مستعمل فى القتل حقيقة ثم استعمل فى اللعن على سبيل الاستعارة حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذى فاتته الحياة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو القتل فاثباته تخييل (قوله يسألون أيان يوم الدين) أيان خبر مقدم ويوم الدين مبتدأ مؤخر (قوله أى متى مجيئه) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان الزمان لا يخبر به عن الزمان وانما يخبر به عن الحدث فأجاب بان الكلام على حذف مضاف (قوله وجوابهم) أى جواب سؤالهم وانما أجيبوا بما لا تعيين فيه لانهم مستهزؤن لا متعلمون (قوله على النار يفتنون) عداه بعلى لتضمنه معنى يعرضون (قوله هذا) مبتدأ وقوله الذى كنتم الخ خبره (قوله ان المتقين الخ) لما بين حال الكفار وما أعد لهم فى الآخرة أخذ يبين أحوال المتقين وما أعد لهم (قوله تجرى فيها) جواب عما يقال ان المتقين لم يكونوا فى العيون فكيف قال فى جنات وعيون فأجاب بان المراد أن العيون تجرى فى الجنة وتكون فى جهاتهم وأمكنتهم (قوله حال من الضمير فى خبر ان) أى كائنون فى جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أى راضين به (قوله من الثواب) بيان لما (قوله كانوا قليلا الخ) تفسير للاحسان (قوله وبالاسحار) متعلق بيستغفرون المعطوف على يهجعون والباء بمعنى فى والاسحار جمع سحر وهو سدس الليل الاخير (قوله يقولون اللهم اغفر لنا) أى تقصيرنا فى حقك فانه لا يقدرك أحد حق قدرك (قوله وفى أموالهم حق) أى بمقتضى كرمهم جعلوه كالواجب عليهم كصلة الارحام ومواساة الفقراء والمساكين والمعنى انهم بذلوا نفوسهم وأموالهم فى طاعة ربهم (قوله لتعففه) أى فيظن غنيا فيحرم الصدقة وهذا على حد تفسير القانع والمعتر (قوله وفى الارض آيات الخ) الجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وقوله وفى أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة ما قبله عليه وهو كلام مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته وقد اشتمل على دليلين الارض والانفس (قوله من الجبال الخ) بيان للارض فالمراد بها ما قابل السماء (قوله دلالات على قدرة الله تعالى الخ) أى وجميع صفاته الكمالية (قوله من مبدا خلقكم الى منتهاه) أى كالاطوار المذكورة فى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ (قوله وما فى تركيب خلقكم الخ) أى كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك (قوله أفلا تبصرون) جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل (قوله وفى السماء رزقكم) كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد (قوله أى المطر المسبب عنه النبات) أى فالكلام على حذف مضاف والتقدير وفى السماء سبب رزقكم (قوله وما توعدون) عطف عام (قوله أى مكتوب ذلك) أى ما توعدون فهو تفسير لظرفية ما توعدون فى السماء وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة اذ المطر فيها حقيقة والمعنى أن جميع ما توعدون به من خير وشر مكتوب فى السماء تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به (قوله

(فورب السماء والارض الخ) هذا قسم من الله تعالى على ماذكره من الرزق وغيره وانه مثل النطق فى كونه حقا لا يفارق الشخص فى حال من أحواله (قوله أى ما توعدون) أى ورزقكم أيضا (قوله برفع مثل صفة) أى لحق (قوله و بفتح اللام) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مركبة مع ما) أى حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج ككما وطالما فيقال فى اعرابها مثل ما صفة لحق مبنى على السكون فى محل رفع ومثل ما مضاف وجملة انكم تنطقون مضاف اليه فى محل جر (قوله المعنى) أى معنى القراءتين (قوله مثل نطقكم فى حقيته) أى فكما أنه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى لكم ان لا تشكوا فى حقيته * حكى أن رجلا جاع فى مكان وليس فيه شئ فقال اللهم رزقك الذى وعدتنى فائتنى به فشبع وروى من غير طعام ولا شراب (قوله هل أتاك الخ) استفهام تشويق وتفخيم لشأن تلك القصة وقيل ان هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر (قوله ضيف ابراهيم) الضيف فى الاصل مصدر مضاف ولذلك يطلق على الواحد والجماعة (قوله المكرمين) أى المعظمين (قوله منهم جبريل) أى على جميع الاقوال (قوله ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه فى عامل الظرف الثانى أنه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لكونه فى الاصل مصدرا الثالث أنه منصوب بالمكرمين الرابع انه منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (قوله فقالوا سلاما) أى نسلم عليكم سلاما وقوله قال سلام أى عليكم سلام وعدل الى الرفع قصد الاثبات فتحيته أحسن من تحيتهم (قوله قوم منكرون) أى لا نعرف من أى بلدة قدموا وفى هود فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم فقتضاه ان انكارهم انما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الاكل ومقتضى ما هنا انه قبل ذلك وحاصل الجمع بين الموضعين ان الانكار هنا غيره فيما تقدم فما هنا محمول على عدم العلم بانهم من أى جهة وما تقدم محمول على عدم العلم بانهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر (قوله فراغ الى أهله) أى خدمه وكان عامة ماله البقر (قوله سرا) أى فى خفية من ضيفه فان من دأب رب المنزل الكريم أن يبادر بالقرى فى خفية حذرا من أن يمنعه الضيف (قوله فقربه اليهم) عطف على محذوف والتقدير فشواه (قوله عرض عليهم الاكل) أشار بذلك الى ان الا للعرض وهو الطلب بلين ورفق كما قال الشاعر

يا ابن الكرام الا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

(قوله فأوجس) عطف على ما قدره المفسر (قوله خيفة) أى من عدم أكلهم فان الضيف اذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه (قوله قالوا لا تخف) أى لما ظهر لهم أمارات خوفه (قوله انا أرسل ربك) أى الى قوم لوط وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشى حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (قوله وأقبلت امرأته) أى لما سمعت البشارة المذكورة وكانت فى زاوية من زوايا البيت فجاءت وقالت ماذكر (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان (قوله صيحة) تفسير لصرة وتقدم فى هود انها ضحكت أى حاضت فلم يكن بين البشارة والولادة الا سنة (قوله فصكت وجهها) أى ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف أصابعها مثل المتعجب وهى عادة النساء اذا أنكرن شيأ (قوله وقالت عجوز) أى أنا عجوز (قوله قالوا كذلك) منصوب على المصدر بقال الثانية أى مثل ذلك القول الذى أخبرناك به قال ربك أى قضى وحكم فى الازل فلا تعجبى منه (قال فما خطبكم) أى لما رأى من حالهم وان اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة فقط (قوله لنرسل عليهم حجارة) استدل به على ان اللائط يرجم بالاحجار وكان فى تلك المدائن ستمائة ألف فادخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها

حديث ضيف ابراهيم المكرمين) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (اذ) ظرف لحديث ضيف (دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى هذا اللفظ (قال سلام) أى هذا اللفظ (قوم منكرون) لا نعرفهم قال ذلك فى نفسه وهو خبر مبتدأ مقدر أى هؤلاء (فراغ) مال (الى أهله) سرا (فجاء بعجل سمين) وفى سورة هود بعجل حنيذ أى مشوى (فقربه اليهم قال ألا تأكلون) عرض عليهم الاكل فلم يجيبوا (فأوجس) أضمر (فى نفسه) منهم (خيفة قالوا لا تخف) انا رسل ربك (وبشروه بغلام عليم) ذى علم كثير هو اسحق كما ذكر فى هود (فأقبلت امرأته) سارة (فى صرة) صيحة حال أى جاءت صائحة (فصكت وجهها) لطمته (وقالت عجوز عقيم) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر ابراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة (قالوا كذلك) أى مثل قولنا فى البشارة (قال ربك انه هو الحكيم) فى صنعه (العليم) بخلقه (قال فما خطبكم) شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين)

(مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (للمسرفين) باتيانهم الذكور مع كفرهم (فأخرجنا من كان فيها) أى قرى قوم لوط (من المؤمنين) لاهلاك الكافرين (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وهم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أى هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات (وتركنا فيها) بعد اهلاك الكافرين (آية) علامة على اهلاكهم (للذين يخافون العذاب الاليم) فلا يفعلون مثل فعلهم (وفى موسى) معطوف على فيها المعنى وجعلنا فى قصة موسى آية (اذ ارسلناه الى فرعون) ملتبسا (بسلطان مبين) بحجة واضحة (فتولى) أعرض عن الايمان (بركنه) مع جنوده لانهم له كالركن (وقال) لموسى هو (ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم) طرحناهم (فى اليم) البحر فغرقوا (وهو) أى فرعون (مليم) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية (وفى) اهلاك (عاد) آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لا خير فيها لانها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهى الدبور (ما تذر من شئ) نفس أو مال (أتت عليه الا جعلته كالرميم) كالبالى المتفتت (وفى) اهلاك (ثمود) آية (اذ قيل لهم) بعد عقر الناقة (تمتعوا حتى حين) أى الى انقضاء آجالكم كما فى آية تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا) تكبروا (عن أمر ربهم) أى عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) بعد مضى الثلاثة أيام أى الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) اى بالنهار (فما استطاعوا من قيام) أى ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب (وما كانوا منتصرين) على من أهلكهم (وقوم نوح) بالجر عطف على ثمود أى وفى اهلاكهم بما فى السماء والارض آية وبالنصب أى وأهلكنا قوم نوح (من قبل) أى قبل اهلاك هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين)

حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجا عنها (قوله مسومة) اما حال من حجارة أو صفة ثانية لها (قوله فأخرجنا من كان فيها الخ) حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع ابراهيم (قوله أى قرى قوم لوط) أى وهى وان لم تذكر دل عليها السياق (قوله غير بيت) أى غير أهل بيت (قوله وهم لوط وابنتاه) أى وقيل كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه (قوله وصفوا بالايمان والاسلام) أى لان المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون (قوله وتركنا) أى أبقينا فى القرى (قوله علامة) أى وهى تلك الاحجار والصخر المتراكم والماء الاسود المنتن يشاهدها من يمر بأرضهم (قوله معطوف على فيها) أى على الضمير المجرور بفى (قوله المعنى وجعلنا الخ) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف (قوله اذ ارسلناه) الظرف متعلق بآية المحذوف والمعنى تركنا فى قصة موسى علامة فى وقت ارسالنا اياه (قوله ملتبسا بسلطان الخ) أشار بذلك الى ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال والباء للملابسة (قوله بحجة واضحة) أى وهى الآيات التسع (قوله كالركن) أى كركن البيت الذى يعتمد عليه فسمى الجنود ركنا لانه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أى فى شأن موسى (قوله ساحر أو مجنون) يحتمل ان أو على بابها من الابهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك تمويها على قومه ويحتمل انها بمعنى الواو وهو الاحسن لانه قالهما قال تعالى ان هذا الساحر عليم وقال فى موضع آخر ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون (قوله وجنوده) معطوف على مفعول أخذناه (قوله وهو مليم) الجملة حالية من مفعول أخذناه (قوله آت بما يلام عليه) أشار بذلك الى ان اسناد الايلام له مجاز عقلى على حد عيشة راضية (قوله من تكذيب الرسول الخ) أشار بذلك الى أن الفعل الذى يحصل اللوم عليه مختلف باعتبار من وصف به فاندفع بذلك ما يقال كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون (قوله وفى اهلاك عاد الخ) أى فما تقدم من تقدير المضاف والمفعول يأتى هنا (قوله هى التى لا خير فيها) أى فالعقم فى الاصل وصف للمرأة التى لا تلد وصفت به الريح من حيث انها لا تأتى بخير (قوله وهى الدبور) وقيل هى الجنوب وقيل هى النكباء وهى كل ريح هبت بين ريحين والاظهر ما قاله المفسر لما فى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (قوله الا جعلته كالرميم) هذه الجملة فى محل المفعول الثانى لتذر كانه قال ما تترك شيأ الا مجعولا كالرميم (قوله البالى المتفتت) وقيل الرميم الرماد وقيل التراب المدقوق والمعانى متقاربة (قوله فعتوا عن أمر ربهم) هذا الترتيب فى الذكر فقط والافقول الله لهم تمتعوا متأخر عن العتو (قوله عن أمر ربهم) أى المذكور فى سورة هود بقوله ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية الخ (قوله أى الصيحة المهلكة) أى فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعا والصاعقة تطلق على نار تنزل من السماء وعلى الصيحة وهو المراد هنا (قوله أى بالنهار) أشار بذلك الى أن قوله وهم ينظرون من النظر وقيل هو من الانتظار والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب (قوله على من أهلكهم) المناسب أن يقول وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب اذ لا يتوهم انتصارهم على الله وانما يتوهم الفرار منه (قوله بالجر عطف على ثمود) هذا أحد أوجه وهو أقربها (قوله وبالنصب) أى على انه معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأهلكنا وفيه أوجه أخر وهذا أحسنها وقيل منصوب باذكر مقدرا والقراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالرفع على انه مبتدأ والخبر

محذوف أى أهلكناهم (قوله والسماء بنيناها) قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال وكذا قوله والارض فرشناها وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدهما والافصح فى النحو قراءة العامة لعطف الفعلية على الفعلية (قوله بأيد) حال من فاعل بنيناها والمعنى بنيناها حال كوننا ملتبسين بقوة وبطش لا بواسطة شئ بل بقول كن (قوله قادرون) فسر الايساع بالقادرية اشارة الى أن قوله وانا لموسعون حال مؤكدة وهو من أوسع اللازم كأورق الشجر اذا صار ذا ورق ويستعمل متعديا والمفعول محذوف أى لموسعون السماء أى جاعلوها واسعة وعليه فتكون حالا مؤسسة اذا علمت ذلك تعلم ان النسخ التى فيها لفظة لها بعد موسعون غير صحيحة لانها لا تناسب الا استعماله متعديا والمفسر استعمله لازما حيث قال وأوسع الرجل الخ (قوله يقال آد الرجل) أى اشتد وقوى كما فى المختار وبابه باع (قوله مهدناها) أى فالفرش كناية عن البسط والتسوية (قوله نحن) أى فالمخصوص بالمدح محذوف (قوله متعلق بقوله خلقنا) ويصح ان يكون متعلقا بمحذوف حال من زوجين لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صنفين) أى أمرين متقابلين (قوله كالذكر والانثى) أشار بتعداد الامثلة الى ما نشاهده فلا يرد العرش والكرسى واللوح والقلم فانه لم يخلق من كل الا واحد (قوله بحذف احدى التاءين) أى وهذه احدى القراءتين السبعيتين والأخرى ادغام التاء الثانية فى الذال (قوله ففروا الى الله) مفرع على ما علم من توحيد الله والمعنى حيث علمتم ان الله واحد لا شريك له وانه الضار النافع المعطى المانع فالجؤا اليه واهرعوا الى طاعته والفرار مراتب ففرار العامة من الكفر والمعاصى الى الايمان والطاعة وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله كالمال والولد الى شهود الله والانهماك فى طاعته فلا يصرف جزأ من أجزائه لغير الله فكما ان الله فى خلق العبد واحد فليكن العبد فى اقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل فى قلبه غير حب ربه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (قوله أى الى ثوابه من عقابه الخ) حمله على الفرار العام لان أوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التى من امتثلها فقد زحزح عن النار وأدخل الجنة (قوله انى لكم منه نذير مبين) تعليل لما قبله والضمير فى منه عائد على الله والمعنى فروا اليه لانى مخوف لكم منه (قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر الخ) أشار بذلك الى أن الطاعة لا تنفع مع الاشراك ولذا كرر قوله انى لكم منه نذير مبين فالفائز من جمع بين الطاعة والتوحيد والمعنى لا تنسبوا وصف الالوهية لغير الله فانه لا يستحقه غيره (قوله بقدر قبل ففروا قل لهم) أى فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين اذ يصح أن تكون الفاء فصيحة والتقدير اذا علمتم ما تقدم من صفات الله الكمالية ففروا الى الله كما تقدم (قوله كذلك) خبر مقدم وقوله ما أتى الخ مبتدأ مؤخر والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائن كذلك أى كتكذيب أمتك لك كما أفاده المفسر (قوله الا قالوا ساحر أو مجنون) تقدم ان أو بمعنى الواو وحكمة جمعهم بين الوصفين ان خروجه عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم وعدم مبالاته بالجم الغفير اقتضى تسميته مجنونا واتيانه بالمعجزات التى بهرت عقولهم اقتضت تسميته ساحرا (قوله أتواصوا به) أى أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة واجتمعوا عليها (قوله استفهام بمعنى النفى) أى فهو انكارى تعجبى والمعنى ما وقع منهم تواص بذلك لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد (قوله بل هم قوم طاغون) اضراب عن الاستفهام المتقدم وبيان لحقيقة الباعث لهم على تلك المقالة (قوله فتول عنهم) أى أعرض عن خطابهم وجدالهم (قوله فما أنت بملوم) أى لا لوم عليك فى الاعراض عنهم فانك قد بلغت الغاية فى النصح وبذل الجهد ولما نزلت هذه الآية حزن رسول الله واشتد الامر على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم وجرت عادة الله فى الأمم السابقة متى أمر رسولهم بالاعراض عنهم حل بهم العذاب وأنزل الله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك ولذلك قيل انها ناسخة لما قبلها والكن الحق ان ما قبلها منسوخ بآية السيف (قوله فان الذكرى تنفع المؤمنين) تعليل لقوله ذكر والمعنى لا تترك التذكير فربما انتفع به من علم الله ايمانه ويؤخذ من الآية ان البلاء لا ينزل بقوم

والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) قادرون يقال آد الرجل يئيد قوى وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة (والارض فرشناها) مهدناها (فنعم الماهدون) نحن (ومن كل شئ) متعلق بقوله (خلقنا زوجين) صنفين كالذكر والانثى والسماء والارض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لعلكم تذكرون) بحذف احدى التاءين من الاصل فتعلمون أن خالق الازواج فرد فتعبدونه (ففروا الى الله) أى الى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه (انى لكم منه نذير مبين) بين الانذار (ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) يقدر قبل ففروا قل لهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) أى مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر أو مجنون تكذيب الامم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك (أتواصوا) كلهم (به) استفهام بمعنى النفى (بل هم قوم طاغون) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فتول) أعرض (عنهم فما أنت بملوم) لانك بلغتهم الرسالة (وذكر) عظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من علم الله تعالى أنه يؤمن (وما خلقت الجن والانس

وفيهم المتذكرون لما ورد ان الله يطلع على عمار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقيه (قوله الا ليعبدون) أى لا لطلب الدنيا والانهماك فيها (قوله ولا ينافى ذلك) أى الحصر المذكور وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله ان الله تعالى حصر الجن والانس فى العبادة فمقتضاه أنه لا يخرج أحد عنها مع انه شوهد كثير من الخلق كفر وترك العبادة فأجاب المفسر بأن اللام للغاية والعاقبة لا للعلة الباعثة لان الله لا يبعثه شئ على شئ وقوله فانك قد لا تكتب به اعترض بأن هذا مسلم فى أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الأمور وأما فى حق الله تعالى فلا يصح التخلف فى فعله بل مقتضاه انه عالم بانهم سيعبدونه ولا بد ولا يمكن تخلفه فى البعض فالجواب الصحيح أن يقال ان الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيئين صالحين للعبادة بأن ركب فيهم عقلا وحواس وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل وقيل معنى ليعبدون لآمرهم وأكلفهم بعبادتى لا ليهتموا بالرزق وينهمكوا فى خدمة الدنيا وهذا على حد وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقيل معناه الا ليوحدون فالمؤمن يوحده طوعا والكافر يوحده كرها وقيل انه عام أريد به الخصوص والمعنى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بدليل القراءة الشاذة وما خلقت الجن والانس من المؤمنين (قوله ما أريد منهم من رزق لى ولا لأنفسهم) دفع المفسر بقوله لى ما يتوهم من عادة سادات العبيد فى احتياجهم لمكاسب عبيدهم فالمعنى ان عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم فانهم يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم (قوله وما أريد أن يطعمون) ان قلت ان هذا يغنى عنه ما قبله أجيب بانه أتى به لدفع توهم ما عليه سادات العبيد الاغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم فى صنع الطعام مثلا وتهيئته ونحو ذلك فكأنه قال شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم فليس محتاجا لعبيده فى تحصيل رزق ولا فى صنعه لا له ولا لغيره وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول والا فيستحيل على الله عقلا تلك الأوصاف ولا ينفى فى نفس الامر الا ما جوزه العقل (قوله ان الله هو الرزاق) أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم وأكد الجملة بان والضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق فى أمور الرزق وليقوى اعتمادهم عليه (قوله المتين) العامة على رفعه وهو اما نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر وقرئ شذوذا بالجر (قوله الشديد) أى الذى لا يطرأ عليه ضعف ولا عجز (قوله فان للذين ظلموا الخ) أى فلا تحزن على كفر قومك وتسل عنهم فلا بد لهم من العذاب (قوله ذنوبا) هو فى الاصل الدلو العظيم شبه به النصيب من العذاب اشارة الى انه يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم (قوله أصحابهم) أى نظائرهم من الأمم السابقة (قوله فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميره تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بعلة الحكم (قوله شدة عذاب) وقيل وادى جهنم (قوله الذى يوعدون) هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم انما توعدون لصادق الخ

﴿فائدة﴾ قد تلقينا عن الصالحين فوائد فى استعمال هذه السورة العظيمة كلها مجربة منها استعمالها احدى وأربعين مرة على وضوء فى مجلس واحد لتفريج السجن وقضاء الدين وتيسير الرزق والانتصار على الخصم والامن من كل هول دنيا وأخرى واستعمالها ستين مرة عددا يا تها أبلغ فى تلك المطالب

﴿سورة الطور مكية﴾

وفى نسخة والطور (قوله والطور الخ) اقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام تعظيما للمقسم عليه وهو قوله ان عذاب ربك لواقع وتعظيما للمقسم به ايضا فان تلك الاشياء الخمسة عظيمة والواو فى كل اما للقسم أو للعطف فيما عدا الأول (قوله أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى) أى والمراد به طور سيناء وهو أحد جبال الجنة وأقسم الله به تشريفا له وتكريما (قوله

الا ليعبدون) ولا ينافى ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك بريت هذا القلم لأكتب به فانك قد لا تكتب به (ما أريد منهم من رزق) لى ولأنفسهم وغيرهم (وما أريد أن يطعمون) ولا أنفسهم ولا غيرهم (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد (فان للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم (ذنوبا) نصيبا من العذاب (مثل ذنوب) نصيب (أصحابهم) الهالكين قبلهم (فلا يستعجلون) بالعذاب ان أخرتهم الى القيامة (فويل) شدة عذاب (للذين كفروا من) فى (يومهم الذى يوعدون) أى يوم القيامة

﴿سورة الطور مكية تسع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والطور) أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى

(وكتاب مسطور في رق منشور) أي التوراة أو القرآن (والبيت المعمور) هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون اليه أبدا (والسقف المرفوع) أي السماء (والبحر المسجور) أي المملوء (ان عذاب ربك لواقع) لنازل بمستحقه (ماله من دافع) عنه (يوم) معمول لواقع (تمور السماء مورا) تتحرك وتدور (وتسير الجبال سيرا) تصير هباء منثورا وذلك في يوم القيامة (فويل) شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) للرسل (الذين هم في خوض) باطل (يلعبون) أي يتشاغلون بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ويقال لهم تبكيتا (هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا) العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي هذا سحر (أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا عليها أو لا تصبروا) صبركم وجزعكم (سواء عليكم) لان صبركم لا ينفعكم (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاءه (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين) متلذذين (بما) مصدرية (آتاهم) أعطاهم (ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطفا على آتاهم

وكتاب مسطور) أي متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مترتبة جامعة لكلمات متفقة (قوله في رق منشور) الرق الجلد الرقيق الذي يكتب فيه وقيل كل ما يكتب فيه جلدا كان أو غيره وهو بفتح الراء في قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها ومعنى المنشور المبسوط أي انه غير مطوي وغير محجور عليه (قوله أي التوراة أو القرآن) هذان قولان من جملة أقوال كثيرة في تفسير الكتاب المسطور وقيل هو صحائف الاعمال قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل سائر الكتب المنزلة على الانبياء وقيل غير ذلك (قوله هو في السماء الثالثة) وقيل هو في الاولى وقيل هو في الرابعة وقيل هو تحت العرش فوق السابعة وقيل هو الكعبة نفسها وعمارتها بالحجاج والزائرين لها لما ورد أن الله يعمره كل سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة (قوله بحيال الكعبة) أي مقابلا لها بازائها على كل قول (قوله يزوره الخ) بيان لتسميته معمورا (قوله أي السماء) أي لانها كالسقف للارض وقيل هو العرش وهو سقف الجنة (قوله والبحر المسجور) أي وهو البحر المحيط ومعنى المسجور المملوء ماء وقيل البحر المسجور هو الممتلئ نارا لما ورد ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وقيل هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم (قوله معمول لواقع) أي والجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله (قوله تتحرك وتدور) أي كدوران الرحى وتجيء وتذهب ويدخل بعضها في بعض وتختلف أجزاؤها وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة (قوله تصير هباء منثورا) ليس تفسيرا للتسيير كما توهمه عبارته بل معناه انها تنتقل عن مكانها وتطير في الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أي الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصيرها هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاعلام بانه لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله لخراب الدنيا وعمارة الآخرة فيحصل للمؤمنين مزيد سرور وطمأنينة وللكافرين غاية الحزن والكرب (قوله فويل يومئذ) أي يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وهو يوم القيامة (قوله في خوض) هو في الاصل الدخول في كل شئ ثم غلب على الدخول في الباطل فلذا فسره به (قوله يدعون) العامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه دفعه في صدره بعنف وشدة وقرئ شذوذا بسكون الدال وتخفيف العين المفتوحة من الدعاء أي يقال لهم هلموا فادخلوا النار (قوله يدفعون بعنف) أي وذلك بان تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعون الى النار (قوله كما كنتم تقولون في الوحي) أي القرآن الجائي بالعذاب (قوله أم أنتم لا تبصرون) يصح أن تكون أم متصلة معادلة للهمزة والمعنى هل في أمرنا سحر أم هل في بصركم خلل والاستفهام انكاري وتهكم أي ليس واحد منهما ثابتا ويصح أن تكون أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والمعنى أبل أنتم عمي عن العذاب المخبر به كما كنتم عميا عن الخبر (قوله اصلوها) أي ذوقوا حرارتها (قوله صبركم وجزعكم سواء) أشار بذلك الى أن سواء خبر لمحذوف ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير سواء الصبر والجزع والاول أولى لان جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ (قوله لان صبركم لا ينفعكم) أي لانتزاعكم من ديوان الرحمة بخلاف الدنيا فان الصبر فيها على المكاره من أعظم موجبات الرحمة (قوله انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لاستواء الصبر وعدمه (قوله أي جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ان المتقين في جنات الخ) مقابل قوله فويل يومئذ للمكذبين وانما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف المكذبين ليحصل الترغيب والترهيب كما هو عادته سبحانه وتعالى (قوله ونعيم) أي تنعم بتلك الجنات اذ لا يلزم من كونه في جنات انه يتنعم بها فأفاد انهم مع كونهم في جنات يتنعمون ويتفكهون بها (قوله فاكهين) العامة على قراءته بالالف أي ذوي فاكهة كثيرة كما يقال لابن وتامر أي ذو لبن وتمر وقرئ

شذوذا فكهين بغير ألف أى متنعمين متلذذين اذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر تفسيره بذوى فاكهة لا بمتلذذين (قوله أى باتيانهم ووقايتهم) انما جعلها مصدرية فى المعطوف والمعطوف عليه لما يلزم عليه من خلو الصلة فى المعطوف عن العائد لو جعلت موصولة والاحسن أن تجعل موصولة ويجعل قوله ووقاهم معطوفا على قوله فى جنات (قوله بما كنتم تعملون) ما مصدرية والباء سببية والمعنى ان الملائكة تقول لاهل الجنة كلوا واشربوا متهنئين بسبب عملكم وهذا من مزيد السرور والتكرمة على حسب عادة الكرام فى منازلهم والا فذلك من فضل الله واحسانه (قوله على سرر) جمع سرير قال ابن عباس هى سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وايلة وورد ان ارتفاع السرير خمسمائة عام فاذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها فاذا جلس عليها عادت الى حالها وفى الكلام حذف تقديره على نمارق على سرر (قوله أى قرناهم) أى جعلناهم مقارنين لهن وفى ذلك اشارة الى جواب سؤال مقدر تقديره ان الحور العين فى الجنات مملوكات بملك اليمين لا بعقد النكاح فأجاب بان التزويج ليس بمعنى عقد النكاح بل بمعنى المقارنة (قوله عظام الاعين) تفسير لعين جمع عيناء وأما الحور فهو من الحور وهو شدة البياض (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره قوله ألحقنا بهم ذرياتهم والذرية تطلق على الاصول والفروع قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون والمعنى ان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق كالتلامذة فانهم يلحقون بأشياخهم وأشياخ الاشياخ يلحقون بالاشياخ ان كانوا دونهم فى العمل والاصل فى ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يا رب انى عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به (قوله بفتح اللام وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالاولى من باب علم والثانية من باب ضرب (قوله من زائدة) أى فى المفعول الثانى (قوله يزاد فى عمل الاولاد) أى لم نأخذ من عمل الآباء شيأ نجعله للاولاد فيستحقون به هذا الاكرام بل عمل الآباء باق لهم بتمامه والحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم (قوله رهين) أى مرهون عند الله تعالى كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذى هو مطالب به فان عمل صالحا فكها من الرهن والا أهلكها كما يرهن الرجل رقبة عبده بدين عليه فان وفى ما عليه خلص رقبته من الرهن والا استمر مرهونا (قوله فى وقت بعد وقت) أخذه من لفظ الامداد (قوله ولم يصرحوا بطلبه) أى بل بمجرد ما يخطر ببالهم يقدم اليهم لما ورد ان الرجل يشتهى الطير فى الجنة فيخر مثل البختى حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير (قوله يتعاطون بينهم) أى يتجاذب بعضهم الكاس من بعض ويناول بعضهم بعضا تلذذا وتأنسا وهو المؤمن وزوجاته وخدمه فى الجنة (قوله كأسا) الكاس هو اناء الخمر وكل كاس مملوء بشراب أو غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا (قوله غلمان أرقاء لهم) أى كالارقاء فى الحيازة والاستيلاء وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله فى الجنة كالحور وقيل هم الاولاد من أطفالهم الذين سبقوهم فأقر الله تعالى أعينهم بهم وقيل هم أولاد المشركين وليس فى الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة بل هو من مزيد التنعم قال عبد الله بن عمر ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك ويطوف الغلمان عليهم بالفواكه والتحف والشراب قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب يطاف عليهم بكأس من معين (قوله مصون فى الصدف) جمع صدفة وهى غشاء الدر

أى باتيانهم ووقايتهم ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) حال أى متهنئين (بما) الباء سببية (كنتم تعملون متكئين) حال من الضمير المستكن فى قوله تعالى فى جنات (على سرر مصفوفة) بعضها الى جنب بعض (وزوجناهم) عطف على فى جنات أى قرناهم (بحور عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ (وأتبعناهم) معطوف على آمنوا (ذرياتهم) الصغار والكبار (بايمان) من الكبار ومن الآباء فى الصغار والخبر (ألحقنا بهم ذرياتهم) المذكورين فى الجنة فيكونون فى درجتهم وان لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الاولاد اليهم (وما ألتناهم) بفتح اللام وكسرها نقصناهم (من عملهم من) زائدة (شئ) يزاد فى عمل الاولاد (كل امرئ بما كسب) عمل من خير أو شر (رهين) مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير (وأمددناهم) زدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يصرحوا بطلبه (يتنازعون) يتعاطون بينهم (فيها) أى الجنة (كأسا) خمرا (لا لغو فيها) أى بسبب شربها يقع بينهم (ولا تأثيم) به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا (ويطوف عليهم) للخدمة (غلمان) أرقاء (لهم كأنهم) حسنا ولطافة (لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف لانه فيها أحسن منه فى غيرها (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا

عما كانوا عليه وما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة (قالوا) ايماء الى علة الوصول (انا كنا قبل في أهلنا) في الدنيا (مشفقين) خائفين من عذاب الله (فمن الله علينا) بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) أي النار لدخولها في المسام وقالوا ايماء أيضا (انا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نعبده موحدين (انه) بالكسر استئنافا وان كان تعليلا معنى وبالفتح تعليلا لفظا (هو البر) المحسن الصادق في وعده (الرحيم) العظيم الرحمة (فذكر) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن مجنون

(فما أنت بنعمت ربك) أي بانعامه عليك (بكاهن) خبر ما (ولا مجنون) معطوف عليه (أم) بل (يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء (قل تربصوا) هلاكي (فاني معكم من المتربصين) هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر والتربص الانتظار (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون أي لا تأمرهم بذلك (أم) بل (هم قوم طاغون) بعنادهم (أم يقولون تقوله) اختلق القرآن لم يختلقه (بل لا يؤمنون) استكبارا فان قالوا اختلقه (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله ان كانوا صادقين) في قولهم (أم خلقوا من غير شيء) أي خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم ولا يعقل مخلوق بدون خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه (أم خلقوا السموات والأرض) ولا يقدر على خلقهما الا الله الخالق فلم لا يعبدونه (بل لا يوقنون) به والا لآمنوا بنبيه (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المسيطرون) المتسلطون الجبارون وفعله مسيطر ومثله بيطر وبيقر (أم لهم سلم) مرقى الى السماء (يستمعون فيه) أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي

(قوله عما كانوا عليه) أي في الدنيا (قوله وما وصلوا اليه) أي من نعيم الجنه (قوله قالوا) أي قال المسؤل للسائل (قوله ايماء) أي اشارة (قوله الى علة الوصول) أي ومحط ها قوله فمن الله علينا (قوله انا كنا قبل في أهلنا الخ) أي وشأن من كان في أهله وعزوته أن يكون آمنا فخوفهم من الله في تلك الحالة دليل على خوفهم في غيره بالاولى فهم دائما خائفون ويحتمل ان قوله مشفقين من الشفقة وهي الرفق أي نرفق باهلنا وغيرهم (قوله لدخولها في المسام) هذا بيان لوجه تسميتها سموما فالسموم من أسماء جهنم وهي في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام (قوله وقالوا ايماء أيضا) أي الى علة وصولهم الى النعيم ومحط العلة قوله انه هو البر الرحيم (قوله أي نعبده) أي أو نسأله الوقاية من النار ودخول دار القرار (قوله وبالفتح تعليلا لفظا) أي والقراءتان سبعيتان (قوله بنعمت ربك) الباء سببية مرتبطة بالنفي المستفاد من ما والمعنى انتفى كونك كاهنا أو مجنونا بسبب انعام الله عليك بكمال العقل وعلو الهمة والعصمة (قوله بكاهن) أي مخبر بالامور المغيبة من غير وحي (قوله خبر ما) أي فهي حجازية والباء زائدة في خبرها (قوله أم يقولون شاعر) اعلم ان أم ذكرت في هذه الآيات خمس عشرة مرة وكلها تقدر ببل والهمزة فهي للاستفهام الانكاري التوبيخي اذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر ان يقدرها في الجميع ببل والهمزة (قوله حوادث الدهر) في الكلام استعارة تصريحية حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذي هو الشك بجامع التحير وعدم البقاء على حالة واحدة في كل وقيل المنون المنيه لانها تنقص العدد وتقطع المدد (قوله قل تربصوا) أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله أم تأمرهم أحلامهم) جمع حلم يطلق على الاناة وعلى العقل وهو المراد هنا (قوله أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون) أي وهذا تناقض فان شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأي وشأن الشاعر والساحر كذلك ونسبتهم الجنون له بعد ذلك مناقضة (قوله أي لا تأمرهم) أشار بذلك الى أن الاستفهام المستفاد من أم انكاري وفيه توبيخ أيضا (قوله أم بل هم قوم طاغون) المناسب للمفسر أن يقدر أم ببل والهمزة ليوافق قوله فيما يأتي والاستفهام في مواضعها الخ والمعنى لا ينبغي منهم هذا الطغيان (قوله لم يختلقه) أشار به الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله فليأتوا بحديث مثله) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله فان قالوا اختلقه والامر للتعجيز (قوله ولا يعقل مخلوق بدون خالق) راجع لقوله خلقوا من غير شيء وقوله ولا معدوم يخلق راجع لقوله أم هم الخالقون والمعنى انهم لو كانوا هم الخالقين لانفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولا لزم أن يكونوا في حالة العدم أوجدوا أنفسهم وأخرجوها من العدم فيكون المعدوم خالقا وهذا لا يعقل (قوله والا لآمنوا بنبيه) أي فحيث لم يترتب على ايقانهم بالله اقبال على توحيده وتصديق نبيه جعل ايقانهم كالعدم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله أم عندهم خزائن ربك) لم يبين أن الاستفهام انكاري مع انه كذلك والمعنى ليس عندهم خزائن ربك والمراد بخزائنه مقدوراته شبهت بها لان خزانة الملوك بيت مهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر التي يحتاج اليها (قوله أم هم المسيطرون) اعلم انه لم يأت على وزن مفيعل الا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر وواحد اسم جبل وهو محيمر (قوله المتسلطون) أي الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا (قوله ومثله بيطر) أي عالج الدواب ومنه البيطار وقوله وبيقر أي افسد واهلك فالحاصل ان معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد والمسيطر المتسلط الجبار والمبيطر المعالج للدواب (قوله أي عليه كلام الملائكة) أشار بذلك الى أن معمول يستمعون محذوف وفي بمعنى على

(قوله

بزعمهم ان ادعوا ذلك (فليأت مستمعهم) أى مدعى الاستماع عليه (بسلطان مبين) بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى (أم له البنات) أى بزعمكم (ولكم البنون) تعالى الله

عما زعموه (أم تسئلهم أجرا) على ما جئتهم به من الدين (فهم من مغرم) غرم ذلك (مثقلون) فلا يسلمون (أم عندهم الغيب) أى علمه (فهم يكتبون) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبى صلى الله عليه وسلم فى البعث وأمور الآخرة بزعمهم (أم يريدون كيدا) بك ليهلكوك فى دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر (أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون) به من الآلهة والاستفهام بأم فى مواضعها للتقبيح والتوبيخ (وان يروا كسفا) بعضا (من السماء ساقطا) عليهم كما قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء أى تعذيبا لهم (يقولوا) هذا (سحاب مركوم) متراكب نرتوى به ولا يؤمنوا (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) يموتون (يوم لا يغنى) بدل من يومهم (عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب فى الآخرة (وان للذين ظلموا) بكفرهم (عذابا دون ذلك) أى فى الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان العذاب ينزل بهم (واصبر لحكم ربك) بامهالهم ولا يضق صدرك (فانك بأعيننا) بمرأى منا نراك ونحفظك (وسبح) متلبسا (بحمد ربك) أى قل سبحان الله وبحمده (حين تقوم) من منامك أو من مجلسك (ومن الليل فسبحه) حقيقة أيضا (وادبار النجوم) مصدر أى عقب غروبها سبحه أيضا أو صل فى الأول العشاءين وفى الثانى الفجر وقيل الصبح

(قوله بزعمهم) متعلق بقوله يستمعون فيه (قوله ان ادعوا ذلك) أى الاستماع من الملائكة والمعنى ان فرض انهم ادعوه فليأت مستمعهم الخ (قوله ولشبه هذا الزعم الخ) أشار بذلك الى وجه المناسبة بين الآيتين ووجه الشبه بين الزعمين ان كلا منهما فاسد وان كان الزعم الأول فرضيا والثانى تحقيقيا لوقوعه منهم (قوله أى بزعمكم) أى دعواكم واعتقادكم (قوله ولكم البنون) أى لتكونوا أقوى منه فاذا كذبتم رسله تكونوا آمنين لقوتكم بالبنين وزعمكم ضعفه بالبنات (قوله تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله مثقلون) أى متعبون ومغتمون لان العادة أن من غرم شخصا مالا يكون المأخوذ منه كارها للآخذ ومغتما منه (قوله أم عندهم الغيب) جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعندهم علم الغيب بان الرسول يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك (قوله أم يريدون كيدا) أى مكرا وتحيلا فى هلاكك (قوله فى دار الندوة) ان قلت السورة مكية والاجتماع بدار الندوة كان ليلة الهجرة فالتقييد بها مشكل فالاوضح حذف قوله فى دار الندوة لان ارادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله عليه وسلم (قوله فالذين كفروا) أوقع الظاهر موقع المضمر تشنيعا وتقبيحا عليهم بصفة الكفر (قوله ثم أهلكهم ببدر) أى أهلك رؤساءهم وهم سبعون (قوله سبحان الله عما يشركون) أى تنزه الله عما ينسبونه له من الشركة فى الالوهية (قوله والاستفهام بأم) أى المقدرة ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها وقوله فى مواضعها أى وهى خمسة عشر (قوله للتقبيح والتوبيخ) أى والانكار (قوله وان يروا كسفا) أى على فرض حصوله فانه لم يحصل لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والمعنى لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون فى هذا النازل عنادا واستهزاء واغاظة لمحمد انه سحاب مركوم (قوله فأسقط علينا كسفا) هذه الآية انما وردت فى قوم شعيب كما ذكر فى سورة الشعراء فكان الأولى للمفسر ان يستدل بما نزل فى قريش فى سورة الاسراء وهو قوله أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا (قوله فذرهم) جواب شرط مقدر والمعنى اذا بلغوا فى العناد الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم ولا تلتفت لهم (قوله يصعقون) هكذا ببنائه للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان (قوله يموتون) أى بانقضاء آجالهم فى بدر أو غيرها هذا هو الاحسن (قوله من العذاب فى الآخرة) المراد به العذاب الذى يأتى بعد الموت (قوله دون ذلك) أى قبل العذاب الذى يأتيهم بعد الموت وذلك صادق كما قال المفسر بالجوع والقحط والقتل يوم بدر (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى انه ينزل بهم (قوله بمرأى منا) أى فالمقصود من المرأى لازمه وهو ابصار الشئ والاحاطة به فليلزم منه مزيد الحفظ للمرئى الذى هو المراد وعبر هنا بالجمع لمناسبة نون العظمة بخلاف ما ذكر فى سورة طه فى قوله ولتصنع على عينى (قوله من منامك) أى فقد ورد عن عائشة قالت كان اذا قام أى استيقظ من منامه كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران (قوله أو من مجلسك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك كان كفارة لما بينهما وفى رواية كان كفارة له (قوله أى عقب غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوئها بضوء الصبح وليس المراد به حقيقة الغروب لانها وان كانت باقية فى السماء يذهب ضوؤها بطلوع الفجر (قوله أو صل فى الأول) أى الليل فهذا راجع لقوله ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وأما وسبح بحمد ربك حين تقوم فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال (قوله وفى الثانى الفجر) أى الركعتين اللتين هما سنة الصبح وقوله وقيل الصبح أى فريضة الصبح

﴿ سورة النجم مكية ﴾

أى كلها وقيل الا قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الآية وقيل كلها مدنى وردبما روى انها أول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمشركون زعما منهم انه يمدح آلهتهم واعلم ان بين أول هذه السورة وآخر ما قبلها مناسبة فانه تعالى قال فى آخر تلك وادبار النجوم وقال فى أول هذه والنجم اذا هوى (قوله والنجم اذا هوى) اختلف فى تفسير النجم فمشى المفسر على انه الثريا وهى عدة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفى وكان صلى الله عليه وسلم يراها أحد عشر نجما ومعنى هويه غيبوبته عند طلوع الفجر وقيل المراد به أى نجم وقيل المراد به جميع النجوم وقيل هو الزهرة وقيل الشعرى وقيل القرآن ومعنى هوى نزل لانه نزل منجما على ثلاث وعشرين سنة وقيل هو محمد ومعنى هوى نزل من المعراج وقيل جبريل ومعنى هوى نزل بالوحى واختلف فى عامل الظرف فقيل معمول لمحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت هويه واستشكل بأن فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا لما يستقبل من الزمان فكيف يعمل الانشاء فى المستقبل وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف ما لا يتوسع فى غيرها أو قصد منها مجرد الظرفية الصادق بالماضى والحال والاستقبال لانها قد تأتى للحال والماضى وقيل عامله حال من النجم محذوفة والتقدير أقسم بالنجم حال كونه مستقرا فى زمان هويه ويأتى فيه الاشكال والجواب المتقدمان ويجاب أيضا بأن تجعل الحال مقدرة (قوله ماضل صاحبكم) هذا هو جواب القسم وعبر بلفظ الصحبة تبكيتا لهم واشعارا بانهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فلا يليق منهم نسبته للنقص (قوله عن طريق الهدى) اشار بذلك الى ان الضلال مخالف للغى فالضلال فعل المعاصى والغى هو الجهل المركب وقيل الضلال فى العلم والغى فى الافعال وقيل هما مترادفان (قوله من اعتقاد فاسد) أى ناشئ وحاصل (قوله عن الهوى) متعلق بينطق والمعنى ما يصدر نطقه عن هوى نفسه ومثله الفعل بل وجميع أحواله وهو مفرع على ما قبله لانه اذا علم تنزهه عن الضلال والغواية تفرع عليه انه لا ينطق عن هواه قرآنا أو غيره (قوله ان هو) الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق والمعنى ما يتكلم به من القرآن وغيره ومثل النطق الفعل وجميع أحواله فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق ولا يفعل الا بوحى من الله تعالى لا عن هوى نفسه (قوله يوحى) الجملة صفة لوحى أتى بها لرفع توهم المجاز كانه قال هو وحى حقيقة لا مجرد تسمية (قوله علمه اياه) الضمير المذكور هو المفعول الاول عائد على النبى والثانى الذى قدره المفسر عائد على الوحى (قوله شديد القوى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله ملك وهو جبريل عليه السلام ومن شدة قوته اقتلاعه مدائن قوم لوط ورفعها الى السماء وقلبها وصياحه على قوم ثمود ونتقه الجبل عن بنى اسرائيل وهذه الشدة حاصلة فيه ولو تشكل بصورة الآدميين لانها لا تحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور وقيل المراد به الرب سبحانه وتعالى والمراد بالقوى فى حقه تعالى صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة (قوله ذو مرة) أى قوة باطنية وعزم وسرعة حركة فغاير ما قبله فجبريل اعطاه الله قوة ظاهرية وقوة باطنية وقيل المرة وفور العلم وقيل الجمال (قوله فاستوى) عطف على قوله علمه شديد القوى (قوله وهو بالافق الاعلى) الجملة حالية (قوله وكان) أى النبى صلى الله عليه وسلم (قوله وكان قد سأله الخ) تعليل لقوله فاستوى وذلك ان جبريل كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما يأتى الى الانبياء فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التى جعله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة بالارض ومرة بالسماء ولم يره أحد من الانبياء على صورته التى خلق عليها الا نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله فنزل جبريل) عطف على قوله فخر مغشيا عليه (قوله زاد فى القرب) أى فالكلام باق على ظاهره وقيل فى الكلام قلب والاصل فتدلى ثم دنا ومعنى تدلى رجع لصورته الاصلية (قوله فكان قاب قوسين) فى الكلام حذف والاصل فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين والقاب

﴿سورة والنجم مكية ثنتان وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والنجم) الثريا (اذا هوى) غاب (ماضل صاحبكم) محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهدى (وما غوى) ما لابس الغى وهو جهل من اعتقاد فاسد (وما ينطق) بما يأتيكم به (عن الهوى) هوى نفسه (ان) ما (هو الا وحى يوحى) اليه (علمه) اياه ملك (شديد القوى ذو مرة) قوة وشدة أو منظر حسن أى جبريل عليه السلام (فاستوى) استقر (وهو بالافق الاعلى) أفق الشمس أى عند مطلعها على صورته التى خلق عليها فرآه النبى صلى الله عليه وسلم وكان بحراء قد سد الافق الى المغرب فخر مغشيا عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل له فى صورة الآدميين (ثم دنا) قرب منه (فتدلى) زاد فى القرب (فكان) منه (قاب) قدر (قوسين

أو أدنى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه (فأوحى) تعالى (الى عبده) جبريل (ما أوحى) جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما لشأنه (ما كذب) بالتخفيف والتشديد أنكر (الفؤاد) فؤاد النبي (ما رأى) ببصره من صورة جبريل (أفتمارونه) تجادلونه وتغلبونه (على ما يرى) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل (ولقد رآه) على صورته (نزلة) مرة (أخرى عند سدرة المنتهى)

القدر وقيل هو ما بين المقبض والطرف ولكل قوس قابان فأصل الكلام فكان قابي قوس فحصل في الكلام قلب (قوله أو أدنى) أو بمعنى بل نظير قوله تعالى أو يزيدون أو على بابها والشك بالنسبة للرائي والمعنى اذا نظرت اليه وهو في تلك الحالة تتردد بين المقدارين (قوله حتى أفاق) غاية لمحذوف أي ضمه اليه حتى أفاق روى انه لما أفاق قال يا جبريل ما ظننت ان الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من أجنحتي وان لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا العظيم فقال جبريل وما أنا في جنب خلق الله الا يسير ولقد خلق الله اسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع أي العصفور الصغير وهذا على كلام الجمهور وأما على ان المراد به الرب سبحانه وتعالى فمعنى الاستواء الاستعلاء والقهر ومعنى الدنو والتدلي تجليه بصفة الجمال والمحبة لعبده على حد ما قيل في ينزل ربنا كل ليلة (قوله فأوحى الى عبده ما أوحى) هذا مفرع على قوله وما ينطق عن الهوى ومشى المفسر على ان الضمير في أوحى الاول عائد على الله تعالى والمراد بالعبد جبريل والضمير في أوحى الثاني عائد على جبريل وهو احتمال من ثمانية أفادها العلامة الاجهوري وحاصلها ان يقال الضمير في أوحى الاول اما عائد على الله أو جبريل والثاني كذلك فهذه أربع وفي كل منها اما أن يراد بالعبد جبريل أو محمد فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير في أوحى الاول عائدا على جبريل ويراد بالعبد جبريل سواء جعل الضمير في أوحى الثاني عائدا على الله أو جبريل وباقيها صحيح والانسب بمقام المدح ان يعود الضمير في أوحى الاول والثاني على الله والمراد بالعبد محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى أوحى الله الى عبده محمد ما أوحاه الله اليه من العلوم والاسرار والمعارف التي لا يحصيها الا معطيها بواسطة جبريل وبغير واسطته حين فارقه عند الرفرف (قوله ولم يذكر الموحى به تفخيما لشأنه) أي واشارة الى عمومه واختلف في هذا الوحي به فقيل مبهم لا نطلع عليه وانما يجب علينا الايمان به اجمالا وقيل هو معلوم وفي تفسيره خلاف فقيل أوحى الله اليه ألم أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فأغنيتك ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان فالمعنى على التشديد ان ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره والتخفيف قيل كذلك وقيل هو على اسقاط الخافض والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه (قوله من صورة جبريل) بيان لما رأى وهذا أحد قولين وقيل هو الله عز وجل وعليه فقد رأى ربه مرتين مرة في مبادي البعثة ومرة ليلة الاسراء واختلف في تلك الرؤية فقيل رآه بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وعليه قول العارف البرعي

وان قابلت لفظة لن تراني * بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشيا عليه * وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضي الله عنها والصحيح الاول لان المثبت مقدم على النافي أو لان عائشة لم يبلغها احاديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن (قوله أفتمارونه) بضم التاء وبالالف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من مريته حقه اذا علمته وجحدته اياه قراءتان سبعيتان (قوله على ما يرى) أي على ما رآه وهو جبريل على كلام المفسر وذات الله تعالى على كلام غيره وعبر بالمضارع استحضارا للحالة المعهودة في ذهن المخاطبين (قوله ولقد رآه) اللام للقسم وقوله مرة أشار بذلك الى أن نزلة منصوب على الظرفية (قوله عند سدرة المنتهى) سميت بذلك اما لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها أو لانه ينتهي علم الانبياء اليها ويعزب علمهم عما وراءها أو لان الاعمال تنتهي اليها وتقبض منها أو لانتهاء الملائكة اليها ووقوفهم عندها أو لانه ينتهي

اليها أرواح الشهداء اولانه ينتهى اليها أرواح المؤمنين أولانه ينتهى اليها من كان على سنة رسول الله أقوال واضافة سدرة للمنتهى امامن اضافة الشئ الى مكانه والتقدير عندسدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وان الى ربك المنتهى (قوله لما اسرى به) اى وكان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر وقيل كان قبلها بثلاث سنين والرؤية الاولى كانت فى بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين (قوله وهى شجرة نبق) أى وفيها الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها فى الارض لاضاءت لاهلها قيل هى شجرة طوبى والصحيح انها غيرها والنبق بكسر الباء وسكونها واختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر لما قيل ان السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذى يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره قيل ان سدرة المنتهى قالت للنبى صلى الله عليه وسلم استوص باخوانى فى الارض خيرا فقال صلى الله عليه وسلم من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار واستشكل هذا الحديث بانه يقتضى أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة مع أنه خلاف المنصوص وأجيب بانه سئل ابوداود عن هذا الحديث فقال هو مختصر وحاصله من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه فى النار وبعد ذلك فهذا لا يخص السدر (قوله عندها جنة المأوى) حال من سدرة المنتهى (قوله تأوى اليها الملائكة الخ) وقيل هى الجنة التى أوى اليها آدم عليه السلام الى أن اخرج منها وقيل لان جبريل وميكائيل يأويان اليها فهذا وجه تسميتها جنة المأوى أولان أهل السعادة يأوون اليها (قوله ما يغشى) أبهم الموصول وصلته اشارة الى ان ما غشيها لا يحيط به الا الله تعالى (قوله من طير وغيره) وردعنه صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وورد أيضا انه عليه الصلاة والسلام قال ذهب بى جبريل الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كقلال هجر فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها فاوحى الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وقيل يغشاها أنوار التجلى وقت مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم لربه كما تجلى على الجبل عند مكالمة موسى لكن السدرة أقوى من الجبل فالجبل صار دكا وخر موسى صعقا ولم تتحرك السدرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ما زاغ البصر) أى لم يلتفت الى ما غشى السدرة من العجائب المتقدمة لان الزيغ هو الالتفات لغير الجهة التى تعنيه (قوله وما طغى) الطغيان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر فوصف صلى الله عليه وسلم بكمال الثبات والادب مع غرابة ما هو فيه اذ ذاك وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا نزه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناء (قوله لقد رأى) اللام فى جواب قسم محذوف (قوله الكبرى) أفاد المفسر أن من للتبعيض وهو مفعول لرأى والكبرى صفة لآيات ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة وفسر الكبرى بالعظام اشارة الى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها فيذهب السامع فيها كل مذهب فتدبر (قوله رفرفا) قيل هو فى الاصل ما تدلى على الاسرة من غالى الثياب ومن أعالى الفسطاط روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى العرش حتى وقف به بين يدى ربه ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حتى أداه الى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكى ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدى الله تعالى له خواص الامور فى محل الدنو والقرب كما أن البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك فى الارض (قوله أفرأيتم) استفهام انكارى قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الاوثان بعد بيان تلك البراهين

لما أسرى به فى السموات وهى شجرة نبق عن يمين العرش لا يجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم (عندها جنة المأوى) تأوى اليها الملائكة وأرواح الشهداء أو المتقين (اذ) حين (يغشى السدرة ما يغشى) من طير وغيره واذ معمولة لرآه (ما زاغ البصر) من النبى صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة (لقد رأى) فيها (من آيات ربه الكبرى) أى العظام أى بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح (أفرأيتم

القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالالوهية والعظمة وان ما سواه تعالى وان جلت مرتبته وعظم مقامه حقير في جانب جلال الله عز وجل (قوله اللات) اسم صنم كان في جوف الكعبة وقيل كان لثقيف بالطائف وقيل اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج وكان يجلس عند حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وأل في اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك * وقد تزاد لازما كاللات * وتاؤه قيل اصلية وعليه فاصله ليت وقيل زائدة وعليه فاصله لوى يلوى كأنهم كانوا يلوون أعناقهم اليها أو يلتوون أي يعتكفون عليها ويترتب على القولين الوقف عليها فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها وبعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها (قوله والعزى) تأنيث الاعز كالفضلى والافضل وهي اسم صنم وقيل شجرة سمر لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (قوله ومنات) اما بالهمزة بعد الالف او بالالف وحدها قراءتان سبعيتان اما مشتقة من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء أو من منى يمنى أي صب لان دماء النسك كانت تصب عندها (قوله للتين قبلها) أي اما صفة بالنظر للفظ أو بالنظر للرتبة والمعنى ان رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها (قوله صفة ذم للثالثة) أي لانها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار (قوله وهي أصنام من حجارة) أي ان الثلاثة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة وقيل اللات لثقيف بالطائف والعزى شجرة لغطفان ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وقيل ان اللات أخذه المشركون من لفظ الله والعزى من العزيز ومناة من منى الله الشئ قدره (قوله والثاني محذوف) أي وهو جملة استفهامية استفهاما انكاريا ذكرها بقوله ألهذه الاصنام الخ والمعنى أفرأيتموها قادرة على شئ (قوله ولما زعموا أيضا) أي كما زعموا ان الاصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى (قوله تلك اذا) أي اذا جعلتم البنات له والبنين لكم (قوله ضيزى) بكسر الضاد بعدها همزة أو ياء مكانها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح الضاد وسكون الياء (قوله وجار عليه) عطف تفسير وهذا المعنى لكل من القراآت الثلاث (قوله ما المذكورات) أي الاصنام المذكورات من حيث وصفها بالالوهية والمعنى ليس لها من وصف الالوهية التي أثبتموها لها الا لفظها واما معناها فهي خلية عنه لانها من أحقر المخلوقات وأذلها (قوله أي سميتم بها) دفع بذلك ما يقال ان الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتموها فاجاب بان الكلام من باب الحذف والايصال والمفعول الاول محذوف قدره بقوله أصناما (قوله أنتم) ضمير فصل أتى به توصلا للعطف وآباؤكم على الضمير المتصل في سميتموها على حد قول ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله ان يتبعون الا الظن) التفت من خطابهم الى الغيبة اشعارا بان كثرة قبائحهم اقتضت الاعراض عنهم (قوله مما زين لهم) بيان لما (قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة حالية من فاعل يتبعون والمعنى يتبعون الظن وهوى النفس في حالة تنافي ذلك وهو مجئ الهدى من عند ربهم (قوله بالبرهان) حال من الهدى والباء للملابسة والمراد بالبرهان المعجزات (قوله أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام انكاري والمعنى ليس للانسان ما يتمنى بل يعامل بضده حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع فالمراد بالانسان الكافر وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجئ لغير الله طلبا للفاني ويتبع نفسه فيما تطلبه فليس له ما يتمنى قال العارف

لا تتبع النفس في هواها * ان اتباع الهوى هوان

وأما أهل الصدق مع ربهم فلهم ما يتمنون وفوق ذلك لوعد الله الذي لا يخلف (قوله فلله الآخرة والاولى) كالدليل لما قبله والمعنى انه تعالى لا يعطي ما فيهما الا لمن اتبع هداه وترك هواه لانه مالك للدنيا والآخرة (قوله وكم من ملك الخ) هذا تقنيط للكفار من تعلق آمالهم بشفاعة معبوداتهم لهم (قوله أي وكثير من الملائكة الخ) أشار بذلك الى أن كم خبرية بمعنى كثيرا (قوله وما أكرمهم عند الله جملة تعجبية ...

اللات والعزى ومنات الثالثة) للتين قبلها (الاخرى) صفة ذم للثالثة وهي اصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون انها تشفع لهم عند الله ومفعول ارايت الاول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى اخبروني الهذه الاصنام قدرة على شئ ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره ولما زعموا ايضا ان الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه وجار عليه (ان هي) اي ما المذكورات (الا اسماء سميتموها) اي سميتم بها (انتم وآباؤكم) اصناما تعبدونها (ما انزل الله بها) اي بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (ان) ما (يتبعون) في عبادتها (الا الظن وما تهوى الانفس) مما زين لهم الشيطان من انها تشفع لهم عند الله تعالى (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه (أم للانسان) أي لكل انسان منهم (ما تمنى) من أن الاصنام تشفع لهم ليس الامر كذلك (فلله الآخرة والاولى) اي الدنيا فلا يقع فيهما الا ما يريده تعالى (وكم من ملك) اي وكثير من الملائكة (في السموات) وما اكرمهم عند الله (لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله) لهم فيها

ان يشاء) من عباده (ويرضى) عنه لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى ومعلوم انها لا توجد منهم الا بعد الاذن فيها من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) حيث قالوا هم بنات الله (وما لهم به) بهذا القول (من علم ان) ما (يتبعون) فيه (الا الظن) الذي تخيلوه (وان الظن لا يغني من الحق شيأ) أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أي القرآن (ولم يرد الا الحياة الدنيا) وهذا قبل الأمر بالجهاد (ذلك) أي طلب الدنيا (مبلغهم من العلم) أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أي عالم بهما فيجازيهما (ولله ما في السموات وما في الارض) أي هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) من الشرك وغيره (ويجزي الذين أحسنوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بالحسنى) أي الجنة وبين المحسنين بقوله (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللمم تغفر باجتناب الكبائر (ان ربك واسع المغفرة) بذلك وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هو أعلم) أي عالم (بكم اذ أنشأكم من الارض) أي خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين

جيء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم ومع ذلك فلا تغني شفاعتهم عنهم شيأ (قوله لمن يشاء) أي فيمن يشاء (قوله ومعلوم انها لا توجد منهم) راجع لقوله ولا يشفعون والقصد من ذلك التوفيق بين الآيتين في توقف الشفاعة على الاذن (قوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي وهم مشركوا العرب ان قلت كيف يقال انهم غير مؤمنين بالآخرة مع انهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله أجيب بانهم غير جازمين بالآخرة بدليل قوله تعالى حكاية عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وانما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال وأجيب أيضا بانهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينته الرسل (قوله تسمية الانثى) أي تسمية الاناث وذلك انهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فقالوا الملائكة اناث وجعلوهم بنات الله لكونهم لا أب لهم ولا أم (قوله بهذا القول) أي هم بنات الله (قوله ان يتبعون الا الظن) أي لانهم لم يشاهدوا خلقهم ولم يسمعوا ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد ولو اذعنوا للقرآن الذي لأفادهم صحة التوحيد ونفعهم (قوله أي عن العلم) أشار بذلك الى ان من بمعنى عن والحق بمعنى العلم (قوله فيما المطلوب فيه العلم) أي في الأمر الذي يطلب فيه العلم وهو الاعتقاديات بخلاف العمليات فالظن فيها كاف لاختلاف الأئمة في الفروع الفقهية فتحصل ان الأمور الاعتقادية كمعرفة الله تعالى ومعرفة الرسل وما أتوا به لا بد فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل ولا يكفي فيها الظن وأما الأمور العملية كفروع الدين فيكفي فيها غلبة الظن (قوله فأعرض عمن تولى) أي اترك دعوته والاهتمام بشأنه فانه لا تفيد دعوته الا عنادا واصرارا على الباطل (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي فهو منسوخ بآية القتال وقد تبع المفسر في ذلك أكثر المفسرين وقال الرازي انها ليست منسوخة بآية القتال بل هي موافقة لها وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم في الأول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه أمر بازالة شبههم والجواب عنها فقيل له وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به وقاتلهم فثمرة الاعراض القتال وقد يقال ان الخلاف لفظي فمن أراد بالاعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتي هي أحسن قال بالنسخ ومن أراد بالاعراض عنهم ترك مجادلتهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه (قوله مبلغهم من العلم) تسميته علما تهكم بهم (قوله ان ربك هو أعلم الخ) تعليل للأمر بالاعراض والمعنى ان الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله وبالمهتدي فيجازيه على هداه ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم (قوله ومنه الضال والمهتدي) دفع بذلك ما يقال كيف يجعل الجزاء علة لملك ما في السموات والارض مع انه ثابت لله تعالى بالذات فأجاب بانه علة لمحذوف دل عليه قوله ملك السموات والارض (قوله ليجزي الذين أساؤا الخ) أشار بذلك الى ان اللام متعلقة بمحذوف قدره بقوله يضل من يشاء الخ ويصح ان تكون اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى ان عاقبة أمر الخلق ان يكون فيهم المحسن والمسيء فيجازي المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة (قوله وبين المحسنين الخ) أي فالذين يجتنبون بدل أو عطف بيان من الذين أحسنوا أو مفعول لمحذوف تقديره أعني أو خبر لمحذوف تقديره هم الذين الخ (قوله كبائر الاثم) جمع كبيرة وهي ما ورد فيها وعيد أو حد (قوله والفواحش) اما عطف مرادف ان أريد بها الكبائر أو خاص ان أريد بها ما ترتب عليه عظيم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك (قوله الا اللمم) هو في الاصل ان يلم بالشيء ولم يرتكبه والمراد به فعل الصغائر (قوله كالنظرة) أي وكالكذب الذي لا حد فيه ولم يترتب عليه افساد بين الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والتبختر في المشي ونحو ذلك (قوله ان ربك واسع المغفرة) تعليل لقوله الا اللمم والمعنى ان عدم المؤاخذة على الصغائر ليس لكونها ليست ذنبا بل لسعة مغفرة الله (قوله بذلك) أي باجتناب الكبائر (قوله أي عالم) أشار بذلك الى انه ليس المراد صيغة التفضيل (قوله اذ أنشأكم من الارض) أي فهو عالم بكم حين ابتداء خلق أبيكم آدم من التراب وحين صوركم في الارحام (قوله جمع جنين)

سمي بذلك لاستتاره في بطن أمه (قوله لا تمدحوها) أي لا تثنوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى فان النفس خسيسة اذا مدحت اغترت وتكبرت فالذي ينبغي للشخص هضم النفس وذلها واستخفافها (قوله أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) أي ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (قوله هو أعلم بمن اتقى) أي بمن أخلص في طاعته وتقواه فينتفع بها ويثاب عليها وأما المرائي فلا ينتفع بطاعته بل يعاقب عليها لان الرياء يحبط العمل (قوله أي ارتد) أي بعد ان أسلم بالفعل وهذا أحد قولين وقيل قارب الاسلام ولم يسلم بالفعل (قوله وأعطاه من ماله) الضمير المستتر في أعطى عائد على الذي تولى والبارز عائد على الذي ضمن له عذاب الله فتحصل ان الضامن جعل على المتولي شيئين الرجوع الى الشرك وان يدفع له عددا معينا من ماله وجعل على نفسه هو شيأ واحدا وهو ضمان عذاب الله (قوله وأكدى) هو في الأصل من أكدى الحافر اذا أصاب كدية منعته من الحفر ومثله أجبل أي صادف جبلا منعه من الحفر ثم استعمل في كل من طلب منه شئ فلم يعطه (قوله أعنده علم الغيب) استفهام انكاري بمعنى النفي أي ليس عنده علم الغيب (قوله فهو يرى) عطف على قوله أعنده علم الغيب فهي داخلة في حيز الاستفهام (قوله وهو الوليد بن المغيرة) أي وهو قول مقاتل وعليه الاكثر (قوله أو غيره) أي فقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو أبو جهل وهذا الخلاف في بيان الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى وأما الذي غره وضمن له أن يحمل عنه العذاب فلم يذكر واتعيينه (قوله أم لم ينبأ بما في صحف موسى) أم منقطعة والمعنى أبل لم يخبر بالذي في صحف موسى الخ حتى يغتر بما قيل له وقدم موسى لقرب عهده منهم وخص هذين الرسولين لانهم كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل اذا قتل وظفر أهل المقتول بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى جاءهم ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى (قوله تمم ما أمر به) أي من تبليغ الرسالة وقيامه بالضيفان وخدمته اياهم بنفسه فكان يخرج يتلقى الضيفان من مسافة فرسخ فان وجد الضيفان أكرمهم وأكل معهم والا نوى الصوم وصبره على النار وذبح ولده وقيل المراد وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون العابدون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون وقيل المراد وفي بكلمات كان يقولهن اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى تظهرون والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشئ الا وفى به (قوله وبيان ما) أي فقوله أن لا تزر في محل جر بدل من ما في قوله بما في صحف موسى ويصح رفعه على أنه خبر لمحذوف أي هو ان لا تزر ونصبه على انه مفعول لمحذوف (قوله وازرة) صفة لموصوف محذوف أي نفس وازرة أي مكلفة بالوزر وليس المراد وازرة بالفعل (قوله وزر أخرى) أي وزر نفس أخرى (قوله الى آخره) المراد به قوله فبأي آلاء ربك تتمارى وهذا على فتح همزة ان في قوله وان الى ربك المنتهى وما بعده وهي ثمانية تضم لثلاث قبلها فتكون الجملة احد عشر شيأ وأما على قراءة الكسر في هذه الثمانية فيكون المراد بقوله الى آخره ثم يجزاه الجزاء الاوفى فيكون البيان بالثلاثة الاول فقط (قوله وان مخففة من الثقيلة) أي واسمها محذوف هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر (قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى) استشكل هذا الحصر بامور منها ان الدال على الخير كفاعله ومنها اتبعناهم ذرياتهم بايمان ومنها اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث الى قوله أو ولد صالح يدعو له ومنها غير ذلك قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ثالثها لاهل الكبائر في الخروج من النار رابعها ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض خامسها ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا ثامنها ان الميت

(في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) لا تمدحوها أي على سبيل الاعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هو أعلم) أي عالم (بمن اتقى أفرأيت الذي تولى) عن الايمان أي ارتد لما عير به وقال اني خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله ان رجع الى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع (وأعطى قليلا) من المال المسمى (وأكدى) منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم من جملته أن غيره يحمل عنه عذاب الآخرة لا وهو الوليد ابن المغيرة أو غيره وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني (أم) بل (لم ينبأ بما في صحف موسى) أسفار التوراة أي صحف قبلها (و) صحف (ابراهيم الذي وفى) تمم ما أمر به نحو واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وبيان ما (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) الخ وأن مخففة من الثقيلة أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها (وأن) أي انه (ليس للانسان الا ما سعى) من خير فليس له من سعي غيره الخير شئ (وأن سعيه سوف يرى

ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة عاشرها ان الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عاشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير الى آخر ما قال وأجيب بأجوبة منها ان الآية منسوخة ورد بأنها خبر والاخبار لا تنسخ ومنها ان المراد بالانسان الكافر ومنها ان هذا حكاية عما في صحف موسى وابراهيم فليس في شرعنا (قوله أي يصرف في الآخرة) أي لان العمل يصور بصورة جميلة ان كان صالحا وقبيحة ان كان سيئا ليكون سرورا للمؤمن وحزنا للكافر (قوله ثم يجزاه) الضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعي (قوله الجزاء الأوفى) مصدر مبين للنوع (قوله يقال جزيته سعيه الخ) أشار بذلك الى ان الجزاء يتعدى للمفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر (قوله بالفتح عطفا) أي على قوله ان لا تزر وازرة الخ وعليه فيكون من جملة ما في صحف موسى وابراهيم (قوله وقرئ بالكسر استئنافا) أي وعليه فيكون زائدا على ما في صحف موسى وابراهيم لان القرآن فيه ما في الصحف وزيادة (قوله وكذا ما بعدها) أي من قوله وانه هو أضحك وأبكى الى قوله وانه أهلك عادا الاولى والكسر شاذ (قوله الى ربك المنتهى) أي منتهى أمر الخلق ومرجعهم اليه تعالى وهذا كالدليل لقوله ثم يجزاه الجزاء الأوفى كأنه قال الله يجزي الانسان على أعماله الجزاء الأوفى لانه اليه المنتهى في الامور كلها واذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يرجع الى ربه في أموره كلها ولا يعول على شيء من الاشياء لانه الآخذ بالنواصي واختلف في المخاطب بقوله وأن الى ربك المنتهى فقيل كل عاقل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على قراءة الكسر وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل وقيل موسى وابراهيم على سبيل التوزيع لانه محكي عن صحفهما (قوله أفرحه) أشار بذلك الى ان الضحك مستعمل في حقيقته وكذا البكا وان مفعول كل من الفعلين محذوف (قوله وانه خلق الزوجين الخ) الحكمة في اسقاط ضمير الفصل في هذا واثباته في قوله وانه هو أضحك وأبكى [illegible] الاشارة لدفع توهم ان للمخلوق مدخلا في الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء [illegible] ولما يحصل في خلق الذكر والانثى وما بعده توهم ان للغير مدخلا لم يؤكده بضمير [illegible] أي جميع الاحياء كائنة قوله اما نحن نحيي ونميت اذ لا يجب [illegible] (قوله بالمد والقصر) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعطى المال المتخذ قنية) أي [illegible] (قوله رب الشعرى) اعلم ان الشعرى في لسان العرب كوكبان [illegible] وتسمى الشعرى اليمانية تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر كانت تعبدها خزاعة من العرب [illegible] عبادتها رجل من ساداتهم يقال له أبو كبشة وهي المرادة في الآية والثاني [illegible] بضم الغين وفتح الميم من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين (قوله بادغام التنوين) أي [illegible] أي لام التعريف وقوله وضمها أي بنقل حركة همزة أولى الها [illegible] التي بعد اللام المدغم فيها التنوين وبقي قراءة [illegible] هذه القراءة [illegible] قلب همزة ساكنة (قوله هي قوم هود) أي وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية [illegible] قوم صالح وهم ثمود فاهلكت الأولى بالريح الصرصر والثانية بصيحة جبريل وسمي كل من [illegible] عاد باسم جدهم واحد وهو عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام (قوله وهو معطوف على عادا) [illegible] بفعل محذوف تقديره وأهلك ثمودا وليس منصوبا بأبقى لان ما بعد النفي لا يعمل فيما قبلها (قوله أهلكناهم) صوابه أهلكهم وأشار بذلك الى أن قوله وقوم نوح منصوب بفعل محذوف ويصح عطفه على ما قبله (قوله انهم كانوا هم أظلم وأطغى) الضمير عائد على قوم نوح [illegible] ويصح عوده على الفرق الثلاثة والمعنى أظلم وأطغى من غيرهم (قوله [illegible] حتى يعصي [illegible] فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (قوله [illegible] ومعنى المؤتفكة المنقلبة لان الائتفاك

أي يصرف في الآخرة (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) الأكمل يقال جزيته سعيه وبسعيه (وأن) بالفتح عطفا وقرئ بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني (الى ربك المنتهى) المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم (وأنه هو أضحك) من شاء أفرحه (وأبكى) من شاء أحزنه (وأنه هو أمات) في الدنيا (وأحيى) للبعث (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى من نطفة) مني (اذا تمنى) تصب في الرحم (وأن [illegible] النشأة) بالمد والقصر (الأخرى) الخلقة الأخرى [illegible] بعد الخلقة الأولى (وأنه [illegible]

[illegible]

الانقلاب (قوله مقلوبة) حال من ضمير اسقطها (قوله فغشاها) أى ألبسها وكساها والفاعل ضمير عائد على الله تعالى وقوله ما غشى مفعول به (قوله تهويلا) أى تفخيما وتعظيما والمعنى غشاها أمرا عظيما من حجارة وغيرها مما لا يسع العقول وصفه (قوله وفى هود فجعلنا الخ) الصواب ان يقول وفى هود فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها الخ أو يقول وفى الحجر فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم بدل قوله عليها (قوله فبأى) الباء ظرفية متعلقة بتتمارى والمعنى فى أى آلاء ربك تتشكك (قوله أيها الانسان) أى مطلقا وقيل المراد به الوليد بن المغيرة وقيل الخطاب للنبى والمراد غيره (قوله هذا نذير من النذر الاولى) النذير بمعنى المنذر والتنوين للتفخيم (قوله أزفت الآزفة) ازف من باب تعب دنا وقرب (قوله قربت القيامة) أى الموصوفة بالقرب فهى فى نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا لان كل آت قريب وقد ازدادت قربا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من امارات الساعة كما هو معلوم (قوله نفس كاشفة) أشار بذلك الى أن كاشفة صفة لموصوف محذوف (قوله أى لا يكشفها ويظهرها الا هو) أى فهو من كشف الشئ عرف حقيقته ويصح أن يكون من كشف الضر ازاله والمعنى ليس لها مزيل غيره تعالى لكنه لم يفعل ذلك لانه سبق فى علمه وقوعها (قوله أفمن هذا الحديث) متعلق بتعجبون (قوله تكذيبا) قيد به لان التعجب قد يكون استحسانا وكذا يقال فى قوله استهزاء (قوله وأنتم سامدون) اما مستأنف أو حال (قوله لاهون غافلون) أى فالسمود اللهو والغفلة وقيل الاعراض والاستكبار (قوله فاسجدوا لله) يحتمل أن المراد به سجود الصلاة وهو ما عليه مالك ويحتمل أن المراد سجود التلاوة وبه أخذ الشافعى وأبو حنيفة ويؤيده ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس الا أبى ابن خلف رفع كفا من تراب على جبهته وقال يكفى هذا (قوله واعبدوا) عطف عام على خاص وقوله ولا تسجدوا للاصنام الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق

﴿ سورة القمر ﴾

جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة (قوله الآية) أى وآخرها ويولون الدبر (قوله قربت القيامة) أشار بذلك الى أن الفعل المزيد بمعنى المجرد وانما أتى بالمزيد مبالغة لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى والمراد بالقيامة خروج الناس عن القبور وله اسماء كثيرة الحاقة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء وغير ذلك (قوله وانشق القمر) اعلم أنه يسمى قمرا بعد ثلاث من الشهر وقبلها هلالا الى أربعة عشر وليلتها يسمى بدرا (قوله فلقتين) تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزنا ومعنى والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أولا لم يثبت وأما قول البوصيرى

شق عن صدره وشق له البد ＊ ر ومن شرط كل شرط جزاء

فان كان عن نقل صحيح فهو مقبول لانه حجة والا فتسميته بدرا مجاز وما ذكره المفسر من أنه انفلق بالفعل هو المشهور وقيل المعنى سينشق القمر اذا قامت القيامة لان السماء تنشق حينئذ بما فيها وقيل أن المعنى ظهر الامر واتضح (قوله وقعيقعان) هو جبل مقابل لأبى قبيس (قوله وقد سئلها) الجملة حالية والمسؤل اما مطلق آية أو خصوص انشقاق القمر روايتان (قوله فقال اشهدوا) أى بأنى رسول الله ولست بساحر كما تزعمون (قوله يعرضوا) أى عن الايمان بها (قوله هذا سحر) أشار بذلك الى أن سحر خبر لمحذوف (قوله قوى أو دائم) هذان قولان من أربعة أقوال والثالث ان معناه ذاهب لا يبقى مأخوذ من المرور والرابع ان معناه مر بشع لا نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر (قوله وكذبوا واتبعوا) عبر بالماضى اشارة الى أن التكذيب واتباع الهوى من عادتهم ودأبهم (قوله وكل أمر مستقر) جملة مستأنفة مركبة من مبتدا وخبر قاطعة لاطماعهم الكاذبة والمعنى كل أمر من الامور منته الى غاية يستقر عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله مستقر بأهله) الباء بمعنى اللام والمعنى ثابت لاهله ما ينشأ عنه من ثواب

مقلوبة الى الأرض بأمر جبريل بذلك (فغشاها) من الحجارة بعد ذلك (ما غشى) أبهم تهويلا وفى هود فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (فبأى آلاء ربك) أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته (تتمارى) تتشكك أيها الانسان أو تكذب (هذا) محمد (نذير من النذر الاولى) من جنسهم أى رسول كالرسل قبله ارسل اليكم كما ارسلوا الى أقوامهم (أزفت الآزفة) قربت القيامة (ليس لها من دون الله) نفس (كاشفة) أى لا يكشفها ويظهرها الا هو كقوله لا يجليها لوقتها الا هو (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) تكذيبا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) لسماع وعده ووعيده (وأنتم سامدون) لاهون غافلون عما يطلب منكم (فاسجدوا لله) الذى خلقكم (واعبدوا) ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها

＊ سورة القمر مكية الا سيهزم الجمع الآية وهى خمس وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) انفلق فلقتين على أبى قبيس وقعيقعان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سئلها فقال اشهدوا رواه الشيخان (وان يروا) أى كفار قريش (آية) معجزة له صلى الله عليه وسلم (يعرضوا ويقولوا) هذا (سحر مستمر) قوى من المرة القوة أو دائم (وكذبوا) النبى صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) فى الباطل (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) بأهله فى الجنة أو النار (ولقد جاءهم من الأنباء) أخبار اهلاك الامم المكذبة رسلهم (ما فيه مزدجر) لهم اسم مصدر

أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة او موصوفة (حكمة) خبر مبتدا محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بالغة) تامة (فما تغن) تنفع فيهم (النذر) جمع نذير بمعنى منذر أى الامور المنذرة لهم وما للنفى أو للاستفهام الانكارى وهى على الثانى مفعول مقدم (فتول عنهم) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يوم يدع الداع) هو اسرافيل وناصب يوم يخرجون بعد (الى شئ نكر) بضم الكاف وسكونها أى منكر تنكره النفوس لشدته وهو الحساب (خاشعا) ذليلا وفى قراءة خشعا بضم الخاء وفتح الشين مشددة (ابصارهم) حال من فاعل (يخرجون) أى الناس (من الاجداث القبور (كأنهم جراد منتشر) لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله (مهطعين) أى مسرعين مادين اعناقهم (الى الداع يقول الكافرون) منهم (هذا يوم عسر) أى صعب على الكافرين كما فى المدثر يوم عسير على الكافرين (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أى انتهروه بالسب وغيره (فدعا ربه أنى) بالفتح أى بأنى (مغلوب فانتصر ففتحنا) بالتخفيف والتشديد أبواب السماء

وعقاب (قوله او اسم مكان) أى على أن فيه تجريدا والمعنى انه موضع ازدجار (قوله بدل من تاء لافتعال) أى لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فابدلوها الى حرف مجهور قريب من التاء وهو الدال وكما تقلب تاء الافتعال دالا بعد الزاى كذلك تقلب دالا بعد الدال والذال قال ابن مالك * فى أدان وازدد وادكر دالا بقى * (قوله وما موصولة أو موصوفة) أى وهى فاعل بجاء ومن الانباء حال منها (قوله أو بدل من ما) أى بدل كل من كل أو بدل اشتمال (قوله بالغة تامة) أى لاخلل فيها (قوله فما تغن النذر) حذفت الياء لفظا لالتقاء الساكنين وتحذف فى الخط اتباعا للفظ ولرسم المصحف (قوله أى الامور المنذرة لهم) أى كما وقع للامم السابقة من العذاب (قوله مفعول مقدم) أى مفعول به والمعنى فاى شئ من الاشياء النافعة تغنى النذر أو مفعول مطلق والمعنى فأى اغناء تغنى النذر (قوله فتول عنهم) قيل منسوخة بآية السيف وقيل غير منسوخة بل معناها فتول عنهم ولا تكلمهم بل قاتلهم (قوله هو فائدة ما قبله) أى نتيجته وثمرته (قوله يوم يدع الداع) حذفت الواو من يدع لفظا لالتقاء الساكنين وخطا تبعا لرسم المصحف واللفظ وحذفت الياء من الداع خطا لانها من ياآت الزوائد وأما فى اللفظ فقرئ فى السبع باثباتها وحذفها وكذا يقال فى الداع الآتى (قوله هو اسرافيل) هذا أحد قولين وقيل هو جبريل يقول فى ندائه ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (قوله وناصب يوم يخرجون بعده) أى أو محذوف تقديره اذكر (قوله بضم الكاف الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله تنكره النفوس) أى جميعها أو نفوس الكفار لان المؤمنين حينئذ يكونون آمنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله حال) أى قوله خاشعا وابصارهم فاعل به وأسند الخشوع للابصار لانه يظهر فيها أكثر من بقية البدن (قوله أى الناس) أى مؤمنهم وكافرهم (قوله من الاجداث) جمع جدث بفتحتين كفرس وأفراس (قوله كأنهم جراد منتشر) أى فى الكثرة والانتشار فى الامكنة (قوله لا يدرون اين يذهبون الخ) اعلم أن الناس حين الخروج من القبور شبهوا فى هذه الآية بالجراد المنتشر وفى الآية الأخرى بالفراش المبثوث فمن حيث تحيرهم وتداخل بعضهم فى بعض شبهوا بالفراش المبثوث ومن حيث انتشارهم وقصدهم الجهة التى يجتمعون فيها شبهوا بالجراد المنتشر اذا علمت ذلك فما قاله المفسر لا يناسب تشبيههم بالجراد بل بالفراش هكذا قالوا فتدبر (قوله مادى أعناقهم الخ) أى فمعنى مهطعين مادين الاعناق مع سرعة المشى (قوله يقول الكافرون الخ) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وشدائدها كأنه قيل فما يقول الكافر حينئذ (قوله كما فى المدثر) أى ففى المدثر ما يفيد أن الصعوبة والشدة لخصوص الكافر (قوله كذبت قبلهم قوم نوح) تفصيل لما أجمل أولا فى قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر (قوله لمعنى قوم) أى وهو الامة (قوله فكذبوا عبدنا) تفصيل لقوله كذبت قبلهم قوم نوح فالمكذب والمكذب فى الموضعين واحد (قوله وازدجر) عطف على قالوا والمعنى قالوا مجنون وانتهروه (قوله وغيره) أى كالضرب والخنق فكانوا يضربونه ويخنقونه حتى يغشى عليه فيتركونه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قوله فدعا ربه) أى بعد صبره عليهم الزمن الطويل فمكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يعالجهم فلم يفد فيهم شيأ (قوله أنى مغلوب) بفتح الهمزة فى قراءة العامة على حكاية المعنى ولو حكى اللفظ لقال انه مغلوب وقرئ شذوذا بكسر الهمزة على اضمار القول والمعنى فدعا ربه قائلا انى مغلوب (قوله فانتصر) أى انتقم لى منهم وذلك بعد يأسه من ايمانهم حيث أوحى الله اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ودعا عليهم أيضا بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وبقوله فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين (قوله ففتحنا) عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أبواب السماء) اى جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب

(بماء منهمر) منصب انصبابا شديدا (وفجرنا الارض عيونا) تنبع (فالتقى الماء) ماء السماء والارض (على أمر) حال (قد قدر) قضى به فى الازل وهو هلاكهم غرقا (وحملناه) أى نوحا (على) سفينة (ذات الالواح ودسر) وهو ما تشد به الالواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة (جزاء) منصوب بفعل مقدر أى أغرقوا انتصارا (لمن كان كفر) وهو نوح صلى الله عليه وسلم وقرئ كفر بناء للفاعل أى أغرقوا عقابا لهم (ولقد تركناها) أبقينا هذه الفعلة (آية) لمن يعتبر بها أى شاع خبرها واستمر (فهل من مدكر) معتبر متعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها (فكيف كان عذابى ونذر) أى انذارى استفهام تقرير وكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر (فهل من مدكر) متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الامر أى احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره (كذبت عاد) نبيهم هودا فعذبوا (فكيف كان عذابى ونذر) أى انذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه وقد بينه بقوله (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم من حفر الارض

حقيقة تفتح وتغلق وهو كذلك (قوله بماء) الباء للتعدية مبالغة حيث جعل الماء كالآلة التى يفتح بها (قوله منهمر) المنهمر الغزير النازل بقوة (قوله وفجرنا الارض عيونا) تمييز محول عن المفعول لان أصله وفجرنا عيون الارض (قوله تنبع) أى تخرج من العين ومكث الماء ينصب من السماء وينبع من الارض أربعين يوما قيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الارض حارا مثل الحميم وهل كان ماء السماء أكثر أو ماء الارض أو مستويين أقوال (قوله فالتقى الماء) أى جنسه الصادق بماء السماء وماء الارض (قوله وغيرها) أى كالصفائح والخشب الذى تسمر فيه الالواح والخيوط ونحوها (قوله جمع دسار) وقيل جمع دسر بسكون السين كسقف وسقف (قوله تجرى) صفة ثانية للموصوف المحذوف (قوله بأعيننا) حال من ضمير تجرى (قوله منصوب بفعل مقدر) أى مفعول لاجله (قوله وهو نوح) أى لانه نعمة كفر وها اذ كل نبى نعمة على أمته (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله هذه الفعلة) أى وهى الغرق على هذا الوجه وقيل هى السفينة بناء على أنها بقيت على الجودى زمانا مديدا حتى رآها أوائل هذه الامة (قوله معتبر متعظ بها) أى يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويفعل الطاعة (قوله وكذا المعجمة) أى الذال التى قبل التاء أبدلت دالا مهملة وقوله وأدغمت أى الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة وقوله فيها أى فى الدال المنقلبة عن التاء (قوله ونذر) باثبات الياء لفظا وحذفها قراءتان سبعيتان وأما فى الرسم فلا تثبت لانها من ياءات الزوائد وكذا يقال فى المواضع الآتية (قوله وكيف خبر كان) أى فهى ناقصة وعذابى اسمها (قوله وهى للسؤال عن الحال) أى فاذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له كيف أنت أصحيح أم سقيم مثلا (قوله بوقوع عذابه تعالى الخ) أى انه فى غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور (قوله سهلناه للحفظ) أى أعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه وليس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب الا القرآن ولم يكن هذا لبنى اسرائيل ولم يكونوا يقرؤن التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت ومن هذا المعنى قوله تعالى فى الحديث القدسى وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم (قوله وهيأناه للتذكر) أى بأن أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيأ ومسهلا لمن يريد حفظ اللفظ أو حفظ المعنى أو الاتعاظ به فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة (قوله والاستفهام بمعنى الامر) أى فهو للتحضيض (قوله أى احفظوه واتعظوا به) أى ليكمل لكم الاصطفاء فان من آتاه الله القرآن حفظا أو اتعاظا فقد جعله الله من أهله ومن جمع بين الامرين فهو على أكمل الاحوال (قوله كذبت عاد الخ) هذا أيضا من جملة تفصيل قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وذكر قصة عاد عقب قصة قوم نوح لانهم من ذرية نوح لان عادا هو ابن ارم بن سام بن نوح (قوله فكيف كان عذابى ونذر) مرتب على محذوف قدره بقوله فعذبوا (قوله أى وقع موقعه) أى فتعذيبهم عدل منه تعالى لانه أنذرهم أولا على لسان نبيهم فلم يؤمنوا وذلك لانه جرت عادة الله تعالى انه لا يؤاخذ عبدا بغير جرم تنزلا منه تعالى والا فلو آخذ عباده بغير جرم لا يسمى ظالما لانه تصرف فى ملكه والظلم التصرف فى ملك الغير بغير اذنه (قوله وقد بينه بقوله الخ) أشار بذلك الى ان قوله انا أرسلنا الخ تفصيل لما أجمل أولا (قوله شؤم) أى غير مبارك (قوله دائم الشؤم) أى الى الابد عليهم وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه فهو يوم نحس على الكافرين ويوم مبارك على المؤمنين (قوله أو قويه) أى فهو مأخوذ من المرة وهى القوة وفى الحقيقة هو دائم الشؤم قويه (قوله آخر الشهر) أى شهر شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب الشمس من يوم الاربعاء آخره والمعنى انه أتاهم العذاب يوم الاربعاء والباقى من شوال ثمانية أيام فاستمر عليهم لآخره قال تعالى فى سورة الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اذا علمت ذلك فليس المراد بقول المفسر آخر الشهر ان يوم نزول العذاب كان آخر الشهر بل هو منتهاه (قوله تنزع الناس) أظهر

المندسين فيها وتصرعهم على رؤسهم فتدق رقابهم فتبين الراس عن الجسد (كأنهم) وحالهم ما ذكر (أعجاز) أصول (نخل منقعر) منقلع
ساقط على الارض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث في الحاقة نخل خاوية مراعاة للفواصل في الموضعين (فكيف

كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر أي بالامور التي أنذرهم بها نبيهم صالح ان لم يؤمنوا به ويتبعوه (فقالوا أبشرا) منصوب على الاشتغال (منا واحدا) صفتان لبشرا (نتبعه) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك أي لا نتبعه (انا اذا) أي ان اتبعناه (لفي ضلال) ذهاب عن الصواب (وسعر) جنون (أألقي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذكر) الوحي (عليه من بيننا) أي لم يوح اليه (بل هو كذاب) في قوله انه أوحي اليه ما ذكر (أشر) متكبر بطر قال تعالى (سيعلمون غدا) في الآخرة (من الكذاب الأشر) وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا (انا مرسلو الناقة) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فتنة) محنة (لهم) لنختبرهم (فارتقبهم) يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم (واصطبر) الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على اذاهم (ونبئهم ان الماء قسمة) مقسوم (بينهم) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كل شرب) نصيب من الماء (محتضر) يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك منه
ثم ملوه فهموا بقتل الناقة (فنادوا صاحبهم) قدارا ليقتلها (فتعاطى) تناول السيف (فعقر) به الناقة أي قتلها موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبينه بقوله

في مقام الاضمار ليكون صريحا في عموم الذكور والاناث والافمقتضى الظاهر تنزعهم (قوله المندسين فيها) أي في قدر وي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (قوله وحالهم ما ذكر) الجملة حالية من ضمير كأنهم وفيه اشارة الى ان قوله كأنهم حال من الناس مقدرة وذلك لانهم حين اخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النخل بل كانوا كذلك بعد ما حصل لهم ما ذكر (قوله أصول نخل) المراد بها النخل بتمامها من أولها لآخرها ما عدا الفروع والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رؤسه (قوله منقلع) تفسير لمنقعر وفيه اشارة الى قوتهم وثبات أجسامهم في الارض وكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح لم يستطيعوا الانها لشدتها تقلعهم كما تقلع النخل من الارض (قوله وذكرها) أي حيث قال منقعر ولم يقل منقعرة وقوله وأنث في الحاقة أي حيث قال خاوية ولم يقل خاو (قوله في الموضعين) أي فهنا الفاصلة على الراء وهناك على الهاء (قوله فكيف كان عذابي ونذر) كرره للتهويل والتعجيب من أمرهم (قوله أي الامور التي أنذرهم بها) هذا أحد وجهين في تفسير النذر والثاني أنه جمع نذير بمعنى الرسل المنذرين لهم وجمعهم لان من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل (قوله منصوب على الاشتغال) أي وهو الفصيح الراجح لتقدم أداة هي بالفعل أولى (قوله والاستفهام بمعنى النفي) أي فهو انكاري (قوله جنون) أي فسعر مفرد ويصح أن يكون جمع سعير وهو النار (قوله وادخال ألف بينهما الخ) أي فالقرا آت أربع سبعيات (قوله من بيننا) حال من الهاء في عليه والمعنى أخص بالرسالة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا (قوله أي لم يوح اليه) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري (قوله قال تعالى) أي وعيدا لهم ووعدا له (قوله أي في الآخرة) هذا أحد قولين في تفسير الغد وقيل المراد به يوم نزول العذاب الذي حل بهم في الدنيا (قوله من الكذاب) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعولين والمعنى سيعلمون غدا أي فريق هو الكذاب الاشر أهو هم أو صالح عليه السلام (قوله انا مرسلوا الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود به من العذاب وذلك لانه جرت عادة الله تعالى انه اذا أراد تعذيب قوم اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها أوردانهم قالوا لصالح عليه السلام نريد ان نعرف المحق منا بان ندعو آلهتنا وتدعو الهك فمن أجابه الهه علمنا انه المحق فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء فأجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك وأكدوا وكذبوا ثانيا بعدما كذبوا أولا في ان آلهتهم تجيبهم (قوله من الهضبة) بفتح الهاء وسكون الضاد وهو الجبل المنبسط على الارض ويجمع على هضب وهضاب (قوله فتنة لهم) مفعول لاجله (قوله بدل من تاء الافتعال) أي لوقوعها اثر حرف من حروف الاطباق وهو الصاد (قوله ونبئهم) أي أخبرهم (قوله ان الماء) أي وهو ماء بئرهم الذي كانوا يشربون منه (قوله قسمة بينهم وبين الناقة) ظاهره ان الضمير في بينهم واقع عليهم فقط وان في الكلام حذف الواو مع ما عطفت والاسهل ان الضمير واقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب (قوله ويوم لها) أي فكانت لا تبقي شيأ في البئر ويومها يكتفون بلبنها (قوله فنادوا صاحبهم) مرتب على محذوف قدره بقوله فتمادوا على ذلك الخ والمعنى انهم بقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمر اذا صدرت عن الماء فاجتمعوا وكمن لها قدار بن سالف في أصل شجرة في طريقها التي تمر بها فرماها فقطع عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها (قوله موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ما هنا وما في الشعراء حيث قال فعقروها فتحصل ان مباشرة القتل كان

انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب
والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر) أي بالامور
المنذرة لهم على لسانه (انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا (الا آل لوط) وهم ابنتاه معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لانه معرفة معدول عن السحر لان حقه ان يستعمل في المعرفة بأل وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بانه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع وان كان من الجنس تسمحا (نعمة) مصدر أي انعاما (من عندنا كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نجزي من شكر) انعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهم (ولقد أنذرهم) خوفهم لوط (بطشتنا) أخذتنا اياهم بالعذاب (فتماروا) تجادلوا وكذبوا (بالنذر) بانذاره (ولقد راودوه عن ضيفه) أي ان يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الاضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة (فطمسنا أعينهم) أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه (فذوقوا) فقلنا لهم ذوقوا (عذابي ونذر) أي انذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته (ولقد صبحهم بكرة) وقت الصبح من يوم غير معين (عذاب مستقر) دائم متصل بعذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون) قومه معه (النذر) الانذار على لسان موسى وهرون فلم يؤمنوا بل (كذبوا بآياتنا كلها) أي التسع
التي أوتيها موسى (فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز) قوي (مقتدر) قادر لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا قريش (خير من أولئكم)

منه لكن باجماعهم عليه (قوله انا أرسلنا عليهم صيحة) أي صاح بهم جبريل في اليوم الرابع من عقر الناقة وذلك ان عقرها يوم الثلاثاء فتوعدهم صالح بالعذاب وأخبرهم بانهم يصبحون يوم الاربعاء صفر الوجوه ويوم الخميس حمر الوجوه ويوم الجمعة سود الوجوه وفي السبت ينزل بهم العذاب وكان الامر كما ذكر (قوله كهشيم المحتظر) تشبيه لاهلاكهم والحظيرة زريبة الغنم ونحوها والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره لتكون وقاية لمواشيه من الحر والبرد والسباع (قوله كذبت قوم لوط) أي وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأرسل لهم وذلك ان لوطا هو ابن أخي ابراهيم الخليل عليهما السلام خرج مع عمه من العراق فنزل ابراهيم بفلسطين ولوط بسدوم وقراها فارسله الله لهم فكذبوه فحل بهم العذاب (قوله المنذرة) أي المخوفة (قوله ريحا ترميهم بالحصباء) اشار بذلك الى ان حاصبا اسم فاعل صفة لموصوف محذوف وفيه دليل على ان أمطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح لها (قوله من يوم غير معين) أي غير مقصود تعيينه للمخاطبين فلا ينافي تعيينه في الواقع ولمن حضر (قوله أي وقت الصبح) هذا تفسير مراد يدل عليه قوله في الآية الأخرى ان موعدهم الصبح والا فحقيقة السحر ما كان آخر الليل والباء بمعنى في (قوله لان حقه أن يستعمل في المعرفة) أي في ارادة التعريف (قوله تسمحا) أي تساهلا في العبارة وأشار بذلك الى أن وجه كون الاستثناء منقطعا بعيد لان أهل لوط من جنس القوم على كل حال سواء قلنا بنزول الحاصب على الجميع أو على غير أهل لوط فتحصل ان الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه وجعله منقطعا بعيد (قوله مصدر) أي مؤكد لعامله في المعنى وهو نجيناهم اذ الانجاء نعمة أو مفعول لمحذوف من لفظه أي انعمنا عليهم نعمة (قوله أي مثل ذلك الجزاء) أي الذي هو الانجاء (قوله نجزي من شكر) أي فلا خصوصية لآل لوط بل هو عام لكل من شكر نعمه تعالى قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية وقوله أو من آمن عطف على من شكر عطف تفسير وفي ذلك اشارة الى تفسيرين للموصول فقيل ان المراد من شكر النعمة مع أصل الايمان وقيل هو من ضم الى الايمان عمل الطاعات (قوله تجادلوا وكذبوا) أشار بذلك الى أنه ضمن تمارى معنى التكذيب فتعدى تعديته (قوله بانذاره) اي أو بالامور التي خوفهم بها لوط (قوله ولقد راودوه عن ضيفه) أي أرادوا منه تمكينهم ممن آتاه من الملائكة في صورة الاضياف للفاحشة والمراودة الطلب المتكرر (قوله ليخبثوا بهم) الخبث الزنا والمراد به ما يشمل اللواط وهو المراد هنا وهو من باب قتل (قوله عميناها) صوابه أعميناها بالهمز لان عمي ثلاثي لازم والمتعدي انما هو الرباعي (قوله وجعلناها بلا شق) هذا أحد قولين وقيل بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم (قوله فقلنا لهم) أي على ألسنة الملائكة (قوله من يوم غير معين) أي لم يرد الله تعيينه لنا والا فهو معين في علم الله وعلم من بقي من المؤمنين (قوله عذاب مستقر) أي فقلع جبريل بلادهم فرفعها وقلبها وأمطر الله عليها حجارة من سجيل (قوله دائم متصل بعذاب الآخرة) أي فلا يزول عنهم حتى يصلوا الى النار (قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ) حكمة تكرار ذلك في كل قصة التنبيه على الاتعاظ والتدبر اشارة الى أن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب كما كرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان تقريرا للنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة وبخ على التكذيب بها (قوله الانذار) أي فهو مصدر ويصح حمله جمع نذير باعتبار الآيات التسع (قوله كذبوا بآياتنا) استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا الخ (قوله أي التسع) أي وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله أخذ عزيز) من اضافة المصدر لفاعله (قوله خير من أولئكم) أي في القوة والشدة (قوله

المذكورين من قوم نوح الى فرعون فلم يعذبوا (أم لكم) يا كفار قريش (براءة) من العذاب (في الزبر) الكتب والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي أي ليس الامر كذلك (أم يقولون) أي كفار قريش (نحن جميع) أي جمع (منتصر) على محمد ولما قال أبو جهل يوم بدر أنا جمع منتصر نزل (سيهزم الجمع

ويولون الدبر) فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (بل الساعة موعدهم) بالعذاب (والساعة) عذابها (أدهى) أعظم بلية (وأمر) أشد مرارة من عذاب الدنيا (ان المجرمين في ضلال) هلاك بالقتل في الدنيا (وسعر) نار مسعرة بالتشديد أي مهيجة في الآخرة (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي في الآخرة ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) اصابة جهنم لكم (انا كل شئ) منصوب بفعل يفسره (خلقناه بقدر) بتقدير حال من كل أي مقدرا وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه (وما أمرنا) لشئ نريد وجوده (الا) أمرة (واحدة كلمح بالبصر) في السرعة وهي قول كن فيوجد انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم في الكفر من الامم الماضية (فهل من مدكر) استفهام بمعنى الامر أي اذكروا واتعظوا (وكل شئ فعلوه) أي العباد مكتوب (في الزبر) كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الذنب أو العمل (مستطر) مكتتب في اللوح المحفوظ (ان المتقين في جنات) بساتين (ونهر) أريد به الجنس وقرئ بضم النون والهاء جمعا كأسد وأسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر (في مقعد صدق) مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا وهو صادق ببدل البعض وغيره (عند مليك) مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعه (مقتدر) قادر لا يعجزه شئ وهو الله تعالى

من قوم نوح الى فرعون) أي وهم خمس فرق قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه (قوله فلم يعذبوا) مسبب عن المنفي والمعنى أتزعمون ان كفاركم خير ممن كفر من الامم قبلكم فيتسبب عن ذلك عدم تعذيبكم (قوله أم لكم براءة في الزبر) اضراب انتقالي الى وجه آخر من التبكيت (قوله بمعنى النفي) أي فهو انكاري (قوله منتصر) أي فنحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى (قوله نزل) أي يوم بدر أي أو كر نزل ولما لما روى انها لما نزلت قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم أعلم ما هي أي الواقعة التي يكون فيها ذلك فلما كان يوم بدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته أي علمت المراد من هذه الآية (قوله ويولون الدبر) هو اسم جنس لان كل واحد يولي دبره وأتى به مفردا لموافقة رؤس الآى (قوله بل الساعة موعدهم) أي فليس ما وقع لهم في الدنيا تمام عقوبتهم بل هو مقدماته (قوله والساعة أدهى) افعل تفضيل من الداهية وهي الامر الفظيع الذي لا يهتدي لخلاص منه والاظهار في مقام الاضمار للتهويل (قوله نار مسعرة) أي شديدة (قوله يوم يسحبون) ظرف لقول محذوف تقديره ويقال لهم أو ظرف لسعر (قوله اصابة جهنم) أشار بذلك الى ان المس مجاز أطلق وأريد منه الاصابة وسقر علم لجهنم مشتق من سقرته الشمس أو النار لوحته أي غيرته (قوله منصوب بفعل الخ) هذه قراءة العامة وهي أرجح لان الرفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ وخلقناه صفة لشئ وبقدر خبره لانه يكون مفهومه ان هنالك شيأ ليس مخلوقا لله وليس بقدر مع ان مختار أهل السنة كل شئ مخلوق لله تعالى والمعنى كل شئ خلقناه بقضاء وحكم وتدبير محكم وقوة بالغة واختلف في تعريف القدر فقالت الاشاعرة هو ايجاد الله الاشياء على طبق ما سبق في علمه وارادته وعليه فهو صفة فعل وهي حادثة وقالت الماتريدية هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلا بحده الذي يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك فهو تعلق العلم والارادة وعليه فهو قديم والقضاء عند الاشاعرة ارادة الله المتعلقة بالاشياء أزلا فهو قديم وعند الماتريدية هو الفعل مع زيادة أحكام فهو حادث وقيل هما شئ واحد وهو ايجاد الله الاشياء على طبق تعلق العلم والقدرة واقتصر على القدر اما لان بينهما تلازما أو لترادفهما وفي هذه الآية رد على القدرية القائلين بان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والقائلين بان الله لا يعلم الاشياء الا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الامام الشافعي (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله خبره خلقناه) أي وقوله بقدر اما خبر ثان أو حال من ضمير الخبر (قوله وما أمرنا) أي شأننا في ايجاد شئ أو اعدامه (قوله الا أمرة واحدة) أي مرة من الامر وفي الحقيقة ليس هنالك قول ولا أمر وانما هو كناية عن سرعة الايجاد (قوله كلمح بالبصر) حال من متعلق الامر والمعنى حال كونه يوجد سريعا بالمرة من الامر ولا يتراخى عنها واللمح النظر بسرعة فكما ان لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عند الله (قوله وهي كن) بيان للامرة الواحدة وقوله انما أمره الخ دليل لهذه الآية (قوله أشباهكم في الكفر) أي الذين يشبهونكم فيه (قوله فهل من مدكر) أي بما وقع لهم فيرتدع وينزجر (قوله في الزبر) جمع زبور وهو الكتاب (قوله أريد به الجنس) أي لمناسبة جمع الجنات وأفرد موافقة لرؤس الآى (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله في مقعد صدق) من اضافة الموصوف لصفته (قوله وقرئ مقاعد) أي شذوذا (قوله ببدل البعض) أي لان المقعد بعض الجنات وقوله وغيره أي وهو بدل الاشتمال لان الجنات مشتملة على المقعد (قوله عند مليك) خبر ثان ان جعل

في مقعد صدق بدلا أو ثالث ان جعل خبرا ثانيا (قوله وعند اشارة للرتبة) أي فهي عندية مكانة وقوله والقربة أي التقرب فهما متحدان

﴿سورة الرحمن﴾

وتسمى عروس القرآن لما ورد لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن (قوله مكية) أي كلها وقوله أو الا يسئله الخ حكاية لقول آخر وبقي قول ثالث وهو كلها مدني (قوله الآية) الاوضح أن يقول الآيتين لان المدني على هذا القول يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن وقول عقبها فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا شك انهما آيتان (قوله الرحمن) اما خبر مبتدا محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن ربنا وهذان الوجهان على القول بان الرحمن آية مستقلة واما على انه ليس آية مستقلة فالرحمن مبتدأ خبره علم القرآن وسبب نزولها انه لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت ردا عليهم وفيها رد عليهم أيضا حيث قالوا انما يعلمه بشر فأفاد ان الذي يعلمه هو الرحمن لا غيره وافتتح هذه السورة بلفظ الرحمن اشارة الى انها مشتملة على نعم عظيمة وذلك لان الرحمن هو المنعم بجلائل النعم كما وكيفا ولذا كرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان احدى وثلاثين مرة فيها (قوله علم القرآن) اما من التعليم وهو التفهيم أي عرفه فالقرآن مفعول ثان له والاول محذوف قدره المفسر بقوله من شاء أي من عباده انسا وجنا وملكا وقدره بعضهم محمدا أو جبريل ردا على المشركين في قولهم انما يعلمه بشر والاول أولى لعمومه أو من العلامة والمعنى جعله علامة وآية يعجز بها المعارضين وقدم تعليم القرآن على خلق الانسان مع انه متأخر عنه في الوجود لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه (قوله خلق الانسان) هذه الجملة والتي بعدها خبران عن الرحمن أو حالان وترك العاطف منهما لشدة الاتصال (قوله أي الجنس) أي الصادق بآدم وأولاده وحينئذ فالمراد بالبيان النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وهذا أحد أقوال في تفسير الانسان وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه الانسان الكامل والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل هو آدم عليه السلام والمراد بالبيان أسماء كل شيء ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية (قوله بحسبان) متعلق بمحذوف خبر المبتدا الذي هو الشمس والقمر تقديره يجريان (قوله بحساب) أشار بذلك الى ان قوله بحسبان مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران ويصح أن يكون جمع حساب كشهاب وشهبان ورغيف ورغفان والمعنى ان الشمس والقمر يجريان في بروجهما ومنازلهما بمقدار وحد لا يتعديانه لمنافع العباد على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية من مبدأ الدنيا لمنتهاها (قوله ما لا ساق له) أي وهو المفروش على الارض كالقثاء والبطيخ ونحوهما (قوله ما له ساق) أي وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوهما (قوله يخضعان) أي منقادان لما يراد منهما طوعا فلا تخالف ما أمرت به فلو أراد منها الاثمار أو عدمه لم تخالف بل تأتي على طبق ما أراده (قوله أثبت العدل) أي في جميع الامور والمعنى ان الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شيء لا سيما في الكيل والوزن (قوله أي لاجل أن لا تجوروا) أشار بذلك الى أن أن ناصبة ولا نافية وتطغوا منصوب بها وقبلها لام العلة مقدرة (قوله وأقيموا الوزن) ايضاح لقوله أن لا تطغوا في الميزان وذلك لان الطغيان في الميزان أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (قوله أثبتها) أي دحاها وخفضها (قوله للانام) أي لانتفاعهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك (قوله وغيرهم) أي كباقي البهائم (قوله فيها فاكهة) الجملة حالية (قوله ذات الاكمام) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور ويجمع أيضا على أكمة وأما بالضم فهو للقميص (قوله والحب ذو العصف الخ) اما برفع الثلاثة أو نصبها أو رفع الاولين وجر الثالث ثلاث قراآت سبعيات فرفع الجميع عطف على فاكهة ونصبها بفعل محذوف أي خلق ورفع الاولين عطف

وعند اشارة الى الرتبة والقربة من فضله تعالى

﴿سورة الرحمن مكية أو الا يسئله من في السموات والارض الآية فمدنية وهي ست أو ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم) من شاء (القرآن خلق الانسان) أي الجنس (علمه البيان) النطق (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب (والنجم) ما لا ساق له من النبات (والشجر) ما له ساق (يسجدان) يخضعان بما يراد منهما (والسماء رفعها ووضع الميزان) أثبت العدل (أن لا تطغوا) أي لاجل أن لا تجوروا (في الميزان) ما يوزن به (وأقيموا الوزن بالقسط) بالعدل (ولا تخسروا الميزان) تنقصوا الموزون (والارض وضعها) أثبتها (للانام) للخلق الانس والجن وغيرهم (فيها فاكهة والنخل) المعهود (ذات الاكمام) أوعية طلعها (والحب) كالحنطة والشعير (ذو العصف) التبن (والريحان) الورق أو المشموم

على فاكهة وجر الثالث عطف على العصف (قوله فبأى آلاء ربكما) أى بأى فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان أى تنكرانها وتكابران فيها وذلك شأن الكفار أو لا تشكران ربكما عليها وذلك شأن العصاة وآلاء جمع الى أو الى كمعى وحصى والى كحمل والى كاصل (قوله أيها الانس والجن) أى فالخطاب للثقلين كما يشعر به قوله فيما يأتى أيها الثقلان (قوله ذكرت احدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات تعداد النعم ثم سبعة عقب ذكر النار وشدائدها على عدة أبوابها الان التخاص منها نعمة ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الاولين كعدة أبوابها ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاولين (قوله والاستفهام للتقرير) ويصح ان يكون للتوبيخ على ما فصل من فنون النعم الموجبة للشكر والايمان (قوله ثم قال مالى أراكم سكوتا الخ) يؤخذ من ذلك انه ينبغى لسامع هذه السورة أن يجيب بهذا الجواب (قوله كانوا أحسن منكم ردا) أى فى الجواب فلا ينافى أن الانس أحسن منهم فهذه مزية (قوله فبأى آلاء الخ) بدل من هذه الآية (قوله الا قالوا ولا بشئ من نعمك الخ) ظاهره ان جميع ما فى هذه السورة نعم مع أن فيها يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الخ وكل من عليها فان وهذه جهنم ونحو ذلك وأجيب بان رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة والتسوية فى الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم فحسن جواب الجن عقب كل واحدة (قوله آدم) أشار بذلك الى ان آل فى الانسان للعهد بخلاف الانسان المتقدم ففيه احتمالات ثلاث (قوله اذا نقر) أى ليختبر هل فيه عيب أو لا (قوله كالفخار) أى فى ان كلا منهما يسمع له صوت اذا نقر واعلم انه تعالى أفاد فى هذه السورة أن خلق آدم كان من صلصال كالفخار وفى سورة الحجر من صلصال من حمإ مسنون أى طين اسود متغير وفى الصافات من طين لازب أى ملتصق باليد وفى آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب ولا تنافى بينها وذلك لانه تعالى أخذه من تراب الارض فعجنه بالماء فصار طينا لازبا ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا ثم صوره كما تصور الاوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة كالفخار اذا نقر صوت فالمذكور هنا آخر أطواره وفى غير هذا الموضع تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالارض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذى هو من فيح جهنم فهو من العناصر الاربع لكن الغالب فى جبلته التراب كما ان الجان خلق من العناصر الاربع لكن الغالب فى جبلته النار ولذا نسب اليها (قوله وهو ما طبخ من الطين) أى فكان مجوفا كالاوانى وليس كالآجر (قوله وهو ابليس) هذا أحد قولين وهو الصحيح وقيل أبو الجن غير ابليس (قوله من مارج من نار) من الاولى لابتداء الغاية والثانية يصح ان تكون للبيان والتبعيض (قوله هو لهبها الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال فى تفسير المارج وقيل هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهو مشاهد فى النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل هو الاحمر الكائن فى طرف النار وقيل اللهب المختلط بسواد (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعم ربكما الناشئة عنه تكفران (قوله رب المشرقين) بالرفع فى قراءة العامة على انه خبر لمحذوف أى هو رب المشرقين وقرئ شذوذا بالجر على انه بدل أو بيان لربكما (قوله كذلك) أى مغرب الشتاء ومغرب الصيف واما آية فلا أقسم برب المشارق والمغارب فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها (قوله مرج البحرين) المرج بفتحتين فى الاصل الاهمال والترك أو الارسال وبسكون الراء الارض ذات النبات والمرعى يقال مرج الدابة أى أرسلها ترعى فى المرج (قوله يلتقيان) حال من البحرين أى يتماسان على وجه الارض بلا فصل بينهما فى رؤية العين (قوله بينهما برزخ) جملة مستأنفة أو حالية من البحرين (قوله لا يبغيان) أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه فالماء العذب الداخل فى الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح فمتى حفرت فى جنب الملح فى بعض الاماكن وجدت الماء العذب بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى فخلطهما الله فى رأى العين وحجزهما بقدرته تعالى واذا كان هذا حال جماد لا ادراك له ولا عقل فكيف يبغى العقلاء بعضهم على بعض (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الصادق

(فبأى آلاء) نعم (ربكما) أيها الانس والجن (تكذبان) ذكرت احدى وثلاثين مره والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (خلق الانسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت اذا نقر (كالفخار) وهو ما طبخ من الطين (وخلق الجان) أبا الجن وهو ابليس (من مارج من نار) هو لهبها الخالص من الدخان (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب المغربين) كذلك فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج) أرسل (البحرين) العذب والملح (يلتقيان) فى رأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرته تعالى (لا يبغيان) لا يبغى واحد منهما على الآخر فيختلط به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج) بالبناء للمفعول والفاعل (منهما) من مجموعهما الصادق

باحدهما) هذا غير ظاهر لان المجموع لا يصدق على البعض الا اذا كان متعددا كقوله كل رجل يحمل الصخرة العظيمة فالاولى أن يجعل الكلام على حذف مضاف أى من أحدهما وقيل لا تقدير فى الآية بل يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وهو مشاهد عند الغواصين وقيل العذب كالرجل والملح كالمرأة واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة وقال ابن عباس تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر (قوله وله الجوار) جمع جارية وهى السفينة صفة جرت مجرى الاسماء سميت بذلك لان شأنها الجرى (قوله المنشآت) بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم وكسرها اسم فاعل أى تنشئ الريح بجريها أو تنشئ السير اقبالا وادبارا ونسبة الانشاء لها مجاز وهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بتشديد الشين مع فتحها مبالغة (قوله أى الارض) أى وعلى هذا التفسير فلا يستثنى شئ بخلاف قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فيستثنى الجنة والنار والحور العين والولدان والعرش والارواح (قوله هالك) أى بالفعل (قوله ويبقى وجه ربك) الخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء بشأنه واما لاى سامع ليعلم كل أحد أن غير الله فان (قوله ذو الجلال والاكرام) فيه وعد ووعيد فبوصف الجلال افناء الخلق وتعذيب الكفار وبوصف الاكرام احياؤهم واثابة المؤمنين وذو بالرفع فى قراءة العامة نعت للوجه وقرئ شذوذا بالجر صفة للرب واما فى آخر السورة فالقراءتان سبعيتان (قوله يسئله من فى السموات والارض) أى لانهم مفتقرون اليه تعالى فى جميع لحظاتهم قال ابن عباس أهل السموات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق وأهل الارض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج تسأله الملائكة الرزق لاهل الارض فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السموات والارض وفى الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير (قوله بنطق) أى بلسان المقال وقوله أو حال أى بلسان الحال وهو الذل والاحتياج (قوله كل يوم هو فى شأن) كل ظرف منصوب بالمحذوف الذى تعلق به الجار والمجرور بعده والمراد باليوم اللحظة من الزمن وبالشأن التصريف فى خلقه لما ورد ان الانسان يخرج منه فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس فى كل نفس تحمل مائة ألف ويولد مائة ألف ويعز مائة ألف ويذل مائة ألف ويفرج عن مائة ألف وفى رواية فى كل واحدة ستمائة ألف وحكى ان ابن الشجرى كان يقرر فى درسه هذه الآية فجاءه الخضر وقال له ما شأن ربك اليوم فاطرق برأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فعرض عليه السؤال فقال له السائل لك الخضر فان أتاك وسألك فقل له شؤن يبديها ولا يبتديها يرفع اقواما ويضع آخرين فلما أصبح أتاه وسأله فاجابه بذلك فقال له صل على من علمك (قوله أمر يظهره الخ) أى فالشأن صفة فعل وقوله من أحياء الخ بيان له فالتغير راجع للمصنوعات وأما ذاته تعالى وصفاته فيستحيل عليها التغير فهو يغير ولا يتغير (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى باى نعمة من تلك النعم التى أنشأها خالقكما ومدبركما تكفران بها (قوله سنقصد لحسابكم) جواب عما يقال ان الله لا يشغله شأن عن شأن فكيف قال سنفرغ لكم فاجاب بما ذكر وايضاحه أن تقول الفراغ من الشئ يطلق على التفرغ من الشواغل وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى ويطلق على القصد للشئ والاقبال عليه وهو المراد هنا والمراد بالقصد فى كلام المفسر الارادة وحينئذ فيكون معناه سأريد حسابكم وهذا لا يظهر الا على القول بان للارادة تعلقا تنجيزيا حادثا واما على القول بنفيه فلا يظهر فكان المناسب له أن يقول سأحاسبكم وفى الآية وعد للطائعين ووعيد للعاصين (قوله أيه الثقلان) تثنية ثقل بفتحتين سميا بذلك لانهما أثقلا الارض أو حصل لهما الثقل والتعب بالتكاليف (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى التى من جملتها اثابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصى (قوله يا معشر الجن والانس الخ) هذا الزام وتعجيز لمن لم يرض بقضاء الله وقدره وهو اشارة لمعنى

باحدهما وهو الملح (اللؤلؤ والمرجان) خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن (المنشآت) المحدثات (فى البحر كالاعلام) كالجبال عظما وارتفاعا (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) أى الارض من الحيوان (فان) هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء (ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) العظمة (والاكرام) للمؤمنين بانعمه عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات والارض) أى بنطق أو حال ما يحتاجون اليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك (كل يوم) وقت (هو فى شان) أمر يظهره على وفق ما قدره فى الازل من أحياء وامانة واعزاز واذلال واغناء واعدام واجابة داع واعطاء سائل وغير ذلك (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) سنقصد لحسابكم (أيه الثقلان) الانس والجن (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) تخرجوا (من أقطار) نواحى (السموات والارض فانفذوا) أمر تعجيز (لا تنفذون الا بسلطان) بقوة

ولاقوة لكم على ذلك (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) هو لهبها الخالص من الدخان أو معه (ونحاس) أى دخان لا لهب فيه (فلا تنتصران) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم الى المحشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فكانت وردة) أى مثلها محمرة (كالدهان) كالاديم الاحمر على خلاف العهد بها وجواب اذا فما أعظم الهول (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) عن ذنبه ويسئلون فى وقت آخر فوربك لنسئلنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتى بمعنى الجنى والانس فيهما بمعنى الانسى (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) أى سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصى والاقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى تضم ناصية كل منهم الى قدميه من خلف أوقدام ويلقى فى النار ويقال لهم (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون) يسعون (بينها وبين حميم) ماء حار (آن) شديد الحرارة

حديث قدسى من لم يرض بقضائى و يصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى و يتخذ له ربا سوائى وعلى هذا فالخطاب يقال لهما فى الدنيا وقيل يقال لهما هذا يوم القيامة لما ورد اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق باهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن فيها ثم يأمر الله السماء التى تليها كذلك فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتنزل ملائكة الرفيع الاعلى فلا يأتون قطرا من أقطارها الا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك قوله تعالى يامعشر الجن والانس ان استطعتم الآية والحكمة فى تقديم الجن هنا على الانس وتأخيرهم عنهم فى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ان الجن أقوى من الانس فقدموا فيما يتعلق بالهروب والانس أفصح من الجن فقدموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن فقدم فى كل موضع ما يناسبه (قوله قوة) هذا أحد قولين فى تفسير السلطان وقيل هو البينة والحجج الواضحة (قوله فبأى آلاء ربكما) أى من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (قوله يرسل عليكما) الجملة مستأنفة قصد بها بيان أهوال يوم القيامة وهذا على القول بان الخطاب المتقدم فى الدنيا وأما على القول بانه فى الآخرة فالكلام مرتبط بعضه ولبس مستأنفا (قوله شواظ) بكسر الشين وضمها قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وهو لهبها الخالص من الدخان الخ) هذان قولان من أربعة وقيل هو اللهب الاحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب (قوله ونحاس) اما بالرفع عطف على شواظ أو الجر عطف على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لابد فيها من كسر شين شواظ أوامالة نار فن قرأ بجر نحاس بدون أحد الامرين فقد وقع فى التلفيق (قوله أى دخان الخ) هذا التفسير انما يناسب قراءة الرفع لا الجر والافيصير المعنى يرسل عليكما شواظ أى لهب من نحاس أى دخان لا لهب فيه وهو لا يصح الا ان يقال لشواظ يطلق بالاشتراك على اللهب الخالص والدخان (قوله فلا تنتصران) أى لا تجدان لكما ناصرا واعلم أن هذا الامر وهو سوق الجن والانس بالنار الى المحشر وازدحامهم حتى يكون على القدم ألف قدم ليس لعموم الجن والانس بل ورد فى اناس انهم يخرجون من قبورهم لقصورهم لا يحزنهم الفزع الاكبر وكل واحد من حضر الموقف على قدر عمله فنهم من يظل فى ظل العرش ومنهم من يلجمه العرق ومنهم من يراه قصيرا ومنهم من يراه طويلا هذا هو التحقيق (قوله من ذلك) أى المذكور من الشواظ والنحاس (قوله بل يسوقكم) أى المذكور منهما (قوله لنزول الملائكة) أى لتحيط بالعالم من سائر جهات الارض (قوله كالدهان) اما خبر ثان أو نعت لوردة والدهان اما جمع دهن كرماح ورمح و يكون بمعنى قوله يوم تكون السماء كالمهل أى كدردى الزيت أو مفرد كحزام وادام وهو الاديم الاحمر أى الجلد وقد مشى على الثانى المفسر (قوله على خلاف العهد بها) أى على خلاف لونها الذى نراه ونعهده وهو الزرقة فانها عارضة قيل بسبب جبل ق المحيط بها وأما لونها الاصلى فهو الحمرة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملة أى فيوم اذ انشقت السماء (قوله ولا جان عن ذنبه) أشار بذلك الى ان الجار والمجرور محذوف من الثانى لدلالة الاول عليه (قوله و يسئلون فى وقت آخر) أشار بذلك لوجه الجمع بين ما هنا وبين الآية التى ذكرها وايضاح الجمع ان يقال انهم حين يخرجون من القبور لا يسئلون و يسئلون حين يحشرون و يجتمعون فى الموقف (قوله والجان هنا الخ) قد يقال لا حاجة له لان الجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجى (قوله فبأى آلاء ربكما) أى نعمه العظيمة التى من جملتها الزجر عما يؤدى للعذاب (قوله أى سواد الوجوه و زرقة العيون) أى وأخذ الصحف من وراء الظهر بالبسرى (قوله بالنواصى) جمع ناصية وهو نائب الفاعل (قوله من خلف) أى فتنثنى بكسر ظهره كما يكسر الحطب قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره (قوله و يقال لهم) قدره اشارة الى ان قوله هذه جهنم مقول لقول محذوف (قوله يطوفون بينها وبين حميم آن) أى يترددون بينهما فحين يستغيثون من النار يسعى بهم الى الحميم فيسقون منه و يصب فوق رؤسهم فاذا

استغاثوا منه يسحبهم الى النار وهكذا (قوله يسقونه الخ) أي ويغمسون فيه لما ورد عن كعب ان واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (قوله وهو منقوص كقاض) أي فيقال أنى يأنى كقضى يقضي فهو آن كقاض وأصله آنى استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله ولمن خاف مقام ربه) أي لكل شخص خائف سواء كان من الانس أو من الجن فالجن كالانس في النعيم وهو ما عليه الأئمة الثلاثة وقال أبو حنيفة ان من مات من الجن مسلما يصير ترابا كالبهائم ولا حظ له في النعيم (قوله أي لكل منهم) أي لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان واختلف في المراد بالجنتين اللتين يعطاهما كل خائف فقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله وقيل جنة لطاعته وجنة لترك المعاصي وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل أزواجه كعادة الاكابر في الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه وقيل احدى الجنتين خلقت له والأخرى جنة ورثها من الكفار وعلى كل من الاقوال تسمى احداهما جنة عدن والأخرى جنة النعيم وروي عن ابن عباس في وصف الجنتين انه قال الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور وليس منهما شئ الا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت وقيل المراد بالجنتين جنة واحدة وانما ثنى رعاية للفواصل (قوله أو لمجموعهم) أي ان الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الانسي والأخرى للخائف الجني فكل خائف ليس له الا جنة واحدة والاول هو المعتمد (قوله قيامه بين يديه الخ) أشار بذلك الى ان المقام مصدر ميمي بمعنى القيام وهو أحد احتمالات ثلاث في تفسير المقام والثاني انه اسم مكان أي خاف مكان وقوفه للحساب والثالث انه مصدر ميمي بمعنى قيام الله عز وجل على الخلائق أي اشرافه واطلاعه عليهم ومناقشته لهم في الحساب (قوله فترك معصيته) أي فتسبب عن خوفه تركه المعاصي واعلم ان الخوف مرتبتان مرتبة العامة وهي خوف تعذيب الله اياهم ومرتبة الخاصة وهي خوف جلال الله وهيبته وفيها فليتنافس المتنافسون وللعارفين تفسير آخر وهو ان المراد بالخوف خوف الاجلال والتعظيم والهيبة والمراد بالجنتين جنة الشهود في الدنيا بالقلب وفي الآخرة بالابصار وجنة الثواب في الآخرة لا غير (قوله فبأي آلاء ربكما) أي نعمه تكذبان أبتلك النعم التي من جملتها الجنة ونعيمها أم بغيرها (قوله ذواتا أفنان) اما صفة لجنتان أو خبر لمحذوف أي هما (قوله تثنية ذوات) أي الذي هو مفرد (قوله على الاصل) أي وذلك لان أصلها ذوى تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت الفاء فصار ذوى كفتى فهذه الالف لام الكلمة وانما قلبت الياء ألفا دون الواو مع ان كلا منهما متحرك وما قبله مفتوح لانها طرف والطرف محل تغيير ولم ترد هذه الالف في التثنية الى الياء فيقال ذويتان لانه لما زيدت التاء في هذا اللفظ تحصنت الالف من الرد الى الياء وما في الآية هو الفصيح في تثنيتها وقد تثنى على لفظها فيقال ذاتان (قوله أغصان) أي وهي فروع الشجر التي تشتمل على الورق والثمار (قوله جمع فنن) هذا أحد قولين وقيل جمع فن أي نوع وشكل (قوله فيهما) أي في كل واحدة منهما (قوله عينان تجريان) أي بالماء الزلال احداهما يسمى التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (قوله في الدنيا) أي ما هو فاكهة في الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل (قوله أو كل ما يتفكه به) أي في الآخرة ولو كان في الدنيا غير فاكهة كالحنظل وقوله والمر منها الخ مبني على القول الثاني (قوله متكئين) أي مضطجعين أو متربعين فالتوكؤ الاضطجاع أو التربع لما في الحديث أما أنا فلا آكل متكئا أي جالسا جلوس المتربع ونحوه من الهيآت التي تستدعي كثرة الاكل فالتوكؤ في الدنيا مذموم وفي الآخرة غير مذموم لارتفاع التكليف (قوله أي يتنعمون) الضمير عائد على من في قوله ولمن خاف مقام ربه

يسقونه اذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض (فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف) أي لكل منهم أو لمجموعهم (مقام ربه) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا) تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء (أفنان) أغصان جمع فنن كطلل (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة) في الدنيا أو كل ما يتفكه به (زوجان) نوعان رطب ويابس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) حال عامله محذوف أي يتنعمون (على فرش

بطائنها من استبرق) ما غلظ من الديباج وخشن والظهائر من السندس (وجنى الجنتين ثمرهما (دان) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالى والقصور (قاصرات الطرف) العين على أزواجهن المتكئين من الانس والجن (لم يطمثهن) يفتضهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) أى اللؤلؤ بياضا (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل) ما (جزاء الاحسان) بالطاعة (الا الاحسان) بالنعيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) أى الجنتين المذكورتين (جنتان) أيضا لمن خاف مقام ربه (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة خضرتهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) هما منها وقيل من غيرها فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) أى الجنتين وما فيهما (خيرات) أخلاقا (حسان) وجوها (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور) شديدات سواد العيون وبياضها (مقصورات) مستورات (فى الخيام)

(قوله بطائنها من استبرق) هذه الجملة صفة لفرش (قوله من السندس) أى وهو مارق من الديباج (قوله وجنى الجنتين دان) جنى مبتدأ بمعنى مجنى خبره دان وأصله دانو كغاز وقاض (قوله يناله القائم الخ) كما قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال الرازى جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها أن الثمرة على رؤس الشجر فى الدنيا بعيدة عن الانسان المتكئ وفى الجنة يتكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان فى الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفى الآخرة تدنو منه وتدور عليه وثالثها ان الانسان فى الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليه فى وقت واحد ومكان واحد (قوله فى الجنتين الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف أتى بضمير الجمع مع ان المرجع مثنى (قوله قاصرات الطرف) أى محبوسات على أزواجهن لا يبغين بغيرهم بدلا لما روى انها تقول لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (قوله لم يطمثهن) الطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع فالمعنى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (قوله من الحور) أى فيكن قسمين انسيات للانس وجنيات للجن (قوله أو من نساء الدنيا المنشآت) أى المخلوقات من غير واسطة ولادة (قوله انس قبلهم ولا جان) أى ان كل واحد من افراد النوعين يجد زوجته فى الجنة اللاتى كن فى الدنيا أبكارا وان كن فى الدنيا ثيبات لم يمسها غيره (قوله كأنهن الياقوت) هذه الجملة نعت لقاصرات أو حال منه (قوله صفاء) أى فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة فلا يقال مقتضاه ان لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة (قوله أى اللؤلؤ بياضا) أى فالمرجان يطلق على الاحمر والابيض والمراد به هنا الابيض روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها (قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان) اعلم ان هل ترد لاربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل أنتم منتهون وبمعنى النفى كقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين وكما هنا فهى هنا للنفى والمعنى لا جزاء الاحسان أى الطاعات وترك المعاصى الا الاحسان أى الثواب الجزيل (قوله ومن دونهما) قيل معناه أدنى منهما وأصحابهما تين الجنتين أهل اليمين وهم دون الخائفين مقام ربهم فى المنزلة وهذا على حد ما يأتى فى سورة الواقعة ان أهل اليمين أقل من السابقين وقيل الجنات الاربع لمن خاف مقام ربه ومعنى قوله ومن دونهما أقرب وأدنى منهما للعرش ويؤيده ما ورد ان الاوليين من ذهب وفضة والاخريين من ياقوت وتقدم ان الاوليين جنة عدن وجنة النعيم وهاتان جنة الفردوس وجنة المأوى وهو ما مشى عليه المفسر (قوله مدهامتان) من الدهمة وهى السواد (قوله من شدة خضرتهما) أى لكثرة بساتينهما (قوله فوارتان) اى وليستا كالجاريتين لان النضخ دون الجرى وهذا بناء على ان هاتين أقل من الاوليين وأما على القول بانهما أعلى منهما فمعنى نضاختان كما قال ابن عباس وابن مسعود انهما ينضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دار أهل الجنة كما ينضخ رش المطر أو ان المراد فوارتان مع الجرى ولا شك انهما أعلى من الجاريتين فقط (قوله هما منها) أى من الفاكهة وهو ظاهر وقوله وقيل من غيرها أى وذلك لان النخل كان عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التى يعجبون بها روى ان نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمارها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس لها عجم وروى ان الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب وروى ان نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (قوله أى الجنتين وما فيهما الخ) جواب عما يقال كيف جمع الضمير مع انه راجع للمثنى (قوله خيرات) اما جمع خيرة بوزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين أو جمع خيرة مخفف خيرة بالتشديد وفى الحديث ان

الحور العين يأخذ بعضهن بأيدى بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة رضى الله عنها فغلبنهن والله واختلف هل الحور العين أكثر حسنا وأبهى جمالا أو نساء الدنيا والصحيح ان نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله من در مجوف) قال ابن عباس الخيمة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وروى ان سحابة مطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الانهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولى الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله ان أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها فهى مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين (قوله مضافة الى القصور) أى انها فى داخلها فالخيمة فى داخل القصر (قوله بالخدور) جمع خدر وهو الستر الذى يتخذ فى البيوت كالناموسية (قوله واعرابه كما تقدم) أى انه حال عامله محذوف أى يتنعمون (قوله جمع رفرفة) أى واحده رفرفة والرفرف اسم جنس جمعى أو اسم جمع (قوله أى بسط أو وسائد) هذان قولان فى معنى الرفرف وقيل هو شئ اذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسته (قوله وعبقرى) منسوب الى عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة فقرب الله لنا فراش تلك الجنتين به وقيل ان الياء ليست للنسب بل هى كياء الكرسى والبختى فهو اسم للفراش والمنقوش البالغ الغاية فى الحسن (قوله أى طنافس) جمع طنفسة بكسرتين أو فتحتين بساط له خمل رقيق (قوله ذى الجلال) بالياء والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله ولفظ اسم زائد) أى لان أوصاف التنزيه والتعظيم فى الحقيقة للمسمى وقد يقال أسماء الله وصفاته يسند لها التنزيه والتعظيم حقيقة فعدم زيادته أبلغ فى التعظيم والتنزيه

﴿سورة الواقعة﴾

قال مسروق من أراد أن يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وحكى أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات منه فقال ما تشتكى قال ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة ربى قال أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضنى قال أفلا نأمر لك بعطائك قال لا حاجة لى فيه حبسته عنى فى حياتى وتدفعه لى عند مماتى قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتى الفاقة من بعدى انى أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا (قوله الا أفبهذا الحديث الخ) هذا قول الكلبى وقول المفسر الآية أولا وثانيا مراده الجنس الصادق بالآيتين فالمدنى على هذا القول أربع آيات أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وقيل مكية كلها وقيل مكية الا آية منها وهى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (قوله اذا وقعت الواقعة) اذا اما ظرف ليس فيه معنى الشرط وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث انها تضمنت معنى النفى كأنه قيل انتفى التكذيب وقت وقوعها أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها (قوله قامت القيامة) أى فالواقعة من جملة أسماء القيامة (قوله ليس لوقعتها) اللام بمعنى فى على حذف مضاف والمعنى ليس نفس كاذبة توجد فى وقت وقوعها (قوله خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف كما أفاده المفسر بقوله أى هى الخ (قوله تخفض أقواما الخ) أى حسا ومعنى فأهل الجنة ترفعهم حسا ومعنى وأهل النار تخفضهم كذلك ونسبة الخفض والرفع اليها مجاز من اسناد الفعل لمحله وزمانه (قوله اذا رجت الارض) اما بدل من اذا

من در مجوف مضافة الى القصور شبيهة بالخدور (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أزواجهن (ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) أى أزواجهن واعرابه كما تقدم (على رفرف خضر) جمع رفرفة أى بسط أو وسائد (وعبقرى حسان) جمع عبقرية أى طنافس (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) تقدم ولفظ اسم زائد

﴿سورة الواقعة مكية الا أفبهذا الحديث الآية وثلة من الاولين الآية وهى ست أو سبع أو تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة (ليس لوقعتها كاذبة) نفس تكذب بان تنفيها كما نفتها فى الدنيا (خافضة رافعة) أى هى مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة (اذا رجت الارض رجا)

الاولى وعليه مشى المفسر أوتأكيد لها أوشرط وعاملها مقدر (قوله حركت حركة شديدة) أى فترتج كما يرتج الصبى فى المهد حتى يتهدم ما عليها ويتكسر كل شئ عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب (قوله منتشرا) أى متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل من كوة (قوله وكنتم) الخطاب لجميع الخلق المكلفين والمعنى قسمتم باعتبار طبائعكم وأخلاقكم فى الدنيا أصنافا ثلاثة (قوله فأصحاب الميمنة) شروع فى ذكر أحوال الازواج الثلاثة على سبيل الاجمال وسيأتى تفصيلهم بعد ذلك (قوله مبتدأ خبره ما أصحاب الميمنة الخ) أى فأصحاب الاول مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان ومابعده خبره والجملة خبر الاول وتكرير المبتدا بلفظه مغن عن الرابط (قوله تعظيم لشأنهم) أى أن فى هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال (قوله بان يؤتى كتابه بشماله) ماذكره المفسر فى الفريقين أحد أقوال وقيل أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأهل المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية (قوله والسابقون الخ) أخرهم مع كونهم أعلى الاقسام الثلاثة لئلا يعجبوا بأعمالهم وقدم أهل اليمين لئلا يقنطوا من رحمة الله (قوله وهم الانبياء) هذا أحد أقوال فى تفسير السابقين وقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق وقيل هم المسارعون الى الخيرات وقيل هم الذين سبقوا فى حيازة الفضائل (قوله أولئك المقربون) أى الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته فى الجنة بكرة وعشيا لخدمتهم تسابقوا لخدمته وطاعته فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم فى الجنة (قوله فى جنات النعيم) خبر ثان أوحال من الضمير فى المقربون (قوله ثلة من الاولين) الثلة بالضم فى قراءة العامة الجماعة من الناس وأما بالكسر فمعناها الهلكة (قوله وهم السابقون الخ) أى الى الايمان بالانبياء عيانا واجتمعوا عليهم وذلك لان المؤمنين الذين اجتمعوا على الانبياء جماعة كثيرة والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الامم وهذا لاينافى كون هذه الامة المحمدية ثلثى أهل الجنة لان ماهنا فيمن اجتمع بالانبياء مشافهة اذا علمت ذلك فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالانبياء غير واضح فالمناسب أن يقول والسابقون الى الخير من أمة كل نبى وبعض المفسرين جعل الخطاب فى قوله وكنتم أزواجا ثلاثة لهذه الامة وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم وأهل اليمين عوامهم وأهل المشأمة كفارهم وقوله ثلة من الاولين يعنى جماعة كثيرة من أوائل هذه الامة وقوله وقليل من الآخرين يعنى ان من أتى بعد أوائل هذه الامة من الخيار قليل بالنسبة لاوائلها وان كان كثيرا فى نفسه ولعل هذا التفسير أقرب (قوله على سرر) جمع سرير وهو ما يوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة واجلالا قال الكلبى طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس عليه ارتفع (قوله متكئين عليها) أى على السرر (قوله متقابلين) أى فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض بل اذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره (قوله يطوف عليهم) هذه الجملة اما حال أو استئناف (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود (قوله على شكل الاولاد) أى فهم مخلوقون فى الجنة ابتداء كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا وانما سموا أولادا لكونهم على شكل الاولاد كما أفاده المفسر وهذا هو الصحيح وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ورد بان الله أخبر عنهم انهم يلحقون بآبائهم فى السيادة والخلقة وقيل هم صغار أولاد الكفار وقيل غير ذلك (قوله لايهرمون) تفسير لقوله مخلدون والمعنى لايتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والنعومة بخلاف أولاد الدنيا فانهم يتغيرون بالشيخوخة (قوله وأباريق) جمع ابريق مشتق من البريق لصفاء لونه (قوله لها عرى) أى ما يمسك بها المسماة بالآذان (قوله وخراطيم) هى المسماة بالبزابيز (قوله لايصدعون عنها) أى لايحصل لهم صداع من أجلها والصداع داء معروف يلحق الانسان فى رأسه (قوله أى لايحصل لهم الخ) لف ونشر مرتب (قوله مما

بتخيرون

حركت حركة شديدة (وبست الجبال بسا) فتتت (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا واذا الثانية بدل من الاولى (وكنتم) فى القيامة (أزواجا) أصنافا (ثلاثة فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره (ما أصحاب الميمنة) تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة (وأصحاب المشأمة) أى الشمال بان يؤتى كل منهم كتابه بشماله (ما أصحاب المشأمة) تحقير لشأنهم بدخولهم النار (والسابقون) الى الخير وهم الانبياء مبتدأ (السابقون) تأكيد لتعظيم شأنهم والخبر (أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين) مبتدأ أى جماعة من الامم الماضية (وقليل من الآخرين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم السابقون من الامم الماضية وهذه الامة والخبر (على سرر موضونة) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى الخبر (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) على شكل الاولاد لايهرمون (بأكواب) أقداح لاعرى لها (وأباريق) لها عرى وخراطيم (وكأس) اناء شرب الخمر (من معين) أى خمر جارية من منبع لاينقطع أبدا (لايصدعون عنها ولاينزفون) بفتح الزاى وكسرها من نزف الشارب وأنزف أى لايحصل لهم منها صداع ولاذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وفاكهة مما

يتخيرون) أي يختارون (قوله ولحم طير مما يشتهون) ورد أن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول أحدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر يا رسول الله انها الناعمة قال آكلها أنعم منها وقال ابن عباس رضي الله عنه يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على ما يشتهي أو يقع على الصحفة فيأكل منها ما يشتهي ثم يطير (قوله وحور عين) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم (قوله شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو أخره بعده لكان أوضح فالعين شديدات سواد العيون مع سعتها وأما الحور فقيل هو بياض أجسادهن وقيل هو شدة بياض العين في شدة سوادها (قوله بدل ضمها) أي الذي هو حقها لأن أصلها عين بضم العين وسكون الياء كسرت العين لتصح الياء (قوله وفي قراءة بجر حور عين) أي وهي سبعية أيضا عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم حور عين (قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المستور في الصدف لم تمسه الايدي ولا الشمس والهواء وروي أنه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا فيقال ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها وروي أن الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وعقد الياقوت في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصفران بالتسبيح (قوله بما كانوا يعملون) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة (قوله لكن قيلا) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وذلك لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم (قوله بدل من قيلا) أي أو نعت له أو منصوب بقيلا أي الا أن يقولوا سلاما سلاما (قوله فانهم يسمعونه) أي من الله والملائكة وبعضهم بعضا (قوله وأصحاب اليمين) شروع في تفصيل ما أجمل من أوصافهم اثر تفصيل أوصاف السابقين (قوله في سدر) خبر ثان عن قوله وأصحاب اليمين (قوله مخضود) من خضد الشجر قطع شوكه من باب ضرب روي أن أعرابيا أقبل يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر وليس ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (قوله دائم) أي لا تنسخه الشمس (قوله جار دائما) أي على وجه الارض ليس في حفر (قوله ولا ممنوعة بثمن) الأولى أن يقول بشيء يشمل الحائط والباب والشوك ونحو ذلك والمعنى لا تمتنع عن متناولها بوجه من الوجوه بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا تعب (قوله وفرش مرفوعة على السرر) وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض لما ورد أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام (قوله أي الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك الى أن الضمير في أنشأناهن عائد على الحور العين المفهوم مما سبق وهذا أحد قولين وقيل هو عائد على نساء الدنيا ومعنى أنشأناهن أعدنا انشاءهن ويؤيده ما ورد أن أم سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رسول الله يقول ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع ويصح عود الضمير على ما هو أعم من الحور العين ونساء الدنيا وهو الأنسب بالأدلة (قوله بضم الراء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي مستويات في السن) أي وهو ثلاث وثلاثون سنة لما في الحديث يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال من دخل الجنة من صغير أو

يتخيرون ولحم طير مما يشتهون و) لهم للاستمتاع (حور) نساء شديدات سواد العيون وبياضها (عين) ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء وفي قراءة بجر حور عين (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المصون (جزاء) مفعول له أو مصدر والعامل مقدر أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فاحشا من الكلام (ولا تأثيما) ما يؤثم (الا) لكن (قيلا) قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا فانهم يسمعونه (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر) شجر النبق (مخضود) لا شوك فيه (وطلح) شجر الموز (منضود) بالحمل من أسفله الى أعلاه (وظل ممدود) دائم (وماء مسكوب) جار دائما (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة) في زمن (ولا ممنوعة) بثمن (وفرش مرفوعة) على السرر (انا أنشأناهن انشاء) أي الحور العين من غير ولادة (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عربا) بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها عشقا له (أترابا) جمع ترب أي مستويات في السن (لأصحاب اليمين)

صلة أنشأناهن او جعلناهن وهم (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم) ريح حارة من النار
تنفذ في المسام (وحميم) ماء شديد الحرارة (وظل من يحموم) دخان شديد السواد (لا بارد) كغيره من الظلال
(ولا كريم) حسن المنظر (انهم كانوا قبل ذلك) في الدنيا (مترفين) منعمين لا يتعبون في الطاعة (وكانوا يصرون على الحنث) الذنب (العظيم) أي الشرك (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (أوآباؤنا الاولون) بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد وفي قراءة بسكون الواو عطفا بأو والمعطوف عليه محل ان واسمها (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات) لوقت (يوم معلوم) أي يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم) بيان للشجر (فمالئون منها) من الشجر (البطون فشاربون عليه) أي الزقوم المأكول (من الحميم فشاربون شرب) بفتح الشين وضمها مصدر (الهيم) الابل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمى للانثى كعطشان وعطشى (هذا نزلهم) ما أعد لهم (يوم الدين) يوم القيامة (نحن خلقناكم) أوجدناكم من عدم (فلولا) هلا (تصدقون) بالبعث اذ القادر على الانشاء قادر على الاعادة (أفرأيتم ما تمنون) تريقون المني في أرحام النساء (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه في المواضع الاربعة (تخلقونه) أي المني بشرا

الثانية

كبير بردالى ثلاثين سنة في الجنة لا يزاد عليها أبدا وكذلك أهل النار (قوله صلة أنشأناهن) أي متعلقة به والمعنى أنشأناهن لاجل أصحاب اليمين ويصح تعلقها باترابا والمعنى جعلناهن أترابا أي مساويات لاصحاب اليمين في الطول والعرض والجمال فلا تفخر امرأة عن رجل في الجنة (قوله ثلة من الاولين) خبر لمحذوف قدره بقوله وهم واختلف في المراد بالاولين والآخرين فقيل أوائل هذه الامة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين وأواخرهم من يأتي بعدهم الى يوم القيامة وقيل المراد بالاولين الامم السابقة وبالآخرين هذه الامة فالخلاف هنا نظير ما تقدم وقال فيما سبق وقليل من الآخرين وقال هنا وثلة من الآخرين لان ما تقدم في ذكر السابقين وهم في الآخرين قليل وهنا في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الاولين والآخرين (قوله وأصحاب الشمال الخ) شروع في ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدم ذكرهم (قوله ما أصحاب الشمال) خبر أول وأبهمه لعظمه وقوله في سموم خبر ثان (قوله تنفذ في المسام) أي تدخل في أعماق أبدانهم (قوله وحميم) أي يطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم فيزيد عطشهم فيسقون من ماء الحميم فتتقطع عند ذلك أمعاؤهم (قوله من يحموم) صفة أولى لظل وقوله لا بارد ولا كريم صفة ثانية وثالثة له (قوله انهم كانوا الخ) تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب اشارة الى ان الثواب حاصل من فضله تعالى لا وجوب عليه فعدم ذكر سببه لا يوهم نقصا وأما العقاب فمن عدله تعالى فلو لم يذكر سببه لربما توهم الجور في حقه تعالى (قوله لا يتعبون في الطاعة) أي تركوا الطاعات واشتغلوا بالملاذ المحرمة وأما فعل الطاعات مع التنعم بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه قال تعالى قل من حرم زينة الله الآية (قوله وادخال الف بينهما على الوجهين) المناسب ان يقول وتركه ليكون منبها على أربع قراآت وكلها سبعية وهي التحقيق والتسهيل مع الالف ودونها (قوله وهو في ذلك) أي الاستفهام في هذا الموضع وهو قوله أو آباؤنا وقوله وفيما قبله أي وهو قوله أئذا متنا أئنا لمبعوثون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله والمعطوف عليه) أي على كل من القراءتين (قوله قل ان الاولين الخ) رد لانكارهم واستبعادهم (قوله لوقت يوم) اى فيه وضمن الجمع معنى السوق فعداه بالى والا فمقتضى الظاهر تعديته بفي (قوله ثم انكم) عطف على ان الاولين والخطاب لاهل مكة وأضرابهم (قوله من زقوم) هو أخبث الشجر ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة في الجحيم (قوله بيان للشجر) أي فمن بيانية وأما من الاولى فهي لابتداء الغاية أو زائدة (قوله من الشجر) أي وانما أعاد الضمير عليه مؤنثا لكون الشجر اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله فشاربون شرب الهيم) تفسير للشرب الاول وفي الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم وانه لا ينفعهم بل يزدادون به عذابا (قوله بفتح الشين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع هيمان الخ) هذا سبق قلم والصواب ان يقول جمع أهيم وهيماء لان هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر قلبت الضمة كسرة لتصح الياء وحمر جمع لاحمر وحمراء والمعنى يكونون في شربهم الحميم كالجمل أو الناقة التي أصابها الهيام وهو داء معطش تشرب منه الابل الى أن تموت أو تمرض مرضا شديدا (قوله هذا نزلهم) أي ما ذكر من مأكولهم ومشروبهم والنزل في الاصل ما يهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة فتسميته نزلا تهكم بهم (قوله بالبعث) أي الاحياء بعد الموت (قوله أفرأيتم ما تمنون الخ) احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث والمعنى اخبروني فمفعولها الاول ما تمنون والثاني الجملة الاستفهامية (قوله ما تمنون) بضم التاء في قراءة العامة من أمنى يمني وقرئ شذوذا بفتحها من مني يمني بمعنى صب والمعنى أخبروني الماء الذي تقذفونه وتصبونه في الرحم أأنتم تخلقونه الخ (قوله بتحقيق الهمزتين) في كلامه تنبيه على أربع قراآت سبعيات مع انها خمس وذلك لان التحقيق اما مع ادخال ألف بينهما ممدودة مدا طبيعيا أو بدونها والتسهيل كذلك وابدال

الثانية ألفا ممدودة مدا لازما وقوله فى المواضع الاربعة أى هذا وقوله بعد أأنتم تزرعونه أأنتم انزلتموه من المزن أأنتم أنشأتم شجرتها (قوله أم نحن الخالقون) يحتمل ان أم منقطعة لان ما بعدها جملة والمتصلة انما تعطف المفردات وحينئذ فيكون الكلام مشتملا على استفهامين الاول أأنتم تخلقونه وهو انكارى وجوابه لا والثانى مأخوذ من أم ان قدرت ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها ويكون تقريريا ويحتمل ان تكون متصلة وذلك لانها عطفت المفرد وهو نحن والاتيان بالخبر زيادة تأكيد (قوله نحن قدرنا بينكم الموت) أى حكمنا به وقضيناه على كل مخلوق فلا يستطيع أحد تغيير ما قدرنا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على أن نبدل أمثالكم) يصح تعلقه بمسبوقين أى لم يعجزنا أحد على تبديلنا أمثالكم أو بقدرنا والمعنى قدرنا بينكم الموت على أن نميت طائفة ونجعل مكانها أخرى وأمثالكم اما جمع مثل بكسر فسكون والمعنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم او جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة والمعنى نحن قادرون على أن نغير صفاتكم وننشئكم فى صفات أخرى غيرها (قوله فى ما لا تعلمون) ما موصولة وحينئذ فتكتب مفصولة من حرف الجر والمعنى نخلقكم فى صور لا علم لكم بها (قوله النشأة الاولى) أى الترابية لابيكم آدم واللحمية لامكم حواء والنطفية لكم ولا شك أن كلا منها تحويل من شئ الى غيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تثيرون الارض الخ) انما فسر الحرث بمجموع الامرين مراعاة لمعناه اللغوى ولان الشأن ان البذر يكون معه اثارة الارض والمناسب هنا تفسيره بالبذر والمعنى أفرأيتم البذر الذى تلقونه فى الطين أأنتم تنبتونه الخ (قوله نباتا يابسا لا حب فيه) أى وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم آدمى ولا غيره (قوله تفكهون) هو فى الاصل من التفكه وهو القاء الفاكهة من اليد وهو لا يكون من الشخص الا عند اصابة الامر المكروه فقوله تعجبون أى من غرابة ما نزل بكم تفسير باللازم (قوله وتقولون انا لمغرمون) أشار بذلك الى ان قوله انا لمغرمون مقول لقول محذوف حال تقديره فظلتم تفكهون قائلين انا لمغرمون أى الزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا (قوله من المزن) هو بالضم السحاب مطلقا كما قال المفسر او المراد به أبيضه أو المحتوى على الماء (قوله جعلناه أجاجا) حذفت اللام هنا لعدم الاحتياج الى التأكيد اذ لا يتوهم ملك السحاب وما فيه من الماء بخلاف الزرع والارض ففى ذلك شائبة ملك فأتى فى جانبه بالمؤكد وهو اللام (قوله لا يمكن شربه) أى ولا الانتفاع الزرع به (قوله التى تورون) من أوريت الزند قدحته لتستخرج ناره وأصله توريون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو (قوله من الشجر الاخضر) أى أو من غيره وانما اقتصر على الشجر الاخضر لكونه أعظم وأبهر فى الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته (قوله كالمرخ والعفار) تقدم الكلام على ذلك فى سورة يس وأما الكلخ فهو معروف فى بعض بلاد المغرب والشام يؤخذ منه قطعتان وتضرب احداهما بالأخرى فتخرج النار وعن ابن عباس انه قال ما من شجر ولا عود الا وفيه النار سوى العناب (قوله المسافرين) أى وخصوا بالذكر لان منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال ونحو ذلك من المنافع (قوله من أقوى القوم) أشار بذلك الى أن المراد بالمقوين المسافرون وانه مأخوذ من أقوى القوم اذا صاروا بالقوا وهى الارض الخالية من السكان وقيل المراد بهم ما هو أعم لان المقوى من الاضداد يقال للفقير لخلوه من المال وللغنى لقوته على ما يريد والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين فلا غنى لاحد عنها (قوله بالقصر والمد) أى مع كسر القاف فيهما (قوله فسبح باسم ربك) مفرع على ما تقدم والمعنى ادع الخلق الى توحيد الله وطاعته ووضح لهم الامر بما تقدم فان لم يهتدوا فارجع الى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره والمراد نزهه عما لا يليق به سواء كان بخصوص سبحان الله أو بغيره من بقية الاذكار (قوله زائد) أى لفظ اسم زائد والمعنى سبح ربك وسبح يتعدى بنفسه وبالباء وما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ اسم احد قولين

(أم نحن الخالقون نحن قدرنا) بالتشديد والتخفيف (بينكم الموت وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (على) عن (أن نبدل) أى نجعل (أمثالكم) مكانكم (وننشئكم) نخلقكم (فيما لا تعلمون) من الصور كالقردة والخنازير (ولقد علمتم النشأة الاولى) وفى قراءة بسكون الشين (فلولا تذكرون) فيه ادغام التاء الثانية فى الاصل فى الذال (أفرأيتم ما تحرثون) تثيرون الارض وتلقون البذر فيها (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما) نباتا يابسا لا حب فيه (فظلتم) أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا أى أقمتم نهارا (تفكهون) حذفت منه احدى التاءين فى الاصل تعجبون من ذلك وتقولون (انا لمغرمون) نفقة زرعنا (بل نحن محرومون) ممنوعون رزقنا (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب جمع مزنة (أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا لا يمكن شربه (فلولا) فهلا (تشكرون أفرأيتم النار التى تورون) تخرجون من الشجر الاخضر (أأنتم أنشأتم شجرتها) كالمرخ والعفار والكلخ (أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة) لنار جهنم (ومتاعا) بلغة (للمقوين) للمسافرين من أقوى القوم أى صاروا بالقوا بالقصر والمد أى القفر وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء (فسبح) نزه (باسم) زائد (ربك العظيم) أى الله (فلا أقسم)

والآخر انه ليس زائدا بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص ولذا قال الفقهاء من وجد اسم الله تعالى مكتوبا فى ورقة وموضوعا فى قذر وتركه فقد كفر وذلك لان التهاون باسماء الله كالتهاون بذاته لان الاسم دال على المسمى وهذا هو الاتم ﴿فائدة﴾ أثبتوا فى الخط ألف اسم هنا وحذفوها من البسملة لكثرة دوران البسملة فى الكلام دون ماهنا (قوله لا زائدة) اى للتاكيد لان المقصود القسم وهذا احد أقوال فيها وقيل هى لام الابتداء دخلت على مبتدا محذوف تقديره أنا اقسم حذف المبتدا فاتصلت بخبره وقيل هى نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فيك وفى قرآنك وقوله اقسم الخ جملة مستأنفة تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة وقيل هو منازلها وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما فان الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العليا الى السفرة الكاتبين جملة واحدة فنجمه السفرة على جبريل وهو على محمد فى عشرين سنة (قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه وفى اثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهى قوله لو تعلمون وليس هذا من باب الاعتراض باكثر من جملة لان الجملتين فى حكم جملة واحدة (قوله أى لو كنتم الخ) أشار بذلك الى ان جواب لو محذوف والى ان الفعل منزل منزلة اللازم (قوله لعلمتم عظم هذا القسم) اى لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة ولان آخر الليل الذى هو وقت تساقط النجوم محل الرحمات والعطايا الربانية قال تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم (قوله لقرآن كريم) اى كثير النفع وصف بالكرم لاشتماله على خير الدين والدنيا والآخرة ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول (قوله مصون) أى من التغيير والتبديل ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قوله وهو المصحف) أى وقيل هو اللوح المحفوظ وعليه فمعنى لا يمسه لا يطلع عليه الا الملائكة المطهرون من الاقذار المعنوية ولا يكون فى الآية دليل لنهى المحدث عن مس المصحف (قوله خبر بمعنى النهى) اى فاطلق الخبر وأريد النهى والا فلو أبقى على خبريته للزم عليه الخلف فى خبره تعالى لانه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخلف فى خبره تعالى محال وما مشى عليه المفسر أحد وجهين والآخر أن لا ناهية والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام وانما حرك بالضم اتباعا لحركة الهاء ان قلت انه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية فان قوله تنزيل من رب العالمين صفة رابعة لقرآن وأجيب بانه لا يتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبر المبتدا المحذوف أى هو تنزيل (قوله منزل) أشار بذلك الى ان المصدر بمعنى اسم المفعول (قوله أفبهذا الحديث الخ) الاستفهام توبيخى والمعنى لا يليق منكم ذلك (قوله مدهنون) الادهان فى الاصل جعل الشئ مدهونا بالدهن ليلين ويحسن أطلق وأريد به اللين الظاهرى الذى هو النفاق ولذا سميت المداراة والملاينة فيما يغضب الله مداهنة فالدهن هو الذى ظاهره يخالف باطنه والمراد به هنا الكفر مطلقا كما أفاده المفسر (قوله بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله (قوله حيث قلتم مطرنا الخ) أى وقائل ذلك كافر ان اعتقد تأثير الكوكب فى المطر وعاص ان لم يعتقده (قوله فلولا اذا بلغت الخ) الظرف متعلق بترجعونها مقدم عليه وقوله وأنتم حينئذ الخ جملة حالية من فاعل بلغت وكذا قوله ونحن أقرب اليه (قوله من البصيرة) أى أو من البصر والمعنى وأنتم لا تبصرون أعوان ملك الموت وورد أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيأ فشيأ حتى ينتهوا بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت (قوله مجزيين) اى مدينين من الدين بمعنى الجزاء وقوله غير مبعوثين تفسير للمراد هنا (قوله فلولا الثانية) أى التى فى قوله فلولا ان كنتم غير مدينين (قوله تاكيد) أى لفظى وقوله للاولى أى التى فى قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم (قوله المتعلق به الشرطان) أى وهما ان كنتم غير مدينين ان كنتم صادقين ومعنى تعلقهما به انه جزاء لكل منهما (قوله والمعنى هلا الخ) اى فهى للطلب والمعنى ارجعوها

نائبه لا زائدة (بمواقع النجوم) بمساقطها لغروبها (وانه) أى القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم (انه) أى المتلو عليكم (لقرآن كريم فى كتاب) مكتوب (مكنون) مصون وهو المصحف (لا يمسه) خبر بمعنى النهى (الا المطهرون) أى الذين طهروا أنفسهم من الاحداث (تنزيل) منزل (من رب العالمين أفبهذا الحديث) القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون مكذبون (وتجعلون رزقكم) من المطر أى شكره (أنكم تكذبون) بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا (فلولا) فهلا (اذا بلغت) الروح وقت النزع (الحلقوم) هو مجرى الطعام (وأنتم) يا حاضرى الميت (حينئذ تنظرون) اليه (ونحن أقرب اليه منكم) بالعلم (ولكن لا تبصرون) من البصيرة أى لا تعلمون ذلك (فلولا) فهلا (ان كنتم غير مدينين) مجزيين بان تبعثوا أى غير مبعوثين بزعمكم (ترجعونها) تردون الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) فيما زعمتم فلولا الثانية تاكيد للاولى واذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى هلا ترجعونها

(قوله ان نفيتم البعث) هذا هو الشرط الاول وقوله صادقين فى نفيه هو الشرط الثانى (قوله لينتفى الخ) علة للجزاء وقوله عن محلها أى الذى هو الجسد والمعنى ان صدقتم فى نفى البعث فردوا روح المحتضر الى جسده لينتفى عنه الموت فينتفى البعث الذى تنكرونه لترتبه على الموت (قوله فاما ان كان من المقربين الخ) شروع فى بيان حال المتوفى بعد المات أثر بيان حاله عنده (قوله من المقربين) اى وهم المعبر عنهم فيما سبق بالسابقين (قوله فروح) بفتح الراء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بضمها ومعناها الرحمة (قوله اى فله) أشار بذلك الى ان روح مبتدا خبره محذوف (قوله وجنت نعيم) ترسم هنا بالتاء المجرورة والوقف عليها اما بالهاء او التاء وفى ذكر الجنة عقب الروح والريحان اشعار بان محل ذلك يكون للمقربين فى البرزخ قبل الجنة كما هو مشهور فى السنة (قوله وهل الجواب لأما) اى وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه وهذا هو الراجح لانه عهد حذف جواب ان كثيرا (قوله فسلام لك) اى يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين ففيه التفات من الغيبة الى الخطاب تعظيما لصاحب اليمين (قوله اى له السلامة) اشار بهذا الى ان السلام بمعنى السلامة وهو خلاف ما قلنا فهما تفسيران (قوله من جهة انه منهم) اشار به الى ان من تعليلية اى من اجل انه منهم (قوله واما ان كان من المكذبين) لم يقل واما ان كان من اصحاب الشمال الخ تبكيتا عليهم واشعارا بالافعال التى اوجبت لهم هذا العذاب (قوله فنزل) مبتدا خبره محذوف أى له نزل من حميم والمعنى انه يشربه بعدما كل الزقوم وسمى نزلا تهكما بهم (قوله وتصلية جحيم) اى احتراق بها (قوله ان هذا) أى ماذكر من قصة المحتضرين أو ماقصصناه عليك فى هذه السورة (قوله تقدم) الذى تقدم فى كلامه ان سبح بمعنى نزه وان لفظ اسم زائد وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وانه الاولى والعظيم يصح ان يكون صفة للاسم وان يكون صفة لربك لان كلا منهما مجرور وفى ذكر لفظ التسبيح فى آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التسابيح كأن الله تعالى يقول سبح باسم ربك لانه سبح له ما فى السموات والارض والله أعلم باسرار كتابه

﴿سورة الحديد﴾

سميت بذلك لذكر الحديد فيها من باب تسمية الكل باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله مكية) اى لما قيل ان سبب اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه دخل على اخته وكانت أسلمت قبله فوجد أوائل هذه السورة الى قوله ان كنتم مؤمنين مكتوبا فى صحيفة فأسلم (قوله او مدنية) وهو لابن عباس وعليه الجمهور وقال القرطبى انها مدنية فى قول الجميع واسلام عمر كان بأوائل طه وعلى القول بأنه كان باوائل هذه السورة فتستثنى هذه الآيات من القول بانها مدنية (قوله سبح لله) عبر هنا وفى الحشر والصف بالماضى وفى الجمعة والتغابن بالمضارع وفى الاعلى بالامر وفى الاسراء بالمصدر اشعارا بأن التسبيح مطلوب من الانسان فى كل حال وصدر بالمصدر تنبيها على ان تنزيهه تعالى مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين كما ان المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضى لتقدم زمنه ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال ثم بالامر لتأكيد الحث على طلبه من الشخص فكأنه قال حيث علمت ايها الشخص ان ربك منزه تنزيها مطلقا وسبحه من تقدم من المخلوقات واستمروا على تسبيحه فعليك بالاشتغال به والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولا وفعلا واعتقادا من سبح فى الارض والماء ذهب وأبعد فيهما ان قلت ان سبح متعد بنفسه فما وجه الاتيان باللام أجيب بأن اللام زائدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له وعليه اقتصر المفسر أو للتعليل والمعنى فعل التسبيح لاجل رضا الله تعالى وخالصا لوجهه لا لغرض آخر (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد وهو مفرع على قوله أى نزهه أو أصلية للتعليل كما علمت (قوله تغليبا للاكثر) أى وهو غير العاقل فالمراد بالسموات والارض جهة العلو والسفل فيشمل نفس السموات والارض * واعلم أن تسبيح العقلاء بلسان المقال اتفاقا * واختلف فى تسبيح غيرهم فقيل بالحال أى ان ذاتها دالة على تنزيه صانعها

ان نفيتم البعث صادقين فى نفيه أى لينتفى عن محلها الموت كالبعث (فأما ان كان) الميت (من المقربين فروح) أى فله استراحة (وريحان) رزق حسن (وجنت نعيم) وهل الجواب لأما أولان أولهما أقوال (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك) أى له السلامة من العذاب (من أصحاب اليمين) من جهة انه منهم (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين) من اضافة الموصوف الى صفته (فسبح باسم ربك العظيم) تقدم

﴿سورة الحديد مكية أو مدنية تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما فى السموات والارض) أى نزهه كل شئ فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للاكثر

في سبيل الله (قرضاً حسناً) بأن ينفقه لله (فيضاعفه) وفي قراءة فيضعّفه بالتشديد (له) من عشرا إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر في البقرة (وله) مع المضاعفة (أجر كريم) مقترن به رضا وإقبال اذكر (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم) أمامهم (و) يكون (بأيمانهم) ويقال لهم (بشراكم اليوم جنات) أي دخولها (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أبصرونا وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء أمهلونا (نقتبس) نأخذ القبس والإضاءة (من نوركم قيل) لهم استهزاء بهم (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) فرجعوا (فضرب بينهم) وبين المؤمنين (بسور) قيل هو سور الأعراف (له باب باطنه فيه الرحمة) من جهة المؤمنين (وظاهره) من جهة المنافقين (من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم) على الطاعة (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) بالنفاق (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) شككتم في دين الإسلام (وغرتكم الأماني) الأطماع (حتى جاء أمر الله) الموت (وغركم بالله

صاحب الحكم ومن مزيد فضله عليك أن خلق ونسب إليك (قوله في سبيل الله) أي طاعته جهادا أو غيره (قوله قرضا حسنا) قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والأذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وأن تستحقر ما تعطي وإن كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك إليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة خصال إذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا (قوله بأن ينفقه لله) أي خالصا لوجهه لا رياء ولا سمعة (قوله وفي قراءة فيضعفه الخ) أي وعلى كل من القراءتين فالفعل إما مرفوع عطفا على يقرض أو مستأنفا أو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام فالقراآت أربع سبعيات (قوله وله مع المضاعفة أجر كريم) [٣] ظاهر المفسر أن العبد إذا عمل الحسنة تضاعف له إلى سبعمائة ويعطى فوق ذلك أجرا كريما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ولكن الذي يظهر أن الأجر الكريم يحصل له في نظير العمل المضاعف وذلك أن المضاعفة تكتب للعبد في الدنيا وتوزن له يوم القيامة ويستوفي أجرها الكريم في الجنة (قوله رضا وإقبال) فاعل مقترن والمعنى أنه يعطى ثواب أعماله مع الرضا والإقبال عليه من الله تعالى كما قال ورضوان من الله أكبر (قوله اذكر يوم ترى) أشار بذلك إلى أن يوم ظرف لمحذوف وهو أحد أوجه أو ظرف لأجر كريم والمعنى لهم أجر كريم في ذلك اليوم أو ظرف ليسعى والمعنى يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم (قوله يسعى نورهم) الجملة حالية لأن الرؤية بصرية وهذا إذا لم يجعل عاملا في يوم (قوله بين أيديهم) أي على الصراط (قوله وبأيمانهم) قدر يكون دفعا لما قد يتوهم من تسليط يسعى عليه أنه يكون النور في جهاته بعيدا عنه والمراد بالأيمان جميع الجهات فعبر بالبعض عن الكل قال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره إلى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه (قوله ويقال لهم) أي تقول الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم إلى غير نهاية (قوله أي دخولها) أشار بذلك إلى أن قوله جنات خبر بشراكم على حذف مضاف (قوله ذلك هو الفوز العظيم) أي الجنة وما فيها من النعيم المقيم (قوله يوم يقول المنافقون) بدل من يوم ترى (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا ثم يحتمل أن القراءة الأولى بمعنى هذه لأنه يقال نظره بمعنى انتظره وذلك لأنه يسرع بالمؤمنين الخالصين إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انتظرونا لأنا مشاة لا نستطيع لحوقكم ويحتمل أن يكون من النظر وهو الإبصار كما قال المفسر وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان (قوله أمهلونا) أي تمهلوا لنا لندرككم (قوله ارجعوا وراءكم) أي إلى الموقف أو الدنيا أو المعنى ارجعوا خائبين لا سبيل لكم إلى نورنا وهذا استهزاء بهم وذلك لأنهم لا يستطيعون الرجوع إلى الموقف ولا إلى الدنيا (قوله فضرب بينهم بسور) الفعل مبني للمفعول وبسور نائب الفاعل والباء زائدة (قوله قيل هو سور الأعراف) وقيل حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذي يعطاه المؤمنون (قوله له باب) الجملة صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة صفة ثانية له أيضا ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه (قوله ينادونهم) جملة مستأنفة والمعنى ينادي المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم نصلي كما تصلون ونطيع كما تطيعون (قوله قالوا بلى) أي كنتم معنا في الظاهر (قوله ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها (قوله بالنفاق) أي والمعاصي والشهوات (قوله الدوائر) أي الحوادث (قوله حتى جاء أمر الله) قرئ في السبع بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر وتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى وبتحقيقهما

(٣) قول المحشي ظاهر المفسر الخ هكذا في نسخة وفي نسخة (قوله وله مع المضاعفة أجر كريم) قال العبد إذا عمل الحسنة يضاعف له في الجزاء عشرا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة على حسب الإخلاص في العمل ويعطى فوق ذلك أجرا كريما وهو رضا الله ورؤية وجهه حققنا الله بذلك

فالقراآت

(الغرور) الشيطان (فاليوم لا يؤخذ) بالياء والتاء (منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم) أولى بكم (وبئس المصير) هي (ألم يأن) يحن (للذين آمنوا) نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل) بالتخفيف والتشديد (من الحق) القرآن (ولا يكونوا) معطوف على تخشع (كالذين أوتوا الكتاب من قبل) هم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) لم تلين لذكر الله (وكثير منهم فاسقون اعلموا) خطاب للمؤمنين المذكورين (ان الله يحيي الأرض بعد موتها) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردها الى الخشوع (قد بينا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لعلكم تعقلون ان المصدقين) من التصدق أدغمت التاء في الصاد أي الذين تصدقوا (والمصدقات) اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق الايمان (وأقرضوا الله قرضا حسنا) راجع الى الذكور والاناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لانه فيها حل محل الفعل وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له (يضاعف) وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم (لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) المبالغون في التصديق (والشهداء عند ربهم) على المكذبين من الأمم (لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا (أولئك أصحاب الجحيم)

فالقراآت اربع سبعيات (قوله الغرور) بفتح الغين هو الشيطان كما قال المفسر وقرئ بالضم شذوذا وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل (قوله فاليوم) الظرف متعلق بيؤخذ (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله ولا من الذين كفروا) عطف الكافرين على المنافقين لتغايرهم في الظاهر (قوله هي مولاكم) يجوز أن يكون مصدرا أي ولايتكم أي ذات ولايتكم وأن يكون مكانا أي مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى أي هي أولى بكم وهو الذي اقتصر عليه المفسر ويصح أن يكون بمعنى ناصركم أي لا ناصر لكم الا النار وهو تهكم بهم (قوله ألم يأن للذين آمنوا الخ) العامة على سكون الهمزة وكسر النون مضارع أني يأني كرمي يرمي مجزوم بحذف حرف العلة والمعنى ألم يأن أوان الخشوع والخضوع لقلوب الذين آمنوا وحينئذ فالذي ينبغي لهم الاقبال على شأنهم وتركهم ما لا يعنيهم وقرئ شذوذا بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن كباع فلما جزم سكن وحذفت عينه لالتقاء الساكنين اذا علمت ذلك فقول المفسر يحن حل معنى لا حل اعراب والا فهو يناسب القراءة الشاذة لانه من حان يحين كباع يبيع فهو مجزوم بالسكون ومعنى حان قرب وقته (قوله لما أكثروا المزاح) أي بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة وذلك لانهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا على ذلك وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا بعظاهر الدنيا فحصل منهم المزاح والهزل فعوتبوا عليه وأما غالبهم كابي بكر واضرابه فمقامهم يجل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) ان وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يأن أي ألم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) اي وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد اي والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله من الحق بيان لما (قوله معطوف على تخشع) اي ولا نافية ويصح ان تكون لا ناهية فيكون انتقالا الى نهيهم عن التشبه بمن تقدمهم فان الدوام على المزاح ربما ادى لذلك (قوله الكتاب) أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والانجيل (قوله فطال عليهم الامد) قرأ العامة بتخفيف دال الامد ومعناه الزمن وقرأ غيرهم بتشديدها وهو الزمن الطويل (قوله لم تلن لذكر الله) أي لم تخضع ولم تذل (قوله وكثير منهم فاسقون) اي خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيهم والقليل متمسك بشرع نبيه وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم واما بعد ظهوره فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى (قوله خطاب للمؤمنين المذكورين) اي الذين عوتبوا في شأن المزاح كأن الله تعالى يقول لهم يا عبادي لا تقنطوا من رحمتي فان شأني احياء الارض الميتة بالنبات فكذلك اذا حصل منكم الانابة والرجوع احييت قلوبكم بالذكر والفكر فانبتت العلوم والمعارف (قوله بهذا) أي كونه يحيي الارض بعد موتها وقوله وغيره اي من الامور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله أدغمت التاء في الصاد) اي بعد قلبها صادا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله راجع الى الذكور والاناث) أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الاول فقط لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها (قوله في صلة أل) الجملة نعت للاسم أي الاسم الكائن في صلة أل وقوله فيها متعلق بحل وهذا من قبيل قول ابن مالك * واعطف على اسم شبه فعل فعلا * الخ (قوله وذكر القرض الخ) جواب عما يقال ان قوله المصدقين على قراءة التشديد يغني عنه لان المراد بالقرض الصدقة فأجاب بانه ذكره توطية لوصفه بالحسن فقوله تقييد له أي للتصدق بوصف القرض وهو الحسن (قوله يضاعف لهم) اي يكتب لهم في صحائفهم الحسنة بعشرة الى سبعمائة الى غير ذلك (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولهم أجر كريم) ٣ أي في نظير عملهم المضاعف (قوله والذين آمنوا) مبتدا أول وأولئك مبتدا ثان وهم اما ضمير فصل أو مبتدا ثالث والصديقون خبر الثالث وهو وخبره خبر الثاني وهو وخبره خبر الاول (قوله أولئك هم الصديقون) أي الموصوفون بالايمان بالله ورسله والمراد الايمان الكامل والا فمجرد الايمان لا يسمى الشخص به صديقا لان الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله والشهداء) يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله فالوقف تام على قوله الشهداء

(٣) قول المحشي أي في نظير عملهم المضاعف في نسخة أي فوق عملهم المضاعف

ويكون أخبر عن الذين آمنوا بانهم صديقون شهداء وقوله عند ربهم ظرف متعلق بقوله بعد لهم أجرهم ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره اما الظرف بعده أو جملة لهم اجرهم (قوله النار) أى فراده بالجحيم دار العذاب لا خصوص الطبقة المسماة بالجحيم (قوله اعلموا انما الحياة الدنيا لعب الخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها شرع يزهدهم فى الدنيا لانها قليلة النفع سريعة الزوال (قوله لعب) أى يتعب الناس فيها أنفسهم جدا كاتعاب الصبيان أنفسهم فى اللعب من غير فائدة (قوله ولهو) أى شغل عن الآخرة (قوله وزينة) أى ما يتزين به من اللباس والحلى ونحوهما (قوله وتفاخر بينكم) أى مفاخرة حاصلة فيما بينكم والعامة على تنوين تفاخر وقرئ شذوذا باضافته الى الظرف بعده (قوله أى الاشتغال فيها) أشار بذلك الى أن قوله انما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف والتقدير انما الاشتغال بالحياة الدنيا لعب الخ فالشغل بها دائر بين هذه الامور الخمسة قال على كرم الله وجهه لعمار ابن ياسر لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة وأكثر شرابها الماء وهو يستوى فيه جميع الحيوان وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال فى مبال (قوله كمثل غيث) يحتمل أن يكون خبرا سادسا الان ويحتمل أن يكون خبرا لمحذوف وعليه اقتصر المفسر والمثل بمعنى الصفة والمعنى صفتها كصفة غيث الخ (قوله مطر) أى حصل بعد جدب و يأس (قوله الزراع) انما سموا كفارا لانهم يسترون الارض بالزرع بسبب الحرث والبذر كما سمى من ستر الايمان بالطغيان والجحد كافرا ويصح ان يبقى الكفار على حقيقته وذلك لان الكفار يفتخرون و يعجبون فى السراء و يسخطون فى الضراء فاذا كانوا زراعا افتخروا بالزرع اذا ظهر وسخطوا اذ اضاع فصفة الدنيا كصفة كفار زراع تعبوا فى الارض وحرثوها وبذروها فظهر زرعها ففرحوا به فرح بطر وخيلاء ثم يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وعبارة المفسر محتملة للمعنيين لان قوله الزراع يحتمل أن يكون تفسير الكفار أو صفة لهم (قوله ييبس) تفسير ليهيج والحامل له على ذلك تفريع قوله فتراه مصفرا عليه والا فيهيج معناه فى اللغة يطول جدا (قوله وفى الآخرة عذاب شديد) لما ذكر أحوال الدنيا الزائلة ذكر ما يكون عقب زوالها وقسمه الى قسمين عذاب شديد ومغفرة ورضوان وفى الآية بشارة عظيمة حيث قابل العذاب بشيئين المغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين (قوله ما التمتع فيها) أشار بذلك الى أن قوله وما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف (قوله الامتاع الغرور) هو بالضم ما اغتر به الشخص من متاع الدنيا (قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة المتسابقين الى ما يوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب والى ما يوجب الجنة وهو فعل الطاعات (قوله كعرض السماء والارض) أى ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها الى بعض لكان عرض الجنة فى عرض جميعها قال ابن عباس يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان ذلك تمثيل للعباد بما يعقلونه و يعرفونه وأكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا له اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال لهم أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا ان مثلها فى التوراة (قوله والعرض السعة) جواب عما يقال انه ذكر العرض ولم يذكر الطول فأجاب المفسر بانه لم يرد بالعرض ما قابل الطول بل أراد به السعة وأجيب أيضا بانه ترك ذكر الطول تعظيما لشأنها لانه اذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لان العرض أقل من الطول (قوله ذلك فضل الله) أى الموعود به من المغفرة والجنة (قوله من مصيبة) من زائدة فى فاعل أصاب وعهد زيادتها حيث وقعت فى جملة منفية و مجرورها نكرة (قوله فى الارض) يصح أن يكون متعلقا بأصاب أو

النار (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة) تزيين (وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) أى الاشتغال فيها وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (كمثل) أى هى فى اعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غيث) مطر (أعجب الكفار) الزراع (نباته) الناشئ عنه (ثم يهيج) ييبس (فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) فتاتا يضمحل بالرياح (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن آثر عليها الدنيا (ومغفرة من الله ورضوان) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وما الحياة الدنيا) ما التمتع فيها (الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) لو وصلت احداهما بالاخرى والعرض السعة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة فى الارض)

محذوف

بمحذوف صفة لمصيبة أو بنفس مصيبة (قوله بالجدب) أى وغيره كالعاهة والزلزلة (قوله الا فى كتاب) حال من مصيبة لتخصصها بالوصف والمعنى الا مكتوبة فى كتاب (قوله من قبل أن نبرأها) الضمير عائد على المصيبة (قوله و يقال فى النعمة كذلك) أى ما حصل للخلائق نعمة فى الارض كالمطر ولا فى أنفسكم كالصحة والولد الا مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقها الله وأشار المفسر بهذه العبارة الى ان فى الآية حذف الواو مع ما عطفت بدليل التعليل الآتى فى قوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم و يصح ان يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير وشر وعلى ما مشى عليه المفسر من ان المراد بالمصيبة الشر تخصيصه بالذكر لانه اهم على البشر (قوله ان ذلك على الله يسير) اى سهل لا مشقة فيه ولا تعب بل هو بقول كن (قوله كى ناصبة للفعل) أى بنفسها لدخول اللام عليها ولذا قال بمعنى أن (قوله أى أخبر تعالى) اشار بذلك الى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف (قوله تأسوا) مضارع منصوب بحذف النون والواو فاعل واصله تأسيون تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار تأساون فالتقى ساكنان الالف والواو التى هى الفاعل حذفت الالف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تفعون ومصدره اسى وفعله اسى كجوى جوى فقول بعض النحاة والتقدير لاجل عدم اساءتكم صوابه اساكم لان مصدره اسى لا اساءة (قوله تحزنوا) اى حزنا يوجب القنوط والا فالحزن الطبيعى لا ينفك عنه الانسان كالفرح الطبيعى (قوله بل فرح شكر على النعمة) اى فالمنهى عنه الحزن الموجب للجزع والقنوط والفرح الموجب للبطر والاشر وعدم شكر النعمة واما الفرح والحزن الطبيعيان فلا محيص للشخص عنهما ولكن يسلم أمره لله و يرجع فى جميع اموره لمالكه وسيده فالمقصود من هذه الآية بيان ان الخير والشر بيد الله مقدر كل منهما فى الازل يجب الرضا به (قوله بما آتاكم) أى لانه مقدر لكم (قوله وبالقصر) هما قراءتان سبعيتان (قوله جاءكم منه) اى من الله (قوله كل مختال) أى معجب بنعم الله عليه (قوله بما أوتى) أى من النعم (قوله فخور به على الناس) اى كثير الفخر بما أعطيه من النعم على الناس (قوله الذين يبخلون) مبتدا خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وعيد شديد و يصح ان يكون خبرا لمحذوف تقديره هم الذين يبخلون او بدل من قوله كل مختال فخور (قوله بما يجب عليهم) اى من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره ومن بيان صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى فى الكتب القديمة (قوله و يأمرون الناس) اى من يعرفونه (قوله ومن يتول) اى يعرض ومن شرطية وجوابها محذوف تقديره فالو بال عليه (قوله وفى قراءة بسقوطه) اى وهى سبعية ايضا وهى تعين انه ضمير فصل اذ لو صح أن يجعل ضميرا منفصلا لما حسن اسقاطه من غير دليل لانه عمدة (قوله الغنى) اى المستغنى عما سواه (قوله الحميد لاوليائه) اى المثنى عليهم بالاحسان المنعم عليهم بجزيل الانعام (قوله لقد أرسلنا) اللام موطئة لقسم محذوف اى والله لقد ارسلنا الخ (قوله الملائكة الى الانبياء) تبع فى ذلك الزمخشرى ولم يسبقه اليه احد والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية فى قوله وأنزلنا معهم الكتاب لان الكتب انما تنزل مع الملائكة والمناسب ان يفسر الرسل بالبشر كما عليه الجمهور ولانه لم ينزل بالكتب والاحكام على الرسل الا جبريل فقط وحينئذ فقوله معهم ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة والتقدير وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلا وصائرا الآن يكون معهم اذا وصل اليهم أو مع بمعنى الى (قوله العدل) أى فليس المراد بالميزان حقيقته فقط بل ما يشمله وغيره والمراد بالعدل التوسط فى الامور فلا يحصل منهم تفريط ولا افراط (قوله ليقوم الناس بالقسط) علة لارسال الرسل وانزال الكتاب والميزان (قوله أخرجناه من المعادن) هذا احد قولين فى تفسير الانزال والآخر ابقاؤه على حقيقته لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد وروى من آلة الحدادين السندال والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المبرد والمسحاة وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء الحديد والنار والماء والملح وعن ابن عباس أيضا قال أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم الحجر الاسود وعصا موسى

بالجدب (ولا فى أنفسكم) كالمرض وفقد الولد (الا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) نخلقها و يقال فى النعمة كذلك (ان ذلك على الله يسير لكيلا) كى ناصبة للفعل بمعنى أن أى أخبر تعالى بذلك لئلا (تأسوا) تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بما آتاكم) بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (والله لا يحب كل مختال) متكبر بما أوتى (فخور) به على الناس (الذين يبخلون) بما يجب عليهم (و يأمرون الناس بالبخل) به لهم وعيد شديد (ومن يتول) عما يجب عليه (فان الله هو) ضمير فصل وفى قراءة بسقوطه (الغنى) عن غيره (الحميد) لاوليائه (لقد أرسلنا رسلنا) الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج القواطع (وأنزلنا معهم الكتاب) بمعنى الكتب (والميزان) العدل (ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد) أخرجناه من المعادن

والحديد اه والسندال بكسر السين وفتحها والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد (قوله فيه بأس شديد) الجملة حالية من الحديد (قوله يقاتل به) أى فمنه الترس ومنه السلاح ونحو ذلك (قوله ومنافع للناس) أى فما من صنعة الا والحديد له دخل فى آلتها (قوله علم مشاهدة) أى للخلق والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده فاندفع ما يقال ان هذا التعليل يوهم حدوث العلم مع انه قديم (قوله معطوف على ليقوم) أى لكن المعطوف عليه علة للارسال والانزال والمعطوف علة لانزال الحديد وفى الحقيقة قوله ليعلم علة للثلاثة (قوله بآلات الحرب الخ) انما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه (قوله من هاء ينصره) أى الواقعة على الله تعالى (قوله غائبا عنهم) أى محتجبا بجلاله وعظمته (قوله ولا يبصرونه) أى فى الدنيا فان رؤيته تعالى فى الدنيا لم تثبت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لا حاجة له الى النصرة) أى وانما هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه وشقاوة لمن لم يحصل (قوله لكنها تنفع من يأتى بها) أى فنفع التكاليف عائد على ذوات المكلفين قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) معطوف على قوله لقد أرسلنا رسلنا وكرر القسم اظهارا لمزيد الاعتناء والتعظيم وخص هذين الرسولين بالذكر لان جميع الانبياء من ذريتهما وذلك لان نوحا هو الأب الثانى لجميع البشر وابراهيم أبو العرب والروم وبنى اسرائيل (قوله يعنى الكتب الاربعة) أشار بذلك الى ان ال فى الكتاب للجنس وخص هذه الاربعة لانها أصول الكتب (قوله والفرقان) فى نسخة القرآن (قوله فمنهم مهتد) أى من الذرية أو من المرسل اليهم (قوله فاسقون) أى كافرون بدليل مقابلته بالمهتد (قوله ثم قفينا على آثارهم) الضمير عائد على نوح وابراهيم ومن عاصرهما من الرسل وليس عائدا على الذرية فان الرسل المقفى بهم من جملة الذرية والمعنى ثم أتبعنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا الى عيسى عليه السلام (قوله وقفينا بعيسى) أى جعلناه تابعا لهم ومتأخرا عنهم فى الزمان وخصه بالذكر للرد على اليهود المنكرين لنبوته ورسالته (قوله وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) أى من الحواريين وغيرهم (قوله رأفة ورحمة) أى شدة لين وشفقة (قوله ورهبانية) يصح أن يكون بالنصب عطفا على رأفة وجملة ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل اما بمعنى خلق أو صير وذلك لان الرأفة والرحمة أمر غريزى لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب ويصح أن تكون منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر فهو من باب الاشتغال (قوله هى رفض النساء الخ) أى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس والتقشف فى المأكل والملبس والمشرب مع التقلل من ذلك روى عن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون منا الا ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها أى ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ

انتهى

(فيه بأس شديد) يقاتل به (ومنافع للناس وليعلم الله) علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (من ينصره) بان ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (ورسله بالغيب) حال من هاء ينصره أى غائبا عنهم فى الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى عزيز) لا حاجة له الى النصرة لكنها تنفع من يأتى بها (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) يعنى الكتب الاربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان فانها فى ذرية ابراهيم (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية) هى رفض النساء واتخاذ الصوامع (ابتدعوها) من قبل أنفسهم (ما كتبناها عليهم) ما أمرناهم بها

انتهى (قوله الا لكن) أشار المفسر الى ان الاستثناء منقطع والى هذا ذهب جماعة وقيل ان الاستثناء متصل من عموم الاحوال والمعنى ما كتبناها عليهم لشئ من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى (قوله فما رعوها حق رعايتها) أى ما قاموا بها حق القيام بل غلوا فى دينهم غير الحق وقالوا بالتثليث وكفر وا بدين عيسى من قبل ظهور محمد (قوله فآتينا الذين آمنوا به) أى بنبينا وقوله وكثير منهم أى من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها (قوله فاسقون) أى لم يؤمنوا بنبينا بل داموا على الكفر والقول بالتثليث واقتدى بهم امة من بعد أمة الى نزول عيسى عليه السلام فيمحو وما مشى عليه المفسر خلاف ما تفيده رواية ابن عباس المتقدمة فان مقتضاها حمل قوله فآتينا الذين آمنوا على من آمن بعيسى وقوله وكثير منهم فاسقون على من غير و بدل قبل بعثة نبينا وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها فتدبر (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما قدم ان أمة عيسى بعد رفعه الى السماء افترقوا فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها الى ان ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من غير وبدل شرع بين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم (قوله آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسرين ويشهد له سياق الكلام والثانى ان الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين فيشمل المؤمنين بعيسى و بمن قبله من الرسل ان قلت ان هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة فنسخت بملة محمد صلى الله عليه وسلم وأما فيمن نسخت ملته بملة عيسى كاليهود فلا تظهر اثابتهم على التمسك بها أجيب بان اثابتهم على تلك الملة المنسوخة من خصائص دخولهم فى ملة الاسلام ولذلك كان الاسلام يصحح أنكحتهم الفاسدة (قوله اتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله يؤتكم) أى يثبكم على اتباعه (قوله كفلين) تثنية كفل وهو فى الأصل كساء يعقد على ظهر البعير فيلتى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز يحفظ الراكب و يمنعه من السقوط والمراد هنا نصيبان عظيمان من الرحمة يمنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكب من السقوط وهذان الكفلان لا يختصان من ذكر بل ورد فى الحديث ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذى أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران (قوله لايمانكم بالنبيين) أى فاستحقاقهم الكفلين ظاهر لانهم آمنوا بعيسى واستمروا على دينه الى ان بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فكفل لايمانهم بعيسى وكفل لايمانهم بنبينا (قوله و يجعل لكم نورا) قيل هو القرآن وقيل هو الهدى والسبيل الواضح فى الدين (قوله و يغفر لكم) أى ما سبق من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله لئلا يعلم أهل الكتاب) سبب نزولها انه لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية وقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابنا وكتابكم ومن لم يؤمن منا بكتابكم فله أجر كأجركم فبأى شئ فضلتم علينا فنزلت هذه الآية ردا عليهم (قوله أى اعلمكم بذلك الخ) أشار بذلك الى ان لا زائدة واللام متعلقة بمحذوف والمعنى ان تتقوا وتؤمنوا برسوله يؤتكم كفلين ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله (قوله والمعنى انهم لا يقدرون على شئ من فضل الله) أى لا يملكونه ولا يتصرفون فيه بحيث يجعلونه لأنفسهم ويمنعونه من غيرهم ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور (قوله خلاف) بالرفع خبر لمحذوف أى وعدم قدرتهم خلاف أى مخالف لما فى زعمهم (قوله وان الفضل بيد الله) معطوف على قوله ان لا يقدرون (قوله يؤتيه من يشاء) جملة مستأنفة أو خبر ثان لان

﴿سورة المجادلة﴾

هى فى الاصل المحاورة فى الكلام والمغالبة فيه بحق أو باطل والمراد هنا المحاورة فى الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله فان تلك المرأة أصابها من ألم الفراق ما حملها على اكثارها الكلام مع

(الا) لكن فعلوها (ابتغاء رضوان) مرضاة (الله فما رعوها حق رعايتها) اذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملكهم وبقى على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (فآتينا الذين آمنوا) به (منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا) بعيسى (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عيسى (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بالنبيين (و يجعل لكم نورا تمشون به) على الصراط (و يغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم) أى اعلمكم بذلك ليعلم (أهل الكتاب) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والمعنى أنهم (لا يقدرون على شئ من فضل الله) خلاف ما فى زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه (وأن الفضل بيد الله يؤتيه) يعطيه (من يشاء) فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (والله ذو الفضل العظيم)

﴿سورة المجادلة﴾

رسول الله وترديد الكلام معه (قوله مدنية) أى كلها وهو قول الجمهور وقيل مدنية الا قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وقيل غير ذلك وهذه السورة أول النصف الثانى من القرآن باعتبار عدد سوره وأول عشره الأخير باعتبار أجزائه وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون ومن فوائدها ان تكتب محابا للقرينة ويجعل ما فيها من الجلالات سطرا وسطا كهيئة النقطة الحمراء التى تجعل وسط القصيد ويكون حملها قبل نفخ الروح فى الجنين وبعد الولادة تنقل اليه (قوله قد سمع الله الخ) قد للتحقيق والمراد بسماع قولها اجابة مطلوبها بان أنزل حكم الظهار على ما يوافق مرادها (قوله فى زوجها) اى شأنه (قوله وكان قال لها أنت على كظهر أمى) شروع فى سبب نزول هذه الآيات وأجمل المفسر فى القصة وحاصلها تفصيلا انه روى انها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة فى الصلاة فنظر الى عجيزتها وأعجبه أمرها فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك الا قد حرمت على فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى اذا أكل مالى وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ يجمعنى واياه تنعشنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدى وأحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى قد طالت له صحبتى ونفضت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجى فكان هذا أول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يا رسول الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك أما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات أى النوم فلما قضى الوحى قال ادعى لى زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآيات الى قوله وللكافرين عذاب أليم وروى الشيخان عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته وأنا فى جانب البيت وما أسمع ما تقول فأنزل الله قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله الآيات فقال صلى الله عليه وسلم لزوجها هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله انى ان أخطأنى الاكل فى اليوم مرة أو مرتين كل بصرى وظننت انى أموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما أجد الا ان تعيننى منك بمعونة وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بها فى زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك يا عمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستنى من أول النهار الى آخره لازلت الا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (قوله عن ذلك) أى عن حكمه هل هو فراق اولا (قوله فاجابها بانها حرمت عليه) أى وجوابه بالتحريم دال على استمرار الحرمة التى كانت فى الجاهلية لانه لا ينطق عن

﴿مدنية ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك) تراجعك أيها النبى (فى زوجها) المظاهر منها وكان قال لها أنت على كظهر أمى وقد سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابها بانها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من ان الظهار موجبه فرقة مؤبدة

وهي خولة بنت ثعلبة وهو أوس بن الصامت (وتشتكي الى الله) وحدتها وفاقتها وصبية صغارا ان ضمتهم اليه ضاعوا أو اليها جاعوا (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما (ان الله سميع بصير) عالم (الذين يظهرون) أصله يتظهرون أدغمت التاء في الظاء وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة وفي أخرى كيقاتلون والموضع الثاني كذلك (منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي) بهمزة وياء وبلا ياء (ولدنهم وانهم) بالظهار (ليقولون منكرا من القول وزورا) كذبا (وان الله لعفو غفور) للمظاهر بالكفارة (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أي فيه بأن يخالفوه بامساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فتحرير رقبة) أي اعتاقها عليه (من قبل أن يتماسا) بالوطء (ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد) رقبة (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) أي الصيام (فاطعام ستين مسكينا) عليه أي من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذلك) أي التخفيف في الكفارة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله وللكافرين) بها (عذاب أليم) مؤلم (ان الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله كبتوا) أذلوا (كما كبت الذين من قبلهم) في مخالفتهم رسلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) دالة على صدق الرسول (وللكافرين) بالآيات (عذاب مهين) ذو اهانة

الهوى (قوله وهي خولة بنت ثعلبة) أي ابن مالك الخزرجية (قوله وهو أوس بن الصامت) أي أخو عبادة بن الصامت (قوله وتشتكي الى الله) أي تتضرع الى الله (قوله وفاقتها) أي فقرها وقوله وصبية الجمع لما فوق الواحد لانهما كانا ولدين (قوله ضاعوا) أي من عدم تعهد الخدمة وقوله جاعوا أي من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الاولاد لم تكن اذ ذاك واجبة على أبيهم (قوله والله يسمع تحاوركما) استئناف جار مجرى التعليل لما قبله (قوله تراجعكما) أي فالمحاورة المراجعة في الكلام (قوله ان الله سميع بصير) تعليل لما قبله (قوله الذين يظهرون منكم) شروع في بيان حكم الظهار وهو الحرمة بالاجماع ومن استحله فقد كفر وحقيقة الظهار تشبيه ظهر حلال بظهر محرم فمن قال لزوجته أنت علي كظهر أمي فهو ظهار باجماع الفقهاء وقاس مالك وأبو حنيفة غير الام من ذوات المحارم عليها واختلف القول عن الشافعي فروى عنه مثل مالك وروى عنه أن الظهار لا يكون الا بالام وحدها (قوله وفي قراءة بألف الخ) في كلامه التنبيه على ثلاث قراآت سبعيات (قوله الخفيفة) نعت للهاء وأما الظاء فمشددة (قوله ماهن أمهاتهم) أي حقيقة (قوله وبلا ياء) أي فالقراءتان سبعيتان وبقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة (قوله منكرا) أي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع (قوله بالكفارة) أي فالمغفرة سببها الكفارة وفيه اشارة الى ان الحدود جوابر (قوله والذين يظهرون من نسائهم) تفصيل للحكم المترتب على الظهار اثر بيان التوبيخ عليه (قوله ثم يعودون لما قالوا) أي لقولهم فما مصدرية والعود عند مالك بالعزم على الوطء وعند الشافعي يحصل بامساكها زمنا يمكنه مفارقتها فيه وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها (قوله مقصود الظهار) الكلام اما على حذف مضاف أي ذي الظهار أو المعنى المقصود بالظهار (قوله فتحرير رقبة) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله عليه والجملة خبر المبتدأ الذي هو الموصول (قوله بالوطء) هذا قول للشافعي قديم وفي الجديد انه الاستمتاع بما بين السرة والركبة وعند مالك بالوطء ومقدماته (قوله ذلكم) اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور (قوله فمن لم يجد) مبتدأ وقوله فصيام مبتدأ ثان خبره محذوف قدره المفسر بقوله عليه والجملة خبر الاول (قوله فصيام شهرين متتابعين) أي فان أفطر فيهما ولو لعذر انقطع التتابع ووجب استئنافهما (قوله عليه) أي على من لم يستطع ومن لم يجد وهو خبر عن كل من قوله فصيام وقوله فاطعام (قوله حملا للمطلق) أي الذي هو وجوب الاطعام أطلق في الآية عن التقييد بكونه من قبل ان يتماسا على المقيد الذي هو وجوب الصيام ووجوب الرقبة قيد كل بكونه من قبل ان يتماسا والحمل معناه تقييد المطلق بالقيد الذي في المقيد (قوله لكل مسكين مد) ظاهره انه مد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الشافعي وقال مالك انه مد هشام بن عبد الملك وكان يزيد على مد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثا تشديدا على المظاهر بخلاف باقي الكفارات فالمراد به مد النبي صلى الله عليه وسلم وقدر الجميع تقريبا عند الشافعي في زماننا ثلاثون قدحا بالمصري لكل مسكين نصف قدح وعند مالك أربعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر (قوله ذلك) اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وقوله لتؤمنوا الخ أي تستمروا على الايمان وتعملوا بشرائعه وترفضوا ما كان عليه الجاهلية (قوله وللكافرين) أي المنكرين لتلك الاحكام (قوله ان الذين يحادون الله ورسوله) هذه الآية نزلت في أهل مكة عام الاحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه وكان في السنة الرابعة وقيل في الخامسة والمقصود منها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكبتون ويذلون ويفرق جمعهم ولا تخشوا بأسهم (قوله يخالفون الله) أي يعادونه ورسوله فسمى المحادة مخالفة لان المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك وهو كناية عن المعاداة (قوله كبتوا) أي يكبتوا وعبر بالماضي لتحقق الوقوع لان هذه الآية نزلت قبل قدومهم (قوله أذلوا) وقيل معناه اهلكوا وقيل أخذوا وقيل عذبوا وقيل لعنوا وقيل أغيظوا وكلها متقاربة في المعنى (قوله في مخالفتهم) أي بسببها (قوله وقد أنزلنا الخ) الجملة حالية من

(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر) تعلم (أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) بعلمه (ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر) تنظر (الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) هم اليهود نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سرا ناظرين الى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة (واذا جاؤك حيوك) أيها النبي (بما لم يحيك به الله) وهو قولهم السام عليك أي الموت (ويقولون في أنفسهم لولا) هلا (يعذبنا الله بما نقول) من التحية وأنه ليس بنبي ان كان نبيا (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) هي (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى) بالاثم ونحوه

الواو في كبتوا (قوله يوم يبعثهم) ظرف لمهين أو للعذاب أو لمحذوف تقديره اذكر (قوله جميعا) أي بحيث لا يبقى أحد غير مبعوث أو المعنى مجتمعين في حالة واحدة (قوله فينبئهم بما عملوا) أي من القبائح اما ببيان صدورها منهم أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم (قوله أحصاه الله) أي لم يفته منه شئ بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه (قوله ونسوه) حال من مفعول أحصى والمعنى ذهلوا عنه لكثرته أو تهاونهم به واعتقادهم ان لا حساب عليه (قوله ما يكون من نجوى ثلاثة) استئناف مسوق لبيان ان علمه وسع كل شئ ويكون تامة ومن نجوى فاعلها بزيادة من ونجوى مصدر معناه التحدث سرا واضافتها الى ثلاثة من اضافة المصدر الى فاعله (قوله الا هو رابعهم) الاستثناء في هذا وما بعده مفرغ واقع في موضع نصب على الحال والمعنى ما يوجد شئ من هذه الاشياء الا في حال من هذه الاحوال وخص الثلاثة والخمسة بالذكر اما لان الله وتر يحب الوتر فالعدد المفرد أشرف من الزوج أو لان قوما من المنافقين كانوا يحلقون للتناجي وكانوا بهذا العدد زيادة في الاختفاء فنزلت الآية بصفة حالهم (قوله بعلمه) أي وسمعه وبصره ومتعلق بهم قدرته وارادته ولاهل الله المقربين في سر المعية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم (قوله ولا أدنى من ذلك) أي من العدد المذكور فالادنى من الخمسة الاربعة والادنى من الثلاثة الاثنان والواحد في خاصة نفسه (قوله ولا أكثر) بالجر في قراءة العامة عطف على لفظ نجوى وقرئ شذوذا بالرفع معطوف على محل نجوى (قوله أينما كانوا) أي من الاماكن فان علمه تعالى بالاشياء لا يتفاوت بقرب الامكنة ولا بعدها (قوله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (قوله ثم يعودون لما نهوا عنه) التعبير بالمضارع استحضار للصورة العجيبة ويقال في قوله ويتناجون مثله (قوله والعدوان) أي عداوة الرسول والمؤمنين (قوله ومعصيت الرسول) رسمت هنا وفيما يأتي بالتاء المجرورة واذا وقف عليها فبعض القراء يقفون بالهاء وبعضهم بالتاء وأما في الوصل فاتفقوا على التاء (قوله ليوقعوا في قلوبهم الريبة) أي فيوهموهم انهم قد بلغهم خبر اخوانهم الذين خرجوا في السرايا وانهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم (قوله حيوك) أي خاطبوك بشئ لم يحيك به الله أي لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه لك (قوله وهو قولهم السام عليك) أي وكان يرد فيقول عليكم في البخاري ان اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في واختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال مالك ان تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم والا فلا يجب وعند الشافعي يجب الرد بان تقول وعليك (قوله ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم (قوله ان كان نبيا) مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله والمعنى لو كان نبيا لعجل الله لنا العذاب بسبب قولنا (قوله حسبهم جهنم) أي كافيهم في العذاب وقوله يصلونها حال واما امهالهم في الدنيا فمن كرامته على ربه لكونه بعث رحمة (قوله هي) قدره اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) يحتمل ان يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين قصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود ويحتمل ان الخطاب للمؤمنين ظاهرا وهم المنافقون (قوله انما النجوى بالاثم ونحوه) أي فالغيبة والتكلم في اعراض المؤمنين سببها الشيطان ليدخل بها الحزن على المؤمن المتكلم في عرضه وليس بضاره في الواقع وانما الوبال على المتناجين بذلك قال العارفون من أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوض في اعراض المؤمنين وتشمل الآية بعمومها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة

فلا

فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل ان يحزنه فبين في الحديث غاية المنع قال العلماء ولا مفهوم لتناجي اثنين دون ثالث بل المدار على ترك واحد كان المتناجي اثنين أو أكثر (قوله من الشيطان) نسبت اليه لكونه المزين لها والحامل عليها (قوله ليحزن الذين آمنوا) بضم الياء وكسر الزاى من أحزنه أو بفتح الياء وضم الزاى من حزن فهما قراءتان سبعيتان والموصول على الاولى مفعول وعلى الثانية فاعل (قوله وليس هو) أى الشيطان (قوله الا باذن الله) أى فيحصل منه الضرر لارادة الله اياه في الحقيقة الخير وضده من الله وهذه الآية مخوفة لاهل الغيبة والنميمة من المؤمنين في كل زمن (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا الخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أمرهم الآن بما يكون سببا الزيادة المحبة والمودة بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم الخ وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم السلام ثم سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يافلان وأنت يافلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصمم الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول أي مجلس كان سواء كان مجلس علم أو ذكر أو صلاة أو قتال أو غير ذلك لما ورد لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا وقوله في الحديث لا يقيمن أحدكم الخ استفيد منه أن القادم لا يقيم الجالس وأما قيام الجالس من نفسه له تواضعا وأدبا أو كبير المجلس يقيم أحدا من الجالسين لمصلحة فلا بأس بذلك (قوله مجلس النبي) أى فانهم كانوا يتضامون فيه حرصا على القرب منه واستماع كلامه (قوله وفي قراءة المجالس) أى والجمع باعتبار ان لكل واحد مجلسا والقراءتان سبعيتان (قوله يفسح الله لكم) مجزوم في جواب الامر الواقع جوابا للشرط (قوله في الجنة) أى والدنيا والقبر والقيامة (قوله وغيرها) أى كالجهاد وكل خير وقيل معنى انشزوا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا الاخوانكم وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فنزلت هذه الآية والمقصود العموم في كل ما يطلب فيه النهوض والاسراع ففيه حث على التشمير عن ساعد الجد والاجتهاد في الطاعات وترك التكاسل (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعية أيضا وكلاهما لغتان فصيحتان من بابي ضرب ونصر (قوله في ذلك) أى القيام الى الصلاة ونحوها (قوله والذين أوتوا العلم) معطوف على الذين آمنوا عطف خاص على عام لان الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع الدرجات والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا الخ) الحكمة في هذا الامر تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في هذا الامر فقيل للندب وقيل للوجوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال ان في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات أتصدق في كل مرة بدرهم وكان يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وروى عنه أيضا قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فقال لي

(من الشيطان) بغروره (ليحزن الذين آمنوا وليس هو) بضارهم شيئا الا باذن الله) أى ارادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا) توسعوا (في المجلس) مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أو الذكر حتى يجلس من جاءكم وفي قراءة المجالس (فافسحوا يفسح الله لكم) في الجنة (واذا قيل انشزوا) قوموا الى الصلاة وغيرها من الخيرات (فانشزوا) وفي قراءة بضم الشين فيهما (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالطاعة في ذلك (ويرفع الذين أوتوا العلم درجات) في الجنة والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول)

أردتم مناجاته | (فقدموا بين يدى نجواكم) قبلها (صدقة ذلك خير لكم وأطهر) لذنوبكم (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور
لمناجاتكم (رحيم) بكم يعنى فلا عليكم فى المناجاة من غير صدقة ثم نسخ ذلك بقوله (أأشفقتم) بتحقيق الهمزتين وابدال
الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه أى أخفتم من (أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) الفقر (فاذ لم تفعلوا) الصدقة (وتاب الله عليكم) رجع بكم عنها (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى دوموا على ذلك (والله خبير بما تعملون ألم تر) تنظر (الى الذين تولوا) هم المنافقون (قوما) هم اليهود (غضب الله عليهم ما هم) أى المنافقون (منكم) من المؤمنين (ولا منهم) من اليهود بل هم مذبذبون (ويحلفون على الكذب) أى قولهم انهم مؤمنون (وهم يعلمون) أنهم كاذبون فيه (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون) من المعاصى (اتخذوا أيمانهم جنة) سترا على أنفسهم (وأموالهم فصدوا) بها المؤمنين (عن سبيل الله) أى الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم (فلهم عذاب مهين) ذو اهانة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه (شيأ) من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) اذكر (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) انهم مؤمنون (كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ) من نفع حلفهم فى الآخرة كالدنيا
(ألا انهم هم الكاذبون استحوذ) استولى (عليهم الشيطان) بطاعتهم له (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان) اى
أتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله

النبى صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد أى قليل المال ففى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن أبى طالب وليس فيها ذم لغيره من الصحابة وذلك لانه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى القول باتساعه فلعل الاغنياء كانوا غائبين والفقراء لم يكن بأيديهم شئ (قوله أردتم مناجاته) أشار بذلك الى أن الماضى ليس على حقيقته أخذا من قوله فقدموا بين يدى نجواكم (قوله ذلك خير لكم) أى التقديم خير لما فيه من طاعة الله ورسوله (قوله يعنى فلا عليكم) أشار بذلك الى أن جواب الشرط محذوف وقوله فان الله غفور رحيم تعليل للمحذوف ودليل عليه (قوله ثم نسخ ذلك) أى الامر بتقديم الصدقة بعد ان استمر زمنا قيل هو ساعة وقيل يوم وقيل عشرة أيام واختلفوا فى الناسخ للامر فقيل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعا للجمهور وقيل هو آية الزكاة (قوله بقوله أأشفقتم الخ) مراده الآية بتمامها (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أشار بذلك لأربع قراآت سبعيات وبقى قراءة خامسة سبعية وذلك لان التحقيق اما مع ادخال ألف أو بدونه (قوله الفقر) أشار بذلك الى أن مفعول أأشفقتم محذوف والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج (قوله فاذ لم تفعلوا) يحتمل ان اذ باقية على بابها من المضى والمعنى ان تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة الخ ويحتمل انها بمعنى ان الشرطية (قوله وتاب الله عليكم) الجملة حالية أو مستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه (قوله رجع بكم عنها) أى عن وجوبها فنسخها تخفيفا عليكم (قوله أى دوموا على ذلك) أى المذكور من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (قوله ألم تر الى الذين تولوا قوما الخ) المقصود من هذه الآية التعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين وسبب نزولها ان عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت الآية (قوله ما هم منكم ولا منهم) أخبار عنهم بانهم ليسوا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص لا ينتسبون الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذه الجملة اما مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (قوله بل هم مذبذبون) أى مترددون بين الايمان الخالص والكفر الخالص لان فيهم طرفا من الايمان بحسب ظاهرهم وطرفا من الكفر بحسب باطنهم (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحلفون والمعنى يحلفون كاذبين والحال انهم يعلمون ذلك فيمينهم غموس لا عذر لهم فيها وهذه اليمين توجب لصاحبها الغمس فى النار ان كان مؤمنا خالصا فبالك ان كان كافرا وفائدة الاخبار عنهم بذلك بيان ذمهم عليه (قوله أيمانهم جنة) مفعولان لاتخذوا والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لانفسهم وأموالهم فلولا ذلك لقوتلوا وأخذ مالهم (قوله فلهم عذاب مهين) اى فى الآخرة والعذاب الاول فى الدنيا أو القبر (قوله من عذابه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله شيأ) مفعول مطلق كما أشار له بقوله من الاغناء (قوله كما يحلفون لكم) أى فى الدنيا (قوله ويحسبون) حال من فاعل يحلفون والمعنى يحلفون والحال انهم يظنون ان حلفهم فى الآخرة ينفعهم وينجيهم من عذابها كما نفعهم فى الدنيا بدفع القتال عنهم (قوله استحوذ) هذا الفعل مما جاء على الاصل وخولف فيه القياس اذ قياسه استحاذ بقلب الواو ألفا كاستعاذ واستقام (قوله فأنساهم ذكر الله) أى فلا يذكرونه بألسنتهم ولا بقلوبهم وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب (قوله هم الخاسرون)

أى لانهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها العذاب المقيم (قوله أولئك في الاذلين) أى مع الاذلين أو معدودون فى جملتهم (قوله المغلوبين) أى وهم الكفار والمنافقون (قوله كتب الله) ضمنه معنى أقسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله لأغلبن ويصح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى وعليه اقتصر المفسر ويكون قوله لأغلبن جوابا القسم محذوف (قوله بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو تجوز الجمع فالرسول يغلب تارة بالسيف وتارة بالبراهين والدلائل وتارة بهما معا (قوله يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ايمانا صحيحا فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يمكن ان يصادق الكفار ويحبهم بقلبه لانه ان فعل ذلك لم يكن صادقا فى ايمانه بل يكون منافقا كما قال الشاعر

اذا وافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام

وأما البشاشة فى وجوه الكفار ظاهرا لأجل الضرورات فلا بأس بها لما فى الحديث انا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم (قوله يوادون) مفعول ثان لتجد ان كان بمعنى تعلم وان كان بمعنى تلقى فالجملة حال من قوما أو صفة ثانية له وقدم أولا الآباء لانهم تجب طاعتهم ثم الابناء لانهم أعلق بالقلب ثم الاخوان لانهم الناصرون للشخص بمنزلة العضد من الذراع ثم بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد (قوله كما وقع لجماعة من الصحابة) روى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص ابن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وروى أيضا ان عبد الله بن عبد الله بن أبى هم بقتل أبيه فمنعه رسول الله ووقع لابى بكر الصديق انه صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بروح بنور) وقيل الروح النصر وقيل القرآن والحجج وقيل هو جبريل عليه السلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتانات عنهم (قوله رضى الله عنهم) أى عاملهم معاملة الراضى بأن وفقهم للطاعات وقبلها منهم وأثابهم عليها (قوله الفائزون) أى بخيرى الدنيا والآخرة

﴿سورة الحشر﴾

وتسمى سورة النضير (قوله مدنية) أى فى قول الجميع روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر لم يبق شئ من الجنة والنار والعرش والكرسى والسموات والارض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له فان مات فى يومه أو ليلته مات شهيدا وروى الترمذى عن معقل بن يسار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك (قوله سبح لله ما فى السموات وما فى الارض الخ) قال المفسرون نزلت فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة فى مبادى الهجرة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد وركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان فى أربعين واجتمع مع كعب عند الكعبة وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأخبر الله النبى بذلك وأمر

أولئك فى الاذلين) المغلوبين (كتب الله) فى اللوح المحفوظ أو قضى (لأغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف (ان الله قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) يصادقون (من حاد الله ورسوله ولو كانوا) أى المحادون (آباءهم) أى المؤمنين (أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الايمان كما وقع لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم (أولئك) الذين لا يوادونهم (كتب) أثبت (فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح) بنور (منه) تعالى (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (أولئك حزب الله) يتبعون أمره ويجتنبون نهيه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون

﴿سورة الحشر﴾

مدنية أربع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى نزهه فاللام مزيدة وفى الاتيان بما تغليب للاكثر

النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الاوس فقتلوه فى حصنه غيلة فألقى الله الرعب فى قلوب بنى النضير وكان قتله فى ربيع الاول من السنة الثالثة وكانت غزوة بنى النضير فى ربيع الاول من السنة الرابعة وكانوا بقرية يقال لها زهرة على ميلين من المدينة فلما سار اليهم رسول الله وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا له يا محمد ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب ودس المنافقون عبد الله بن أبى وأصحابه اليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان أخرج الينا فى ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه وخرج ثلاثون حبرا منهم حتى كانوا فى براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كل يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الله بذلك فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غزا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن كل أهل بيت يحمل على بعير ما شاؤا من متاعهم ما عدا السلاح ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى أذرعات وأريحاء الا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب فأحرزا أموالهما (قوله وهو العزيز الحكيم) الجملة حال من لفظ الجلالة (قوله هو الذى اخرج الذين كفروا) بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة (قوله من أهل الكتاب) حال من الذين كفروا (قوله هم بنو النضير من اليهود) أى وهم من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل ينتظرون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ليدخلوا فى دينه (قوله بالمدينة) أى أرضها لا القريب منها وذلك لانهم كانوا بقرية بينها وبين المدينة ميلان (قوله لاول الحشر) متعلق بأخرج واضافة أول للحشر من اضافة الصفة للموصوف أى للحشر الاول واعلم أن الحشر أربع فالاول اجلاء بنى النضير ثم بعده اجلاء أهل خيبر ثم فى آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس ثم فى يوم القيامة حشر جميع الخلق (قوله الى خيبر) صوابه من خيبر كما صرح به غيره وذلك أن عمر أجلى اليهود من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات وأريحاء من الشام (قوله ما ظننتم أن يخرجوا) أى لما كان بهم من القوة وشدة البأس وكثرة أعوانهم من قريظة وقريش وبكم من الضعف وقلة العدد (قوله به تم الخبر) أى بالفاعل تم خبران ومحصله أن الضمير اسم ان وما نعتهم خبرها وحصونهم فاعله ويصح أن مانعتهم خبر مقدم وحصونهم مبتدأ مؤخر والجملة خبر ان (قوله أمره وعذابه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف وبه اندفع ما يوهمه ظاهر الآية من أن الله تعالى يوصف بالاتيان فأفاد بان الآية من قبيل المتشابه وأوله بتقدير مضاف نظير وجاء ربك (قوله لم يخطر ببالهم) لم تفسير لقوله يحتسبوا (قوله من جهة المؤمنين) اضافة جهة لما بعده بيانية والمعنى جاءهم عذاب الله من جهة لا تخطر ببالهم وهم المؤمنون لانهم مستضعفون بالنسبة لهم ولا يخطر ببالهم انهم يقدرون عليهم (قوله وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أنزله فيها بشدة (قوله بسكون العين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بقتل سيدهم) أى وكان قتله فى ربيع الاول من السنة الثالثة كما تقدم

(وهو العزيز الحكيم) فى ملكه وصنعه (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) هم بنو النضير من اليهود (من ديارهم) مساكنهم بالمدينة (لاول الحشر) هو حشرهم الى الشام وآخره أن أجلاهم عمر فى خلافته الى خيبر (ما ظننتم) أيها المؤمنون (ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم) خبر أن (حصونهم) فاعله به تم الخبر (من الله) من عذابه (فأتاهم الله) أمره وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وقذف) ألقى (فى قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب بن الاشرف

(قوله يخربون بيوتهم) مستأنف أتى به للإخبار عنهم بذلك (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما سبعيتان (قوله من أخرب) راجع للتخفيف وأما التشديد فهو من خرب (قوله من خشب) بفتحتين وضمتين وضم وسكون جمع خشبة (قوله بأيديهم) أى من داخل الحصون وقوله وأيدى المؤمنين أى من خارجها ليدخلوها وعطفها على أيديهم من حيث إنهم سبب فى ذلك لأن بنى النضير لما نقضوا العهد كأنهم سلطوا المؤمنين على تخريب دورهم (قوله فاعتبروا يا أولى الأبصار) أى اتعظوا بحالهم ولا تغتروا ولا تعتمدوا على غير الله فالاعتبار النظر فى حقائق الأشياء ليستدل بها على شئ آخر (قوله ولولا أن كتب الله الخ) أن مصدرية وهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا والتقدير لولا الكتب موجود (قوله الجلاء) بالفتح والمد يطلق على الخروج من الوطن والإخراج منه وهو المراد هنا ويطلق على الأمر الجلى الواضح (قوله ولهم فى الآخرة عذاب النار) كلام مستأنف مبين لعاقبتهم كأنه قال إن نجوا فى الدنيا من القتل لم ينجوا فى الآخرة من العذاب الدائم فهو ثابت لهم على كل حال (قوله ذلك) أى المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ (قوله ومن يشاق الله) من شرطية وقوله فإن الله الخ إما نفس الجزاء وحذف منه العائد وقدره المفسر بقوله له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه وعلى كل فالشرط وجوابه تتميم لما قبله وتقرير لمضمونه وتحقيق لسببه (قوله ما قطعتم من لينة الخ) ما شرطية ومن لينة بيان لما وبإذن الله خبر لمبتدأ محذوف أى فقطعها أو الجملة جواب الشرط واللينة قيل هى النخلة مطلقا وقيل هى النخلة الكريمة وقيل غير ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فخرج أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض فوجد المسلمون فى أنفسهم شيئا من قالوا وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى القطع وتركه فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية (قوله فبإذن الله) أى رضاه (قوله أى خيركم فى ذلك) أى القطع والترك (قوله وما أفاء الله على رسوله الخ) لما بين حال بنى النضير وما وقع لذواتهم أخذ يبين ما وقع فى أموالهم (قوله رد الله على رسوله) أشار بذلك إلى أن الأموال التى كانت بأيدى بنى النضير ليست لهم بالأصالة بل هى لمن أطاع الله تعالى وتلذذهم بها إنما هو صورة تمتعهم وذلك لأن الله تعالى خلق الناس لعبادته وخلق لهم ما فى الأرض جميعا ليستعينوا بها على طاعته فالكفار حيث عصوا ربهم فليس لهم استحقاق فى تلك النعم (قوله فما أوجفتم الخ) خبر ما الموصولة وأفاء صلته (قوله أسرعتم الخ) أى فالإيجاف الإسراع فى السير (قوله يا مسلمين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدم وهو سبق قلم وصوابه بالواو لأن المنادى يبنى على ما يرفع به ولا شك أن جمع المذكر السالم يرفع بالواو فيبنى المنادى عليها (قوله من زائدة) أى فى المفعول (قوله ولا ركاب) هى ما يركب من الإبل غلب ذلك عليها من بين المركوبات فالعرب يطلقون لفظ الراكب على راكب البعير والفارس على راكب الفرس (قوله أى لم تقاسوا فيه مشقة) أى لم تقطعوا إليها مسافة ولم يحصل منكم حرب وذلك لكون قريتهم قريبة لم يركبوا إليها خيلا ولا إبلا إلا النبى صلى الله عليه وسلم فإنه كان راكبا جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا فكان الأمر فى تلك الأموال مفوضا له صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى فعادته تعالى جارية بأن الرسل ليسوا كآحاد الأمة بل يسلطهم الله على من يشاء من غير أن يقتحموا المشقات ويقاسوا الشدائد فتحصل أن مال الكفار إذا حصل من غير قتال فهو فئ يوضع تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتى بيانه ومثله المال الذى جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له والجزية وأعشار أهل الذمة وخراج الأرض على ما هو مبين فى الفروع [illegible] رسول الله بعده الخليفة (قوله فأعطى منه المهاجرين) أى لأنه [illegible] [illegible] من الأموال والديار (قوله وثلاثة من الأنصار) [illegible] أبو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة

(يخربون) بالتشديد والتخفيف من أخرب (بيوتهم) لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره (بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله) قضى (عليهم الجلاء) الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل بقريظة من اليهود (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا) خالفوا (الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) له (ما قطعتم) يا مسلمين (من لينة) نخلة (أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أى خيركم فى ذلك (وليخزى) بالإذن فى القطع (الفاسقين) اليهود فى اعتراضهم بأن قطع الشجر المثمر فساد (وما أفاء) رد (الله على رسوله منهم فما أوجفتم) أسرعتم يا مسلمين (عليه من) زائدة (خيل ولا ركاب) إبل أى لم تقاسوا فيه مشقة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير) فلا حق لكم فيه ويختص به النبى صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه فى الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقى يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم

واعطى سعد بن معاذ سيف بن أبي الحقيق وكان لهذا السيف ذكر وشأن عندهم (قوله ما أفاء الله على رسوله) بيان لمصرف الفيء إثر بيان رده على رسول الله وحذف الواو من هذه الجملة لانها بيان للأولى فهي غير أجنبية منها (قوله كالصفراء الخ) اي وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة وقرى عرينة وينبع (قوله فلله وللرسول) اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم وفي القرطبي وقال قوم منهم الشافعي ان معنى الآيتين أي ما هنا والانفال واحد أي ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي في قول الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام وفي قول آخر له يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالأهم وهذا في أربعة أخماس الفيء فأما السهم الذي كان من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم اه وقالت المالكية لا خلاف في أن الغنيمة تخمس وأما ما انجلى عنه أهله دون قتال فلا يخمس ويصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الامام ومثله جميع ما كان محله بيت المال وليس معنى الآيتين واحدا بل آية الانفال فيما أوجف عليه وما هنا فيما لم يوجف عليه وقوله فلله وللرسول الخ ليس المقصود منه التخميس وانما المقصود التعميم باجتهاد الامام فتدبر (قوله من بني هاشم وبني المطلب) هذا مذهب الشافعي وعند مالك الآل بنو هاشم فقط (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع في سفره) اي والمحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أي يستحقه النبي الخ) انما لم يقل الله والنبي اشارة الى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق وظاهر الآية أن الفيء يخمس خمسة أخماس وان للنبي خمسه وليس مرادا بل التخميس انما هو للخمس لا للمال من أصله والاشتراك المذكور انما هو في الخمس وتقدم أن ذلك مذهب الشافعي وأما عند مالك فلا تخميس وانما النظر فيه للامام (قوله كي لا يكون الخ) كي ترسم هنا مفصولة من لا (قوله بمعنى اللام) اي لام التعليل والمعلل ما يستفاد مما سبق أي جعل الله الفيء لمن ذكر لاجل أن لا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة أي يتداوله الاغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به وذلك أن الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه ثم يصطفي بعد أخذ الربع منها ما شاء فنسخ هذا الامر وجعله الله يصرف في مصالح المسلمين على الوجه المتقدم (قوله وأن مقدرة بعدها) أي فالنصب بأن لا بها (قوله يكون) اي الفيء فيكون ناقصة اسمها ضمير يعود على الفيء ودولة خبرها وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لا غير وقرئ أيضا برفع دولة على ان كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون فالقراآت ثلاث سبعيتان (قوله دولة) التداول حصول الشيء في يد هذا تارة وهذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول كقصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ومعناهما واحد وقيل الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب (قوله وما آتاكم الرسول فخذوه الخ) اي ما أعطاكم من مال الغنيمة وما نهاكم عنه من الاخذ والقول فانتهوا وقيل في تفسيرها ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه فالآية محمولة على العموم في جميع أوامره ونواهيه لانه لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن افساد فنتج من هذه الآية أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله وان كل ما نهى عنه النبي نهي من الله فقد جمعت أمور الدين كما هو معلوم (قوله متعلق بمحذوف الخ) أي القصد منه التعجب والمدح للمهاجرين الذين اتصفوا بتلك الصفات (قوله أي اعجبوا) أي تعجبوا من حال المهاجرين حيث تنزهوا عن الديار والاموال وتركوا

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كالصفراء ووادي القرى وينبع (فلله) يأمر فيه بما يشاء (وللرسول ولذي) صاحب (القربى) قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوي الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الاربعة خمس الخمس وله الباقي (كي لا) كي بمعنى اللام وان مقدرة بعدها (يكون) الفيء علة لقسمه كذلك (دولة) متداولا (بين الاغنياء منكم وما آتاكم) اعطاكم (الرسول) من الفيء وغيره (فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعجبوا

ذلك

ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (قوله الذين أخرجوا من ديارهم) أى أخرجهم كفار مكة (قوله وأموالهم) عطف على ديارهم وعبر فيه بالخروج لان المال لما كان يستر صاحبه كان كأنه ظرف له (قوله يبتغون فضلا الخ) الجملة حالية والمعنى طالبين الرزق من الله لاعراضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى فى الآخرة (قوله وينصرون الله ورسوله) عطف على قوله يبتغون فهو حال أيضا لكنها مقدرة أى ناوين النصرة اذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل (قوله أولئك هم الصادقون) أى الخالصون فى ايمانهم حيث اختاروا الاسلام وخرجوا عن الديار والاموال والعشائر حتى روى ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها وفى الحديث ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا (قوله والذين تبوؤا الدار الخ) شروع فى الثناء على الانصار اثر بيان الثناء على المهاجرين والموصول اما معطوف على الفقراء فيكون من عطف المفردات وقوله يحبون الخ حال أو مبتدا وجملة يحبون خبره (قوله أى المدينة) أى اتخذوها منزلا باسلامهم من قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين فعمروها وحفظوها بالاسلام فكأنهم استحدثوا بناءها (قوله أى الفوه) أشار بذلك الى أن قوله والايمان معمول لمحذوف ويكون من عطف الجمل اذ لا معنى لتبوء الايمان وهذا احد الوجوه الجارية فى قوله علفتها تبنا وماء باردا أو ضمن تبوؤا معنى لزموا والمعنى لزموا الدار والايمان أو شبه تمكنهم فى الايمان باتخاذه منزلا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز (قوله ولا يجدون فى صدورهم) أى نفوسهم (قوله حسدا) أى ولا غيظا ولا حزازة فالمراد بالحاجة هذه المعانى روى ان المهاجرين كانوا فى دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين مع انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم اياهم فى الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة المتقدم ذكرهم (قوله أى آتى النبى) بيان للفاعل المحذوف وقوله المهاجرين بيان للمفعول القائم مقام الفاعل وقوله من أموال بنى النضير بيان لما (قوله ويؤثرون على انفسهم) أى فى كل شئ من أسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين والايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة (قوله ولو كان بهم خصاصة) أى يقدمون غيرهم فى الاموال مع احتياجهم اليها وهذا الوصف لا يخص الانصار فقد روى عن ابن عمر أنه قال أهدى لرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت الى الاول فنزلت هذه الآية وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ اربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم امكث عنده فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالى يا جارية اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى فقدها فرجع الغلام الى عمر فأخبره ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها اليه وامكث فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبى بيت فلان بكذا والى بيت فلان بكذا فجاءت امرأته معاذ وقالت نحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق فى الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فأخبره فسر بذلك وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة وغيرها (قوله ومن يوق شح نفسه) من شرطية

(المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم (والذين تبوؤا الدار) أى المدينة (والايمان) أى الفوه وهم الانصار (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة) حسدا (مما أوتوا) أى آتى النبى صلى الله عليه وسلم المهاجرين من أموال بنى النضير المختصة به (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) حاجة الى ما يؤثرون به (ومن يوق شح نفسه)

و يوق فعل الشرط وقوله فاولئك الخ جزاؤه وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح وفي قوله يوق اشارة الى أن الشح أمر غريزي في الانسان لا ينجو منه الشخص الا بمعونة الله تعالى مع مجاهدة النفس ومكابدتها (قوله حرصها على المال) فيه اشارة الى الفرق بين البخل والشح فالبخل منع الاموال والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتي المعروف وتعاطي مكارم الاخلاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح أن يطمع عين الرجل فيما ليس له وقال بعضهم من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيأ أمر الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (قوله والذين جاؤا) اما معطوف على الفقراء وقوله يقولون حال أو مبتدأ وجملة يقولون خبره (قوله من بعد المهاجرين والانصار) أي من بعد هجرة المهاجرين وايمان الانصار (قوله الى يوم القيامة) أي فالبعدية تشمل التابعين واتباعهم الى آخر الزمان (قوله الذين سبقونا بالايمان) أي بالموت عليه فينبغي لكل واحد من القائلين لهذا القول أن يقصد من سبقه ممن انتقل قبله من زمنه الى عصر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل جميع من تقدمه من المسلمين لا خصوص المهاجرين والانصار (قوله حقدا) هو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله رؤف) بقصر الهمزة ومدها بحيث يتولد منها واو قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر الى الذين نافقوا الخ) لما ذكر الثناء على المهاجرين والانصار واتباعهم اتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بني النضير وهم عبد الله بن أبي وأصحابه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله لاخوانهم) اللام للتبليغ والمعنى ما نعين اخوانهم (قوله لام قسم) أي موطئة لقسم محذوف أي والله (قوله في الاربعة مواضع) أي لئن أخرجتم لئن أخرجوا ولئن قوتلوا ولئن نصروهم بل في الخمسة هذه الاربعة وقوله وان قوتلتم لان اللام مقدرة معه (قوله أخرجتم من المدينة) أي أخرجكم النبي وأصحابه (قوله ولا نطيع فيكم) عطف على قوله لئن أخرجتم وكذا قوله وان قوتلتم فقولهم ثلاث جمل والقسم الواقع منهم اثنان ثم كذبهم الله اجمالا وتفصيلا بعد (قوله في خذلانكم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أحدا) أي من النبي والمؤمنين وقوله أبدا ظرف للنفي (قوله حذفت منه اللام) أي وحذفها قليل في لسان العرب والكثير اثباتها (قوله لكاذبون) أي فيما قالوه (قوله لئن أخرجوا) تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم لئن أخرجتم وقوله ولئن قوتلوا الخ تكذيب لقولهم وان قوتلتم الخ وقوله ولئن نصروهم من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة (قوله جاؤا لنصرهم) جواب عما يقال ان قوله ولئن نصروهم مناف لقوله لا ينصرونهم فأجاب بأن المعنى خرجوا والقصد نصرهم وحينئذ فلا يلزم منه نصرهم بالفعل وأجيب أيضا بأن قوله ولئن نصروهم أي على سبيل الفرض والتقدير (قوله واستغنى بجواب القسم الخ) أي للقاعدة المقررة في قول ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله أي اليهود) هذا أحد أقوال في مرجع الضمير وقيل عائد على المنافقين وقيل عائد على مجموع اليهود والمنافقين وهو الاقرب (قوله لانتم أشد رهبة الخ) أي خوفهم منكم في السر أشد من خوفهم من الله الذي يظهرونه لكم وهذه الجملة كالتعليل لقوله ليولن الادبار كأنه قال انهم لا يقدرون على مقابلتكم لانكم أشد رهبة (قوله ذلك) أي ما ذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (قوله مجتمعين) أشار به الى أن جميعا حال (قوله وفي قراءة جدر) أي وهي سبعية أيضا غير أن من قرأ جدار بالالف يلتزم اما الامالة في جدار واما الصلة في بينهم بحيث يتولد منها واو فمن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد (قوله بأسهم بينهم شديد) راجع لقوله لا يقاتلونكم جميعا الخ أي فعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم بل هم في غاية القوة من لعدد والعدة وانما ينفرون في حربكم للرعب الذي في قلوبهم منكم (قوله متفرقة) أي لعظم الخوف فقلوبهم لا توافق الاجسام بل فيها خيرة ودهشة (قوله خلاف الحسبان) حال أي خلاف

حرصه على المال (فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم) من بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ألم تر) تنظر (الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم بنو النضير واخوانهم في الكفر (لئن) لام قسم في الاربعة مواضع (أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) في خذلانكم (أحدا أبدا وان قوتلتم) حذفت منه اللام الموطئة (لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم) أي جاؤا لنصرهم (ليولن الادبار) واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة (ثم لا ينصرون) أي اليهود (لانتم أشد رهبة) خوفا (في صدورهم) أي المنافقين (من الله) لتأخير عذابه (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم) أي اليهود (جميعا) مجتمعين (الا في قرى محصنة أو من وراء جدار) سور وفي قراءة جدر (بأسهم) حربهم (بينهم شديد تحسبهم جميعا) مجتمعين (وقلوبهم شتى) متفرقة خلاف الحسبان

ظنكم

ظنكم فيهم بمقتضى جمعية الصور (قوله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) انما خص الاول بلا يفقهون والثاني بلا يعقلون لان الاول متصل بقوله لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله وهو دليل على جهلهم بالله فناسبه عدم الفقه والثاني متصل بقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وهو دليل على عدم عقلهم اذ لو عقلوا لما تشتتت قلوبهم وتحيرت وامتلأت رعبا (قوله كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدا محذوف قدره بقوله مثلهم أي صفة بني النضير العجيبة التي تقع لهم من الاجلاء والذل كصفة أهل مكة فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والاسر والقتل فكل حصل له خزي الدنيا وعذاب الآخرة (قوله بزمن قريب) أي بين وقعة بدر ووقعة بني النضير وهو سنة ونصف لما تقدم ان غزوة بني النضير كانت في ربيع الاول من السنة الرابعة وغزوة بدر كانت في رمضان من الثانية (قوله مثلهم أيضا) أي صفة بني النضير وقوله في سماعهم بيان للمثل وقوله وتخلفهم أي تخلف المنافقين عنهم وقوله كمثل الشيطان المراد به حقيقته لا شيطان الانس وقوله اذ قال للانسان اكفر بيان لمثل الشيطان وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثلين الاول بكفار مكة الذين اغتروا بعددهم وعددهم وحضروا بدرا فكانت الدائرة عليهم والثاني من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لهم ومخالفتهم لهم باغراء الشيطان لانسان معين على الكفر حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه (قوله اذ قال للانسان) المراد به برصيصا العابد لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الانسان الذي قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان وطئها فحملت ثم قتلها خوفا من ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له أن ينجيه منه فسجد له فتبرأ منه وقصته مبسوطة في الشبرخيتي على الاربعين في شرح الحديث الرابع فانظرها ان شئت (قوله كذبا منه ورياء) أي قوله هذا كذب منه ورياء لانه لا يخاف الله أبدا (قوله أي الغاوي) اسم فاعل من غوى يغوي كرمى يرمي والمراد به الانسان الذي غره الشيطان وقوله والمغوي اسم فاعل أيضا من أغواه يغويه وهو الشيطان (قوله وقرئ بالرفع) أي شاذا (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ) لما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود وما آل اليه أمرهم وعظ المؤمنين بموعظة حسنة تحذيرا من ان يكونوا مثل من تقدم ذكرهم وذلك أوقع في النفس (قوله ولتنظر نفس) اللام لام الامر والحكمة في التنكير الاشارة الى أن الانفس الناظرة اعادها المعتبرة بغيرها قليلة جدا عديمة المثيل (قوله ما قدمت لغد) ما اسم موصول وقدمت صلته والمعنى ولتبحث وتحصل نفس العمل الذي قدمته لغد وذلك لان جميع ما تعمله في الدنيا ترى جزاءه في القيامه فليختر العاقل أي الجزاءين لما ورد في الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني (قوله ليوم القيامة) سمي غدا لقرب مجيئه قال تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر فكانه لقربه شبيه بما ليس بينه وبينه الا ليلة واحدة والتنكير في غد للتعظيم والابهام كانه قيل لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله (قوله واتقوا الله) كرره للتأكيد أو الاول اشارة للامر باصل التقوى والثاني للامر بالدوام عليها (قوله ان الله خبير بما تعملون) الخبير المطلع على خفيات الاشياء القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات وقوله بما تعملون اي من خير وشر (قوله تركوا طاعته) أشار بذلك الى ان المراد بالنسيان الترك وليس المراد به عدم الحفظ والذكر (قوله أن يقدموا لها خيرا) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير فأنساهم تقديم خير لانفسهم فثمرة نسيانهم الله نسيان أنفسهم أي فترك حقوق الله خسرانهم وهو نظير قوله تعالى وان أسأتم فلها ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن كفر فعليه كفره لانه المستغني عن كل ما سواه (قوله لا يستوي أصحاب النار) أي الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار (قوله وأصحاب الجنة) اي الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة (قوله أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا كالتذييل لقوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ وذلك لان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر في العواقب والعمل النافع ونهاهم عن الغفلة والتشبه

(ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) مثلهم في ترك الايمان (كمثل الذين من قبلهم قريبا) بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين (ذاقوا وبال امرهم) عقوبته في الدنيا من القتل وغيره (ولهم عذاب أليم) مؤلم في الآخرة (مثلهم) ايضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) كذبا منه ورياء (فكان عاقبتهما) اى الغاوي والمغوي وقرئ بالرفع اسم كان (أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) الكافرين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ليوم القيامة (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا طاعته (فأنساهم أنفسهم) أن يقدموا لها خيرا (أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل)

بمن نسى طاعة الله ذيلهما برغبهم فى طاعة الله ويقربهم اليه زلفى (قوله وجعل فيه تمييز كالانسان) المقصود من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب الكفار وغلظ طباعهم وفيه توبيخ لمن قل خشوعه عند تلاوة القرآن وأعرض عن تدبره ولم يأتمر باوامره ولم ينته بنواهيه فالواجب التدبر فى القرآن والخشوع عند قراءته فانه لاعذر فى ترك ذلك اذ لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها الانقادت لمواعظه ولرأيتها خاشعة مشققة من خشية الله (قوله المذكورة) اى فى هذه السورة أو فى سائر القرآن (قوله هو الله الذى الخ) لما وصف الله تعالى كلامه باعظم ومن المعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال هو أى الذات المتصفة بالكمالات أزلا وأبدا الواجبة الوجود وقوله الله خبر عن هو وقوله بعد ذلك الذى لا اله الا هو اما خبر ثان أو صفة للفظ الجلالة وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية لان الهوية هى الذات والجلالة اسم الذات ومظهرها (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وأتى به عقب الملك لدفع توهم انه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة وعلى الانبياء فى الدنيا أو السالم من كل نقص أو المؤمن من المخاوف والمهالك (قوله المصدق رسله بخلق المعجزة لهم) أى أو أولياءه بالكرامات وعباده المؤمنين على ايمانهم واخلاصهم لانه لا يطلع على الاخلاص الا هو (قوله أى الشهيد على عباده) وقيل معناه المطلع على خطرات القلوب (قوله القوى) أى فهو من عز بمعنى غلب وقهر فيكون من صفات الجلال ويصح أن يكون من عز بمعنى قل فلم يوجد له نظير فهو من صفات السلوب (قوله جبر خلقه على ما أراد) أى من اسلام وكفر وطاعة ومعصية فاذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز فهو من صفات الجلال ويصح انه مأخوذ من الجبر بمعنى الاصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أى أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهى التعالى فى العظمة وهى مختصة به تعالى لما فى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما قصمته ثم قذفته فى النار (قوله عما لا يليق به) أى من صفات الحدوث (قوله سبحان الله عما يشركون) أتى بالتسبيح عقب قوله المتكبر اشارة الى أن هذا الوصف مختص به وينزه سبحانه عن مشاركة الغير له (قوله هو الله) كرر الهوية لانها حقيقة الذات المتصفة بالكمالات فاذكر بعدها من الصفات فهو كشف لها (قوله الخالق) أى الموجد للمخلوقات من العدم (قوله المنشئ) أى المبدع للاعيان المبرز لها (قوله المصور) أى المبدع للاشكال على حسب ارادته فأعطى كل شئ من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله مؤنث الاحسن) أى الذى هو أفعل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء ووصفت بالحسنى لانها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك ووصف الجمع الذى لا يعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح ولو جاء على المطابقة لقال الحسن بوزن أخر ويصح أن يراد من الحسنى المصدر ويقال فيه ماقيل فى زيد عدل ووصف الجمع به ظاهر لانه لا يثنى ولا يجمع (قوله يسبح له مافى السموات والارض الخ) ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به اشارة الى أنه المقصود الاعظم والمبدأ والنهاية وان غاية المعرفة بالله تنزيهه عما صورته العقول

﴿سورة الممتحنة﴾

بكسر الحاء وفتحها لانه نزل فيها أمر المؤمنين بامتحان المرأة التى هاجرت فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان والفتح من حيث المرأة وهى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة ابراهيم بن عبد الرحمن (قوله مدنية) أى باجماع (قوله عدوى وعدوكم) أضاف العدو لنفسه تعالى تشريفا للمؤمنين أى ان عدوكم بمنزلة عدوى أنتقم منه والا فالعدو بمعنى الموصل للضر على الله محال كما أن الحبيب الموصل للنفع على الله محال (قوله أى كفار مكة) تفسير للعدو والعبرة بعموم اللفظ

وجعل فيه تمييز كالانسان (لرأيته خاشعا متصدعا) متشققا (من خشية الله وتلك الامثال) المذكورة (نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيؤمنون (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس) الطاهر عما لا يليق به (السلام) ذو السلامة من النقائص و(المؤمن) المصدق رسله بخلق المعجزة لهم (المهيمن) من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشئ أى الشهيد على عباده باعمالهم (العزيز) القوى (الجبار) جبر خلقه على ما اراد (المتكبر) عما لا يليق به (سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به (هو الله الخالق البارئ) المنشئ من العدم (المصور له الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (يسبح له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) تقدم أولها

﴿سورة الممتحنة مدنية ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم) أى كفار مكة (اولياء

لا بخصوص السبب فحكم الآية باق مع سائر الكفار الى يوم القيامة (قوله تلقون اليهم) هذه الجملة اما مفسرة لموالاتهم اياهم أو استئنافية فلا محل لها من الاعراب على هذين أو حال من فاعل تتخذوا أو صفة لأولياء (قوله قصد النبي الخ) أشار بذلك الى ان مفعول تلقون محذوف والباء في قوله بالمودة سببية (قوله وورى بحنين) أي بغزوة حنين والمعنى أظهر لعامة الناس انه يريد غزوة حنين على عادته من انه كان اذا خرج لغزوة يورى بغيرها كان يسأل عن طريق غيرها ستراعن المنافقين لئلا يرسلوا الى الكفار فينتبهوا فيفوت تدبير الحرب والتورية مأخوذة من وراء الانسان كانه يجعل ما أراده خلفه وو راءه وفي بعض النسخ وورى بخيبر وهو تحريف لان غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة وحنين كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح فورى بها على عادته في غزواته والسورة نزلت في غزوة الفتح (قوله كتب حاطب بن أبي بلتعة الخ) أي وكان ممن هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الاصل من اليمن وكان في مكة حليف بني أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام وهذا بيان لسبب نزول قوله يا أيها الذين آمنوا الآيات روى عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه وبين المدينة اثناعشر ميلا فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تتعادى خيلنا أي تسرعها فاذا نحن بامرأة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت مامعى كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا فقال لا تعجل على يارسول الله انى كنت امرأ ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت اذفاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ وأن الله ناصرك عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء قيل اسم المرأة سارة من موالي قريش روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكة الا أربعة هي احداهم وقيل انها عاشت الى خلافة عمر وأسلمت وحسن اسلامها وكان في الكتاب أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لأظفره الله بكم ولا يخذله موعده فيكم فان الله وليه وناصره وروى ان سارة المذكورة حين قدمت المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت ياسارة فقالت لا فقال أمسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فأين أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت ماطلب مني شئ بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها فخرجت الى مكة وأتاها حاطب فقال أعطيك عشرة دنانير وبردا على أن تلقي هذا الكتاب الى أهل مكة وكتب فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة سائرة الى مكة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث لها عليا الى آخر ما تقدم (قوله فاسترده النبي) أي طلب رده بارسال على ومن معه (قوله ممن أرسله) أي وهي سارة والضمير المستتر في أرسل عائد على حاطب والبارز عائد على الكتاب (قوله باعلام الله له) متعلق باسترده والباء سببية (قوله وقبل عذر حاطب) أي لانه مؤمن بدرى شهد الله له بالايمان حيث

(تلقون) توسلون (اليهم) قصد النبي صلى الله عليه وسلم غزوهم الذي أسره اليكم وورى بحنين (بالمودة) بينكم وبينهم كتب حاطب بن أبي بلتعة اليهم كتابا بذلك لماله عندهم من الاولاد والاهل المشركين فاسترده النبي صلى الله عليه وسلم ممن أرسله معه باعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أي دين الاسلام والقرآن

يخرجون الرسول وإياكم) من مكة بتضييقهم عليكم (أن تؤمنوا) أي لأجل أن آمنتم (بالله ربكم إن كنتم خرجتم

جهادا) للجهاد (في سبيلي وابتغاء مرضاتي) وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فلا تتخذوهم أولياء (تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم) أي إسرار خبر النبي إليهم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط (إن يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم) بالقتل والضرب (وألسنتهم بالسوء) بالسب والشتم (وودوا) تمنوا (لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة (يوم القيامة يفصل) بالبناء للمفعول والفاعل (بينكم) وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار (والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة) بكسر الهمزة وضمها في الموضعين قدوة (حسنة في إبراهيم) أي به قولا وفعلا (والذين معه) من المؤمنين (إذ قالوا لقومهم إنا برآء) جمع بريء كظريف (منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أنكرناكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوا (حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) مستثنى من أسوة أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن

تستغفروا للكفار وقوله (وما أملك لك من الله) أي من عذابه وثوابه (من شيء) كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه لا

قال يا أيها الذين آمنوا الخ (قوله يخرجون الرسول) إما مستأنف أو تفسير لكفرهم أو حال من فاعل كفروا (قوله وإياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم لأنه المقصود فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله لأنه لو قال يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى (قوله أي لأجل أن آمنتم الخ) أشار به إلى أن تؤمنوا في محل نصب مفعول له والمعنى يخرجونكم من أجل إيمانكم بالله (قوله إن كنتم خرجتم) أي من مكة (قوله للجهاد) أشار به إلى أن جهادا وما بعده منصوب على المفعول له (قوله تسرون إليهم) بدل من تلقون بدل بعض من كل أو مستأنف ومفعول تسرون محذوف قدره بقوله إسرار خبر النبي والباء في بالمودة للسببية نظير ما تقدم (قوله وأنا أعلم) الجملة حالية من فاعل تلقون وتسرون (قوله طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن سواء السبيل مفعول ضل (قوله إن يثقفوكم الخ) كلام مستأنف مبين لوجه العداوة (قوله يكونوا لكم أعداء) أي يظهروا العداوة لكم (قوله وودوا لو تكفرون) عطف على جملة الشرط والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين عداوتهم ومودتهم كفر المؤمنين (قوله لن تنفعكم أرحامكم) هذا تخطئة لحاطب في رأيه كأنه قال لا تحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم (قوله من العذاب) متعلق بقوله لن تنفعكم (قوله يوم القيامة) إما متعلق بما قبله فيوقف عليه ويبتدأ بيفصل بينكم أو متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم ويبتدأ بيوم القيامة (قوله بالبناء للمفعول) أي مع التخفيف والتشديد وقوله والفاعل أي معهما أيضا فالقراآت أربع سبعيات (قوله وبينهم) أي الأرحام والأولاد (قوله فتكونون في الجنة) أي فلا ينبغي موالاة الكفار لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة (قوله قد كانت لكم أسوة حسنة) لما بين سبحانه وتعالى حال من جعل الكفار أولياء في أول السورة ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه وإن طريقته التبري من أهل الكفر وألزم أمة محمد بالاقتداء به في ذلك وفيه توبيخ لحاطب ومن والى الكفار (قوله بكسر الهمزة وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقوله في الموضعين أي هذا وقوله الآتي لقد كان لكم فيهم أسوة ومعناها عليهما الاتباع والاقتداء كما قال المفسر (قوله في إبراهيم) جار ومجرور متعلق بأسوة ورد بأنه لا يجوز عمل المصدر الموصوف وأجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها ويصح أنه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل ويصح أنه نعت ثان لأسوة وإنما خص التأسي بإبراهيم لأنه صبر على أذى عدو الله النمروذ ولم يكن معه أحد يعينه عليه مع تفرده بملك الأرض مشركا ومغربا (قوله قولا وفعلا) تمييز مبني لجهة الاقتداء أي اقتدوا به في القول والفعل فإنه لم يبال بالكفار ولا بشدتهم وضعفه (قوله والذين معه من المؤمنين) يحتمل أن المراد بالمعية وهو في أرض بابل وحينئذ لم يكن معه إلا لوط ولد أخيه وسارة زوجته أو المراد بعد مجيئه إلى الشام وحينما كثر المؤمنون به (قوله إذ قالوا) هذا بدل اشتمال من إبراهيم والذين معه والمراد بقومهم النمروذ وذو جماعته أي فبارزوهم بالعداوة ولم يبالوا بهم مع شدة بأسهم وضعف المؤمنين (قوله إنا برآء منكم) أي من دينكم وآلهتكم (قوله وبدا) أي ظهر بيننا وبينكم العداوة على ممر الأزمان بدليل ذكر الأبد والعداوة المباينة ظاهرا والبغضاء المباينة بالقلوب وفي الحقيقة هما متلازمان (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستثنى من أسوة حسنة) أي وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة فكأنه قيل لكم فيه أسوة في أفعاله وأقواله إلا قوله كذا (قوله أي فليس لكم التأسي به) أي لأن استغفاره له لرجائه إسلامه فلما ظهر أنه عدو لله تبرأ منه (قوله وما أملك لك من الله من شيء) هذه الآية باعتبار معناها الوضعي تكون من جملة ما يقتدى به فيه لأن محصله أنه لا يملك له ثوابا ولا عقابا على حد ليس لك من الأمر شيء وهذا ثابت لإبراهيم وغيره وليس مرادا هنا بل المراد معناها الكنائي وهو أنه لا يملك له غير الاستغفار وهو غير مقتدى به فيه وحينئذ فقوله وما أملك معطوف على لأستغفرن لك وأشار المفسر لذلك بقوله كنى به الخ (قوله فهو مبني عليه) أي معطوف على

يستثنى من حيث المراد منه وان كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه قل فمن يملك لكم من الله شيأ واستغفاره له قبل أن يتبين له انه عدو لله كما ذكر في براءة (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) من مقول الخليل ومن معه أي قالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا أي تذهب عقولهم بنا (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) في ملكك وصنعك (لقد كان لكم) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم أسوة حسنة لمن كان) بدل اشتمال من كم باعادة الجار (يرجو الله واليوم الآخر) أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (ومن يتول) بأن يوالي الكفار (فان الله هو الغني) عن خلقه (الحميد) لأهل طاعته (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مودة) بأن يهديهم للايمان فيصيروا لكم أولياء (والله قدير) على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة (والله غفور) لهم ما سلف (رحيم) بهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) من الكفار (في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) بدل اشتمال من الذين (وتقسطوا) تفضوا (اليهم) بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الامر بجهادهم (ان الله يحب المقسطين) العادلين (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا) عاونوا (على اخراجكم أن تولوهم) بدل اشتمال من الذين أي تتخذوهم أولياء (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات)

لا استغفرن ومرتبط به ساقه اعتذارا (قوله مستثنى من حيث المراد منه) أي وهو المعنى الكنائي (قوله وان كان من حيث الخ) مبالغة على انه ليس مرادا وان كان معناه الوضعي (قوله قل فمن يملك) هذا دليل للمعنى الوضعي الغير المراد (قوله واستغفاره) هذا بيان لعذر ابراهيم في استغفاره لابيه وذلك انه لم يستغفر له الا لرجاء ايمانه ولما مات على الكفر رجع عن ذلك كما قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم الخ والحاصل ان ابراهيم وعد أباه بالاستغفار في سورة مريم بقوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واستغفر له بالقول في سورة الشعراء في قوله تعالى واغفر لابي ثم رجع عن ذلك كما بينه الله في سورة براءة (قوله من مقول الخليل الخ) أي الذي يقتدى به فيه فهو في المعنى مقدم على جملة الاستثناء (قوله أي قالوا) أي فهو مقول للقول السابق في قالوا انا برآء منكم أي قالوا ذلك وقالوا ربنا الخ ويصح أن يكون أمرا من الله للمؤمنين تتميما لما أمرهم به من ترك موالاة الكفار أي أظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم أمرهم وقولوا ربنا الخ ومعنى توكلنا فوضنا أمرنا وقوله واليك أنبنا أي رجعنا بالتوبة عن كل ما تكرهه منا وقوله واليك المصير المرجع في الآخرة (قوله أي لا تظهرهم) أي لا تجعلهم غالبين علينا وقوله فيظنوا انهم على الحق يعني ان ظفروا بنا وقوله فيفتتنوا أي يزدادوا كفرا ويدوموا عليه لان الاستدراج يوجب زيادة الكفر (قوله واغفر لنا) أي ما مضى من الذنوب (قوله لقد كان لكم فيهم) هذه الجملة تأكيد لقوله سابقا قد كانت لكم أسوة الخ أتى بها للمبالغة في التحريض على الاتباع لابراهيم وأمته (قوله أو يظن الثواب والعقاب) تفسير ثان لمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الايقان بذلك (قوله ومن يتول) أي يعرض عن الاقتداء بابراهيم وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله عسى الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين في عدم موالاة الكفار الذين أمروا به في أول السورة فشدد المسلمون على أنفسهم في هجر الكفار فوعد الله المسلمين باسلام أقاربهم الكفار فيوالونهم موالاة جائزة مطلوبة ويجمع الله الشمل بعد التفرق (قوله منهم) أي من الكفار فهو حال من الذين أي حال كون الذين عاديتموهم من جملة الكفار وقوله طاعة لله مفعول لأجله أي حصلت المعاداة لأجل طاعة الله (قوله والله قدير) أي ولا يستبعد عليه ذلك الجعل المذكور (قوله وقد فعله) أي بأن أسلم غالب كفار مكة فصاروا أحبابا واخوانا (قوله والله غفور رحيم) أي للذين عاديتموهم بان سامحهم ما سلف بسبب الايمان (قوله لا ينهاكم) نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة لان الآية الاولى عامة في سائر الكفار مطلقا ولو كانوا مصالحين ثم بين هنا ان من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة تجوز موادتهم ولم يكن النهي شاملا لهم كخزاعة وبني الحرث وعلى هذا تكون الآية محكمة فيجوز الآن للمسلمين موادة الكفار الذين تحت الذمة والصلح وقيل ان المراد بقوله لم يقاتلوكم أي لم يبتدؤكم بالقتال ولو لم يكن بينكم وبينهم صلح وهذا كان في أول الامر بالجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال عموما بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (قوله في الدين) أي لاجل دينكم (قوله بدل اشتمال) أي فالمعنى لا ينهاكم الله عن أن تبروهم والبر هو الاحسان (قوله تفضوا) انما فسر تقسطوا بمعنى تفضوا ليصح تعديته بالى (قوله أي بالعدل) هذا لا يخص هؤلاء فقط بل العدل واجب مع كل أحد ولو قاتل فالاولى تفسيره بالاعطاء أي تعطوهم قسطا من أموالكم فعطف القسط على البر من عطف الخاص على العام (قوله وهذا قبل الامر بجهادهم) يشير بذلك الى أن الآية منسوخة وقد علمت ما فيه (قوله العادلين) أي على تفسير القسط بالعدل وعلى تفسير القسط بالاعطاء فالمراد بالمقسطين المحسنين (قوله وأخرجوكم من دياركم) أي وهم أهل مكة (قوله بدل اشتمال) أي انما ينهاكم الله عن أن تولوهم (قوله الظالمون) فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها (قوله يا أيها الذين آمنوا) لما أمر الله المسلمين بهجر الكفار اقتضى ذلك عدم مناكحتهم والهجرة الى المسلمين خوفا من الموالاة المنهي عنها وكان النكاح من أقرب أسباب الموالاة بين أحكام الزوجين في هذه الآية وسبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عقد الصلح مع الكفار عام الحديبية على شرط ان من أتى النبي من أهل مكة يرده اليهم وان كان مسلما

بألسنتهن (مهاجرات) من الكفار بعد الصلح معهم ١٥٦ في الحديبية على أن من جاءهم منهم الى المؤمنين يرد (فامتحنوهن) بالحلف أنهن
ما خرجن الا رغبة في الاسلام
لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا
عشقا لرجال من المسلمين كذا
كان صلى الله عليه وسلم يحلفهن
(الله أعلم بإيمانهن فان
علمتموهن) ظننتموهن
بالحلف (مؤمنات فلا
ترجعوهن) تردوهن (الى
الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن وآتوهم) أي اعطوا
الكفار أزواجهن (ما أنفقوا)
عليهن من المهور (ولا جناح
عليكم أن تنكحوهن) بشرطه
(اذا آتيتموهن أجورهن)
مهورهن (ولا تمسكوا)
بالتشديد والتخفيف (بعصم
الكوافر) زوجاتكم لقطع
اسلامكم لها بشرطه أو
اللاحقات بالمشركين مرتدات
لقطع ارتدادهن نكاحكم
بشرطه (واسئلوا) اطلبوا
(ما أنفقتم) عليهن من المهور
في صورة الارتداد ممن تزوجهن
من الكفار (وليسئلوا
ما أنفقوا) على المهاجرات كما
تقدم أنهم يؤتونه (ذلكم حكم
الله يحكم بينكم) به (والله عليم
حكيم وان فاتكم شيء من
أزواجكم) أي واحدة فأكثر
منهن أو شيء من مهورهن
بالذهاب (الى الكفار)
مرتدات (فعاقبتم) فغزوتم
وغنمتم (فآتوا الذين ذهبت
أزواجهم) من الغنيمة (مثل
ما أنفقوا) لفواته عليهم من
جهة الكفار (واتقوا الله الذي
أنتم به مؤمنون) وقد فعل
المؤمنون ما أمروا به من الايتاء
للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك

جاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مهاجرة للنبي بحاجز وجاء صيفي بن الراهب وقيل المسافر المخزومي
وكان كافرا فقال يا محمد أردد على امرأتي فانك شرطت ذلك فأنزل الله هذه الآية فاستحلفها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر بن الخطاب (قوله بألسنتهن) أي ناطقات
بالشهادتين بألسنتهن (قوله من الكفار) أي حال كونهن من جملة الكفار أو متعلق بجاءكم (قوله بعد
الصلح) متعلق بمهاجرات أو بجاءكم (قوله على أن من جاءهم منهم) أي مؤمنا (قوله فامتحنوهن بالحلف)
حلفوهن هل هن مسلمات حقيقة أولا وسبب الامتحان انه كان من أرادت من الكفار اضرار زوجها
قالت سأهاجر الى رسول الله فلذلك أمر بالامتحان (قوله الله أعلم بإيمانهن) أي بصدقه (قوله فلا
ترجعوهن) أي لا يحل لكم أن تردوهن الى الكفار قال تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا (قوله وآتوهم ما أنفقوا) أي ادفعوا لهم من المهور كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع زوج
سبيعة (قوله بشرطه) أي وهو انقضاء عدتها في الاسلام ان كان مدخولا بها والولي والشاهدان وبقية
شروط الصحة في المدخول بها وغيرها (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله
بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي هنا عقد النكاح والكوافر جمع كافرة كضوارب جمع ضاربة
وقوله زوجاتكم أي المتأصلات في الكفر اللاتي أسلمتم عنهن وهذا النعت المقدر هو المعطوف عليه قوله
واللاحقات الخ وصورة المسئلة ان الزوج أسلم عن زوجته الكافرة فهذا نهي للمؤمنين عن بقائهم على
عصم المشركات الباقيات على الكفر بخلاف اسلامهم عن الكتابيات فلا ينفسخ نكاحهم فان النكاح
بهن يجوز للمسلم ابتداء فلا يمنع من البقاء عليهن بعد الاسلام (قوله لقطع اسلامكم لها بشرطه) أي شرط
القطع وهو أن لا يجمعهما الاسلام في العدة فان أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه أو أسلمت قبله وأسلم
بعدها في العدة والموضوع أنه مدخول بها أقر عليها في الصورتين (قوله أو اللاحقات) معطوف على
النعت المقدر بعد زوجاتكم وصورتها مسلمات اصالة تحت أزواج مسلمين فوقعت منهن الردة والتحقن
بالمشركين في ذلك (قوله بشرطه) أي وهو دوام الردة الى وفاء العدة فان رجعت للاسلام قبل وفاء العدة
ترجع له من غير عقد هكذا مذهب الامام الشافعي في المدخول بها وأما غيرها فتبين بمجرد الردة وأما
مذهب مالك فلا ترجع له الا بعقد مطلقا سواء رجعت قبل العدة أو بعدها فكلام المفسر على قاعدة
مذهب الامام الشافعي (قوله واسئلوا ما أنفقتم الخ) قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدا
الى الكفار المعاهدين يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء أحد من الكافرات مسلمة
مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ثم نسخ ذلك الأمر فمن ارتدت لا تقر
ومن جاءتنا منهم مسلمة مهاجرة لا يأخذون لها مهرا (قوله ذلكم حكم الله) أي المذكور في هذه الآية وقوله
يحكم بينكم استئناف أو حال بتقدير الرابط وقد جرى عليه المفسر (قوله وان فاتكم الخ) هذه الآية أيضا
من تتمة قوله واسئلوا ما أنفقتم فهو بمعناه ومحصله أنه ان فرشئ أي امرأة أو أكثر الى الكفار فغنمتم
فأعطوا الذين فرت أزواجهم من الغنيمة قبل قسمها قدر مهرها فكأنه دين على الكفار قال ابن عباس
لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة مرتدات فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أزواجهن مهورهن من الغنيمة (قوله مرتدات) حال من أزواج (قوله فغزوتم) فسر العقوبة
بالغزو لحصولها به (قوله فآتوا) بمد الهمزة أي اعطوا روي انه لما نزل قوله تعالى واسئلوا ما أنفقتم
وليسئلوا ما أنفقوا أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون
ان يؤدوا شيئا من مهور المرتدات الى أزواجهن المسلمين فأنزل الله وان فاتكم الخ (قوله ثم ارتفع هذا
الحكم) أي نسخ حكمه فصار الآن اذا ارتدت امرأة ولحقت بالمشركين لا نأخذ لها مهرا بل ننتظرها
فمتى قدرنا عليها استتبناها فان تابت والا قتلت كما ان من فرت من الكفار مسلمة لا ندفع لها مهرا (قوله
يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الخ) أي من أهل المدينة أو مكة أو غيرهن ولكن الآية نزلت في فتح
مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال (قوله يبايعنك) أي يعاهدنك وسماه

مبايعة

مبايعة لانه مقابلة شئ بشئ وهو الايمان وتوابعه فى مقابلة الجنة والرضوان ويبايعن مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة والكاف مفعول (قوله على أن لايشركن) نهاهم فى هذه المبايعة عن ستة أشياء ولم يقابلها بأوامر لان النهى عن هذه يستلزم الامر بضدها (قوله ولا يسرقن) روى انه لما قال النبى لهن ذلك قالت هند امرأة أبى سفيان يارسول الله ان أباسفيان رجل شحيح فهل على حرج اذا أخذت ما يكفينى وولدى قال لا الا بالمعروف فخشيت هند أن تقتصر على مايعطيها فتضيع أو تأخذ فتكون ناقضة للبيعة فلذلك أمرها بالمعروف فى الاخذ ومحل جواز الاخذ بغير اذن اذا كان غير محجور وأما اذا حجره بقفل أو نحوه فيحرم الاخذ وان أخذت تعد سارقة وتقطع يدها فلما قال رسول الله ولا يزنين قالت هند أوتزنى الحرة فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وعرضت بولدها حنظلة فانه قتل يوم بدر فضحك عمر وتبسم رسول الله فلما قال ولا يأتين ببهتان قالت والله ان البهتان القبيح وماتأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق وكانت هذه البيعة فى مكة عند الصفا فاجتمع له من النسوة أربعمائة وسبع وخمسون امرأة فا منّ (قوله من وأد البنات) اى دفنهن أحياء (قوله أى بولد ملقوط) أى فكانت المرأة اذا خافت مفارقة زوجها لعدم الحمل التقطت ولدا ونسبته له ليبقيها عنده فأشار المفسر بقوله أى بولد الى ان المراد بالبهتان المفترى وليس المراد الزنا لتقدمه فى النهى صريحا (قوله كترك النياحة) أى فالمراد بالمعروف هو ماعرف حسنه فى الشرع وهو اسم جامع لكل خير (قوله فبايعهن) جواب اذا جاءك المؤمنات أى التزم لهن الثواب اذا التزمن ذلك (قوله بالقول) هذا هو الصحيح وقيل انه صافحهن بحائل لما روى انه بايع النساء وبين يديه وأيديهن ثوب وقالت أم عطية لما قدم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم أرسل الينا عمر بن الخطاب على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله اليكن أن لاتشركن بالله شيأ الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد (قوله واستغفر لهن الله) أى مما سلف منهن (قوله ياأيها الذين آمنوا الخ) ختم السورة بمثل ما افتتحها به وهو النهى عن موالاة الكفار وهذا من البلاغة ويقال له رد العجز على الصدر (قوله غضب الله عليهم) نعت لقوما وقوله قد يئسوا نعت ثان (قوله هم اليهود) أشار المفسر بذلك الى سبب نزول الآية وهو ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود باخبار المسلمين ليعطوهم من ثمارهم فنزلت وقيل المراد بالمغضوب عليهم جميع الكفار (قوله لعنادهم) علة ليأسهم مع ايقانهم بها فلا حظ لهم فيها ولا ثواب (قوله من أصحاب القبور) مشى المفسر على أن قوله من أصحاب القبور صفة للكفار والميؤس منه محذوف قدره بقوله من خير الآخرة أى ان اليهود يئسوا من الآخرة كيأس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة وقيل ان قوله من أصحاب القبور هو الميؤس منه والمعنى ان اليهود أيسوا من الآخرة كيأسهم من أصحاب القبور لانهم ينكرون البعث وقيل كما يئس الكفار المقبورون من رجوعهم الى الدنيا احتمالات ثلاث (قوله اذ تعرض عليهم) أى وهم فى القبور (قوله لو كانوا آمنوا) اى قبل الموت (قوله ومايصيرون اليه) معطوف على مقاعدهم أى ويعرض عليهم مايصيرون اليه من النار

﴿سورة الصف مكية﴾

أى فى قول عكرمة وقتادة والحسن وبه جزم فى الكشاف (قوله أو مدنية) أى وهو قول الجمهور (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد وقيل للتعليل أى سبحوا لاجل الله ابتغاء وجهه لا لطلب الثواب ولا خوفا من عقاب وهذا أعلا مراتب العمل وقد تقدم نظير ذلك وأعاد ما الموصولة فى قوله وما فى الارض هنا وفى الحشر والجمعة والتغابن لانه الاصل وتركه فى الحديد مشاكلة لقوله فيها بعد له ملك السموات والارض وقوله هو الذى خلق السموات والارض (قوله لم تقولون) استفهام انكارى جئ به للتوبيخ لمن يدعى ماليس فيه فان وقع ذلك اخبارا عن أمر فى الماضى فهو كذب وان وقع فى المستقبل

على أن لايشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) كما كان يفعل فى الجاهلية من وأد البنات أى دفنهن أحياء خوف العار والفقر (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) أى بولد ملقوط ينسبنه الى الزوج ووصف بصفة الولد الحقيقى فان الام اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها (ولا يعصينك فى) فعل (معروف) هو ماوافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه (فبايعهن) فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) هم اليهود (قد يئسوا من الآخرة) أى من ثوابها مع ايقانهم بها لعنادهم النبى مع علمهم بصدقه (كما يئس الكفار) الكائنون (من أصحاب القبور) أى المقبورين من خير الآخرة اذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا ومايصيرون اليه من النار

﴿سورة الصف مكية أو مدنية أربع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله مافى السموات ومافى الارض) أى نزهه فاللام مزيدة وجئ بما دون من تغليبا للاكثر (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون)

يكون خلفا للوعد وكلاهما مذموم ولام الجر داخلة على ما الاستفهامية وحذفت ألفها لذلك قال ابن مالك

وما في الاستفهام ان جرت حذف * ألفها واولها الها ان تقف

(قوله في طلب الجهاد) سبب نزول هذه الآية انه لما سمع أصحاب رسول الله مدح الجهاد ومدح أهل بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت هذه الآية توبيخا لهم وهذا خارج مخرج التخويف والزجر وقيل نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرج النبي واصحابه نكصوا على عقبهم وتخلفوا وحينئذ فتسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر والذم على حقيقته (قوله اذا انهزمتم باحد) تعليل لقوله ما لا تفعلون (قوله تمييز) أي محول عن الفاعل والاصل كبر مقت قولهم والمقت أشد البغض وهو من أمثلة التعجب في مقام الذم (قوله ينصر ويكرم) هذا معنى المحبة في حق الله لان حقيقتها وهو ميل القلب مستحيل على الله ومن لازم الميل الاكرام والنصر فأطلق على الله باعتبار هذا اللازم (قوله حال) أي من الواو في يقاتلون وقوله أي صافين فسره بمشتق لصحة الحالية ومفعوله محذوف أي انفسهم (قوله ملزق بعضها الى بعض) أي كانه بني بالرصاص أو معنى المرصوص الملتئم الاجزاء المستوية المحكمها ومن كان كذلك لا ينهزم ولا يقاوم (قوله واذ قال موسى) ذكر قصة موسى وعيسى اجمالا تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ليصبر على أذى قومه وتذكيرا لتفاصيلها المتقدمة وابتدأ بقصة موسى لاسبقيته في الزمن (قوله قالوا انه آدر) وسبب تهمتهم له بذلك ستره للعورة من صغره فلم يروه فعيبوه بذلك وتقدم ذلك عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية (قوله وكذبوه) معطوف على قالوا أي عيبوه في جسمه وأنكروا ما جاء به وكذبوه (قوله وقد للتحقيق) أي تحقيق علمهم برسالته وذلك يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه (قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) مقتضى هذا التركيب ان زيغهم سبب لازاغة الله قلوبهم مع ان الامر بالعكس لان العبد لا يزيغ الا ان أزاغه الله وصرفه عن الهدى وأجيب انهم لما فعلوا سبب الزيغ وهو ايذاء موسى أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وقت ايذائهم على وفق ما أراده أزلا وقد أشار لذلك المفسر ويشهد لذلك قضية ابليس فانه كان مطيعا فلما خالف مولاه وعاند زاغ فأزاغ الله قلبه وطرده موافقة لما نجزه بارادته أزلا فزيغ العبد سبب لازاغة الله له باعتبار اظهار القدرة لذلك الآن على وفق ما أراده الله ونجزه أزلا فليحفظ (قوله الكافرين في علمه) هذا جواب عما يقال ان الله هدى كثيرا من الكفار بأن وفقهم للاسلام وحاصل الجواب ان من أسلم وهداه الله لم يكن في الازل مكتوبا كافرا وأما من علم الله كفره في الازل لا يهديه ولا بد من موته على الكفر ولو عاش طول عمره مسلما (قوله واذ قال عيسى) معمول لمحذوف تقديره اذكر وانما كررت قصة موسى وعيسى بل وقصة غيرهما لان المقصود الاتعاظ ودوامه فاذا ذكر الشئ أولا وثانيا كان المقصود منه دوام تذكره والاعتبار به قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل (قوله لانه لم يكن له فيهم قرابة) أي لانه لا أب له فيهم وان كانت أمه من أشرافهم ان قلت هو منهم باعتبار أمه قلت النسب انما هو من جهة الاب (قوله مصدقا) حال من الضمير المستتر في رسول اتا وبله عبرسل وكذا قوله ومبشرا (قوله من التوراة) خصها لانها أشهر الكتب عندهم (قوله يأتي من بعدي) الجملة صفة لرسول وكذا قوله اسمه أحمد والياء في بعدي امامة موحه أو ساكنة قراءتان سبعيتان (قوله اسمه أحمد) يحتمل أن يكون افعل تفضيل من المبني للفاعل والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره ويحتمل أن يكون من المبني للمفعول أي أكثر محمودية من غيره أي كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره وخص احمد بالذكر دون محمد مع انه أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم لوجوه الاول كونه مذكورا في الانجيل بهذا الاسم الثاني كونه مسمى في السماء به الثالث لان حمده لله سابق على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة فحمده قبل شفاعته لامته وحمد الخلق له بعدها وقال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرؤف ورحيم (قوله أي جاء أحمد الكفار) هذا

في طلب الجهاد (ما لا تفعلون) اذا انهزمتم بأحد (كبر) عظم (مقتا) تمييز (عند الله أن تقولوا) فاعل كبر (ما لا تفعلون ان الله يحب) ينصر ويكرم (الذين يقاتلون في سبيله صفا) حال أي صافين (كأنهم بنيان مرصوص) ملزق بعضه الى بعض ثابت (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) قالوا انه آدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وقد) للتحقيق (تعلمون أني رسول الله اليكم) الجملة حال والرسول يحترم (فلما زاغوا) عدلوا عن الحق بايذائه (أزاغ الله قلوبهم) أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الازل (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الكافرين في علمه (و) اذكر (اذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل) لم يقل يا قوم لانه لم يكن له فيهم قرابة (اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي) قبلي (من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) قال تعالى (فلما جاءهم) جاء أحمد الكفار (بالبينات) الآيات والعلامات

أحد قولين للمفسرين في مرجع الضمير في جاءهم والثاني انه عائد على عيسى (قوله أي المجيء به) اسم مفعول من جاء وأصله مجيوء بوزن مضروب نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو وكسرت الجيم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله ووصف آياته) بالجر عطف على نسبة (قوله وهو يدعى الى الاسلام) الجملة حالية أي يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله (قوله منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة) أي في مفعول يريدون للتوكيد ويصح أن تكون للتعليل والمفعول محذوف والتقدير يريدون ابطال القرآن ليطفؤا وهناك طريقة لبعض النحويين ان اللام بمعنى أن الناصبة فيكون الفعل منصوبا بها (قوله شرعه وبراهينه) هذا أحد أقوال في تفسير النور وقيل هو القرآن وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه مثل مضروب بمن أراد اطفاء الشمس بفيه فكما انه لا يفيده ذلك كذلك من أراد ابطال الحق فلا يفيده وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الابطال بالاطفاء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاطفاء يطفؤن بمعنى يبطلون وسبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال ان الاتمام لا يكون الا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالاتمام اظهاره في المشارق والمغارب (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أي البيان الشافي والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) انما عبر أولا بالكافرون وثانيا بالمشركون لان الرسول في ابتداء أمره يأتي بالتوحيد ويأمر به فخالفه المشركون فاذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا ابطال ما جاء به من المعجزات والبراهين فعبر في كل بما يناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله لعملناه وقيل نزلت في عثمان بن مظعون وذلك انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان وددت يا نبي الله ان أعلم أي التجارات أحب الى الله فأتجر فيها فنزلت والاستفهام اخبار في المعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أوقع في النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله تؤمنون) في محل رفع خبر مبتدأ مقدر أي هي تؤمنون أو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هي فأجاب بما ذكر (قوله ذلكم) أي المذكور من الايمان والجهاد (قوله خير لكم) أي من كل شيء (قوله ان كنتم تعلمون) أشار المفسر الى ان الجواب مقدر والى ان تعلمون متعد حذف مفعوله (قوله من تحتها) أي من تحت أشجارها وغرفها (قوله ومساكن طيبة الخ) روي عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله (قوله ذلك) أي المذكور من غفران الذنوب

(قالوا هذا) أي المجيء به (سحر) وفي قراءة ساحر أي الجائي به (مبين) بين (ومن) أي لا أحد (أظلم) أشد ظلما (ممن افترى على الله الكذب) بنسبة الشريك والولد اليه ووصف آياته بالسحر (وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (يريدون ليطفؤا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة (نور الله) شرعه وبراهينه (بأفواههم) بأقوالهم انه سحر وشعر وكهانة (والله متم) مظهر (نوره) وفي قراءة بالاضافة (ولو كره الكافرون) ذلك (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) يعليه (على الدين كله) جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم) بالتخفيف والتشديد (من عذاب أليم) مؤلم فكأنهم قالوا نعم فقال (تؤمنون) تدومون على الايمان (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فافعلوه (يغفر) جواب شرط مقدر أي ان تفعلوه يغفر (لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن) اقامة (ذلك الفوز العظيم)

و) يؤتيكم نعمة (أخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) بالنصر والفتح (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) لدينه وفي

(قراءة بالاضافة كما قال) الخ المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله)

أي من الانصار الذين يكونون معي متوجها الى نصرة الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) والحواريون أصفياء عيسى وهو أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى وقالوا انه عبد الله رفع الى السماء (وكفرت طائفة) لقولهم انه ابن الله رفعه اليه فاقتتلت الطائفتان (فأيدنا) قوينا (الذين آمنوا) من الطائفتين (على عدوهم) الطائفة الكافرة (فأصبحوا ظاهرين) غالبين

﴿سورة الجمعة مدنية احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ (يسبح لله) ينزهه فاللام زائدة (ما في السموات وما في الارض) في ذكر ما تغليب للاكثر (الملك القدوس) المنزه عما لا يليق به (العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه (هو الذي بعث في الاميين) العرب والامي من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وانهم (كانوا من قبل) قبل مجيئه (لفي ضلال مبين) بين (وآخرين) عطف على الاميين أي الموجودين (منهم) والآتين منهم بعدهم

نسخه

وادخال الجنان (قوله ويؤتيكم نعمة أخرى) أشار المفسر بتقديره هذا العامل الى أن أخرى صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله والمراد يؤتيكم في الدنيا فهو اخبار عن نعمة الدنيا بعد الاخبار عن نعمة الآخرة (قوله نصر من الله) خبر مبتدأ مضمر أي تلك النعمة الأخرى نصر من الله وقوله وفتح قريب أي معجل وهو فتح مكة أو فارس والروم (قوله وبشر المؤمنين) معطوف على محذوف أي قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ وبشر المؤمنين والمعنى أخبر عامة المؤمنين بأن هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الايمان وما بعده (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أي أنصار الله والمعنى كونوا أنصار الله مثل ما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصاري الى الله (قوله نحن أنصار الله) من اضافة الوصف الى مفعوله أي نحن الذين ننصر الله أي ننصر دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قصارين) فعلى هذا الحور قائم بالثياب وعلى الاول قائم بذواتهم (قوله فآمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى الى السماء افترق الناس فيه فرقتين فآمنت طائفة الخ وروي عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا الآية (قوله فاقتتلت الطائفتان) أي وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا فظهرت المؤمنة على الكافرة روى المغيرة عن ابراهيم قال وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله

﴿سورة الجمعة مدنية﴾

أي بالاجماع وقوله احدى عشرة آية أي بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أي أو للتعليل والمعنى يسبح ما في السموات وما في الارض لاجل وجهه تعالى لا يقصدون غرضا من الاغراض ففيه اشارة الى أنه ينبغي للمكلفين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالايجاد والاعدام وغيرهما (قوله المنزه عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله في الاميين) أي اليها وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم والحكمة في اقتصاره على الاميين هنا مع انه رسول الى كافة الخلق تشريف العرب حيث أضيف اليهم (قوله رسولا منهم) أي من جملتهم ومن نسبتهم فما من حي من العرب الا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة الا بني تغلب فان الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحق والحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم أميا مثلهم لكونه في كتب الانبياء منعوتا بذلك وأيضا لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب الى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الامية كمال في حقه نقص في حق غيره (قوله يتلو عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أي يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصيروا أزكياء (قوله مخففة من الثقيلة) أي بدليل وقوع اللام في خبرها (قوله عطف على الاميين) أي فهو مجرور والمعنى بعث الى الاميين الموجودين والى الآتين منهم بعدهم فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا في زمنه بل هي عامة لهم ولغيرهم الى يوم القيامة وما تقدم في الاميين من قوله يتلو عليهم آياته الخ يجري في قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه وبالواسطة لمن يأتي بعدهم الى يوم القيامة (قوله أي الموجودين منهم) تفسير للاميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفي

(لما) لم (يلحقوا بهم) في السابقة والفضل (وهو العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه وهم التابعون والاقتصار عليهم كاف في
بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث اليهم وآمنوا به من جميع الانس والجن الى يوم القيامة لان كل قرن خير ممن يليه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) النبي ومن ذكر معه (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) كلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها من نعته صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أي كتبا في عدم انتفاعه بها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) المصدقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الاول قيد في الثاني أي ان صدقتم في زعمكم أنكم أولياء الله والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت ايديهم) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه) الفاء زائدة (ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من

نسخة وآتين وهي مشاكلة لآخرين في عدم التعريف (قوله لما يلحقوا بهم) اى في السبق الى الاسلام والشرف وهذا النفي مستمر دائما لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في فضلهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما بلم وذلك لان منفي لم أعم من كونه متوقع الحصول أولا بخلاف لما فنفيها متوقع الحصول وليس مرادا (قوله والاقتصار عليهم) أي على التابعين في تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس الى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس الى يوم القيامة لان كل قرن خير مما يليه (قوله ممن بعث اليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله ممن بعث اليهم (قوله لان كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أى ما ذكر من تفضيل الرسول وقومه (قوله النبي) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه وهم الاميون والآخرون (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا حملوا مخففا مبنيا للفاعل (قوله كلفوا العمل بها) أى القيام بها فليس هو من الحمل على الظهر بل هو من الحمالة وهى الكفالة (قوله كمثل الحمار) خص بالذكر لكونه أبلد الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم مخففة وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا يحمل بضم الياء وفتح الميم مشددة والجملة اما حال أو صفة لان القاعدة أن الجمل بعد ما يحتمل التعريف والتنكير تكون محتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا للصورة التعريف والوصفية نظرا لجريان الحمار مجرى النكرة لان المراد به الجنس (قوله أي كتبا) اى كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله في عدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاعل بئس وقوله الذين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أى دلائل وحدانيته وعظمته (قوله الكافرين) أى الذين سبق في علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من تحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين هادوا) أى تمسكوا باليهودية وهى ملة موسى عليه السلام وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يظهر كذبهم بتلك الآية (قوله أنكم أولياء) هذه الجملة سدت مسد مفعولي زعم ولله متعلق بأولياء وكذا قوله من دون الناس (قوله تعلق بتمنوا الشرطان) أى وهما ان زعمتم ان كنتم صادقين (قوله على أن الأول قيد في الثاني) أى شرط فيه وهذا اشارة لقاعدة وهى أنه اذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الأول قيدا في الثاني وأما ان تأخر الجواب عنهما معا أو تقدم عليهما معا فان الثاني يكون قيدا في الأول نحو ان دخلت دار زيد ان كلمت زوجته فأنت طالق فلا تطلق الا بكلام الزوجة الكائن بعد دخول الدار وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلا تطلق به (قوله ومبدؤها) أى طريقها (قوله ولا يتمنونه) عبر هنا بلا وفي البقرة بلن حيث قال ولن يتمنوه أبدا اشارة الى أنه نفى عنهم التمني على كل حال مؤكدا كما في البقرة وغير مؤكد كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) الباء سببية متعلقة بالنفي (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذي تفرون منه) أى تخافون من تمنيه مخافة أن ينزل بكم فتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثاني أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول (قوله السر والعلانية) لف ونشر مرتب (قوله اذا نودي للصلاة) المراد به الاذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان له مؤذن واحد اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التي تسمى الزوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى اذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي (قوله

يعنى فى) هذا أحد وجهين والثانى انها بيان لاذا نودى وتفسير لها (قوله يوم الجمعة) بضمتين وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بسكون الميم وفتحها سميت بذلك لاجتماع الناس فيها للصلاة وكانت العرب تسميها العروبة واعلم أن أفضل الليالى ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار (قوله فامضوا) أشار بذلك الى أنه ليس المراد من السعى الاسراع فى المشى اذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها بل المراد به التوجه والمشى عند الذهاب أفضل من الركوب ان لم يكن عذر وبعد انقضاء الصلاة لا بأس به (قوله اتركوا عقده) أى فالمراد بالبيع العقد بتمامه فهو خطاب لكل من البائع والمشترى ومثل البيع والشراء الاجارة والشفعة والتولية والاقالة فان وقعت حرمت وفسخت عند مالك وعند الشافعى تحرم ولا تفسخ (قوله ذلكم) أى المذكور من السعى وترك الاشتغال بالدنيا (قوله أنه خير) قدره اشارة الى أن مفعول تعلمون محذوف وقوله فافعلوه جواب الشرط (قوله فاذا قضيت الصلاة) أى أديت وفرغ منها (قوله فانتشروا فى الارض) أى للتجارة والتصرف فى حوائجكم (قوله أمر اباحة) أى فالمعنى يباح لكم الانتشار فى الارض فلا حرج عليكم فى فعله ولا تركه (قوله واذكروا الله كثيرا) أتى به ثانية اعلاما بأن ذكر الله مأمور به فى سائر الاحوال لا فى خصوص الصلاة (قوله تفوزون) أى تظفرون بسعادتكم (قوله كان صلى الله عليه وسلم الخ) شروع فى بيان سبب نزول قوله تعالى واذا رأوا تجارة الخ (قوله يخطب يوم الجمعة) أى بعد الصلاة كالعيدين (قوله فقدمت عير) أى من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبى وكان الوقت وقت غلاء فى المدينة وكان فى تلك القافلة جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها فنزل بها عند احجار الزيت موضع بسوق المدينة وضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيبتاع منه وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة فى انهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق وقيل أهل القادم بها قال قتادة بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة (قوله غير اثنى عشر رجلا) وفى رواية أن الذين بقوا معه أربعون رجلا وفى أخرى انهم ثمانية وفى أخرى انهم أحد عشر وفى أخرى أنهم ثلاثة عشر وفى أخرى أنهم أربعة عشر وهذا منشأ الخلاف بين الائمة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة فصح عند مالك أنهم اثنا عشر وصح عند الشافعى أنهم أربعون وردف الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا (قوله انفضوا اليها) أى والذى سوغ لهم الخروج وترك رسول الله يخطب انهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لانه كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة (قوله لانها مطلوبهم) جواب عما يقال لم أفرد الضمير مع ان المتقدم شيآن ويجاب أيضا بأنه أفرد لان العطف بأو وخص ضمير المؤنث لما قاله المفسر (قوله وتركوك قائما) الجملة حالية من فاعل انفضوا وفى قوله قائما اشارة الى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما تقرأ وتركوك قائما قال جمهور العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب أبو حنيفة الى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وذهب مالك الى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير (قوله قل ما عند الله الخ) أى قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل (قوله من الثواب) بيان لما والمراد به الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعنى فى (يوم الجمعة فاسعوا) فامضوا (الى ذكر الله) أى الصلاة (وذروا البيع) أى اتركوا عقده (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير فافعلوه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض) أمر اباحة (وابتغوا) اطلبوا الرزق (من فضل الله واذكروا الله ذكرا (كثيرا لعلكم تفلحون) تفوزون كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثنى عشر رجلا فنزل (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) أى التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو (وتركوك) فى الخطبة (قائما قل ما عند الله) من الثواب (خير للذين آمنوا (من اللهو ومن التجارة والله

(قوله خير) اسم التفضيل باعتبار ان في اللهو والتجارة لذة دنيوية (قوله يقال كل انسان الخ) أشار بذلك الى ان اسم التفضيل على بابه فالرازقون متعددون لكن على سبيل المجاز والا فالرازق حقيقة هو الله وحده (قوله عائلته) أى عياله (قوله أى من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور والمعنى ليس المراد به ان كل انسان يرزق عائلته بالاستقلال ولا بحوله وقوته بل من رزق الله تعالى يجرى على يديه

﴿سورة المنافقون﴾

هكذا بالواو على الحكاية وفى بعض النسخ المنافقين بالياء (قوله مدنية) اى بالاجماع وكذا قوله احدى عشرة آية (قوله اذا جاءك المنافقون) اى حضروا عندك كعبد الله بن أبىّ وأصحابه وجواب الشرط قوله قالوا وهو الاظهر وقيل جوابه محذوف أى فلا تقبل منهم وقيل الجواب قوله اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد * وسبب نزول هذه السورة انه صلى الله عليه وسلم لما غزا بنى المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد وكان أجير العمر يقود له فرسه والثانى من الانصار اسمه سنان الجهنى كان حليفا لعبد الله بن أبىّ فلما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها رجل من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله بن أبىّ ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أنزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم فى أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن أرقم فبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله انت صاحب الكلام الذى بلغنى عنك فحلف انه ماقال شيأ وأنكر فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة الخ فنزلت السورة (قوله نشهد انك لرسول الله) يحتمل ان الشهادة على بابها نفيا للنفاق عن أنفسهم ويحتمل أن نشهد بمعنى نحلف (قوله والله يعلم انك لرسوله) جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله والله يشهد الخ وحكمة الاعتراض انه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم ان قولهم فى حد ذاته كذب فأتى بالاعتراض لدفع هذا الايهام (قوله فيما أضمروه) أى من انك غير رسول وسماه كذبا باعتبار هذا الذى أضمروه وهذا ما أفاده المفسر وقيل كذبهم هو قولهم نشهد لان صدقها كونها من صميم القلب وقولهم خلاف ما فى القلب (قوله اتخذوا أيمانهم) بفتح الهمزة فى قراءة العامة جمع يمين وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى دعواهم الايمان والتصديق بما جاء به محمد (قوله جنة) بضم الجيم أى وقاية (قوله ساء ما كانوا يعملون) ساء كبئس فى افادة الذم وفيها معنى التعجب (قوله بانهم آمنوا باللسان الخ) جواب عما يقال ان المنافقين لم يحصل منهم ايمان أصلا بل هم ثابتون على الكفر وايضاحه ان ثم للترتيب الاخبارى ومعناه انهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم (قوله لجمالها) قال ابن عباس كان ابن أبى جسيما صحيحا فصيحا طلق اللسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه الى الجدر وكان النبى ومن حضر يعجبون بهياكلهم (قوله وان يقولوا) أى يتكلموا فى مجلسك (قوله تسمع) أى تستمع بمعنى تصغى (قوله كأنهم خشب مسندة) الجملة حالية من الضمير فى قولهم أو مستأنفة (قوله فى ترك التفهم) هذا بيان لوجه الشبه والمعنى انهم يشبهون الاخشاب المسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر (قوله بسكون الشين وضمها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) اى انهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم يظنون كل نداء فى العسكر من انشاد ضالة أو مناداة أحد صاعقة عليهم وانهم يرادون بذلك فيقتضى كلام المفسر ان عليهم مفعول ثان ليحسبون وقوله هم العدو جملة مستأنفة (قوله لما فى قلوبهم من الرعب) متعلق بيحسبون (قوله أن ينزل فيهم) متعلق بالرعب والمعنى لما فى قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن يكون سببا لاباحة دمائهم (قوله فاحذرهم) مرتب على قوله هم العدو (قوله قاتلهم الله) اخبار بهلاكهم أو تعليم

خير الرازقين) يقال كل انسان يرزق عائلته أى من رزق الله تعالى

﴿سورة المنافقون مدنية احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا) بألسنتهم على خلاف ما فى قلوبهم (نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد) يعلم (ان المنافقين لكاذبون) فيما أضمروه مخالفا لما قالوه (اتخذوا أيمانهم جنة) سترة على أموالهم ودمائهم (فصدوا) بها (عن سبيل الله) أى عن الجهاد فيهم (انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك) أى سوء عملهم (بانهم آمنوا) باللسان (ثم كفروا) بالقلب أى استمروا على كفرهم به (فطبع) ختم (على قلوبهم) بالكفر (فهم لا يفقهون) الايمان (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لجمالها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحته (كأنهم) من عظم أجسامهم فى ترك التفهم (خشب) بسكون الشين وضمها (مسندة) ممالة الى الجدار (يحسبون كل صيحة) تصاح كنداء فى العسكر وانشاد ضالة (عليهم) لما فى قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هم العدو فاحذرهم) فانهم يفشون سرك للكفار (قاتلهم الله)

للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (قوله أهلكهم) وقيل معناه لعنهم وأبعدهم عن رحمته (قوله بعد قيام البرهان) أي على حقيقة الايمان (قوله واذا قيل لهم تعالوا الخ) روي انه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فلووا رؤسهم أي حركوها اعراضا واباء وروي ان ابن أبي لوى رأسه وقال لهم قد أشرتم علي بالايمان فآمنت وباعطاء زكاة مالي ففعلت ولم يبق الا ان تأمروني بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا الخ فلم يلبث ابن أبي الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات منافقا (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله ورأيتهم يصدون) رأى بصرية وجملة يصدون حال من الهاء وقوله وهم مستكبرون حال من الواو في يصدون (قوله سواء عليهم الخ) هذا تيئيس من ايمانهم أي ان استغفارك وعدمه سواء فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم (قوله استغنى) أي في التوصل للنطق بالساكن (قوله بهمزة الاستفهام) أشار بذلك الى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مد وهي في الاصل همزة الاستفهام والآن همزة التسوية (قوله الفاسقين) أي الكافرين الذين سبق في علم الله كفرهم (قوله هم الذين يقولون الخ) استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم (قوله من الانصار) أي المخلصين في الايمان ومحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال (قوله على من عند رسول الله) الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه لانهم منافقون يقرون برسالته ظاهرا ويحتمل انهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله اجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله حتى ينفضوا) أي لاجل أن يتفرقوا بان يذهب كل واحد منهم الى أهله وشغله بالمعاش (قوله ولله خزائن السموات والارض) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال ان الرزق بيده تعالى لا بأيديهم فالمعطي المانع هو الله تعالى واذا أسد باب يفتح الله عشرة (قوله لا يفقهون) أي لا يفهمون ان لله خزائن السموات والارض (قوله يقولون لئن رجعنا الخ) حكاية لبعض قبائحهم التي قالوها (قوله من غزوة بني المصطلق) وكانت في السنة الرابعة وقيل في الثالثة وسببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فوقع القتال فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وكان سبيهم سبعمائة فلما أخذ النبي جويرية من السبي لنفسه أعتقها وتزوجها فقال المسلمون صار بنو المصطلق اصهار رسول الله فأطلقوا ما بايديهم من السبي اكراما لرسول الله ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بني المصطلق (قوله ولله العزة) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال ان العزة لله الخ وعزة الله قهره وغلبته لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (قوله ولكن المنافقين لا يعلمون) ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لان الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفي معرفتها غموض يحتاج الى فقه فناسب نفي الفقه وهذا متصل بقوله ولله العزة الخ وفي معرفته غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) نهي للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين في الاغترار بالاموال والاولاد (قوله الصلوات الخمس) هذا قول الضحاك وقال الحسن عن جميع الفرائض وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن سائر الاذكار وهو الاتم (قوله فأولئك هم الخاسرون) أي لايثارهم الفاني على الباقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم (قوله مما رزقناكم) من تبعيضية وفي التبعيض باسناد الرزق منه تعالى الى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه (قوله من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي اماراته ومقدماته (قوله فيقول رب) معطوف على أن يأتي مسبب عنه (قوله بمعنى هلا) أي التي معناها التحضيض وتختص بما لفظه ماض وهو في تأويل المضارع كما

أهلكهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الايمان بعد قيام البرهان (واذا قيل لهم تعالوا) معتذرين (يستغفر لكم رسول الله لووا) بالتشديد والتخفيف عطفوا (رؤسهم ورأيتهم يصدون) يعرضون عن ذلك (وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم) استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون) لاصحابهم من الانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المهاجرين (حتى ينفضوا) يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والارض) بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم (ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا) أي من غزوة بني المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز) عنوا به أنفسهم (منها الاذل) عنوا به المؤمنين (ولله العزة) الغلبة (ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) الصلوات الخمس (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا) في الزكاة (مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا) بمعنى هلا أو لا زائدة

هنا واللائق هنا أن تكون بمعنى العرض الذى هو الطلب بلين ورفق لاستحالة معنى التحضيض هنا الذى هو الطلب بحث وازعاج (قوله ولو للتمنى) أى والتقدير على هذا ليتك أخرتنى الى أجل قريب (قوله الى أجل قريب) أى زمن قليل فأستدرك فيه مافاتنى (قوله بالزكاة) أى وبكل حق واجب كالديون وحقوق العباد (قوله وأكن من الصالحين) يرسم بدون واو كما فى خط المصحف وأما فى اللفظ ففيه قراءتان سبعيتان اثبات الواو والنصب بالعطف على فاصدق المنصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب العرض أو التمنى وحذف الواو والجزم بالعطف على محل فاصدق ملاحظة جزمها فى جواب الطلب أى ان أخرتنى اصدق وأكن (قوله عند الموت) أى رؤية اماراته كما تقدم (قوله ولن يؤخر الله نفسا) جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر تقديره هل يؤخر هذا المتمنى فقال ولن يؤخر الله نفسا الخ وهو نكرة فى سياق النفى تعم (قوله بالياء والتاء) أى فالياء لمناسبة قوله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون والتاء المثناة فوق لمناسبة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ﴿تتمة﴾ استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبى صلى الله عليه وسلم لان السورة تمام ثلاث وستين وعقبت بالتغابن الذى هو ظهور الغبن بوفاته صلى الله عليه وسلم وهو من المعانى الاشارية

﴿سورة التغابن مكية﴾

أى الا قوله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر السورة لانها نزلت بالمدينة باتفاق المفسرين وهذا قول ابن عباس وغيره (قوله أو مدنية) وهو قول الاكثر (قوله فاللام زائدة) أى أو للتعليل كما تقدم (قوله له الملك وله الحمد) قدم الجار والمجرور فيهما لافادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة وأما نسبة الملك والحمد لغيره تعالى فبطريق المجاز (قوله وهو على كل شئ قدير) كالدليل لما قبله (قوله هو الذى خلقكم) أى تعلقت ارادته بخلقكم أزلا وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن أى بحسب تعلق قدرته وارادته فما قدر أزلا من كفر وايمان لابد وأن يموت الشخص عليه لما فى الحديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها واعلم ان القسمة رباعية شخص كتب سعيدا فى الازل ويظهر مؤمنا ويموت عليه وشخص كتب شقيا فى الازل فيعيش كافرا ويموت كذلك وشخص كتب سعيدا فى الازل فيعيش كافرا ويختم له بالايمان وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع وشخص يعيش مؤمنا ويختم له بالكفر وذلك أندر من الكبريت الأحمر وبالجملة فالخاتمة تظهر السابقة لان ما قدر فى الازل لا يتغير ولا يبدل (قوله ثم يميتهم ويعيدهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة والا فمقتضى الظاهر أن يقول ثم يميتكم ويعيدكم (قوله بالحق) أى الحكمة البالغة لا عبثا (قوله اذ جعل شكل الآدمى أحسن الاشكال) أى بجعل رأسه لأعلى ورجليه لأسفل وذراعيه فى جنبيه وجعله منتصب القامة ان قلت قد يوجد كثير من الناس مشوه الخلق أجيب بأن التشويه بالنسبة لابناء جنسه لا بالنسبة لصور البهائم مثلا اذ لو قابلت بين الصورة المشوهة وبين صورة الغزال لرأيت صورة البشر المشوهة أحسن (قوله يعلم ما فى السموات والارض الخ) الحكمة فى عدم تكرير الموصول هنا وقد كرره فى قوله يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وفى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون ان تسبيح ما فى السموات مغاير لتسبيح ما فى الارض وكذا ما يسرونه مغاير لما يعلنونه لان المقصود منه تخويف المكلفين لا ثبوت احاطة العلم فكرر الموصول لذلك ولما كان المقصود من قوله يعلم ما فى السموات والارض ثبوت احاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول (قوله ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (قوله فذاقوا) عطف على كفروا عطف مسبب على سبب (قوله أى عذاب الدنيا) أى والآخرة فاسم الاشارة عائد على ما ذكر (قوله فقالوا أبشر) عطف على كانت والمعنى قال كل فريق من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم أبشر يهديننا وبهذا المعنى صح الجمع فى قوله أبشر يهدوننا والا

ولو للتمنى (أخرتنى الى أجل قريب فأصدق) بادغام التاء فى الاصل فى الصاد أتصدق بالزكاة (وأكن من الصالحين) بأن أحج قال ابن عباس رضى الله عنهما ما قصر أحد فى الزكاة والحج الا سأل الرجعة عند الموت (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) بالتاء والياء

﴿سورة التغابن مكية أو مدنية ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى ينزهه فاللام زائدة وأتى بما دون من تغليبا للاكثر (له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك (والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم) اذ جعل شكل الآدمى أحسن الاشكال (واليه المصير يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) بما فيها من الاسرار والمعتقدات (ألم يأتكم) يا كفار مكة (نبأ) خبر (الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم) عقوبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم (ذلك) أى عذاب الدنيا (بأنه) ضمير الشان (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) الحجج الظاهرات على الايمان (فقالوا أبشر) أريد به الجنس (يهدوننا)

(فكفروا وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غني) عن خلقه (حميد) محمود في أفعاله (زعم الذين كفروا أن) مخففة واسمها محذوف أي أنهم (لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور) القرآن (الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير) اذكر (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يوم القيامة (ذلك يوم التغابن) يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله) وفي قراءة بالنون في الفعلين (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) القرآن (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) هي (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) بقضائه (ومن يؤمن بالله) في قوله ان المصيبة بقضائه (يهد قلبه) للصبر عليها (والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) البين (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فان سبب نزول الآية الاطاعة في ذلك (وان تعفوا) عنهم في تثبيطهم اياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم

فمقتضى الظاهر أن يقول يهدينا (قوله فكفروا) الفاء سببية والمعنى كفروا بسبب هذا القول (قوله واستغنى الله) أي ظهر غناه عن ايمانهم لانه لا ينفعه كما أن كفرهم لا يضره فكل من الكفر والايمان واقع بارادة الله تعالى وهو المستغني عن كل ما سواه فلا يسئل عما يفعل (قوله زعم الذين كفروا الخ) الزعم ادعاء العلم كذبا وهو يتعدى الى مفعولين فجملة أن لن يبعثوا سادة مسدهما والمراد بهم أهل مكة (قوله مخففة) أي لا ناصبة لئلا يتوالى ناصبان (قوله قل بلى) أي تبعثون لان بلى يجاب بها النفي فيصير اثباتا فهي متضمنة للجواب وانما أعاده توصلا لتوكيده بالقسم وعطف ما بعده عليه (قوله وذلك) أي المذكور من البعث والحساب (قوله فآمنوا بالله ورسوله) خطاب لكفار مكة والفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي اذا كان الامر كذلك فآمنوا الخ (قوله القرآن) أي لانه ظاهر في نفسه مظهر لغيره (قوله ليوم الجمع) سمي بذلك لان الله يجمع فيه بين الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والارض (قوله يغبن المؤمنون الخ) أشار بذلك الى أن التفاعل ليس على بابه فان الكفار اذا أخذوا منازل المؤمنين في النار لو ماتوا كفارا ليس بغبن للمؤمنين بل هو سرور لهم وما قاله المفسر مأخوذ من حديث ما من عبد يدخل الجنة الا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة (قوله لو آمنوا) بيان للاضافة في قوله منازلهم وأهلهم (قوله ومن يؤمن بالله الخ) كالبيان لوجه التغابن وتفصيل له لان في ذلك ذكر منازل السعداء والاشقياء (قوله بالنون في الفعلين) أي نكفر وندخل وعلى هذه القراءة ففيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله ذلك) أي المذكور من تكفير السيئات وادخال الجنات (قوله ما أصاب) مفعوله محذوف أي أحدا ومن مصيبة فاعل بزيادة من (قوله ومن يؤمن بالله) أي ايمانا خاصا وهو التصديق بأن كل شيء بقضاء وقدر (قوله في قوله) أي في قول القائل ان المصيبة بقضاء الله والمعنى يكن قلبه مطمئنا معتقدا لهذا القول لا مجرد قوله انا لله وانا اليه راجعون باللسان فلا يعطي به فضيلة الصبر على المصيبة (قوله يهد قلبه) أي للثبات والاسترجاع عند نزولها (قوله وأطيعوا الله) أي في جميع الاوقات ولا تشغلكم المصائب عن الطاعة (قوله فان توليتم) شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا وقوله فانما على رسولنا الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تحريض وحث للنبي على التوكل على الله والالتجاء اليه وفيه تعليم للامة ذلك (قوله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم الخ) أي بعضهم والمراد بالازواج ما يشمل الذكور فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها (قوله عدوا لكم) أي يشغلكم عن طاعة الله (قوله أن تطيعوهم) أشار بذلك الى تقدير مضاف أي فاحذروا اطاعتهم (قوله فان سبب نزول الآية الخ) علة لقوله كالجهاد والهجرة أي فسبب نزول الآية أن رجالا أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا الى النبي فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة وقيل نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فرق عليهم وأقام عن الغزو وهذا معنى قول المفسر كالجهاد والهجرة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات فلا يطيع الازواج ولا الاولاد في التكاسل عن أي طاعة كانت بل حقوق الله مقدمة على كل حق (قوله وان تعفوا الخ) أي تتركوا عقابهم بترك الانفاق عليهم وذلك انه من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك ورأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الانفاق عليهم فانزل وان تعفوا الخ (قوله في تثبيطهم) أي شغلهم اياكم وتكسيلهم لكم (قوله انما

أموالكم

أموالكم وأولادكم فتنة) أى ابتلاء واختبار من الله لكم وهو أعلم بما فى نفوسكم منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله فيكون عليه نعمة وقدم المال لان فتنته أشد ويكفى فى فتنته قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الآية قال الحسن أدخل من التى للتبعيض فى قوله ان من أزواجكم الخ لانهم كلهم ليسوا باعداء بل البعض منهم ولم يدخلها فى قوله انما أموالكم الخ لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما فمن رجع الى الله تعالى ولم يلتفت الى ماله وولده وجاهد نفسه فقد فاز ومن تتبع الشغل بالمال والولد وافتتن بهما فقد هلك (قوله أجر عظيم) وهو الجنة (قوله ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته) أى ومعناها أن يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر ولذلك لما نزلت الآية قالت الصحابة ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقواه وضايق بعضهم نفسه فى العبادة حتى تورمت قدماه من طول القيام فخفف الله عنهم فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم وما قاله المفسر أحد قولين وقيل انها ليست ناسخة بل مبينة لها فآية اتقوا الله حق تقاته مجملة وآية فاتقوا الله ما استطعتم مفصلة لها غير ان الاستطاعة مختلفة باختلاف الاشخاص فكل يبذل وسعه وطاقته فى طاعة ربه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فليست الاستطاعة فى الناس سواء وبالجملة فالتكليف بهذه الآية لا بآية اتقوا الله حق تقاته سواء قلنا انها منسوخة أو محكمة (قوله خبر يكن) أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤتكم خيرا وهو الاولى لان حذف كان واسمها مع بقاء الخبر انما يكثر بعد أن ولو (قوله جواب الامر) أى وهو قوله وأنفقوا (قوله ومن يوق شح نفسه) الشح كراهة فعل الخير والمعروف وتنشأ عنه البخل وهو الامساك (قوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا) سماه قرضا ترغيبا فى الصدقة حيث جعلها قرضا لله مع أن العبد انما يقرض نفسه لان النفع عائد عليه وفيه تنزل من الله تعالى لعباده حيث أعطاهم المال وأمرهم بالانفاق منه وسمى انفاقهم قرضا له فمن احسانه عليك خلق ونسب اليك وهذا الخطاب يعم الاغنياء والفقراء فالاغنياء مخاطبون بالاقراض فى بذل أموالهم وأنفسهم والفقراء مخاطبون بالاقراض فى بذل أنفسهم فهو تعليم لهم الاخلاص فى أعمالهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مجازى على الطاعة) أى بالكثير على القليل (قوله حليم فى العقاب على المعصية) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله السر) أى ما فى القلوب وقوله والعلانية أى ما أظهره الانسان (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشئ فى محله

﴿ سورة الطلاق مدنية ﴾

(قوله ثلاث عشرة آية) هذا أحد أقوال فى عدد آياتها وقيل ثنتا عشرة وقيل احدى عشرة (قوله المراد وأمته) اشار بذلك الى أن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت على حد سرابيل تقيكم الحر وانما اقتصر على خطاب النبى لانه الرئيس الكامل وفى بعض النسخ المراد أمته أى ان لفظ النبى أطلق واريد به أمته مجازا (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو الجمع فى قوله طلقتم وفى قوله فطلقوهن (قوله أو قل لهم) هذا احتمال ثان فى توجه الخطاب ومحصله ان المخاطب حقيقة هو النبى وحده ولكن حذف منه الامر كأنه قال يا أيها النبى قل لامتك الخ وفى الحقيقة يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ وبقى احتمال رابع وهو أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أولا وآخرا بلفظ الجمع تعظيما وتفخيما وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضى الله عنها فأتت أهلها فانزل الله تعالى عليه يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من أزواجك فى الجنة وورد تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وورد لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وورد ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق (قوله أردتم الطلاق) دفع بذلك ما يقال ان قوله فطلقوهن تحصيل للحاصل

انما أموالكم وأولادكم فتنة) لكم شاغلة عن أمور الآخرة (والله عنده أجر عظيم) فلا تفوتوه باشتغالكم بالاموال والاولاد (فاتقوا الله ما استطعتم) ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا) ما أمرتم به سماع قبول (وأطيعوا وأنفقوا) فى الطاعة (خيرا لانفسكم) خبر يكن مقدرة جواب الامر (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بأن تتصدقوا عن طيب قلب (يضاعفه لكم) وفى قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرا الى سبعمائة وأكثر (ويغفر لكم) ما يشاء (والله شكور) مجاز على الطاعة (حليم) فى العقاب على المعصية (عالم الغيب) السر (والشهادة) العلانية (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه

﴿ سورة الطلاق مدنية ثلاث عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها النبى) المراد وأمته بقرينة ما بعده أو قل لهم (اذا طلقتم النساء) أى أردتم الطلاق (فطلقوهن

والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الاقراء اما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن بالكلية وأما ذوات الاشهر والحوامل فسيأتين (قوله لعدتهن) اللام للتوقيت كهي في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس والمعنى طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله في طهر) أي وأما في الحيض فهو حرام بدليل ان الامر بالشئ يستلزم النهي عن ضده وهو واقع لان النهي اذا كان لامر خارج لا يستلزم الفساد وهنا كذلك لان علة النهي تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه) اي لم توطأ وهذا القيد لمنع الريبة فانه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل من الحيض لوضع الحمل وربما حاضت الحامل فحصل اللبس وحكم الطلاق في الطهر الذي مس فيه الكراهة عند مالك والحرمة عند الشافعي ولكن تحتسب به من العدة ولا يجبر على الرجعة فيه (قوله رواه الشيخان) فقد روياه عن ابن عمر انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قوله احفظوها) أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق والخطاب للازواج وتدخل الزوجات فيه أيضا لان الزوج يحصي العدة ليراجع وينفق ويتزوج باخت المطلقة ونحو ذلك وهي لتحل للازواج ونحو ذلك (قوله لتراجعوا) أي وتنفقوا وتسكنوا (قوله لا تخرجوهن من بيوتهن الخ) المراد المساكن التي وقع الفراق فيها وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وجمع بين النهيين اشارة الى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لا يجوز لها الخروج لان العدة حق لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (قوله الا أن يأتين الخ) الجملة حالية من فاعل لا يخرجن ومفعول لا تخرجوهن والمعنى لا يخرجن ولا تخرجوهن في حال من الحالات الا في حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة (قوله زنا) وقيل الفاحشة أن تبذو على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي بينت أو هي بينة) لف ونشر مرتب (قوله وتلك المذكورات) اي من قوله فطلقوهن لعدتهن الخ (قوله فقد ظلم نفسه) أي عرضها للعقاب وقيل المراد ظلم نفسه الضرر الدنيوي الذي لحقه بسبب تعديه ولا يمكنه تداركه بدليل قوله لا تدري لعل الله الخ وارادة العموم أولى (قوله لا تدري لعل الله الخ) استئناف مسوق لتعليل ما تضمنته الجملة الشرطية والمراد بالامر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه عما فعله بأن يرغب في الرجعة ويندم على الطلاق والمقصود منه التحريض على طلاق الواحدة أو الاثنتين وعدم ضرر الزوجة بالفراق ليكون في فسحة اذا غير الله الاحوال (قوله مراجعة) أي بأن يقلب قلبه من بغضها الى حبها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن محبة الطلاق الى الندم عليه وبالجملة فالذي ينبغي للعاقل اذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف لانه لا يدري ما يخلقه الله في قلبه بعد ذلك فاذا كان فراقه بالمعروف وحول الله الحال سهل له بعد ذلك الرجوع (قوله فاذا بلغن أجلهن) أي المطلقات طلاقا رجعيا المدخول بهن (قوله قاربن انقضاء عدتهن) أي فالكلام على سبيل المجاز (قوله فأمسكوهن بمعروف) أي بحسن عشرة وانفاق وتحمل أذى وغير ذلك (قوله بأن تراجعوهن) تصوير للامساك (قوله ولا تضاروهن بالمراجعة) بيان للمعروف في الامساك والمعنى انه اذا أراد امساكها راجعها لقصد بقاء الزوجية لا لقصد ضررها والاوضح أن يقول فلا تضاروهن عند الفراق بأن تتكلموا في حقهن ونحو ذلك وأما مضارتهن بالامساك فقد علم نفيها من قوله تعالى فأمسكوهن بمعروف (قوله وأشهدوا ذوي عدل) أي صاحبي عدالة (قوله على الرجعة) أي لتظهر ثمرتها بعد ذلك في الارث اذا مات أو ماتت وفيما اذا ادعى الرجعة بعد انقضاء العدة وأنكرت (قوله أو الفراق) أي الطلاق لتظهر ثمرة الاشهاد بعد ذلك اذا ادعت عليه الطلاق وأنكر وهذا الاشهاد مندوب عند مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه والآخر انه واجب عند الرجعة مندوب عند الفراق

(قوله

لعدتهن) لاولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره صلى الله عليه وسلم بذلك رواه الشيخان (وأحصوا العدة) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (واتقوا الله ربكم) أطيعوه في أمره ونهيه (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) منها حتى تنقضي عدتهن (الا أن يأتين بفاحشة) زنا (مبينة) بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة فيخرجن لاقامة الحد عليهن (وتلك) المذكورات (حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك) الطلاق (أمرا) مراجعة فيما اذا كان واحدة أو ثنتين (فاذا بلغن أجلهن) قاربن انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (أو فارقوهن بمعروف) اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وأشهدوا ذوي عدل منكم) على الرجعة أو الفراق

(قوله وأقيموا الشهادة لله) أي لوجهه ولا تراعوا المشهود له ولا المشهود عليه وإنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لأنه ربما تؤدي الى أن يترك الشاهد مهماته ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق (قوله ذلكم) أي المذكور من أول السورة الى هنا (قوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي وأما من لم يكن متصفا بذلك فهو لقساوة قلبه لا يوعظ لأنه لا ينتفع به (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الخ) هذه الجملة اعتراضية في أثناء الاحكام المتعلقة بالنساء اشارة الى أنه لا يصبر على تلك الاحكام ولا يعمل بها الا أهل التقوى والاحسن أن يراد من هذه العموم لا خصوص التقوى في أمر النساء قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناله يسمى سالما فأتى عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة وقال ان العدو أسر ابني وجزعت الام فما تأمرني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وآمرك واياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وهي أربعة آلاف شاة واستاق من ابلهم خمسين بعيرا كما في رواية وجاءبها الى المدينة فقال أبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني فقال نعم ونزلت الآية (قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي من فوض أمره اليه كفاه ما أهمه والأخذ في الاسباب لا ينافي التوكل لأنه مأمور به لكن لا يعتمد على تلك الاسباب (قوله ان الله بالغ أمره) أي فلا بد من انفاذ مراده حصل من الشخص توكل أم لا لكن من توكل تكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي تقديرا لا يتعداه ولو اجتمعت جميع الخلائق على أن يتعدوه لا يقدرون وهذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة لما ورد في الحديث اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا فما زال يقرؤها ويعيدها وورد أيضا من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ومعنى انقطع الى الله انه اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فانه يفتح الله عليه ان كان ذا ضيق ويرزقه من حيث لا يحتسب وورد أيضا من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ﴿لطيفة﴾ ذكر الاجهوري في فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام وهي ان قوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يقول من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة اذا أصابه غم أو أشرف على هلاك فقالها انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمني فقال ارم بالمال في البحر فرمى به فسمع الهاتف يقول اذا أصابك هم أو أشرفت على هلاك فاقرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الى آخر الآية فقال جميع من في المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا ان هذه لعظة ما أشك في نفعها قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم غير ذلك الرجل فانه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة قال فصعدت أمشي فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه كل ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها واذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من أنت وأي شيء تعملين ههنا قالت أنا بنت فلان التاجر بالبصرة وكان أبي عظيم التجارة وكان لا يصبر عني ساعة فسافر بي معه في البحر فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة فخرج الي شيطان من البحر فتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني الا أنه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي ثم ينظر الي ثم ينزل في البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك واخرج قبل موافاته والا أتى عليك فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة فقالت قد والله جاء وسيهلكك فلما قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية فاذا هو خر كقطعة جبل الا أنه رماد محترق فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الذي من الله علي بك فقمت أنا وهي فانتخبنا

(وأقيموا الشهادة لله) لا للمشهود عليه أوله (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) من كرب الدنيا والآخرة (ويرزقه من من حيث لا يحتسب) يخطر بباله (ومن يتوكل على الله) في أموره (فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) مراده وفي قراءة بالاضافة (قد جعل الله لكل شيء) كرخاء وشدة (قدرا) ميقاتا

لطيفة

ذلك الجوهر حتى جاءنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا الساحل نهارنا فاذا كان الليل رجعنا الى القصر
قال وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا بعيدا
فلوحنا اليه فدخل فحملنا فسرنا بسير الى البصرة فوصفت لى منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من هذا
فقلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الناعية وقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصابنا فقلت اخرجوا
فخرجوا فأخذتهم حتى أتيت بهم الى ابنتهم فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصته عليهم
وسألتهم أن يزوجونى بها ففعلوا وجعلنا ذلك الجوهر رأس مال بينى وبينها وأنا اليوم أيسر أهل
البصرة وهؤلاء أولادى منها انتهى (قوله واللائى يئسن الخ) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التى لم تحض
وعدة التى انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاء اسم موصول مبتدأ ويئسن صلته وقوله
من نسائكم حال من الضمير فى يئسن والشرط وجوابه خبره أو قوله فعدتهن خبره وجواب الشرط
محذوف تقديره فاعلموا انها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه المقدر معترض بين المبتدأ وخبره والأول أحسن
(قوله يئسن) أى وأول سن اليأس ستون سنة وما بين الخمسين والستين يسئل النساء فان جزمن بانه
حيض أو شككن فحيض والافليس بحيض وما قبل الخمسين حيض قطعا (قوله شككتم فى عدتهن)
أى جهلتم قدرها والقيد لبيان الواقع فلا مفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء علموا أو جهلوا لكن الواقع
فى نفس الامر ان السائلين كانوا جاهلين بقدرها (قوله واللاء لم يحضن لصغرهن) أى عدم بلوغهن
أوان الحيض كبنت تسع ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلا وتسمى النساء البغلة وأما معتادة الحيض
وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض أو استحيضت ولم تميز فانها تمكث عند مالك سنة بيضاء وتحل
للازواج ثم ان احتاجت لعدة بعد ذلك كانت كالآيسة والصغيرة وأما من تأخر حيضها لرضاع أو
استحيضت وميزت أو كان حيضها يأتى بعد سنة أو سنتين الى خمس فلا تعتد الا بالحيض فان زادت عادتها
عن خمس فالذى لابى الحسن على المدونة انها تعتد سنة بيضاء من أول الامر وقيل بثلاثة أشهر كالآيسة
والصغيرة فليحفظ هذا المقام (قوله فعدتهن ثلاثة أشهر) أشار بذلك الى أن قوله واللاء مبتدأ وجملة
لم يحضن صلته والخبر محذوف قدره المفسر جملة والاولى تقديره مفردا بان يقول مثلهن أو كذلك (قوله
والمسئلتان) أى مسئلة الآيسة ومسئلة الصغيرة (قوله فى غير المتوفى عنهن) أى فاهنا مخصوص بآية
البقرة (قوله وأولات الاحمال) مبتدأ وأجلهن مبتدأ ثان وأن يضعن خبر الثانى والثانى وخبره خبر
الأول والاحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب اسم لما كان فى البطن أو على رأس الشجر
وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس (قوله أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك الى بقاء عموم
وأولات الاحمال فهو مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أى ما لم يكن حوامل *وحاصل الفقه فى هذا
المقام ان النساء قسمان مطلقات ومتوفى عنهن وفى كل اما حرائر أو اماء فعدة الحرة المدخول بها المطلقة
ذات الحيض ثلاثة قروء والمائسة والصغيرة ثلاثة أشهر والامة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرآن
فان كن حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة وعدة المتوفى عنها ان كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقا
مدخولا بها أولا والامة شهران وخمس ليال والحوامل وضع الحمل وانظر تفاصيل ذلك فى الفروع
(قوله المذكور فى العدة) أى فى تفاصيلها (قوله أنزله) أى بينه ووضحه (قوله ومن يتق الله
يكفر عنه سيآته الخ) كرر التقوى لعلمه سبحانه وتعالى بان النساء ناقصات عقل ودين فلا يصبر
على أمورهن الا أهل التقوى (قوله أسكنوهن الخ) هذا وما بعده بيان لما تتوقف عليه التقوى (قوله
أى المطلقات) أخذ هذا التقييد من السياق والا فكل مفارقة يجب لها السكنى سواء كان فراقها
بطلاق أو موت وانما التفصيل فى النفقة (قوله أى بعض مساكنكم) أشار بذلك الى أن من
للتبعيض وهو أحد وجهين والثانى انها لابتداء الغاية والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذى
تسكنون أنفسكم فيه (قوله من وجدكم) بضم الواو باتفاق القراء وان كان يجوز فيه

(واللائى) بهمزة وياء وبلا ياء فى الموضعين (يئسن من المحيض) بمعنى الحيض (من نسائكم ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر والمسئلتان فى غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن فعدتهن ما فى آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وأولات الاحمال أجلهن) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) فى الدنيا والآخرة (ذلك) المذكور فى العدة (أمر الله) حكمه (أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا أسكنوهن) أى المطلقات (من حيث سكنتم) أى بعض مساكنكم (من وجدكم) أى سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله

باعادة الجار وتقدير مضاف أي أمكنة سعتكم لا ما دونها (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) المساكن فيحتجن الى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)

(فان أرضعن لكم) أولادكم منهن (فآتوهن أجورهن) على الارضاع (وائتمروا بينكم) وبينهن (بمعروف) بجميل في حق الاولاد بالتوافق على أجر معلوم على الارضاع (وان تعاسرتم) تضايقتم في الارضاع فامتنع الاب من الاجرة والام من فعله (فسترضع له) للاب (أخرى) ولا تكره الام على ارضاعه (لينفق) على المطلقات والمرضعات (ذو سعة من سعته ومن قدر) ضيق (عليه رزقه فلينفق مما آتاه) أعطاه (الله) على قدره (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) وقد جعله بالفتوح (وكأين) هي كاف الجر دخلت على أي بمعنى كم (من قرية) أي وكثير من القرى (عتت) عصت يعني أهلها (عن أمر ربها ورسله فحاسبناها) في الآخرة وان لم تجئ لتحقق وقوعها (حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) بسكون الكاف وضمها فظيعا وهو عذاب النار (فذاقت وبال أمرها) عقوبته (وكان عاقبة أمرها خسرا) خسارا وهلاكا (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير الوعيد توكيد (فاتقوا الله يا أولي الالباب) أصحاب العقول (الذين آمنوا) نعت للمنادى أو بيان له (قد أنزل الله اليكم ذكرا) هو القرآن (رسولا) أي محمدا صلى الله عليه وسلم منصوب بفعل مقدر أي وأرسل (يتلو عليكم آيات الله مبينات) بفتح الياء وكسرها كما تقدم

التثليث لغة يقال وجد في المال وجدا بضم الواو وفتحها وكسرها وجدة أيضا بالكسر أي استغنى (قوله باعادة الجار) ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسبا لان عطف البيان لم يعهد فيه تكرار العامل فالاولى رجوعه للبدلية (قوله لا ما دونها) أي لا المساكن التي دون أمكنة سعتكم لنفاستها وارتفاع سعرها وانما تكليفه باللائق بها على قدر سعته (قوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أي بان تفعلوا معهن فعلا يوجب خروجهن من المساكن (قوله فيفتدين) أي المطلقات حيث كن رجعيات فيلجئهن الامر الى كونها تفتدي منه لبينها أو تخلص منه (قوله وان كن أولات حمل) وان كن المطلقات الرجعيات أو البائنات وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث (قوله فان أرضعن لكم) هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاه وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الارضاع بنفسها ان كان بها لبان وكان شأنها ذلك وأما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الارضاع وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الارضاع مطلقا (قوله وائتمروا) أي ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف (قوله على أجر معلوم) أي أجرة معلومة على قدر وسعه وحالها (قوله فسترضع له أخرى) فيه معاتبة الام على ترك الارضاع والمعنى فان امتنع الأب من دفع الاجرة للام وتركت الام الولد من غير ارضاع بنفسها فليطلب له الاب مرضعة أخرى ويجبر على ذلك لئلا يضيع الولد فقوله فسترضع الخ خبر بمعنى الامر والضمير في له للاب بدليل فان أرضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به أي فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى (قوله لينفق على المطلقات) أي اللاتي لم يرضعن وقوله والمرضعات أي المطلقات وهذا التقييد أخذه من السياق والالفاظ وجه كذلك * واعلم أن المطلقة طلاقا رجعيا لها النفقة باجماع المذاهب واما بائنا فلا نفقة لها عند مالك والشافعي وعند أبي حنيفة لها النفقة وكل هذا ما لم تكن حاملا والا فلها النفقة باجماع وللمرضع أجرة الرضاع باجماع أيضا كما يقضى بالسكنى للجميع باجماع (قوله من سعته) الكلام على حذف مضاف ومن بمعنى على أي على قدر سعته والمعنى انه يجب على الازواج النفقة على المطلقات والمرضعات والازواج بقدر طاقته فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد هذا مذهب الشافعي ومذهب مالك يفرض لها قوت وادام وكسوة ومسكن بقدر وسعه وحالها (قوله على قدره) أي فلا يكلف فوق طاقته (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) في هذا بشارة للفقراء أي فلا تقنطوا بل عن قريب يحول الله حالكم الى الغنى وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين (قوله وقد جعله بالفتوح) أي فقد صدق الله وعده حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم حتى صاروا أغنى الناس ولا خصوصية للصحابة بذلك بل العبرة بالعموم (قوله وكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله عتت خبر (قوله بمعنى كم) أي فصار المجموع بمعنى كم (قوله عتت) ضمنه معنى اعرضت أو خرجت فعداه بعن (قوله يعني أهلها) أي فاطلق لفظ القرية وأريد أهلها مجازا من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله لتحقق وقوعها) جواب عما يقال ان الحساب وما بعده انما يحصل في الآخرة فما وجه التعبير بالماضي فاجاب بانه عبر بالماضي لتحقق وقوعه (قوله حسابا شديدا) أي بالمناقشة والاستقصاء (قوله فظيعا) أي شنيعا قبيحا (قوله تكرير الوعيد) أي المذكور في الجمل الاربع وهي قوله فحاسبناها وعذبناها فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (قوله أو بيان له) أي عطف بيان (قوله منصوب بفعل مقدر) هذا أحسن احتمالات تسع ذكرها المفسرون وقوله أي محمدا هو أحد أقوال ثلاثة في تفسير الرسول وهو أحسنها وقيل هو جبريل وقيل هو القرآن نفسه (قوله يتلو عليكم) نعت لرسولا (قوله مبينات) حال من آيات (قوله كما تقدم) أي في قوله بفاحشة مبينة من ان المفتوح من المتعدي والمكسور من اللازم أي بينها الله أو هي بينة في نفسها (قوله

(يخرج) متعلق بتتلو فالضمير راجع لمحمد صلى الله عليه وسلم أو متعلق بانزل فالضمير عائد على الله تعالى وكل صحيح (قوله وفي قراءة بالنون) أي وهي سبعية أيضا (قوله خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرين الخلود (قوله قد أحسن الله له رزقا) أي عظيما عجيبا والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في خالدين فتكون متداخلة (قوله ومن الارض مثلهن) عامة القراء على نصب مثلهن ووجهه أنه معطوف على سبع سموات أو معمول لمحذوف تقديره وخلق مثلهن من الارض وقرئ شذوذا بالرفع على الابتداء والجار والمجرور خبره مقدم عليه (قوله يعني سبع أرضين) اعلم ان العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباق بعضها فوق بعض وأما الارضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض وفي كل أرض سكان من خلق الله وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الارض العليا الا انه الثابت والمنقول ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ولا أحد من بعده نزل الى الارض الثانية ولا غيرها من باقي الارضين وبلغهم الدعوة وهل جعل الله لما تحت الارض العليا ضوأ آخر غير الشمس والقمر أو يستمدون الضوء منهما قولان للعلماء وقيل انها طباق ملزوقة بعضها ببعض وقيل ليست طباقا بل منبسطة تفرق بينها البحار وتظل الجميع السماء والاول هو الاصح (قوله ينزل به جبريل) أي بالوحي بمعنى التصريف والمعنى ان أمر الله وقضاءه يجري وينزل من السماء السابعة الى الارض السابعة فهو سبحانه وتعالى متصرف في كل ذرة منها وأما ان أريد بالوحي وحي التكاليف بالاحكام فالمراد بقوله بينهن أي بين السموات السبع والاراضي السبع فيكون فوق الارض وتحت السموات (قوله متعلق بمحذوف) أي على أنه علة له والمعنى حكمة اعلامه لكم بهذا الخلق صبر ورتكم علماء بأن الله على كل شئ قدير الخ (قوله على كل شئ) أي من غير هذا العالم بحيث يمكن أن يخلق خلقا آخر أبدع من هذا العالم وهذا كله بالنظر للامكان العقلي فلا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله ليس في الامكان أبدع مما كان لان معناه تعلق علم الله في الازل بأنه لا يخلق عالما غير هذا العالم فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لانه لو وقع لانقلب العلم جهلا فهي استحالة عرضية وهناك أجوبة أخر ذكرناها في كتابة الجوهرة

﴿سورة التحريم﴾

وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله مدنية) أي كما هو قول الجميع (قوله يا أيها النبي لم تحرم الخ) هذا الخطاب مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم على غاية من التفخيم والتعظيم حيث عاتبه على اتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضات أزواجه كأن الله تعالى يقول له لا تتعب نفسك في مرضات أزواجك بل أرح نفسك ولا تتعبها وأزواجك يسعون في مرضاتك فان سعين في مرضاتك سعدن والا فلا (قوله من أمتك مارية القبطية) هذا قول أكثر المفسرين ومحصله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله في زيارة أبويها فاذن لها فلما خرجت أرسل الى جاريته مارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك مصر فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج النبي ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال لها ما يبكيك فقالت انما أذنت لي من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا فقال أليست هي جاريتي قد أحلها الله لي وهي حرام علي ألتمس بذلك رضاك ولا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وأن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الذي حرمه على نفسه هو شرب العسل وهو ما في الصحيحين لما روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو من كل واحدة منهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول

(ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بعد مجيء الذكر والرسول (من الظلمات) الكفر الذي كانوا عليه (الى النور) الايمان الذي قام بهم بعد الكفر (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله) وفي قراءة بالنون (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) هو رزق الجنة التي لا تنقطع نعمها (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) يعني سبع أرضين (يتنزل الامر) الوحي (بينهن) بين السموات والارض ينزل به جبريل من السماء السابعة الى الارض السابعة (لتعلموا) متعلق بمحذوف أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل (أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما)

﴿سورة التحريم مدنية ثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) من أمتك مارية القبطية لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها

حيث قلت هي حرام علي (تبتغي) بتحريمها (مرضات أزواجك) أي رضاهن (والله غفور رحيم) غفر لك هذا التحريم (قد فرض الله) شرع (لكم تحلة أيمانكم) تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر صلى الله عليه وسلم قال مقاتل أعتق رقبة في تحريم مارية وقال الحسن لم يكفر لأنه صلى الله عليه وسلم مغفور له (والله مولاكم) ناصركم (وهو العليم الحكيم و) اذكر (إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) هي حفصة (حديثا) هو تحريم مارية وقال لها لا تفشيه (فلما نبأت به) عائشة ظنا منها أن لا حرج في ذلك (وأظهره الله) أطلعه (عليه) على المنبأ به (عرف بعضه) لحفصة (وأعرض عن بعض) تكرما منه (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) أي الله (إن تتوبا) أي حفصة وعائشة (إلى الله فقد صغت قلوبكما) مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك مع كراهة النبي صلى الله عليه وسلم له وذلك ذنب وجواب الشرط محذوف أي تقبلا وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وإن تظاهرا) بادغام التاء الثانية في الأصل في الظاء وفي قراءة بدونها تتعاونا (عليه) أي النبي فيما يكرهه (فإن الله هو) فصل (مولاه) ناصره (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه

الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت لها اذا دخل عليك
ودنا منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم
كعصفور رأى صمغا حلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون
في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر فإنه سيقول لك لا فقولي له وما هذه الريح وكان صلى الله عليه وسلم يكره ان
يوجد منه الريح الكريه فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له أكلت نحله العرفط حتى
صار فيه أي في العسل ذلك الريح الكريه واذا دخل علي فسأقول له ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما
دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة وأجابها بما تقدم فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك
فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له يا رسول الله الا
اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت ان سودة تقول سبحان الله لقد حرمناه منه فقال لها اسكتي اهـ (قوله
حيث قلت) ظرف لقوله لم تحرم أو تعليل له (قوله تبتغي مرضات أزواجك) حال من فاعل تحرم والمعنى
لا ينبغي لك ان تشتغل بما يرضي الخلق بل الأليق ان أزواجك وسائر الخلق تسعى في مرضاتك (قوله أي
رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله (قوله شرع) أي فالمراد بالفرض الشرع والمعنى بين وأظهر
وجعل لكم تحلة أيمانكم والضمير عائد عليه وعلى أمته (قوله تحلة أيمانكم) مصدر دال ككرم تكرمة
فأصله تحللة فادغم (قوله تحليلها بالكفارة الخ) أشار الى ان التحلة تحليل اليمين فكأنه عقد وتحلته
بالكفارة (قوله ومن الأيمان تحريم الأمة) أي بقوله أنت علي حرام فتجب به كفارة يمين عند الشافعي
وعند مالك التحريم في غير الزوجة لغو لا يلزم به شيء ما لم يقصد به في الأمة عتقها والا فيلزمه عتقها وأما
التحريم في الزوجة فعند الشافعي ان نوى به الطلاق وقع والا فيلزمه كفارة يمين وعند مالك يلزمه به
الطلاق الثلاث ان كان مدخولا بها وواحدة في غير المدخول بها وان لم ينو به حل العصمة (قوله قال
مقاتل الخ) أي وبه أخذ الشافعي (قوله وقال الحسن لم يكفر الخ) أي وبه أخذ مالك والأصل عدم
الخصوصية الا الدليل (قوله والله مولاكم) أي متولي أموركم (قوله حديثا) أي ليس من الأحكام
البلاغية (قوله هو تحريم مارية) أي وأسر اليها أيضا ان أباها عمر وأبا عائشة أبا بكر يكونان خليفتين على
الأمة بعده (قوله فلما نبأت به عائشة) قدره اشارة الى انه يتعدى الى مفعولين الأول بنفسه والثاني
بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف المفعول الأول للدلالة عليه (قوله ظنا منها) أي فهو
باجتهاد منها فهي مأجورة فيه (قوله أطلعه عليه) أي على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أفشي (قوله
على المنبأ به) أي وهو تحريم مارية والمناسب ان يقول على انها قد أنبأت به (قوله عرف بعضه) أي وهو
تحريم مارية أو العسل (قوله وأعرض عن بعض) أي وهو أن أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده
وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفا من أن ينتشر في الناس فربما أثاره بعض المنافقين حسدا (قوله
تكرما منه) أي وحياء وحسن عشرة (قوله قالت من أنبأك هذا) أي وقد ظنت أن عائشة هي التي
أخبرته (قوله أي سركما ذلك مع كراهة النبي له) أي ومحبة الأمر الذي يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم
زيغ وميل عن الحق (قوله وجواب الشرط محذوف) أي فقوله فقد صغت قلوبكما تعليل للشرط
والمعنى ان تتوبا الى الله من أجل ميل قلوبكما تقبلا (قوله ولم يعبر به) أي فيقول قلباكما (قوله فيما هو
كالكلمة الواحدة) أي لأن بين المضاف والمضاف اليه علقة وارتباطا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية
أيضا (قوله فإن الله هو مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا فإن الله الخ (قوله
فصل) أي ضمير فصل لا محل له من الاعراب (قوله وصالح المؤمنين) اسم جنس لا جمع ولذلك يكتب من
غير واو بعد الحاء ويصح أن يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب بدون واو اعتبارا
بلفظه لأن الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو سندع الزبانية (قوله معطوف على محل اسم ان) أي
قبل دخول الناسخ وهذا على بعض مذاهب النحويين ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف

(والملائكة بعد ذلك) بعد نصر الله والمذكورين (ظهير) ظهراء أعوان له في نصره عليكما (عسى ربه ان طلقكن) أي طلق النبي أزواجه (أن يبدله) بالتشديد والتخفيف (ازواجا خيرا منكن) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مسلمات) مقرات بالاسلام (مؤمنات) مخلصات (قانتات) مطيعات (تائبات عابدات سائحات) صائمات أو مهاجرات (ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم

عليه وظهير خبر الجميع (قوله والملائكة بعد ذلك ظهير) أخبر بالمفرد عن الجمع لان فعيلا يستوي فيه الواحد وغيره ان قلت ان نصرة الله هي الكفاية العظمى وما الحكمة في ضم ما بعدها اليها قلت تطييبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول (قوله عسى ربه ان طلقكن الخ) سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما أشاعت حفصة ما أسرها به اغتم صلى الله عليه وسلم وحلف ان لا يدخل عليهن شهرا مؤاخذة عليهن ومكث الشهر في بيت مارية فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها فقالت له انك أقسمت على شهر وانك دخلت في تسع وعشرين ليلة فقال لها هذا الشهر تسع وعشرون ليلة ولما بلغ عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وشاع عند الناس انه طلقهن أتاه فوجده في مشربة قال عمر فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم وقال له يا رسول الله لا يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك قال عمر وقلما تكلمت بكلام الا رجوت الله يصدق قولي الذي أقوله فنزلت هذه الآية وآية وان تظاهرا عليه الخ فاستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فأذن له فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله نساءه قالت عائشة ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ بي فاخترته ثم خيرهن فاخترنه وآية التخيير هي قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله عظيما (قوله ان طلقكن) أي جميعا فلا ينافي أنه وقع منه طلاق لحفصة طلقة واحدة وأمر بمراجعتها فطلاقه لها كالعدم فالتعليق انما هو على تطليق الجميع مع عدم المراجعة والتبديل للكل لكونه مرتبا على تطليق الكل (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منكن) أي بأن يطلقكن ويأتي له بنساء أخر خيرا منكن اذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين فلا يقال كيف تكون المبدلات خيرا منهن مع انه لم يكن على وجه الارض نساء خيرا منهن لانا نقول قدرة الله صالحة لذلك ان حصل المعلق عليه وهو لم يحصل (قوله خبر عسى) أي جملة أن يبدله (قوله والجملة جواب الشرط) أي جملة عسى واسمها وخبرها ان قلت ان هذه الجملة فعلها جامد والجملة اذا كانت كذلك ووقعت جواب شرط وجب اقترانها بالفاء فالمناسب أن تجعل دليل جواب محذوف (قوله ولم يقع التبديل) جواب عما يقال ان الترجي في كلام الله للتحقيق مع انه لم يحصل هنا فأجاب بأنه معلق على شرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن وأجيب أيضا بأن عسى هنا للتخويف (قوله تائبات) أي راجعات عن الزلات والهفوات (قوله عابدات) أي خاضعات متذللات (قوله صائمات) هذا قول ابن عباس وسمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فكذلك الصائم يمسك الى أن يجيء وقت افطاره (قوله أو مهاجرات) هذا قول الحسن (قوله ثيبات وأبكارا) أي بعضهن كذا وبعضهن كذا ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات والثيب من ثاب يثوب أي رجع سميت بذلك لانها راجعة الى زوجها أن أقام معها أو الى غيره ان فارقها أو لانها رجعت الى بيت أبويها والابكار جمع بكر وهي العذراء سميت بكرا لانها على أول حالتها التي خلقت بها فمدح الثيبات من حيث انها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا والبكر من حيث انها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة (قوله قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وقوا أمر من الوقاية فوزنه عو لان فاءه حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة والامر محمول عليه وحذفت اللام حملا له على المجزوم فأصله أوقيوا حذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملا على المضارع وحذفت همزة الوصل استغناء عنها

زوال

لزوال الساكن الذى جئ به لاجله واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء وضم ماقبل الواو لتصح (قوله وأهليكم) أى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم والمراد بالأهل النساء والاولاد وما ألحق بهما (قوله وقودها) أى ماتوقد به (قوله كأصنامهم) مثال للحجارة التى توقد النار بها (قوله منها) حال من الاصناف والضمير للحجارة (قوله عليها ملائكة) أى يتولى أمرها وتعذيب أهلها (قوله من غلاظ القلب) أى قسوته فلا يرحمون أحدا الانهم خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبنى آدم الطعام والشراب وقيل غلاظ الابدان لما روى ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب (قوله شداد فى البطش) أى فقد روى أن من جملة قوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف انسان فى قعر جهنم (قوله بدل من لفظ الجلالة) أى بدل اشتمال كأنه قال لا يعصون أمره وفيه اشارة الى أن ما مصدرية (قوله ويفعلون مايؤمرون) أى به (قوله تأكيد) جواب عما يقال ان الجملة الاولى هى عين الجملة الثانية فلم كررها فاجاب بأنه كررها للتأكيد وأجيب أيضا بان مفاد الجملة الاولى أنهم لا يقع منهم عصيان لامر الله ولا مخالفة ومفاد الجملة الثانية أن قضاء الله نافذ على أيديهم لا يعوقهم عنه عائق بخلاف أهل طاعة الله فى الدنيا قد يتخلف ما أمروا به لعجز او نسيان مثلا فتغايرا بهذا الاعتبار (قوله والآية تخويف للمؤمنين) أى الخالصين وهو جواب عما يقال ان هذا خطاب للشركين فلاى شئ خوطب به المؤمنون فاجاب بانه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين وللمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهرا (قوله يقال لهم ذلك) أى ياأيها الذين كفروا الخ (قوله أى لانه لا ينفعكم) أى لانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار اذ قد فات زمنه (قوله أى جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف فى قوله ما كنتم تعملون (قوله ياأيها الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان (قوله بفتح النون) أى على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة للتوبة أى بلغت الغاية فى الخلوص وقوله وضمها أى فهو مصدر يقال نصح نصحا ونصوحا كشكر شكرا وشكورا وصفت به التوبة مبالغة على حذو زيد عدل والقراءتان سبعيتان وقوله صادقة راجع لكل من القراءتين (قوله بأن لا يعاد الى الذنب الخ) هذا احد وثلاثة وعشرين قولا فى تفسير التوبة النصوح كلها ترجع الى التى استجمعت الشروط واعلم ان التوبة مما لا يتعلق به حق لآدمى لها شروط ثلاثة ان يقلع عن المعصية فى الحال وان يندم على ما فعله وان يعزم على انه لا يعود وان كانت متعلقة بحق آدمى يزاد على هذه الثلاثة رد المظالم الى أهلها ان أمكن والا فيكفى استسماحهم وهى واجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة باجماع لما ورد ياأيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة وفى رواية انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة وورد ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى التوبة (قوله ترجية تقع) اشار بذلك الى أن هذا الترجى واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة ان كل ترج من الله فى القرآن فهو واقع لكونه بمنزلة التحقيق وترجية كتزكية (قوله يوم لا يخزى الله النبى) اما منصوب بيدخلكم أو باذكر مقدرا (قوله والذين آمنوا) اما معطوف على النبى فالوقف على قوله معه ويكون قوله نورهم يسعى مستأنفا أو حالا أو مبتدأ خبره جملة نورهم يسعى (قوله ويكون بأيمانهم) قدره دفعا لما يتوهم من تسليط يسعى على الايمان انه وان كان فى جهتها الا أنه بعيد عنها فافاد أنه كما يكون فى جهة الايمان يكون قريبا منها وتقدم ذلك فى سورة الحديد (قوله والمنافقون يطفأ نورهم) عطف سبب أى ان سبب قول المؤمنين ماذكر أنهم يرون المنافقين يتقدمهم نور فى نظير اقرارهم بكلمة التوحيد فاذا مشوا طفئ فيمشون فى ظلمة فيقعون فى النار فاذا رأى المؤمنون هذه الحالة سألوا الله دوامه حتى يوصلهم الى الجنة والجنة لا ظلام فيها ان قلت كيف يخافون من طفء نورهم مع أنهم آمنون لا يحزنهم الفزع الاكبر أجيب بان دعاءهم ليس من خوف ذلك بل تلذذا وطلبا لما هو حاصل لهم من الرحمة (قوله والمنافقين باللسان والحجة) انما خصهم بذلك لانه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بقتالهم بالسيف لانهم مسلمون

وأهليكم) بالحمل على طاعة الله (نارا وقودها الناس) الكفار (والحجارة) كأصنامهم منها يعنى أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتى فى المدثر (غلاظ) من غلظ القلب (شداد) فى البطش (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل من لفظ الجلالة أى لا يعصون أمر الله (ويفعلون مايؤمرون) تأكيد والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم (ياأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار أى لانه لا ينفعكم (انما تجزون ما كنتم تعملون) أى جزاءه (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) بفتح النون وضمها صادقة بأن لا يعاد الى الذنب ولا يراد العود اليه (عسى ربكم) ترجية تقع (أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات) بساتين (تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله) بادخال النار (النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم) أمامهم (و) يكون (بأيمانهم يقولون) مستأنف (ربنا أتمم لنا نورنا) الى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم (واغفر لنا) ربنا (انك على كل شئ قدير ياأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة

(واغلظ عليهم) بالانتهار والمقت ومأواهم جهنم وبئس المصير) هي (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما في الدين اذ كفرتا وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه انه مجنون وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه اذا نزلوا به ليلا بايقاد النار ونهارا بالتدخين (فلم يغنيا) اى نوح ولوط (عنهما من الله) من عذابه (شيا وقيل) لهما (ادخلا النار مع الداخلين) من كفار قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون آمنت بموسى واسمها آسية عذبها فرعون بان أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت اذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة (اذ قالت) في حال التعذيب (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب (ونجني من فرعون وعمله) وتعذيبه (ونجني من القوم الظالمين) أهل دينه فقبض الله روحها وقال ابن كيسان رفعت الى الجنة حية فهي تأكل وتشرب (ومريم) عطف على امرأة فرعون (ابنت عمران التي أحصنت فرجها) حفظته (فنفخنا فيه من روحنا) اى جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل الى فرجها فحملت

ظاهرا والاسلام بقي من قتال السيف وانما أمر بفضيحتهم واخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك (قوله واغلظ عليهم) أى شدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم اللين (قوله بالانتهار) أى الزجر وقوله والمقت أى البغض والطرد (قوله ضرب الله مثلا) لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين فربما توهموا انها تنفعهم وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا انها تضرهم ضرب الله لكل مثلا وضرب بمعنى جعل فمثلا مفعول ثان مقدم وقوله امرأة نوح الخ أى حالهما مفعول أول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير وشرح لهما والمعنى جعل الله حال هاتين المرأتين مشابها لحال هؤلاء الكفرة فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين ولم ينفعهم الاتصال بدون الايمان والمرأتان كذلك (قوله امرأت نوح) ترسم امرأة في هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة وفي الوقف عليها خلاف بين القراء فبعضهم يقف بالتاء وبعضهم بالهاء (قوله كانتا تحت عبدين) أظهر في مقام الاضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوصف بالصلاح (قوله فخانتاهما في الدين) أى لا في الزنا لما ورد عن ابن عباس انه ما زنت امرأة نبي قط (قوله اذ كفرتا) تعليل لقوله فخانتاهما (قوله واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام وقيل بالعكس وقوله واعلة بتقديم العين على اللام وقيل بالعكس (قوله فلم يغنيا عنهما من الله شيا) أى لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتيهما لما كفرتا من عذاب الله شيا تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة والامتثال لا بمجرد الصحبة (قوله شيا) أى من الاغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به (قوله وقيل لهما) التعبير بالماضي لتحقق الوقوع والقائل خزنة النار (قوله امرأت فرعون) أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان (قوله آمنت بموسى) أى لما غلب السحرة وتبين لها انه على الحق فاعطاها الله بسبب ذلك الايمان أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا زوجه الله في الجنة مريم بنت عمران لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها يا خديجة اذا لقيت ضراتك فاقرئيهن مني السلام فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكلثوم أخت موسى فقالت يا رسول الله بالرفاء والبنين وفي الحديث كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون (قوله واسمها آسية) بالمد وكسر السين قيل انها عمة موسى فتكون اسرائيلية وقيل ابنت عم فرعون فتكون من العمالقة (قوله بان أوتد يديه الخ) أى دق لها أربعة أوتاد في الارض وشبحها فيها كل عضو بمحل (قوله وألقى على صدرها رحى الخ) في القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت البيت من مرمرة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما (قوله واستقبل بها الشمس) أى جعلها مواجهة للشمس وهو معطوف على قوله أوتد يديها وليس متأخرا عن القاء الرحى لان القاء الرحى كان في آخر الامر لما أيس من رجوعها عن الايمان قالوا ولا تقتضي ترتيبا (قوله ابن لي عندك) أى قريبا من رحمتك فالعندية عندية مكانة لا مكان (قوله وتعذيبه) عطف تفسير لعمله (قوله عطف على امرأة فرعون) أى فهي من جملة المثل الثاني فتمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين (قوله حفظته) أى عن الرجال فلم يصل اليها أحد بنكاح ولا بزنا (قوله أى جبريل) تفسير لروحنا (قوله حيث نفخ الخ) بين به ان الاسناد في نفخنا من حيث انه الخالق والموجد والاسناد لجبريل من حيث المباشرة (قوله بخلق الله) بيان لحقيقة الاسناد (قوله فعله) أى فعل جبريل وهو النفخ وقوله الواصل الى فرجها أى بواسطة كونه في جيب القميص (قوله فحملت بعيسى) أى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة كما تقدم في سورة مريم (قوله وكتبه المنزلة) أى في زمانها كالتوراة والانجيل وصحف ابراهيم (قوله وكانت من القانتين) أى معدودة منهم وفيه اشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين (قوله أى من القوم المطيعين) أى من رهطها وعشيرتها لانها من أهل بيت صالحين من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام

بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) شرائعه (وكتبه) المنزلة (وكانت من القانتين) من القوم المطيعين

﴿سورة الملك﴾

وتسمى أيضا الواقية والمنجية والمانعة لانها تقى صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة وتسمى أيضا المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هى الا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك ومنها اذا وضع الميت فى قبره يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقرأ بى سورة الملك ثم قال هى المانعة من عذاب الله وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطنب أى من الخير ومنها وددت ان تبارك الملك فى قلب كل مؤمن (قوله تنزه عن صفات المحدثين) أى تعاظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلا وأبدا (قوله السلطان) أى الاستيلاء والتمكن التام من سائر الموجودات فيتصرف فيها كيف شاء والاوضح للمفسر ان يفسر اليد بالقدرة والملك بالمملوكات والا فابقاء كلامه على ظاهره فيه ركة لا تخفى اذ يصير المعنى تبارك الذى بتصرفه التصرف ولا معنى له (قوله وهو على كل شئ قدير) تذييل لما قبله قصد به افادة ان قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الاحوال بل عامة التعلق بها بايجاد الاعيان المتصرف فيها وتغييرها من حال الى حال (قوله الذى خلق الموت الخ) شروع فى تفاصيل بعض آثار القدرة واعلم انه اختلف فى الموت والحياة فحكى عن ابن عباس والكلبى ومقاتل ان الموت والحياة جسمان فالموت فى هيئة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهى التى كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجد ريحها الا حيى ولا تطأ على شئ الا حيى وهى التى أخذ السامرى من أثرها ترابا فألقاه على العجل فحيى فعلى هذا الحياة والموت أمران وجوديان وتقابلهما من تقابل الضدين وقيل الموت عدم الحياة فتقابلهما من تقابل العدم والملكة (قوله فى الدنيا) أى وهو القاطع للحياة الدنيوية وقوله والحياة فى الآخرة أى وهى حياة البعث ولكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه فى قوله ليبلوكم لان الابتلاء انما يترتب على حياة الدنيا (قوله أوهما فى الدنيا) أى فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود والمراد بالحياة الحياة الدنيوية (قوله وهى ما به الاحساس) تفسير للحياة على كل من القولين وقوله ما به الاحساس أى فتكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة (قوله أو عدمها) أى عدم الحياة أعم من أن يكون سابقا عليها أو متأخرا عنها (قوله قولان) أى فى تعريف الموت (قوله والخلق على الثانى) أى على القول الثانى فى تعريف الموت وهو أنه عدم الحياة (قوله بمعنى التقدير) أى وهو يتعلق بالموجودات والمعدومات لانه تعلق الارادة والعلم الازليان وأما على الأول فيتعلق به الخلق حقيقة لانه أمر وجودى (قوله ليبلوكم) أى يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية ان علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات (قوله أيكم أحسن عملا) أيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملا تمييز والجملة فى محل نصب مفعول ثان ليبلوكم وانما علق يبلو عن المفعول الثانى لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه (قوله أطوع لله) هذا أحد تفاسير فى قوله أحسن عملا وقيل أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقيل أحسن عملا أخلصه وأصوبه فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل غير ذلك (قوله الذى خلق سبع سموات) أى فالاولى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس أصفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وبين السابعة والحجب صحارى من نور وهذا على بعض الروايات (قوله طباقا) اما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق فالوصف به على الاول ظاهر وعلى الثانى مبالغة (قوله بعضها فوق بعض من غير مماسة) وكلها علوية لا غير وهذا مذهب أهل السنة وقال أهل الهيئة ان الارض كرية والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالجميع وهكذا

﴿سورة الملك مكية ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تنزه عن صفات المحدثين (الذى بيده) فى تصرفه (الملك) السلطان والقدرة (وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت) فى الدنيا (والحياة) فى الآخرة أو هما فى الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة وهى ما به الاحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثانى بمعنى التقدير (ليبلوكم) ليختبركم فى الحياة (أيكم أحسن عملا) أطوع لله (وهو العزيز) فى انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب اليه (الذى خلق سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض من غير مماسة

فالعرش محيط بالكل والارض بالنسبة لسماء الدنيا كحلقة ملقاة فى فلاة وسماء الدنيا بالنسبة للثانية كحلقة ملقاة فى فلاة وهكذا واعتقاد ماقاله أهل الهيئة لايضر وليس فى الشرع مايخالفه (قوله ماترى فى خلق الرحمن) خطاب للنبى عليه السلام أولكل من يصلح للخطاب واضافة خلق الرحمن من أضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله لهن ولالغيرهن (قوله من تفاوت) بألف بين الفاء والواو وبدونها مع تشديد الواو قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وعدم تناسب) أى اختلاف يخالف ماتعلقت به القدرة والارادة بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تعلق قدرته وارادته بخلاف صنع العبد فقد يأتى على خلاف مايريده (قوله فارجع البصر) أى ان أردت العيان بعد الاخبار فارجع فهو مرتب على قوله ماترى (قوله هل ترى من فطور) بادغام لام هل فى التاء واظهارها قراءتان سبعيتان هنا وفى الحاقة (قوله صدوع وشقوق) أى فلا يطرأ على السماء مادامت الدنيا صدوع ولاشقوق لعدم تعلق ارادته بذلك فليست كبنيان الخلائق يتصدع ويتشقق بطول الزمان مع كون صانعه لايريد ذلك (قوله كرة بعد كرة) أشار بذلك الى أنه ليس المراد من قوله كرتين حقيقة التثنية بل التكثير بدليل قوله ينقلب اليك البصر الخ وانقلاب البصر خاسئا حسيرا لايتأتى بنظرتين ولاثلاث فهو كقولهم لبيك وسعديك (قوله ينقلب) العامة على جزمه فى جواب الامر وقرئ برفعه اما على انه حال مقدرة أومستأنف حذفت منه الفاء والاصل فينقلب (قوله ذليلا) أى خاضعا صاغرا متباعدا (قوله منقطع) أى بلغ الغاية فى الاعياء والتعب (قوله ولقد زينا السماء الدنيا الخ) شروع فى ذكر أدلة أخرى على توحيده سبحانه وتعالى وتمام قدرته وارادته (قوله القربى الى الارض) أى التى هى أقرب الى الارض من باقى السموات فقربى صيغة تفضيل كما تقول هند فضلى النساء ولا يخالف ماتقدم من ان الكواكب ثابتة فى العرش أوالكرسى لان السماء شفافة لاتحجب ماوراءها فتزيين السماء الدنيا بالكواكب لايقتضى انها ثابتة فيها وهذا فى غير الكواكب السبعة التى أشار لها بعضهم بقوله

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

فانها مفرقة على السموات السبع فى كل سماء كوكب منها فزحل فى السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى سماء الدنيا (قوله بنجوم) أشار بذلك الى انه أطلق المصابيح وأراد النجوم فهو مجاز والا فحقيقة المصباح السراج (قوله رجوما) جمع رجم مصدر أطلق على المرجوم به ولذا قال المفسر مراجم أى أمورا يرجم بها (قوله اذا استرقوا السمع) أى أرادوا استراقه (قوله بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عما يقال ان الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء وذلك يقتضى ثبوتها وبقاءها فيها وجعلها رجوما يقتضى زوالها وانفصالها عنها فكيف الجمع بين الحالتين فأجاب بأنه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل بما ينفصل منها من الشهب وذلك كمثل القبس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها (قوله أويخبله) من الخبل بسكون الباء وهو الفساد فى العقل أوفى البدن (قوله لا ان الكوكب يزول عن مكانه) أى فنى الكلام حذف مضاف والتقدير وجعلنا شهبها رجوما الخ (قوله وأعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله لهم) أى للشياطين (قوله عذاب السعير) أى فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (قوله وللذين كفروا) خبر مقدم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر والمعنى لمن كفر من الانس والجن عذاب جهنم الخ (قوله اذا ألقوا فيها) معمول لسمعوا والجملة مستأنفة وقوله لها متعلق بمحذوف حال من شهيقا لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا منكرا) أى تشهق جهنم عند القاء الكفار فيها كشهقة البغل للشعير وهذا ماعليه ابن عباس وقيل الشهيق من الكفار عند القائهم فيها وعليه فالكلام على حذف مضاف أى سمعوا لاهلها (قوله وقرئ تتميز) أى شذوذا (قوله غضبا على الكفار) أى من أجل غضب سيدها وخالقها فتأتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهى من شدة الغيظ

(ماترى فى خلق الرحمن) لهن أولغيرهن (من تفاوت) تباين وعدم تناسب (فارجع البصر) أعده الى السماء (هل ترى) فيها (من فطور) صدوع وشقوق (ثم ارجع البصر كرتين) كرة بعد كرة (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا لعدم ادراك خلل (وهو حسير) منقطع عن رؤية خلل (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى الى الارض (بمصابيح) بنجوم (وجعلناها رجوما) مراجم (للشياطين) اذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجنى أويخبله لا أن الكوكب يزول عن مكانه (وأعتدنا لهم عذاب السعير) النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) هى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمار (وهى تفور) تغلى (تكاد تميز) وقرئ تتميز على الاصل تتقطع (من الغيظ) غضبا على الكفار (كلما ألقى فيها فوج) جماعة منهم

تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعها وتحطم على أهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة مالو أمر أن يقلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجو لفعل من غير كلفة (قوله سألهم) أي سأل الفوج والجمع باعتبار معناه (قوله ألم يأتكم نذير) مفعول ثان لسأل والمعنى سألهم عن جواب هذا الاستفهام (قوله قالوا بلى الخ) انما جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيدا وتحسرا وندما على تفريطهم (قوله قد جاءنا نذير) هذا من كلام الفوج ومن المعلوم ان كل فوج له نذير يخصه (قوله فكذبنا) أي وتسبب عن مجيئه اننا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى (قوله الا في ضلال كبير) أي بعيد عن الحق (قوله يحتمل أن يكون) أي قوله ان أنتم الخ (قوله من كلام الملائكة) أي وعليه فقوله ان أنتم الا في ضلال كبير أي في الدنيا (قوله وأن يكون من كلام الكفار) أي من تمام كلام الكفار للنذر وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين (قوله وقالوا لو كنا نسمع الخ) أي زيادة في توبيخ أنفسهم (قوله ما كنا في أصحاب السعير) أي في عدادهم وهم الشياطين (قوله فسحقا) اما مفعول به أي ألزمهم الله سحقا أو مصدر عامله محذوف تقديره سحقهم الله سحقا فناب المصدر عن عامله والسحق البعد يقال سحق الشئ بالضم بوزن بعد فهو سحيق أي بعيد وأسحقه الله أبعده (قوله بسكون الحاء وضمها) أي فهما سبعيتان (قوله في غيبتهم عن أعين الناس) أشار بذلك الى أن قوله بالغيب حال من الواو في يخشون والباء بمعنى في والمعنى يخشى الله في حال غيبته عن الناس بحيث يطيع ربه ولم يطلع عليه أحد واذا كان ذلك في حال سره واختفائه عن الناس فعلانيته أولى لان العادة ان الانسان يستتر في المعصية عن أعين الناس وان لم يخف الله (قوله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أي لا يعلم قدره غير الله تعالى (قوله بما فيها) أي من الخواطر التي لا يتكلم بها (قوله فكيف بما نطقتم به) هذا من تمام الاستدلال على تساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى (قوله قال بعضهم لبعض) أي وذلك انهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق فأخبره جبريل بذلك فأخبرهم النبي به فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم الخ (قوله لا يسمعكم) مجزوم في جواب الامر (قوله من خلق) من فاعل يعلم وقوله ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق والمعنى اذا كان خالقا للسر الذي هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالما به فكيف يدعون انه لا علم له به (قوله أي أينتفي علمه الخ) أشار بذلك الى أن همزة الاستفهام داخلة على لا النافية (قوله وهو اللطيف الخبير) الجملة حالية وقوله لا أشار به الى أن الاستفهام انكاري فهو نفي للنفي فالمقصود اثبات احاطة علمه بجميع الاشياء ظاهرها وخافيها (قوله هو الذي جعل لكم الارض الخ) هذا من جملة أدلة توحيده وباهر قدرته وامتنانه على عباده (قوله ذلولا) أي مذللة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك (قوله سهلة للمشي فيها) أي بأن ثبتها بالجبال وجعلها من طين اذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رصاص لكانت تسخن جدا في الصيف وتبرد جدا في الشتاء ولا يستطاع المشي عليها (قوله فامشوا) أمر اباحة (قوله جوانبها) هذا أحد تفاسير للمناكب وقيل المناكب الجبال وقيل الاطراف وقيل الفجاج ﴿فائدة﴾ حكى قتادة عن أبي الجلد أن الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف اهـ والظاهر ان المراد بها الارض المعمورة ببني آدم غير يأجوج ومأجوج لما تقدم لنا ان كورة الارض خمسمائة عام (قوله المخلوق لاجلكم) أي لانتفاعكم به فخ كمة خالق الارزاق انتفاعهم بها (قوله واليه النشور) أي الاخراج من القبور (قوله للجزاء) أي على أعمالكم (قوله وادخال ألف بينها) أي بين الهمزة الثانية بقسميها وهما التحقيق والتسهيل ففي كلامه التنبيه على خمس قرا آت سبعيات ثنتان في التحقيق ومثلها في التسهيل والخامسة الابدال (قوله من في السماء سلطانه) أشار بذلك لجواب ورد على ظاهر الآية وحاصله ان الآية توهم ان الله تعالى في مكان

(سألهم خزنتها) سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) رسول ينذركم عذاب الله تعالى (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان) ما (أنتم الا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر (وقالوا لو كنا نسمع) أي سماع تفهم (أو نعقل) أي عقل تفكر (ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا) حيث لا ينفع الاعتراف (بذنبهم) وهو تكذيب النذر (فسحقا) بسكون الحاء وضمها (لاصحاب السعير) فبعدا لهم عن رحمة الله (ان الذين يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى (لهم مغفرة وأجر كبير) أي الجنة (وأسروا) أيها الناس (قولكم أو اجهروا به انه) تعالى (عليم بذات الصدور) بما فيها فكيف بما نطقتم به وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم اله محمد (ألا يعلم من خلق) ما تسرون أي اينتفي علمه بذلك (وهو اللطيف) في علمه (الخبير) فيه لا (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) سهلة للمشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها (وكلوا من رزقه) المخلوق لاجلكم (واليه النشور) من القبور للجزاء (أأمنتم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينها وبين الاخرى وتركه وابدالها ألفا (من في السماء) سلطانه وقدرته

(أن يخسف) بدل من من (بكم الأرض فاذا هي تمور) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (أم أمنتم من في السماء أن يرسل)

بدل من من (عليكم حاصبا) ريحا ترميكم بالحصباء (فستعلمون) عند معاينة العذاب (كيف نذير) انذاري بالعذاب أي انه حق (ولقد كذب الذين من قبلهم) من الامم (فكيف كان نكير) انكاري عليهم بالتكذيب عند اهلاكهم أي انه حق (أولم يروا) ينظروا (الى الطير فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن (ويقبضن) أجنحتهن بعد البسط أي وقابضات (ما يمسكهن) عن الوقوع في حال البسط والقبض (الا الرحمن) بقدرته (انه بكل شيء بصير) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا ان نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب (أمن) مبتدأ (هذا) خبره (الذي) بدل من هذا (هو جند) أعوان (لكم) صلة الذي (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أي غيره يدفع عنكم عذابه أي لا ناصر لكم (ان) ما (الكافرون الا في غرور) غرهم الشيطان بان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك) الرحمن (رزقه) أي المطر عنكم وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره (بل لجوا) تمادوا (في عتو) تكبر (ونفور) تباعد عن الحق (أفمن يمشي مكبا) واقعا (على وجهه أهدى أمن يمشي سويا) معتدلا (على صراط) طريق (مستقيم) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الاولى أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر أي أيهما على هدى (قل هو الذي أنشأكم) خلقكم

وهو السماء فأجاب رضي الله عنه بأن الكلام على حذف المضاف للضمير المستكن في الظرف والاصل من ثبت واستقر في السماء هو أي سلطانه وقدرته أي محل سلطانه وهو العالم العلوي وخصه بالذكر وان كان سلطانه في العالم السفلي أيضا لانه أعجب وأغرب فالتخويف به أشد (قوله أن يخسف الخ) أي بعد ان جعلها ذلولا تمشون فيها وتأكلون من رزقه (قوله بدل من من) أي بدل اشتمال (قوله تتحرك بكم) أي فيقال مار تحرك وجاء وذهب (قوله أم أمنتم) اضراب وانتقال من تهديد الى آخر (قوله من في السماء) اي سلطانه وقدرته (قوله بدل من من) اي بدل اشتمال أيضا (قوله ريحا ترميكم الخ) هذا أحد تفاسير للحاصب وقيل هو الحجارة من السماء وقيل سحاب فيها حجارة (قوله عند معاينة العذاب) اي في الآخرة او عند خروج أرواحهم (قوله أي انه حق) أي الانذار واقع ونافذ مقتضاه (قوله ولقد كذب الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أي فلا تحزن على تكذيبهم لك فقد سبقهم غيرهم بالتكذيب لانبيائهم (قوله عند اهلاكهم) أي موتهم أو تعذيبهم في الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والمعنى اغفلوا ولم يروا (قوله الى الطير) يجمع على طيور وأطيار ومفرد الطير طائر فطيور وأطيار جمع الجمع (قوله صافات) حال ومفعوله محذوف قدره بقوله اجنحتهن وكذا قوله ويقبضن (قوله أي وقابضات) أشار بذلك الى أن الفعل مؤول باسم الفاعل معطوف على صافات والحكمة في تعبيره ثانيا بالفعل ولم يقل وقابضات ان الاصل في الطيران صف الاجنحة والقبض طارئ عليه فعبر عن الاصل باسم الفاعل وعن الطارئ بالفعل الذي شأنه الحدوث (قوله ما يمسكهن الا الرحمن) عبر بالرحمن اشارة الى أنه من جلائل النعم وهذه الجملة مستأنفة (قوله انه بكل شيء بصير) أي فيعلم الاشياء الدقيقة الغريبة فيدبرها على مقتضى ما يريد (قوله أمن هذا الذي الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها ان الكفار كانوا يمتنعون من الايمان ويعاندون رسول الله معتمدين على شيئين قوتهم بالاموال والعدد واعتقادهم ان أصنامهم توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم المضرات فابطل الله الأول بقوله أمن هذا الذي هو جند لكم الخ وأبطل الثاني بقوله أمن هذا الذي يرزقكم الخ وأم هنا منقطعة تفسر ببل وحدها لدخولها على من الاستفهامية ولا يصح تفسيرها ببل والهمزة لئلا يدخل الاستفهام على مثله (قوله أعوان) أشار بذلك الى ان جند لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله ينصركم (قوله ان الكافرون الا في غرور) اعتراض مقرر لما قبله والالتفات عن الخطاب للغيبة ايذان بالاعراض عنهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر (قوله أمن هذا الذي يرزقكم) تكتب أم موصولة بمن فتكون بميم واحدة متصلة بالنون وكذا يقال فيما تقدم (قوله ان أمسك رزقه) أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها (قوله أي المطر) أي والنبات وغير ذلك كباقي الاسباب (قوله بل لجوا الخ) اضراب انتقالي مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل انهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ولم يذعنوا بل لجوا الخ (قوله أفمن يمشي مكبا الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأنهما (قوله مكبا) اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكب فكب من غير همز متعد يقال كبه الله وأما أكب فهو لازم يقال أكب أي سقط وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أن الهمزة اذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا دخلت على المتعدي فصيرته لازما (قوله واقعا على وجهه) أي لكونه أعمى ماشيا على غير طريق فهو معرض للهلاك (قوله أهدى) أي متصف بالهدى فافعل التفضيل ليس على بابه كما يشير له المفسر بقوله أي أيهما على هدى (قوله وخبر من الثانية الخ) لا حاجة له بل من الثانية معطوفة على الاولى عطف مفردات والخبر قوله أهدى وأفرد لان العطف بأم وهي لاحد الشيئين (قوله والمثل في المؤمن والكافر) أي فلا يستوي الاعمى الماشي على غير طريق والبصير الماشي في الطريق المعتدلة لان الاول معرض للهلاك والتلف بخلاف الثاني فتسويه الكفار لهما خساسة عقل وعدم تدبر والمذكور في الآية هو المشبه به والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه (قوله هو الذي أنشأكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم

بنعم الله تعالى عليهم ليرجعوا اليه في أمورهم ولا يعولوا على غيره (قوله وجعل لكم السمع) أي لتسمعوا آيات الله وتتعظوا بها (قوله والابصار) أي لتنظروا بها الى مصنوعاته الدالة على انفراده بالخلق والتدبير (قوله والافئدة) أي لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتبصرونه من الآيات العظيمة (قوله قليلا ما تشكرون) قليلا صفة مصدر محذوف أي شكرا قليلا والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله فصرف النعم في غير مصارفها كفر لها (قوله ما مزيدة) أي لتأكيد القلة وهي على بابها بالنسبة للمؤمن أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر (قوله قل هو الذي ذرأكم) أي أنشأكم وبثكم ونشركم (قوله واليه تحشرون) أي تجمعون وتضمون للحساب (قوله ويقولون) أي استهزاء وتكذيبا (قوله ان كنتم صادقين) قصدوا بهذا الخطاب النبي والمؤمنين لانهم مشاركون له في الوعد وتلاوة الآيات وجواب الشرط محذوف أي فبينوا وقته (قوله بمجيئه) أي بوقت اتيانه (قوله بين الانذار) أي بسبب اقامة الادلة الواضحة والبراهين القاطعة (قوله فلما رأوه زلفة) مرتب على محذوف تقديره وقد أتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ (قوله أي العذاب بعد الحشر) أي وهو العذاب في الآخرة وهذا قول جهور المفسرين في مرجع الضمير في رأوه وقيل هو عذاب بدر وقيل هو علم السيئ (قوله زلفة) اسم مصدر لازلف ومصدره الازلاف (قوله قريبا) حال من مفعول رأوه (قوله سيئت) مبني للمفعول والاصل ساء العذاب وجوههم وأظهر في مقام الاضمار تقبيحا وتسجيلا بوصف الكفر (قوله أي قال الخزنة لهم) أي توبيخا وتقريعا (قوله تدعون) من الدعوى ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله انكم لا تبعثون والباء في به سببية والمعنى فلما رأوا عذاب الآخرة قريبا منهم اسودت وجوههم وقال لهم الخزنة هذا العذاب الذي كنتم بسبب انذاركم وتخويفكم به ادعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث (قوله وهذه حكاية حال الخ) اسم الاشارة عائد على قوله فلما رأوه (قوله قل أرأيتم ان أهلكني الله الخ) أرأيتم بمعنى أخبروني تنصب مفعولين سدت الجملة الشرطية مسدهما والمعنى قل لهم يا محمد وكانوا يتمنون موته صلى الله عليه وسلم ان أماتني الله ومن معي من المؤمنين بعذابه أو رحمنا فلا فائدة لكم في ذلك ولا نفع يعود عليكم لانه لا مجير لكم من عذاب الله تعالى (قوله كما تقصدون) حذف منه احدى التاءين أي تتقصدون وتنتظرون قال تعالى حكاية عنهم أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (قوله أي لا مجير لهم منه) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر (قوله قل هو الرحمن) أي الذي أدعوكم الى عبادته وطاعته (قوله آمنا به وعليه توكلنا) الحكمة في تأخير مفعول آمنا وتقديم مفعول توكلنا ان الاول وقع في معرض الرد على الكافرين فكأنه قال آمنا ولم نكفر كما كفرتم والثاني قدم مفعوله لافادة الحصر كأنه قال لا نتوكل على ما توكلتم عليه من أموال ورجال وغير ذلك بل نقصر توكلنا على خالقنا (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله عند معاينة العذاب) أي في الآخرة (قوله انحن) أشار به الى أن من استفهامية مبتدأ وهو ضمير فصل وجملة لظرف خبر المبتدا والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين لعلم المعلقة عن العمل بالاستفهام (قوله أم أنتم) راجع لقراءة الخطاب وقوله أم هم راجع لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع (قوله ان أصبح ماؤكم) أي الكائن في أيديكم وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون (قوله غائرا) أشار بذلك الى ان المصدر مؤول باسم الفاعل (قوله معين) أصله معيون بوزن مفعول كمبيع نقلت ضمة الياء الى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء (قوله أي لا يأتيكم به الا الله) أي فلم تشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم به (قوله أن يقول القارئ) أي ولو في الصلاة (قوله وعمي) عطف تفسير (قوله من الجراءة على الله) يقال اجترأ على القول بالهمز أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجرأ بوزن غرفة وجراءة بوزن كراهة كما قال المفسر ويؤخذ منه أن العمد يؤاخذ بالكفر ولو على سبيل المزح

﴿سورة ن﴾

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) القلوب (قليلا ما تشكرون) ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم (قل هو الذي ذرأكم) خلقكم (في الارض واليه تحشرون) للحساب (ويقولون) للمؤمنين (متى هذا الوعد) وعد الحشر (ان كنتم صادقين) فيه (قل انما العلم) بمجيئه (عند الله وانما أنا نذير مبين) بين الانذار (فلما رأوه) أي العذاب بعد الحشر (زلفة) قريبا (سيئت) اسودت (وجوه الذين كفروا وقيل) أي قال الخزنة لهم (هذا) أي العذاب (الذي كنتم به) بانذاره (تدعون) انكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها (قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي) من المؤمنين بعذابه كما تقصدون (أو رحمنا) فلم يعذبنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي لا مجير لهم منه (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (من هو في ضلال مبين) بين أنحن أم أنتم أم هم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا في الارض (فمن يأتيكم بماء معين) جارية تناله الايدي والدلاء كمائكم أي لا يأتي به الا الله تعالى فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب أن يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته

﴿سورة ن﴾

مكية ثنتان وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ن) أحد حروف الهجاء الله أعلم بمراده به (والقلم) الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ (وما يسطرون) أى الملائكة من الخير والصلاح (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) أى انتفى الجنون عنك بسبب انعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم انه مجنون (وان لك لأجرا غير ممنون) مقطوع (وانك لعلى خلق) دين (عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) مصدر كالمعقول أى الفتون بمعنى الجنون أى أبك أم بهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

وتسمى سورة القلم (قوله مكية) أى فى قول الجمهور والقول الآخر ان بعضها مكى وبعضها مدنى (قوله ن) يقرأ بفك الادغام من واو القسم وبادغامه وهما قراءتان سبعيتان وهو بسكون النون عند السبعة وقرئ شذوذا بالفتح والكسر والضم (قوله أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف لان منهم من قال انه اسم مقتطع من اسمه الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور فهو كسائر حروف الهجاء التى افتتح بها كثير من السور فهو من المتشابه وقيل انه الحوت الذى على ظهره الارض وعليه فحرف القسم مقدر تقديره ونون والقلم قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك خارجة من أقطار الارض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فقيل كل الدنيا على ما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت (قوله الذى كتب به الكائنات الخ) هذا أحد قولين والآخر أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذى علم بالقلم لان القلم نعمة كاللسان عن ابن عباس أول ما خلق الله القلم ثم قال له أكتب قال ما أكتب قال أكتب ما كان وما يكون الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو من نور طوله كما بين السماء والارض (قوله أى الملائكة) يصح ان يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الانسان فاقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء نفى الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على خلق عظيم فالمقسم به شيا ن أو ثلاثة بزيادة نون على أن المراد به الحوت (قوله ما أنت بنعمة ربك الخ) جواب القسم والباء فى بنعمة ربك سببية وفى بمجنون زائدة ومجنون خبر ما (قوله وهذا رد لقولهم مجنون) أى كما حكاه الله عنهم فى قوله وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (قوله وان لك لاجرا غير ممنون) أى بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع فهو صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات فمقامه بعد وفاته أعظم منه فى حال حياته ومقامه فى الآخرة أعلى من مقامه فى الدنيا (قوله وانك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب الى ولا أرضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن بدليل ان عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ولذا قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهى عنه من نهى الله تعالى والمعنى انك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وهذا أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم ولذا قال العارف البوصيرى رضى الله عنه

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فستبصر ويبصرون) أى فستعلم ويعلمون فى الدنيا بظهور عاقبة أمرك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ويوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل (قوله بأيكم المفتون) بأيكم خبر مقدم والمفتون مبتدأ مؤخر والجملة فى محل نصب تنازعها كل من تبصر ويبصرون أعمل الثانى وأضمر فى الاول وحذف لانه فضلة وليس قوله بأيكم متعلقا بيبصرون لانه معلق بالاستفهام عن العمل (قوله مصدر كالمعقول) أى جاء على صيغة مفعول كالمعقول والميسور (قوله ان ربك الخ) تعليل لما قبله وتأكيد

للوعد والوعيد (قوله له) أى للسبيل (قوله وأعلم بمعنى عالم) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه والا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل (قوله فلا تطع المكذبين) مرتب على ما تقدم من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما تقدم من أول السورة (قوله تلين لهم) أى بترك نهيهم عن الشرك أو بأن توافقهم فيه أحيانا وقوله يلينون لك أى يتركون ما هم عليه من الطعن و يوافقونك والمعنى تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك و يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك (قوله وهو معطوف الخ) أى فهو من جملة التمنى وحينئذ فيكون المتمنى شيئين ثانيهما مسبب عن الاول (قوله قدر قبله بعد الفاء هم) أى فيكون الجواب جملة اسمية لا محل لها من الاعراب وهذا جواب عما يقال حيث جعل قوله فيدهنون جواب التمنى والفاء سببية فمقتضاه حذف النون للناصب فاجاب بأن الفاء داخلة على مبتدا مقدر و جملة يدهنون خبره والجملة جواب التمنى (قوله ولا تطع كل حلاف الخ) هذه الاوصاف من هنا الى قوله سنسمه على الخرطوم نزلت فى الوليد بن المغيرة وعليه جمهور المفسرين واقتصر عليه المفسر وقيل فى الاسود بن عبد يغوث وقيل فى الاخنس بن شريق وقيل فى أبى جهل بن هشام (قوله كثير الحلف بالباطل) تفسير مراد أخذه من قوله المكذبين ومن سياق الذم والا فالحلاف كثير الحلف بحق أو باطل (قوله حقير) أى فى رأيه وتدبيره عند الله تعالى فلا ينافى انه كان معظما فى قومه (قوله عياب) أى كثير العيب للناس بمعنى أنه يعيبهم فى حضورهم وغيبتهم وقوله أى مغتاب المناسب كما فى بعض النسخ أن يقول أو مغتاب فيكون تفسيرا ثانيا من الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكره وقيل الهماز الذى يهمز الناس بيده و يضربهم (قوله بنميم) متعلق بمشاء والنميم مصدر كالنميمة أو اسم جنس للنميمة (قوله مناع للخير) أى من نفسه وغيره (قوله عن الحقوق) أى الواجبة والمندوبة (قوله ظالم) أى يتعدى الحق (قوله أثيم) أى فاجر يتعاطى الاثم (قوله غليظ) أى فى الطبع أو الجسم وقوله جاف أى قاسى القلب وقيل العتل الذى يعتل الناس أى يحملهم و يجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه (قوله بعد ذلك) أى ما ذكر من الاوصاف السابقة وهى ثمانية و بعد هنا كثم التى هى للتراخى فى الرتبة والمعنى أن هذا الوصف وهو زنيم متأخر فى الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أى هو اشنع منها وأقبح (قوله زنيم) الزنمة فى الاصل شئ يكون للمعز فى اذنها كالقرط فأطلق على المستلحق فى قوم ليس منهم فكأنه فيهم زنمة (قوله ادّعاه أبوه) أى وهو المغيرة والمعنى تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب (قوله بعد ثمانى عشرة سنة) أى من ولادته ولما نزلت الآية قال لامه ان محمدا وصفنى بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقينى الخبر ضربت عنقك فقالت له ان أباك عنين فخفت على المال فمكنت الراعى من نفسى فانت منه فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية واغا ذم بذلك لان الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الولد لما روى فى الحديث لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وورد أن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير وورد لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر (قوله من العيوب) بيان لما (قوله أن كان ذا مال الخ) سيأتى فى المدثر الكلام على ماله وبنيه (قوله وهو متعلق بما دل عليه الخ) أى وقد بينه بقوله أى كذب بها ولا يصح ان يكون معمولا لفعل الشرط لان اذا تضاف للجملة بعدها والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف ولا يصح أن يكون معمولا لجواب الشرط لان ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها (قوله قال أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى (قوله بما ذكر) أى من المال والبنين (قوله وفى قراءة) أى سبعية أأن بهمزتين مفتوحتين الاولى همزة الاستفهام التوبيخى والثانية همزة أن المصدرية واللام مقدرة والمعنى أكذب بها لأن كان ذا مال و بنين أى لا ينبغى ولا يليق ذلك منه لان المال والبنين من النعم فكان ينبغى مقابلتهما بالشكر وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع ادخال ألف بينهما وتركه (قوله على الخرطوم)

له وأعلم بمعنى عالم (فلا تطع المكذبين ودوا) تمنوا (لو) مصدرية (تدهن) تلين لهم (فيدهنون) يلينون لك وهو معطوف على تدهن وان جعل جواب التمنى المفهوم من ودوا قدر قبله بعد الفاء هم (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف بالباطل (مهين) حقير (هماز) عياب أى مغتاب (مشاء بنميم) ساع بالكلام بين الناس على وجه الافساد بينهم (مناع للخير) بخيل بالمال عن الحقوق (معتد) ظالم (أثيم) آثم (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك زنيم) دعى فى قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة قال ابن عباس لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارا لا يفارقه أبدا وتعلق بزنيم الظرف قبله (أن كان ذا مال وبنين) أى لأن وهو متعلق بما دل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال) هى (أساطير الاولين) أى كذب بها لانعامنا عليه بما ذكر وفى قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين (سنسمه على الخرطوم) سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش

خطم أنفه بالسيف يوم بدر (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) البستان (اذ أقسموا ليصرمنها) يقطعون ثمرتها (مصبحين) وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (ولا يستثنون) في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك (فطاف عليها طائف من ربك) نار أحرقتها ليلا (وهم نائمون فأصبحت كالصريم) كالليل الشديد الظلمة أي سوداء (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم) غلتكم تفسير لتنادوا أو أن مصدرية أي بأن (ان كنتم صارمين) مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتشاورون (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) تفسير لما قبله أو أن مصدرية أي بأن (وغدوا على حرد) منع للفقراء (قادرين) عليه في ظنهم (فلما رأوها) سوداء محترقة (قالوا انا لضالون) عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها (بل نحن محرومون) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها (قال أوسطهم) خيرهم (ألم أقل لكم لولا) هلا (تسبحون) الله تائبين (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) بمنع الفقراء حقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا) بالتشديد والتخفيف (خيرا منها انا الى ربنا راغبون) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا وروى أنهم أبدلوا خيرا منها (كذلك) أي مثل العذاب لهؤلاء (العذاب) لمن خالف

غيره به استهزاء بهذا اللعين لان الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير (قوله خطم أنفه) أي جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره (قوله انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) هي بستان باليمن يقال له الصرم وان دون صنعاء بفرسخين وكان صاحبه ينادي الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأه المنجل من الزرع أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخل وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وتحصوا بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن ذو عيال فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء الا بعد فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى بن مريم بزمن يسير (قوله بالقحط) أي وهو احتباس المطر الذي دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذي (قوله اذ أقسموا) اذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم والا فالاوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أي فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين) حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح (قوله فلا يعطونهم) معطوف على النفي ولذا رفع لا على المنفي لفساد المعنى (قوله ما كان أبوهم) أي القدر الذي كان أبوهم الخ وتقدم بيانه (قوله بمشيئة الله تعالى) أي لا يقولون في يمينهم ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيئا للمساكين (قوله والجملة مستأنفة) أي وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى وانما عدل المفسر عنه لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالا مقرونا بالواو الا باضمار مبتدا وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة حالية (قوله كالليل) سمى الليل صريما لانصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريما أيضا لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن اغدوا) أي بكروا وقت الغدو وعداه بعلى لتضمنه معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أي فأن بمعنى أي (قوله دل عليه ما قبله) أي وتقديره فاغدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال (قوله أن لا يدخلنها الخ) أصل الكلام أن لا تدخلوها مسكينا فأوقع النهي على دخول المساكين لانه أبلغ لان دخولهم أعم من أن يكون بادخالهم أو بدونه (قوله وغدوا) أي ساروا اليها غدوة وقوله قادرين خبر غدوا ان كان بمعنى أصبح الناقصة وان كانت تامة يكون منصوبا على الحال (قوله على حرد) الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ما قاله المفسر ومنها أن معناه الغضب ومنها السنة التي قل مطرها (قوله في ظنهم) أي وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم ليلا (قوله قالوا انا لضالون) أي قالوا ذلك في بادي الرأي (قوله لما علموها) أي بعد التأمل والتفتيش (قوله بمنعنا) الباء سببية (قوله خيرهم) أي رأيا وعقلا ونفسا أنكر عليهم بقوله ألم أقل لكم الخ ومفعوله محذوف أي ألم أقل لكم ان ما فعلتموه لا يرضى به الله (قوله هلا تسبحون الله) أي تستغفرونه وتتوبون اليه من خبث عزمكم (قوله قالوا سبحان ربنا) أي فامتثلوا وتابوا (قوله يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا على ما صدر منهم سابقا (قوله هلاكنا) أي ان لم يعف عنا ربنا فقد حضر هلاكنا (قوله عسى ربنا) رجوع منهم الى الرجاء في رحمة الله بعد التوبة (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله روى أنهم أبدلوا الخ) أي فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بالزاي والغين المعجمتين بلدة بالشام بها عين غور بها علامة خروج الدجال ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها قال ابن مسعود ان القوم أخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا وقال اليماني أبو خالد دخلت تلك الجنة ورأيت منها كل العنقود كالرجل القائم الاسود (قوله كذلك) خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر (قوله أي مثل العذاب لهؤلاء) أي الذي بلوناهم به أصحاب الجنة من اهلاك ما كان عندهم يحصل لاهل مكة قال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلون محمدا

وأصحابه ويرجعون الى مكة ويطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رؤسهم فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام خابوا وضاعت صفقتهم وفيه تلطف بأهل مكة حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى (قوله ونزل لما قالوا الخ) ظاهره ان قولهم سبب لنزول ان للمتقين الخ وليس كذلك بل الآية سبب لقولهم المذكور فلما صدر منهم ذلك القول أنزل ردا عليهم أفنجعل المسلمين الخ قال مقاتل لما نزل ان للمتقين الخ قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله أفنجعل المسلمين الخ (قوله جنات النعيم) أضيفت الى النعيم لانه ليس فيها الا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا (قوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين وفي العبارة قلب والاصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين لانهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل فحينئذ يكون الانكار متوجها لعلمهم المذكور وقد وبخوا باستفهامات سبعة تنتهي لقوله أم لهم شركاء أولها أفنجعل المسلمين ثانيها ما لكم ثالثها كيف تحكمون رابعها أم لكم كتاب الخ خامسها أم لكم أيمان الخ سادسها سلهم أيهم الخ سابعها أم لهم شركاء الخ (قوله أي تابعين لهم في العطاء) المناسب أن يقول أي مساوين لهم في العطاء بقي أن الآية انما دلت على نفي المساواة مع ان المشركين ادعوا الافضلية فلم تحصل الموافقة أجيب بأنها دلت على نفي الافضلية بالاولى لانه اذا انتفت المساواة فالافضلية أولى (قوله ما لكم) مبتدأ وخبر والمعنى أي شئ ثبت واستقر لكم من هذه الاحكام البعيدة عن الصواب (قوله كيف تحكمون) جملة أخرى فالوقف على لكم واستفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم هل هو عن عقل أولا (قوله أم لكم كتاب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة قيل للاضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام التوبيخي التقريعي وكذا يقال فيما يأتي (قوله ان لكم فيه لما تخيرون) لكم خبر ان مقدم وما اسمها مؤخر واللام للتوكيد وهذه الجملة هي المدروسة في الكتاب فهي في المعنى مفعول لتدرسون وكسرت همزة ان لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها قال ابن مالك

وكسروا من بعد فعل علقا * باللام كاعلم انه لذو تقى

(قوله تختارون) أي تشتهون وتطلبون (قوله عهود) أي مؤكدة بالايمان لان العهد كلام مؤكد بالقسم (قوله بالغة) بالرفع في قراءة العامة نعت لايمان وقرئ شذوذا بالنصب على الحال اما من أيمان أو من الضمير في علينا (قوله متعلق معنى بعلينا) أي متصل به وليس المراد التعلق الصناعي فانه مختص بالفعل أو ما فيه رائحة الفعل أو بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمنا كم (قوله وفي هذا الكلام) أي قوله أم لكم ايمان الخ (قوله أي أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أي أقسمنا لكم ايمانا موثقة (قوله سلهم أيهم بذلك الخ) سلهم ينصب مفعولين الاول الضمير المتصل والثاني جملة أيهم وأي مبتدأ وزعيم خبره وبذلك متعلق بزعيم (قوله أم لهم شركاء) لهم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر وهذه الجملة معطوفة معنى على جملة أيهم زعيم واختلف في الشركاء فقيل المراد بهم ناس يشاركونهم في القول المذكور وقيل المراد بها الاصنام وكلام المفسر محتمل لهما (قوله يكفلون لهم به) أي بصحته ونفوذه (قوله ان كانوا صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله اذكر) أشار بذلك الى أن يوم معمول لمحذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وهذا أحد قولين والآخر أن الظرف متعلق بيأتوا والمعنى فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم تنفعهم وتشفع لهم (قوله هو عبارة الخ) أي هذا التركيب وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة فاصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشف الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شئ من القرآن فاتبعوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

أمرنا من كفار مكة وغيرهم (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) عذابها ما خالفوا أمرنا * ونزل لما قالوا ان بعثنا نعطى أفضل منكم (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أي تابعين لهم في العطاء (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أم) أي بل أ(لكم كتاب) منزل (فيه تدرسون) أي تقرؤن (ان لكم فيه لما تخيرون) تختارون (أم لكم أيمان) عهود (علينا بالغة) واثقة (الى يوم القيامة) متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم أي أقسمنا لكم وجوابه (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم (سلهم أيهم بذلك) الحكم الذي يحكمون به لانفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) كفيل لهم (أم لهم) أي عندهم (شركاء) موافقون لهم في هذا المقول يكفلون لهم به فان كان كذلك (فليأتوا بشركائهم) الكافلين لهم به (ان كانوا صادقين) اذكر (يوم يكشف عن ساق) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق اذا اشتد الامر فيها

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الآخر

ألا رب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل المراد الحقيقة وعليه فاختلف فقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى ففي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى لا يبقى الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح بن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى لا يبقى الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلقة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد من شدة الله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقال لهم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما تكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله

الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا ﴿تنبيه﴾ قوله في الحديث أتاهم الله في أدنى صورة رأوه فيها الخ هو من المتشابه يجري فيه مذهب السلف والخلف فالسلف يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثله شيء والخلف يؤولون الاتيان اما بالرؤية لان العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته أو باتيان ملك فيقول أنا ربكم على سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين ومعنى الصورة الصفة فمعنى في أدنى صورة الخ في غير الصفة التي يعرفونه في الدنيا بها وقولهم فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم أي فارقنا الناس من أجل توحيدك حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم فهو اخبار منهم عن تصبرهم على المشاق لاجل الله وقولهم نعوذ بالله منك انما استعاذوا منه لكونهم رأوا امارات المخلوق وقوله فيكشف عن ساق معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم بالصفة التي يعرفونها فيخرون سجدا وهذه الرؤية غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أوليائه وانما هذه الرؤية امتحان لعباده وقوله وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة معناه انه تجلى عنهم بالصفة التي رأوه فيها أول مرة وقوله ثم يضرب الجسر معناه الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وضمها معناه تقع ويؤذن فيها وقوله دحض مزلقة أي طريق تزلق فيه الاقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء والكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب ومعنى انتهى اليقين ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة وقوله قد عادوا حمما أي صاروا فحما وقوله في أفواه الجنة جمع فوهة وهي أول النهر وقوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء وقوله في رقابهم الخواتيم قيل معناه انهم يعلقون أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (قوله ويدعون) أي الكفار (قوله امتحانا لايمانهم) أي لا تكليفا بالسجود لانها ليست دار تكليف (قوله طبقا واحدا) أي عظما واحدا (قوله أبصارهم) فاعل بخاشعة ونسب الخشوع والذل اليها لان ما في القلب يعرف في العين في ذلك المقام يسجد المؤمنون شكر الله تعالى على ما أعطوه من النعيم فيرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة (قوله ترهقهم) حال أخرى (قوله وقد كانوا يدعون) أي دعوة تكليف والجملة حالية وكذا قوله وهم سالمون (قوله بان لا يصلوا) أشار بذلك الى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة واتفق المفسرون على أن المراد بالسجود الاول حقيقته (قوله فذرني) تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخويف للكافرين والمعنى اترك أمر المكذبين الي أكفك ذلك (قوله ومن يكذب) في محل نصب اما معطوف على الياء في ذرني أو مفعول معه والاول أرجح قال ابن مالك

والعطف ان يمكن بلا ضعف أحق * والنصب مختار لدى ضعف النسق

(قوله سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد اجمالا من قوله ذرني الخ (قوله نأخذهم قليلا قليلا) أي فالاستدراج الاخذ بالتدريج شيأ فشيأ والمعنى لما أنعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم (قوله وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم عطف تفسير (قوله ان كيدي متين) الكيد في الاصل الاحتيال وهو ان تفعل ما فيه نفع ظاهرا وتريد به الضر وانما سمى انعامه عليهم استدراجا بالكيد لانه في صورته فما وقع لهم من سعة الارزاق وطول الاعمار وعافية الابدان احسان ونفع ظاهري فقط والمقصود به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك ووصف الكيد بالمتانة اشارة الى انه لا يتأتى اولاء المستدرجين مما أراده بهم بخلاف كيد المخلوق فتارة يقع وتارة لا يتمكن منه (قوله أم تسألهم أجرا) هو في المعنى مرتبط بقوله سابقا أم لهم شركاء الخ والمعنى ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله تعالى (قوله

(ويدعون الى السجود) امتحانا لايمانهم (فلا يستطيعون) تصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) حال من ضمير يدعون أي ذليلة (أبصارهم) لا يرفعونها (ترهقهم) تغشاهم (ذلة وقد كانوا يدعون) في الدنيا (الى السجود وهم سالمون) فلا يأتون به بان لا يصلوا (فذرني) دعني (ومن يكذب بهذا الحديث) القرآن (سنستدرجهم) نأخذهم قليلا قليلا (من حيث لا يعلمون وأملي لهم) أمهلهم (ان كيدي متين) شديد لا يطاق (أم) بل أ(تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) مما يعطونكه

مثقلون) أى مكلفون حملا ثقيلا (قوله فلا يؤمنون لذلك) أى لسؤال الاجر المترتب عليه الغرم وهو ثقيل على النفس لان شأن النفس ان تستثقل ما يطلب منها (قوله أى اللوح الخ) هذا قول ابن عباس وقيل الغيب هو علم ما غاب عنهم (قوله ما يقولون) أى ما يحكمون به و يستغنون به عن علمك (قوله فاصبر لحكم ربك الخ) نزلت هذه الآية باحد حين فر أصحاب رسول الله باغراء المنافقين فاراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل نزلت حين ضاق صدره من أهل مكة فخرج يدعو ثقيفا فاغروا به سفهاءهم وصاروا يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريف فاراد ان يدعو عليهم فعلى الأول تكون مدنية وعلى الثانى تكون مكية (قوله اذ نادى) منصوب بمضاف محذوف والتقدير ولا يكن حالك كحاله فى وقت ندائه (قوله وهو مكظوم) الجملة حال من ضمير نادى (قوله مملوء غما) أى من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير اذن وظن ان الله آخذه بذلك وقيل معنى مكظوم محبوس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أى يحبس غضبه (قوله نعمة) اختلف فى المراد بها فقيل الرحمة وهو الذى اختاره المفسر وقيل هى العصمة وقيل نداؤه بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (قوله بالارض الفضاء) أى الخالية من النبات والاشجار والجبال (قوله وهو مذموم) أى مؤاخذ بذنبه والجملة حال من نائب فاعل نبذ ومحط النفى المستفاد من لولا (قوله لكنه رحم الخ) أشار بذلك الى ان لولا حرف امتناع لوجود والممتنع الذم والمعنى امتنع ذمه لسبق العصمة له فاجتباه ربه وجعله من الصالحين فيونس لم تحصل منه معصية ابدا لا صغيرة ولا كبيرة وانما خرج من بينهم باجتهاد منه وعتابه من الله من باب حسنات الابرار سيآت المقربين وتقدم ذلك مفصلا (قوله فاجتباه ربه) عطف على مقدر والمعنى فادركته نعمة من ربه فاجتباه (قوله بالنبوة) هذا مبنى على انه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبئ بعدها وهو أحد قولين والآخر انه كان نبيا ومعنى اجتباه اختاره واصطفاه ورقاه مرتبة أعلى من التى كان فيها (قوله فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح قال ابن عباس رد الله عليه الوحى وشفعه فى نفسه وفى قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان أرسله الى مائة ألف أو يزيدون فهداهم الله بسبب صبره (قوله وان يكاد) ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (قوله بضم الياء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من أزلق والفتح من زلق (قوله بأبصارهم) الباء اما للتعدية أو السببية (قوله أى ينظرون اليك نظرا شديدا) أى فليس المراد انهم يصيبونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما المراد انهم ينظرون اليه نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء وهذا ما مشى عليه المفسر وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش المجربة اصابتهم فعصمه الله وحماه من أعينهم ولم تؤثر فيه فنزلت وذكر العلماء ان العين كانت فى بنى أسد من العرب وكان اذا أراد أحد منهم ان يصيب أحدا فى نفسه أو ماله جوع نفسه ثلاثة أيام ثم يتعرض لنفسه أو ماله فيقول ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن فيهلك المعيون هو وماله وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للمعيون فلا تضره العين (قوله لما سمعوا الذكر) ظرف ليزلقونك (قوله حسدا) أى وبغضا وتنفيرا عنه (قوله وما هو الا ذكر للعالمين) الجملة حالية من فاعل يقولون مفيدة لبطلان قولهم وتعجيب السامعين حيث جعلوا واعظة العالمين وتذكرهم سببا لجنون من أتى به وهذا دليل على خساسة عقلهم وسوء رأيهم لان هذا القرآن لا يدركه الا من كان كامل العقل فكيف بمن نزل على قلبه

﴿ سورة الحاقة مكية ﴾

أى بالاجماع (قوله الحاقة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله القيامة (قوله التى يحق) من باب ضرب ورأى يثبت ويتحقق فاسناد التحقق للزمان مجاز عقلى على حد ليل قائم فالمراد بها الزمان الذى يتحقق فيه ما أنكر فى الدنيا من البعث وغيره فيصير محسوسا معاينا (قوله أو المظهرة لذلك) أى لما أنكر فى الدنيا وأشار بهذا المعنى الى أن الحاقة اسم فاعل أى المحققة والمظهرة وهو اسناد مجازى

(مثقلون) فلا يؤمنون لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ الذى فيه الغيب (فهم يكتبون) منه ما يقولون (فاصبر لحكم ربك) فيهم بما يشاء (ولا تكن كصاحب الحوت) فى الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام (اذ نادى) دعا ربه (وهو مكظوم) مملوء غما فى بطن الحوت (لولا أن تداركه) أدركه (نعمة) رحمة (من ربه لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالارض الفضاء (وهو مذموم) لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) بالنبوة (فجعله من الصالحين) الانبياء (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك) بضم الياء وفتحها (بابصارهم) أى ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا (انه لمجنون) بسبب القرآن الذى جاء به (وما هو) أى القرآن (الا ذكر) موعظة (للعالمين) الجن والانس لا يحدث بسببه جنون

﴿ سورة الحاقة مكية احدى أو اثنتان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة) القيامة التى يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك (ما الحاقة)

تعظيم لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر الحاقة (وما أدراك) أعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم لشأنها فما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) القيامة لانها تقرع القلوب باهوالها (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) شديدة الصوت (عاتية) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم (سخرها) أرسلها بالقهر (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) أولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء (حسوما) متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم (فترى القوم فيها صرعى) مطروحين هالكين (كانهم أعجاز) أصول (نخل خاوية) ساقطة فارغة (فهل ترى لهم من باقية) صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أي باق لا (وجاء فرعون ومن قبله) أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الامم الكافرة (والمؤتفكات) أي أهلها وهي قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالفعلات ذات الخطا (فعصوا رسول ربهم) أي لوطا وغيره (فاخذهم أخذة رابية) زائدة في الشدة على غيرها (انا لما طغى الماء) علا فوق كل شئ من الجبال وغيرها

أيضا وهذان معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها مثلازمة (قوله تعظيم لشأنها) أي فالمقصود من الاستفهام تفخيم شأنها وتعظيم قدرها كانه قال أي شئ هو لا تحيط به العبارة ولا تحصره الاشارة فالمقام للاضمار ووضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وتفظيعه كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم (قوله وهما مبتدأ وخبر الخ) أي ان الحاقة مبتدأ أول وما مبتدأ ثان والحاقة خبر الثاني وهو وخبره خبر الاول والرابط اعادة المبتدا بلفظه (قوله وما أدراك الخ) ما استفهامية وهو للانكار أي انك لا علم لك بكنهها وشدة عظمها (قوله زيادة تعظيم) أي ان حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم لهاوتهويل لشأنها (قوله وما بعدها) أي وهو جملة ادراك (قوله في محل المفعول الثاني) المناسب أن يقول والثالث لان أدرى بالهمز يتعدى لثلاثة لانه بمعنى أعلم (قوله كذبت ثمود) استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (قوله وعاد) هم قوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن (قوله لانها تقرع القلوب) أي تؤثر فيها خوفا وفزعا (قوله فاما ثمود) تفصيل لما حصل لهم في الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة (قوله بالصيحة) أي بصيحة جبريل واعلم ان ما نزل بثمود سمي في القرآن بأربعة أسماء في الاعراف بالرجفة وفي هود بالصيحة وفي حم السجدة بالصاعقة وفي هذه السورة بالطاغية فالمراد بالرجفة الزلزلة لتزلزل الارض بهم عند صيحة جبريل عليهم والصاعقة لصعقهم أي موتهم بها والطاغية نظرا وجها عن الحد وما ذكره المفسر أحد تفاسير للطاغية وعليه فالباء للآلة وقيل الطاغية مصدر كالكاذبة والعافية والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم وعليه فالباء سببية وقيل الطاغية عاقر ناقة صالح والمعنى أهلكوا بسبب ما فعله طاغيتهم من عقر الناقة وانما أهلكوا جميعا وان كان الفاعل واحدا لانهم علموا بفعله ورضوا به (قوله المجاوزة للحد) أي لحد الصيحات من الهول والشدة (قوله قوية شديدة على عاد الخ) هذا أحد قولين في تفسير عاتية والآخر ان المراد عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن لما في الحديث ما أرسل الله سفة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل (قوله أرسلها) أي سلطها (قوله أولها من صبح يوم الاربعاء) أي وآخرها غروب شمس يوم الاربعاء التالي للاربعاء الاول وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (قوله حسوما) نعت لسبع ليال وثمانية أيام أو حال من مفعول سخرها أي ذات حسوم والحسم في الاصل تتابع الكي على الداء حتى تنقطع مادته اطلق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب فقول المفسر متتابعات فيه اشارة الى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الاطلاق (قوله فترى القوم) أي على فرض حضورك وقت هلاكهم (قوله صرعى) حال جمع صريع كقتلى وقتيل والضمير في فيها عائد على الايام والليالي أو البيوت أو الريح (قوله أصول نخل) أي بلا رؤس فكانت الريح تقطع رؤسهم كما تقطع رؤس النخل (قوله فارغة) أي من الحشو لما روي من أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم (قوله من باقية) من زائدة في المفعول (قوله لا) أشار به الى ان الاستفهام انكاري قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في العذاب بالريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله والمؤتفكات) أي المنقلبات وهي التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها قرب السماء ثم قلبها (قوله أي أهلها) أشار بذلك الى أنه على حذف مضاف على حد واسئل القرية (قوله وهي قرى قوم لوط) وكانت خمسة صبعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم وهي أعظمها (قوله ذات الخطا) أشار بذلك الى ان الخاطئة صيغة نسب كلابن وتامر (قوله فعصوا) أي فرعون ومن قبله والمؤتفكات (قوله رسول ربهم) المراد بالرسول الجنس وقوله وغيره المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها (قوله على غيرها) أي من عذاب الامم (قوله علا فوق كل شئ من الجبال الخ) أي فزاد على أعلى جبل

خمسة عشر ذراعا (قوله زمن الطوفان) المناسب أن يقول زمن نوح (قوله يعني آباءكم) جواب عما يقال ان المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة فكيف يمتن الله تعالى عليهم به فاجاب بان الكلام على حذف مضاف أي آباءكم وقوله اذ انتم الخ ظاهره انه تعليل لما أجاب به وليس كذلك بل هو جواب آخر وحاصله ان الكلام باق على ظاهره ويراد حملنا كم حال كونكم في اصلاب آبائكم الذين حملوا وهم أولاد نوح سام وحام ويافث (قوله أي هذه الفعلة) هذا أحد قولين في مرجع الضمير في نجعلها وقيل عائد على السفينة والمعنى لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الامة فبقيت منها بقية حتى أدركها أوائلهم (قوله وتعيها) بكسر العين باتفاق السبعة وهو منصوب عطفا على نجعل وماضيه وعى وأصل المضارع يوعى حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها (قوله حافظة لما تسمع) اسناد الحفظ للاذن مجاز وحقه أن يسند لصاحبها والمعنى شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال وتعمل بمقتضاه (قوله فاذا نفخ في الصور الخ) لما ذكر الله تعالى القيامة وأهوالها اجمالا بقوله الحاقة الخ اشتاقت النفس لتفصيل ذلك ففصل الله تعالى بعضه بقوله فاذا نفخ الخ واذا شرطية وجوابها قوله فيومئذ وقعت الواقعة وقيل قوله يومئذ تعرضون (قوله نفخة) نائب الفاعل وواحدة نعت مؤكد لان نفخة مصدر مختص دال على الوحدة فيصح اقامته مقام الفاعل والممنوع اقامة المبهم نحو ضرب ضرب ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لان التأنيث مجازي ولوجود الفصل (قوله وهي الثانية) هذا هو الصحيح كما روي عن ابن عباس لان الثانية هي التي يعقبها الحساب والجزاء وقيل هي الاولى (قوله وحملت الارض والجبال) أي رفعتها الملائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور (قوله دكا) أي فتتا وصارتا كثيبا مهيلا وهباء منثورا (قوله دكة واحدة) بالنصب على المصدرية باتفاق السبعة وانما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه في نفخ فلم يوجد ضمير فانيب نفخة مناب الفاعل فرفع باتفاق السبعة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملتين محذوفتين وهما نفخ وحملت (قوله قامت القيامة) أي حصلت ووجدت (قوله وانشقت السماء) أي انصدعت وتفطرت من هول ذلك اليوم (قوله ضعيفة) أي ليس فيها تماسك ولا صلابة فتصير بمنزلة الصوف المنفوش (قوله على أرجائها) أي أطرافها لينتظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالارض ومن عليها (قوله فوقهم) حال من العرش والضمير عائد على الملائكة الواقفين على الارجاء (قوله ثمانية من الملائكة أو من صفوفهم) هذان قولان من جملة أقوال خمسة ثالثها ثمانية آلاف رابعها ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة خامسها ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء وورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال أي تيوس الجبل من اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء (قوله يومئذ تعرضون) أي تسألون وتحاسبون وعبر بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لينظر في أمرهم فيختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب وروي ان في القيامة ثلاث عرضات عرضتان للاعتذار والتوبيخ والثالثة فيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله (قوله لا تخفى منكم خافية) حال من الواو في تعرضون والمعنى لا يخفى على الله من سرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا وتظنون انه لا يطلع عليها بل يذكركم بجميعها حتى تعلموها علما ضروريا (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأما من أوتي كتابه الخ) تفصيل لاحوال الناس عند العرض (قوله خطابا لجماعته) أي أهله واقربائه ومن حوله وانما أحب اظهار ذلك سرورا وفرحا لكونه من الناجين (قوله هاؤم) لها استعمالان تكون اسم فعل ويكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وتكون فعلا وتلحقها العلامات ومعناها على كل من الاستعمالين خذ ولغة القرآن انها اسم فعل والهمزة بعده بدل من كاف الخطاب والميم علامة الجمع (قوله كتابيه) أصله كتابي دخلت هاء السكت لتظهر فتحة الياء وكذا في الباقي (قوله تنازع فيه الخ) أي فاعمل الثاني عند البصريين والاول عند الكوفيين وأضمر في الآخر وحذف لانه فضلة (قوله اني ظننت تيقنت) أي

زمن الطوفان (حملناكم) يعني آباءكم اذ انتم في أصلابهم (في الجارية) السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون (لنجعلها) أي هذه الفعلة وهي انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (لكم تذكرة) عظة (وتعيها) ولتحفظها (أذن واعية) حافظة لما تسمع (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) للفصل بين الخلائق وهي الثانية (وحملت) رفعت (الارض والجبال فدكتا) دقتا (دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) ضعيفة (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) جوانب السماء (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي الملائكة المذكورين (يومئذ ثمانية) من الملائكة أو من صفوفهم (يومئذ تعرضون) للحساب (لا تخفى) بالتاء والياء (منكم خافية) من السرائر (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول) خطابا لجماعته لما سر به (هاؤم) خذوا (اقرؤا كتابيه) تنازع فيه هاؤم واقرؤا (اني ظننت) تيقنت (اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية)

فالمراد

فالمراد بالظن اليقين وقال ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى اشارة الى انه تحاسب بسبب خوفه من يوم الحساب وذلك انه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله رجاءه وآمن خوفه (قوله مرضية) أشار بذلك الى ان صيغة فاعل بمعنى مفعول أى يرضى بها صاحبها ولا يسخطها أبدا ورد أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا و يصحون فلا يمرضون أبدا او ينعمون فلا يرون بأسا أبدا (قوله فى جنة عالية) أى مرتفعة المكان والدرجات والابنية والاشجار (قوله قطوفها) جمع قطف بكسر القاف أى المقطوف وهو ما يجتنيه الجانى من الثمار (قوله كلوا واشربوا) اى يقال لهم ذلك والامر للامتنان (قوله أى متهنئين) أى بذلك الاكل الطيب اللذيذ الشهى البعيد عن كل أذى السالم من كل آفة وقذر فلا بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا صداع ولا ثقل (قوله بما أسلفتم) الباء سببية وما مصدرية أو اسم موصول (قوله الماضية فى الدنيا) وقيل هى أيام الصيام والمعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى (قوله وأما من أوتى كتابه الخ) جرت عادة الله تعالى فى كتابه حيث ذكر أحوال السعداء ذكر اثر ذلك أحوال الاشقياء (قوله فيقول) أى لما يرى من سوء عاقبته التى رآها (قوله ولم أدر ما حسابيه) ما استفهامية مبتدأ وحسابيه خبرها والجملة سدت مسد مفعولى أدر والاستفهام للتعظيم والتهويل والمعنى ولم أدر عظم حسابى وشدته (قوله أى الموتة فى الدنيا) المعنى ياليت الموتة فى الدنيا كانت القاطعة لحياتى ولم أبعث بعد ذلك أصلا (قوله ما أغنى عنى) ما نافية والمفعول محذوف والمعنى لم يغن عنى مالى شيأ او استفهامية للتوبيخ أى أى شئ أغنى ما كان لى من اليسار الذى منعت منه حق الفقراء وتكبرت به على عباد الله (قوله ماليه) يحتمل ان ما اسم موصول فاعل أغنى والجار والمجرور صلة ما و يحتمل ان مالى كلمة واحدة بمعنى المال فاعل أغنى مضاف لياء المتكلم (قوله قوتى وحجتى) أشار المفسر الى ان فى السلطان تفسيرين أحدهما القوة التى كانت له فى الدنيا والثانى الحجة التى كان يحتج بها على الناس (قوله وهاء كتابيه الخ) هاء مبتدأ والسكت خبر أول وقوله تثبت خبر ثان (قوله تثبت وقفا) أى على القاعدة فى هاء السكت (قوله ووصلا) هذا مخالف لقاعدة هاء السكت ولما كان مخالفا أجاب بجوابين الاول قوله اتباعا للمصحف اى فلما كانت ثابتة فيه ثبتت فى النطق ولو فى الاصل اتباعا للرسم الثانى قوله والنقل أى واتباعا للنقل عن النبى عليه الصلاة والسلام فقد ثبت عنه ثبوتها وصلا فليس لنا الآن ما خرج عن القواعد لا يكون لنا الا اذا لم يثبت وهذا قد ثبت عن النبى ونقل الينا بالتواتر (قوله ومنهم) أى القراء السبعة وهو حمزة والعشرة وهو يعقوب (قوله خذوه) معمول لقول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره ما فعل به بعد ذلك فقيل يقال الخ (قوله خطاب لخزنة جهنم) أى الزبانية وسيأتى فى المدثر ان عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا (قوله ثم الجحيم) الترتيب فى الزمان والرتبة فان ادخاله فى النار بعد غله وكذا ادخاله فى السلسلة بعد ادخاله النار وكل واحد أشد مما قبله (قوله صلوه) أى كرروا غمسه فى النار كالشاة التى تصلى أى تشوى على النار مرة بعد مرة (قوله ذرعها سبعون ذراعا بذراع الملك) هذا قول ابن عباس قال فتدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بين مكة والكوفة وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون ذراعا وقيل ليس المراد بالعدد حقيقته بل هو كناية عن عظمها وطولها قال كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجارنا الله منها وأشار سبحانه الى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسلك فقال فاسلكوه أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك الذى يدخل فى ثقب الخرز لاحاطتها بعنقه وبجميع أجزائه (قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك ولعل وجه التخصيص لهذين الامرين بالذكر أن الكفر أقبح الاشياء والبخل مع قسوة القلب يليه (قوله ولا يحض) أى لا يحث ولا يحرض نفسه ولا غيره وقوله على طعام المسكين أى اطعامه (قوله فليس له اليوم ههنا الخ) أى فى الآخرة وحميم وما عطف عليه اسم

مرضية (فى جنة عالية قطوفها) ثمارها (دانية) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال (لهم كلوا واشربوا هنيأ) حال أى متهنئين (بما أسلفتم فى الايام الخالية) الماضية فى الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا) للتنبيه (ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها) أى الموتة فى الدنيا (كانت القاضية) القاطعة لحياتى بأن لا أبعث (ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) قوتى وحجتى وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفا ووصلا اتباعا للمصحف الامام والنقل ومنهم من حذفها وصلا (خذوه) خطاب لخزنة جهنم (فغلوه) اجمعوا يديه الى عنقه فى الغل (ثم الجحيم) النار المحرقة (صلوه) أدخلوه (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) بذراع الملك (فاسلكوه) أى أدخلوه فيها بعد ادخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم (انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم) قريب ينتفع به (ولا طعام الا من غسلين)

ليس وخبرها الظرف قبله * فان قلت ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل آخر الا من ضريع وفي موضع آخر ان شجرت الزقوم طعام الاثيم وفي موضع آخر أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار * قلنا لا منافاة اذ جميع ذلك طعام لهم فالحصر اضافي والمنفي بالحصر طعام فيه نفع (قوله صديد أهل النار) هو ما يجري من الجراح اذا غسلت (قوله أو شجر فيها) أي اذا أكلوه يغسل بطونهم أي يخرج ما فيها من الحشو (قوله الا الخاطئون) العامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد (قوله زائدة) أي والمعنى أقسم لكم يا عبادي بما تشاهدون من المخلوقات وبما لا تشاهدون الخ وانما أقسم بالمخلوقات لعظمها وشرفها بعظم خالقها وموجدها فالقسم بالمخلوقات لا من حيث ذاتها بل من حيث انها آثار عظمته ومظهر صفاته سبحانه وتعالى والنهي عن القسم بغير الله خاص بالمخلوق أما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء وما ذكره المفسر أحد قولين والآخر انها أصلية والمعنى أن هذا الامر لظهوره ووضوحه غني عن القسم والاول أوضح وأوجه (قوله من المخلوقات) بيان لما (قوله أي بكل مخلوق) تفسير لمجموع قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله انه لقول رسول كريم) هذا هو المحلوف عليه وكذا قوله وما هو بقول شاعر وما بعده والمراد بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه اجتماع الكمالات فيه فهو أكرم الخلق على الاطلاق وقيل المراد به جبريل عليه السلام ويؤيده قوله في سورة التكوير انه لقول رسول كريم وكرمه كونه رئيس العالم العلوي (قوله أي قاله رسالة الخ) جواب عما يقال ان القرآن قول الله تعالى وكلامه فكيف يقال انه لقول رسول كريم فاجاب بانه قوله على سبيل التبليغ والحاصل أنه ينسب لله من حيث ايجاده ولجبريل من حيث تلقيه عن الله ولمحمد من حيث تلقيه عن جبريل (قوله وما هو بقول شاعر الخ) انما عبر بالايمان في جانب نفي الشعر والتذكر في جانب نفي الكهانة لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظاهر لا ينكره الا معاند كافر بخلاف مغايرته للكهانة فانها متوقفة على التذكر والتدبر في أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على أنه ليس بكاهن (قوله قليلا ما تؤمنون) أي تؤمنون بشئ قليل مما جاء به مما يوافق طبعكم وهذا ما درج عليه المفسر وقيل أراد بالقلة نفي ايمانهم أصلا لان الايمان بشئ دون شئ كلا ايمان وذلك كقولك لمن يزورك فلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (قوله بالتاء والياء) أي فهما سبعيتان فالاولى لمناسبة تبصرون والثانية التفات عن الخطاب الى الغيبة (قوله وما زائدة مؤكدة) أي لمعنى القلة وقليلا صفة لمصدر محذوف في الموضعين أي ايمانا قليلا وتذكرا قليلا (قوله مما أتى به النبي) من للتبعيض في محل الحال من أشياء والمعنى حال كون تلك الاشياء اليسيرة بعض ما أتى به النبي وقوله من الخير بيان للاشياء اليسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي فكان المناسب للمفسر أن يقدمه على قوله مما أتى به النبي والمراد بالخير الصدقة وبالصلة صلة الارحام وبالعفاف الكف عن الزنا وانما آمنوا بهذه الاشياء لموافقتها طباعهم (قوله ولو تقول علينا) أي تكلف التقول (قوله بعض الاقاويل) اما جمع أقوال وهو جمع قول أو جمع أقوولة كأعاجيب جمع أعجوبة فعلى الاول أقاويل جمع الجمع وعلى الثاني جمع فقط والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله أو لم نأذن له في قوله لأخذنا الخ (قوله لنلنا) فسر الاخذ بالنيل لتعديته بالجار وعليه فمن والباء غير زائدتين والمعنى لنلنا منه بالقوة والقدرة فاليمين كناية عن القوة والغلبة وأل عوض عن المضاف اليه أي يمين الله ويصح أن المراد باليمين الجارحة والباء زائدة والمعنى لأخذنا منه يمينه كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة (قوله وهو عرق متصل به الخ) هذا قول ابن عباس والجمهور وقيل الوتين هو القلب ومراقه وما يليه وقيل هو عرق بين العنق والحلقوم وقيل هو كناية عن اماتته والمعنى لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه (قوله عنه) أي عن عقابه فهو على حذف مضاف (قوله حاجزين) مفعوله محذوف أي حاجزين لنا (قوله وانه لتذكرة) هذا وما بعده معطوف على جواب القسم فهو من جملة المقسم عليه

صديد أهل النار أو شجر فيها (لا يأكله الا الخاطئون) الكافرون (فلا) زائدة (أقسم بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها أي بكل مخلوق (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) أي قاله رسالة عن الله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) بالتاء والياء في الفعلين وما زائدة مؤكدة والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيأ بل هو (تنزيل من رب العالمين ولو تقول) أي النبي (علينا بعض الاقاويل) بأن قال عنا ما لم نقله (لأخذنا) لنلنا (منه) عقابا (باليمين) بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه (فما منكم من أحد) هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد (عنه حاجزين) مانعين خبر ما وجمع لان أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (وانه) أي القرآن (لتذكرة

(قوله

(قوله للمتقين) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون به (قوله أن منكم مكذبين) أى فنهلهم ثم بعد بعثهم نجازيهم على تكذيبهم وقوله ومصدقين أشار بذلك الى أن فى الآية حذف الواو مع ما عطفت (قوله أى لليقين الحق) أشار بذلك الى أنه من اضافه الصفة للموصوف والمعنى من تمسك به وعمل بمقتضاه صار من أهل حق اليقين (قوله زائدة) أى لفظ باسم زائدة والمعنى نزه ربك العظيم واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم

﴿سورة المعارج﴾

وتسمى سورة سأل سائل (قوله مكية) أى اجماعا (قوله سأل) بالهمز والالف قراءتان سبعيتان فالهمز هو الاصل من السؤال وهو الدعاء وأما قراءة الالف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة غير انه خفف بقلب الهمزة ألفا والالف منقلبة عن واو كخاف يخاف والواو منقلبة عن الهمزة أو من السيلان فالالف منقلبة عن ياء والمعنى سال سايل أى واد فى جهنم وأما سائل فبالهمز لا غير لان العين اذا أعلت فى الفعل تعل فى اسم الفاعل أيضا وقد أعلت بالقلب همزة كقائل وبائع وخائف * واعلم أن مادة السؤال تتعدى لمفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما ويجوز تعديته بحرف الجر وحينئذ فيكون التقدير هنا سأل سائل الله أو النبى عذابا واقعا (قوله دعا داع) أشار بذلك الى أن سأل من السؤال وهو الدعاء ولما ضمن معناه تعدى تعديته ويصح ان الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة ويصح أن الباء بمعنى عن (قوله واقع للكافرين) أى سيقع وعبر بذلك اشارة لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يوم بدر صبرا واما فى الآخرة وهو عذاب النار (قوله للكافرين) اللام للتعليل والتقدير نازل من أجل الكافرين أو بمعنى على أى واقع على الكافرين (قوله ليس له دافع) اما نعت آخر لعذاب أو حال منه أو مستأنف (قوله هو النضر بن الحرث) هذا قول ابن عباس وقيل هو الحرث بن النعمان وذلك أنه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم يا على "من كنت مولاه فعلى مولاه" ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك وأن نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شئ منك أم من الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقيل هو أبو جهل وقيل جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه (قوله قال اللهم الخ) أى استهزاء وايهاما أنه على بصيرة حيث جزم ببطلانه (قوله متصل بواقع) أى متعلق به وعليه فجملة ليس له دافع معترضة بين العامل والمعمول ان جعلت مستأنفة وأما ان جعلت صفة لعذاب فليست اعتراضية (قوله ذى المعارج) أى صاحبها وخالقها فليس لغيره مدخل فيها (قوله مصاعد الملائكة) أشار بذلك الى أن العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود وما مشى عليه المفسر أحد أقوال وقيل المراد معارج المؤمنين فى دار الثواب وهى الجنة وقيل معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب الاخلاص والآداب ونحو ذلك (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جبريل) أشار بذلك الى ان عطف الروح على ما قبله عطف خاص على عام (قوله الى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ان ظاهر الآية يقتضى ان الله تعالى فى مكان والملائكة يصعدون اليه فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف أى الى محل هبوط أمره وهو السماء (قوله متعلق بمحذوف) أى دل عليه واقع (قوله لما يلقى فيه من الشدائد) أشار بذلك الى ان الكلام من باب التمثيل والتخييل فليس المراد حقيقة العدد بل المراد انه يطول على الكافر لما يلقى فيه من الشدائد فعبر عنه بالالف

للمتقين وانا لنعلم أن منكم) أيها الناس (مكذبين) بالقرآن ومصدقين (وانه) أى القرآن (لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وانه) أى القرآن (لحق اليقين) أى لليقين الحق (فسبح) نزه (باسم) زائدة (ربك العظيم) سبحانه

﴿سورة المعارج مكية أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سأل سائل) دعا داع (بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق الآية (من الله) متصل بواقع (ذى المعارج) مصاعد الملائكة وهى السموات (تعرج) بالتاء والياء (الملائكة والروح) جبريل (اليه) الى مهبط أمره من السماء (فى يوم) متعلق بمحذوف أى يقع العذاب بهم فى يوم القيامة (كان مقداره خمسين ألف سنة) بالنسبة الى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا

كما جاء في الحديث (فاصبر) هذا قبل ان يؤمر بالقتال (صبرا جميلا) أي لا جزع فيه (انهم يرونه) أي العذاب (بعيدا)
غير واقع (ونراه قريبا) واقعا
لا محالة (يوم تكون السماء)
متعلق بمحذوف أي يقع
(كالمهل) كذائب الفضة
(وتكون الجبال كالعهن)
كالصوف في الخفة والطيران
بالريح (ولا يسئل حميم حميما)
قريب قريبه لاشتغال كل
بحاله (يبصرونهم) أي
يبصر الاحماء بعضهم بعضا
ويتعارفون ولا يتكلمون
والجملة مستأنفة (يود المجرم)
يتمنى الكافر (لو) بمعنى أن
(يفتدي من عذاب يومئذ)
بكسر الميم وفتحها (ببنيه
وصاحبته) زوجته (وأخيه
وفصيلته) عشيرته لفصله
منها (التي تؤويه) تضمه
(ومن في الارض جميعا ثم
ينجيه) ذلك الافتداء عطف
على يفتدي (كلا) ردّ لما يوده
(انها) أي النار (لظى) اسم
لجهنم لانها تتلظى أي تتلهب
على الكفار (نزاعة للشوى)
جمع شواة وهي جلدة الرأس
(تدعوا من أدبر وتولى) عن
الايمان بأن تقول الي الي
(وجمع) المال (فأوعى) أمسكه
في وعائه ولم يؤد حق الله منه
(ان الانسان خلق هلوعا) حال
مقدرة وتفسيره (اذا مسه الشر
جزوعا) وقت مس الشر (واذا مسه
الخير منوعا) وقت مس الخير أي
المال لحق الله منه (الا المصلين)
أي المؤمنين (الذين هم على
صلاتهم دائمون) مواظبون
(والذين في أموالهم حق معلوم)
هو الزكاة (للسائل والمحروم)
المتعفف عن السؤال فيحرم
(والذين يصدقون بيوم الدين) الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون (ان عذاب ربهم

وبالخمسين ألفا كناية عن عظم الشدائد أو يقال يعذل بالخمسين ألفا في حق قوم من الكفار والالف في
حق قوم آخرين منهم وحينئذ فلا منافاة بين ما هنا وآية السجدة وقيل خمسون ألفا حقيقة لما ورد ان مواطن
الحساب خمسون موطنا يحبس الكافر في كل موطن ألفا (قوله كما جاء في الحديث) أي وهو ما رواه
أبو سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا
اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في
الدنيا (قوله فاصبر) مفرع على قوله سأل سائل لانه سأل على سبيل الاستهزاء والمعنى اصبر على استهزاء
قومك ولا تضجر منه فهو تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هذا قبل ان يؤمر الخ) أي فهو منسوخ بآية
القتال (قوله انهم يرونه) أي يعتقدونه (قوله ونراه) أي نعلمه والنون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى
(قوله متعلق بمحذوف) أي دال عليه واقع (قوله كذائب الفضة) وقيل المهل دردي الزيت (قوله
كالصوف) أي مطلقا وقيل بقيد كونه أحمر أو مصبوغا ألوانا وهذه الاقوال في معنى العهن في اللغة (قوله
ولا يسئل حميم الخ) القراء السبعة على بناء يسئل للفاعل وحميما مفعول أول والثاني محذوف تقديره
شفاعة وقرأ أبو جعفر من العشرة ببنائه للمفعول وحميم نائب الفاعل وحميما اما مفعول ثان على حذف
مضاف أي احضاره أو منصوب على نزع الخافض أي عن حميم (قوله يبصرونهم) جمع الضميرين
نظرا للمعنى الحميمين لانهما نكرتان في سياق النفي يعمان سائر الاقارب (قوله والجملة مستأنفة) أي
استئنافا بيانيا واقعا في جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولا يسئل حميم حميما تقديره ان عدم السؤال ربما
يكون لعدم رؤيته فأجاب بأنهم يعرفون بعضهم وينظرون الى بعضهم غير ان كل أحد مشغول بحاله
فلا يمكنه السؤال لذلك (قوله بمعنى ان) أي المصدرية فلا جواب لها ثم ينسبك منها ومما بعدها مصدر
مفعول ليود أي يود افتداءه (قوله بكسر الميم) أي على الاعراب وقوله وفتحها أي على البناء والقراءتان
سبعيتان والتنوين عوض عن جمل متعددة والمعنى يوم اذ تكون السماء كالمهل الخ (قوله لفصله منها)
أي فهي فعيلة بمعنى مفعولة أي مفصول منها والفصيلة قيل الآباء الاقربون وقيل الفخذ وقيل العشيرة
(قوله تضمه) أي في النسب وعند الشدة (قوله كلا) يحتمل ان تكون هنا بمعنى حقا فالكلام تم عند
قوله ثم ينجيه ويحتمل ان تكون بمعنى لا النافية فالكلام تم عليها (قوله أي النار) انما أعاد الضمير عليها
وان لم يتقدم لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها (قوله لظى) خبران ونزاعة خبر ثان (قوله اسم لجهنم)
أي منقول اذ هو في الاصل اللهب جعل علما عليها ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله جمع
شواة) أي كنوى ونواة (قوله وهي جلدة الرأس) أي وقيل هو جلد الانسان ومعناه قلاعة للجلد وكلما
قلعت عادت (قوله بأن تقول الي الي) أي ثم تلتقطهم التقاط الطائر للحب (قوله ان الانسان)
أل فيه للجنس أي حقيقة الانسان وجنسه والاصل فيه وسمي بذلك اما لانسه بنفسه وجنسه أو لنسيانه
حقوق ربه (قوله حال مقدرة) أي لانه ليس متصفا بذلك وقت خلقه ولا وقت ولادته (قوله وتفسيره)
أي الهلوع وهو مستند اللغويين في قولهم الهلع فحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح بالمال
والسرعة فيما لا ينبغي (قوله وقت مس الشر) أشار بذلك الى ان اذا معمولة لجزوعا وكذا ما بعده ونصب
جزوعا ومنوعا اما حالان من ضمير هلوعا أو خبران لكان المحذوفة أي اذا مسه الشر كان جزوعا واذا مسه
الخير كان منوعا أو نعتان لهلوعا (قوله أي المال) أي وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه بأن لا يصرفه في
طاعة ربه (قوله الا المصلين) استثناء من الانسان وتقدم ان المراد به الجنس فالاستثناء متصل (قوله
أي المؤمنين) فسر المصلين بالمؤمنين لان الصلاة الشرعية تستلزم الايمان وليكون لقوله الذين هم على
صلاتهم دائمون معنى والا كان ضائعا واعلم انه ذكر الصلاة ثلاثا فأرادبها أولا الايمان وثانيا المداومة
عليها ولو قضاء وثالثا المحافظة عليها في خصوص أوقاتها (قوله مواظبون) أي لا يتركونها أداء ولا
قضاء بل يفعلونها ولو خارج الوقت فهذا راجع للصلاة في نفسها وما يأتي راجع لوصفها (قوله فيحرم)
أي لكونه يظن غنيا على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله والذين يصدقون بيوم الدين)

أي

غير مأمون) نزوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) من الإماء (فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) المتجاوزون الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم) وفي قراءة بالافراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) المأخوذ عليهم في ذلك (راعون) حافظون (والذين هم بشهاداتهم) وفي قراءة بالجمع (قائمون) يقيمونها ولا يكتمونها (والذين هم على صلاتهم يحافظون) بأدائها في أوقاتها (أولئك في جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك) نحوك (مهطعين) حال أي مديمي النظر (عن اليمين وعن الشمال) منك (عزين) حال أيضا أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم قال تعالى (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا) ردع لهم عن طمعهم في الجنة (انا خلقناهم) كغيرهم (مما يعلمون) من نطف فلا يطمع بذلك في الجنة وانما يطمع فيها بالتقوى (فلا) لا زائدة (أقسم برب المشارق والمغارب) للشمس والقمر وسائر الكواكب (انا لقادرون على أن نبدل) نأتي بدلهم (خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) بعاجزين عن ذلك (فذرهم) اتركهم (يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا) يلقوا (يومهم الذي يوعدون) فيه العذاب (يوم يخرجون من الاجداث) القبور (سراعا) الى المحشر (كأنهم الى نصب) وفي قراءة بضم الحرفين شيء منصوب كعلم أو راية (يوفضون) يسرعون (خاشعة) ذليلة (أبصارهم

أي يؤمنون به ويجزمون بحصوله فيستعدون له بالاعمال الصالحة (قوله غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه وان بلغ في الطاعة ما بلغ فالمطلوب من الشخص ان يغلب في حال صحته الخوف وفي حال مرضه الرجاء (قوله لفروجهم حافظون) أي عن المحرمات (قوله من الاماء) بيان لما ولشبههن بغير العاقل عبر عنهن بما التي لغير العاقل (قوله فمن ابتغى وراء ذلك) أي طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك اليمين (قوله المتجاوزون الحلال الى الحرام) دخل في هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (قوله وفي قراءة بالافراد) أي وهي سبعية أيضا (قوله المأخوذ عليهم في ذلك) أي فيما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا فالعهد اما من الله أو من المخلوق فالواجب حفظه وعدم تضييعه (قوله وفي قراءة بالجمع) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولا يكتمونها) أي بل يؤدونها ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب فلا يخافون في الله لومة لائم (قوله بأدائها في أوقاتها) أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق دائمون وقوله هنا يحافظون وحكمة تكرار ذكر الصلاة الاشارة الى انها أعظم من غيرها لانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله فمال الذين كفروا) ما مبتدأ والذين كفروا خبره والمعنى أي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم اليك والتفرق (قوله قبلك) حال وكذا قوله مهطعين وعن اليمين وعن الشمال فالاربعة أحوال من الموصول (قوله أي مديمي النظر) أي أو مسرعين فالاهطاع ادامة النظر أو الاسراع (قوله عزين) جمع عزة وهي الجماعة واختلفوا في لام عزة فقيل هي واو من عزوته أعزوه أي نسبته وقيل هي ياء فيقال عزيته أعزيه وقيل هي هاء فأصله عزهة وعلى كل حذفت وعوض عنها تاء التأنيث وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم في اعرابه لكونه اسما ثلاثيا حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم هذه المقالة (قوله جنة نعيم) أضيفت له لانه ليس فيها غيره (قوله من نطف) أي ثم من علق ثم من مضغ والمعنى المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة وهي لا تناسب عالم القدس لاستقذارها فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها ومن هذا المعنى قول الشاعر

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * أتطلب الربح مما فيه خسران

انهض الى الروح واستكمل فضائلها * فأنت بالروح لا بالجسم انسان

(قوله انا لقادرون) جواب القسم (قوله على ان نبدل خيرا منهم) أي بان نخلق خلقا غيرهم أو نحول أوصافهم فيكونوا أشد بطشا في الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وخدما وجاها فيكونوا عندك على قلب واحد في سماع قولك وتعظيمك والسعي في مرضاتك بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل ما يغضبك وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذكر من الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين فأعطاهم أموال الجبارين وبلادهم وصاروا ملوك الدنيا والآخرة (قوله وما نحن بمسبوقين) هذا من جملة المقسم عليه (قوله فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسبوقين أي اذا تبين لك انا غير عاجزين عنهم فدعهم فيما هم فيه من الاباطيل ولا تلتفت لهم ففيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله يلاقوا) أشار بذلك الى ان التفاعل ليس على بابه (قوله يومهم الذي يوعدون) هو يوم كشف الغطاء وأوله عند الغرغرة وآخره النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره وهذه الآية منسوخة بآية السيف (قوله يوم يخرجون) بدل من يومهم بدل بعض من كل (قوله سراعا) حال من فاعل يخرجون (قوله الى نصب) متعلق بيوفضون (قوله وفي قراءة بضم الحرفين) أي وهي سبعية أيضا فالاولى مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع له الشخص عند الشدائد وقيل هو شبكة الصائد وقيل يسرع اليها خوف انفلات الصيد والثانية بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وقرئ شذوذا بفتحتين وبضم وسكون (قوله يسرعون) أي يسعون ويستبقون (قوله خاشعة) حال اما من فاعل يوفضون أو

ترهقهم) تغشاهم (ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ومعناه يوم القيامة

﴿سورة نوح﴾ مكية ثمان أو تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر) أى بانذار (قومك من قبل أن يأتيهم) ان لم يؤمنوا (عذاب أليم) مؤلم فى الدنيا والآخرة (قال يا قوم انى لكم نذير مبين) بين الانذار (أن) أى بأن أقول لكم (اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لاخراج حقوق العباد (ويؤخركم) بلا عذاب (الى أجل مسمى) أجل الموت (ان أجل الله) بعذابكم ان لم تؤمنوا (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) ذلك لآمنتم (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) أى دائما متصلا (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن الايمان (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) غطوا رؤسهم بها لئلا ينظرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) تكبروا عن الايمان (استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا) أى باعلاء صوتى (ثم انى أعلنت لهم) صوتى (وأسررت لهم) الكلام (اسرارا فقلت استغفروا ربكم) من الشرك (انه كان غفارا يرسل السماء) المطر وكانوا قد منعوه (عليكم

يخرجون وأبصارهم فاعل بخاشعة (قوله ترهقهم ذلة) اما مستأنف أو حال من فاعل يوفضون والمعنى يغشاهم الذل جزاء لعزهم فى الدنيا عن الحق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا ان لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى طلبوه أول السورة فقد رد عجزها لصدرها (قوله وما بعده) أى الذى هو لفظ يوم واما الموصول وصلته فهو صفة للخبر

﴿سورة نوح﴾

(قوله ثمان) بكسر النون وضمها وأصله على كل ثمانى حذفت الياء اما اعتباطا كيد ودم فهو بضم النون والاعراب عليها أو لعلة تصريفية كقاض فهو بكسر النون والاعراب على الياء المحذوفة (قوله انا أرسلنا نوحا) أى على رأس الاربعين كما قال ابن عباس وقيل أرسل وهو ابن ثلثمائة وخمسين وقيل أرسل وهو ابن خمسين سنة وعاش فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما فهو أطول الناس عمرا ولا يرد شعيب لان ما جاء فى عمره رواية آحاد ونوح أول رسول أرسل بالنهى عن الشرك لان الشرك انما حدث فى زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمر واجتنابها (قوله الى قومه) المراد بهم جميع أهل الارض (قوله أى بانذار) أشار بذلك الى ان أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لان الارسال فيه معنى القول دون حروفه (قوله فى الدنيا والآخرة) أى وهو الطوفان وعذاب النار (قوله بين الانذار) أى واضحه (قوله أى أن أقول لكم الخ) أشار بذلك الى ان أن تفسيرية ويصح كونها مصدرية كالسابقة فيصح فى كل منهما الوجهان (قوله يغفر لكم) مجزوم فى جواب الاوامر الثلاثة (قوله من زائدة) أى على رأى الاخفش القائل بأنه لا يشترط فى زيادتها تقدم نفى وكون مدخولها نكرة (قوله فان الاسلام الخ) تعليل لما قبله والمعنى ان الاسلام يغفر به ما تقدمه من الذنوب ولو حقوق العباد فلا يؤاخذ بها فى الآخرة (قوله لاخراج حقوق العباد) أى فانها لا تغفر بالاسلام أى فيطالب الكافر اذا أسلم بالحدود وبالاموال التى ظلم فيها والديون المستقرة فى ذمته (قوله بلا عذاب) جواب عن سؤال مقدر كيف قال ويؤخركم الى أجل مسمى مع انه قال فى الآية الأخرى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فالجواب أن المراد بالاجل هنا أولا وثانيا العذاب وهو معلق على ترك الايمان وفى الآية الأخرى انتهاء العمر وهو لا يتقدم ولا يتأخر آمنوا أم لم يؤمنوا (قوله مسمى) أى معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص (قوله ان أجل الله) أضاف الاجل له سبحانه لانه هو الذى أثبته وقد يضاف الى القوم كما فى قوله اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (قوله لآمنتم) أشار بذلك الى أن لو شرطية (قوله فلم يزدهم دعائى) بفتح الياء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله الا فرارا) مفعول ثان ليزدهم وهو استثناء من محذوف والتقدير فلم يزدهم دعائى شيأ من أحوالهم التى كانوا عليها الا فرارا أى بعدا واعراضا عن الايمان (قوله وانى كلما دعوتهم) كلما معمول لجعلوا والجملة خبر ان ومعمول دعوتهم محذوف والتقدير الى الايمان بك لاجل مغفرتك (قوله لئلا ينظرونى) أى فكرهوا النظر الى من فرط كراهتهم دعوتى فقد خالفوه باطنا بالاصرار والاستكبار وظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار ولا أقبح من هذه المخالفة (قوله جهارا) اما نعت مصدر محذوف أى دعاء جهارا أو حال على حد زيد عدل والمعنى أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ابتدأ أولا بالاهون ثم ترقى للاشد فالاشد فافتتح بالسر فلما لم يفد ثنى بالجهر فلما لم يفد ثلث بالجمع بين السر والجهر وثم للدلالة على تباعد الاحوال (قوله استغفروا ربكم) أى اطلبوا منه محو ذنوبكم بان تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالاستغفار مجرد قول أستغفر الله فمن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا عن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وشكا اليه آخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون اليك أبوابا ويسئلونك أنواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية (قوله وكانوا قد منعوه) أى لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم الخ

(قوله مدرارا) حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا يستوى فيه المذكر والمؤنث (قوله بساتين) أشار بذلك الى أن المراد جنات الدنيا وكرر فعل الجعل ولم يقل يجعل لكم جنات وأنهار التغاير المعمولين فان الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الانهار ولذا قال يمددكم باموال وبنين ولم يقل يجعل لتغاير المعمول (قوله مالكم) مبتدأ وخبر والمعنى أى شئ ثبت لكم وقوله لا ترجون جملة حالية من الكاف وقوله وقارا أى توقيرا من الله لكم واللام بمعنى من والمعنى أى شئ ثبت لكم لا تؤملون الله فى كونه يوقركم ويعظمكم بل المطلوب منكم ان ترجوا وقار الله اياكم بان تؤمنوا به فالمقصود الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله لان الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه يحصل فى المستقبل مع الأخذ فى الاسباب وهو لا يكون الا بالايمان والطاعة (قوله وقد خلقكم) الجملة حالية من فاعل ترجون واطوارا حال مؤولة بمشتق أى منتقلين من حال الى حال (قوله والنظر) أى التأمل (قوله فى خلقه) أى الانسان والمعنى أن التأمل فى احوال الانسان من أسباب الايمان بالله تعالى (قوله تنظروا) أي نظر اعتبار وتفكر (قوله كيف خلق الله الخ) هذه الجملة سدت مسد مفعولى تروا (قوله بعضها فوق بعض) أى من غير مماسة بل بين كل واحدة والأخرى خمسمائة عام وسمك الواحدة منهن خمسمائة عام (قوله أى فى مجموعهن) دفع بذلك ما يقال ان القمر لم يكن الا فى خصوص سماء الدنيا فما معنى اضافته الى الكل فاجاب بما ذكر وفيه أن المجموع لابد فيه من تعدد افراد وهنا ليس كذلك فالاحسن الجواب بان السموات شفافة فيرى الكل كانه سماء واحدة وما فى واحدة كانه فى الكل (قوله وجعل الشمس) أى فيهن لحذفت من الثانى لدلالة الاول عليه واعلم أن القمر فى سماء الدنيا اتفاقا واختلف فى الشمس فقيل فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وقيل فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ووجههما مما يلى السماء وقفاهما مما يلى الارض (قوله سراجا) أى مثل السراج فى كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج (قوله وهو أقوى من نور القمر) ان قلت ان القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة لعمومه المشارق والمغارب وانتشاره أجيب بان الضمير عائد على الضوء المفهوم من مضيا أو يقال ان المصباح فى محل انتشاره أقوى من القمر وان كان أوسع امتدادا منه لان الانسان يمكنه قراءة الخط فى المصباح دون القمر فلا يقرؤه الا القليل من الناس (قوله خلقكم) أى أنشأكم منها فالانبات استعارة للخلق (قوله اذ خلق أباكم آدم منها) أى أو باعتبار النطفة فان أصلها وهو الغذاء من الارض (قوله نباتا) مصدر لأنبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر (قوله مقبورين) حال (قوله مبسوطة) اى لا مسنمة فتتعب من عليها (قوله فجاجا) جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين (قوله قال نوح) أى بعد يأسه من ايمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم وهذا مقدمة لدعائه عليهم (قوله انهم عصونى) أى وعصيانى عصيان لك يارب (قوله وبفتحهما) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله ومكروا) معطوف على صلة من كانه قال واتبعوا من مكروا وجمع الضمير نظرا لمعنى من وأفرد فى قوله يزده باعتبار لفظها (قوله كبارا) بضم الكاف وتشديد الباء وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالضم والتخفيف وهى صيغة مبالغة أيضا ومعنى المشدد والكسر والتخفيف جمع كبير (قوله وقالوا) عطف على الصلة أيضا (قوله ولا تذرن ودا) عطف خاص على عام (قوله بفتح الواو وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا يغوث ويعوق) بغير تنوين فى قراءة العامة ومنع الصرف ان كانا عربيين للعلمية ووزن الفعل وان كانا أعجميين فللعلمية والعجمة وقرئ شذوذا بالصرف للتناسب لان ما قبلهما مصروف وما بعدهما مصروف (قوله ويعوق ونسرا) لم يذكر النفى مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس (قوله هى اسماء اصنام) أى كانوا يعبدونها وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ولذا خصوها بالذكر وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره فى المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم

مدرارا) كثير الدرور (ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية (مالكم لا ترجون لله وقارا) أى تأملون وقار الله اياكم بأن تؤمنوا (وقد خلقكم أطوارا) جمع طور وهو الحال فطورا نطفة وطورا علقة الى تمام خلق الانسان والنظر فى خلقه يوجب الايمان بخالقه (ألم تروا) تنظروا (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن) أى فى مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نورا وجعل الشمس سراجا) مصباحا مضيأ وهو أقوى من نور القمر (والله أنبتكم) خلقكم (من الارض) اذ خلق أباكم آدم منها (نباتا ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم) للبعث (اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة (قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والاول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (الا خسارا) طغيانا وكفرا (ومكروا) أى الرؤساء (مكرا كبارا) عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه (وقالوا) للسفلة (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها (ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هى أسماء أصنام

(وقد أضلوا) بها (كثيرا) من الناس بأن أمروهم بعبادتها (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) عطف على قد أضلوا دعا عليهم لما أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (مما) ما صلة (خطاياهم) وفي قراءة خطيئاتهم بالهمز (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عوقبوا بها عقب الاغراق تحت الماء (فلم يجدوا لهم من دون) أي غير (الله أنصارا) يمنعون عنهم العذاب (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أي نازل دار والمعنى أحدا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) من يفجر ويكفر قال ذلك لما تقدم من الايحاء اليه (رب اغفر لي ولوالدي) وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين الا تبارا) هلاكا فأهلكوا

الشيطان ما لكم لا تعبدون شيأ قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية (قوله وقد أضلوا) معمول لقول مقدر أي وقال قد أضلوا فهو معطوف على قوله قال نوح رب انهم عصوني (قوله دعا عليهم لما أوحى اليه الخ) جواب عما يقال انه مبعوث لهدايتهم فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال فأجاب بأنه لما يئس من ايمانهم باخبار الله له بأنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ساغ له الدعاء عليهم (قوله ما صلة) أي ومن تعليلية (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله فأدخلوا نارا) أي في الدنيا عقب الاغراق فكانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى وهذا ما أفاده المفسر ويحتمل أن المراد بها نار الآخرة وهو من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق الوقوع (قوله وقال نوح رب الخ) عطف على قوله قال نوح رب وما بينهما اعتراض مبين لسبب استحقاقهم العذاب (قوله أي نازل دار) هذا معنى الديار في اللغة والمراد صاحب دار سواء كان نازلا بها أم لا فهو مرادف لاحد فديار من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار (قوله من يفجر الخ) أشار بذلك الى أن فيه مجازا الاول لانهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها (قوله قال ذلك) أي قوله لا تذر الخ وأما قوله ولا يلدوا الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زمانا طويلا فعرف طباعهم وأحوالهم فكان الرجل ينطلق اليه بابنه ويقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرني منه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (قوله وكانا مؤمنين) أي واسم أبيه لمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ وهو ادريس واسم أمه شمخا بوزن سكرى بنت أنوش (قوله منزلي أو مسجدي) أي أو سفينتي (قوله مؤمنا) حال (قوله الى يوم القيامة) أي من مبدا الدنيا الى يوم القيامة (قوله الا تبارا) مفعول ثان لتزد والاستثناء مفرغ وفعله تبر من باب قتل وتعب ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار (قوله فأهلكوا) أي وغرقت معهم صبيانهم على القول بأنهم لم يعقموا ومواشيهم لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب المكلفين قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وما قيل في صبيان قوم نوح يقال في صبيان كل أمة هلكت والله أعلم

﴿سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل) يا محمد للناس (أوحي الي) أي أخبرت بالوحي من الله تعالى (أنه) الضمير للشأن (استمع) لقراءتي (نفر من الجن) جن نصيبين وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع

﴿سورة الجن﴾

أي التي ذكرت فيها قصة ايمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسالته عامة للانس والجن والجن اجسام نارية هوائية لها قدرة على التشكلات بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة وبهذا ظهر الفرق بينهم وبين الملائكة لان الملائكة اجسام نورانية لها قدرة على التشكلات بالصور الغير الخسيسة ولا تحكم عليهم الصور واختلف في الجن فقيل هم ذرية ابليس غير ان المتمرد منهم يسمى شيطانا كما ان الانس أولاد آدم وقيل ان الجن ولد الجان والشياطين ولد ابليس يموتون مع ابليس عند النفخة والراجح الاول فمن آمن من الجن فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بآدم ومن كفر من الانس فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بابليس (قوله أي أخبرت بالوحي) أي أخبرني جبريل وظاهر الآية أن النبي لم يشعر بهم ولا باستماعهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته وبه قيل والصحيح انه رآهم وعلم بهم ويجاب عن الآية بان مصب الايحاء قصة الجن مع قومهم حين رجعوا اليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أنه استمع) ان وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل أوحي والتقدير أوحي الي استماع (قوله نفر من الجن) النفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة * واختلف في عددهم فقيل كانوا تسعة وقيل سبعة (قوله جن نصيبين) قرية باليمن بالصرف على الاصل وعدمه للعلمية والعجمة (قوله في صلاة الصبح) وذلك انه سار النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ وهو سوق معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده في

بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن الآية (فقالوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك (يهدي إلى الرشد) الإيمان والصواب (فآمنا به ولن نشرك) بعد اليوم (بربنا أحدا وأنه) الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده (تعالى جد ربنا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا (على الله شططا) غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد (وأنا ظننا أن) مخففة أي أنه (لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك قال تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون) يستعيذون (برجال من الجن) حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فزادوهم) بعوذهم بهم (رهقا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والإنس (وأنهم) أي الجن (ظنوا كما ظننتم) يا إنس (أن) مخففة أي أنه (لن يبعث الله أحدا) بعد موته قال الجن (وأنا لمسنا السماء) رمنا استراق السمع منها (فوجدناها ملئت حرسا) من الملائكة (شديدا وشهبا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأنا كنا) أي قبل مبعثه (نقعد منها مقاعد للسمع) أي نستمع (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي أرصد له ليرمى به (وأنا لا ندري

كل سنة مرة في الجاهلية وأول الإسلام وكان في ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فقال بعضهم لبعض ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بيننا وبين السماء حتى منعنا بالشهب فانطلق جماعة منهم فرأوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو يصلي الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن وقيل اقرأ باسم ربك وكان ببطن نخل قاصدين سوق عكاظ فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا الخ (قوله بين مكة والطائف) بينه وبين مكة مسيرة ليلة (قوله في فصاحته) في بمعنى من فهو بدل مما قبله أو هي سببية (قوله وغزارة معانيه) أي كثرتها (قوله وغير ذلك) كالأخبار بالمغيبات (قوله ولن نشرك بربنا أحدا) هذا يدل على أنهم كانوا مشركين وروي أنهم كانوا يهودا وقيل إن منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (قوله وفي الموضعين بعده) أي وهما وأنه كان يقول وأنه كان رجال واسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبرها وهي واسمها وخبرها خبر أن (قوله جد ربنا) الجد يطلق على معان منها العظمة وهي المرادة هنا ومنها الغنى والحظ ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد ومنها أبو الأب وأما الجد بالكسر فهو السرعة في الشيء ضد التأني (قوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها (قوله وأنا ظننا الخ) اعتذار من هؤلاء النفر عما صدر منهم قبل الإيمان من الشرك وإيضاحه أنهم يقولون إنا ظننا واعتقدنا أن أحدا لا يكذب على الله وأن ما قاله سفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد إليه حق وصدق فلما سمعنا القرآن أسلمنا وعلمنا أنه كذب (قوله مخففة) أي واسمها ضمير الشأن مضمر والجملة المنفية خبرها (قوله كذبا) نعت مصدر محذوف أي قولا كذبا (قوله بوصفه بذلك) أي بالصاحبة والولد (قوله حتى تبينا كذبهم) أي ظهر لنا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذه المقالة والتي بعدها من كلامه تعالى مذكورتان في خلال كلام الجن المحكي عنهم وهو أحد قولين وقيل إنهما أيضا من كلام الجن (قوله كان رجال) أي في الجاهلية (قوله حين ينزلون الخ) أي وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا واديا عبثت بهم الجن في بعض الأحيان لأنهم كانوا لا يتحصنون بذكر الله وليس لهم دين صحيح يحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح فلا يرى إلا خيرا وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الإسلام صار التعوذ بالله لا بالجن (قوله فزادوهم) الواو عبارة عن رجال الإنس والهاء عبارة عن رجال الجن (قوله فقالوا) أي الجن المستعاذ بهم (قوله سدنا الجن) بضم السين أي حصلت لنا السيادة على الجن غير الذين قهرناهم وسدنا الإنس الذين استعاذوا بنا وهذه المقالة سبب الطغيان (قوله أن لن يبعث الله أحدا) هذه الجملة سادة مسد مفعولي الظن والمسئلة من باب التنازع أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف (قوله رمنا) أي قصدنا وطلبنا (قوله فوجدناها ملئت الخ) الضمير مفعول أول لوجد وجملة ملئت مفعول ثان لها وحرسا تمييز جمع حارس كخدم وخادم (قوله وشهبا) جمع شهاب ككتب وكتاب (قوله نجوما محرقة) المناسب أن يقول شعلا منفصلة من نار الكواكب لأن الشهاب شعلة من نار تنفصل من الكواكب وتقدم ذلك عن المفسر (قوله وذلك) أي امتلاؤها بالحرس والشهب (قوله مقاعد للسمع) أي لأجل الاستماع (قوله الآن) ظرف حالي والمراد الاستقبال والحاصل أن الشياطين كانوا أولا يسترقون السمع فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بغير شهب فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالشهب فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملأ الفضاء وصارت لا تخطئهم فمنعوا من الصعود بالكلية لكن ما زالوا يتوجهون إلى الصعود فتعاجلهم الشهب (قوله رصدا) صفة لشهابا وهو بمعنى اسم المفعول أي مرصودا له (قوله

أشر أريد) بعدم استراق السمع (بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) بعد استماع القرآن (ومنا دون ذلك) أى قوم غير صالحين (كنا طرائق قددا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين (وانا ظننا أن) مخففة أى أنه (لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا) أى لا نفوته كائنين فى الارض أو هاربين منها الى السماء (وانا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) بتقدير هو بعد الفاء (بخسا) نقصا من حسناته (ولا رهقا) ظلما بالزيادة فى سيآته (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون بكفرهم (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) قصدوا هدايته (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وقودا وانا وانهم وانه فى اثنى عشر موضعا هى وانه تعالى وانا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافا وبفتحها بما يوجه به قال تعالى فى كفار مكة (وأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانهم وهو معطوف على انه استمع (لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين (لنفتنهم) لنختبرهم (فيه) فنعلم كيف شكرهم علم ظهور

أشر أريد الخ) قيل القائل ذلك ابليس وقيل الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الايمان والكفر (قوله ومنا دون ذلك) خبر مقدم ودون مبتدأ مؤخر اما بمعنى غير وفتح لاضافته لغير متمكن أو صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير ومن ذلك قولهم منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن الخ (قوله أى قوم غير صالحين) أى غير مسلمين (قوله كنا طرائق) أى ذوى مذاهب مختلفة وأديان متفرقة (قوله قددا) جمع قدة بالكسر وهى فى الاصل الطريق والسيرة فاستعمالها فى الفرق مجاز (قوله وانا ظننا) أى علمنا وتيقنا (قوله فى الارض) حال وكذا قوله هربا (قوله بتقدير هو) أى بعد الفاء فهو جملة اسمية ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جوابا للشرط (قوله وانا منا المسلمون) أى وانا بعد سماعنا القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر (قوله الجائرون) أى فالقاسط الجائر وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل وأعاد هاتين الجملتين مع ذكرهما أولا ليصرح بمجازاة المسلم وضده (قوله فكانوا لجهنم حطبا) ان قلت الجن مخلوقون من النار فكيف يعذبون بها أجيب بأنهم وان خلقوا منها لكن هم ضعاف والنار قوية وقوى النار يأكل ضعيفها (قوله وانا وانهم وانه) مبتدأ وقوله فى اثنى عشر موضعا خبر أول وقوله بكسر الهمزة خبر ثان وقوله هى مبتدأ وأنه تعالى الخ خبر والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر وقوله وانا أى فى ثمان مواضع وانا ظننا وانا لمسنا الخ وقوله وانهم أى فى موضع واحد وانهم ظنوا وقوله وانه أى فى ثلاثة مواضع وانه تعالى وانه كان يقول وانه كان رجال فصح قوله فى اثنى عشر موضعا وقوله وانه تعالى أى هى أولها وآخرها وانا منا المسلمون وما بينهما أى بين الاول والآخر وهو عشرة مواضع وقبل هذه الاثنى عشر موضعان أحدهما بالفتح لا غير أنه استمع نفر وثانيهما بالكسر لا غير انا سمعنا قرآنا عجبا وبعدها موضعان أحدهما بالفتح لا غير وأن المساجد لله وثانيهما فيه الوجهان وانه لما قام عبد الله فالجملة ستة عشر علم تفصيلها فتدبر (قوله بما يوجه به) أى بأن يؤول بمصدر أو يعطف على المصدر (قوله قال تعالى فى كفار مكة) أشار بذلك الى أن قوله وان لو استقاموا الى آخره ليس متعلقا بالجن بل هو من جملة الموحى به (قوله وهو معطوف على انه استمع) أى والتقدير أوحى الى استماع نفر وكونهم لو استقاموا الخ (قوله لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمن هؤلاء الكفار لبسطنا لهم الرزق ووسعنا عليهم فى الدنيا زيادة على ما يحصل لهم فى الآخرة من النعيم الدائم فيحوزون عز الدنيا والآخرة والعامة على كسر واو لو على الاصل وقرئ شذوذا بضمها تشبيها بواو الضمير (قوله أى طريقة الاسلام) أى بالعمل بها وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله لأسقيناهم الخ) ليس المراد خصوص السقى بل المراد التوسعة عليهم فى الدنيا وبسط الرزق وانما اقتصر على ذكر الماء لان الخير والرزق كله فى الماء فهو أصل الارزاق قال عمر أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة (قوله غدقا) بفتحتين فى السبع وقرئ شذوذا بفتح الغين وكسر الدال وهو مصدر غدق من باب تعب يقال غدقت عينه تغدق أى هطل دمعها وغدقت العين غدقا كثر ماؤها (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على معلوم من السياق والتقدير ونزول الآية كان بعد ما رفع الخ (قوله لنفتنهم فيه) أى الماء وفى للسببية (قوله علم ظهور) أى للخلائق والا فهو تعالى لا يخفى عليه شئ فالمعنى ليظهر لهم متعلق علمنا وفى الآية معنى اشارى للصوفية وهو ان العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك فى مرضاة الله تعالى لملأ الله قلوبهم بالاسرار والمعارف والمحبة الشبيهة بالماء فى كونها حياة الارواح كما ان الماء حياة الاجسام فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا ويخرجوا عن الاهل والاوطان فالاستقامة

(ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن (نسلكه) بالنون والياء ندخله (عذابا صعدا) شاقا (وأن المساجد) مواضع الصلاة (لله فلا تدعوا) فيها (مع الله أحدا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا (وأنه) بالفتح والكسر استئنافا والضمير للشأن (لما قام عبد الله) محمد النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعبده ببطن نخل (كادوا) أى الجن المستمعون لقراءته (يكونون عليه لبدا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن (قال) مجيبا للكفار في قولهم ارجع عما أنت فيه وفي قراءة قل (انما أدعوا ربى) الها (ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضرا) غيا (ولا رشدا) خيرا (قل انى لن يجيرنى من الله) من عذابه ان عصيته (أحد ولن أجد من دونه) أى غيره (ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا) استثناء من مفعول أملك أى لا أملك لكم الا البلاغ اليكم (من الله) أى عنه (ورسالاته) عطف على بلاغا وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة (ومن يعص الله ورسوله) في التوحيد فلم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين) حال من ضمير من في له رعاية لمعناها وهي حال مقدرة والمعنى يدخلونها مقدرا خلودهم (فيها أبدا حتى اذا رأوا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أى لا يزالون على كفرهم الى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة

سبب للرزق الظاهري والباطني (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ندخله) أشار بذلك الى أنه ضمن نسلك معنى ندخل فعداه للمفعول الثاني بنفسه (قوله صعدا) مصدر صعد بكسر العين كفرح وصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل (قوله شاقا) هذا تفسير باللازم والا فمعنى الصعود العلو والارتفاع (قوله وان المساجد لله) هو من جملة الموحى به أى وأوحى الىّ كون المساجد مختصة بالله * واختلف في المراد بالمساجد فقيل هي جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود فالمراد بها جميع البقاع لان الارض جعلت كلها مسجدا لهذه الأمة وقيل جمع مسجد بالفتح وهو الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء نعم أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغير الله فتجحد نعمة الله وقيل المراد بها الاماكن المبنية للعبادة واضافة المساجد الى الله تعالى للتشريف والتكريم وقد تنسب لغيره على سبيل التعريف كما في الحديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى لا تعبدوا غير الله وهو توبيخ للمشركين في عبادتهم الاصنام وقيل المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما في الحديث من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وفي الحديث كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار واذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا أى غنى (قوله وانه لما قام عبد الله الخ) سياق هذه الآية انما يظهر في المرة الثانية وهي التي كانت في الحجون وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن اذ ذاك اثنى عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وبايع جميعهم وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر ووصفه الله بالعبودية زيادة في تشريفه وتكريمه (قوله ببطن نخل) المناسب أن يقول بحجون مكة وهي المرة الثانية وأما الاولى التي هي ببطن نخل فكانوا سبعة أو تسعة فلا يتأتى قوله كادوا يكونون عليه لبدا (قوله بكسر اللام وضمها) أى فهما سبعيتان (قوله جمع لبدة) أى بكسر اللام كسدرة وسدر على قراءة الكسر أو ضمها كغرفة وغرف على قراءة الضم (قوله قال انما أدعو ربي الخ) سبب نزولها ان كفار قريش قالوا له انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك وننصرك (قوله وفي قراءة قل) أى وهي سبعية أيضا وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة للخطاب (قوله الها) قدره اشارة الى أن ادعو بمعنى أعبد فتتعدى لمفعولين ولو فسرها بأعبد لاستغنى عن هذا التقدير (قوله غيا) أشار بذلك الى أن المراد بالضر الغي فأطلق المسبب وأراد السبب فان الضر سببه الغي فهو مجاز مرسل وكذا يقال في قوله ولا رشدا (قوله قل انى لن يجيرني الخ) بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره (قوله استثناء من مفعول املك) أى من مجموع الامرين وهما قوله ضرا أو رشدا بعد تأويلهما بشيأ كأنه قال لا أملك لكم شيأ الا بلاغا فهو استثناء متصل وجملة قل انى لن يجيرني الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه أتى بها لتأكيد نفي الاستطاعة (قوله عطف على بلاغا) أى كأنه قال لا أملك لكم الا التبليغ والرسالة والمعنى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا وان أبلغ رسالاته أى أحكامه التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (قوله في التوحيد) أخذ ذلك من قوله خالدين فيها أبدا لان الخلود قرينة كون المراد بالعاصي الكافر (قوله فان له نار جهنم) العامة على كسر ان لوقوعها بعد فاء الجزاء وقرئ شذوذا بفتحها على انها مع ما في حيزها في تأويل مصدر خبر لمحذوف والتقدير فجزاؤه ان له نار جهنم (قوله في له) أى حال من الهاء المجرورة باللام (قوله فسيعلمون) جواب اذا والسين لمجرد

(من أضعف ناصرا وأقل عددا) أعوانا أهم أم المؤمنون على القول الاول أو أنا أم هم على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل (قل إن) أي ما (أدرى أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربي أمدا) غاية وأجلا لا يعلمه الا هو (عالم الغيب) ماغاب به عن العباد (فلا يظهر) يطلع (على غيبه أحدا) من الناس (الامن ارتضى من رسول فانه) مع اطلاعه على ماشاء منه معجزة له (يسلك) يجعل ويسير (من بين يديه) أي الرسول (ومن خلفه رصدا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي (ليعلم) الله علم ظهور (أن) مخففة من الثقيلة أي انه (قد أبلغوا) أي الرسل (رسالات ربهم) روعي بجمع الضمير معنى من (وأحاط بما لديهم) عطف على مقدر أي فعلم ذلك (وأحصى كل شيء عددا) تمييز وهو محوّل عن المفعول والاصل أحصى عدد كل شيء

﴿ سورة المزمل مكية أو الا قوله ان ربك يعلم الى آخرها فدنى تسع عشرة أوعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ياأيها المزمل) النبي وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاى أي المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفامنه لهيبته

أنا تأكيد لا لاستقبال لان وقت رؤية العذاب يحصل العلم المذكور (قوله من أضعف ناصرا) من اما استفهامية مبتدأ وأضعف خبره أو موصولة وأضعف خبر لمحذوف أي هو أضعف والجملة صلة الموصول وناصرا وعددا تمييزان محولان عن المبتدا على حد أنا أكثر منك مالا (قوله أو أنا) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا التوزيع تكلف لاداعي له بل يصلح كل من المعنيين لكل من القولين (قوله فقال بعضهم) هو النضر بن الحرث وقال هذا استهزاء به صلى الله عليه وسلم وانكارا للعذاب (قوله أقريب) مبتدأ وماتوعدون فاعل سد مسد الخبر وما موصولة وعائدها محذوف أو مصدرية (قوله من العذاب) بيان لما (قوله لا يعلمه الا هو) صفة لاجلا (قوله عالم الغيب) بالرفع في قراءة العامة على انه بدل من ربي أو خبر لمحذوف وقرئ شذوذا بالنصب على المدح وقرئ شذوذا علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب (قوله ماغاب به) المناسب حذف قوله به (قوله فلا يظهر على غيبه أحدا) أي اظهارا تاما كاملا يستحيل تخلفه فليس في الآية ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف ولكن اطلاع الانبياء على الغيب أقوى من اطلاع الاولياء لان اطلاع الانبياء يكون بالوحي وهو معصوم من كل نقص بخلاف اطلاع الاولياء فعصمة الانبياء واجبة وعصمة الاولياء جائزة (قوله الامن ارتضى) أي الارسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه فانه يظهره على ما يشاء من غيبه (قوله فانه يسلك الخ) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء كأنه قال الامن ارتضى من رسول فانه اذا أراد اظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرض الشياطين له (قوله ملائكة يحفظونه) أي من الجن قال قتادة وغيره كان الله اذا بعث رسولا أتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذره فاذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (قوله ليعلم الله الخ) متعلق بيسلك غاية له وقوله علم ظهور دفع به ما قد يتوهم من قوله ليعلم ان العلم متجدد فأجاب بأن المعنى ليظهر متعلق علمه (قوله رسالات ربهم) أي كما هي محفوظة من الزيادة والنقصان (قوله معنى من) أي في قوله من ارتضى (قوله وأحاط بما لديهم) الضمير عائد على الرسل والملائكة والمعنى أحاط علمه بما عند الرسل والملائكة (قوله وأحصى كل شيء عددا) أي من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار وجميع الاشياء جليلها وحقيرها وهذا كالتعليل لقوله وأحاط بما لديهم

﴿ سورة المزمل مكية ﴾

أي وهو قول الجمهور لانها أول ما نزل بعد آية اقرأ وقوله أو الا قوله الخ هذا قول الثعلبي وعليه فهو ناسخ لاول السورة وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها ولم ينزل آخرها عقب أولها بل بينهما مدة أكثر ما قيل فيها عشر سنين (قوله ياأيها المزمل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واختلف في معنى المزمل فقيل المتلفف بثيابه وهو ماشى عليه المفسر وقيل المزمل بالنبوة والمدثر بالرسالة وقيل المزمل بالقرآن وقيل معناه ياأيها الذى زمل هذا الأمر أي حمله واعلم ان هذا الوصف أثبته العلماء من جملة أسمائه صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وخالف في ذلك السهيلي محتجا بانه اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب ورد بأن هذا لا يضر في التسمية وأيضا فاسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية وقد ورد نداؤه به في القرآن وحينئذ فيجوز لنا ان نطلقه عليه (قوله أدغمت التاء في الزاى) أي بعد قلبها زايا (قوله حين مجيء الوحي) أي جبريل في ابتداء الرسالة بعد ان جاءه باقرأ باسم ربك وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حراء رجع الى خديجة ترجف بوادره فقال زملوني زملوني لقد

خشيت على نفسي أي من عدم القيام بحقه لهيبته وجلاله فقالت له خديجة وكانت وزيرة صدق رضي الله عنها كلا والله ما يخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق (قوله قم الليل) العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ شذوذا بضمها وفتحها والليل ظرف للقيام على طريقة البصريين أو مفعول به على طريقة الكوفيين والامر للوجوب واختلف فيه فقيل كان واجبا عليه وعلى أمته وقيل كان واجبا عليه وعلى جميع الانبياء قبله وقيل خاص به صلى الله عليه وسلم ثم نسخ التعيين بآخر السورة ثم نسخ بالصلوات الخمس (قوله صل) أي فالمعنى قم للصلاة والعبادة (قوله وقلته الخ) جواب عما يقال ان النصف مساو للنصف الآخر لا قليل فأجاب بأنه يوصف بالقلة بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر (قوله الى الثلث) أي انقص من النصف الذي تمامه فمعناه قم ثلثي الليل وقوله الى الثلثين أي زد على النصف الذي تمامه حتى تبلغ الثلثين فمعناه قم ثلث الليل فحصل ان المعنى قم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب المخير (قوله ورتل القرآن) أي في اثناء قيامك والمعنى اقرأه بترتيل وتؤدة وسكينة ووقار (قوله انا سنلقي الخ) هذه الجملة معترضة بين الأمر بقيام الليل وتعليله بقوله ان ناشئة الليل وفي الحقيقة هذه الجملة أيضا تصلح ان تكون علة للامر بقيام الليل كانه قال قم الليل لتتهيأ لتحمل القول الثقيل الذي سننزله عليك (قوله مهيبا) أي عظيما جليلا واختلف في معنى كونه ثقيلا فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين لانه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم وقيل ثقيل بمعنى كريم وقيل ثقيل لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد والجامع من هذا ان معناه كثير الفوائد والمعاني لا يدركه عقل واحد فهو كالبحر المحيط الذي لا ينقص بالاغتراف فجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يغترفون منه قال البوصيري

لها معان كموج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم

فلا تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسأم

وما مشى عليه المفسر من ان المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال وقيل ان المراد به الوحي لما في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحي اليه وهو على ناقته وضعت صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وقالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لما ورد انها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان (قوله القيام بعد النوم) أشار بذلك الى ان ناشئة مصدر نشأ اذا قام ونهض كالعاقبة والعافية ويصح أن تكون صفة لمحذوف أي ان النفس الناشئة بالليل أي القائمة فيه أشد وطأ الخ (قوله وطأ) تمييز أي من جهة المواطأة أي الموافقة فيها (قوله موافقة السمع للقلب) أي ان هذا الوقت توافق الحواس القلب فكل ما وقع في الحواس وعاه القلب لخلو القلب عن الشواغل ولا مفهوم لقول المفسر السمع وفي وطأ قراءتان سبعيتان كسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة ومعناهما ما قاله المفسر (قوله أبين قولا) أي أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لسكون الاصوات (قوله سبحا طويلا) السبح مصدر سبح استعير من السباحة في الماء للتصرف في الاشغال (قوله لا تفرغ فيه الخ) أي فعليك بها في الليل الذي هو محل الفراغ وفرغ من باب دخل (قوله أي قل بسم الله الرحمن الرحيم الخ) تبع في ذلك السهيلي وقال جمهور المفسرين ان قوله واذكر اسم ربك عام بعد خاص والمعنى دم عليه ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتحميد وتهليل ونحو ذلك (قوله انقطع اليه في العبادة) أي أخلص العبادة لوجهه (قوله مصدر بتل) أي كعلم تعليما على حد قول ابن مالك

وغير ذي ثلاثة مقيس * مصدره كقدس التقديس

(قم الليل) صل (الا قليلا نصفه) بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل (أو انقص منه) من النصف (قليلا) الى الثلث (أو زد عليه) الى الثلثين وأو للتخيير (ورتل القرآن) تثبت في تلاوته (ترتيلا انا سنلقي عليك قولا) قرآنا (ثقيلا) مهيبا أو شديدا لما فيه من التكاليف (ان ناشئة الليل) القيام بعد النوم (هي أشد وطأ) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وأقوم قيلا) أبين قولا (ان لك في النهار سبحا طويلا) تصرفا في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن (واذكر اسم ربك) أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك (وتبتل) انقطع (اليه) في العبادة (تبتيلا) مصدر بتل

جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل هو (رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذه وكيلا) موكولا له أمورك (واصبر على ما يقولون) أى كفار مكة من أذاهم (واهجرهم هجرا جميلا) لا جزع فيه وهذا قبل الامر بقتالهم (وذرني) اتركني (والمكذبين) عطف على المفعول أو مفعول معه والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش (اولى النعمة) التنعم (ومهلهم قليلا) من الزمن

فقتلوا بعد يسير منه ببدر (ان لدينا أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل بكسر النون (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) يغص به فى الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وعذابا أليما) مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم (يوم ترجف) تزلزل (الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الهاء وحذفت الواو ثانى الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء (انا أرسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) هو موسى عليه الصلاة والسلام (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا (فكيف تتقون ان كفرتم) فى الدنيا (يوما) مفعول تتقون أى عذابه أى بأى حصن تتحصنون من عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والاصل فى شيب شيبا الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال وهو مجاز ويجوز أن يكون المراد فى الآية الحقيقة (السماء منفطر) ذات انفطار أى انشقاق

وهذا اشارة لسؤال حاصله ان هذا المصدر ليس لهذا الفعل وانما هو مصدر لفعل آخر اجاب عنه بجوابين الاول قوله جيء به لرعاية الفواصل والثانى قوله وهو ملزوم التبتل وايضاحه أن التبتل الذى هو مصدر تبتل كتكرم أطلق وأريد التبتيل الذى هو مصدر بتل كقدس لكونه لازما له ومن مادته (قوله هو رب المشرق) أشار بذلك الى ان قوله رب المشرق بالرفع خبر لمحذوف ويصح قراءته بالجر بدل من ربك والقراءتان سبعيتان (قوله فاتخذه وكيلا) نتيجة ما قبله والمعنى حيث علمت انه مالك المشرق والمغرب ولا اله غيره فاعتمد عليه وفوض أمورك اليه (قوله واصبر على ما يقولون) هذا شروع فى بيان كيفية معاملته للخلق اثر بيان كيفية معاملته للخالق (قوله واهجرهم هجرا جميلا) أى بان تذرهم ولا تكافئهم بافعالهم فالهجر الجميل هو الترك مع عدم الايذاء (قوله وهذا قبل الامر بقتالهم) أى فهو منسوخ بآية القتال (قوله وذرنى والمكذبين) أى لا تشفع لهم ولا تحل بينى وبينهم بل اتركنى معهم انتقم منهم وهذا من مزيد تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم واجلال قدره (قوله أولى النعمة) نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الشيء المنعم به وبالضم السرور (قوله ومهلهم قليلا) أى بلغهم عنى أنى ممهل لهم زمنا قليلا وهو الى خروجك من مكة فلما خرج صلى الله عليه وسلم منها سلط الله عليهم السنين المجدبة وهو العذاب العام ثم قتل صناديدهم ببدر وهو العذاب الخاص (قوله ان لدينا أنكالا الخ) هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة اثر الوعيد بعذاب الدنيا (قوله جمع نكل) أى وهو القيد وقيل الغل (قوله وهو الزقوم) تقدم فى الدخان انه شجر مر من أخبث الشجر (قوله أو الضريع) سيأتى للمفسر فى الغاشية أنه نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه (قوله أو الغسلين) تقدم فى الحاقة أنه صديد أهل النار (قوله لا يخرج ولا ينزل) تفسير لقوله يغص به فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله يوم ترجف الخ) ظرف منصوب بما تعلق به قوله لدينا والتقدير استقر لهم عندنا ما ذكر يوم ترجف الخ (قوله تزلزل) أصله تتزلزل حذفت منه احدى التاءين (قوله وكانت الجبال) أى وتكون فعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وحذفت الواو) أى عند سيبويه وانما كانت أولى بالحذف لانها زائدة ولذا اختاره المفسر وقال الكسائى ان المحذوف الياء لان القاعدة ان الذى يحذف لالتقاء الساكنين هو الاول (قوله يا أهل مكة) أى ففيه التفات من الغيبة الى الخطاب (قوله كما أرسلنا الى فرعون الخ) خص موسى وفرعون بالذكر لان قصتهما مشهورة عند أهل مكة (قوله فعصى فرعون الرسول) أل للعهد الذكرى لانه تقدم ذكره فى قوله رسولا والقاعدة ان النكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الاولى (قوله شديدا) هذا قول ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل أى شديد وقيل الوبيل الثقيل الغليظ وقيل المهلك (قوله فكيف تتقون ان كفرتم) أى لا سبيل لكم الى الوقاية من عذاب ذلك اليوم ان وقع الكفر منكم فى الدنيا (قوله يجعل الولدان الخ) هذه الجملة صفة ليوما والضمير فى يجعل اما عائد على الله أو على اليوم مبالغة أى ان نفس اليوم يجعل الولدان شيبا (قوله وهو مجاز) أى لفظ الشيب مجاز أى كناية عن شدة الهول (قوله ويجوز الخ) أى فيكون الشيب على حقيقته ولا مانع منه ثم فى كلام المفسر اجمال وايضاحه أن يقال ان كون الشيب على حقيقته مبنى على ان المراد باليوم آخر أوقات الدنيا وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وكونه مجازا مبنى على ان المراد باليوم النفخة الثانية لان القيامة ليس فيها شيب (قوله السماء منفطر به) صفة ثانية ليوما (قوله ذات انفطار) جواب عما يقال لم لم تؤنث الصفة فيقال منفطرة فأجاب بان هذه صيغة نسبة أى ذات انفطار ويجاب أيضا بان السماء تذكر باعتبار انها سقف قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا

(قوله

(به) بذلك اليوم لشدته (كان وعده) تعالى بمجىء ذلك اليوم (مفعولا) أى هو كائن لا محالة (ان هذه) الآيات المخوفة (تذكرة) عظة للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بالايمان والطاعة (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) بالجر عطف على ثلثى وبالنصب عطف على أدنى وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وطائفة من الذين معك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسى به ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل وكم بقى منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت اقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم قال تعالى (والله يقدر) يحصى (الليل والنهار علم أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى انه (ان تحصوه) أى الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فتاب عليكم) رجع بكم الى التخفيف (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فى الصلاة بان تصلوا ما تيسر (علم أن) مخففة من الثقيلة أى أنه (سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض) يسافرون (يبتغون من فضل الله) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر فى قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس

(قوله به) الباء بمعنى فى (قوله كان وعده تعالى) أشار به الى ان اضافة وعده للضمير من اضافة المصدر لفاعله وهو الله تعالى (قوله ان هذه الآيات) أى القرآنية وهى قوله ان لدينا الخ ويصح أن يكون اسم الاشارة عائدا على السورة بتمامها (قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) من شرطية وشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف أى النجاة وجملة اتخذ الى ربه سبيلا جواب الشرط ويصح أن يكون جملة شاء اتخذ الى ربه سبيلا فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فليفعل (قوله بالايمان والطاعة) أشار بذلك الى ان المراد باتخاذ السبيل التقرب الى الله تعالى بامتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله ان ربك يعلم الخ) شروع فى بيان الناسخ لقوله قم الليل الخ ومحله قوله فتاب عليكم وما قبله توطئة وتمهيد له (قوله أقل من ثلثى الليل الخ) ان قلت ان الاقلية باعتبار الثلثين والنصف ظاهرة ولا تظهر بالنسبة للثلث لانهم غير مأمورين بالنقص عنه بل هم مخيرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف والثلث وهذا على قراءة الجر وقد يجاب بان معنى قوله أدنى التقريب أى يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثى الليل الخ وعبر بالادنى لانها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية وهم مكلفون بالظن لا التحقيق والتحرير بالدقيقة (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عطف على أدنى) أى فهو معمول لتقوم والمعنى تقوم نصفه تارة وثلثه تارة أخرى (قوله وقيامه) مبتدأ وقوله نحو ما أمر به خبره أى مثله فقوله هنا أدنى من ثلثى الليل المراد به الثلثان على سبيل التقريب وهو المذكور أولا بقوله أو انقص منه قليلا وقوله ونصفه المراد به النصف تقريبا وهو المذكور أولا بقوله قم الليل الا قليلا نصفه وقوله وثلثه المراد به الثلث تقريبا وهو المذكور أولا بقوله أو زد عليه ولا يحتاج لقولنا تقريبا الا على قراءة الجر وأما قراءة النصب فظاهرة (قوله وجاز) أى العطف على ضمير الرفع المتصل من غير تأكيد بالضمير المنفصل وقوله للفصل أى بغير الضمير على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وقيام طائفة) مبتدأ وقوله للتأسى به خبره وقوله كذلك أى ثلثين ونصفا وثلثا (قوله ومنهم من كان لا يدرى الخ) بيان للطائفة الاخرى التى لم تتأس به فافترقت الصحابة فرقتين فرقة تأست به فى قيام الثلثين والنصف والثلث وفرقة شددوا على أنفسهم فاحيوا الجميع (قوله سنة) أى على القول بان السورة كلها مكية وقوله أو أكثر أى ستة عشر شهرا على القول بانها مكية أيضا أو عشر سنين على القول ان قوله ان ربك يعلم الخ مدنى (قوله فخفف عنهم) أى عن الطائفتين من الصحابة (قوله أى الليل) أشار بذلك الى ان الضمير عائد على الليل لانه المحدث عنه من أول السورة (قوله رجع بكم الى التخفيف) أى فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنوب لكونهم لم يفعلوا ذنوبا (قوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن) بيان للناسخ فنسخ التقدير بالاجزاء الثلاثة الى جزء مطلق من الليل (قوله فى الصلاة) بيان لمعنى القراءة فى الاصل (قوله بان تصلوا) أشار بذلك الى ان المراد بالقراءة الصلاة من اطلاق الجزء على الكل (قوله ما تيسر) أى ولو ركعتين (قوله علم أن سيكون الخ) استئناف مبين لحكمة أخرى للترخيص والتخفيف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واسمها ضمير الشأن وجملة سيكون خبرها ومرضى اسم يكون ومنكم خبرها (قوله وآخرون يضربون فى الارض الخ) سوى الله تعالى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله اشارة الى ان كسب المال بمنزلة الجهاد لما ورد فى الحديث ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله وقال ابن مسعود أيما رجل جلب شيأ من مدينة من مدائن الاسلام صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون يضربون فى الارض الآية (قوله وغيرها) أى كطالب العلم وصلة الرحم (قوله فاقرؤا ما تيسر منه) انما كرره تأكيدا ولكونه قرنه بحكم أخرى غير الاولى (قوله ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس) أى فى حق الامة اتفاقا وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم بل بقى وجوب التهجد عليه لكن فى خصوص الحضر وقال الشافعى نسخ فى حقه أيضا

ان قلت ان وجوب الصلوات الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافيا للحكم المنسوخ فالحق ان النسخ بالحديث وهو انه صلى الله عليه وسلم اخبر اعرابيا بان الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة فقال الاعرابي هل على غيرها يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم لا الا ان تطوع فقوله لا نفي وجوب أي صلاة كانت غير الخمس (قوله وما تقدموا لانفسكم) ما شرطية وتجدوه جواب الشرط ومن خير بيان لما وعند الله ظرف لتجدوه وخيرا مفعول ثان لتجدوه (قوله مما خلفتم) أي وراءكم ان الذي خلفه وراءه ميراث لغيره فلا خير فيه له فالاحسن أن يقول مما أنفقتم على أنفسكم في العاجل (قوله وهو فصل) أي ضمير فصل (قوله وما بعده الخ) أشار بذلك لسؤال حاصله ان ضمير الفصل لا يقع الابين معرفتين وهنا وقع بين معرفة ونكرة فاجاب بقوله يشبهها وقوله لامتناعه من التعريف أي لانه اسم تفضيل وهو لا يجوز دخول أل عليه اذا كان معه من لفظا أو تقديرا وهنا من مقدرة كانه قال هو معرفة لولا المانع وهو كونه مقرونا بمن (قوله واستغفروا الله) أي اطلبوا مغفرته في جميع أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط يوجب حجبه عن بركات الدنيا والآخرة ولا يزيل ذلك الحجاب الا الاستغفار كما قال تعالى فقلت استغفروا ربكم الآيات وكما قال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وفي الحديث ان العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه

(فاقرؤا ما تيسر منه) كما تقدم (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة وأقرضوا الله) بأن تنفقوا ماسوى المفروض من المال في سبيل الخير (قرضا حسنا) عن طيب قلب (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا) مما خلفتم وهو فصل وما بعده وان لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) للمؤمنين

﴿سورة المدثر مكية﴾

﴿سورة المدثر مكية خمس وخمسون آية﴾

أي بالاجماع (قوله يا أيها المدثر) وقع خلاف طويل في أول ما نزل من القرآن والصحيح ان أول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر الى فاهجر * والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في غار حراء فنزل جبريل بآية اقرأ كما في حديث البخاري فذهب بها يرجف فؤاده فقال لخديجة زملوني فنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ثم فتر الوحي فحزن صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال ويريد أن يرمي بنفسه فنودي وهو بغار حراء يا محمد انك رسول الله قال فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيأ فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد (قوله أدغمت التاء) أي بعد قلبها دالا وتسكينها (قوله أي المتلفف بثيابه) أي من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك وقيل المدثر بالنبوة والمعارف الالهية (قوله قم فأنذر) انما اقتصر على الانذار وان كان مبعوثا بالتبشير أيضا لانه في ذلك الوقت لم يكن أحد يصلح للتبشير الا قليل جدا فلما اتسع الاسلام نزل عليه انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (قوله وربك فكبر) أي خص ربك بالتكبير والتعظيم ظاهرا وباطنا والفاء في هذا وما بعده لافادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فكبر والمعنى اعتقد ان ربك منزه عن كل نقص متصف بكل كمال (قوله وثيابك فطهر عن النجاسة) أي لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لا تصح الابها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة لان المؤمن طاهر طيب لا يليق منه أن يحمل خبيثا وفي هذا رد على المشركين فانهم كانوا لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله تعالى أن يخالفهم في ذلك (قوله أو قصرها) أي لان تطويل الثياب شأنه اصابة النجاسة فعبر بالملزوم عن اللازم وتقصير الثياب مطلوب لما في الحديث ازار المؤمن الى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان على أسفل من ذلك ففي النار فمن السفه ان يطيل الرجل ثيابه ثم يتكلف رفعها بيده وورد من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال أبو بكر يارسول الله ان أحد شقي ازاري يسترخي الا اني أتعهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء فيؤخذ من ذلك ان تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلا فهو مكروه وان كان يتحفظ من

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يا أيها المدثر) النبي صلى الله عليه وسلم وأصله المتدثر أدغمت التاء في الدال أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه (قم فانذر) خوف أهل مكة النار ان لم يؤمنوا (وربك فكبر) عظم عن اشراك المشركين (وثيابك فطهر) عن النجاسة أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة

النجاسة وماذكره المفسر أحد اقوال فى تفسير الآية وقيل المراد طهر نفسك من الصفات المذمومة كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك مأخوذ من قولهم فلان طاهر الثياب والذيل اذا أرادوا وصفه بالنقاء من ادناس الاخلاق ومن ذلك قول عكرمة لا تلبسها على معصية ولا على غدر وقال الحسن خلقك فحسن وقال سعيد بن جبير قلبك وبيتك فطهر وقال مجاهد عملك فأصلح وقيل المراد بالثياب الاهل أى طهرهم عن الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمى الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن والآية صالحة لجميع تلك المعانى (قوله والرجز) بضم الراء وكسرها سبعيتان والزاى منقلبة عن السين ومعناهما واحد (قوله أى دم على هجره) دفع بذلك ما يقال لظاهر الآية يقتضى انه كان متلبسا بعبادة الاوثان وليس كذلك (قوله ولا تمنن) المن هنا الانعام والمعنى لا تعط شيأ مستكثرا له وقوله حال أى من فاعل تمنن (قوله أى لا تعط شيأ لتطلب أكثر منه) أى فالاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض بان يهب شيأ ويطمع ان يعوض من الموهوب له أكثر من الشئ الموهوب وقيل المعنى لا تعط شيأ مستكثرا له أى رائيا ما تعطيه كثيرا بل عده قليلا لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال البوصيرى

مستقل دنياك ان ينسب الامـ * ـساك منها اليه والاعطاء

وقوله أكثر منه أى ولا مساويا ولا أقل فالمراد النهى عن طلب العوض مطلقا ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه السلام خليفة الله الاعظم فى خلقه دنيا وأخرى يقسم عليهم من خزائن الله تعالى فجميع ما بذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل فلا يليق أن يراه كثيرا ولا ان يطلب عوضا من الفقراء وهو خليفة عن الغنى المطلق فتدبر (قوله وهذا) أى النهى وقوله خاص به أى وأما أمته فليس حراما فى حقهم (قوله فاذا نقر فى الناقور) من النقر وهو القرع الذى هو سبب الصوت فاطلق السبب وأريد المسبب وهو التصويت والمعنى اذا صوت اسرافيل فى الصور (قوله وهو القرن) أى وهو مستطيل سعته كما بين السماء والارض وفيه ثقب بعدد الارواح كلها وتجمع فى تلك الثقبة فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (قوله أى وقت النقر) أى الذى هو معنى اذا (قوله بدل مما قبله) أى وهو اسم الاشارة وقوله المبتدأ بيان لما وقوله و بنى أى لفظ يوم وقوله الى غير متمكن أى وهو اذ وتنوينها عوض عن الجملة أى يوم اذ نقر فى الناقور وقوله وخبر المبتدا يوم عسير أى لفظ يوم وقوله عسير صفة أولى له وغير يسير صفة ثانية (قوله مادلت عليه الجملة) أى جملة الجزاء وهى قوله فذلك يومئذ يوم عسير فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل فى اذا فالناصب لها مدلول جوابها لا جوابها نفسه (قوله على الكافرين) متعلق بعسير وقوله فيه دلالة أى فى التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على انه يسير على المؤمنين وأشار به الى جواب ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين و بشرى وتسلية للمؤمنين (قوله ذرنى) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه مزيد اجلال وتعظيم له واشعار بان رحمته صلى الله عليه وسلم غالبة على غضبه (قوله على المفعول) أى وهو الياء فى ذرنى (قوله أو مفعول معه) أى فالواو للمعية (قوله أو من ضميره المحذوف) أى عائده المحذوف من خلقت أى خلقته ويحتمل انه حال من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والاول أقرب (قوله هو الوليد بن المغيرة المخزومى) أى الذى تقدمت بعض أوصافه فى سورة ن (قوله وجعلت له) عطف على خلقت (قوله مالا ممدودا) اختلف فى مبلغه فقيل ألف دينار وقيل ستة آلاف وقيل تسعة آلاف مثقال فضة (قوله من الزروع) أى فكان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (قوله والضروع) أى المواشى (قوله عشرة) أى من الذكور وقد عد الخازن منهم سبعة وهم الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقوله أو أكثر قيل اثنى عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر وعلى كل فقد أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد (قوله شهودا) جمع شاهد بمعنى حاضر (قوله يشهدون المحافل) أى مجامع الناس لوجاهتهم بين الناس أو المراد الحضور مع أبيهم لعدم احتياجهم للسفر فهو

(والرجز) فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالاوثان (فاهجر) أى دم على هجره (ولا تمنن تستكثر) بالرفع حال أى لا تعط شيأ لتطلب أكثر منه وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم لانه مأمور باجمل الاخلاق وأشرف الآداب (ولربك فاصبر) على الاوامر والنواهى (فاذا نقر فى الناقور) نفخ فى الصور وهو القرن النفخة الثانية (فذلك) أى وقت النقر (يومئذ) بدل مما قبله المبتدأ وبنى لاضافته الى غير متمكن وخبر المبتدا (يوم عسير) والعامل فى اذا مادلت عليه الجملة أى اشتد الامر (على الكافرين غير يسير) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أى فى عسره (ذرنى) اتركنى (ومن خلقت) عطف على المفعول أو مفعول معه (وحيدا) حال من من أو من ضميره المحذوف من خلقت أى منفردا بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومى (وجعلت له مالا ممدودا) واسعا متصلا من الزروع والضروع والتجارة (وبنين) عشرة أو أكثر (شهودا) يشهدون المحافل

وتسمع شهادتهم (ومهدت) بسطت (له) فى العيش والعمر والولد (تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا) لا أزيده على ذلك (انه كان لآياتنا) أى القرآن (عنيدا) معاندا (سأرهقه) أكلفه (صعودا) مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدا (انه فكر) فيما يقول فى القرآن الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم (وقدر) فى نفسه ذلك (فقتل) لعن وعذب (كيف قدر) على أى حال كان تقديره (ثم قتل كيف قدر ثم نظر) فى وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه (ثم عبس) قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول (وبسر) زاد فى القبض والكلوح (ثم أدبر) عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم (فقال) فيما جاء به (ان) ما (هذا الا سحر يؤثر) ينقل عن السحرة (ان) ما (هذا الا قول البشر) كما قالوا انما يعلمه بشر (سأصليه) أدخله (سقر) جهنم (وما أدراك ما سقر) تعظيم لشأنها (لا تبقى ولا تذر) شيأ من لحم ولا عصب الا أهلكته ثم يعود كما كان (لواحة للبشر) محرقة

كناية عن كثرة النعم والخدم (قوله وتسمع شهادتهم) أى كلامهم (قوله ومهدت له تمهيدا) التمهيد فى الاصل التسوية والتهيئة أطلق وأريد به بسط المال والجاه (قوله بسطت له فى العيش والعمر والولد) أى حتى لقب ريحانة قريش والوحيد (قوله ثم يطمع) عطف على جعلت ومهدت (قوله لا أزيده) أى بل انقصه فقد ورد انه بعد نزول هذه الآية مازال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا بخدشة سهم أصابته فى رجله كما قال البوصيرى

وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء

(قوله انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع المستفاد من قوله كلا (قوله معاندا) العناد ينشأ من كبر فى النفس أو يبس فى الطبع أو شراسة فى الاخلاق أو خبل فى العقل (قوله يصعد فيه) أى سبعين عاما كلما وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت (قوله ثم يهوى) أى سبعين عاما (قوله أبدا) راجع لكل من الصعود والهوى (قوله انه فكر) أى ردد فكره فيما يطعن به فى القرآن وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام فى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقام أبو جهل وقال أنا أكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يا ابن أخى قال وما يمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وانك داخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة تسأل من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم انى من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر فى نفسه وقدر ثم قال ما هذا الا سحر يؤثر (قوله فقتل) أى فى الدنيا (قوله ثم قتل) أى فيما بعد الموت فى البرزخ والقيامة وثم للدلالة على ان الثانية أبلغ من الاولى فهى فى هذه المواضع للتراخى وكيف منصوبة على الحال من الضمير فى قدر وهى للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره (قوله فى وجوه قومه) أى نظر بعين الغضب من أجل الامر الذى قالوه فيه وقوله أو فيما يقدح به أى فى القرآن فالنظر على هذا بمعنى التأمل فيكون تأكيدا لقوله انه فكر وقدر (قوله ثم عبس) يقال عبس عبسا وعبوسا أى قطب وجهه والعبس يطلق على ما يبس فى أذناب الابل من البعر والبول وقوله وبسر يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض بين عينيه كراهية للشئ واسود وجهه منه يقال وجهه وجه باسر أى منقبض مسود فالبسور غاية فى العبوس (قوله والكلوح) مرادف للقبض (قوله واستكبر) عطف سبب (قوله الا سحر) أى أمور تخييلية لا حقائق لها وهى لدقتها تخفى أسبابها وقوله ينقل عن السحرة أى كمسيلمة وأهل بابل (قوله ان هذا الا قول البشر) نتيجة حصره فى السحر (قوله سأصليه سقر) بدل من قوله سأرهقه صعودا ثم ان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان صعود الجبل والهبوط فهو بدل اشتمال فتدبر (قوله ما سقر) ما مبتدأ وسقر خبره والجملة سدت مسد المفعول الثانى لادرى (قوله تعظيم لشأنها) أى نظير ما تقدم فى سورة الحاقة (قوله لا تبقى ولا تذر) حال وفيها معنى التعظيم والجملتان بمعنى واحد والعطف للتوكيد هذا ما يقتضيه صنيع المفسر (قوله لواحة للبشر) خبر مبتدا

محذوف

لظاهر الجلد (عليها تسعة عشر) ملكا خزنتها قال بعض الكفار وكان قويا شديد البأس أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين قال تعالى

(وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) أى فلا يطاقون كما يتوهمون (وما جعلنا عدتهم) ذلك (الا فتنة) ضلالا (للذين كفروا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (ليستيقن) ليستبين (الذين أوتوا الكتاب) أى اليهود صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى كونهم تسعة عشر الموافق لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتاب (ايمانا) تصديقا لموافقة ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم لما فى كتابهم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) من غيرهم فى عدد الملائكة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك بالمدينة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا) العدد (مثلا) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كذلك) أى مثل اضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك) أى الملائكة فى قوتهم وأعوانهم (الا هو وماهى) أى سقر (الا ذكرى للبشر كلا) استفتاح بمعنى الا (والقمر والليل اذا) بفتح الذال (أدبر) جاء بعد النهار وفى قراءة اذ أدبر بسكون الذال بعدها همزة أى مضى (والصبح اذا أسفر) ظهر (انها) أى سقر (لاحدى الكبر) البلايا العظام (نذيرا) حال من احدى وذكر لانها من العذاب (للبشر لمن شاء منكم) بدل من البشر (ان يتقدم) الى الخير أو الجنة بالايمان (أو يتأخر) الى الشر أو النار بالكفر

محذوف وقوله محرقة لظاهر الجلد أى فالمراد بالبشر الجلد ويطلق البشر على الناس جميعا أو معنى لواحة تظهر لهم وتلوح قبل ان يسقطوا فيها ولكن المعنى الاول أقرب (قوله عليها تسعة عشر ملكا) أى وهم مالك ومعه ثمانية عشر وقيل تسعة عشر نقيبا وقيل تسعة عشر ألف ملك والقول الثانى موافق لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وفى القرطبى قلت والصحيح ان شاء الله ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء * وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها اه وقد ورد فى صفة الخزنة ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى أى قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث شاء من جهنم وفى رواية ان لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرميهم فى النار ويرمى الجبل عليهم (قوله خزنتها) أى يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها ولا يتألمون منها بل هم فيها كخزنة الجنة فى الجنة (قوله قال بعض الكفار) هو أبو الأشد بن كلدة بن خلف الجمحى قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم محمد يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الاشد أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى أنتم اثنين وفى رواية أنه قال أنا أمشى بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة (قوله الا فتنة) مفعول ثان لجعل على حذف مضاف أى الا سبب فتنة وقوله للذين صفة لفتنة واعتبار هذا العدد فتنة لهم من وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونون أزيد من ذلك والثانى ان هذا العدد القليل كيف يتولى تعذيب أكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام الساعة (قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بجعلنا الثانى والمعنى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (قوله من غيرهم) أى غير اليهود فحصل التغاير فالمراد بالذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أولا اليهود والمراد بالذين أوتوا الكتاب ثانيا هم النصارى والمؤمنون المذكورون بعدهم من غير اليهود بل من هذه الأمة فاندفع ما يقال ان فى الآية تكرارا (قوله بالمدينة) حال من الذين أى حال كونهم بالمدينة وهذا من الله اخبار بما سيقع لان السورة نزلت قبل الهجرة بمكة (قوله ماذا الخ) ما اسم استفهام مبتدأ وذا موصول خبره وأراد الله صلة الموصول ومثلا حال والمعنى ما الذى أراده الله بهذا حال كونه مثلا لا حقيقة لغرابته لان هذا العدد أمر غريب لم تسعه عقولنا (قوله أى مثل اضلال) أشار به الى ان الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف أى يضل اضلالا مثل ذلك (قوله وهدى مصدقه) بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه أو بضم أوله وفتح ثانيه (قوله وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لابى جهل حين قال اما لمحمد أعوان الا تسعة عشر (قوله أى سقر) أعاد الضمير على سقر ويجوز ان يعود على الآيات المذكورة فيها (قوله الا ذكرى للبشر) أى يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى (قوله استفتاح بمعنى ألا) أى فاتى بها تعظيما للمقسم عليه وحينئذ فالوقف على ما قبلها وقيل انها حرف ردع وزجر وعليه فيوقف عليها (قوله بفتح الذال) أى فاذا ظرف لما يستقبل ودبر فعل ماض بوزن ضرب وقوله وفى قراءة الخ أى فاذ ظرف لما مضى من الزمان وأدبر بوزن أكرم والقراءتان سبعيتان والرسم محتمل لكل منهما اذ الصورة الخطية لا تختلف وقرئ شذوذا اذا أدبر بالفين واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى واحد او دبر معناه جاء وأدبر بمعنى مضى وهو الذى مشى عليه المفسر (قوله انها لاحدى الكبر) جواب القسم (قوله حال من احدى) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو احد عشر وهو أظهرها (قوله لمن شاء منكم الخ) هذا وعيد وتهديد نظير قوله

(كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة مأخوذة بعملها فى النار (الا أصحاب اليمين) وهم المؤمنون فناجون منها كائنون (فى جنات يتساءلون) بينهم (عن المجرمين) وحالهم ويقولون لهم بعد اخراج الموحدين من النار (ماسلككم) أدخلكم (فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض) فى الباطل (مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين) البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والانبياء والصالحين والمعنى لا شفاعة لهم (فما) مبتدا (لهم) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره اليه (عن التذكرة معرضين) حال من الضمير والمعنى أى شئ حصل لهم فى اعراضهم عن الاتعاظ (كأنهم حمر مستنفرة) وحشية (فرت من قسورة) أسد أى هربت منه أشد الهرب (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفاً منشرة) أى من الله تعالى باتباع النبى كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا (كتابا نقرؤه (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أى عذابها (كلا) استفتاح (انه) أى القرآن (تذكرة) عظة (فمن شاء ذكره) قرأه فاتعظ به (وما يذكرون) بالياء والتاء (الا ان يشاء الله هو أهل التقوى) بان يتقى (وأهل المغفرة) بأن يغفر لمن اتقاه

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله كل نفس) أى مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية فالاستثناء متصل (قوله رهينة) أى على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين (قوله مأخوذة بعملها) أشار بذلك الى أن ما مصدرية والكسب بمعنى العمل (قوله الا أصحاب اليمين) قد علمت ان الاستثناء متصل وأهل اليمين يعم العصاة وغيرهم لان الكل ناجون من الرهينة اما ابتداء ودواما واما دواما (قوله كائنون فى جنات) أشار بذلك الى أن قوله فى جنات متعلق بمحذوف خبر عن مبتدا مقدر أى هم وهذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر والتقدير ما شأنهم وحالهم (قوله يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا وقوله عن المجرمين أى الكافرين والكلام على حذف مضاف أى عن حالهم (قوله ويقولون لهم) أى للمجرمين وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم والحاصل ان أهل الجنة حين يستقرون فيها وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت يسأل بعضهم بعضا عن معارفهم المجرمين الذين خلدوا فى النار ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم ماسلككم فى سقر (قوله ماسلككم الخ) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم (قوله ولم نك نطعم المسكين) أى نعطيه ما يجب علينا عطاؤه كزكاة ونحوها (قوله وكنا نخوض مع الخائضين) أى فى القرآن فنقول فيه أنه لسحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الاباطيل التى كانوا يخوضون فيها (قوله وكنا نكذب بيوم الدين) تخصيص بعد تعميم لان الخوض فى الباطل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره وفى هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله حتى أتانا اليقين) غاية فى الامور الاربعة (قوله والمعنى لا شفاعة لهم) أى فالنفى مسلط على القيد والمقيد معا وهذا خلاف القاعدة من أن النفى اذا دخل على مقيد تسلط على القيد فقط فهنا ليس المراد انه توجد شفاعة لكنها غير نافعة بل المراد لا توجد شفاعة أصلا (قوله انتقل ضميره) أى الضمير الذى كان مستكنا فى المحذوف وقوله اليه أى الى هذا الخبر الذى هو الجار والمجرور لان القاعدة أن الجار والمجرور اذا وقع خبرا حذف متعلقه وجوبا وانتقل ضميره اليه ويسمى حينئذ ظرفا أو جارا ومجرورا مستقرا لاستقرار الضمير فيه (قوله حال من الضمير) أى المجرور باللام (قوله كأنهم حمر) حال من الضمير فى معرضين فهى حال متداخلة (قوله مستنفرة) بكسر الفاء وفتحها سبعيتان أى نافرة بنفسها من أجل الاسد أو نفرها الاسد فقوله وحشية ليس تفسيرا للمستنفرة فكان المناسب تقديمه عليه (قوله أسد) وقيل القسورة الجماعة الذين يصطادونها (قوله بل يريد كل امرئ الخ) اضراب انتقالى عن محذوف كأنه قيل لا سبب لهم فى الاعراض بل يريد الخ وسبب نزول الآية ان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك وكانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار (قوله منهم) أى من كفار قريش (قوله منشرة) أى طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها يقرؤها كل من رآها (قوله بل لا يخافون الآخرة) اضراب انتقالى لبيان سبب تعنتهم واقتراحهم اذ لو خافوا الآخرة لما تعنتوا بل كانوا يكتفون بأى دليل ويؤمنون (قوله استفتاح) أى أو ردع وزجر (قوله فمن شاء ذكره) من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها (قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله الا أن يشاء الله) أى لا يحصل منكم ذكر الا فى حال مشيئة الله له أى ارادته لان ما أراده يقع ولا بد وفيه تسلية للنبى حيث ينظر للحقيقة وأن توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم قال بعض العارفين عن لسان الحضرة

أيها المعرض عنا * ان اعراضك منا لو أردناك جعلنا * كل ما فيك يردنا

(قوله هو أهل التقوى) أى حقيق بان تمتثل عباده أوامره وتجتنب نواهيه (قوله وأهل المغفرة) أى هو جدير بان يغفر لمن اتقاه ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية يقول الله تعالى انا أهل ان أتقى فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فانا أهل ان أغفر له

﴿سورة القيامة مكية أربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا) زائدة في الموضعين (أقسم بيوم القيامة
ولا أقسم بالنفس اللوامة) التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دل عليه
(أيحسب الإنسان) أي الكافر
(ألن نجمع عظامه) للبعث
والإحياء (بلى) نجمعها
(قادرين) مع جمعها (على أن
نسوي بنانه) وهو الأصابع
أي نعيد عظامها كما كانت
مع صغرها فكيف بالكبيرة
(بل يريد الإنسان ليفجر) اللام
زائدة ونصبه بأن مقدرة أي أن
يكذب (أمامه) أي يوم
القيامة دل عليه (يسئل
أيان) متى (يوم القيامة)
سؤال استهزاء وتكذيب (فإذا
برق البصر) بكسر الراء وفتحها
دهش وتحير لما رأى مما كان
يكذب به (وخسف القمر)
أظلم وذهب ضوؤه (وجمع
الشمس والقمر) فطلعا من
المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك
في يوم القيامة (يقول
الإنسان يومئذ أين المفر)
الفرار (كلا) ردع عن طلب
الفرار (لا وزر) لا ملجأ
يتحصن به (إلى ربك يومئذ
المستقر) مستقر الخلائق
فيحاسبون ويجازون (ينبأ
الإنسان يومئذ بما قدم وأخر)
بأول عمله وآخره (بل الإنسان
على نفسه بصيرة) شاهد
تنطق جوارحه بعمله والهاء
للمبالغة فلابد من جزائه
(ولو ألقى معاذيره) جمع
معذرة على غير قياس أي
لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه
قال تعالى لنبيه (لا تحرك
به) بالقرآن قبل فراغ
جبريل منه (لسانك لتعجل
به) خوف أن ينفلت منك (إن علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) قراءتك إياه أي جريانه على لسانك

﴿سورة القيامة مكية﴾

أي بالإجماع وكذا قوله أربعون آية (قوله زائدة في الموضعين) أي لتأكيد القسم ففيه دليل على أن لا تزاد كثيرا في الكلام سواء كان في أوله أو وسطه خلافا لمن يقول إنها تزاد في وسط الكلام لا في أوله وقيل لا نافية لكلام تقدمها أتي بها ردا على منكري البعث كأنه قال ليس الأمر كما زعموا أقسم الخ كقولك لا والله (قوله التي تلوم نفسها) أي في الدنيا لما شاهدت من حقيقتها وهي العدم وعظيم حق الله عليها فالعبد وإن قطع نفسه إربا في عبادة الله وطاعته لا يفي بحق الله عليه لأن الفاني لا يقدر على القيام بحق الباقي واعلم أن الصوفية قسموا النفس إلى سبعة أقسام الأول الأمارة وهي نفوس الكفار ومن حذا حذوهم لا تأمر بخير أصلا ومع ذلك راضية بأفعالها محسنة لها الثاني اللوامة وهي التي تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا في الطاعة وهذا مبدأ الخير وأصل الترقي الثالث الملهمة وهي التي ألهمت فجورها وتقواها الرابع المطمئنة وهي التي اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره الخامس الراضية وهي التي رضيت عن الله في جميع حالاتها السادس المرضية وهي التي جوزيت بالرضا من الله لأن من رضي له الرضا السابع الكاملة وهي غاية المراتب وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومأخذ الجميع من القرآن فالأمارة من قوله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء واللوامة من هذه الآية والملهمة من قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها والمطمئنة وما بعدها من قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية (قوله أيحسب الإنسان) استفهام توبيخ وتقريع (قوله أن نجمع) أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولن وما في حيزها خبرها وجملة أن واسمها وخبرها سادة مسد مفعولي حسب والبس بين الهمزة واللام نون في الرسم بل تكتب الهمزة موصولة باللام (قوله بلى) جواب لما بعد النفي (قوله قادرين) حال من فاعل الفعل المقدر الذي دل عليه بلى والتقدير نجمعها حال كوننا قادرين (قوله بنانه) اسم جمع أو جمع لبنانة (قوله وهو الأصابع) أي أطرافها فالبنان أطراف الأصابع (قوله كما كانت) أي في الدنيا (قوله بل يريد الإنسان) إضراب انتقالي (قوله ونصبه بأن مقدرة) أي والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد (قوله أمامه) منصوب على نزع الخافض أي بأمامه والمعنى يريد الإنسان دوام التكذيب بيوم القيامة (قوله يسئل أيان) هذه الجملة إما بدل من الجملة قبلها أو مستأنفة بيان لها وأيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر (قوله بكسر الراء وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان ولغتان معناهما التحير والدهشة وقيل برق بالكسر تحير وبالفتح لمع من شدة شخوصه فقوله دهش وتحير تفسير للقراءتين (قوله وذلك في يوم القيامة) إن قلت إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس في يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة أجيب بأن المراد بيوم القيامة ما يشمل وقت مقدماته من الأمور العظام (قوله يقول الإنسان) جواب إذا (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جمل متعددة والتقدير يوم إذ برق البصر الخ (قوله أين المفر) أي من الله أو من النار احتمالان (قوله إلى ربك يومئذ) أي يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة والجار والمجرور خبر مقدم والمستقر مبتدأ مؤخر (قوله بل الإنسان) مبتدأ وبصيرة خبر وعلى نفسه متعلق ببصيرة وتأنيث الخبر باعتبار أن المراد بالإنسان جوارحه أو أن الهاء للمبالغة كما قال المفسر والمعنى أنه لا يحتاج إلى شاهد غير جوارحه بل هي تكفي في الشهادة عليه (قوله ولو ألقى معاذيره) الجملة حالية من الضمير في بصيرة ولو شرطية قدر المفسر جوابها بقوله ما قبلت منه (قوله على غير قياس) أي وقياسه معاذر بدون ياء (قوله أي لو جاء بكل معذرة الخ) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه المجيء بالعذر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به واشتق من الإلقاء ألقى بمعنى جاء (قوله قبل فراغ جبريل منه) أي من إلقائه عليك (قوله لتعجل به) أي بقراءته وحفظه (قوله إن علينا) تعليل للنهي عن العجلة (قوله قراءتك إياه) أشار

بقراءة جبريل (فاتبع قرآنه) استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ثم يقرؤه (ثم ان علينا بيانه) بالتفهيم لك والمناسبة بين هذه الآية وماقبلها أن تلك تضمنت

الاعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها (كلا) استفتاح بمعنى الا (بل يحبون العاجلة) الدنيا بالياء والتاء في الفعلين (ويذرون الآخرة) فلا يعملون لها (وجوه يومئذ) أي في يوم القيامة (ناضرة) حسنة مضيئة (الى ربها ناظرة) أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوس (تظن) توقن (أن يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تكسر فقار الظهر (كلا) بمعنى الا (اذا بلغت) النفس (التراقي) عظام الحلق (وقيل) قال من حوله (من راق) يرقيه ليشفى (وظن) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أنه الفراق) فراق الدنيا (والتفت الساق بالساق) أي احدى ساقيه بالاخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) أي السوق وهذا يدل على العامل في اذا المعنى اذا بلغت النفس الحلقوم تساق الى حكم ربها (فلا صدق) الانسان (ولا صلى) أي لم يصدق ولم يصل (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر في مشيته اعجابا (أولى لك) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ما تكره (فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك (ثم أولى لك فأولى) تأكيد (أيحسب) يظن (الانسان أن يترك سدى) هملا لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك (ألم (يك) أي كان (نطفة من مني يمنى) بالياء والتاء تصب في الرحم (ثم كان) المني (علقة فخلق) الله منها الانسان (فسوى) عدل أعضاءه (فجعل منه) من المني الذي صار علقة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم (الزوجين)

بذلك الى أن قوله قرآنه مصدر مضاف لمفعوله (قوله بقراءة جبريل) أشار بذلك الى ان قوله فاذا قرأناه من قبيل اسناد ما هو للمأمور للآمر (قوله بالتفهيم) أي تفهيم ما اشكل عليك من معانيه (قوله والمناسبة بين هذه الآية) أي قوله لا تحرك به لسانك والمراد بالآية الجنس اذ المذكور ثلاث آيات (قوله وماقبلها) أي وهو قوله أيحسب الانسان الى قوله معاذيره (قوله تضمنت الاعراض الخ) أي لانها في منكر البعث وهو كافر معرض عن القرآن ومن المعلوم ان الضد أقرب خطورا بالبال (قوله بل يحبون العاجلة) الضمير للانسان المذكور في قوله أيحسب الانسان وجمع الضمير لان المراد بالانسان الجنس (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وجوه يومئذ ناضرة) وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ ظرف لناضرة وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وناظرة خبر ثان والى ربها متعلق بناظرة (قوله أي في يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية والتنوين في يومئذ عوض عن جملة أي يوم اذ تقوم القيامة (قوله فقار الظهر) فتح الفاء ما يتصل من عظام الصلب من الكاهل الى العجب (قوله اذا بلغت النفس) أي مؤمنة أو كافرة والمعنى أخذت في النزع وقت الموت (قوله التراقي) جمع ترقوة (قوله عظام الحلق) أضافها اليه لقربها منه والا فالتراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر يمينا وشمالا ولكل انسان ترقوتان (قوله من راق) مبتدأ وخبر والجملة قائمة مقام الفاعل وراق اسم فاعل من رقى يرقى بالفتح في الماضي وبالكسر في المضارع من الرقية وهي كلام يرقى به المريض ليشفى وهو ما مشى عليه المفسر وقيل انه من رقي يرقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود أي ان ملك الموت يخاطب أعوانه يقول من يصعد بهذه النفس ويحتمل أن أعوانه يقولون له من يرقى بهذه النفس أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله أيقن) سمي اليقين ظنا لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها (قوله أنه) أي النازل به (قوله والتفت) أي التصقت ساق الانسان عند موته بالاخرى قال قتادة أما رأيته اذا أشرف على الموت يضرب احدى رجليه بالاخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الميت بساق الكفن وكل صحيح (قوله أو التفت شدة فراق الدنيا الخ) أي فالمراد بالساق الشدتان لان الساق يطلق على الشدة وهذا المعنى ظاهر في الكافر لانه ينتقل من سكرات الموت الى عذاب القبر (قوله وهذا يدل على العامل في اذا) أي الذي هو جوابها وقد بينه بقوله تساق الى حكم ربها (قوله فلا صدق) معطوف على قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه وصدق من التصديق كما يشير له المفسر أي فلا صدق بالقرآن والنبي وقوله ولا صلى أي الصلاة الشرعية فهو ذم بترك العقائد والفروع ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين أن المراد منه خصوص التكذيب فقال ولكن كذب وتولى (قوله ثم ذهب الى أهله) حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر في دنياه وجملة يتمطى حالية من فاعل ذهب وفي معناه قولان أحدهما أنه من المطا الذي هو الظهر والمعنى يمد مطاه أي ظهره ويلويه تبخترا في مشيه والثاني ان أصله يتمطط من تمطط أي تمدد ومعناه انه يتمدد في مشيته تبخترا والمعنيان متقاربان (قوله والكلمة اسم فعل) أي مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير يعود على ما يفهم من السياق وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه وقوله للتبيين أي تبيين المفعول فهي زائدة داخلة على المفعول على حد سقيا لك وقوله أي وليك بيان لمعنى الفعل الذي سمي (قوله فهو أولى بك) أي فالكلمة الثانية افعل تفضيل فدلت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه والثانية على الدعاء عليه بان يكون أولى به من غيره هذا ما سلكه المفسر وهو حسن (قوله أي لا يحسب ذلك) أي لا ينبغي ولا يليق منه هذا الحسبان (قوله ألم يك نطفة) استدلال على قوله قادرين على ان نسوي بنانه والاستفهام للتقرير (قوله يمنى) فائدته بعد قوله مني الاشارة الى

حقارة

حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري مجرى البول (قوله النوعين) أي لاخصوص الفردين فقد تحمل المرأة بذكرين أو أنثى أو بالعكس (قوله قال صلى الله عليه وسلم بلى) روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى وقال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله

﴿سورة الانسان﴾

وتسمى سورة هل أتى وسورة الامشاج وسورة الدهر مناسبة هذه السورة لما قبلها ان كلا منهما فيه دليل على البعث (قوله مكية) أي على قول جماعة وقوله أو مدنية هو قول الجمهور (قوله قد أتى) أي فليست هل للاستفهام لانه محال عليه تعالى وقيل انها للاستفهام التقريري والمعنى أتقرون بانه أتى على الانسان حين من الدهر وجوابه نعم فالمقصود الزام الخصم المنكر للبعث كانه قال القادر على ايجاد الانسان من العدم قادر على اعادته وهو بهذا المعنى صحيح أيضا في الآية تقريران (قوله على الانسان) فسره هنا بآدم وفيما يأتي بالجنس وفيه ان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عين الاول ان يجاب بان القاعدة أغلبية أو يقدر مضاف في قوله خلقنا الانسان أي ذريته والاضافة تأتي لادنى ملابسة (قوله أربعون سنة) أي مرت عليه قبل ان تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف روي ان آدم خلق من طين فاقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام أربعين سنة ثم من صلصال فاقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اذا علمت ذلك فقول المفسر أربعون سنة أي باعتبار كونه طينا والافقد مر عليه مائة وعشرون سنة لم يكن شيأ مذكورا ان قلت مقتضى الآية انه يسمى انسانا في حال كونه طينا مع انه في ذلك الوقت لم يكن شيأ مذكورا أجيب بان التسمية باعتبار ما آل اليه نظير اني أراني أعصر خمرا (قوله أو المراد بالانسان الجنس) أي الصادق بآدم وأولاده وقوله وبالحين مدة الحمل أي ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية والمائة والعشرين بالنسبة لآدم لان الحين هو المدة المحدودة كثيرة أو قليلة (قوله من نطفة) هي في الاصل الماء القليل في الوعاء ويطلق على الماء الصافي قل أو كثر سمي به مني الرجل والمرأة لسيلانهما ووضعهما في الرحم (قوله أمشاج) جمع مشيج بفتحتين أو مشج بكسر فسكون أو مشيج بفتح فكسر كشريف والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف في الرقة والثخن فماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فايهما علا كان الشبه له وان سبق ماء الرجل كان الولد ذكرا وعكسه أنثى وان استويا فخنثى مشكل قال ابن عباس يختلط ماء الرجل بماء المرأة فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة (قوله اخلاط) جمعه باعتبار تعدد الاوصاف في الماءين كما علمت (قوله مريدين ابتلاءه) جواب عما يقال ان الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف انما يكون بعد جعله سميعا بصيرا لا قبله فاجاب بانه حال مقدرة مؤولة بقوله مريدين ابتلاءه وارادة الابتلاء سبب لجعله سميعا بصيرا وجعله سميعا بصيرا سبب للابتلاء بالفعل ولم يكن في الآية تقديم ولا تأخير (قوله فجعلناه بسبب ذلك) أي بسبب ارادتنا ابتلاءه (قوله سميعا بصيرا) أي عظيم السمع والبصر وخصهما بالذكر لانهما أنفع الحواس وقدم السمع لانه أنفع في المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية ولان البصر يعم البصر والبصيرة وهي تتضمن الجميع فيكون من ذكر العام بعد الخاص (قوله انا هديناه السبيل) تعليل لقوله نبتليه والمراد بالهداية الدلالة (قوله ببعث الرسول) أي بجنسه الصادق بآدم

النوعين (الذكر والانثى) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة (أليس ذلك) الفعال لهذه الاشياء (بقادر على ان يحيي الموتى) قال صلى الله عليه وسلم بلى

﴿سورة الانسان مكية أو مدنية احدى وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل) قد (أتى على الانسان) آدم (حين من الدهر) أربعون سنة (لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر أو المراد بالانسان الجنس وبالحين مدة الحمل (انا خلقنا الانسان) الجنس (من نطفة أمشاج) اخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين (نبتليه) نختبره بالتكليف والجملة مستأنفة أو حال مقدرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهله (فجعلناه) بسبب ذلك (سميعا بصيرا انا هديناه السبيل) بينا له طريق الهدى ببعث الرسل (اما شاكرا) أي مؤمنا

(واما كفورا) حالان من المفعول أى بيناله فى حال شكره أوكفره المقدرة واما لتفصيل الاحوال (انا أعتدنا) هيأنا (للكافرين سلاسل) يسحبون بها فى النار (واغلالا) فى أعناقهم تشدفيها السلاسل (وسعيرا) نارا مسعرة أى مهيجة يعذبون بها (ان الابرار) جمع براوبار وهم المطيعون (يشربون من كاس) هوانا شرب الخمر وهى فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض (كان مزاجها) ماتمزج به (كافورا عينا) بدل من كافورا فيها رائحته (يشرب بها) منها (عباد الله) أولياؤه (يفجرونها تفجيرا) يقودونها حيث شاؤا من منازلهم (يوفون بالنذر) فى طاعة الله (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) منتشرا (ويطعمون الطعام على حبه) أى الطعام وشهوتهم له (مسكينا) فقيرا (ويتيما) لاأب له (وأسيرا) يعنى المحبوس بحق (انما نطعمكم لوجه الله) لطلب ثوابه (لانريد منكم جزاء ولاشكورا) شكرا فيه علة الاطعام وهل تكلموا بذلك أوعلمه الله منهم فاثنى عليهم به قولان (انانخاف من ربنا يوما

وبين بعده من الرسل الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله واما كفورا) لم يقل كافرا مشاكلة لشاكرا لما مرّ اعاة لرؤس الآى أولان الشاكر قليل والكافر كثير فعبر فى جانب الكفر بصيغة المبالغة (قوله من المفعول) أى وهو الهاء فى هديناه (قوله انا أعتدنا للكافرين الخ) لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله واما كفورا وقوله ان الابرار الخ راجع لقوله اماشاكرا (قوله سلاسل) اما بمنع الصرف كمساجد أو بالصرف لمناسبة قوله واغلالا فهما قراءتان سبعيتان (قوله واغلالا فى أعناقهم) أى فتجمع أيديهم الى أعناقهم (قوله ان الابرار الخ) لماذكر حال الكفار وجزاءهم فى الآخرة أتبعه بجزاء الشاكرين واطنب فيه ترغيبا لهم (قوله جمع بر) أى كرب وأرباب وقوله أو بار أى كشاهد وأشهاد (قوله وهم المطيعون) أى المؤمنون الصادقون فى ايمانهم وان اقترفوا الذنوب فكل من كان ليس مستوجبا للخلود فى النار فهو من الابرار لذكرهم فى مقابلة الفجار فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وهذا تعريف لمطلق الابرار فلاينافى قولهم البر هو الذى لايؤذى الذر أو الذى يؤدى حق الله ويوفى بالنذر أوغير ذلك فانه تعريف للابرار الكاملين كما هنا (قوله وهى فيه) أى فان لم تكن فيه فهو اناء (قوله والمراد من خمر) دفع بذلك ما يقال ان الضمير فى قوله مزاجها عائد على الكاس مع أن الكافور لايمزج بالكاس بل بما فيه فاجاب المفسر بان المراد بالكاس الخمر نفسه من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله كافورا) ان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به أجيب بان المراد انه كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرودته (قوله بدل من كافورا) أى على حذف مضاف أى ماء عين لان العين اسم لمنبع الماء وهو لايبدل من الماء وماذكره المفسر أحد احتمالات فى وجه نصب عينا ويصح انه مفعول يشربون وقوله من كاس حال لانه نعت نكرة قدم عليها والاصل يشربون عينا من كاس أى خمر ممزوج بالكافور وهو أسهلها (قوله يشرب بها عباد الله) الجملة صفة لعينا وقوله منها اشارة الى ان الباء بمعنى من الابتدائية أى يبتدؤن الشرب من العين (قوله أولياؤه) أى وهم المؤمنون (قوله يقودونها) أى فهى سهلة لاتمتنع عليهم ورد أن الرجل منهم يمشى فى بيوته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجرى معه حيثما دار فى منازله على الارض المستوية ويتبعه حيثما صعد الى أعلى قصوره (قوله يوفون بالنذر) هذا بيان لاعمالهم التى استوجبوا بها هذا النعيم الدائم والمراد بالنذر العهد أى يوفون بالعهد الذى أوجبه الله عليهم أو الذى التزموه مع الله ومع عباده من صلاة وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر وغير ذلك (قوله ويخافون يوما) أشار بذلك الى حسن بواطنهم كظواهرهم (قوله كان شره) أى شدائده من تشقق السموات وتناثر الكواكب وتكوير الشمس والقمر وغير ذلك من الاهوال والشدائد التى تقع فى ذلك اليوم (قوله منتشرا) أى واما المستطيل باللام فمعناه الممتد ومن هنا يقال الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره فى الأفق (قوله ويطعمون الطعام الخ) نزلت فى على بن أبى طالب وأهل بيته وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقى نخلا بشئ من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيأ ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم نضجه أتى مسكين فاخرجوا اليه الطعام ثم صنع الثلث الثانى فلما تم نضجه أتى يتيم فاطعموه ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فاطعموه وطووا يومهم ذلك (قوله على حبه) مصدر مضاف للمفعول وعلى بمعنى مع أى مع حبه وشهوته ففيه ايثار على النفس ويصح رجوع الضمير لله أى على حب الله أى لوجهه وابتغاء رضوانه والاول أبلغ فى المدح (قوله مسكينا ويتيما وأسيرا) خص الثلاثة لانهم من العواجز المعدمين الكسب (قوله يعنى المحبوس بحق) أى وأولى المحبوس بباطل (قوله فيه علة الاطعام) أى بيان سببه (قوله وهل تكلموا بذلك) أى ليطمئن الفقير بذلك لانه قد يقول فى نفسه انه يطعمنى ويريد ان يخدمنى مثلا (قوله قولان) رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثانى (قوله انا نخاف من ربنا) أى فلذلك نطعمكم ولانريد منكم جزاء فهو تعليل لقوله انما

نطعمكم

نطعمكم الخ (قوله عبوسا) اسناد العبوس لليوم مجاز عقلي والمراد أهله من اسناد الشئ الى زمانه كنهاره
صائم (قوله في ذلك) أي العبوس (قوله فوقاهم الله) الفاء سببية أي فبسبب خوفهم دفع الله عنهم
شر ذلك اليوم وشدته وذكر القرطبي في تذكرته حديثا في بيان ما ينجي المؤمن من أهوال يوم
القيامة وهو ما روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن
في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه
بر والديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك
ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم ورأيت رجلا
من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي
يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود
حلقا حلقا كلما دنا الحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده الى جنبي ورأيت رجلا
من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة
فهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم
المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فانه كان واصلا للرحم فكلموه
وصافحوه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا
على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف
ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وادخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على
ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله ورأيت رجلا من أمتي قد
أهوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي
قد خف ميزانه فجاءته افراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من
الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي كان بكاها من
خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد
السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتي على
الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته علي فأخذت بيده وأقامته ومضى
على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فاغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن
لا اله الا الله ففتحت له الابواب كلها وادخلته الجنة * قلت هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة
تنجي من أهوال خاصة والله أعلم وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة (قوله نضرة) أي
بدل العبوس (قوله وسرورا) أي فرحا في قلوبهم بدل الحزن (قوله بصبرهم عن المعصية) أي بترك
فعلها وكذا على الطاعة بفعلها وعلى المصيبة بالاسترجاع وعدم الشكوى فاقسام الصبر ثلاثة وانما
اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لانه يستلزم القسمين الآخرين فمن صبر عن المعصية فقد أدام الطاعة
ولم يشك مولاه (قوله حال من مرفوع ادخلوها) أي ويصح أن يكون حالا من مفعول جزاهم (قوله في
الحجال) واحده حجلة بفتحتين وهي المسماة بالناموسية (قوله حال ثانية) أي من المقدر المذكور أو من
المفعول (قوله أي لا حر ولا برد) أي فهي معتدلة الهواء (قوله وقيل الزمهرير القمر) أي لاجل مقابلة
قوله شمسا (قوله من غير شمس ولا قمر) أي بل بنور العرش وهو أقوى من نور الشمس والقمر (قوله
عطف على محل لا يرون) أي أو عطف على متكئين (قوله شجرها) أشار بذلك الى أن المراد بالظلال
الشجر نفسه فدفع بذلك ما يقال ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس ولا شمس في الجنة (قوله
وذللت) عطف على دانية وجعلت فعلية اشارة الى ان التذليل متجدد بخلاف التظليل فدائم ولذا أتى
فيه بجملة اسمية (قوله أدنيت ثمارها) أي سهل تناولها تسهيلا عظيما لكل أحد (قوله ويطاف

عبوسا) تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدته (قمطريرا) شديدا في ذلك (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم) أعطاهم (نضرة) حسنا واضاءة في وجوههم (وسرورا وجزاهم بما صبروا) بصبرهم عن المعصية (جنة) أدخلوها (وحريرا) ألبسوه (متكئين) حال من مرفوع ادخلوها المقدر (فيها على الارائك) السرر في الحجال (لا يرون) لا يجدون حال ثانية (فيها شمسا ولا زمهريرا) أي لا حرا ولا بردا وقيل الزمهرير القمر فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر (ودانية) قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين (عليهم) منهم (ظلالها) شجرها (وذللت قطوفها تذليلا) أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع (ويطاف

عليهم فيها (بآنية من فضة وأكواب) أقداح بلا عرى (كانت قوارير قوارير من فضة) أي انها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج (قدروها) أي الطائفون (تقديرا) على قدر ري الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب (ويسقون فيها كأسا) أي خمرا (كان مزاجها) ما تمزج به (زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى سلسبيلا) يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) بصفة الولدان لا يشيبون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وانتشارهم في الخدمة (لؤلؤا منثورا) من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك (واذا رأيت ثم) أي وجدت الرؤية منك في الجنة (رأيت) جواب اذا (نعيما) لا يوصف (وملكا كبيرا) واسعا لا غاية له (عاليهم) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدا بعده وفي قراءة بسكون الياء مبتدا وما بعده خبره والضمير المتصل به للمطوف عليهم (ثياب سندس) حرير (خضر) بالرفع (واستبرق) بالجر ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما وفي أخرى برفعهما وفي أخرى بجرهما (وحلوا أساور من فضة) وفي موضع آخر من ذهب

عليهم الخ) هذا من جملة بيان وصف مشار بهم وبني الفعل للمجهول هنا لان المقصود بيان المطاف به لا بيان الطائف وفاعل الطواف الولدان المذكورون بعد في قوله ويطوف عليهم ولدان ولما كان المقصود منها بيان وصف الطائف بناه للفاعل (قوله بآنية) أصله أأنية بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا والجار والمجرور نائب الفاعل (قوله من فضة) بيان للآنية (قوله وأكواب) عطف خاص على عام (قوله اقداح بلا عرى) أي فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج لادارته (قوله كانت قوارير) جمع قارورة وهي ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج وكرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله من فضة فجمعت صفاء الزجاج وبريقه وبياض الفضة ولينها قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اذ الذي في الجنة أشرف وأعلى واعلم ان القراء السبعة في هاتين الكلمتين على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف الثانية عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول والوقف عليه بالالف والثاني بدون تنوين ولا يوقف عليه بالالف الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها والتنوين للتناسب نظير ما تقدم في سلاسل وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهى الجموع (قوله على قدر ري الشاربين) أي شهوتهم اذ لا عطش في الجنة والري بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب (قوله وذلك ألذ الشراب) أي لكونه لا يزيد على الحاجة ويستقذر الزائد ولا ينقص فيحتاج لمثله ثانيا وهذا هو النعيم (قوله بدل من زنجبيلا) أي ويصح ان يكون مفعول يسقون وقوله كأسا منصوب على نزع الخافض أي من كأس كما تقدم نظيره (قوله تسمى) أي تلك العين لسهولة اساغتها ولذة طعمها (قوله سلسبيلا) هو ما كان في غاية السلاسة وهي سهولة الانحدار في الحلق زيدت الباء في الكلمة حتى صارت خماسية وقال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان قال البغوي شراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع (قوله يعني أن ماءها كالزنجبيل) أي فهو مماثل له في الاسم فجميع ما في الجنة من الاشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لا يشبه ما في الدنيا الا في مجرد الاسم لكن الله تعالى يرغب الناس بذكر أحسن شيء وألذه مما يعرفونه في الدنيا الاجل ان يسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق وقيل هم أولاد المؤمنين الصغار ورد بانهم يلحقون بآبائهم تأنسا وسرورا بهم وقيل هم أولاد الكفار (قوله لا يشيبون) أي لعدم وجود الشعر لهم (قوله وهو أحسن منه في غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم فاجاب بأنه لحسنهم وانتشارهم في الخدمة شبههم باللؤلؤ المنثور (قوله واذا رأيت) الخطاب للنبي أو لكل من يدخل الجنة (قوله رأيت نعيما) أي ما يتنعم به من مأكل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك (قوله واسعا لا غاية له) أي في الطول ولا في العرض لما في الحديث أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه ومن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم ولبس التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه كل يوم (قوله عاليهم) بفتح الياء وضم الهاء وقوله وفي قراءة أي سبعية أيضا (قوله وهو خبر المبتدا بعده) أي وهو ثياب ويصح العكس وهو كون عاليهم مبتدأ وثياب خبره (قوله ثياب سندس) الاضافة على معنى من والسندس مارق من الحرير (قوله عكس ما ذكر) أي وهو جر خضر ورفع استبرق فجر خضر على الوصفية لسندس لانه اسم جنس ووصفه بالجمع جائز ورفع استبرق عطف على ثياب على حذف مضاف أي وثياب استبرق فالقراآت أربع سبعيات رفع خضر واستبرق وجرهما ورفع الاول وجر الثاني وعكسه وأما سندس فجرور لا غير لاضافة ثياب اليه (قوله وحلوا) عبر بالماضي اشارة لتحقق وقوعه (قوله وفي موضع آخر الخ) أي فقال في سورة الحج وفاطر يحلون فيها من أساور من

الإيذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا (إن هذا) النعيم (كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا إنا نحن) تأكيد لاسم إن أو فصل (نزلنا عليك القرآن تنزيلا) خبر إن أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ رسالته (ولا تطع منهم) أي الكفار (آثما أو كفورا) أي عتبة ابن ربيعة والوليد بن المغيرة قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر ويجوز أن يراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما أيا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر (واذكر اسم ربك) في الصلاة (بكرة وأصيلا) يعني الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إن هؤلاء يحبون العاجلة) الدنيا (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) شديدا أي يوم القيامة لا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) قوينا (أسرهم) أعضاءهم ومفاصلهم (وإذا شئنا بدلنا) جعلنا (أمثالهم) في الخلقة بدلا منهم بأن نهلكهم (تبديلا) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو إن يشأ يذهبكم لأنه تعالى لم يشأ ذلك وإذا لما يقع (إن هذه) السورة (تذكرة) عظة للخلق (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) طريقا بالطاعة (وما تشاؤون) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (إلا أن يشاء الله) ذلك (إن الله كان عليما) بخلقه (حكيما) في فعله (يدخل من يشاء في رحمته) جنته وهم المؤمنون (والظالمين) ناصبه فعل مقدر أي أوعد يفسره (أعد لهم عذابا أليما) مؤلما وهم الكافرون

﴿ سورة المرسلات مكية خمسون آية ﴾

ذهب ولؤلؤا (قوله للإيذان) أي للإعلام وقوله معا أي فيجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وقوله ومفرقا أي فتارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون الفضة فقط وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب ما يشتهون (قوله وسقاهم ربهم) أسند الإسقاء لنفسه إشارة لعلو منزلتهم ورفعة قدرهم وإلى أن الشراب الطهور نوع آخر يفوق على ما تقدم (قوله شرابا طهورا) أي من الأقذار لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا (قوله إن هذا الخ) أي يقال لهم ذلك بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها المزيد الأنس والسرور (قوله مشكورا) أي مقبولا مرضيا (قوله تأكيد لاسم إن) أي ويصح أن يعرب مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر إن (قوله خبر إن) أي سواء جعلنا نحن تأكيدا أو فصلا (قوله أي فصلناه الخ) أي لحكمة بالغة وهي كما في الفرقان لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وأن ما أنزل عليه ليس بشعر ولا كهانة (قوله فاصبر لحكم ربك) مشى المفسر على أن المراد بالحكم التكليف بتبليغ الرسالة وعليه فالآية محكمة وقيل إن المراد بالحكم القضاء والمعنى اصبر على أذى المشركين الذي حتمه الله في الأزل فلا مفر لك منه حتى يفرج الله عنك وعليه فالآية منسوخة (قوله أي عتبة بن ربيعة الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالآثم عتبة لأنه كان متعاطيا الأنواع الفسوق متظاهرا بها وأن المراد بالكفور الوليد فإنه كان متظاهرا بالكفر داعيا إليه وبهذا ظهر التخصيص لكل وإن كان كل منهما آثما وكفورا (قوله قالا للنبي ارجع الخ) حاصله أنهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر فقال عتبة أنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك من غير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر فنزلت الآية (قوله أي لا تطع أحدهما الخ) أي والنهي عن طاعتهما معا معلوم بالأولى فأو أبلغ من الواو لأنها النفي الأحد الدائر (قوله في الصلاة) أشار بذلك إلى أن المراد بالذكر الصلاة والمعنى دم على الصلاة (قوله والظهر والعصر) إطلاق الأصيل على العصر ظاهر وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها وإلا فالزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلا (قوله ومن الليل) من تبعيضية والمعنى صل له بعض الليل وقوله فاسجد له الفاء دالة على شرط مقدر تقديره مهما يكن من شيء فصل من الليل الخ وفيه زيادة حث على صلاة الليل (قوله إن هؤلاء يحبون العاجلة الخ) علة لما قبله من النهي والأمر والمعنى لا تطعهم واشتغل بما أمرك الله به من العبادة لأن هؤلاء تركوا الآخرة واشتغلوا بالدنيا فاترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة (قوله وراءهم) حال من يوما مقدم عليه لأنه نعت نكرة قدم عليها ووراء إما باق على معناه نظير فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لا يعبؤون به ولا يعملون له أو مستعار لقدام (قوله يوما ثقيلا) مفعول يذرون ووصفه بالثقل مجاز إذ الثقل من صفات الأعيان لا المعاني (قوله قوينا أسرهم) أي ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب (قوله أمثالهم) مفعول أول والثاني محذوف بينه بقوله بدلا منهم (قوله ووقعت إذا الخ) جواب عما يقال إن إذا تفيد التحقيق مع أنه تعالى لم يشأ ذلك فكان المقام لإن التي تفيد الاحتمال فأجاب بأنه استعمل إذا موضع إن مجازا (قوله عظة للخلق) أي لأن في تدبرها وتذكرها تنبيها للغافلين وفوائد للطالبين المقبلين بكليتهم على الله تعالى (قوله فمن شاء اتخذ الخ) أي فالطريق واضح والحق ظاهر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) منصوب على الظرفية والمعنى إلا وقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع إلى الحقيقة (قوله أعد) وهذا المقدر يلاقي المذكور في المعنى فهو على حذو زيدا مررت به

﴿ سورة المرسلات ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والمرسلات عرفا) أى الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا ونصبه على الحال (فالعاصفات عصفا) الرياح الشديدة (والناشرات نشرا) الرياح تنشر المطر (فالفارقات فرقا) أى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فالملقيات ذكرا) أى الملائكة تنزل بالوحى الى الانبياء أو الرسل يلقون الوحى الى الامم (عذرا أو نذرا) أى للاعذار والانذار من الله تعالى وفى قراءة بضم ذال نذرا وقرئ بضم ذال عذرا (انما توعدون) أى كفار مكة من البعث والعذاب (لواقع) كائن لا محالة (فاذا النجوم طمست) محى نورها (واذا السماء فرجت) شقت (واذا الجبال نسفت) فتتت وسيرت (واذا الرسل وقتت) بالواو والهمز بدلا منها أى جمعت لوقت (لاى يوم) ليوم عظيم (أجلت) للشهادة على أممهم بالتبليغ (ليوم الفصل) بين الخلق ويؤخذ منه جواب اذا أى وقع الفصل بين الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) تهويل لشأنه (ويل يومئذ للمكذبين) هذا وعيد لهم (ألم نهلك الاولين) بتكذيبهم أى أهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم (كذلك) مثل فعلنا بالمكذبين (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم فيما يستقبل (فنهلكهم ويل يومئذ للمكذبين) تأكيد.

وفى نسخة سورة والمرسلات وهذه السورة نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال ابن مسعود ونحن معه نسير حتى أوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه رطبة اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم والغار المذكور مشهور فى منى يسمى غار المرسلات (قوله والمرسلات عرفا الخ) اعلم ان الله تعالى اقسم بصفات خمسة موصوفها محذوف فقدره بعضهم الرياح فى الكل وبعضهم قدره الملائكة فى الكل وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة وأما ما ذكره المفسر فلم يعرج عليه المفسرون وهو حسن وحاصل صنيعه انه جعل الصفات الثلاثة الاول لموصوف واحد وهو الرياح والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة (قوله أى الرياح) أى رياح العذاب ليغاير قوله والناشرات (قوله ونصبه على الحال) أى من الضمير فى المرسلات والمعنى حال كونها مشابهة لعرف الفرس من حيث تتابعها وتلاحقها فالعرف بالضم شعر عنق الفرس والمعرفة كمرحلة موضع العرف من الفرس (قوله فالعاصفات) من العصف وهو الشدة فهو مرتب على قوله المرسلات الذى هو ريح العذاب (قوله تنشر المطر) أى تفرقه حيث شاء الله تعالى (قوله أو الرسل) هذا تفسير ثان للملقيات (قوله أى للاعذار الخ) أشار بذلك الى ان عذرا أو نذرا مفعول لاجله والعامل بهما هو الملقيات والمراد بالاعذار ازالة أعذار الخلائق وبالانذار التخويف (قوله وفى قراءة بضم ذال نذرا) أى وهما سبعيتان وقوله وقرئ هذه القراءة ليعقوب من العشرة والحاصل ان الضم فى عذرا ونذرا على انهما جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر والسكون على انهما مصدران (قوله انما توعدون الخ) جواب القسم وما بمعنى الذى والعائد محذوف أى ان الذى توعدونه (قوله فاذا النجوم طمست) النجوم مرفوعة بفعل محذوف يفسره ما بعده من باب الاشتغال (قوله وسيرت) أى بعد التفتيت (قوله أقتت) أى جعل لهم وقت للقضاء بينهم وبين أممهم وهو يوم القيامة (قوله بالواو) أى على الاصل لانه من الوقت وقوله وبالهمز أى لان الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان (قوله لاى يوم) متعلق بأجلت والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف أى يقال لاى يوم الخ والقول منصوب على الحال من مرفوع أقتت وقوله ليوم الفصل بدل من أى يوم باعادة العامل والاستفهام للتهويل والتعظيم (قوله ويؤخذ منه) أى من قوله ليوم الفصل وقوله جواب اذا أى المحذوف والتقدير وقع الفصل (قوله وما أدراك) ما استفهامية مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله ما يوم الفصل جملة من مبتدأ وخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الاول للاستبعاد والانكار والثانى للتعظيم والتهويل (قوله ويل يومئذ للمكذبين) ويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمكذبين خبره ويومئذ ظرف للويل وكررت هذه الجملة فى هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب والمراد بالويل قيل العذاب والخزى وقيل واد فى جهنم فيه ألوان العذاب لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عرضت على جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل وقيل انه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم (قوله ألم نهلك الاولين) الاستفهام تقريرى وهو طلب الاقرار بما بعد النفى والمراد بالاولين الامم السابقة من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود والمراد بالآخرين كفار أمة محمد (قوله أى أهلكناهم) أفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفى ونفى النفى اثبات نظير ألم نشرح لك صدرك (قوله ثم نتبعهم الآخرين) العامة على رفع العين استئنافا أو معطوفا على جملة ألم نهلك الاولين وليس معطوفا على الفعل والاستفهام مسلط عليه لانه يقتضى أن المعنى أهلكنا الاولين ثم أتبعناهم الآخرين فى الهلاك وليس كذلك لان هلاك الآخرين لم يحصل حينئذ وقرئ شذوذا بتسكين العين اما تخفيفا والجملة مستأنفة أو معطوفة على المجزوم ويكون المراد بالاولين قوم نوح وعاد وثمود وبالآخرين قوم شعيب ولوط وموسى وحينئذ فالمراد بالمجرمين كفار أمة محمد عليه السلام (قوله فنهلكهم) أى فى

الدنيا

(ألم نخلقكم من ماء مهين) ضعيف وهو المنى (فجعلناه فى قرار مكين) حريز وهو الرحم (الى قدر معلوم) وهو وقت الولادة (فقدرنا) على ذلك (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا) مصدر كفت بمعنى ضم أى ضامة (أحياء على ظهرها (وأمواتا) فى بطنها (وجعلنا فيها رواسى شامخات) جبالا مرتفعات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) ويقال للمكذبين يوم القيامة (انطلقوا الى ما كنتم به) من العذاب (تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) هو دخان جهنم اذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته (لا ظليل) كنين يظلهم من حر ذلك اليوم (ولا يغنى) يرد عنهم شيأ (من اللهب) النار (انها) أى النار (ترمى بشرر) هو ما تطاير منها (كالقصر) من البناء فى عظمه وارتفاعه (كأنه جمالات) جمع جمالة جمع جمل وفى قراءة جمالة (صفر) فى هيئتها ولونها وفى الحديث شرار النار أسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر فى الآية بمعنى سود لما ذكر وقيل لا والشرر جمع شررة والشرار جمع شرارة والقير القار (ويل يومئذ للمكذبين هذا) أى يوم القيامة (يوم لا ينطقون) فيه بشئ (ولا يؤذن لهم) فى العذر (فيعتذرون) عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل فى حيز النفى أى لا اذن فلا اعتذار (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم) أيها المكذبون من هذه الامة (والاولين) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا (فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب عنكم (فكيدون) فافعلوها (ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين فى ظلال) أى تكاثف أشجار اذ لا شمس يظل من حرها (وعيون) نابعة من الماء (وفواكه مما يشتهون) فيه اعلام بأن المأكل والمشرب فى الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد

الدنيا كوقعة بدر (قوله ألم نخلقكم الخ) هذا تذكير من الله تعالى للكفار بعظيم انعامه عليهم وبقدرته على ابتداء خلقهم والقادر على الابتداء قادر على الاعادة ففيه رد على منكرى البعث (قوله حريز) أى يحفظ فيه المنى من الفساد (قوله الى قدر معلوم) أى مقدار معلوم من الوقت قدره تعالى للولادة (قوله فقدرنا) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان فالتشديد من التقدير والتخفيف من القدرة (قوله على ذلك) أى الخلق والتصوير (قوله كفاتا) مفعول ثان لنجعل (قوله مصدر كفت) المناسب أن تقول اسم مكان لان كفت من باب ضرب فمصدره الكفت فالمعنى ألم نجعل الارض موضع كفت أى جمع وضم (قوله أحياء وأمواتا) أى تضمهم فى دورهم ومنازلهم فى حال الحياة وتضمهم فى بطنها فى قبورهم حال الموت ثم هى اما راضية عليه فتضمه ضمة الأم الشفوق أو غير راضية فتضمه ضمة تختلف بها أضلاعه (قوله جبالا مرتفعات) أى لولاها لتحركت بأهلها (قوله ماء فراتا) أى من العيون والانهار فتشربون منه أنتم ودوابكم وتسقون منه زرعكم (قوله من العذاب) بيان لما (قوله انطلقوا الى ظل) توكيد لانطلقوا الاول (قوله ذى ثلاث شعب) أى فرق شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ففيه اشارة لعظم الدخان لان شأن الدخان العظيم اذا ارتفع يصير ثلاث شعب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (قوله لا ظليل) صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفى وهذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل من الراحة (قوله كنين) أى ساتر (قوله بشرر) هكذا براءين من غير ألف بينهما وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بألف بين الراءين مع كسر الشين وفتحها فالشرر جمع شررة والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضا كرقبة ورقاب وبفتح الشين جمع شرارة وهى على كل ما تطاير من النار متفرقا (قوله كأنه) أى الشرر فشبهه أولا بالقصر فى العظم والكبر وثانيا بالجمال فى اللون والكثرة والتتابع (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله فى هيئتها الخ) بيان لوجه الشبه (قوله لشوب سوادها) أى اختلاطه (قوله فقيل الخ) تفريع على الحديث وصنيع العرب (قوله وقيل لا) أى ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقته (قوله القار) أى الزفت (قوله أى يوم القيامة) أى المدلول عليه بقوله انطلقوا الى ظل الخ (قوله لا ينطقون) أى فى بعض المواقف وفى بعضها يتكلمون ويعتذرون فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ونحوه (قوله من غير تسبب عنه) جواب عما يقال ان العطف بالفاء أو الواو على المنفى يقتضى نصب المعطوف فلم رفع فى الآية وايضاحه ان محل نصبه اذا كان متسببا عن المنفى نحو لا يقضى عليهم فيموتوا وأما اذا لم يكن متسببا كما هنا لان النفى متوجه للمعطوف والمعطوف عليه فانه يرفع (قوله هذا يوم الفصل) أى بين المحق والمبطل (قوله والاولين) اما عطف على الكاف فى جمعناكم أو مفعول معه وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أى يقال لهم هذا يوم الفصل (قوله حيلة) تسميتها كيدا تهكم بهم (قوله فكيدون) أى فاحتالوا لأنفسكم وقاوونى فلم تجدوا مفرا (قوله ان المتقين الخ) ذكر فى سورة هل أتى على الانسان أحوال الكفار فى الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب فى أحوال المؤمنين وعكس ما فعل هنا ليحصل التعادل بين السورتين (قوله أى تكاثف أشجار) من اضافة الصفة للموصوف (قوله وعيون نابعة من الماء) أى ومن العسل واللبن والخمر كما فى آية القتال (قوله مما يشتهون) راجع للعيون والفواكه (قوله بحسب شهواتهم) أى فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما فى أنواع فاكهة الدنيا

الناس في الاغلب ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) حال أى متهنئين (بما كنتم تعملون) من الطاعات (انا كذلك) كما جزينا المتقين (نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار فى الدنيا (قليلا) من الزمان وغايته الى الموت وفى هذا تهديد لهم (انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا) صلوا (لا يركعون) لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) أى القرآن (يؤمنون) أى لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذى لم يشتمل عليه غيره

﴿سورة التساؤل مكية احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) عن أى شئ (يتساءلون) يسأل بعض قريش بعضا (عن النبا العظيم) بيان لذلك الشئ والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المشتمل على البعث وغيره (الذى هم فيه مختلفون) فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه (كلا) ردع (سيعلمون) ما يحل بهم على انكارهم له (ثم كلا سيعلمون)

قال تعالى أكلها دائم وظلها (قوله ويقال لهم) أى من قبل الله أو القائل لهم الملائكة اكراما لهم (قوله كما جزينا المتقين) أى بالظلال والعيون والفواكه نجزى المحسنين * ان قلت لا مغايرة بين المتقين والمحسنين ففيه تشبيه الشئ بنفسه والجواب ان يراد بالمتقين الكاملون فى الطاعة وبالمحسنين من عندهم أصل الايمان ويصير المعنى ان هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين فى الطاعة ثابت لمن كان عنده أصل الايمان فالمماثلة فى الاوصاف التى ذكرت فى تلك الآية لا فى المراتب والدرجات فتدبر (قوله من الزمان) أى فقليلا منصوب على الظرفية (قوله وغايته الى الموت) أى فهو مدة العمر قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعى لها من أفعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها (قوله واذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجرمين أى من أى قائل كان (قوله صلوا) أى فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة (قوله فبأى حديث) متعلق بيؤمنون قال الرازى انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار من أول السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العظيمة مع وضوحها لا يؤمنون بغيرها قال البوصيرى فى همزيته

واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله لاشتماله على الاعجاز) أى فقد وردان معجزات المصطفى مائة ألف وسبعون ألفا فى القرآن منها مائة ألف والسبعون من غيره وهذا التعليل لا ينتج ما قاله المفسر من عدم الامكان اذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم اعجازه ويكذبوا بالقرآن المعجز فلو قال فى التعليل لان القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها فى أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لان ما فى غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى

﴿سورة التساؤل﴾

وتسمى سورة النبأ العظيم وسورة عم وسورة عم يتساءلون (قوله عم) عن حرف جر وما استفهامية فى محل جر حذفت ألفها للقاعدة المقررة التى أشار لها ابن مالك بقوله

وما فى الاستفهام ان جرت حذف * ألفها وأولها الها ان تقف

ووقف البزى بهاء السكت جريا على القاعدة ونقل عن ابن كثير اثبات الهاء فى الوصل أيضا اجراء له مجرى الوقف وقرئ شذوذا باثبات الالف والجار والمجرور متعلق بيتساءلون وقوله عن النبا عطف بيان وسبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذى أتى به ويتجادلون فيما بعث به ومناسبتها لما قبلها انه لما قال فبأى حديث بعده يؤمنون أى بعد القرآن فكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون (قوله بيان لذلك الشئ) أى المعبر عنه بما الاستفهامية والمراد بالبيان عطف البيان (قوله والاستفهام لتفخيمه) أى فليس استفهاما حقيقيا بل هو كناية عن تفخيم الامر وتعظيمه (قوله الذى) صفة للنبا وهم مبتدأ ومختلفون خبره وفيه متعلق بمختلفون والجملة صلة الذى وقوله فالمؤمنون الخ أشار بذلك الى ان الضمير فى هم عائد على ما يشمل المؤمنين والكفار وجعل الواو فى يتساءلون محمولة على الكفار ليس بواضح لانه يلزم عليه تشتيت الضمائر فالمناسب ان يسوى بين الضميرين بان يجعلهما عائدين على الكفار واختلافهم فيه من حيث ان بعضهم يقول فيه شعر وبعضهم يقول فيه كهانة وغير ذلك (قوله ردع) أى فيه معنى الوعيد والتهديد (قوله ما يحل بهم) مفعول يعلمون والمعنى ما ينزل بهم عند النزع أو فى القيامة لكشف الغطاء عنهم فى ذلك الوقت وحل يحل بالكسر والضم فى المضارع بمعنى نزل (قوله

تأكيد)

تأكيد) أى لفظى وقيل عطف نسق فيه معنى التأكيد (قوله للايذان بأن الوعيد الثانى الخ) أى فتغايرا بهذا الاعتبار ومن هنا قيل ان الاول عند النزع والثانى فى القيامة وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء (قوله ثم أومأ تعالى) أى أشار الى الادلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ووجه الدلالة أن يقال انه تعالى حيث كان قادرا على هذه الاشياء فهو قادر على البعث (قوله ألم نجعل الارض مهادا) الارض مفعول أول ومهادا مفعول ثان ان جعلت بمعنى التصيير وان جعلت بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا وكذا يقال فى قوله أوتادا وما بعده (قوله كالمهد) أى للصبى وهو ما يفرش له لينام عليه (قوله للتقرير) أى بما بعد النفى (قوله سباتا) بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة وفعله سبت كقتل (قوله ساترا بسواده) أى ظلمته ففيه تشبيه بليغ بحذف الاداة أى كاللباس بجامع الستر فى كل (قوله وقتا للمعايش) أى تتصرفون فيه فى حوائجكم (قوله وهاجا) أى مضيئا (قوله يعنى الشمس) أى لانها كوكب نهارى ينسخ ضوؤه ظلمة الليل (قوله التى حان لها أن تمطر) أى جاء وقت أمطارها المقدر لها (قوله الجاريه) المراد بها مطلق الانثى (قوله صبابا) أى بشدة وقوة (قوله حبا ونباتا) أى فالمراد ما يقتات به وما يعلف به من التبن والحشيش (قوله جمع لفيف) وقيل جمع لف بكسر اللام وقيل لا واحد له (قوله ان يوم الفصل الخ) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما وقت البعث الذى أثبت بالادلة المتقدمة فقال ان يوم الفصل وأكده بان لتردد الكفار فيه (قوله كان ميقاتا) أى فى علمه وقضائه (قوله وقتا للثواب والعقاب) أشار بذلك الى أن الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله به من الثواب والعقاب (قوله يوم ينفخ فى الصور) أى النفخة الثانية (قوله جماعات مختلفة) روى عن معاذ بن جبل قلت يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه باكيا ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى مترددون وبعضهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون حللا سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رؤسهم ووجوههم فآكلة الربا وأما العمى فهم من يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (قوله وفتحت السماء) عطف على قوله فتأتون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شققت) أشار بذلك الى انه ليس المراد بالفتح ما عرف من فتح الابواب بل هو التشقق لموافقة قوله اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت * وخير ما فسرته بالوارد * (قوله لنزول الملائكة) أى لانهم يموتون بالنفخة الاولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعا يحيطون بأطراف الارض وجهاتها يسوقون الناس الى المحشر (قوله وسيرت الجبال) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله هباء) المناسب ابقاء السراب على ظاهره ويكون المعنى على التشبيه أى فكانت مثل السراب من حيث ان المرئى خلاف الواقع فكما يرى السراب كأنه ماء كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك فى الواقع لقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب والا فتفسير السراب بالهباء لم يوجد فى اللغة

تأكيد وجىء فيه بثم للايذان بأن الوعيد الثانى أشد من الاول ثم أومأ تعالى الى القدرة على البعث فقال (ألم نجعل الارض مهادا) فراشا كالمهد (والجبال أوتادا) تثبت بها الارض كما تثبت الخيام بالاوتاد والاستفهام للتقرير (وخلقناكم أزواجا) ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) راحة لابدانكم (وجعلنا الليل لباسا) ساترا بسواده (وجعلنا النهار معاشا) وقتا للمعايش (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أى قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان (وجعلنا سراجا) منيرا (وهاجا) وقادا يعنى الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحابات التى حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التى دنت من الحيض (ماء ثجاجا) صبابا (لنخرج به حبا) كالحنطة (ونباتا) كالتبن (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف (ان يوم الفصل) بين الخلائق (كان ميقاتا) وقتا للثواب والعقاب (يوم ينفخ فى الصور) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ اسرافيل (فتأتون) من قبوركم الى الموقف (أفواجا) جماعات مختلفة (وفتحت السماء) بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) ذات أبواب (وسيرت الجبال) ذهب بها عن أماكنها (فكانت سرابا) هباء أى مثله فى خفة سيرها (ان جهنم كانت مرصادا)

راصدة أو مرصدة (للطاغين) الكافرين فلا يتجاوزونها (مآبا) مرجعا لهم فيدخلونها (لابثين) حال مقدرة أى مقدرا لبثهم (فيها أحقابا) دهورا لانهاية لها جمع حقب بضم أوله (لا يذوقون فيها بردا) نوما فانهم لا يذوقونه (ولا شرابا) مايشرب تلذذا (الا) لكن (حميما) ماء حارا غاية الحرارة (وغساقا) بالتخفيف والتشديد مايسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون) يخافون (حسابا) لانكارهم البعث (وكذبوا بآياتنا) القرآن (كذابا) تكذيبا (وكل شئ) من الاعمال (أحصيناه) ضبطناه (كتابا) كتبا فى اللوح المحفوظ لنجازى عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن (فذوقوا) أى فيقال لهم فى الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فلن نزيدكم الا عذابا) فوق عذابكم (ان للمتقين مفازا) مكان فوز فى الجنة (حدائق) بساتين بدل من مفازا أو بيان له (وأعنابا) عطف على مفازا (وكواعب) جوارى تكعبت ثديهن جمع كاعب (أترابا) على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء (وكأسا دهاقا) خمرا مالئة محالها وفى القتال وأنهار من خمر (لا يسمعون فيها) اى الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الاحوال (لغوا) باطلا من القول (ولا كذابا) بالتخفيف اى كذبا وبالتشديد اى تكذيبا من واحد لغيره بخلاف مايقع فى الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) اى جزاهم الله بذلك جزاء (عطاء) بدل من جزاء (حسابا) اى كثيرا من قولهم اعطانى فأحسبنى اى اكثر على حتى قلت حسبى (رب السموات والارض) بالجر والرفع (وما بينهما الرحمن)

(قوله راصدة أو مرصدة) أشار بذلك الى أن مرصادا من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته فهى راصدة للكفار مترقبة لهم أو مرصدة بمعنى معدة ومهيأة لهم يقال أرصدت له أعددت له (قوله أحقابا) ظرف للابثين (قوله لانهاية لها) أى لمجموعها وان كان كل منها متناهيا وانما قال لانهاية لها ليوافق قوله تعالى خالدين فيها أبدا (قوله بضم أوله) أى وسكون ثانيه هو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ماهو الا أنه اذا مضى حقب دخل حقب الى الابد وليس للاحقاب عدة الا الخلود وعن ابن مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا (قوله نوما) سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه ألا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه وهى لغة هذيل وقال ابن عباس البرد برد الشراب وقال الزجاج أى لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة فاما الزمهرير فهو برد عذاب لا راحة فيه (قوله لكن حميما) قضية كلامه أن الاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا من عموم قوله ولا شرابا والاحسن انه بدل من شرابا لان الاستثناء من كلام غير موجب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جزاء وفاقا) منصوب على المصدر بالمحذوف قدره المفسر بقوله جوزوا بذلك الخ (قوله موافقا لعملهم) أشار بذلك الى أن وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل (قوله انهم كانوا) تعليل لقوله جزاء وفاقا (قوله كذابا) بالتشديد باتفاق السبعة (قوله وكل شئ) منصوب على الاشتغال أى وأحصينا كل شئ أحصيناه (قوله كتبا) أشار بذلك الى أن كتابا مصدر من معنى الاحصاء على حد جلست قعودا فمعنى كتابا احصاء (قوله فى اللوح المحفوظ) وقيل فى صحف الحفظة على بنى آدم (قوله ومن ذلك) أى كل شئ (قوله فذوقوا) امر اهانة وتحقير والجملة معمولة لمقدر كما أشار له المفسر (قوله فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه أشد آية فى القرآن على أهل النار كلما استغاثوا بنوع من العذاب اغيثوا باشد منه (قوله ان للمتقين مفازا) مقابل قوله ان للطاغين مآبا والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بان لم يموتوا كفارا (قوله مكان فوز) أشار بذلك الى ان مفازا مصدر ميمى بمعنى المكان ويصح أن يكون بمعنى الحدث أى نجاة وظفرا بالمقصود (قوله بدل من مفازا) اى بدل بعض من كل (قوله عطف على مفازا) المناسب عطفه على حدائق عطف خاص على عام لمزيد شرف الاعناب (قوله تكعبت) أى استدارت مع ارتفاع يسير كالكعب (قوله ثديهن) بضم المثلثة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية جمع ثدى (قوله على سن واحد) أى فلا اختلاف بينهن فى الشكل ولا فى العمر لئلا يحصل الحزن ان وجد التخالف ولا حزن فى الجنة (قوله خمرا مالئة محالها) فسر الكاس بالخمر والدهاق بالمالئة والمناسب ابقاء الكاس على ظاهرها وتفسير الدهاق بالممتلئة لما فى القاموس دهق الكاس ملأها وفى المختار أدهق الكاس ملأها وكاس دهاق اى ممتلئة (قوله لا يسمعون) حال من المتقين (قوله وغيرها) الضمير عائد على الشرب واكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو الخمر لانها تذكر وتؤنث وفى بعض النسخ وغيره وهى ظاهرة (قوله بالتخفيف) اى بوزن كتاب مصدر كذب ككتب وقوله وبالتشديد اى فهو مصدر كذب المشدد قراءتان سبعيتان هنا لعدم التصريح بفعله واما قوله وكذبوا بآياتنا كذابا فهو بالتشديد باتفاق السبعة لوجود التصريح بالفعل المشدد (قوله جزاء من ربك) اى بمقتضى وعده الحسن لاهل الطاعة وهذا من مزيد الاكرام لاهل الجنة كما يقول الشخص الكريم اذا بالغ فى اكرام ضيفه هذا من فضلك واحسانك مثلا والا فاى حق للمخلوق على خالقه (قوله بدل من جزاء) اى بدل كل من كل (قوله حسابا) صفة لعطاء وهو اما مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة او على حذف مضاف اى ذو كفاية على حد زيد عدل (قوله بالجر) أى جر رب على انه بدل من ربك وقوله والرفع أى

على انه خبر مبتدا محذوف أى هو رب (قوله كذلك) أى بالجر والرفع فالجر على انه بدل من رب الأول أو صفة للثانى والرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة مستأنفة وقوله و برفعه أى الرحمن على انه خبر لمحذوف فالقراآت ثلاث سبعيات رفعهما و جرهما ورفع الرحمن مع جر رب (قوله أى الخلق) أى من أهل السموات والارض لغلبة الجلال فى ذلك اليوم فلا يقدر أحد على خطابه تعالى فى دفع بلاء ولا فى رفع عذاب (قوله منه) من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطابا (قوله أو جند الله) ذكر المفسر فى معنى الروح قولين من جملة أقوال ثمانية فقوله جند الله أى جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بنى آدم كالناس وليسوا ناسا ثالثها انه ملك ليس بعد العرش أعظم منه فى السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجىء يوم القيامة وحده صفا رابعها انهم أشراف الملائكة خامسها انهم بنو آدم سادسها أرواح بنى آدم تقوم صفا بين النفختين قبل أن ترد الى الاجساد سابعها القرآن لقوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا ثامنها انهم الحفظة على الملائكة (قوله لا يتكلمون الخ) تأكيد لقوله لا يملكون والمعنى ان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يشفعوا الا باذنه فكيف يملك غيرهم (قوله فمن شاء) مفعوله محذوف دل عليه قوله اتخذ الى ربه مآبا ومن شرطية وجوابها قوله اتخذ الخ أو محذوف تقديره فعل (قوله الى ربه) أى الى ثوابه وهو متعلق بمآبا (قوله كل امرئ) أى مسلما أو كافرا وأخذ العموم من أل الاستغراقية والنظر بمعنى الرؤية والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابتا فى صحيفته وخص اليدين بالذكر لان أكثر الافعال تزاول بهما (قوله يقول ذلك عندما يقول الله للبهائم الخ) هذا أحد احتمالات ثلاث ثانيها انه يتمنى أن لو كان ترابا فى الدنيا فلم يخلق انسانا ولم يكلف ثالثها انه يتمنى أن لو كان ترابا فى يوم القيامة فلم يبعث ولم يحاسب (قوله بعد الاقتصاص من بعضها لبعض) أى فيقتص للجماء من القرناء اظهارا للعدل واما الجن فهم مكلفون كالانس يثابون ويعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار على الصحيح

﴿ سورة والنازعات ﴾

وفى بعض النسخ سورة النازعات بغير واو (قوله والنازعات الخ) اعلم ان الله تعالى أقسم بخمسة أقسام موصوفها محذوف فاختلف المفسرون فى تقدير الموصوف فى الاربعة الأول فبعضهم قدره الملائكة و بعضهم قدره النجوم وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالاجماع والتأنيث فى الاوصاف ظاهر ان كان المراد النجوم وان كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كانه قال والطائفة النازعات ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر (قوله الملائكة تنزع أرواح الكفار الخ) قال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل (قوله غرقا) اما مصدر على حذف الزوائد بمعنى اغراقا فهو ملاق لعامله فى المعنى كقمت وقوفا أو حال أى ذوات اغراق يقال أغرق فى الشئ اذا بلغ أقصى غايته (قوله نزعا بشدة) أى لما ورد ان كل نزعة أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف و يرى ان السموات السبع انطبقت على الارض وهو بينهما (قوله تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب يقال نشط فى عمله خف وأسرع فيه وانشطت البعير من عقاله أطلقته ونشطا وما بعده مصادر مؤكدة لعواملها والسبب فى شدة نزع أرواح الكفار وسهولة نزع أرواح المؤمنين ان كلا يرى قبل الموت مقعده الذى أعدله فالمؤمن يزداد فرحا وشوقا فلا يشاهد ألما ولا يحس به والكافر تأبى روحه الخروج لمزيد الحزن والكرب الذى تجده عند رؤية مقعدها فى النار فتنزع كرها بشدة فيجدها الكافر (قوله والسابحات) أى الملائكة النازلين برفق ولطافة كالسابح فى الماء وكالفرس الجواد اذا أسرع فى جريه لقبض الارواح فملائكة الرحمة تذهب للمؤمن وملائكة العذاب تذهب للكافر فقول المفسر بأمره تعالى محمول على أمر خاص وهو قبض

كذلك و برفعه مع جر رب (لا يملكون) أى الخلق (منه تعالى (خطابا) أى لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه (يوم) ظرف للا يملكون (يقوم الروح) جبريل أو جند الله (والملائكة صفا) حال أى مصطفين (لا يتكلمون) أى الخلق (الا من أذن له الرحمن) فى الكلام (وقال) قولا (صوابا) من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا أى رجع الى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه (انا أنذرناكم) أى كفار مكة (عذابا قريبا) أى عذاب يوم القيامة الآتى وكل آت قريب (يوم) ظرف لعذابا بصفته (ينظر المرء) كل امرئ (ما قدمت يداه) من خير وشر (ويقول الكافر يا) حرف تنبيه (ليتنى كنت ترابا) يعنى فلا أعذب يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كونى ترابا

﴿ سورة والنازعات مكية ست وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقا) نزعا بشدة (والناشطات نشطا) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أى تسلها برفق (والسابحات سبحا) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أى تنزل (فالسابقات سبقا) الملائكة

تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة (فالمدبرات أمرا) الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره وجواب هذه الأقسام محذوف

أي لتبعثن يا كفار مكة وهو عامل في (يوم ترجف الراجفة) النفخة الأولى بها يرجف كل شئ أي يتزلزل فوصفت بما يحدث منها (تتبعها الرادفة) النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية (قلوب يومئذ واجفة) خائفة قلقة (أبصارها خاشعة) ذليلة لهول ما ترى (يقولون) أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وانكارا للبعث (أئنا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لمردودون في الحافرة) أي أنرد بعد الموت الى الحياة والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان في حافرته اذا رجع من حيث جاء (أئذا كنا عظاما نخرة) وفي قراءة ناخرة بالية متفتتة نحيا (قالوا تلك) أي رجعتنا الى الحياة (اذا) ان صحت (كرة) رجعة (خاسرة) ذات خسران قال تعالى (فانما هي) أي الرادفة التي يعقبها البعث (زجرة) نفخة (واحدة) فاذا نفخت (فاذا هم) أي كل الخلائق (بالساهرة) بوجه الأرض احياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتا (هل أتاك) يا محمد (حديث موسى) عامل في (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اسم الوادي بالتنوين وتركه

الارواح كما علمت لترتب قوله فالسابقات عليه وأما التدبير العام فيأتي في قوله فالمدبرات أمرا (قوله تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة) أي وبأرواح الكفار الى النار ففي الكلام اكتفاء وحينئذ فتلك الاوصاف الاربعة للملائكة التي تقبض الارواح (قوله الملائكة تدبر أمر الدنيا) أي وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الارواح واسرافيل موكل بالصور (قوله أي تنزل بتدبيره) أشار بذلك الى ان اسناد التدبير الى الملائكة مجاز والمدبر حقيقة هو الله تعالى فهم أسباب عادية مظهر للتدبير (قوله لتبعثن يا كفار مكة) خصهم وان كان البعث عاما للمسلم والكافر لان القسم انما يكون للمنكر والمسلم مصدق بمجرد الاخبار فلا يحتاج للاقسام (قوله بها يرجف كل شئ) أي فهذا وجه تسميتها راجفة (قوله تتبعها الرادفة) سميت بذلك لانها ترد بها وتأتي بعدها ولا شئ بينهما (قوله فاليوم واسع الخ) جواب عما يقال ان وقت الراجفة موت لا بعث فكيف يجعل ظرفا لتبعثن المقدر وايضاح جوابه ان البعث يحصل في الوقت الذي يجمع النفختين اذ هو متسع فكأنه قال تبعثن وقت حصول النفخة الأولى المتبوعة بالنفخة الثانية (قوله للبعث) أي المقدر جوابا للقسم (قوله قلوب) مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وأبصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره والجملة خبر الاول (قوله أبصارها) أي أبصار أصحاب القلوب (قوله يقولون) حكاية لحالهم في الدنيا وهو استبعادهم (قوله وادخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراآت أربع سبعيات ٣ في كل من الموضعين (قوله في الحافرة) متعلق بمردودون (قوله الى الحياة) أشار بذلك الى أن في بمعنى الى وان الحافرة بمعنى الحياة (قوله والحافرة اسم لأول الأمر) أي والاصل فيها ان الانسان اذا رجع في طريقه أثرت قدماه فيها حفرا فهو مثل لمن يرد من حيث جاء (قوله أئذا كنا عظاما) العامل في اذا محذوف يدل عليه مردودون والمعنى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث والاستفهام لتأكيد الانكار (قوله نخرة) من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير أي تصويت (قوله قالوا تلك الخ) حكاية لكفر آخر مفرع على كفرهم السابق وتلك مبتدأ مشار بها الى الرجعة والرد في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة أي ذات خسران والمعنى ان كان رجوعنا الى القيامة حقا كما تقول فتلك الرجعة رجعة خاسرة لعدم عملنا لها (قوله اذا) حرف جواب وجزاء عند الجمهور ودائما وقيل قد لا تكون جوابا (قوله ذات خسران) أي أو المراد خسران أصحابها (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان هذا من كلامه تعالى ردا عليهم (قوله نفخة) سميت زجرة لانها صيحة لا يمكن التخلف عنها (قوله فاذا هم بالساهرة) جواب شرط محذوف قدره بقوله فاذا نفخت وسميت ساهرة لانه لا نوم عليها من أحل الخوف والحزن (قوله بوجه الارض) وقيل أرض من فضة يخلقها الله تعالى وقيل جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس عليه وقيل غير ذلك (قوله أحياء) خبر عن هم وقوله بالساهرة متعلق بأحياء ولو قال فاذا هم أحياء بالساهرة لكان أولى (قوله هل أتاك الخ) المقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم وتحذير قومه من مخالفته فيحصل لهم ما حصل لفرعون كأن الله تعالى يقول لنبيه اصبر كما صبر موسى فان قومك وان بلغوا في الكفر مهما بلغوا لم يصلوا في العتو كفرعون وقد انتقم الله منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده وهل بمعنى قد ان ثبت انه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام وأما اذا لم يكن أتاه قبل ذلك فالاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار (قوله عامل في اذ ناداه) أي فاذ معمول للحديث لا لأتاك لاختلاف الوقت (قوله المقدس) أي المطهر حيث شرفه الله تعالى بانزال النبوة فيه على موسى (قوله اسم الوادي) أي وسمي طوى لطي الشدائد عن بني اسرائيل وجمع الخيرات لموسى وهو واد بالطور بين ايلة ومصر (قوله بالتنوين وتركه) أي فالتنوين باعتبار المكان

٣ قول المحشي فالقراآت أربع الخ هكذا في بعض النسخ وهي موافقة لما في حاشية العلامة الجمل وفي بعضها قوله وادخال ألف بينهما أي وتركه فالقراآت أربع سبعيات في الموضع الأول وأما الثاني ففيه التسهيل بوجهيه والتحقيق مع عدم الادخال فتلك ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر

وكونه

وكونه نكرة وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله فقال تعالى) أشار بذلك الى أن قوله اذهب الى فرعون معمول لقول محذوف ويصح أن يكون على حذف أن التفسيرية أو المصدرية (قوله الى فرعون) كان طوله أربعة أشبار ولحيته أطول منه وكانت خضراء فاتخذ القبقاب ليمشي عليه خوفا من أن يمشي على لحيته وهو أول من اتخذه (قوله انه طغى) تعليل للأمر (قوله تجاوز الحد في الكفر) أي بتكبره على الله واستعباده خلقه (قوله فقل هل لك الخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بان يقول له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليجره الى الهدى باللطف والرفق (قوله أدعوك الخ) هذا حل معنى لا حل اعراب واعرابه ان هل لك خبر مبتدا محذوف والى ان تزكى متعلق بذلك المبتدا والتقدير هل ثبت لك سبيل وميل الى التزكية (قوله وفي قراءة بتشديد الزاي) أي سبعية أيضا وقوله بادغام التاء الثانية أي على التشديد وأما على التخفيف ففيه حذف احدى التاءين (قوله وأهديك) معطوف على تزكى وقوله أدلك على معرفته بالبرهان الخ اشارة الى أن الدلالة على المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك فهي واجبة وجوب الفروع وأما التطهر بالدخول في الاسلام فمن وجوب الاصول (قوله فتخشى) جعل الخشية غاية للهدى لانها ملاك الأمور اذ هي خوف مع تعظيم فمن خشي ربه أتى منه كل خير فالخشية أعظم من الخوف واعلم ان أوائل العلم بالله الخشية من الله ثم الاجلال ثم الهيبة ثم الفناء عما سواه (قوله فأراه الآية الكبرى) عطف على محذوف تقديره فذهب اليه وقال له ما ذكر فطلب منه آية فأراه الخ والضمير المستتر فيه عائد على موسى والبارز عائد على فرعون وهو المفعول الأول والثاني قوله الآية والكبرى صفة للآية (قوله أو العصا) هذا هو التحقيق اذ كل ما في اليد حاصل في العصا وتزيد أمورا أخر فغاية ما في اليد انقلاب لونها ولا شك ان العصا لما انقلبت حية لا بد وأن يتغير لونها وتزيد القوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وكونها تصير حيوانا ثم تصير جمادا أو غير ذلك اذ كل واحد من هذه الوجوه معجز ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته لان ما ظهر على يده من بقية الآيات انما كان بعد غلب السحرة (قوله فكذب فرعون موسى) أي في كون ما أتى به من عند الله (قوله وعصى) أي بعد ما رأى الآيات (قوله ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان (قوله يسعى) حال من الضمير في أدبر (قوله جمع السحرة) أي للمعارضة وقوله وجنده أي للقتال وكان السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط والسبعون من بني اسرائيل وتقدم في الأعراف جملة أقوال في عددهم وكانت عدة بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفا وعدة جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف (قوله فنادى) أي بنفسه أو بمناديه (قوله فقال أنا ربكم الأعلى) أي بعد ما قال له موسى رب أرسلني اليك فان آمنت بربك تكون أربعمائة سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتى أستشير هامان فاستشاره فقال أتصير عبدا بعد ما كنت ربا فعند ذلك جمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال أنا ربكم الأعلى (قوله نكال) منصوب على انه مصدر لأخذ والمعنى أخذه أخذ نكال أو مفعول لأجله أي لأجل نكاله (قوله أي هذه الكلمة) أي وهي قوله أنا ربكم الأعلى (قوله المذكور) أي من التكذيب والعصيان والادبار والحشر والنداء الواقع من فرعون (قوله لمن يخشى) أي لمن كان من شأنه الخشية وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك (قوله أأنتم) استفهام تقريع وتوبيخ لمنكري البعث من أهل مكة (قوله بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف وتركه فالقراآت خمس سبعيات التحقيق والتسهيل اما مع الألف أو تركها والابدال (قوله أم السماء) أي فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الاعادة وهو عطف على أأنتم فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها (قوله أشد خلقا) أشار بذلك الى ان قوله أم السماء مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله (قوله رفع سمكها) أي ثخنها وغلظها وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلي الأسفل وسطحها الاعلى وقدره خمسمائة عام (قوله أي جعل سمتها) أي مقدار ذهابها في سمت العلو فالمراد بالسمت السمك (قوله وقيل سمكها سقفها) أي فمعنى رفع سمكها على هذا جعلها مرفوعة عن الارض (قوله جعلها مستوية) أي ملساء ليس فيها ارتفاع

فقال تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى) تجاوز الحد في الكفر (فقل هل لك) أدعوك (الى ان تزكى) وفي قراءة بتشديد الزاي بادغام التاء الثانية في الاصل فيها تتطهر من الشرك بان تشهد أن لا اله الا الله (وأهديك الى ربك) أدلك على معرفته بالبرهان (فتخشى) فتخافه (فأراه الآية الكبرى) من آياته التسع وهي اليد أو العصا (فكذب) فرعون موسى (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) عن الايمان (يسعى) في الارض بالفساد (فحشر) جمع السحرة وجنده (فنادى وقال أنا ربكم الأعلى) لا رب فوقي (فأخذه الله) أهلكه بالغرق (نكال) عقوبة (الآخرة) أي هذه الكلمة (والأولى) أي قوله قبلها ما علمت لكم من اله غيري وكان بينهما أربعون سنة (ان في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله تعالى (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي منكرو البعث (أشد خلقا أم السماء) أشد خلقا (بناها) بيان لكيفية خلقها (رفع سمكها) تفسير لكيفية البناء أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعا وقيل سمكها سقفها (فسواها) جعلها مستوية بلا عيب (وأغطش ليلها)

بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو (أخرج) حال باضمار قد أي مخرجا (منها ماءها) بتفجير عيونها (ومرعاها) ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الاقوات والثمار واطلاق المرعى عليه استعارة (والجبال أرساها) أثبتها على وجه الارض لتسكن (متاعا) مفعول له لمقدر أي فعل ذلك متعة أو مصدر أي تمتيعا (لكم ولانعامكم) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) النفخة الثانية (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا (ما سعى) في الدنيا من خير وشر (وبرزت) أظهرت (الجحيم) النار المحرقة (لمن يرى) لكل راء وجواب اذا (فاما من طغى) كفر (وآثر الحياة الدنيا) باتباع الشهوات (فان الجحيم هي المأوى) مأواه (وأما من خاف مقام ربه) قيامه بين يديه (ونهى النفس) الأمارة (عن الهوى) المردي باتباع الشهوات (فان الجنة هي المأوى) وحاصل الجواب فالعاصي في النار والمطيع في الجنة (يسئلونك) أي كفار مكة (عن الساعة أيان مرساها) متى وقوعها وقيامها (فيم) في أي شيء (أنت من ذكراها) أي ليس عندك علمها حتى تذكرها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها لا يعلمه غيره (انما أنت منذر) انما ينفع انذارك (من يخشاها) يخافها

ولا انخفاض (قوله أظلم) أي جعله مظلما بمغيب شمسها (قوله أبرز نور شمسها) المراد بنور الشمس النهار لوقوعه في مقابلة الليل فكنى بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزائه (قوله لانه ظلها) أي لانه أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله لانها سراجها) أي الشمس سراج السماء وفيه أنه يقتضي أن ضوء الشمس يظهر في السماء مع ان المقدم خلافه وهو ان نورها انما يظهر في الارض ونور السموات بنور العرش ويجاب بأنه لا يلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به (قوله والارض) منصوب على الاشتغال (قوله بعد ذلك) أي بالفي عام وقوله دحاها يقال دحا يدحو دحوا ودحيا كدعا بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء (قوله وكانت مخلوقة الخ) أي فلا معارضة بين ما هنا وآية فصلت لانه ابتدأ خلق الارض غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض (قوله واطلاق المرعى عليه) أي على ما يأكله الناس (قوله استعارة) أي مجاز فاستعمل المرعى في مطلق المأكول للانسان وغيره من استعمال المقيد في المطلق أو هو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعي الدواب (قوله مفعول له لمقدر) أي لفعل مقدر وقوله أو مصدر أي تمتيعا كالسلام بمعنى التسليم وهو لفعل مقدر أيضا تقديره متعنا كم بها تمتيعا (قوله ولانعامكم) خص الانعام لشرفها والا فهو متاع لسائر دواب الارض (قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى) الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ما تقدم الخ (قوله الطامة الكبرى) أي الداهية التي تعلو على الدواهي فهي أعظم من كل عظيم وخص ما هنا بالطامة الكبرى موافقة لقوله قبل فأراه الآية الكبرى بخلاف ما في عبس فانه لم يتقدمه شيء من ذلك فخصت بالصاخة وهي الصوت الشديد الواقع عند الداهية الكبرى فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة (قوله بدل من اذا) أي بدل كل أو بعض (قوله وبرزت) عطف على جاءت والعامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى بياءا لغيبة مبنيا للفاعل ومعناه يبصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على أحد (قوله لكل راء) أي من كل من له عين وبصر من المؤمنين والكفار لكن الناجي لا ينصرف بصره اليها ولا يراها بالفعل والكافر هي مأواه (قوله وجواب اذا فاما من طغى الخ) فيه نوع تساهل لان قوله فاما من طغى الخ بيان لحال الناس في الدنيا وقوله فاذا جاءت الطامة الخ بيان لحالهم في الآخرة فالاولى ما سلكه غيره من أن الجواب محذوف تدل عليه التفصيل المذكور تقديره دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة (قوله باتباع الشهوات) أي المحرمات (قوله مأواه) أي فال عوض عن الضمير العائد على من طغى (قوله وأما من خاف مقام ربه) مقابل قوله فاما من طغى الخ واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان مرتبة العامة وهي الخوف من العذاب ومرتبة الخاصة وهي الخوف من جلال الله تعالى والآية صادقة بهما وأضيف المقام لله تعالى وان كان وصفا للعبد من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه (قوله الامارة) قيد بها لانها هي تكون مذمومة الهوى وأما غيرها فهواها محمود لما في الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به (قوله المردي) أي المهلك وقوله باتباع الشهوات متعلق بالمردي والباء سببية (قوله وحاصل الجواب الخ) أشار بذلك الى أن اما لمجرد التأكيد وليست للتفصيل لعدم تقدم مقتضيه وصار المعنى فالعاصي في النار الخ وفيه انه يحوج لتكلف فالاحسن ما قدمناه من ان الجواب محذوف والآية دليل عليه (قوله أيان مرساها) تفسير لسؤالهم (قوله فيم أنت) فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر وقوله من ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والاستفهام انكاري والمعنى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فليس لك علم بها حتى تخبرهم به وهذا قبل اعلامه بوقتها فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة ولكن أمر بكتم أشياء منها كما تقدم التنبيه عليه غير مرة (قوله انما أنت منذر من يخشاها) أي انك مرسل بالانذار لمن يخافها وهو لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها وخص من يخشى بالذكر لانه المنتفع بها وقد أشار له المفسر بقوله انما ينفع انذارك (قوله يخافها) أي يخاف

هوظها (قوله كأنهم) أى كفار قريش (قوله الاعشية) هى من الزوال الى غروب الشمس وقوله أو ضحاها أى ضحى عشية من العشايا وهى البكرة الى الزوال والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لاعشية بتمامها أو ضحوة بتمامها (قوله أى عشية يوم الخ) أشار بذلك الى أن التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله وصح اضافة الضحى الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره العشية لاضحى لها وانما الضحى لليوم فما وجه اضافة الضحى لضمير العشية فأجاب بأنهما لما كانتا من يوم واحد كانت بينهما ملابسة فصح اضافة احداهما للاخرى (قوله ووقوع الكلمة فاصلة) أى رأس آية تناسب رؤس الآى قبلها

﴿ سورة عبس ﴾

وتسمى سورة السفرة وسورة الاعمى (قوله عبس وتولى الخ) انما أتى بضمائر الغيبة تلطفا به صلى الله عليه وسلم واجلالا له لما فى المشافهة بتاء الخطاب مالا يخفى من الشدة والصعوبة وهذا نظير تقديم العفو على العتاب فى قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ولولا كتاب من الله سبق لمسكم الخ وناهيك بذلك محبة وشرفا ومن ذلك قول عائشة ما أرى ربك الا يسارع فى هواك فسيئات المحبوب حسنات قال أبو الحسن الشاذلى واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت (قوله كلح) بالتخفيف من باب خضع و وجهه فاعل (قوله أن جاءه الأعمى) تنازعه كل من عبس وتولى أعمل الاول على مذهب الكوفيين أو الثانى على مذهب البصريين وأضمر فى المهمل وحذف (قوله عبد الله) أى ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى اشتهر بأم أبيه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عامر المخزومى أسلم قديما بمكة وكان ابن خالة خديجة رضى الله عنها واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء (قوله فقطعه عما هو مشغول به) ما واقعة على القول بدليل قوله ممن يرجو اسلامه من أشراف قريش ففيه اطلاق ما على العاقل وهو مذهب سيبويه (قوله الذى هو حريص على اسلامهم) نعت لاشراف قريش وكان المناسب التعبير بالذين (قوله فناداه) أى وكرر ذلك وقوله مما علمك الله أى وهو القرآن والاسلام وايضاح ما قاله المفسر ان الاعمى جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم أولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم أتباعهم فتقوى كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لايعلم فتشاغل النبى صلى الله عليه وسلم بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات ان قلت ان ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع ما يغنى عن البصر فهو وان لم ير القوم لكنه لشدة سمعه كان يسمع مخاطبة النبى معهم وحينئذ فيكون اقدامه على قطع كلام رسول الله ايذاء له فيكون معصية فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم وكيف يقول المفسر ولم يدر الأعمى الخ أجيب بأن عدم علمه لعله من أجل دهشته بقدومه على رسول الله ولا شك ان جلاله صلى الله عليه وسلم وجماله يدهش العقول ولاسيما بالمحب المشتاق الراغب فى التعليم وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رجته لا بالنظر لظاهر شرعه والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروها ولا خلاف الاولى اذ الاهم مقدم على المهم وانما ذلك من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله يبسط له رداءه) أى و يقول له هل لك من حاجة (قوله وما يدريك) فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والكاف مفعول أول وجملة لعله

(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) فى قبورهم (الاعشية أو ضحاها) أى عشية يوم أو بكرته وصح اضافة الضحى الى العشية لما بينهما من الملابسة اذهما طرفا النهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة

﴿ سورة عبس مكية اثنتان وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس) النبى كلح وجهه (وتولى) أعرض لاجل (أن جاءه الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو اسلامه من أشراف قريش الذى هو حريص على اسلامهم ولم يدر الاعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمنى مما علمك الله فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم الى بيته فعوتب فى ذلك بما نزل فى هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له اذا جاء مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى و يبسط له رداءه (وما يدريك) يعلمك (لعله يزكى) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الزاى

أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أو يذكر) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) العظة المسموعة منك وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي (أما من استغنى) بالمال (فأنت له تصدى) وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تقبل وتتعرض (وما عليك ألا يزكى) يؤمن (وأما من جاءك يسعى) حال من فاعل جاء (وهو يخشى) الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى (فأنت عنه تلهى) فيه حذف التاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل (كلا) لا تفعل مثل ذلك (إنها) أي السورة أو الآيات (تذكرة) عظة للخلق (فمن شاء ذكره) حفظ ذلك فاتعظ به (في صحف) خبر ثان لإنها وما قبله اعتراض (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدي سفرة) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام بررة) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة (قتل الإنسان) لعن الكافر (ما أكفره) استفهام توبيخ أي ما حمله على الكفر (من أي شيء خلقه) استفهام تقرير ثم بينه فقال (من نطفة خلقه فقدره) علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه (ثم السبيل) أي طريق خروجه من بطن أمه (يسره ثم أماته فأقبره) جعله في قبر يستره (ثم إذا شاء أنشره) للبعث (كلا) حقا (لما يقض) لم يفعل (ما أمره) به ربه (فلينظر الإنسان) نظر اعتبار (إلى طعامه) كيف قدر ودبر له (أنا صببنا الماء)

يزكى سادة مسد المفعول الثاني (قوله أي يتطهر من الذنوب) أي لا من الشرك لأنه أسلم قديما كما علمت (قوله أو يذكر) عطف على يزكى (قوله فتنفعه) بالرفع عطف على أو يذكر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أما من استغنى) أي عما عندك من الإيمان والقرآن والعلوم (قوله فأنت له تصدى) الجار والمجرور متعلق بتصدى قدم عليه رعاية للفاصلة وأصل تصدى تصدد أبدلت الدال الثانية حرف علة (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تقبل) أي بالإصغاء إلى كلامه (قوله وما عليك الخ) ما نافية وعليك خبر مبتدأ محذوف وقوله ألا يزكى متعلق بالمبتدأ المحذوف والتقدير ليس عليك بأس في عدم تزكيته (قوله وأما من جاءك يسعى) أي يسرع ويمشي في طلب الخير (قوله وهو الأعمى) تفسير لمن (قوله أي تتشاغل) أي بدعاء قريش إلى الإسلام وهذا الشغل وإن كان واجبا عليه إلا أنه عوتب نظرا للحقيقة كما علمت (قوله لا تفعل مثل ذلك) روي أنه ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني (قوله ذكره) أي التذكرة وذكر الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكر والوعظ (قوله في صحف) أي مثبتة في صحف مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ قال المفسرون إن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله وبقيت تلك الصحف عندهم فصار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبي عليه الصلاة والسلام حتى استكمل إنزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة (قوله وما قبله اعتراض) أي بين الخبرين (قوله سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب وزنا ومعنى (قوله كرام) أي مكرمين معظمين عند الله (قوله لعن الكافر) أي طرد عن رحمة الله وفيه إشارة إلى أن المراد بالإنسان الكافر لا كل إنسان وقوله ما أكفره تعجب من إفراط كفره مع كثرة إحسان الله عليه وفي الآية إشكال من وجهين الأول أن قوله قتل الإنسان يوهم الدعاء وهو إنما يكون من العاجز فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شيء الثاني أن التعجب استعظام أمر خفي سببه وهذا المعنى محال على الله تعالى إذ هو العالم بالأشياء إجمالا وتفصيلا أجيب بأن هذا الكلام جار على أسلوب العرب لبيان استحقاقه لأعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم إذا تعجبوا من شيء قاتله الله ما أخبثه وأجيب أيضا بأن الأول ليس دعاء بل هو إخبار من الله بأنه طرده عن رحمته والثاني أنه ليس تعجبا بل استفهام توبيخ وعليه درج المفسر فهما تقريران (قوله أي ما حمله على الكفر) أي أي شيء دعاه إليه (قوله استفهام تقرير) أي وتحقير لحقارة النطفة التي هي أصله ولذا قال بعضهم ما لابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل للعذرة (قوله ثم بينه) أي الشيء المخلوق هو منه (قوله فقدره) أي قدر أطواره وهو تفصيل لما أجمل في قوله من نطفة خلقه (قوله ثم السبيل) منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور ولم يقل ثم سبيله بالإضافة إلى ضميره إشعارا بأنه سبيل عام (قوله أي طريق خروجه من بطن أمه) قال بعضهم إن رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو في بطن أمه على الانتصاب فإذا جاء وقت خروجه انقلب بإلهام من الله تعالى (قوله ثم أماته الخ) عد الإماتة من النعم باعتبار أنها وصلة في الجملة للحياة الأبدية والنعيم الدائم (قوله فأقبره) أي أمر بقبره يقال قبر الميت إذا دفنه بيده وأقبره إذا أمر غيره به فالقابر هو الدافن باليد والمقبر هو الله تعالى لأمره به (قوله جعله في قبر يستره) أي ولم يجعل ممن يلقى للطيور والسباع إكراما له (قوله ثم إذا شاء) مفعول المشيئة محذوف والتقدير إذا شاء إنشاره أنشره (قوله حقا) أي فتكون متعلقة بما بعدها أي حقا لم يفعل ما أمره به ربه وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلا ويصح أن تكون حرف ردع وزجر للإنسان عما هو عليه من التكبر والتجبر وقوله لما يقض بيان لسبب الردع والزجر (قوله لما يقض) أي لم يفعل الإنسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره ما فرضه الله عليه (قوله ما أمره به ربه) أشار بذلك إلى أن ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف والضمير عائد على الإنسان المتقدم ذكره وهو الكافر (قوله فلينظر الإنسان الخ) بيان لتعداد النعم المتعلقة

بحياته في الدنيا اثر بيان النعم المتعلقة بايجاده (قوله من السحاب) أي بعد نزوله من السماء (قوله ثم شققنا الارض بالنبات) أي الذي هو أضعف الاشياء (قوله وعنبا) عطف على حبا (قوله هو القت الرطب) أي علف الدواب الرطب وسمي قضبا لانه يقضب أي يقطع مرة بعد أخرى (قوله غلبا) جمع أغلب وغلباء كاحمر وحمراء (قوله كثيرة الاشجار) أي فاسناد الغلب لها مجاز اذ هو وصف للاشجار (قوله وفاكهة) اما عطف على عنبا من عطف العام على الخاص أو على حدائق فهو عطف خاص على عام (قوله وأبا) اما من أبه اذا أمه وقصده لانه يقصد للرعي او اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي (قوله ما ترعاه البهائم) اي رطبا او يابسا فهو اعم من القضب (قوله وقيل التبن) اي وعليه فالمغايرة بينه و بين القضب ظاهرة (قوله متعة أو تمتيعا) اشار بذلك الى ان متاعا يصح ان يكون مفعولا لاجله أو مفعولا مطلقا عامله محذوف تقديره فعل ذلك متاعا او متعكم تمتيعا (قوله تقدم فيها أيضا) اى وهو تفسير النعم بانها البقر والابل والغنم وتقدم لنا انه خصها الشرفها (قوله فاذا جاءت الصاخة) شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم والصاخة الداهية التي تصخ آذان الخلائق أي تصمها لشدة وقعتها وصفت بذلك مجازا لان الناس يصخون منها (قوله يوم يفر المرء من أخيه الخ) اى وسبب هروبه احاذرا من مطالبتهم له بحقوقهم فالاخ يقول لم تواسني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا أو لما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له أو لكثرة شغل الانسان بنفسه فيدهش عن غيره وكل واقع (قوله بدل من اذا) اى بدل كل او بعض والعائد محذوف اى يفر فيه (قوله لكل امرئ) جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار (قوله أى اشتغل الخ) بيان لجواب اذا المحذوفة (قوله وجوه) مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به وهذا بيان لمآل الخلائق وانقسامهم الى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم في الداهية العظيمة (قوله مضيئة) اما من قيام الليل أو من آثار الوضوء أو من طول ما اغبرت في سبيل الله وكل صحيح (قوله فرحة) أي بما رأته من كرامة الله ورضوانه (قوله ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس وقيل القترة والغبرة معناهما واحد وهو الغبار لكن القترة ما ارتفع منه الى السماء والغبرة ما انحط الى الارض (قوله الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر وهو الكاذب المفتري على الله تعالى فجمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر الى الفجور

﴿سورة التكوير﴾

مناسبتها لما قبلها ان كلا فيه ذكر أهوال القيامة وفي الحديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت (قوله اذا الشمس كورت الخ) الارجح عند جمهور النحاة ان الاسم المرفوع الواقع بعد ان الشرطية مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور و يمتنع أن يكون مرفوعا بالابتداء لان أدوات الشروط لا يليها الا الافعال لفظا أو تقديرا وأجاز الاخفش والكوفيون ايلاءها الاسم فيرفع الاسم مبتدا وما بعده خبر واذا في المواضع الاثني عشر شرطية جوابها قوله علمت نفس ولا يجوز الوقف اختيارا قبل الجواب (قوله لففت) المناسب ان يقول لفت والمعنى لف بعضها ببعض و رمي بها في البحر ثم يرسل الله عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (قوله بنورها) أي ضوئها (قوله سيرت) أي في الهواء بعد تفتيتها (قوله فصارت هباء) أي بعد صيرورتها كالصوف المندوف فلا تفتت ثم تصير كالصوف المندوف (قوله واذا العشار) جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر الى أن تضع وخصها بالذكر لانها أعلى ما يكون عند أهلها وأنفس أموالهم لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق فغض بصره وقيل له هذه أنفس أموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية واذا كان هذا حالهم مع أنفس أموالهم فحالهم مع غيره أولى والى هذا يشير المفسر بقوله ولم يكن مال أعجب اليهم منها (قوله تركت بلا راع) أي مهملة وقوله أو بلا حلب بفتح اللام مصدر حلب يحلب بالضم

من السحاب (صبا ثم شققنا الارض) بالنبات (شقا فأنبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) هو القت الرطب (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) بساتين كثيرة الاشجار (وفاكهة وأبا) ما ترعاه البهائم وقيل التبن (متاعا) متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها (لكم ولانعامكم) تقدم فيها أيضا (فاذا جاءت الصاخة) النفخة الثانية (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) زوجته (وبنيه) يوم بدل من اذا وجوابها دل عليه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) حال يشغله عن شأن غيره أى اشتغل كل واحد بنفسه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة (ضاحكة مستبشرة) فرحة وهم المؤمنون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها) تغشاها (قترة) ظلمة وسواد (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة الفجرة) أى الجامعون بين الكفر والفجور

﴿سورة التكوير مكية تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت) لففت وذهب بنورها (واذا النجوم انكدرت) انقضت وتساقطت على الارض (واذا الجبال سيرت) ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منبثا (واذا العشار) النوق الحوامل (عطلت) تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الامر ولم يكن مال أعجب اليهم منها

واذا الوحوش حشرت) جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا (واذا البحار سجرت) بالتخفيف والتشديد أوقدت فصارت نارا (واذا النفوس زوجت) قرنت بأجسادها (واذا الموؤدة) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سئلت) تبكيتا لقاتلها (بأى ذنب قتلت) وقرئ بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب (واذا الصحف) صحف الاعمال (نشرت) بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت (واذا السماء كشطت) نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة (واذا الجحيم) النار (سعرت) بالتخفيف والتشديد أججت (واذا الجنة أزلفت) قربت لأهلها ليدخلوها وجواب اذا أول السورة وما عطف عليها (علمت نفس) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس الجوار الكنس) هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون

ويقال بالسكون من باب قتل (قوله واذا الوحوش) أى دواب البر وقوله جمعت أى من كل ناحية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أوقدت فصارت نارا) هذا أحد أقوال فى تفسير التسجير وقيل سجرت ملئت من الماء وقيل اختلط عذبها بالملح حتى صارت بحرا واحدا وقيل يبست ويمكن الجمع بين تلك الاقوال فأولا يفيض بعضها البعض ثم تيبس ثم تقلب نارا ثم ما تقدم من الآيات الست يجوز أن يكون مقدمة للنفخة الاولى فالاحياء يشاهدون ذلك لما روى عن أبى بن كعب قال ست آيات من قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحير وا ودهشوا فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثورا ففزع الانس الى الجن والجن الى الانس واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا نار تتأجج فبينما هم كذلك انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فأماتتهم ويجوز أن يكون فى النفخة الثانية ويقال فى تعطيل العشار يحتمل انه كناية عن شدة الهول حتى لا يلتفت الشخص الى أنفس أمواله أو تبعث معطلة بلا راع ولا يلتفت لها صاحبها الان البهائم تحشر للقصاص من بعضها البعض وأما الست الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقا (قوله قرنت باجسادها) أى ردت الارواح الى أجسادها فالتزويج على هذا جعل الشئ زوجا والنفوس بمعنى الارواح وقيل قرن كل امرئ بشيعته فاليهودى يضم لليهود والنصرانى للنصارى وهكذا وقيل قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح فى الجنة والرجل السوء بالرجل السوء فى النار وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وفى الحقيقة يحصل كل (قوله الجارية) المراد بها مطلق الانثى وقوله والحاجة أى الفقر فكان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية واذا أراد قتلها تركها حتى اذا كانت بنت ست سنين يقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة واذا ولدت ولدا أبقته (قوله تبكيتا لقاتلها) جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله اياها فأجاب بأن سؤالها هى لافتضاح القاتل وتبكيته ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل لانه يقال ان كان القاتل من أهل الفترة فلا يعذب وانما يرضى الله المقتولة باحسانه وان كان ممن بلغته الدعوة فهو آثم يعذب على القتل ان لم يغفر له الله تعالى (قوله وقرئ بكسر التاء) اى الثانية على أنها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبنى للمفعول وهذه القراءة شاذة وقرئ شذوذا أيضا ببناء سئل للفاعل مع قتلت بضم التاء للمتكلم وبسكونها على التأنيث فالقراآت الشاذة ثلاث (قوله صحف الاعمال) أى فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله فتحت وبسطت) أى بعد أن كانت مطوية (قوله نزعت عن أماكنها) أى أزيلت عنه فالكشط القلع عن شدة التزاق والقشط لغة فيه وبها قرئ شذوذا فالسماء تنزع عن أماكنها كما ينزع الغطاء عن الشئ وقيل تطوى كما يطوى السجل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان (قوله أججت) أى أوقدت للكفار (قوله قربت لاهلها ليدخلوها) أى هيئت وأحضرت لهم وسهل طريقها لا أنها تزول عن موضعها (قوله أول السورة) أى الواقعة فى أولها وقوله وما عطف عليها أى وهو أحد عشر (قوله علمت نفس) ان قلت ان نفس نكرة فى سياق الاثبات وهى لا تعم أجيب بجوابين الاول ان العموم استفيد من قرينة المقام والسياق الثانى ان وقوعها فى سياق الشرط كوقوعها فى سياق النفى فتعم أيضا ومعنى العلم بما أحضرته انها تشاهد أعمالها مكتوبة فى الصحف (قوله وهو) أى وقت حصول هذه الامور (قوله هى النجوم الخ) أى

أى ترجع فى مجراها وراءها بينما ترى النجم فى آخر البرج اذكر راجعا الى أوّله وتكنس بكسر النون تدخل فى كناسها أى تغيب فى المواضع التى تغيب فيها (والليل اذا عسعس) أقبل بظلامه أو أدبر (والصبح اذا تنفس) امتد حتى يصير نهارا بينا (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) على الله تعالى وهو جبريل أضيف اليه لنزوله به (ذى قوة) أى شديد القوى (عند ذى العرش) أى الله تعالى (مكين) ذى مكانة متعلق به عند (مطاع ثم) أى تطيعه الملائكة فى السموات (أمين) على الوحى (وما صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم عطف على انه الى آخر المقسم عليه (بمجنون) كما زعمتم (ولقد رآه) رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التى خلق عليها (بالافق المبين) البين وهو الأعلى بناحية المشرق (وما هو) أى محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) ما غاب من الوحى وخبر السماء (بظنين) بمتهم وفى قراءة بالضاد أى ببخيل فينقص شيأ منه (وما هو) أى القرآن (بقول شيطان) مسترق السمع (رجيم) مرجوم (فأين تذهبون) فأى طريق تسلكون فى انكاركم القرآن واعراضكم عنه (ان) ما (هو الا ذكر) عظة (للعالمين) الانس والجن (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار (أن يستقيم) باتباع الحق (وما تشاؤن) الاستقامة على الحق الا أن يشاء الله رب العالمين) انخلائق استقامتكم عليه

﴿سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) انقضت وتساقطت (واذا البحار

السيارة غير الشمس والقمر (قوله أى ترجع فى مجراها) أى من آخر الفلك القهقرى الى أوّله وخصها بالذكر لانها تستقبل الشمس فتحبس بالنهار وتظهر بالليل وتخفى وقت غروبها عن البصر (قوله اذكر راجعا) هو العامل فى بينما وقوله الى أوّله أى البرج (قوله فى كناسها) أى محل اختفائها من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من اغصان الشجر (قوله والصبح اذا تنفس) مناسبته لما قبله ظاهرة لانه ان كان المراد اقباله فهو أوّل الليل وهذا أوّل النهار وان كان المراد ادباره فهذا مجاور له (قوله اذا تنفس) التنفس فى الاصل خروج النفس من الجوف وصف به الصبح من حيث انه اذا أقبل ظهر روح ونسيم فجعل نفساله (قوله ذى قوة) أى فكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام فنفحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل خلف الهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى أسرع من رد الطرف (قوله ذى مكانة) أى اكرام وتشريف (قوله متعلق به عند) أى فهو حال من مكين وأصله وصف فلما قدم نصب حالا وقوله ثم ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع (قوله أى تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع وقوله فى السموات تفسير لقوله ثم (قوله عطف على أنه الخ) أى فهو من جملة المقسم عليه بالاقسام السابقة وفى الحقيقة ذكر جبريل بالاوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد صلى الله عليه وسلم لان المقصود منه رد قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائل جبريل ومحمد خلافا للزمخشرى الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد بل اذا أمعنت النظر وجدت اجراء تلك الصفات على جبريل فى هذا المقام دال على بلوغ الغاية فى تعظيم محمد حيث جعل السفير بينه وبين الله هذا الملك الموصوف بتلك الصفات وفضل المصطفى مصرح به فى هذا الكتاب وفى سائر الكتب السماويه كالشمس فى رابعة النهار هذا زبدة ما أفاده الأئمة فى هذا المقام (قوله ولقد رآه) معطوف على قوله انه لقول رسول كريم أيضا فهو من جملة المقسم عليه وهذه الرؤية كانت فى غار حراء حين رآه على كرسيه بين السماء والارض فى صورته الأصلية وكان قد سأله ان يريه نفسه على صورته التى خلق عليها وعده بحراء ثم انجز له الوعد وتقدم بسطه فى قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى الخ (قوله على الغيب) متعلق بظنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى ببخيل) أى فلا يبخل به عليكم بل يخبركم به على طبق ما أمر ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا (قوله وما هو بقول شيطان الخ) نفى لقولهم انه كهانة وسحر (قوله فأين تذهبون) أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون كما قال المفسر فأى طريق تسلكون حيث نسبتموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهو برىء من ذلك كله كما تقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (قوله أن يستقيم) أى فالطريق واضح فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله وما تشاؤن) رجوع للحقيقة واعلام بأن العبد مختار فى الظاهر مجبور فى الباطن على ما يريده الله منه

﴿سورة الانفطار﴾

مناسبتها لما قبلها وما بعدها ظاهرة لان كلا متعلق بيوم القيامة (قوله اذا السماء انفطرت الخ) اعلم ان المراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وذلك ان السماء كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم لزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الارض التى فيها الاموات (قوله انشقت) أى لنزول الملائكة (قوله انقضت وتساقطت) أى ان الانتثار استعارة لازالة الكواكب فشبهت بجواهر قطع سلكها وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه

وهو الانتشار فاثباته تخييل على طريق الاستعارة المكنية (قوله فجرت) العامة على قراءته مبنيا للمفعول مشددا وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف (قوله فتح بعضها فى بعض) أى زال البرزخ الحاجز (قوله بعثرت) برادفه فى معناه بحثر بالحاء فهما مركبان من البعث والبحث مضموما اليهما راء (قوله قلب ترابها) أى الذى أهيل على الموتى وقت الدفن وصار ما كان فى باطن الارض ظاهرا على وجهها (قوله علمت نفس) أى علما تفصيليا والا فالعلم الاجمالى حصل لهم عند الموت حين يرى كل مقعده من الجنة أو النار واعلم ان الانسان يعلم ما قدمه من خير وشر عند موته علما اجماليا فيعلم انه من أهل السعادة أو الشقاوة فاذا بعث وقرأ صحيفته علم ذلك تفصيلا (قوله يا أيها الانسان الكافر) هذا أحد قولين والآخر أن المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن المنهمك فى المعاصى (قوله ما غرك بربك الكريم) ما استفهامية والمعنى أى شئ خدعك وجرأك على عصيان الكريم الذى من حقه عليك ان تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ولا تغتر بحلمه وكرمه ان قلت كونه كريما يقتضى انه يغتر الانسان بكرمه لانه جواد وهو يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب فهذا يقتضى الاغترار به فكيف جعله هنا مانعا منه أجيب بأن الآية واردة لتهديد الكافر والعاصى حيث أنعم عليه بتلك النعم وكلفه بشكرها وأوعد من كفر بالعذاب الدائم فلم يقم بشكرها فتضمنت مخالفته استخفافه بالنعمة وبأوامر المنعم ونواهيه فليس فى الآية ما يقتضى الاغترار كما تزعمه الحشوية حيث يقولون انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وفى الحديث لما تلا هذه الآية قال غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث (قوله حتى عصيته) أى بالكفر وجحد الرسل وانكار ما أتوا به (قوله الذى خلقك) أى أوجدك من العدم (قوله فسواك) أى جعل اعضاءك سليمة مستوية تامة المنافع (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فالتسوية ترجع الى عدم النقصان فى الاعضاء والتعديل يرجع الى نفى العوج والقبح (قوله فى أى صورة) متعلق بركبك وشاء صفة لصورة والمعنى ركبك فى أى صورة من الصور التى اقتضتها مشيئته من طول وقصر وذكورة وأنوثة (قوله بل تكذبون) اضراب انتقالى الى بيان ما هو السبب الأصلى فى اغترارهم كانه قال انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون (قوله وان عليكم لحافظين) الخطاب وان كان مشافهة الا ان الآية عامة بالاجماع لجميع المكلفين والجملة حالية من الواو فى تكذبون (قوله من الملائكة) أى فكل واحد من الآدميين له ملكان ملك عن يمينه يكتب الحسنات وآخر عن يساره يكتب السيئات وقيل اثنان بالليل واثنان بالنهار واختلفوا فى الكفار فقيل ليس عليهم حفظة لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية ان قلت فأى شئ يكتب الذى على يمينه مع انه لا حسنة له أجيب بان الذى عن شماله يكتب باذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك فالمراد بالحفظة هنا حفظة الاعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون فى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وفى هذه الآية دليل على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون (قوله ان الابرار لفى نعيم) شروع فى بيان ما يكتبون لاجله كانه قيل يكتبون الاعمال ليجازى الابرار بالنعيم الخ (قوله وان الفجار لفى جحيم) أل فى الفجار للعهد الذكرى أى المتقدم ذكرهم فى قوله بل تكذبون بالدين (قوله يصلونها) الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير فى خبر ان (قوله الجزاء) أى الذى كانوا يكذبون به (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول وجملة ما يوم الدين من المبتدا والخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للانكار والثانى للتعظيم والتهويل والمعنى وأى شئ أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله أى لا اعلم لك به الا باعلام منا

فجرت) فتح بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وبعث موتاها وجواب اذا وما عطف عليها (علمت نفس) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما قدمت) من الاعمال (و) ما (أخرت) منها فلم تعمله (يا أيها الانسان) الكافر (ما غرك بربك الكريم) حتى عصيته (الذى خلقك) بعد أن لم تكن (فسواك) جعلك مستوى الخلقة سالم الاعضاء (فعدلك) بالتخفيف والتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الاعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى (فى أى صورة ما) زائدة (شاء ركبك كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بل تكذبون) أى كفار مكة (بالدين) بالجزاء على الاعمال (وان عليكم لحافظين) من الملائكة لاعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) جميعه (ان الابرار) المؤمنين الصادقين فى ايمانهم (لفى نعيم) جنة (وان الفجار) الكفار (لفى جحيم) نار محرقة (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها

(قوله يوم) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع على انه خبر لمحذوف أي هو يوم والنصب على انه مفعول لفعل محذوف وقرئ شذوذا برفعه منونا القطعه عن الاضافة والجملة بعده نعت له (قوله شيأ من المنفعة) جواب عما يقال ان بعض الناس المقبولين يملكون الشفاعة لغيرهم فالجواب ان المنفي ثبوت الملك بالاستقلال والشفاعة ليست كذلك بل لاتكون الا باذن خاص (قوله والأمر يومئذ لله) أي ظاهرا وباطنا فلا تصرف لغيره فيه أصلا (قوله بخلاف الدنيا) أي فالعبيد متصرفون فيها وينسب لهم الملك والأمر والنهي ظاهرا

﴿سورة التطفيف﴾

وتسمى سورة المطففين (قوله مكية أو مدنية) أو لحكاية الخلاف فالأول قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل في أحد قوليه والثاني قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل في قوله الآخر وهذان قولان من أربعة أقوال ثالثها انها نزلت بين مكة والمدينة رابعها كلها مدنية الا قوله ان الذين أجرموا الى آخر السورة فمكي والمشهور انها مدنية لما روي عن ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفراء فهم أوفى من الناس كيلا الى يومهم هذا وروي عنه أيضا قال هي أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا بكيل راجح واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال جماعة نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو وكان له صاعان يأخذ بواحد ويعطي بالآخر ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهي التطفيف الذي لا يكاد يغني أحدهما ويفقر الآخر ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموما وللطيعين عموما (قوله ويل) مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمطففين خبره وهذا على انه كلمة عذاب وأما على انه اسم للوادي فهو معرفة ويجوز نصبه في غير هذا الموضع ويختار فيما اذا كان مضافا أو معرفا (قوله كلمة عذاب) أي معلمة بشدة عذابهم في الآخرة فهو دعاء عليهم بالهلاك وقوله أو وادي جهنم أي يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره فهما قولان ويمكن الجمع بأن الويل له اطلاقان (قوله للمطففين) جمع مطفف وهو الذي يأخذ في كيل أو وزن شيأ قليلا ومنه قولهم دون الطفيف أي الشيء التافه لقلته وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا أو يدفع الى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن ان لم يتب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم في التطفيف فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وفي الحديث الصحيح خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة أي الزنا الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر (قوله على الناس) متعلق باكتالوا وعلى بمعنى من كما قال المفسر ويصح أن يكون متعلقا بيستوفون قدم لافادة الاختصاص والمعنى يستوفون على الناس خاصة وأما لانفسهم فيستوفون لها (قوله يستوفون) أي يزيدون على حقهم وليس المراد يستوفون حقهم فقط اذ ليس في ذلك نهي (قوله أي كالوا لهم) أشار بذلك الى ان ضميرهم في محل نصب مفعول لكالوا تعدى اليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام وليس ضمير رفع

(يوم الدين) الجزاء (وما هم عنها بغائبين) بمخرجين (وما أدراك) أعلمك (ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأنه (يوم) بالرفع أي هو يوم (لا تملك نفس لنفس شيأ) من المنفعة (والأمر يومئذ لله) لا أمر لغيره فيه أي لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا

﴿سورة التطفيف مكية أو مدنية ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) كلمة عذاب أو وادي جهنم (للمطففين الذين اذا اكتالوا على) أي من (الناس يستوفون) الكيل (واذا كالوهم) أي كالوا لهم

(أو وزنوهم) أي وزنوا لهم (يخسرون) ينقصون الكيل أو الوزن (ألا) استفهام توبيخ (يظن)

يتيقن (أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) أي فيه وهو يوم القيامة (يوم) بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون (يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) الخلائق لاجل أمره وحسابه وجزائه (كلا) حقا (ان كتاب الفجار) أي كتب أعمال الكفار (لفي سجين) قيل هو كتاب جامع لاعمال الشياطين والكفرة وقيل هو مكان أسفل الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده (وما أدراك ما سجين) ما كتاب سجين (كتاب مرقوم) مختوم (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء بدل أو بيان للمكذبين (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز الحد (أثيم) صيغة مبالغة (اذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال أساطير الاولين) الحكايات التي سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو اسطارة بالكسر (كلا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بل ران) غلب (على قلوبهم) فغشيها (ما كانوا يكسبون) من المعاصي فهو كالصدا (كلا) حقا (انهم عن ربهم يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) فلا يرونه (ثم انهم لصالوا الجحيم) لداخلوا النار المحرقة (ثم يقال) لهم (هذا) أي العذاب (الذي كنتم به تكذبون كلا) حقا (ان كتاب الابرار) أي كتب أعمال المؤمنين الصادقين في ايمانهم (لفي عليين) قيل هو كتاب جامع لاعمال الخير

مؤكد للواو (قوله أو وزنوهم) حذفه لما تقدم لدلالة هذا عليه (قوله يخسرون) جواب اذا (قوله استفهام توبيخ) أي فلا نافية دخل عليها همزة الاستفهام فألا هنا ليست استفتاحية بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والانكار (قوله ألا يظن أولئك الخ) أشار المفسر الى أن الظن بمعنى اليقين أي لا يوقن أولئك اذ لو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعنى التردد والمعنى ان كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالاحوط وأولئك اشارة للمطففين أتى بها نظرا الى بعدهم عن مرتبة الابرار وعدهم من الاشرار (قوله فناصبه مبعوثون) أي مقدر الآن البدل على نية تكرار العامل (قوله حقا) أي فكلا كلام مستأنف فالوقف على ما قبلها وقيل انها كلمة ردع وزجر والمعنى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فعلى هذا يكون الوقف عليها (قوله الفجار) أظهر في مقام الاضمار تسجيلا عليهم بهذا الوصف الشنيع (قوله أي كتب أعمال الكفار) أشار بذلك الى أن كتاب بمعنى كتب والكلام على حذف مضاف وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفية الشيء في نفسه (قوله لفي سجين) اختلف في نونه فقيل أصلية مشتق من السجن وهو الحبس وقيل بدل من اللام مشتق من السجل وهو الكتاب (قوله قيل هو كتاب جامع) أي دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين موضوع تحت الارض السابعة في مكان مظلم موحش هو مسكن ابليس وذريته يذهبون اليه ليستوفوا جزاء أعمالهم (قوله وقيل هو مكان الخ) أي فهو اسم موضع وعليه فقوله الآتي وما أدراك ما سجين على حذف مضاف والتقدير ما كتاب سجين كما ذكره المفسر والاضافة على معنى في وقد يجمع بان سجين اسم الكتاب والموضع معا (قوله وهو محل ابليس الخ) أي وفيه أرواح الكفار (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وأدراك خبره وما سجين مبتدأ وخبر والجملة سادة مسد المفعول الثاني والاستفهام الاول للانكار والثاني للتفخيم والتعظيم (قوله مرقوم) بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان هذا الكتاب مكتوب فيه أعمالهم مثبتة كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى وقيل الرقم الختم بلغة حمير وعليه مشى المفسر والمعنى ان هذا الكتاب مرقوم بعلامة يعرف انه كافر (قوله أو بيان) أي أو نعت (قوله ردع وزجر) أي للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل فهي حرف وقال الحسن ان كلا بمعنى حقا (قوله بل ران) أي أحاط وغطى كتغطية الغيم للسماء وورد ان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا ازدادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه المبين وقال أبو معاذ الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى أم على قلوب أقفالها (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر أي ليس الامر كما يقولون بل انهم عن ربهم الخ (قوله فلا يرونه) هذا هو الصحيح وقيل يرونه ثم يحجبون حسرة وندامة (قوله ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم للتراخي في الرتبة فان صلي الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (قوله ثم يقال لهم) أي من طرف الخزنة على سبيل التقريع والتوبيخ (قوله الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (قوله كلا ان كتاب الابرار) بيان لمحل كتاب الابرار وما أعد لهم من النعيم الدائم اثر بيان محل كتاب الفجار وما أعد لهم من العذاب الدائم (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر فتحصل ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في هذه السورة قولين (قوله لفي عليين) اسم مفرد على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه سمي بذلك اما لانه سبب العلو الى أعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة لما ورد مرفوعا عليين في السماء السابعة تحت العرش (قوله قيل هو كتاب الخ) أي فهو علم على ديوان الخير الذي دون فيه كل عمل صالح للثقلين وردان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه أوحى

اليهم أنتم حفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين وقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فتزكيه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله قال لهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين قال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال بعض أهل المعنى هو علو بعد علو وشرف بعد شرف (قوله من الملائكة) ظاهره ان الملائكة تكتب أعمالهم ويثابون عليها وانظر فى ذلك (قوله وقيل هو مكان الخ) قد يجمع بأن عليين اسم لكل من الكتاب والمكان (قوله ما كتاب عليين) هذا التقدير انما يحتاج له على القول الثانى فى تفسير عليين لا على الاول (قوله مختوم) وقيل الرقم الكتابة والمعنى مكتوب فيه ان فلانا آمن من النار (قوله يشهده المقربون) أى يحضرونه ويحفظونه ويشهدون بما فيه (قوله ان الابرار لفى نعيم) شروع فى بيان عاقبة أمرهم اثر بيان حال كتابهم على سنن ما مر فى شأن الفجار (قوله السرر فى الحجال) جمع حجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى فى العرف الناموسية (قوله ينظرون) الجملة حالية من الضمير فى خبران أو مستأنفة وقوله على الارائك متعلق بينظرون (قوله تعرف فى وجوههم الخ) أى انك اذا رأيتهم تعرف انهم أهل النعمة لما ترى فى وجوههم من الحسن والبياض وفى قلوبهم من السرور والفرح والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من تصح منه المعرفة وهذه قراءة العامة وقرأ أبو جعفر بالتاء مبنيا للمفعول ونضرة بالرفع نائب فاعل وقرئ بالياء مبنيا للمفعول أيضا مع رفع نضرة نظرا الى أن التأنيث مجازى (قوله بهجة التنعم الخ) أى لعدم ما يكدره من الامراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك (قوله خالصة من الدنس) أى الكدر قال تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (قوله مختوم على اناثها) أى اشرفها ونفاستها ان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا ختم فيه فكيف طريق الجمع بين الآيتين أجيب بأن هذه الاوانى غير خمر الانهار (قوله ختامه مسك) صفة ثانية لرحيق وفى قراءة سبعية أيضا خاتمه بتاء مفتوحة بعد الالف بيان لجنس الخاتم وقرئ شذوذا بكسر التاء والمعنى خاتم رائحته مسك (قوله يفوح منه رائحة المسك) أى ان رائحة المسك تظهر فى آخر الشراب فوجه التخصيص ان فى العادة يمل آخر الشراب فى الدنيا فأفاد ان آخر الشراب يفوح منه رائحة المسك فلا يمل منه (قوله وفى ذلك) اشارة للرحيق وما بعده أو الى ما ذكر من أحوال الابرار (قوله المتنافسون) أى الذين شأنهم المنافسة بكثرة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة لعلو همتهم وطهارة نفوسهم قال تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون (قوله من تسنيم) اسم للعين سميت بذلك لما روى انها تجرى فى الهواء مسنمة فتنصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (قوله أو ضمن الخ) أشار بذلك الى أن التضمين اما فى الحرف أو فى الفعل (قوله ان الذين أجرموا الخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الابرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم (قوله كابى جهل ونحوه) أى وهو الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من أهل مكة (قوله ونحوهما) أى كخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (قوله رجعوا) أى من مجالسهم (قوله انقلبوا فاكهين) أى متلذذين برفعتهم ومكانتهم الموصلة الى الاستحقار بغيرهم ففى الحديث ان الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر وفى رواية يكون المؤمن فيهم أذل من الامة وفى أخرى العالم فيهم أنتن من جيفة حمار والله المستعان (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله معجبين) راجع للقراءتين أى متلذذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك (قوله واذا رأوهم) الضمير المرفوع عائد على المجرمين والمنصوب عائد على المؤمنين أى اذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم الى الضلال (قوله لايمانهم بمحمد الخ) أى فهم يرون أنهم على هدى

من الملائكة ومؤمنى الثقلين وقيل هو مكان فى السماء السابعة تحت العرش (وما أدراك) أعلمك (ما عليون) ما كتاب عليين هو (كتاب مرقوم) مختوم (يشهده المقربون) من الملائكة (ان الابرار لفى نعيم) جنة (على الارائك) السرر فى الحجال (ينظرون) ما أعطوا من النعيم (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وحسنه (يسقون من رحيق) خمر خالصة من الدنس (مختوم) على اناثها لا يفك ختمه الا هم (ختامه مسك) أى آخر شربه يفوح منه رائحة المسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغبوا بالمبادرة الى طاعة الله (ومزاجه) أى ما يمزج به (من تسنيم) فسر بقوله (عينا) فنصبه بامدح مقدرا (يشرب بها المقربون) أى منها أو ضمن يشرب معنى يلتذ (ان الذين أجرموا) كأبى جهل ونحوه (كانوا من الذين آمنوا) كعمار وبلال ونحوهما (يضحكون) استهزاء بهم (واذا مروا) أى المؤمنون (بهم يتغامزون) أى يشير المجرمون الى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء (واذا انقلبوا) رجعوا (الى أهلهم انقلبوا فاكهين) وفى قراءة فكهين معجبين بذكرهم المؤمنين (واذا رأوهم) رأوا المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى

والمؤمنون على ضلال حيث تركوا النعيم الحاضر بسبب شئ غائب لا يرونه (قوله وما أرسلوا عليهم حافظين) حال من الواو فى قالوا أى قالوا ذلك والحال انهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم (قوله حتى يردوهم الى مصالحهم) أى بل أمروا باصلاح أنفسهم لا باصلاح المؤمنين (قوله فاليوم) منصوب بيضحكون الواقع خبرا عن المبتدا ولا يضر تقدمه على المبتدا لأمن اللبس وذلك ان الظرف المبهم لا يصح وقوعه خبرا عن المبتدا بخلاف فى الدار زيد كائن فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدا لصلاحيته للخبرية (قوله ينظرون) حال من ضمير يضحكون (قوله من منازلهم) قال كعب لأهل الجنة كوى ينظرون منها الى أهل النار وقيل حصن شفاف بينهم يرون منه حالهم وفى سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا فى ترفه ونعيم فيضحكون من المؤمنين بسبب ماهم فيه من البؤس والضر وفى الآخرة ينعكس الحال فيكون المؤمنون فى النعيم والكفار فى الجحيم ومنها انه يقال لأهل النار وهم فيها أخرجوا وتفتح لهم أبوابها فاذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها أغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا ومنها أنهم اذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كيف يعذبون فى النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا فهذا سبب ضحكهم (قوله هل ثوب الكفار الخ) يحتمل انه مقول لقول محذوف والتقدير يقول الله لاهل الجنة أو يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الخ ويحتمل انه متعلق بينظرون والمعنى ينظرون هل جوزى الكفار فمحلها نصب اما بالقول المحذوف أو بينظرون وقوله جوزى اشارة الى أن التثويب بمعنى الجزاء وهو يكون فى الخير والشر والمراد هنا الثانى وقوله نعم جواب الاستفهام على كل

﴿سورة الانشقاق﴾

(قوله اذا السماء انشقت) أى انصدعت بغمام يخرج منها وهو البياض فى جوانب السماء لتنزل الملائكة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (قوله وأذنت لربها) أى انقادت لامره (قوله سمعت وأطاعت) أى فشبه حال السماء فى انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لآمره وذلك ان السموات لما علمت مراد الله تعالى وتعلقت ارادته بانشقاقها سلمت وفوضت أمرها ولم تنازع فى ذلك (قوله وحقت) بالبناء للمفعول والفاعل فى الاصل محذوف وهو الله تعالى وكذا المفعول والاصل وحق الله عليها استماعها فحذف الفاعل ثم المفعول وأسند الفعل الى ضمير السموات والمعنى وحق لها استماعها لعلمها بأن مراد الله نافذ فهى أهل لان تسمع وتطيع قال تعالى قالتا أتينا طائعين (قوله واذا الارض مدت) أى بسطت ودكت جبالها (قوله كمد الاديم) أى وهو الجلد لانه اذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى (قوله ولم يبق عليها بناء ولا جبل) أى فيزاد فى سعتها لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد من البشر الا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها وظاهر الآية ان الارض تمد مع بقائها وليس كذلك بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية يوم تبدل الارض غير الارض (قوله من الموتى) أى والكنوز والمعادن والزروع (قوله وتخلت) أى خلا جوفها فلم يبق فى بطنها شئ (قوله وأذنت لربها وحقت) ليس تكرارا لان هذا فى الارض وما تقدم فى السموات (قوله وأطاعت فى ذلك) أى الالقاء والتخلى (قوله دل عليه ما بعده) أى وهو قوله فملاقيه (قوله تقديره لقى الانسان الخ) قدره غيره علمت نفس وهو أحسن لانه تقدم فى التكوير والانفطار * وخير ما فسرته بالوارد * (قوله يا أيها الانسان الخ) يحتمل ان المراد به الجنس وبه قال سعيد وقتادة و يحتمل انه معين وهو الاسود بن عبد الاسد وقيل أبى بن خلف وقيل جميع الكفار (قوله انك كادح) الكدح العمل والكسب والسعى (قوله الى ربك) الى حرف غاية والمعنى غاية كدحك فى الخير أو الشر ينتهى بلقاء ربك وهو الموت (قوله فملاقيه) اما معطوف على كادح أو خبر مبتدا محذوف أى وأنت ملاقيه والجملة معطوفة على جملة انك كادح

(قوله

(وما أرسلوا) أى الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم الى مصالحهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك) فى الجنة (ينظرون) من منازلهم الى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هل ثوب) جوزى (الكفار ما كانوا يفعلون) نعم

﴿سورة الانشقاق مكية ثلاث أو خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت وأذنت) سمعت وأطاعت فى الانشقاق (لربها وحقت) أى حق لها أن تسمع وتطيع (واذا الارض مدت) زيد فى سعتها كما يمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) من الموتى الى ظاهرها (وتخلت) عنه (وأذنت) سمعت وأطاعت فى ذلك (لربها وحقت) وذلك كله يكون يوم القيامة وجواب اذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقى الانسان عمله (يا أيها الانسان انك كادح) جاهد فى عملك (الى) لقاء (ربك) وهو الموت (كدحا فملاقيه)

أى ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة (فأما من أوتى كتابه) كتاب عمله (بيمينه) هو المؤمن (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) هو عرض عمله عليه كما فسر فى حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك ٢٣٧ وبعد العرض يتجاوز عنه (وينقلب الى أهله) فى الجنة

(قوله أى ملاق عملك) أشار بذلك الى أن الضمير فى ملاقيه عائد على الكدح الذى هو بمعنى العمل والكلام على حذف مضاف أى ملاق حسابه وجزاءه ويصح أن يكون عائدا على الله تعالى والمعنى ملاق ربه فلا مفر له منه (قوله هو المؤمن) أى ولو عاصيا مستحقا للنار (قوله هو عرض عمله عليه) أى بأن تعرض أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه (قوله كما فسر فى حديث الصحيحين) أى وهو ما ورد عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك وفى رواية عذب (قوله وينقلب) أى يرجع بنفسه (قوله الى أهله) أى من الآدميات والحور العين وأصوله وفروعه (قوله وراء ظهره) منصوب بنزع الخافض (قوله تغل يمناه الخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية وأما من أوتى كتابه بشماله (قوله ينادى هلاكه) أى يتمناه اذ يدعو ما لا يعقل هو تمنيه (قوله بطرا) أى فخرا ورياء فأبدله الله بذلك حزنا وغما لا ينقطع أبدا (قوله انه ظن) أى تيقن وعلم (قوله مخففة من الثقيلة) أى ولا يصح أن تكون مصدرية لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله والجملة سادة مسد مفعولى ظن (قوله يرجع الى ربه) أى فالحور الرجوع والتردد فى الامر وبابه قال ودخل (قوله بلى) جواب النفى وقوله ان ربه الخ جواب قسم مقدر وهو بمنزلة التعليل للجملة المستفادة من بلى (قوله فلا أقسم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى اذا عرفت هذا فلا أقسم الخ (قوله بالشفق) أى وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وهو الحمرة التى تكون عند ذلك سمى شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهى رقة القلب عليه (قوله وما وسق) ما موصول اسمى أو نكرة موصوفة أو مصدرية (قوله جمع ما دخل عليه) أى ضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام (قوله وغيرها) أى كالاشجار والبحار فانه اذا دخل الليل انضم وسكن (قوله وذلك فى الليالى البيض) أى وهى ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (قوله لتركبن) جواب القسم بضم الباء خطاب للجمع وبفتحها خطاب للواحد قراءتان سبعيتان (قوله طبقا) مفعول به أو حال (قوله بعد حال) أشار بذلك الى أن عن بمعنى بعد صفة لطبقا (قوله وهو الموت ثم الحياة الخ) هذا قول ابن عباس وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وقيل المعنى لتركبن سنن من قبلكم وأحوالهم (قوله فما لهم) الفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهواله الموجبة للايمان لظهور الحجة لان ما أقسم به من التغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة فيبعد ممن له عقل عدم الايمان به والانقياد له (قوله واذا قرئ عليهم القرآن) أى من أى قارئ وهذا شرط وجوابه لا يسجدون وهذه الجملة الشرطية فى محل نصب على الحال معطوفة على الحال السابقة وهى قوله لا يؤمنون (قوله يخضعون) أى فالمراد بالسجود اللغوى لا العرفى وهذا أحد قولين والآخر أن المراد به السجود الحقيقى الذى هو سجود التلاوة وقد اختلفت الائمة فى ذلك (قوله فى صحفهم) الاوضح أن يقول فى صدورهم لان الوعى معناه لغة الحفظ (قوله لكن الذين آمنوا الخ) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع لان ما قبل الا فى الكفار لا غير (قوله لهم أجر غير ممنون) استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء

﴿سورة البروج﴾

حكمة نزول هذه السورة تثبيت المؤمنين على ايمانهم وصبرهم على أذى الكفار بتذكيرهم بما جرى لمن تقدمهم (قوله ذات البروج) أى صاحبة الطرق والمنازل التى تسير فيها الكواكب السبعة سميت

(مسرورا) بذلك (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) هو الكافر تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (فسوف يدعوا) عند رؤية ما فيه (ثبورا) ينادى هلاكه بقوله يا ثبوراه (ويصلى سعيرا) يدخل النار الشديدة وفى قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة (انه كان فى أهله) عشيرته فى الدنيا (مسرورا) بطرا باتباعه لهواه (انه ظن أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى انه (لن يحور) يرجع الى ربه (بلى) يرجع اليه (ان ربه كان به بصيرا) عالما برجوعه اليه (فلا أقسم) لا زائدة (بالشفق) هو الحمرة فى الافق بعد غروب الشمس (والليل وما وسق) جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم نوره وذلك فى الليالى البيض (لتركبن) أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالى الامثال والواو لالتقاء الساكنين (طبقا عن طبق) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال يوم القيامة (فما لهم) أى الكفار (لا يؤمنون) أى أى مانع لهم من الايمان أو أى حجة لهم فى تركه مع وجود براهينه (و) ما لهم (اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يخضعون بأن يؤمنوا به لاعجازه (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث وغيره (والله أعلم بما يوعون) يجمعون فى صحفهم من الكفر والتكذيب

وأعمال السوء (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) مؤلم (الا) لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم ﴿سورة البروج مكية ثنتان وعشرون آية﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والسماء ذات البروج﴾ للكواكب اثنا عشر برجا

بروجا لظهورها لابن البرج في الاصل الامر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة عرفية للقصر العالي الظهوره (قوله تقدمت في الفرقان) نصه هناك تبارك الذي جعل في السماء برو جا اثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو انتهى (قوله واليوم الموعود) أي الموعود به ففيه الحذف والايصال (قوله يوم الجمعة) خص مع ان باقي الزمان يشهد كذلك لاختصاصه بمزية وهي كونه فيه ساعة اجابة واجتماع الناس (قوله كذا فسرت الثلاثة في الحديث) أي وهو ماروى اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي واختلف في تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة منها ماذكره في الحديث ومنها الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة ومنها الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة ومنها الشاهد هم الانبياء والمشهود عليهم هم الامم ومنها الشاهد أعضاء الانسان والمشهود عليه هو ابن آدم ومنها غير ذلك والاحسن أن يراد ماهو أعم ولذلك نكرهما ليعم كل شاهد ومشهود (قوله محذوف صدره) أي لان المشهور عن النحاة ان الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولا يجوز الاقتصار على أحدهما الا عند طول الكلام أو في ضرورة (قوله تقديره لقد قتل الخ) أي وعليه فالجملة خبرية والاصل فيها الدعاء (قوله الشق في الارض) أي فالاخدود مفرد وجمعه أخاديد (قوله بدل اشتمال منه) أي لان الاخدود مشتمل على النار (قوله ماتوقد به) أي فالوقود بالفتح الاسم وأما بالضم فهو المصدر (قوله اذهم عليها قعود) ظرف لقتل والمعنى حين حرقوا بالنار قاعدين عليها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود (قوله شهود) أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به فهو من الشهادة بمعنى تأدية الخبر أو المراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين فهو من الشهادة بمعنى الحضور وعليه اقتصر المفسر (قوله روى ان الله أنجى المؤمنين الخ) أي وكانوا سبعة وسبعين وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة أو احد عشر وقوله الى من ثم أي الى من هم قعود على الاخدود ولم يرد نص بتعيينهم واعلم انه اختلف المفسرون في أصحاب الاخدود فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ماأرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس بسائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن بالله فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال الله ربي وربك فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ماتبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعى بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى

تقدمت في الفرقان (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة (ومشهود) يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالاول موعود به والثاني شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد (قتل) لعن (أصحاب الاخدود) الشق في الارض (النار) بدل اشتمال منه (ذات الوقود) ماتوقد به (اذهم عليها) أي حولها على جانب الاخدود على الكراسي (قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين) بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم (شهود) حضور روى أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى من ثم فأحرقتهم

فدعى بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود فخدت بأفواه السكك وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري فانك على الحق وروي عن مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار أما التي بالشام والتي بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن تقرأ الانجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يعني من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى الى السماء وقيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة فسمع ذلك رجل اسمه يوسف بن ذي نواس فخد لهم في الارض وأوقد لهم فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وروي ان امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه اني أرى امامك نارا لا تطفأ يعني نار جهنم ان لم تقعي في هذه النار فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما في النار فجعلهما الله في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون انسانا وروي غير ذلك (قوله وما نقموا منهم الخ) أي ما عابوا منهم الا ايمانهم وانما عبر بالمستقبل مع ان الايمان وقع منهم في الماضي لان تعذيبهم والانكار ليس للايمان الذي وجد منهم في الماضي بل لدوامهم عليه في المستقبل اذ لو كفروا في المستقبل لما عذبوا على ما مضى فكأنه قال الا أن يستمروا على ايمانهم (قوله الذي له ملك السموات والارض) بيان لكونه العزيز الحميد (قوله والله على كل شيء شهيد) فيه وعد ووعيد (قوله ان الذين فتنوا المؤمنين الخ) أي حرقوهم بالنار يقال فتنت فلانا اذا أحرقته (قوله ثم لم يتوبوا) أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم ان تابوا وآمنوا قبلهم وأخرجهم من هذا الوعيد والتعبير بثم اشارة الى ان التوبة مقبولة ولو طال الزمن ما لم تحصل الغرغرة (قوله فلهم عذاب جهنم) هو خبر ان الذين فتنوا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من الشرط (قوله عذاب الحريق) من اضافة المسبب للسبب أي عذاب سببه احراق المؤمنين (قوله ان الذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بذكر ما أعد للمؤمنين (قوله تجري من تحتها) أي من تحت قصورها وغرفها يتلذذون ببردها في نظير الحر الذي صبروا عليه في الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والاحزان (قوله ذلك الفوز الكبير) اسم الاشارة عائد على ما ذكر من حيازتهم للجنات وعبر بالاشارة المفيدة للبعد لعلو درجتهم في الفضل والشرف (قوله ان بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بعنف فاذا

(وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز) في ملكه (الحميد) المحمود (الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد) أي ما أنكر الكفار على المؤمنين الا ايمانهم (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بالاحراق (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أي عذاب احراقهم المؤمنين في الآخرة وقيل في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك) بالكفار (لشديد)

وصف بالشدة كان متصفا فاجدا وهو انتقامه وتعذيبه للكفرة (قوله بحسب ارادته) رد بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجب بالذات كيف وقد قال تعالى فعال لما يريد (قوله انه هو يبدئ ويعيد) أي ومن كان قادرا على ذلك كان بطشه في غاية الشدة (قوله وهو الغفور) أي الماحي لذنوب المؤمنين وان لم يتوبوا لان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم فالحمل عليه أولى (قوله المتودد الى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك الى ان فعولا بمعنى فاعل ويصح أن يكون بمعنى مفعول أي يوده عباده ويحبونه (قوله المجيد) بالرفع أي وبالجر قراءتان سبعيتان فالرفع على انه نعت الغفور والجار على أنه نعت العرش ومجده علوه وعظمه (قوله فعال لما يريد) أتى بصيغة فعال اشارة للكثرة وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لها والمعنى يفعل ما يريد ولا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر وفي هذه الآية دليل على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يجب عليه شيء لان افعاله بحسب ارادته (قوله هل أتاك الخ) يصح أن تكون هل بمعنى قد كان سبق له اتيان أو لطلب الاخبار ان لم يكن أتاه كما تقدم (قوله بدل من الجنود) أي على حذف مضاف أي جنود فرعون وهو بدل كل من كل أو المراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكره عنهم لانهم اتباعه وعليه اقتصر المفسر وخص فرعون وثمود بالذكر لشهرتهما عند العرب (قوله وحديثهم انهم الخ) أي فهو ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب (قوله بل الذين كفروا) أي من قومك وهو اضراب انتقالي للاشد كأنه قيل ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فانهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا (قوله في تكذيب بما ذكر) أي النبي والقرآن (قوله والله من ورائهم محيط) أي هم في قبضة قدرته وتصريفه كالشيء المحاط به الذي لا يجد مخلصا ولا مفرا فجازيهم بأعمالهم (قوله بل هو قرآن مجيد) اضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه الى وصف القرآن بما ذكر اشارة الى انه لا ريب ولا شك فيه ولا يصل اليه تكذيب هؤلاء (قوله فوق السماء السابعة) أي معلق بالعرش (قوله بالجر) أي والرفع فهما سبعيتان فالجر على انه نعت للوح والرفع على انه نعت للقرآن (قوله طوله ما بين السماء الخ) أي وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته (قوله وهو من درة بيضاء) أي وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه النور وكتابته نور معقود بالعرش وأصله في حجر ملك

﴿سورة الطارق﴾

(قوله والسماء والطارق الخ) قد أكثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لان احوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة دالة على انفراد صانعها بالكمالات لان الصنعة تدل على الصانع قال بعضهم

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(قوله أصله كل آت الخ) أي ثم توسع فيه فسمي به كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم توسع به فسمي به كل ما ظهر مطلقا ليلا أو نهارا ومنه حديث أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق سمي به الآتي ليلا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ومنه المطرقة بالكسر وهي ما يطرق به الحديد (قوله وما أدراك) الاستفهام للانكار وقوله ما الطارق الاستفهام للتعظيم والتفخيم (قوله النجم) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو واعلم انه تعالى أقسم أولا بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيما وتعظيما ثم فسره بالنجم ازالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام (قوله الثريا أو كل نجم) هذان قولان من ثلاثة ثالثها ان المراد به زحل ومحله في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد (قوله وجواب القسم الخ) أي وما بينهما اعتراض جيء به تفخيما للمقسم به (قوله فهي مزيدة) أي وكل مبتدأ

بحسب ارادته (انه هو يبدئ) الخلق (ويعيد) فلا يعجزه ما يريد (وهو الغفور) للمذنبين المؤمنين (الودود) المتودد الى أوليائه بالكرامة (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) بالرفع المستحق لكمال صفات العلو (فعال لما يريد) لا يعجزه شيء (هل أتاك) يا محمد (حديث الجنود فرعون وثمود) بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم انهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ليتعظوا (بل الذين كفروا في تكذيب) بما ذكر (والله من ورائهم محيط) لا عاصم لهم منه (بل هو قرآن مجيد) عظيم (في لوح) هو في الهواء فوق السماء السابعة (محفوظ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما

﴿سورة الطارق مكية سبع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) أصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا (وما أدراك) أعلمك (ما الطارق) مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لادرى وما بعد ما الاولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو (النجم) أي الثريا أو كل نجم (الثاقب) المضيء لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) بتخفيف ما فهي مزيدة وان مخففة من الثقيلة

وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل (قوله واسمها محذوف) فيه نظر بل هى مهملة لا عمل لها الان لام الفرق يؤتى بها عند الاهمال لا عند الاعمال كما قال ابن مالك

وخففت أن فقل العمل ✲ وتلزم اللام اذا ما تهمل

(قوله واللام فارقة) أى بين المخففة والنافية (قوله وبتشديدها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله والحافظ من الملائكة الخ) يحتمل أن يراد الحفظ من العاهات والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل آدمى فان كان مؤمنا وكل الله به مائة وستين ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين أو حفظ الاعمال وهما رقيب وعتيد وعليه درج المفسر وقيل المراد بالحافظ الله تعالى فتحصل ان الحافظ قيل الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله تعالى والاحسن أن يراد ما هو أعم (قوله فلينظر الانسان الخ) لما ذكر تعالى ان كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر فى أول نشأته والامر للايجاب (قوله مم خلق) الجار والمجرور متعلق بخلق والجملة فى محل نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام (قوله ذى اندفاق) أى انصباب وأشار بذلك الى أن دافق صيغة نسب كلابن وتامر فالمعنى خلق من ماء متدفق أو مدفوق (قوله فى رحمها) متعلق بدافق (قوله من بين الصلب) أى وهو عظام الظهر وبين زائدة لان بين انما تضاف لمتعدد وهنا ليس كذلك الا أن يقال المراد من بين أجزاء الصلب الخ (قوله والترائب للمرأة) وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل وصلب المرأة وترائب المرأة (قوله وهى عظام الصدر) أى وهى محل القلادة وهذا أحد أقوال وقيل الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقى وقيل الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر وقال القرطبى ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع فى الانثيين ولا يعارضه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع فى الانثيين (قوله انه على رجعه لقادر) نتيجة النظر المذكور لان الامر بالنظر انما هو لاجل التفكر فى المعاد والبعث (قوله بعث الانسان الخ) هذا هو الصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده وفى الآية تفاسير أخر منها ان الضمير يعود على الانسان والمعنى انه على رجع الانسان لحالة النطفية لقادر بان يرده من الشيوخة للشبوبة ومنها للصبا ومنه الى كونه حملا الى مضغة الى علقة الى نطفة ومنها ان الضمير عائد على الماء الدافق والمعنى انه على رجع الماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصيرورته ولدا لقادر (قوله يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه لا لقادر لانه تعالى قادر فى جميع الاوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت (قوله ضمائر القلوب) أى ما أخفى فيها وقيل السرائر فرائض الاعمال كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها فيبيض وجه المؤدى ويسود وجه المضيع (قوله فما له من قوة) أى فى نفسه وقوله ولا ناصر أى من غيره (قوله المطر) هذا أحد أقوال وقيل الرجع الاحوال التى تجىء وتذهب كالليل والنهار والامطار والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه والصيف وما فيه من حر ونحوه وقيل المراد ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد (قوله الشق عن النبات) وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الطرق التى تصدعها المشاة وقيل غير ذلك واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلق الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر فى هذا القسم كيفية خلقه النبات فقوله والسماء ذات الرجع أى هى كالاب والارض ذات الصدع هى كالام تتولد من بينهما النعم العظيمة التى ينتفع بها ما دامت الدنيا (قوله انه لقول فصل) جواب القسم الذى هو والسماء الخ والمراد بالفصل الحكم الذى يفصل به الحق من الباطل (قوله وما هو بالهزل) أى بل هو جد كله فالواجب أن يكون مهابا فى الصدور معظما فى القلوب كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده فالاصغاء اليه والاستماع له والائتمار

واسمها محذوف أى انه واللام فارقة وبتشديدها فان نافية ولما بمعنى الا والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر (فلينظر الانسان) نظر اعتبار (مم خلق من) أى شئ جوابه (خلق من ماء دافق) ذى اندفاق من الرجل والمرأة فى رحمها (يخرج من بين الصلب) للرجل (والترائب) للمرأة وهى عظام الصدر (انه) تعالى (على رجعه) بعث الانسان بعد موته (لقادر) فاذا اعتبر أصله علم ان القادر على ذلك قادر على بعثه (يوم تبلى) تختبر وتكشف (السرائر) ضمائر القلوب فى العقائد والنيات (فما له) لمنكر البعث (من قوة) يمتنع بها من العذاب (ولا ناصر) يدفعه عنه (والسماء ذات الرجع) المطر لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) الشق عن النبات (انه) أى القرآن (لقول فصل) يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) باللعب والباطل

بأوامره والانتهاء بنواهيه فرض ﴿قوله انهم يكيدون كيدا﴾ اختلف فيها فقيل هي القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم ونحو ذلك وقيل قصد قتله صلى الله عليه وسلم والاحسن أن يراد ما هو أعم ﴿قوله وأكيد كيدا﴾ أي أجازيهم على كيدهم وسمي الجزاء كيدا مشاكلة وقيل المعنى أعاملهم معاملة ذي الكيد بان أمدهم ظاهرا بالنعم استدراجا لهم وعليه اقتصر المفسر ﴿قوله فمهل الكافرين﴾ أي لا تستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم ﴿قوله مخالفة اللفظ﴾ أي من حيث ان الاول مسند للظاهر مع التضعيف والثاني مسند للضمير مع الهمز ﴿قوله على الترخيم﴾ راجع لقوله أو ارواد أي تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد واعلم ان رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب ولا يضاف أخرى نحو رويدا زيدا ويقع حالا نحو ساروا رويدا أي متمهلين ونعتا لمصدر محذوف نحو ساروا رويدا أي سيرا رويدا ﴿قوله ونسخ الامهال بآية السيف﴾ أي على ان المعنى اترك الكافرين ولا تتعرض لهم واصبر على أذاهم

﴿انهم﴾ أي الكفار ﴿يكيدون كيدا﴾ يعملون المكايد للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وأكيد كيدا﴾ استدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فمهل﴾ يا محمد ﴿الكافرين أمهلهم﴾ تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم ﴿رويدا﴾ قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو ارواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الامهال بآية السيف أي بالامر بالقتال والجهاد

﴿سورة الاعلى مكية﴾

﴿سورة الاعلى مكية تسع عشرة آية﴾

أي في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وفي الحديث سئلت عائشة بأي شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين ومن جملة فوائدها ان الاكثار من تلاوتها يورث الحفظ ﴿قوله سبح اسم ربك﴾ الامر وان كان للنبي الا أن المراد منه العموم لان الاصل عدم الخصوصية الا لدليل ﴿قوله أي نزه ربك﴾ أي اعتقد انه منزه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فتنزيه الذات اعتقاد انها ليست كالذوات فلا توصف بالجوهرية ولا بالعرضية ولا بالكبر ولا بالصغر ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث وتنزيه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولا متناهية ولا ناقصة وتنزيه الافعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كأفعال المخلوقين وتنزيه الاسماء عدم ذكره بالاسماء التي توهم نقصا بوجه من الوجوه وتنزيه الاحكام عدم الاغراض فيها فتكليفنا لا لانتفاع يعود عليه ﴿قوله ولفظ اسم زائد﴾ ليس بمتعين بل كما تنزه الذات ينزه الاسم أيضا عن أن يسمى به غيره ومن جملة تنزيه الاسم أن لا يذكر في مواضع الاقذار بأن يذكر على وجه التعظيم والتفخيم في المواضع الطاهرة الفاخرة ومن جملة تنزيه الاسم استحضار عظمة المسمى عند ذكره ﴿قوله الاعلى﴾ من العلو وهو الارتفاع بمعنى القهر والغلبة والسلطنة فهو علو مكانة لا مكان ﴿قوله صفة لربك﴾ أي فهو مجرور بكسرة مقدرة على الالف وهذه الصفة جارية مجرى التعليل كانه قال سبح اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزها عن النقائص أزلا وأبدا ولا يصح أن يكون صفة لاسم منصوب بالفتحة المقدرة مع جعل الذي خلق الخ صفة لربك لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره نظير قولك جاءني غلام هند العاقل الحسنة وهو ممتنع فان جعل الموصول نعتا مقطوعا جاز ﴿قوله الذي خلق فسوى﴾ جواب عن سؤال مقدر كانه قيل الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد معرفة المولى فما الدليل على وجوده وأجاب بما ذكر ومفعول خلق محذوف أي كل شئ ﴿قوله متناسب الاجزاء الخ﴾ أي لجعله معتدل القامة تام المنافع ﴿قوله والذي قدر﴾ مفعوله محذوف قدره بقوله ما شاء أي من أنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وغير ذلك من أحوالها ﴿قوله فهدى﴾ أي أرشد ما قدره لمصالحه فهدى الانسان ودله على سبيل الخير والشر وهدى الانعام لمراعيها وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها ﴿قوله والذي أخرج المرعى﴾ أي ما يرعى كالحشيش ونحوه ﴿قوله غثاء﴾ بضم الغين والمد من باب قعد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها ﴿قوله أحوى﴾ نعت لغثاء وهو ما يشير له المفسر وقوله أسود باليا أي بعد وصفه بالغثاء يكون أسود باليا كما هو العادة في الزرع الجاف اذا تقادم ويطلق الاحوى على الاسود الذي يضرب الى الخضرة أو الاخضر الذي يضرب الى السواد وعليه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿سبح اسم ربك﴾ أي نزه ربك عما لا يليق به اسم زائد ﴿الاعلى﴾ صفة لربك ﴿الذي خلق فسوى﴾ مخلوقه جعله متناسب الاجزاء غير متفاوت ﴿والذي قدر﴾ ما شاء ﴿فهدى﴾ الى ما قدره من خير وشر ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أنبت العشب ﴿فجعله﴾ بعد الخضرة ﴿غثاء﴾ جافا هشيما ﴿أحوى﴾ أسود باليا

فيكون حالا من المرعى والاصل أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء والفاء لمجرد الترتيب والمعنى فمضت مدة فجعله الخ اذ لا يصير غثاء عقب اخراجه بل بعد مدة (قوله سنقرئك فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله اثر بيان هدايته العامة لجميع الخلق وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول الاخبار من الله تعالى بما يحصل في المستقبل الثاني كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدا (قوله فلا تنسى ما تقرؤه) أي منسوخا أو غيره ليظهر كون الاستثناء متصلا وقوله الا ما شاء الله استثناء مفرغ (قوله بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سببية والمعنى ان نسخ تلاوته وحكمه مناسب في جواز نسيانك له وأما ما نسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا ينساه للاحتياج الى تبليغ حكمه أو تلاوته (قوله فكأنه قيل الخ) أي فهو نظير قوله ان علينا جمعه وقرآنه (قوله انه يعلم الجهر الخ) تعليل لما قبله جيء به تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تخشى ضياع ما ألقي عليك فانه تعالى يعلم الجهر وما يخفى ومنه ما ألقي عليك فيثبت في فؤادك ما ينفع وصنيع المفسر يقتضي انه تعليل لمحذوف قدره بقوله فلا تتعب نفسك (قوله وما يخفى) ما اسم موصول وعائده محذوف ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل ولا يقال يجعل ضميرا لانا نقول يمنع منه عدم وجود ما يعود عليه (قوله ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك وما بينهما اعتراض جيء به للتعليل والمعنى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية وغير ذلك ولذا ورد ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما وورد بعثت بالحنيفية السمحاء وحكمة اسناد التيسير لذاته ولم يقل ونيسر اليسرى لك الايذان بقوة تمكنه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك جبلة له صلى الله عليه وسلم فبين طبعه ودينه موافقة في اليسر والسهولة (قوله للشريعة السهلة) أي الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين (قوله ان نفعت الذكرى) ان قلت هو صلى الله عليه وسلم مأمور بان يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم ليكون حجة لهم أو عليهم أجيب بان في الآية اكتفاء أي أو لم تنفع على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد ويؤيده قوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى فتدبر (قوله سيذكر من يخشى) أي من خلق الله في قلبه الخشية وهذا وعد من الله تعالى بان من يخشى يحصل له الاتعاظ به وينتفع والوعد لا يتخلف (قوله هي نار الآخرة الخ) هذا قول الحسن ويدل له ما ورد ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وقيل يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة فالكافر يصلى أعظم النيران وقيل النار الكبرى هي السفلى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل (قوله فيستريح) جواب عما يقال لا واسطة بين الحياة والموت فكيف وصف الله الاشقى بانه لا يموت فيها ولا يحيى فأجاب بان المعنى لا يموت موتا يستريح به ولا يحيى حياة ينتفع بها (قوله مكبرا) أي تكبيرة الاحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة (قوله وذلك من أمور الآخرة) تمهيد لارتباط هذه الآية بما بعدها فقوله بل تؤثرون الخ اضراب عن مقدر يستدعيه المقام (قوله بالتحتانية) أي وعليه فالضمير راجع للاشقى وقوله والفوقانية أي وعليه فهو التفات والخطاب اما للكفار فقط أو لعموم الناس والقراءتان سبعيتان (قوله خير وأبقى) أي لاشتمالها على السعادة الجسمانية والروحانية ولذا انها غير مخلوطة بالآلام وهي دائمة باقية والدنيا ليست كذلك (قوله أي افلاح من تزكى الخ) أي فالاشارة الى قوله قد أفلح من تزكى الى قوله وأبقى وما ذكر في الصحف الاولى بالمعنى لا بهذا اللفظ فالشرائع المتقدمة متفقة على ما في هذه الآيات وورد عن أبي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها

(سنقرئك) القرآن (فلا تنسى) ما تقرؤه (الا ما شاء الله) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لا تعجل بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك بالجهر بها (انه) تعالى (يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منهما (ونيسرك لليسرى) للشريعة السهلة وهي الاسلام (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) من تذكره المذكور في سيذكر يعني وان لم تنفع ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر (سيذكر) بها (من يخشى) يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (ويتجنبها) أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت اليها (الاشقى) بمعنى الشقي أي الكافر (الذي يصلى النار الكبرى) هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة هنيئة (قد أفلح) فاز (من تزكى) تطهر بالايمان (وذكر اسم ربه) مكبرا (فصلى) الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة وكفار مكة معرضون عنها (بل يؤثرون) بالتحتانية والفوقانية (الحياة الدنيا) على الآخرة (والآخرة) المشتملة على الجنة (خير وأبقى ان هذا) أي افلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا (لفي الصحف الاولى) أي المنزلة قبل القرآن (صحف ابراهيم وموسى) وهي عشر صحف لابراهيم والتوراة لموسى

عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل وعن أبي ذر أيضا قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها أمثال وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون طامعا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا الى آخره وقوله ومرمة لمعاش أي اصلاح له

﴿سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (هل) قد (أتاك حديث الغاشية) القيامة لانها تغشى الخلائق بأهوالها (وجوه يومئذ) عبر بها عن الذوات في الموضعين (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) ذات نصب وتعب بالسلاسل والاغلال (تصلى) بضم التاء وفتحها (نارا حامية تسقى من عين آنية) شديدة الحرارة (ليس لهم طعام الا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه (لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة) حسنة (لسعيها) في الدنيا بالطاعة (راضية) في الآخرة لما رأت ثوابه (في جنة عالية) حسا ومعنى (لا تسمع)

﴿سورة الغاشية مكية﴾

أي بالاجماع (قوله هل أتاك) أشار المفسر الى ان هل بمعنى قد وقوله أتاك أي في هذه السورة فالماضي اخبار عما وقع له في الحال ويصح أن يراد بالاستفهام التعجب والتشويق الى استماع حديثها المذكور بقوله وجوه يومئذ الخ (قوله الغاشية) من الغشاء وهو الغطاء ومنه الغشاوة وهي شئ يغطي العين (قوله وجوه يومئذ الخ) استئناف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره وما حديث الغاشية ووجوه مبتدا سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل وخاشعة خبره وعاملة ناصبة خبران آخران (قوله يومئذ) أي يوم اذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة ان قلت انه لم يتقدمها جملة يصلح أن يكون التنوين عوضا عنها أجيب بانه تقدمها لفظ الغاشية وهو في معنى الجملة لان أل موصولة باسم الفاعل فكانه قال التي غشيت فالتنوين عوض عن هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية اليها (قوله عبر بها عن الذوات) أي فهو مجاز مرسل من التعبير عن الكل بالجزء وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء ولانه يظهر عليه ذلك اولا (قوله بالسلاسل والاغلال) أي بسبب جر السلاسل وحمل الاغلال وكذلك يخوضون في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار قال تعالى اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وهذا جزاء لما تكبروا من اراحة أبدانهم في اللذات والشهوات قال سعيد بن جبير تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله تعالى وأنصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (قوله بضم التاء وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان والضمير للوجوه على كل (قوله نارا حامية) أي لانه أوقد عليها مدة طويلة ففي الحديث أحمى عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة (قوله آنية) أي بلغت اناها في الحرارة والمعنى انتهى حرها (قوله ليس لهم طعام الا من ضريع) قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيغصون به فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وقوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ان قلت كيف حصر الطعام هنا في الضريع مع انه في الحاقة قال ولا طعام الا من غسلين أجيب بأن العذاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه الضريع ومنهم من يكون طعامه الغسلين وهكذا (قوله لا يسمن ولا يغني من جوع) كل منهما صفة لضريع والمعنى لا يحصل السمن لآكله ولا يدفع عنه جوعا (قوله حسنة) أي ذات بهجة وحسن وقيل متنعمة والجمع حاصل فهي حسنة ومتنعمة (قوله لسعيها راضية) اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبرا ثانيا عن الوجوه والمعنى انهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليه (قوله حسا) أي لان الجنة درجات على عدد آي القرآن بعضها أعلى من بعض فبين الدرجتين مثل ما بين السماء والارض وقوله ومعنى أي وهو الشرف

بالياء والتاء (فيها لاغية) أي نفس ذات لغو أي هذيان من الكلام (فيها عين جارية) بالماء بمعنى عيون (فيها سرر مرفوعة) ذاتا وقدرا ومحلا (وأكواب) أقداح لا عرى لها (موضوعة) على حافات العيون معدة لشربهم (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها بجنب بعض يستند إليها (وزرابي) بسط طنافس لها خمل (مبثوثة) مبسوطة (أفلا ينظرون) أي كفار مكة نظر اعتبار (إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) أي بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته وصدرت بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها وقوله سطحت ظاهر في أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قال أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنا من أركان الشرع (فذكر) هم نعم الله ودلائل توحيده (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وفي قراءة بالصاد بدل السين أي بمسلط وهذا قبل الأمر بالجهاد (إلا) لكن (من تولى) أعرض عن الإيمان (وكفر) بالقرآن (فيعذبه الله العذاب الأكبر) عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر (إن إلينا إيابهم) رجوعهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) جزاءهم لا نتركه أبدا

والرفعة (قوله بالياء والتاء) أي ولكن الفعل على الياء مبني للمفعول لا غير وعلى التاء فهو مبني للفاعل والمفعول فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لاغية) صفة للجماعة أي جماعة لاغية و يصح أن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (قوله فيها عين جارية) أي على وجه الأرض من غير أخدود لا ينقطع جريها أبدا والمراد بالعين الجنس الصادق بالأنهار المتقدم ذكرها في سورة محمد عليه السلام (قوله فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء ما لم يجئ أهلها فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها (قوله وأكواب) جمع كوب (قوله لا عرى لها) أي ولا خرطوم (قوله معدة لشربهم) أي فكلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب و يصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر إليها و يصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهي متوسطة وحينئذ فيكون نظير قوله تعالى قدروها تقديرا (قوله ونمارق) جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان (قوله وسائد) جمع وسادة وهي المعروفة بالمخدة (قوله مصفوفة) أي فوق الطنافس (قوله وزرابي) جمع زربية بتثليث الزاي (قوله طنافس) جمع طنفسة بتثليث الفاء والطاء ففيه تسع لغات صفة لبساط وتسمى أيضا السجادة فلها ثلاثة أسماء سجادة وطنفسة وزربية (قوله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) استئناف مقرر لما مضى من حديث الغاشية والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلا ينظرون وهو استفهام إنكاري توبيخي وخصت الإبل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة وعيشها بأي نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيرا ونهوضها وهي باركة بالأحمال الثقيلة ولا تؤذي من وطئته برجلها وتتأثر بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شيء من الحيوانات جمع هذه الأشياء غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتيل والإبل اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما له واحد من معناه كبعير وناقة وجمل (قوله كيف خلقت) كيف منصوب بخلقت على الحال والجملة بدل اشتمال من الإبل فهي في محل جر (قوله كيف رفعت) أي فوق الأرض من غير عمد (قوله كيف نصبت) أي على وجه الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل (قوله فيستدلون بها الخ) الحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالذكر أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا في الأودية والبراري منفردين عن الناس والإنسان إذا انفرد أقبل على التفكر فأول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وإن نظر إلى فوق لم ير غير السماء وإن نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد ولا يحمله الكبر على ترك النظر (قوله وصدرت) أي هذه الأربعة (قوله وإن لم ينقض) أي ما قاله أهل الهيئة من قواعدهم التي ذكروها وقوله ركنا أي قاعدة من قواعد الشرع ولا يضر في العقيدة لأن علماء الهيئة قالوا إن الأرض كرة بطبعها وحقيقتها كالبيضة فالسموات السبع محيطة بالأرض من كل جانب والعرش محيط بالجميع لكن الله تعالى أخرج الأرض عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها رحمة بهم (قوله فذكر) مفرع على ما تقدم من ذكر دلائل التوحيد (قوله إنما أنت مذكر) تعليل للأمر بالتذكير (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي بمسلط) هذا تفسير للقراءتين (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي فهو منسوخ بآية السيف (قوله لكن من تولى الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والاستدراك لدفع توهم أنهم متروكون في الآخرة كالدنيا وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم في مبدإ الأمر فربما يتوهم أنهم في الآخرة كذلك فأفاد أنه وإن أمهلهم في الدنيا لا يهملهم من العذاب في الآخرة (قوله إن إلينا إيابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر (قوله ثم إن علينا حسابهم) أي بمقتضى وعدنا لا وجوبا علينا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فإن الترتيب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليه تعالى

وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران و جمع الضمير في ايابهم وحسابهم باعتبار معنى من

﴿سورة الفجر مكية﴾

أى فى قول الجمهور وقوله أومدنية أى فى قول على بن أبى طلحة (قوله أى فجر كل يوم) هذا أحد أقوال كثيرة فى تفسير الفجر وهو قول على وابن الزبير وابن عباس أو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة أو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات أو فجر ذى الحجة لانه قرن به الليالى العشر (قوله أى عشر ذى الحجة) أى وانما نكرت لانها أفضل ليالى السنة وماذكره المفسر أحد أقوال وقيل هى العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم (قوله والشفع والوتر) قال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وقيل الوتر يوم عرفة لانه تاسع والشفع يوم النحر لانه عاشر وقيل غير ذلك (قوله بفتح الواو وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان (قوله والليل) قسم خامس بعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم وقيل ليلة المزدلفة خاصة وقيل ليلة القدر لسريان البركة فيهما (قوله اذا يسر) اذا معمول لمحذوف هو فعل القسم والمعنى أقسم بالليل وقت سراه (قوله مقبلا) أى بادبار النهار وقوله ومدبرا أى باقبال النهار وفيه اشارة الى ان اسناد السرى لليل حقيقة وقال غيره ان اسناد السرى له مجاز عقلى من الاسناد للزمان والمعنى يسرى فيه وكل صحيح (قوله هل فى ذلك الخ) استفهام تقريرى لفخامة شأن الامور المقسم بها واسم الاشارة عائد على الامور المقسم بها (قوله القسم) أى الحلف والحنسية صادقة بالمذكور من الاقسام وهى خمسة وكذا يقال فى قوله و جواب القسم الخ (قوله عقل) سمى حجرا لانه يحجر صاحبه و يمنعه عن القبائح (قوله و جواب القسم محذوف) وقيل هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وقيل غير ذلك (قوله ألم تر الخ) شروع فى بيان أحوال الامم الماضية وذكر منهم عادا وثمود وفرعون لان أخبارهم كانت معلومة عندهم والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (قوله ارم) هو فى الاصل اسم جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام سميت القبيلة باسم جدهم عاد وعاش ألف سنة ومائتى سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا (قوله أى الطول) هذا أحد أقوال وقيل ان المراد به الابنية المرتفعة على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور وقيل ذات العماد ذات القوة والشدة قال تعالى من أشد منا قوة وقيل غير ذلك (قوله كان طول الطويل الخ) نحوه قول الكازرونى طول الطويل منهم خمسمائة ذراع والقصير ثلثمائة ذراع بذراع نفسه ورد ذلك ابن العربى بقوله هو باطل لان فى الصحيح ان الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى الهواء فلم يزل الخلق ينقصون الى الآن اه وقال قتادة ان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا (قوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل هى مدينة بناها شداد بن عاد * وحاصل قصتها انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا العباد والبلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان

﴿سورة والفجر مكية أو مدنية ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والفجر) أى فجر كل يوم (وليال عشر) أى عشر ذى الحجة (والشفع) الزوج (والوتر) بفتح الواو وكسرها لغتان الفرد (والليل اذا يسر) مقبلا ومدبرا (هل فى ذلك) القسم (قسم لذى حجر) عقل وجواب القسم محذوف أى لتعذبن يا كفار مكة (ألم تر) تعلم يا محمد (كيف فعل ربك بعاد ارم) هى عاد الاولى فارم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذات العماد) أى الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع (التى لم يخلق مثلها فى البلاد)

في بطشهم وقوتهم (وثمود الذين جابوا) قطعوا (الصخر) جمع صخرة واتخذوها بيوتا (بالواد) وادي القرى (وفرعون ذي الاوتاد) كان يتد أربعة أوتاد يشد اليها يدي ورجلي من يعذبه (الذين طغوا) تجبروا (في البلاد فاكثروا فيها الفساد) القتل وغيره (فصب عليهم ربك سوط) نوع (عذاب ان ربك لبالمرصاد) يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها (فاما الانسان) الكافر (اذا ما ابتلاه)

بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية الى كعب الأحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي أمر الملك أن نبني فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة في الدنيا وهو من الخرافات بل هي في مكانها غير ان الله تعالى يعمي الخلق عنها فلم يهتد لها الامن وعده بها (قوله في بطشهم) متعلق بمثلها والضمير عائد على القبيلة باعتبار اهلها (قوله الذين جابوا الصخر) صفة لثمود والباء في بالوادي بمعنى في وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة (قوله واتخذوها بيوتا) قيل أول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود وروي انهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقيل سبعة آلاف كلها من الحجارة (قوله وادي القرى) موضع بقرب المدينة من جهة الشام (قوله كان يتد أربعة أوتاد الخ) أي يدقها للمعذب ويشده بها مطروحا على الارض ثم يعذبه بما يريد من ضرب واحراق وغيرهما (قوله الذين طغوا) اما مجرور صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم (قوله نوع عذاب) فسره بذلك لقول الفراء سوط العذاب كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب والمعنى أنزل على كل نوع من العذاب فاهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق (قوله ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله اعلاما بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب (قوله يرصد أعمال العباد) أشار بذلك الى أن في الكلام استعارة تمثيلية شبه حفظه تعالى لاعمال عباده ومجازاته عليها بحال من قعد على الطريق مترصدا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فاما الانسان) اما هنا لمجرد التأكيد لا للتأكيد مع التفصيل لعدم تقدم مقتضيه وهو مرتبط بقوله ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يرضى من عباده الا الطاعة والاخلاص لما في الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فاما الانسان فلا يلتفت لذلك لكونه مطبوعا على خلافه وانما يلتفت للعاجل وما قررناه سالم من الدسيسة الاعتزالية الواقعة في كلام الزمخشري حيث نفى عن الله ارادة المعاصي والقبائح ونص عبارته فان قلت بما اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة اه فتدبر (قوله اذا ما ابتلاه ربه الخ)

انما سمي كلا من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء لانه يختبر حال العبد في الحالين فاذا بسط له الرزق فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة (قوله اختبره) أي عامله معاملة المختبر (قوله بالمال وغيره) اى كالجاه والولد (قوله ونعمه) أي جعله متلذذا بتلك النعم (قوله فيقول ربى اكرمن) أي فضلني وأحسن الي (قوله واما اذا ما ابتلاه) ما زائدة لوقوعها بعد اذا وكذا يقال في الاولى (قوله فقدر) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان ان قلت مقتضى المقابلة ان يقول فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه أجيب بان البسط اكرام من الله لعبده وليس ضده اهانة بل ترك للكرامة فاذا أهدى لك انسان هدية فقد أكرمك بها واذا لم يهد اليك فلم يحصل منه اكرام ولا اهانة وأيضا فيه اشارة الى أن تقتير الرزق لا يلزم منه أن يكون دليلا على الاهانة بل قد يكون دليلا على المحبة والتكريم لما ورد أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الأمثل فالأمثل فقول العبد ربي أهانني من قصوره وغفلته والا فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم (قوله فيقول ربي اهانن) أى لم يحسن الي ولم يفضلني وفي ياء اهانني واكرمني خلاف بين القراء فبعضهم يثبتهما وصلا ووقفا وبعضهم يحذفهما في الحالين وبعضهم يثبتهما وصلا ويحذفهما وقفا (قوله ردع) أي عن الشقين بدليل قوله أي ليس الاكرام الخ (قوله وكفار مكة الخ) توطئة للدخول على قوله بل لا يكرمون الخ وقوله لذلك أي لكون الاكرام بالطاعة والاهانة بالكفر والمعاصي وكثير من جهلة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد وهو غلط وغرور (قوله بل لا تكرمون اليتيم) اضراب من قبيح الى أقبح منه ترقيا في ذمهم (قوله ولا يحضون) أى يحثون ومفعوله محذوف قدره بقوله أنفسهم ولا غيرهم (قوله أي اطعام) أشار بذلك الى أن الطعام مصدر بمعنى الاطعام وفيه ايماء الى أن اكرام اليتيم والحث على اطعام المساكين من أعظم الخصال فضيلة (قوله ويأكلون التراث) التاء فيه مبدلة من الواو لانه من الوراثة كما في تجاه وتكاءة (قوله أكلا لما) أى جمعا فاللم الجمع يقال لممت الشئ جمعته ومنه لم الله شعثه أي جمع ما تفرق من أموره (قوله أى شديدا) صفة لموصوف محذوف اى جمعا شديدا (قوله للمهم نصيب النساء الخ) أى فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك ان قلت ان السورة مكية وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة الا من الشرع أجيب بان حكم الارث كان معلوما لهم من بقايا شريعة اسمعيل فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعية أيضا وقرئ في السبع أيضا تحاضون وأصله تتحاضون حذفت احدى التاءين أي لا يحض بعضكم بعضا (قوله ردع لهم عن ذلك) أى عن جمع المال وحبه وعدم اكرام اليتيم (قوله اذا دكت الارض) أى حصل رجها وزلزلتها لتسويتها (قوله دكا دكا) ليس تأكيدا بل التكرار للدلالة على الاستيعاب كقولك رتبته بابا بابا أي بابا بعد باب وكذا يقال دكا بعد دك حتى تزول الجبال وتستوى الارض (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال ان المجيء يقتضي الانتقال وهو على الله محال فاجاب بان الكلام على حذف مضاف أي حصل أمره وظهر سلطان قهره وتجليه على عباده (قوله صفا صفا) أى صفا بعد صف لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الخلائق اذا جمعوا في صعيد واحد الاولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله ملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم انسانا وشخصا من المبعوثين انسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوهم الى الارض الثانية أي التي تبدل وهي أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذا هم أكثر من أهل الارض بعشر مرات ثم ان الله تعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة واذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم باربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء

اختبره (ربه فاكرمه) بالمال وغيره (ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر) ضيق (عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا) ردع أي ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر وانما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك (بل لا يكرمون اليتيم) لا يحسنون اليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من الميراث (ولا يحضون) أنفسهم ولا غيرهم (على طعام) أي اطعام (المسكين ويأكلون التراث) الميراث (أكلا لما) أى شديدا للمهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم (ويحبون المال حبا جما) أي كثيرا فلا ينفقونه وفي قراءة بالفوقانية في الافعال الاربعة (كلا) ردع لهم عن ذلك (اذا دكت الارض دكا دكا) زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم (وجاء ربك) أى أمره (والملك) أى الملائكة (صفا صفا) حال أى مصطفين أي ذوى صفوف كثيرة

السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلاهم ستين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلاهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة الى الاذقان والى الصدور والى الحقوين والى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام ومنهم من تصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش اذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والارق وقد قربت الشمس من رؤسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الارض وذاب الصخر ونشفت الانهار فبينما الخلائق يموجون في تلك الارض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول يوم تبدل الارض غير الارض اذ جيء بجهنم الخ (قوله وجيء يومئذ بجهنم) يومئذ منصوب بجيء وبجهنم قائم مقام الفاعل (قوله كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك) أي يجرونها حتى تقف عن يسار العرش قال أبو سعيد الخدري لما نزل وجيء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال أقرأني جبريل كلا اذا دكت الارض دكا دكا الآية وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود بكل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول مالي ولك يا محمد ان الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى أحد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول يا رب أمتي أمتي (قوله لها زفير) أي صوت شديد (قوله وتغيظ) أي غليان كغليان صدر الغضبان (قوله بدل من اذا) أي والعامل فيهما يتذكر الذي هو الجواب وهذا مذهب سيبويه وقال غيره البدل على نية تكرار العامل فالعامل في البدل محذوف نظير عامل المبدل منه (قوله وأنى) اسم استفهام خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف (قوله استفهام بمعنى النفي) أي فهو انكاري (قوله للتنبيه) أي والتحسر (قوله الخير والايمان) أشار بذلك الى أن مفعول قدمت محذوف (قوله لحياتي) اللام اما للتعليل أي لاجل حياتي هذه الكائنة في الآخرة أو بمعنى وقت والمراد بالحياة الحياة الدنيوية وقد أشار لهما المفسر (قوله بكسر الدال وقوله بكسر الثاء) أي فاحد فاعل فيهما (قوله أي لا يكله الى غيره) أي لا يأمر غيره بمباشرته والمراد بالغير غير الملائكة فلا ينافي أنه تعالى يكله الى ملائكة العذاب لانهم يباشرونه باذن الله وأمره لهم ويحتمل ان المعنى لا يعذب أحد من خلق الله تعذيبا مثل تعذيب الله هذا الكافر ولا يوثق أحد من خلق الله ايثاقا مثل ايثاق الله لهذا الكافر وكل صحيح (قوله ولا يوثق وثاقه أحد) أي لا يشد ولا يربط بالسلاسل والاغلال أحد مثل ربطه وشده (قوله وفي قراءة بفتح الدال والثاء) أي وهما سبعيتان وأحد على هذه القراءة نائب الفاعل فيهما الذي هو الله تعالى أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى (قوله مثل تعذيبه) مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر (قوله يا أيتها النفس المطمئنة) لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله فسلم اليه أمره واتكل عليه (قوله الآمنة) أي التي لا يستفزها خوف ولا حزن (قوله وهي المؤمنة) هذا قول ابن عباس وقال الحسن المؤمنة الموقنة وعن مجاهد أيضا الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما أخطأها لم يكن ليصيبها وان ما أصابها لم يكن ليخطئها وقال ابن عطاء العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين وقيل المطمئنة بذكر الله وقيل غير ذلك وفي الحقيقة كل من تلك المعاني صحيح لانه متى ثبت لها الايمان عند الموت تحققت بذلك الخطاب في كلام المفسر من جوامع الكلم (قوله ارجعي الى ربك) هو خبر في المعنى وان كان أمرا في الظاهر (قوله عند الموت) قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة

(وجيء يومئذ بجهنم) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يومئذ) بدل من اذا وجوابها (يتذكر الانسان) أي الكافر ما فرط فيه (وأنى له الذكرى) استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك (يقول) مع تذكره (يا) للتنبيه (ليتني قدمت) الخير والايمان (لحياتي) الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا (فيومئذ لا يعذب) بكسر الذال (عذابه) أي الله (أحد) أي لا يكله الى غيره (و) كذا (لا يوثق) بكسر الثاء (وثاقه أحد) وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل ايثاقه (يا أيتها النفس المطمئنة) الآمنة وهي المؤمنة (ارجعي الى ربك) يقال لها ذلك عند الموت أي ارجعي الى أمره وارادته (راضية) بالثواب (مرضية) عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقال لها في القيامة

(فادخلى فى) جملة (عبادى) الصالحين (وادخلى جنتى) معهم

﴿سورة البلد مكية عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لا) زائدة (أقسم بهذا البلد) مكة (وأنت) يا محمد (حل) حلال (بهذا البلد) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه (ووالد) أى آدم (وماولد) أى ذريته وماعنى من (لقد خلقنا الانسان) أى الجنس (فى كبد) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة (أيحسب) أيظن (الانسان) قوى قريش

وتسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح لها ولا بملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله ويبنذ فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان اه وماذكره المفسر من ان النداء عند الموت أحد قولين والآخر انه عند البعث ومعنى قوله ارجعى الى ربك أى صاحبك وهو الجسد فيأمر الله تعالى الارواح أن ترجع الى الاجساد وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك (قوله فادخلى فى عبادى) الاضافة للتشريف والافالكل عباده (قوله وادخلى جنتى معهم) أى الصالحين لتفوز ى بالنعيم المقيم ولاهل الاشارات تفاسير منها ان الله ينادى بها فى الدنيا بهذا النداء حيث اتصفت بتلك الصفات يقول لها ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه مرضية له باوصافك فادخلى فى عبادى الصالحين أى فكونى معدودة فيهم ومحسوبة منهم وادخلى جنة شهودى فى الدنيا مادمت فيها وهى الجنة المعجلة ويقال لها ذلك أيضا عند البعث على التفسير المتقدم ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود وفسروا بذلك قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أى جنة الشهود فى الدنيا التى قال فيها العارف ابن الفارض

أنلنا مع الاحباب رؤيتك التى * اليها قلوب الأولياء تسارع

وجنة الخلود فى العقبى وهذا النداء الواقع فى الدنيا يسمعه العارفون اما فى المنام أو بالالهام وتقدم تقسيم النفس ومأخذ كل قسم فى سورة القيامة

﴿سورة البلد مكية﴾

أى بالاجماع (قوله زائدة) هذا أحد احتمالين والآخر انها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك (قوله مكة) أى لانها مهبط الرحمات يجبى اليها ثمرات كل شئ جعلها الله حرما آمنا ومثابة للناس وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها وحرم فيها الصيد وجعل البيت المعمور بازائه وغير ذلك من فضائلها فلما استجمعت تلك المزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها (قوله وأنت حل بهذا البلد) جملة حالية جئ بها تسلية له صلى الله عليه وسلم وتعجيلا لمسرته حيث وعده فتح مكة فى المستقبل وعبر عنه بالحال لتحقق الوقوع على حد انك ميت وانهم ميتون وقد أنجز الله له ذلك فعند ما نزع المغفر عنه يوم الفتح جاء رجل فقال يارسول الله ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله الزبير وخص هذا الحال لان مكة وان كانت عظيمة فى نفسها الا انها فى تلك الحالة أعظم لانتقال أهلها من الظلمات الى النور وفيه اشارة الى عظم قدر المصطفى وشرف البقاع به فكما زادها الله تشريفا بقدومه بها وهو حلال (قوله فالجملة اعتراض) أى لا تعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها قصد بها الاخبار عما سيكون والاحسن جعلها حالية كما علمت لانه يستفاد منها تشريف مكة فى تلك الحالة المستلزم زيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واكرامه وتعظيمه حيث أحل له مالم يحل لاحد قبله ولا بعده (قوله ووالد وماولد) أقسم الله بهم لانهم أعجب خلقه لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والصلحاء ولاسيما أمر الملائكة بالسجود لآدم وتعليمه جميع الاسماء وما مشى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته يستعاد منه العموم للصالح والطالح وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكأنهم لم يسوا من أولاده (قوله لقد خلقنا الانسان) هذا هو المقسم عليه (قوله فى كبد) بفتحتين المشقة من المكابدة للشئ وهى تحمل المشاق فى فعله وفى الآية اشارة الى انه قد أحاطت به احاطة الظرف بالمظروف (قوله يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة) وذلك لانه أول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولوفاته لضاع ثم يكابد نبت أسنانه

وتحريك

وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام الذى هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والترويج ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم ومصايب يكثر تعدادها ونوائب يطول ايرادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ويكابد محنا فى المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضى عليه يوم الا يقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما فى جنة واما فى نار هكذا قرره العلماء (قوله وهو أبو الاشد) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة وهو بالافراد فى كثير من النسخ تبعا لكثير من المفسرين وفى بعض النسخ الاشدين بصيغة التثنية تبعا لبعض المفسرين ولينظر وجهها واسمه اسيد بن كلدة (قوله بقوته) البا سببية ومن قوته انه كان يجعل الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه (قوله أن لن يقدر عليه) أى على بعثه ومجازاته (قوله يقول) أى افتخارا (قوله على عداوة محمد) على بمعنى فى (قوله لبدا) بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءتان سبعيتان جمع لبدة وهو وما تلبد والمراد به الكثرة (قوله أيحسب أن لم يره أحد) استفهام انكارى (قوله ليس مما يتكثر به) أى يفتخر بكثرته لانه أنفقه فيما يغضب الله (قوله ألم نجعل له عينين) أى يبصر بهما المرئيات شققناهما له وهو فى ظلمة الرحم وقدرنا بياضهما وسوادهما وأودعناهما البصر على كيفية تعجز الخلق عن ادراكها (قوله ولسانا) أى يترجم به عما فى ضميره (قوله وشفتين) أى يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك فى الحديث يقول الله يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق (قوله طريقى الخير والشر) وصف مكان الخير بالرفعة والنجد به ظاهر بخلاف الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضيض الشقوة ففيه تغليب والمعنى بيناله ان طريق الخير ينجى وطريق الشر يردى وسلوك الأول ممدوح والثانى مذموم وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وقال عكرمة النجدان الثديان أى لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه (قوله فهلا) أشار بذلك الى ان لا بمعنى هلا التحضيض وهو أحد احتمالين والآخر انها باقية على أصلها النفى أى لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة ان قلت لم أفردت لا مع انها اذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى أجيب بانها مكررة فى المعنى كأنه قال فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا (قوله اقتحم العقبة) هى فى الاصل الطريق الصعب فى الجبل واقتحامها مجاوزتها ثم أطلق على مجاهدة النفس فى فعل الطاعات وترك المحرمات والمراد باقتحامها فعلها أو تحصيلها او التلبس بها اذا علمت ذلك تقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة لكن باعتبار الأصل وليس مرادا هنا فلو قال أى تلبس بها ودخلها لكان واضحا او يقال المراد بالعقبة الطريق التى توصل الى الجنة فانه ورد ان بين العبد والجنة سبع عقبات والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات فى الدنيا فمعنى قول المفسر جاوزها أى فعل أسباب المجاوزة (قوله والجملة اعتراض) أى لبيان العقبة (قوله بان أعتقها) أى مباشرة وهو ظاهر او تسببا كشراء القريب (قوله ذى مسغبة) مصدر ميمى بوزن مفعلة من سغب يسغب من باب فرح جاع وقيد الاطعام بذلك الوقت لان اخراج المال فيه أثقل على النفس (قوله ذا مقربة) قيد اليتيم بكونه قريبا لانه يجتمع حينئذ فى الاطعام جهة الصلة والصدقة (قوله أى لصوق بالتراب) أى فهو كناية عن الافتقار (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضاف الأول لرقبة) أى من اضافة المصدر الى مفعوله (قوله فيقدر قبل العقبة) انما احتيج الى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر المفسر وذلك لان المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتحها وهو

وهو أبو الاشد بن كلدة بقوته (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لن يقدر عليه أحد) والله قادر عليه (يقول أهلكت) على عداوة محمد (مالا لبدا) كثيرا بعضه على بعض (أيحسب أن) أى أنه (لم يره أحد) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء (ألم نجعل) استفهام تقرير أى جعلنا (له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) بينا له طريقى الخير والشر (فلا) فهلا (اقتحم العقبة) جاوزها (وما أدراك) أعلمك (ما العقبة) التى يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب جوازها بقوله (فك رقبة) من الرق بان أعتقها (أو أطعم فى يوم ذى مسغبة) مجاعة (يتيما ذا مقربة) قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أى لصوق بالتراب لفقره وفى قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثانى فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه

(ثم كان) عطف على اقتحم وثم للترتيب الذكري والمعنى كان وقت الاقتحام (من الذين آمنوا وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على الطاعة وعن المعصية (وتواصوا بالمرحمة) الرحمة على الخلق (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب الميمنة) اليمين (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) الشمال (عليهم نار مؤصدة) بالهمز والواو بدله مطبقة

﴿سورة والشمس مكية خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والشمس وضحاها) ضوئها (والقمر اذا تلاها) تبعها طالعا عند غروبها (والنهار اذا جلاها) بارتفاعه (والليل اذا يغشاها) يغطيها بظلمته واذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (والسماء وما بناها والارض وما طحاها) بسطها (ونفس) بمعنى نفوس (وما سواها) في الخلقة وما في الثلاثة مصدرية أو بمعنى من (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها طريق الخير والشر وأخر التقوى رعاية لرؤس الآى وجواب القسم (قد أفلح) حذفت منه اللام لطول الكلام

العقبة غير مصدرة فلو لم يقدر المضاف لكان المصدر وهو فك مفسرا الاسم العين وهى العقبة وذلك غير جائز وأما القراءة الأولى فالفعل فيها بدل من قوله اقتحم فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله ثم كان من الذين آمنوا) أتى بثم اشارة لبعد رتبة الايمان وعلوها عن رتبة العتق والصدقة (قوله وثم للترتيب الذكرى) أى لان الايمان هو السابق ولا يصح عمل الابه (قوله بالصبر على الطاعة الخ) أى وعلى ما أصابه من المحن والشدائد (قوله أولئك) مبتدأ وقوله أصحاب الميمنة خبره وأتى باسم الاشارة تنكيرا لهم بأنهم حاضرون عنده فى مقام قربه وكرامته وذكرهم بما يشار اليه للبعيد تعظيما لهم واشارة لعلو درجاتهم وارتفاعها (قوله أصحاب الميمنة) أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم أولان منزلتهم عن يمين العرش (قوله هم أصحاب المشأمة) ذكرهم بضمير الغيبة اشارة الى انهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه (قوله الشمال) اى لانهم يأخذون كتبهم بشمائلهم أولان منزلتهم عن الشمال (قوله عليهم نار) خبر ثان أو مستأنف (قوله بالهمز والواو) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان يقال آصدت الباب وأوصدته اذا أغلقته وأطبقته (قوله مطبقة) أى عليهم تفسير لكل من القراءتين والمعنى لا يخرجون منها أبدا ولا يدخلها روح و ريحان

﴿سورة الشمس مكية﴾

أقسم سبحانه وتعالى بسبعة أشياء اظهارا لعظمة قدرته وانفراده بالالوهية واشارة الى كثرة مصالح تلك الاشياء وعموم نفعها (قوله وضحاها) أى وهو وقت ارتفاعها * والحاصل ان الضحوة ارتفاع النهار والضحى بالضم والقصر فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (قوله ضوئها) هو أحد أقوال ثلاثة وقيل هو النهار كله وثالثها هو حر الشمس وحكمة القسم بذلك ان العالم فى وقت غيبة الشمس عنهم كالاموات فاذا ظهر أثر الصبح صارت الاموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها (قوله تبعها) أى ظهر ضوؤه وسلطانه بعد غروبها وخلفها فى انتشار الضياء فلا ينافى انه قد يوجد مصاحبا لها كالليلة الخامسة من الشهر مثلا (قوله طالعا عند غروبها) حال من ضمير تبعها والمراد ظهوره بعد غيبتها فى أى وقت من الليل فيشمل أول الشهر وأوسطه وآخره (قوله والنهار اذا جلاها) الضمير المستتر المرفوع اما عائد على النهار أو على الله تعالى والبارز المنصوب اما للشمس أو للظلمة والمعنى أظهرها وكشفها (قوله والليل اذا يغشاها) أتى به مضارعا ولم يقل غشيها مراعاة للفواصل أو اشارة لدوام القسم بهذا الأمر واستمراره شيأ بعد شئ فلم يلتزم فيه صيغة الماضى وأتى به متوسطا اشارة الى ان ما قبله وما بعده محمول عليه (قوله يغطيها بظلمته) أى فيزيل ضوءها فالنهار يجليها ويظهرها والليل يغطيها ويسترها (قوله لمجرد الظرفية) من اضافة الصفة للموصوف أى الظرفية المجردة عن الشرطية (قوله والعامل فيها فعل القسم) استشكل بانه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول فى الزمان وذلك لان فعل القسم انشاء وزمانه الحال واذا للاستقبال وحينئذ فلا يصح عمله فى اذا أجيب بان فعل القسم يدل على الحال ما لم يكن مقرونا بظرف يفيد الاستقبال كاذا والا فيكون للاستقبال تبعا لمعموله (قوله بسطها) أى على الماء (قوله بمعنى نفوس) أشار بذلك الى أن التنكير للتكثير (قوله وما سواها فى الخلقة) أى عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المتقن (قوله وما فى الثلاثة مصدرية) أى وبناء السماء الخ وحينئذ فالكلام اما على حذف مضاف أى ورب البناء والطحو والتسوية أو القسم بتلك الاشياء لعظمتها وجلالة قدرها كما تقدم فى القسم بالشمس ونحوه (قوله أو بمعنى من) أى ومن بناها الخ وبه استدل من يجوز وقوعها على آحاد أولى العلم لان المراد به الله تعالى (قوله فألهمها فجورها وتقواها) الالهام فى الاصل القاء الشئ فى القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطلق هنا على مطلق التبيين (قوله طريق الخير والشر) لف ونشر مشوش (قوله حذفت منه اللام) أى لطول الكلام لان الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله عليه اذا وقع جوابا للقسم

تلزمه اللام وقد يجوز الاقتصار على أحدهما عند طول الكلام أو للضرورة (قوله من زكاها الخ) الفاعل ضمير من في الموضعين وقيل ضمير عائد على الله تعالى والتقدير من زكاها الله بالطاعة وقد خاب من دساها الله بالمعصية (قوله وقد خاب من دساها) كرر قد اشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها (قوله وأصله دسسها) مأخوذ من التدسيس وهو الاخفاء والمعنى أخملها وأخفاها بالكفر والمعصية لان المعاصي تذل النواصي (قوله كذبت ثمود) مناسبتها لما قبلها انه لما أقسم بتلك الاقسام المذكورة على فلاح المطيع وخيبة العاصي ذكر في تلك القصة المطيع وهو صالح عليه السلام والعاصي وهو قومه (قوله بسبب طغيانها) أشار بذلك الى ان الباء سببية (قوله اذ انبعث) مطاوع بعث تقول بعثت فلانا على الأمر فانبعث له والباعث لهم على ذلك التكذيب والطغيان (قوله واسمه قدار) أي بوزن غراب ابن سالف وهو أشقى الأولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب أتدري من أشقى الأولين قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك (قوله برضاهم) قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم (قوله فقال لهم) أي بسبب الانبعاث والمعنى انه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ماذكر (قوله ناقة الله) الاضافة للتشريف من حيث انها دالة على توحيد الله بسبب ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة للعادة التي لا تمكن من غيره تعالى (قوله أي ذروها) أشار بذلك الى ان ناقة منصوب على التحذير والكلام على حذف مضاف أي ذروا عقرها واحذروا سقياها (قوله شربها) بضم الشين وكسرها اسمان وبفتحها مصدر شرب والمعنى ومشروبها (قوله ولهم يوم) أي يشربون فيه هم ومواشيهم (قوله فكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال ان تحذيرهم من الناقة وسقياها انشاء والتكذيب من معارض الاخبار فأجاب المفسر بأن تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر (قوله المرتب عليه نزول العذاب بهم) وذلك ان صالحا قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام قالوا وما العلامة على ذلك العذاب قال تصبحون في اليوم الأول وكان هو الاربعاء ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني وهو الخميس ووجوهكم محمرة وفي الثالث وهو الجمعة ووجوهكم مسودة وفي الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب فحصل ذلك وتقدم بسطه (قوله فعقروها) أي عقرها قدار في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها (قوله ماء شربها) أي الماء الذي كانت تشربه (قوله فدمدم أطبق عليهم الخ) أي فهو مأخوذ من الدمدمة وهي اطباق الشئ على الشئ يقال دمدم عليه القبر أطبقه والمعنى أهلكهم (قوله فلم يفلت منهم أحدا) أي الا من آمن مع صالح وهم أربعة آلاف (قوله بالواو والفاء) أي فهما سبعيتان أما الواو فالحال أو مستأنفة والفاء للتعقيب (قوله تبعتها) أي عاقبة هلاكهم كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم واذلالهم ويجوز عود الضمير على الرسول أي انه لا يخاف عاقبة انذاره لهم لعصمته بالله تعالى وقيل الضمير يرجع للعاقر فهو زيادة في التقبيح عليه

﴿سورة الليل مكية﴾

هذه السورة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أمية بن خلف فالصديق بلغ الغاية في الايمان والصدق والكرم وأمية بلغ الغاية في الكفر والكذب والبخل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله والليل اذا يغشى) أقسم به تعالى لكونه جليلا عظيما تسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذي هو راحة لابدانهم (قوله كل ما بين السماء والارض) أشار به الى أن مفعول يغشى محذوف تقديره كل ما بين السماء والارض وقيل تقديره النهار أو الشمس وكل صحيح (قوله والنهار اذا تجلى) أقسم به لانه مظهر جمال الله اذ به ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل وفيه تتحرك الناس لمعايشهم والطيور من أوكارها والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لانعدمت الراحة فكانت المصلحة في تعاقبهما (قوله لمجرد الظرفية) أي الظرفية المجردة عن الشرط

(من زكاها) طهرها من الذنوب (وقد خاب) خسر (من دساها) أخفاها بالمعصية وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفا تخفيفا (كذبت ثمود) رسولها صالحا (بطغواها) بسبب طغيانها (اذ انبعث) أسرع (أشقاها) واسمه قدار الى عقر الناقة برضاهم (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أي ذروها (وسقياها) شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم (فكذبوه) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم ان خالفوه (فعقروها) فقتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فدمدم) أطبق (عليهم ربهم) العذاب (بذنبهم فسواها) أي الدمدمة عليهم أي عمهم بها فلم يفلت منهم أحدا (ولا) بالواو والفاء (يخاف) تعالى (عقباها) تبعتها

﴿سورة الليل مكية احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والليل اذا يغشى) بظلمته كل ما بين السماء والارض (والنهار اذا تجلى) تكشف وظهر واذا في الموضعين لمجرد الظرفية

والعامل فيها فعل القسم (وما) بمعنى من أو مصدرية (خلق الذكر والانثى) آدم وحواء أو كل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى (ان سعيكم) عملكم (لشتى) مختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية (فأما من أعطى) حق الله (واتقى) الله (وصدق بالحسنى) أى بلا اله الا الله فى الموضعين (فسنيسره لليسرى) للجنة (وأما من بخل) بحق الله (واستغنى) عن ثوابه (وكذب بالحسنى فسنيسره) نهيئه (للعسرى) للنار (وما) نافية (يغنى عنه ماله اذا تردى) فى النار (ان علينا للهدى) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى (وان لنا للآخرة والاولى) أى الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ (فأنذرتكم) خوفتكم يا أهل مكة (نارا تلظى) بحذف احدى التاءين من الاصل وقرئ بثبوتها أى تتوقد (لا يصلاها) يدخلها (الا الاشقى) بمعنى الشقى (الذى كذب) النبى (وتولى) عن الايمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلى المؤبد (وسيجنبها) يبعد عنها (الاتقى) بمعنى التقى (الذى يؤتى ماله

(قوله والعامل فيها فعل القسم) أى المقدر و يأتى هنا ما تقدم من الاشكال والجواب (قوله بمعنى من) أى فهى اسم موصول و يكون تعالى أقسم بنفسه أى والقادر على خلق الذكر والانثى (قوله أو مصدرية) أى وخلق الله الذكر والانثى أى تعلق قدرته بخلقهما (قوله آدم وحواء) أى فتكون أل للعهد (قوله أو كل ذكر وكل أنثى) أى من جميع المخلوقات فأل للاستغراق وقيل كل ذكر وكل أنثى من الآدميين فتكون أل استغراقية استغراقا عرفيا (قوله والخنثى المشكل) مبتدأ وقوله عندنا ظرف لقوله المشكل وقوله ذكر الخ خبر وقوله عند الله ظرف لقوله ذكر الخ وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم يدخل الخنثى المشكل فى عموم الذكر ولا فى عموم الانثى فأجاب بما ذكر (قوله فيحنث بتكليمه) أى لان الله تعالى لم يخلق من ذوى الارواح من ليس ذكرا ولا أنثى والخنثى انما هو مشكل بالنسبة الينا خلافا لمن قال هو نوع ثالث و يرده قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا الآية (قوله ان سعيكم لشتى) جواب القسم وسعيكم مصدر مضاف يفيد العموم فهو جمع فى المعنى وان كان لفظه مفردا ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (قوله مختلف) أى متباعد الابعاض لانه منقسم الى ضلال وهدى والضلال أنواع والهدى أنواع و يصح ان المعنى مختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار (قوله فأما من أعطى) تفصيل لتلك المساعى المختلفة وتبيين لاحكامها (قوله حق الله الخ) أشار بذلك الى أن مفعول أعطى واتقى محذوفان لافادة العموم فيشمل اعطاء حقوق الله فى المال بانفاقه فى وجوه البر والنفس ببذلها فى طاعة الله تعالى وتقوى الله تعالى هى امتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله أى بلا اله الا الله) أى مع محمد رسول الله وقيل المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى ومعنى تصديقه بها ايمانه بالبعث والجزاء (قوله فسنيسره لليسرى) التنفيس ليس مرادا لأن التيسير حاصل فى الحال وانما الاتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه (قوله الجنة) أى لما ورد ما من نفس منفوسة الا كتب الله مكانها من الجنة أو النار فقال القوم يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وقيل معنى اليسرى أسباب الخير والصلاح (قوله واستغنى عن ثوابه) أى تكبرا وعنادا (قوله بالحسنى) أى بالتوحيد أو الجنة (قوله نهيئه) دفع بذلك ما يقال ان العسرى لا تيسير فيها فأجاب بأن المراد بالتيسير التهيئة وهى كما تكون فى اليسر تكون فى العسر والمعنى نجرى على يديه عملا يوصله للنار (قوله وما يغنى عنه ماله) متعلق بالشق الثانى والمعنى اذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك ولا ينفعه ماله الذى بخل به وتركه لورثته (قوله اذا تردى) أى سقط (قوله ان علينا للهدى) أى بمقتضى حكمتنا وتعلق قدرتنا والا فلا يجب على الله تعالى شئ (قوله لتبيين طريق الهدى الخ) دفع بذلك ما يقال ان فى الآية اكتفاء والتقدير ان علينا للهدى والضلال أى تبيين كل منهما وايضاح جواب المفسر ان المراد بالهدى التبيين ومعموله محذوف والتقدير ان علينا التبيين طريق الحق من طريق الباطل (قوله فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) أى فهذه الآية بمعنى قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (قوله تلظى) مرفوع بضمة مقدرة على الالف للتعذر صفة لنارا (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله لا يصلاها) مضارع صلى بكسر اللام والمصدر صليا بضم فكسر مع تشديد الياء (قوله وهذا الحصر مؤول) أى مصروف عن ظاهره وقصد المفسر بهذا الكلام الرد على المرجئة القائلين لا يضر مع الايمان ذنب مستدلين بظاهر هذه الآية حيث حصر دخول النار فى الكفار فمقتضاها أن المؤمن لا يدخلها ولو فعل الكبائر ووجه الرد أن الآية محمولة على الدخول المؤبد فلا ينافى ان عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بالشفاعة اذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر لا يلاقى كلام المرجئة فكان عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأبيد والخلود وأما قوله لقوله تعالى و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلا مدخل له فى رد كلام المرجئة الا أن يقال له مدخل من حيث مفهومه اذ مفهوم لمن يشاء ان من لم يشأ الغفران له لم يغفر له بل يدخله النار (قوله

يتزكى) بدل من يؤتى أو حال من فاعله ومشى المفسر على الثاني حيث قال متزكيا (قوله وهذا نزل في الصديق) الاشارة لقوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتى ماله يتزكى (قوله لما اشترى بلالا) أي من سيده وهو أمية بن خلف وكان الصديق رضي الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد فنزلت الآية وروي أنه كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال ابن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد ينجيك يعني الله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف أبو بكر الذي يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى الى أمية بن خلف فقال له الا تتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه بما ترى ففي رواية انه فداه برطل من ذهب وفي رواية انه قال له عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك فأعطاه له وأخذ بلالا فأعتقه وقال سعيد بن المسيب بلغني ان أمية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعك بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به وكان قد أعتق قبله ست رقاب وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة لبني عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال فقد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المرسل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها وفي ذلك يقول عمار بن ياسر

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما في بلال بسوءة * ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله * شهدت بأن الله ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم أكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس * وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

(قوله فقال الكفار الخ) المناسب أن يقول ولما قال الكفار انما فعل ذلك الخ نزل قوله تعالى وما لأحد الخ (قوله انما فعل) أي أبو بكر وقوله ذلك أي شراء بلال واعتاقه وقوله ليد كانت له أي نعمة كانت لبلال عند أبي بكر بأن صنع مع أبي بكر معروفا فأحب أبو بكر مكافأته عما فعله معه وقوله فنزل أي تكذيبا للكفار (قوله وما لأحد عنده) أي عند أبي بكر لا من بلال ولا غيره (قوله تجزى) صفة لنعمة أي يجزى الانسان بها وأتى به مضارعا مبنيا للمفعول رعاية للفواصل (قوله لكن فعل ذلك الخ) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة وهو منصوب على انه مفعول لاجله (قوله ولسوف يرضى) جواب قسم مقدر أي والله لسوف يرضى وهو وعد من الكريم تعالى لابي بكر بنيل جميع ما يتمناه على أبلغ وجه وأجله والعامة على بناء يرضى للفاعل وقرئ شذوذا ببنائه للمفعول أي يرضيه الله أي يعطيه الله أي يعطيه حتى يرضى

﴿سورة والضحى مكية﴾

(قوله كبر) أي قال الله أكبر أو لا اله الا الله والله أكبر أو لا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد رحكمة تكبيره

يتزكى) متزكيا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله وهذا نزل في الصديق رضي الله تعالى عنه لما اشترى بلالا المعذب على ايمانه وأعتقه فقال الكفار انما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل (وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا) لكن فعل ذلك (ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي طلب ثواب الله (ولسوف يرضى) بما يعطاه من الثواب في الجنة والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب

﴿سورة والضحى مكية احدى عشرة آية﴾

ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم آخرها

تذكر عظمة نعمة الله تعالى عليه فشكر ربه على ذلك ولم تشغله النعم عن المنعم (قوله فسن التكبير آخرها) أى أخذا من فعله عليه السلام ومن أمره واعلم انه اختلف هل التكبير لاول السور أو لخاتمتها فعلى الاول يكبر بين الليل والضحى وفى أول الناس ولا يكبر فى آخرها وعلى الثانى لا يكبر أول الضحى و يكبر آخر الناس ومنشأ الخلاف انه كان تكبيره صلى الله عليه وسلم آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو صلى الله عليه وسلم واعلم أيضا انه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه يمتنع منها وجه واحد وهو وصل آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها لئلا يتوهم ان البسملة لآخر السورة والسبعة الباقية جائزة اثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السور وهما وصل التكبير بآخر السورة التى بعدها والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التى بعدها ووصله بآخر السورة والوقف عليه وعلى البسملة فيقف على كل منهما وقفا مستقلا واثنان منها على تقدير أن يكون لاولها وهما قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بأول السورة وقطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول السورة وثلاثة محتملة للتقديرين وهى وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وبأول السورة التى بعدها وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة وهذه الاوجه السبعة تجرى من آخر الضحى الى آخر الفلق وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط الاثنان على تقدير كونه لاول السور والثلاثة المحتملة و بين الناس والفاتحة يجوز خمسة أيضا الاثنان على تقدير كونه لآخر السور والثلاثة المحتملة (قوله أولا اله الا الله) هذه هى النسخة الصحيحة وفى بعض النسخ ولا اله الا الله بالواو وهى بمعنى أو فأفاد المفسر روايتين و بقيت رواية ثالثة وهى الجمع بين التهليل والتكبير والتحميد وعليها العمل (قوله والضحى الخ) قدم الضحى هنا على الليل وفى السورة التى قبلها قدم الليل وذلك لان فى كل مزية تقتضى تقدمه فقدم هذا تارة والآخر أخرى فالليل به السكون والهدو ومحل الخلوات والعطايا الربانية والنهار به النور والسعى فى المصالح واجتماع الناس أو لان السورة المتقدمة سورة أبى بكر وهو قد سبق له الكفر وقدم فيها الليل وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو محض نور فقدم فيها الضحى * ان قلت ما الحكمة فى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته أجيب بان فى ذلك اشارة الى أن ساعة من النهار توازى جميع الليل كما ان محمدا يوازى جميع الخلق وأيضا الضحى وقت سرور والليل وقت وحشة ففيه اشارة الى أن سرور الدنيا أقل من شرورها (قوله أو كله) اى وعليه ففيه مجاز من اطلاق الجزء على الكل (قوله اذا سجى) اذا لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم المقدر كما تقدم نظيره (قوله غطى بظلامه) اى كل شئ (قوله أو سكن) اسناد السكون له مجاز عقلى والمعنى سكن أهله من اسناد الشئ لزمانه (قوله ما ودعك) بالتشديد فى قراءة العامة من التوديع وهو فى الاصل مفارقة المحبوب مع التألم أطلق وأريد منه مطلق الترك بدليل القراءة الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك (قوله وما قلى) مضارعه من باب ضرب وقتل (قوله نزل هذا الخ) اختلف فى سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال الاول ما روى انه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبى لهب وقالت يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت الثانى انه أبطأ الوحى حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية الثالث ما روى ان خولة كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحى فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث فى بيتى ان جبريل لا يأتينى قالت خولة فكنست فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فلما نزل جبريل عليه سأله النبى عن التأخر فقال أما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة الرابع ما روى ان اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح

فسن التكبير آخرها وروى الامر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو لا اله الا الله والله أكبر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والضحى) أى أول النهار أو كله (والليل اذا سجى) غطى بظلامه أو سكن (ما ودعك) تركك يا محمد (ربك وما قلى) أبغضك نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحى عنه

وذى القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحى الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وأخبره بما سأل عنه ونزلت هذه الآية (قوله خمسة عشر يوما) هذا قول ابن عباس وقال ابن جريج اثنى عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما وروى انه لما جاءه جبريل قال له ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك أشوق ولكنى عبد مأمور وأنزل عليه وما نتنزل الا بأمر ربك (قوله وللآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة (قوله خير لك) انما قيد بقوله لك لانها ليست خيرا لكل أحد بل الناس على أربعة أقسام منهم من له الخير فى الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير فى الدنيا وشر فى الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر فى الدنيا وخير فى الآخرة وهم الفقراء المؤمنون قال بعض أهل الاشارات فى الآية اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات الى غير نهاية فمقامه فى المستقبل أعلى منه فى الماضى وهكذا ويدل لذلك أيضا قوله فى الحديث انى ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فاستغفاره لكونه ارتقى مقاما أعلى من الاول فرأى ان الذى انتقل منه بالنسبة للذى انتقل اليه ذنبا (قوله ولسوف يعطيك ربك فى الآخرة) المناسب أن يبقى الآية على عمومها لان اعطاءه حتى يرضى ليس قاصرا على الآخرة بل عام فى الدنيا والآخرة فهو وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعلم كنهه سواه تعالى وقيل عطاؤه هو الشفاعة وقيل يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها والحق التعميم بما لا يعلم كنهه الا الله تعالى (قوله وواحد من امتى) أى الموحدين فالمراد أمة الاجابة وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله

قرأنا فى الضحى ولسوف يعطى * فسر قلوبنا ذاك العطاء

وحاشا يا رسول الله ترضى * وفينا من يعذب أو يساء

(قوله ألم يجدك يتيما الخ) القصد من هذا تسليته صلى الله عليه وسلم ليزداد شكرا وصبرا والوجود بمعنى العلم فيتيما مفعول ثان والكاف مفعوله الاول (قوله استفهام تقريرى) أى بما بعد النفى (قوله بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله (قوله قبل ولادتك) أى بعد حمله بشهرين وقيل قبل ولادته بشهرين وقوله أو بعدها أى وعليه فقيل بشهرين وقيل بسبعة وقيل بتسعة أشهر وقيل بثمانية وعشرين شهرا والصحيح الاول وكانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن فى دار النابغة وقيل دفن بالابواء قرية من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل ثنتى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالابواء وقيل بالحجون ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب لانه كان شقيق أبيه وورد انه لما مات أبواه قالت الملائكة بقى نبيك يتيما فقال الله تعالى أنا له كافل وسئل بعض العلماء لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون لمخلوق عليه منة فيتمه صلى الله عليه وسلم كمال ولذا قال البوصيرى

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(قوله فآوى) العامة على قراءته بالف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وأصله أأوى بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية الفا ومصدره الايواء كالاكرام وهو متعد باتفاق وقرئ شذوذا بغير ألف ثلاثيا كرمى ومصدره اواء بوزن كتاب وأوى بوزن فعول بالضم وأوى بوزن ضرب وهو يستعمل لازما ومتعديا (قوله بأن ضمك الى عمك أبى طالب) أى بعد وفاة جدك عبد المطلب وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (قوله ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة) أى وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها اليك والمراد بضلاله كونه من غير شريعة وليس المراد به الانحراف عن الحق لكونه مستحيلا عليه قبل النبوة وبعدها فهذا كقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا

خمسة عشر يوما انزيه ودعة وقلاه (وللآخرة خير لك) لما فيها من الكرامات لك (من الاولى) الدنيا (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فترضى) به فقال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد من أمتى فى النار الى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين (ألم يجدك) استفهام تقرير أى وجدك (يتيما) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فآوى) بأن ضمك الى عمك أبى طالب (ووجدك ضالا) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فهدى) أى هداك اليها (ووجدك

الايمان وماذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير الآية وقيل الضلال بمعنى الغفلة قال تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وهو قريب من الاول وقيل وجدك ضالا أى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرك وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك اليها قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب قال تعالى انك لفى ضلالك القديم أى محبتك وقيل ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيألك يابطحاء مكة اليوم يرد الله اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لأصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت يامعشر الناس أين الصبى فقالوا لم نر شيأ فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فقال اذهبى الى الصنم الاعظم فان شاء أن يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يارب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لايضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى أن يرده فسمعوا مناديا ينادى من السماء معاشر الناس لاتضجوا فان لمحمد ربا لايخذله ولايضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفى رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألاتدرى ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال انى أنخت الناقة وأركبته خلفى فابت الناقة أن تقوم فلما أركبته امامى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل انه عليه السلام خرج مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الحبشة ورده الى القافلة (قوله عائلا) هذه قراءة العامة يقال عال زيد أى افتقر وأعال كثرت عياله وقرئ شذوذا عيلا بكسر الياء المشددة (قوله بما قنعك به) أى بما رضاك به وقوله من الغنيمة أى وان كانت لم تحصل الا بعد نزول هذه السورة لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبى طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم لما روى جعل رزقى تحت ظل سيفى ورمحى (قوله وغيرها) أى كمال خديجة ومال أبى بكر وباعانة الانصار حين الهجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحتين المال وفى الحديث قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه (قوله فأما اليتيم) منصوب بتقهر وهذا مفرع على قوله ألم يجدك يتيما فآوى فالمعنى اصنع مع عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كما كانت العرب تفعل فى أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وهو يشير باصبعيه (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بتنهر والمعنى اما أن تطعمه أو ترده برفق وقيل المراد بالسائل ما يشمل طالب العلم فيكرمه وينصفه ولا يعبس فى وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى والمعنى أغن عبادى وأعطهم كما أغنيتك وأعطيتك (قوله وأما بنعمة ربك الخ) هذا عام وانما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لانهما محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب فى ذكر الله تعالى وشكره فختمت به للعموم (قوله تحدث) أى بالنعمة لان التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم اذا قصد به الشكر وان يقتدى به غيره وأمن على نفسه

عائلا) فقيرا (فأغنى) أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها وفى الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (فأما اليتيم فلا تقهر) بأخذ ماله أو غير ذلك (وأما السائل فلا تنهر) تزجره لفقره (وأما بنعمة ربك) عليك بالنبوة وغيرها (فحدث) أخبر وحذف ضميره صلى الله عليه وسلم

الغرور والكبر قال الحسن بن على رضى الله عنهما اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك وورد ان شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قال نعم فقال له اذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك وورد ان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده وقوله بالنبوة وغيرها أى من العلوم والقرآن وسائر عطاياه التى لا تتناهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فبلغ القرآن ونشر العلوم وأعطى حقوق ربه عز وجل (قوله فى بعض الافعال) أى وهو فآوى فهدى فاغنى والاصل فآواك فهداك فأغناك

﴿ سورة ألم نشرح مكية ﴾

أى فى قول الجمهور وقال ابن عباس انها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفى لان الاستفهام اذا دخل على منفى قرره فصار معناه قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضى وليس معناه الانشاء حتى يقال يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء فيما لا محل له من الاعراب وهو مردود أو ضعيف بل المراد لازمه وهو الاخبار بشرح الصدر وما بعده فهذه السورة من جملة النعم التى أمر بالتحدث بها فى السورة قبلها (قوله أى شرحنا) الشرح فى الاصل بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم بسطته وشققته والمراد هنا توسعة الصدر بالنور الالهى ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فصار مهبط الرحمات ومنبع البركات (قوله بالنبوة وغيرها) روى ان جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن ثلاث سنين أو أربع فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه وملأه علما وايمانا ثم رده فى صدره وحكمة ذلك لينشأ على أكمل حال ولا يعبث كالاطفال وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين ليأتى عليه البلوغ وهو على أجمل الاخلاق وأطيبها وعند البعثة ليتحمل القرآن والعلوم وليلة الاسراء ليتهيأ لملاقاة أهل الملا الأعلى ومناجاة الحق جل جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه فمرات الشق أربع زيادة فى تنظيفه وتطهيره ليكون كاملا مكملا لا يعلم قدره غير ربه والحكمة فى قوله لك ولم يقل ألم نشرح صدرك التنبيه على ان منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم لا لغرض يعود عليه تعالى الله عن الاغراض والعلل (قوله ووضعنا عنك وزرك) معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال قد شرحنا لك صدرك ووضعنا وعنك متعلق بوضعنا وقدمه على المفعول الصريح تعجيلا للمسرة وتشويقا الى المؤخر (قوله الذى أنقض ظهرك) الانقاض فى الاصل الصوت الخفى الذى يسمع من الرحل فوق البعير من شدة الحمل والمراد لازمه وهو الثقل (قوله وهذا كقوله تعالى ليغفر لك الخ) أى فهو مصروف عن ظاهره فيجاب عنه بأجوبة منها ان المراد وضعنا عنك وزر أمتك وانما أضافها اليه لاشتغال قلبه بها قال تعالى عزيز عليه ما عنتم فاوزار أمته قبل اسلامهم موضوعة عنهم بالاسلام فلا يؤاخذون بها لان الاسلام يجب ما قبله وبعد الاسلام توضع عنهم بالتوبة أو بشفاعته صلى الله عليه وسلم لمن مات مصرا ومنها أن المراد وضعنا عنك اثقال النبوة والتبليغ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء البعثة يشق عليه الامر ويقول أخاف أن لا أقوم بحق الدعوة فوضعه الله عنه ومنها ان المراد بالوزر خلاف الأولى فكان اذا ارتكبه وعاتبه الله عليه ثقل ذلك الامر عليه وشق وتسميته وزرا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كاذنه للمنافقين فى التخلف حين اعتذروا واخذه الفداء من أسارى بدر ونحو ذلك ومنها ان المراد بالوضع العصمة فالمعنى عصمناك من الوزر ابتداء وانتهاء فلم تقدر عليك وزر أصلا وكل من هذه الاجوبة صحيح ولا مانع من حمل الآية على الجميع (قوله ورفعنا لك ذكرك) أى اعلناه فذكرناك فى الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وأخذنا على الانبياء العهد ان ظهرت وأحدهم حى ليؤمنن بك ولينصرنك وهم يأخذون على أممهم ذلك العهد كما تقدم فى قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية وفى هذا المعنى قال البوصيرى ما مضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء والحكمة فى زيادة لك ما سبق من ان رفع الذكر عائد ثمرته عليه لا لغرض يعود عليه

فى بعض الافعال رعاية للفواصل

﴿ سورة ألم نشرح مكية ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(ألم نشرح) استفهام تقرير أى شرحنا (لك) يا محمد (صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذى أنقض) أثقل (ظهرك) وهذا كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك (ورفعنا لك ذكرك) بأن تذكر مع ذكرى فى الاذان والاقامة والتشهد

تعالى (قوله والخطبة) أى على المنابر وخطبة النكاح (قوله وغيرها) أى كيوم الفطر والاضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة ومشارق الارض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شئ ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا (قوله فان مع العسر يسرا) مع بمعنى بعد وعبر بها اشارة الى ان اليسر يجئ عقب العسر بسرعة كأنه مقارن له زيادة فى التسلية وتقوية القلوب وأل فى العسر الاول للجنس وفى الثانى للعهد الذكرى ولذلك ورد فى الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام ابشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وورد لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قوله الشدة) أى المشاق التى تحصل للشخص فى الدنيا أو الآخرة وقوله سهولة أى تحصل له فى الدنيا أو الآخرة والتنكير فى يسرا للتفخيم والتعظيم (قوله ان مع العسر يسرا) جرت عادة العرب انها اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثانى هو الاول واذا ذكرت اسما منكرا ثم اعادته كان الثانى غير الاول فجاء القرآن على أسلوبهم ففيه اشارة الى أن اليسر غالب على العسر ووجه ذلك ان العسر الذى يصيب المؤمن فى الدنيا لابد له من يسر فى الدنيا ويسر فى الآخرة فيسر الدنيا ماذكره فى الآية الاولى ويسر الآخرة ماذكره فى الآية الثانية ومعلوم ان يسر الآخرة دائم أبدا غير زائل فنفى غلبة العسر لليسرين انما هو بالنسبة ليسر الدنيا وأما الآخرة فليس للمؤمن الا اليسر فقد يسر وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى

فلا تيأس اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى دهر طويل
فلا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

(قوله فاذا فرغت من الصلاة الخ) ماذكره المفسر أحد أقوال وقيل اذا فرغت من دنياك فصل وقيل اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين والحمل على العموم أولى قال عمر بن الخطاب انى أكره أن أرى أحدكم فارغا لافى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة وفى الحديث ان الله يكره العبد البطال (قوله والى ربك فارغب) أى اجعل رغبتك الى ربك الذى أحسن اليك بفضائل النعم فى جميع أحوالك لا الى أحد سواه فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعيا فى حسنه لمعاده وأود رهم لمعاشه ويكون أكبر همه الآخرة (فائدة) ذكر بعض الصالحين خواص لهذه السورة منها ان من كتبها فى اناء من زجاج ومحاها بماء وردوشربها زال عنه الهم والحزن وضيق الصدر وتكتب فى مطلق اناء وتمحى بماء وتشرب للحفظ والفهم ومن لازمها عقب الصلوات الخمس عشر مرات حصل له التيسير فى الرزق والتوفيق فى العبادة ولقضاء ما أهم العبد يصلى ركعتين ويجلس مستقبلا على طهارة ويقرؤها عدد حروفها مائة وثلاثين ثم يدعو بما أهمه يستجاب له ان شاء الله تعالى وهو مجرب صحيح

والخطبة وغيرها (فان مع العسر) الشدة (يسرا) سهولة (ان مع العسر يسرا) والنبى صلى الله عليه وسلم قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (فاذا فرغت) من الصلاة (فانصب) اتعب فى الدعاء (والى ربك فارغب) تضرع

﴿ سورة والتين مكية أو مدنية ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والتين والزيتون) أى المأكولين

﴿ سورة التين مكية ﴾

أى فى قول الجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول ابن عباس وقتادة (قوله والتين والزيتون الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيما للمقسم به وغرابة المقسم عليه (قوله أى المأكولين) هو قول ابن عباس وخص التين لانه فاكهة وغذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الانهضام لايمكث فى المعدة يخرج رشحا ويلين الطبع ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل مافى المثانة من الرمل وهو مرض يستولى على مقر البول فيعجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول ويتأذى به الانسان فاذا زاد صار حصاة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير ويطول الشعر وهو أمان من الفالج ومن أكلها منا ما نال مالا ورزقه الله أولادا وقد تستر آدم بورق التين حين خرج من الجنة وأما الزيتون فهو من شجرة

مبار كة فيه ادام ودهن يؤ كل ويستصبح به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الأرض ألوفا من السنين ومن رأى ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى (قوله أو جبلين بالشام) ماذ كره المفسر قولان من أقوال كثيرة فى المراد بالتين والزيتون ومنها ان التين مسجد نوح عليه السلام الذى بنى على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها أن التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى ومنها ان التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها غير ذلك (قوله الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى) أى وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار ان قلت كيف ذلك مع قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا المقتضى انه دك ولم يبق له أثر اجيب بأنه متسع والذى دك قطعة منه وتخصيصه لكونه مباركا تشرف بتكليم موسى ربه عليه (قوله ومعنى سينين المبارك) أى فهو من اضافة الموصوف لصفته وسينين يجوز أن يعرب بالحركات الثلاث على النون مع لزومه الياء فى أحواله كلها ويكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة لانه علم على البقعة أو الارض وان يعرب كجمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا او جرا (قوله لأمن الناس فيها) أى فلا ينفر صيده ولا يقطع شجره (قوله الجنس) أى الماهية من حيث هى الشاملة للؤمن والكافر (قوله فى أحسن تقويم) أى فى أعدل قامة وأحسن صورة يتناول ما كوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والادب (قوله فى بعض افراده) أشار بذلك الى أن فى الآية استخداما حيث ذكر الانسان أولا بمعنى وهو الجنس ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الانسان بمعنى بعض افراده (قوله أسفل سافلين) السافلون هم الصغار والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وثقله على أهله وجيرانه (قوله كناية عن الهرم والضعف) أى فالمعنى ثم جعلناه ضعيفا هرما وهو بمعنى ومنكم من يرد الى أرذل العمر ومن نعمره ننكسه فى الخلق وماذ كره المفسر أحد قولين فى المراد بالرد الى أسفل سافلين والآخر أن المراد رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض (قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع وحينئذ فيكون المعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملونه فى حال الشباب والصحة وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل ويكون المعنى رددناه أسفل ممن سفل خلقا وتركيبا حسا ومعنى وهم أهل النار الا الذين آمنوا الخ فيكون بمعنى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا (قوله غير مقطوع) أى ولا يمن به عليهم (قوله من الكبر مايعجز) من تعليلية وما مفعول به واقعة على زمان والمعنى اذا بلغ المؤمن بسبب الكبر زمانا يعجز فيه عن العمل وفى بعض النسخ مايعجزه وحينئذ فيكون من الكبر بيانا لما مقدما عليه والمعنى اذا بلغ المؤمن كبرا يعجزه عن العمل (قوله فما يكذبك الخ) الاستفهام انكارى والخطاب للانسان الكافر بطريق الالتفات والمعنى فما الذى يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث أى أى سبب يحملك على التكذيب ففى الكلام تعجب وتعجيب وذلك انه تعالى لما قرر انه خلق الانسان فى أحسن تقويم ثم رده الى أرذل العمر دل على كمال قدرته على الانشاء والاعادة سأل بعد ذلك عن تكذيب الانسان بالجزاء لان ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا ما مشى عليه المفسر وقيل ان ما بمعنى من والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديقك (قوله وحكمه بالجزاء) مبتدأ وقوله من ذلك أى من جملة قضائه خبره

﴿سورة اقرأ﴾

وفى نسخة سورة العلق وفى أخرى سورة القلم فأسماؤها ثلاثة (قوله أول مانزل من القرآن) أى

او جبلين بالشام ينبتان المأكولين (وطور سينين) الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالاشجار المثمرة (وهذا البلد الامين) مكة لأمن الناس فيها جاهلية واسلاما (لقد خلقنا الانسان) الجنس (فى أحسن تقويم) تعديل لصورته (ثم رددناه) فى بعض أفراده (أسفل سافلين) كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى (الا) اى لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) غير مقطوع وفى الحديث اذا بلغ المؤمن من الكبر مايعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل (فما يكذبك) أيها الكافر (بعد) أى بعد ماذكر من خلق الانسان فى أحسن صورة ثم رده الى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بالدين) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أى مايجعلك مكذبا بذلك ولا جاعل له (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى هو أقضى القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك وفى الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

﴿سورة اقرأ مكية تسع عشرة آية﴾

صدرها الى مالم يعلم أول مانزل من القرآن وذلك بغار حراء

ثم بعده ن والقلم ثم المزمل ثم المدثر هكذا قال الخازن ولكن المشهور عن غيره ان أول ما نزل بعد اقرأ سورة المدثر واختلف السلف فى ترتيب سور القرآن والصحيح ان اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل فى المرة الاخيرة ومن يوم العرض المذكور رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على ما هو عليه الآن عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن الانبارى فى كتابه الرد ان الله تعالى أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرقه على النبى صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة وكانت السورة تنزل فى أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عن رب العالمين فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى قلت حيث كان الجمع والترتيب من رسول الله فما معنى قولهم ان عثمان بن عفان جامع القرآن فالجواب ان النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه القرآن وترتيبه حفظا لا وضعا فى المصاحف وعثمان جمعه فى المصحف على طبق الحفظ المروى عن رسول الله فان المحفوظ كان مفرقا فى صدور الرجال وفى صحائف غير كاملة فليفهم هذا المقام (قوله رواه البخارى) أى وعبارته عن عائشة أم المؤمنين انها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء ويتحنث فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع الى خديجة ويتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة وكان ممن تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا الى أن يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل ليلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك (قوله مبتدئا باسم ربك) أى قل بسم الله ثم اقرأ ما يوحى اليك فالباء متعلقة بمحذوف حال ومفعول اقرأ محذوف وقيل ان الباء مزيدة والتقدير اقرأ اسم ربك وعبر بالرب تلطفا به صلى الله عليه وسلم واشارة الى انه تعالى كما ربى جسمه يربى أمته وقرآنه قال البوصيرى فى هذا المعنى

رواه البخارى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ) أوجد القراءة مبتدئا

(باسم ربك)

سور منه أشبهت صوراًمسناً ومثل النظائر النظراء

واضافة رب الى كاف الخطاب التشريف (قوله الذي خلق خلق الانسان) يجوز أن يكون الثاني توكيدا لفظيا نظير قام قام زيد ويجوز أن يكون تفسيرا للاول أبهمه ثم فسره تفخيما لخلق الانسان ويجوز أن يكون حذف المفعول من الاول تقديره خلق الخلائق كما قال المفسر وقوله خلق الانسان تخصيص له بالذكر لشرفه (قوله الجنس) أي الصادق بالذكر والانثى (قوله جمع علقة) أي لان كل واحد مأخوذ من علقة كما في الآية الاخرى وأطلق الجمع على العلق تسمحا أوهو جمع لغوي والافعلق اسم جنس جمعي (قوله من الدم الغليظ) أي الذي أصله المني فأول الاطوار المني ثم العلقة وهو الدم الغليظ المتجمد ثم المضغة الى آخر ما ذكر الله تعالى في آية المؤمنون (قوله تأكيد للاول) هذا أحد قولين والآخر انه تأسيس فالاول معناه اقرأ في نفسك والثاني معناه اقرأ للتبليغ وتعليم الامة (قوله الذي لا يوازيه كريم) أي لا يساويه فضلا عن أن يزيد عليه لانه تعالى يعطي الشئ من غير عوض ولا غرض وليس ذلك لاحد غيره (قوله حال من ضمير اقرأ) أي فالمعنى اقرأ ما يوحى اليك والحال ان ربك الاكرم لا ينتظر منك عوضا ولا يخزيك فهو تطمين له صلى الله عليه وسلم حيث خشي على نفسه أن لا يقوم بما أمره به ربه (قوله الذي علم) علم ينصب مفعولين وهما محذوفان هنا والتقدير علم الانسان الخط بالقلم والمفسر قدر الثاني وسكت عن تقدير الاول اتكالا على قوله بعد علم الانسان (قوله الخط) أي الكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وعرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين ولا الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا القلم والخط لكفى فيه (قوله بالقلم) قال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل القلم الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ والثاني قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ والثالث أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهي القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام (قوله ادريس) وقيل آدم (قوله الجنس) هذا أحد أقوال وقيل المراد به آدم ومصدوقه ما الاسماء كلها فهو نظير وعلم آدم الاسماء كلها وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله قبل تعليمه) متعلق بالنفي والمعنى علمه الشئ الذي انتفى علمه به قبل أن يعلمه (قوله من الهدى) بيان لما والمراد به الرشد والصواب في القول والفعل (قوله حقا) هذا مذهب الكسائي ومن تبعه وعليه فكلا مرتبطة بما بعدها لانه ليس قبلها شئ يقتضي الزجر والردع حتى تكون كلا رداله وقال أبو حيان وصوبه ابن هشام انها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة ان بعدها ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت ان بعدها لكونها واقعة موقع مفرد فتحصل ان كونها بمعنى حقا صحيح من جهة المعنى الا انه بعده كسر ان فكان المناسب للمفسر ان يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله أي نفسه) أشار بذلك الى ان في رأى ضميرا عائدا على الانسان هو فاعل الرؤية والضمير البارز عائد عليه أيضا مفعوله ورأى هنا قلبية فيجوز اتحاد الضميرين متصلين فيها فتقول رأيتني وظننتني وقوله استغنى مفعول ثان والمعنى ان الانسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنيا عن الله تعالى (قوله نزل في أبي جهل) أي والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من اعتقد انه غني عن ربه طرفة عين فقد تحقق بالطغيان والكفر لان كل مخلوق مفتقر لخالقه في حركاته وسكناته (قوله مفعول له) أي لاجله (قوله بالانسان) أشار بذلك الى ان الضمير في ربك عائد على الانسان المتقدم ذكره ففيه التفات من الغيبة للخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان كانه قال لا تغتر باستغنائك فان مرجعك الى خالقك فكما أغناك هو قادر على افقارك فلا تعتقد انه غني حقيقة فلو أعطى العبد الدنيا ومثلها معها هو مفتقر الى ربه في كل طرفة عين (قوله أي الرجوع) أي من الغنى للفقر ومن العز للذل ومن القوة للعجز ومن

الذي خلق) الخلائق (خلق الانسان) الجنس (من علق) جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ (اقرأ) تأكيد للاول (وربك الاكرم) الذي لا يوازيه كريم حال من ضمير اقرأ (الذي علم) الخط (بالقلم) وأول من خط به ادريس عليه السلام (علم الانسان) الجنس (مالم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها (كلا) حقا (ان الانسان ليطغى أن رآه) أي نفسه (استغنى) بالمال نزل في أبي جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له (ان الى ربك) يا انسان (الرجعى) أي الرجوع تخويف له فيجازي الطاغي بما يستحقه (أرأيت) في مواضعها الثلاثة

الحياة لما ت فلا مفر من الله (قوله التعجب) أى التعجب وهو ايقاع المخاطب فى العجب والخطاب
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه الخطاب واعلم ان أرأيت هنا بمعنى أخبرنى
فتتعدى الى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية وقد ذكرت ثلاث مرات صرح بعد الثالثة بجملة
استفهامية فهى فى موضع المفعول الثانى لتلك الثالثة ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على
الذى ينهى عبدا وذكر مفعول الاولى الاول وهو الاسم الموصول ومفعولها الثانى محذوف وهو جملة
استفهامية كالواقعة بعد الثالثة حذف لدلالة المذكور عليه وأما الثانية فمفعولاها محذوفان لدلالة
المفعول الاول من الاولى والمفعول الثانى من الثالثة عليه فتحصل انه حذف المفعول الثانى من الاولى
والمفعولان من الثانية والاول من الثالثة لدلالة المذكور وليس من باب التنازع لانه يقتضى اضمارا
والجمل لا تضمر وانما الاضمار فى المفردات و جواب الشرط الواقع فى حيز الثانية والثالثة محذوف دل
عليه الجملة الاستفهامية (قوله هو أبو جهل) وذلك انه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم
فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه و يتقى
بيديه فقيل له مالك قال ان بينى و بينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا
منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (قوله عبدا) لم يقل ينهاك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره (قوله
للتقسيم) المناسب أن يقول بمعنى الواو (قوله ان كذب وتولى) أى دام على التكذيب والتولى (قوله أى
يعلمه) تفسير ليرى (قوله ردع له) أى لابى جهل (قوله لنسفعا) يحتمل ان النون للمتكلم المعظم نفسه وهو
الله تعالى أو لله وملائكته والسفع القبض على الشئ بشدة والنون فى نسفعا للتوكيد الخفيفة فيوقف
عليها بالالف تشبيها لها بالتنوين وتكتب الفاء اتباعا للوقف وقرئ شذوذا لنسفعن بالنون الثقيلة
(قوله بالناصية) هى فى الاصل مقدم الرأس أو شعر المقدم أطلق وأريد هنا الشخص بتمامه (قوله
الى النار) وقيل فى الدنيا يوم بدر لما ورد انه جاءه عبد الله بن مسعود فوجده طريحا بين الجرحى و به
رمق فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخريه من بعيد فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود
على الرقى على صدره لضعفه وقصره فارتقى اليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال يا رويعى الغنم لقد رقيت مرقى
عاليا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ثم قال لابن مسعود اقطع رأسى بسيفى هذا لانه أحد
واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل فيه خيطا وجره الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجبريل بين يديه يضحك (قوله كاذبة) أى فى قولها وقوله خاطئة أى فى فعلها والخطأ ضد
الصواب فى الدين وغيره والمراد هنا ارتكاب خلاف الصواب عن قصد لقول بعضهم الخاطئ
المرتكب خلاف الصواب عن عمد والمخطئ المرتكب خلاف الصواب لا عن عمد (قوله أى أهل
ناديه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف لان النادى هو المجلس الذى يتحدث فيه القوم
والمجلس لا يدعى فاحتيج لتقدير المضاف والمعنى فليدع عشيرته ليستنصر بهم (قوله لما انتهره) أى
انتهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وقوله حيث نهاه أى نهى أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم (قوله
لقد علمت ما بها) أى بمكة (قوله خيلا جردا) أى قصيرة الشعر وقوله مردا أى شبابا (قوله سندع الزبانية)
واحدها زبنية بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه من الزبن وهو الدفع (قوله الغلاظ الشداد)
أى وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الارض و رؤسهم فى السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار أى
يدفعونهم فى جهنم (قوله صل) أى دم على الصلاة وعبر عنها بالسجود لانه أفضل أركانها لما فى
الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله واقترب منه) أى من الله وما مشى
عليه المفسر من أن المراد بالسجود الصلاة هو المشهور عند جمهور الائمة وقال الشافعى المراد
بالسجود سجود التلاوة لما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة انه قال سجدت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى اذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك سجدتين فيسن السجود عند الشافعى

التعجب (الذى ينهى) هو أبو
جهل (عبدا) هو النبي صلى
الله عليه وسلم (اذا صلى أرأيت
ان كان) أى المنهى (على
الهدى أو) للتقسيم (أمر بالتقوى
أرأيت ان كذب) أى الناهى
النبي (وتولى) عن الايمان
(ألم يعلم بأن الله يرى) ما
صدر منه أى يعلمه فيجازيه
عليه أى اعجب منه يا مخاطب
من حيث نهيه عن الصلاة
ومن حيث ان المنهى على
الهدى آمر بالتقوى ومن حيث
ان الناهى مكذب متول عن
الايمان (كلا) ردع له (لئن)
لام قسم (لم ينته) عما هو عليه
من الكفر (لنسفعا بالناصية)
لنجرن بناصيته الى النار
(ناصية) بدل نكرة من معرفة
(كاذبة خاطئة) وصفها بذلك
مجاز والمراد صاحبها (فليدع
ناديه) أى أهل ناديه وهو
المجلس ينتدى يتحدث فيه
القوم وكان قال للنبي صلى الله
عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه
عن الصلاة لقد علمت ما بها
رجل أكثر ناديا منى لأملأن
عليك هذا الوادى ان شئت
خيلا جردا ورجالا مردا (سندع
الزبانية) الملائكة الغلاظ
الشداد لاهلاكه فى الحديث
لو دعا ناديه لأخذته الزبانية
عيانا (كلا) ردع له (لا تطعه)
يا محمد فى ترك الصلاة (واسجد)
صل لله (واقترب) منه
بطاعته

في هذين الموضعين ومعنى اقترب تقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فيه فقمن أى حقيق أن يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده البكاء والتضرع

﴿سورة القدر مكية﴾

(قوله أو مدنية) هذا هو الارجح وحكى بعضهم أنها أول ما نزل بالمدينة ولعله تكرر نزولها تنبيها على مزيد شرف ليلة القدر (قوله أو ست آيات) أى بناء على ان قوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة (قوله انا) يؤتى بان لتأكيد الحكم والرد على منكر أو شاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا أساطير الاولين وقالوا تنزلت به الشياطين فرد على جميع ذلك بذكر الانزال لانه مختلق ولا من أساطير الاولين ان قلت ان المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا تأكيد والكافرون يعاندون ولو تعدد التأكيد أجيب بجوابين الاول نمنع ان الكافرين يعاندون مع التأكيد فان عادتهم الانقياد للتأكيدات فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك الثاني على تسليم انهم يعاندون مع التأكيد فلا نسلم حصران في التأكيد بل قد يؤتى بها ترغيبا في تلقي الخبر والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه ونا يحتمل انها للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى اشعارا بتعظيم المنزل والمنزل به ويحتمل انها للمتكلم ومعه غيره فان الله أنزله والملائكة لهم مدخلية في انزاله والمعنى انا وملائكة قدسنا انزلناه على محمد الله وملائكته يصلون والاسناد لله حقيقة اجماعا وللملائكة قيل كذلك وقيل مجاز وعليه فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز يقال بنى الامير وعملته المدينة ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد فانه حاصل في ضمير يصلون أليس الله باحكم الحاكمين ونحوه وأما قوله عليه السلام للخطيب بئس الخطيب لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى فلان الخطب محل اطناب وقيل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب (قوله أنزلناه) ان قلت الانزال وصف للاجسام والقرآن عرض لا جسم فكيف يوصف بالانزال أجيب بجوابين الاول ان الانزال بمعنى الايحاء وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الايحاء بالانزال واستعير الايحاء للانزال واشتق من الانزال أنزلنا بمعنى أوحينا الثاني ان اسناد النزول اليه مجاز عقلي وحقه أن يسند لحامله فالتجوز اما في الطرف أو الاسناد (قوله أى القرآن) أشار بذلك الى أن الضمير في أنزلناه عائد على القرآن ان قلت انه لم يتقدم له ذكر أجيب بانه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره حتى لا يحتاج للتصريح (قوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الخ) أى ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مفرقة في مدة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة ومعنى انزاله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ان جبريل أملاه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة (قوله الى سماء الدنيا) أى الى بيت العزة منها وما ذكره المفسر من أن المراد انزال القرآن جملة الى سماء الدنيا أحد أقوال في تفسير الآية وقيل المعنى ابتدأنا انزاله على محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة ان قلت ان البعثة على رأس الاربعين وميلاده كان في ربيع فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر أجيب بأنه ألغى الكسر أو جبر أو ذلك بناء على ان ميلاده في رمضان وقد قيل به أو مبدأ الوحي المنام في ربيع ومبدأ انزال القرآن في رمضان وحكمة انزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم انزاله منها مفرقا ولم ينزله مفرقا من اللوح أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي فانزاله اليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه وانزاله منها مفرقا فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطف به صلى الله عليه وسلم وبامته فلم يفته نزوله جملة ولا مفرقا (قوله الشرف والعظم) هذا أحد قوال وقيل القدر بمعنى تقدير الأمور أى اظهارها في دواوين الملأ الأعلى سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك ويسلمه الى مدبرات

﴿سورة القدر مكية أو مدنية خمس أو ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (انا أنزلناه) أى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا (في ليلة القدر) أى الشرف والعظم (وما أدراك) أعلمك يا محمد

الأمور وهم الاربعة الرؤساء جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقولنا أى اظهارها فى دواوين الملأ الأعلى يدفع ما أورد ان تقدير الأمور أزلى فان قلت ان تقدير الأمور ليلة النصف من شعبان يجاب بان ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان وتسليمه للملائكة ليلة القدر وقيل القدر بمعنى الضيق من قوله فقدر عليه رزقه فظن ان لن نقدر عليه لضيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها (قوله ماليلة القدر) أى ما مقدار شرفها وليس المراد ماحقيقتها فانها مدة مخصوصة من الزمن (قوله تعظيم لشأنها) أى تفخيم لأمرها قال سفيان بن عيينة ان كل ما فى القرآن من قوله وما أدراك أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وما فيه وما يدريك لم يعلمه به والمراد اعلام الله تعالى فى ذلك السياق نفسه فلا ينافى انه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بكل ما خفى عنه مما يمكن البشر علمه وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر (قوله خير من ألف شهر) أى وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر واختلف فى حكمة ذكر العدد فقيل المقصود مطلق الكثرة وقيل انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله عز وجل ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتى اقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر فهى من خصائص هذه الأمة وهى باقية على الصحيح خلافا لمن قال برفعها مستدلا بحديث خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ورد بان الذى رفع تعيينها بدليل ان فى آخر الحديث نفسه وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى العشر الأواخر اذ رفعها بالمرة لا خير فيه ولا يتأتى معه التماس ان قلت الرفع بسبب الملاحاة يقتضى انه من شؤم الملاحاة فكيف يكون خيرا قلت هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فاذا تلقى بالرضا والتسليم صار خيرا ان قلت فما هو الذى فات بشؤم الملاحاة وما هو الخير الذى حصل قلت الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد فى خصوصها والخير الذى حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيى ليالى كثيرة فى الجملة قالوا أخفى الرب أمورا فى أمور لحكم ليلة القدر فى الليالى ليحيى جميعها وساعة الاجابة فى الجمعة ليدعو فى جميعها والصلاة الوسطى فى الصلوات ليحافظ على الكل والاسم الأعظم فى أسمائه ليدعى بالجميع ورضاه فى طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه فى معاصيه لينزجر عن الكل والولى فى المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم ومجىء الساعة فى الأوقات للخوف منها دائما وأجل الانسان عنه ليكون دائما على أهبة فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها نعم العالم بها أكمل هذا هو الاظهر واختلفت المذاهب فيها فقال مالك انها دائرة فى العام كله والغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الأواخر منه وقال أبو حنيفة والشافعى هى فى رمضان لا تنتقل منه والغالب كونها فى العشر الأواخر واشتهر عن أبى بن كعب وابن عباس وكثير انها ليلة السابع والعشرين وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر التى أعز الله بها الدين وأنزل الله ملائكته فيها امدادا للمسلمين وأيده بعضهم بطريق الاشارة بان عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان واتفق أن كلمة هى تمام سبعة وعشرين وطريق آخر فى الاشارة ان حروف ليلة القدر تسعة وقد ذكرت فى السورة ثلاث مرات وثلاثة فى تسعة بسبعة وعشرين ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها باول الشهر من أيام الأسبوع فعن أبى الحسن الشاذلى ان كان أوله الأحد فليلة تسع وعشرين أو الاثنين فاحدى وعشرين أو الثلاثاء فسبع وعشرين أو الأربعاء فتسعة عشر أو الخميس فخمس وعشرين أو الجمعة فسبعة عشر أو السبت فثلاث وعشرين ومنها ما قاله بعضهم

يا حب الاثنين والجمعة مواعيدك * والحد والاربعا طى لتبعيدك
بكالى السبت هى يا خميس عيدك * كابدنلا ثاليالى القدر مع سيدك

فاذا كان أول الشهر الاثنين أو الجمعة تكون ليلة احدى وعشرين ورمزه ياحب بالجمل أو الاحد أو الاربعاء فتسع وعشرين ورمزه طى أو السبت فثلاث وعشرين رمزه بكا أو الخميس فخمس وعشرين

(ماليلة القدر) تعظيم لشأنها وتعجيب منه (ليلة القدر خير من ألف شهر)

و رمزه هي أو الثلاثاء فسبع وعشرين و رمزه كابد والمشهور في ألسنة علماء الحديث ان الغالب كونها في العشر الأواخر وانها في الأوتار قال سيدي أحمد زروق وغيره لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر ونحوه عن ابن العربي (قوله ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يقال ان الألف شهر لابد فيها من ليلة قدر فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره (قوله فالعمل الصالح فيها) أي من صلاة ودعاء وتسبيح وغير ذلك (قوله تنزل الملائكة) أصله تتنزل بتاءين حذفت احداهما تخفيفا كما قال المفسر على حد قول ابن مالك

وما بتاءين ابتدي قد يقتصر * فيه على تا كتبين العبر

والتاء في ملائكة لتأنيث الجمع واذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع وبه يلغز فيقال كلمة اذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها جمع ملأك وأصله ملأك ووزنه فعأل فالهمزة زائدة ومادته تدل على الملك والقوة والسلطنة وقيل وزنه مفعل فالميم زائدة وقيل هو مقلوب وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة قلب قلبا مكانيا فصار ملأك وفي وزنه القولان المتقدمان وعلى كل فيقال سقطت الهمزة فصار ملك والملائكة أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة لهم قدرة على التشكلات بالصور الغير الخسيسة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر بتنزل اشارة الى انهم ينزلون طائفة بعد طائفة فينزل فوج ويصعد فوج روي انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة الا دخله وسلم عليه و يقول يا مؤمن أو يا مؤمنة السلام يقرئكم السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون و يسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى وروي ان الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى (قوله والروح) اما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره أو بالفاعلية عطفا على الملائكة (قوله جبريل) هذا أحد أقوال في تفسير الروح وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه وقيل الروح نوع مخصوص منهم وقيل خلق آخر غير الملائكة وقيل أرواح بني آدم وقيل عيسى ينزل مع الملائكة وقيل ملك عظيم الخلقة تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر (قوله فيها) اما متعلق بتنزل أو حال من الملائكة والروح وقوله باذن ربهم اما متعلق بتنزل أو بمحذوف حال أيضا والمعنى تنزل الملائكة والروح فيها حال كونهم ملتبسين باذن ربهم لا من تلقاء أنفسهم (قوله من كل أمر) يحتمل ان من بمعنى باء السببية وعليه درج المفسر ويصح انها للتعليل متعلق بتنزل أي تنزل من أجل كل أمر (قوله قضاه الله فيها) أي أراد اظهاره للملائكة هذا هو المراد بالقضاء فيها الا القضاء الازلي (قوله لتلك السنة) أي مما هو منسوب لتلك السنة من أجل أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك (قوله الى قابل) متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة الى مثلها من قابل (قوله سلام هي) يصح أن يكون ضمير هي عائدا على الملائكة وسلام بمعنى التسليم والمعنى ان الملائكة يسلمون على المؤمنين و يصح أن يعود على ليلة القدر و سلام أيضا بمعنى التسليم والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة على المؤمنين أو على بعضهم بعضا ويصح على هذا الوجه أن يجعل سلام بمعنى سلامة أي ليلة القدر ذات سلامة من كل شر قال القرطبي ليلة القدر سلامة

ليس فيها ليلة قدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها (تنزل الملائكة) بحذف احدى التاءين من الاصل (والروح) أي جبريل (فيها) في الليلة (باذن ربهم) بامره (من كل أمر) قضاه الله فيها لتلك السنة الى قابل ومن سببية بمعنى الباء (سلام هي)

وخبركها الاشرفيها حتى مطلع الفجر وقال الضحاك لا يقدر الله في تلك الليلة الا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة وقيل هي ذات سلامة من ان يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة (قوله خبر مقدم) أي فيفيد الحصر أي ماهي الا سلام وجعلت عين السلام مبالغة على حد زيد عدل وما ذكره المفسر هو المشهور وجوز الاخفش رفع سلام بالابتداء وهي بالفاعلية لانه لا يشترط عنده اعتماد الوصف على نفي أو استفهام (قوله حتى مطلع الفجر) متعلق بتنزل وهو ظاهر أو بسلام وفيه انه يلزم عليه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو المبتدا على اعراب المفسر الا ان يتوسع في الجار واما على اعراب الاخفش فلا اشكال (قوله بفتح اللام وكسرها) أي وهما سبعيتان وهل هما مصدران أو المفتوح مصدر والمكسور اسم مكان خلاف (فائدة) ذكر العلماء لليلة القدر علامات منها قلة نبح الكلاب ونهيق الحمير وعذوبة الماء الملح ورؤية كل مخلوق ساجدا لله تعالى وسماع كل شيء يذكر الله بلسان المقال وكونها ليلة بلجة مضيئة مشرقة الانوار وطلوع شمس يومها صافية نقية ليست بين قرني الشيطان كيوم غيرها وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية كما ورد وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي فقد ورد انها أفضل آية في القرآن وكآخر البقرة لما ورد من قام بهما في ليلة كفتاه وكسورة اذا زلزلت لما ورد انها تعدل نصف القرآن وكسورة الكافرون لما ورد انها تعدل ربع القرآن والاخلاص تعدل ثلثه ويس لما ورد انها قلب القرآن وأنها لما قرئت له ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو بما أحب لنفسه ولاحبابه أحياء وأمواتا ويتصدق بما تيسر له ويحفظ جوارحه عن المعاصي ويكفي في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة وورد من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر وورد من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل فاذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر وقد ورد من قال لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر فينبغي الاتيان بذلك كل ليلة

﴿سورة البينة﴾

وتسمى سورة لم يكن وسورة المنفكين وسورة القيمة وسورة البرية (قوله مكية) هو قول ابن عباس وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لما قبلها انه لما ثبت انزال القرآن أخبر تعالى ان الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التي ثبت انزالها عليه وفيها تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على تفرقهم وكفرهم بل تسل بما أوحي اليك روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا فقال أبي وسماني لك قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكى أبي فقرأها صلى الله عليه وسلم عليه واستفيد من الحديث آداب منها قراءة الأعلى على من دونه للتواضع ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير ومنها تخصيص من سريع الحفظ والاتقان بالعلم وفي ذلك فضيلة عظيمة لأبي حيث جعل موضع سر رسول الله ونظره اشعارا بانه ثقة يصلح للتعليم والتعلم وأمر رسول الله من الله أن يقرأ عليه (قوله من للبيان) أي فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون ان قلت أهل الكتاب لم يكونوا جميعا كفارا قبل النبي بل بعضهم كان متمسكا بنبيهم وكتابهم والبعض كفار كغير وبدل ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك فالاحسن جعل من للتبعيض والواو في والمشركين للمعية والمشركين مفعول معه والعامل فيه يكن (قوله منفكين) اسم فاعل من انفك الذي يعمل عمل كان واسمها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف قدره المفسر بقوله عما هم عليه ويصح أن تكون تامة فلا تحتاج لتقدير خبر (قوله خبر يكن) أي واسمها الاسم الموصول فهي ناقصة وقوله من أهل الكتاب حال من فاعل كفروا والمعنى ان أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الاوثان من العرب كانوا

حاشية

خبر مقدم ومبتدا (حتى مطلع الفجر) بفتح اللام وكسرها الى وقت طلوعه جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه

﴿سورة لم يكن مكية أو مدنية تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لم يكن الذين كفروا من) للبيان (أهل الكتاب والمشركين) أي عبدة الاصنام عطف على أهل (منفكين) خبر يكن

يقولون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لانفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو في التوراة والانجيل فلما بعث تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون أولا وما فعلوه آخرا (قوله أي زائلين الخ) أشار بذلك الى أن الانفكاك بمعنى الزوال والمعنى انهم متعلقون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء محمد صلى الله عليه وسلم (قوله حتى تأتيهم البينة) غاية لعدم انفكاكهم عما هم عليه والحاصل ان في الآية تفسيرين الاول حمل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب وعلى عبادة الاصنام في حق المشركين فالمعنى لم يكن الفريقان منفكين عما كانوا عليه لم يفارقوه الا وقت مجيء محمد فلما ظهر محمد تفرقوا فمنهم من آمن به ومنهم من بقي على ما كان عليه وهذا المعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم الثاني ان المراد بما كانوا عليه هو ايمانهم بمحمد اذا ظهر والمعنى لم يكونوا منفكين عن العزم على الايمان بمحمد اذا ظهر أي لم يفارقوه ولم يتركوه الا بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم وفي هذا المعنى توبيخ لهم اذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئه ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته اذا علمت ذلك تعلم ان كلام المفسر أولا محتمل للمعنيين وآخرا معرج على المعنى الثاني (قوله بدل من البينة) أي بدل اشتمال ومن الله متعلق بمحذوف صفة لرسول أو حال من صحفا لكونه نعت نكرة قدم عليها (قوله وهو النبي محمد) وقيل جبريل (قوله مطهرة) أي مطهرا ما فيها وهو القرآن (قوله من الباطل) أي فتطهير الصحف كناية عن كونها لا يأتيها الباطل أصلا (قوله فيها كتب) أي مكتوبات في قراطيس فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله تعالى المتقدمة عليه والرسول وان كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها فصحت نسبة تلاوة الصحف اليه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب (قوله أي يتلو مضمون ذلك) أي مضمون المكتوب في الصحف وهو القرآن لا نفس المكتوب لانه صلى الله عليه وسلم كان يتلوا القرآن عن ظهر قلب ولم يكن يقرؤه من كتاب فتحصل ان المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الاحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قوله فمنهم من آمن) مفرع على محذوف والتقدير فلما أتتهم البينة فمنهم الخ (قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ) تصريح بما أفادته الغاية قبله وأفرد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين اشارة لبشاعة حالهم لانهم أشد جرما ويعلم غيرهم بالطريق الاولى وذلك لانهم لما تفرقوا مع علمهم كانوا أسوأ حالا من الذين تفرقوا مع الجهل (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية مفيدة لقبح ما فعلوا والمعنى تفرقوا بعد ما جاءتهم البينة والحال انهم ما أمروا الا بعبادة الله الخ (قوله وزيدت اللام) الاولى أن تجعل بمعنى الباء والمعنى وما أمروا الا بان يعبدوا الخ (قوله مخلصين) حال من ضمير يعبدوا والاخلاص هو صفاء القلب من الاغيار بان يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى (قوله حنفاء) حال ثانية والحنف في الاصل الميل مطلقا ثم استعمل في الميل الى الخير وأما الميل الى الشر فيسمى الحادا والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك وهو مقام المتقين فاذا ترقى العبد منه الى ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فهو مقام الورعين فاذا ازداد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع في الشبهات فهو مقام الاورع والزاهد فالآية جامعة لذلك كله (قوله ويقيموا الصلاة) عطف على يعبدوا الله وخص الصلاة والزكاة لشرفهما (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على المأمور به من العبادة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة (قوله الملة القيمة) قدره اشارة الى أن دين مضاف لمحذوف والقيمة صفة لذلك المحذوف دفعا لما يقال ان اضافة دين الى القيمة من اضافة الموصوف الى صفته وهي بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه وفيها خلاف (قوله ان الذين كفروا) شروع في بيان جزاء كل فريق ومقره (قوله في نار جهنم) خبر ان والمعنى انهم مشتركون في جنس العذاب لا في نوعه لان عذاب الكفار مختلف على حسب كفرهم (قوله حال مقدر) أي من الضمير المستكن في الخبر (قوله من الله تعالى) متعلق بخلودهم والمعنى نحن ننتظر

أي زائلين عما هم عليه (حتى تأتيهم) أي أتتهم (البينة) أي الحجة الواضحة وهي محمد صلى الله عليه وسلم (رسول من الله) بدل من البينة وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا صحفا مطهرة) من الباطل (فيها كتب) أحكام مكتوبة (قيمة) مستقيمة أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) في الايمان به صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم البينة) أي هو صلى الله عليه وسلم أو القرآن الجائي به معجزة له وقبل مجيئه صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين على الايمان به اذا جاء فحسده من كفر به منهم (وما أمروا) في كتابيهم التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله) أي أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (مخلصين له الدين) من الشرك (حنفاء) مستقيمين على دين ابراهيم ودين محمد اذا جاء فكيف كفروا به (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين) الملة (القيمة) المستقيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى (أولئك هم

خلودهم بسبب اعتقادنا ان الله يخلدهم فيها فالتقييد منا والخلود المقدر من الله تعالى (قوله شر البرية) أفعل تفضيل وذلك لانهم أشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الحق على الخلق وأشر من الجهال لان الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل والبرية بالهمز في الموضعين وتشديد الياء سبعيتان (قوله جزاؤهم) مبتدأ وقوله عند ربهم حال وقوله جنات عدن خبره وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى القسمة على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا وما فيها عشر مرات كما أفاده بعض المفسرين (قوله تجرى من تحتها الأنهار) أى الاربعة الخمر والماء والعسل واللبن (قوله خالدين فيها) عامله محذوف أى دخلوها او اعطوها وقوله أبدا ظرف زمان منصوب بخالدين ورضى الله عنهم يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون خبرا ثانيا وعبر هنا في أهل الجنة بأبدا ولم يذكرها في أهل النار لان المقام مقام بسط وجمال فالاطناب فيه من البلاغة (قوله بطاعته) أى بسببها وهو مصدر مضاف لمفعوله أى طاعتهم اياه أى قبلها منهم وجازاهم عليها (قوله بثوابه) أى بسبب اثابته لهم فهو من اضافة المصدر لفاعله قال الجنيد الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة ويصحب العبد في الدنيا والآخرة وليس كالخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الاحوال التى تزول عن العبد في الآخرة بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائى أحلكم دارى أى برضائى عنكم وقال محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا واليقين والرضا باب الله الأعظم ومحل استرواح العابدين (قوله ذلك لمن خشى ربه) اسم الاشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن

﴿ سورة الزلزلة مكية ﴾

أى في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وقوله أو مدنية أى في قول ابن عباس وقتادة (قوله اذا زلزلت الارض الخ) اذا ظرف لما يستقبل من الزمان جوابه تحدث وهو عامل النصب في اذا ولذا يقولون خافض لشرطه منصوب بجوابه وهذا هو التحقيق عند الجمهور (قوله حركت لقيام الساعة) هذا أحد قولين وهو ان الزلزلة المذكورة تكون عند النفخة الاولى ويشهد له قوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الآية وعليه جمهور المفسرين والثانى انها عند النفخة الثانية ويؤيده قوله بعد تحدث أخبارها فان شهادتها بما وقع عليها انما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من القبور وأما قوله وأخرجت الارض أثقالها فمحتمل (قوله زلزالها) مصدر مضاف لفاعله وهو بالكسر في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالفتح وهما مصدران بمعنى واحد وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم (قوله تحريكها الشديد الخ) أى فلا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء (قوله وأخرجت الارض) اظهار في مقام الاضمار لزيادة التقرير (قوله أثقالها) جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمال (قوله كنوزها وموتاها) المناسب أن يعبر بأو لانهما قولان قيل المراد اخراج الاموات وقيل المراد اخراج الكنوز والاول بعد النفخة الثانية والثانى في زمن عيسى وما بعده وهما مفرعان على القولين المتقدمين فاعطى الله الارض قوة على اخراج الاثقال كما أعطاها القوة على اخراج النبات اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير (قوله الكافر بالبعث) أى بخلاف المؤمن فانه يعترف بها ويقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (قوله انكار لتلك الحالة) المناسب أن يقول تعجبا من تلك الحالة لانه وقت وقوع ذلك لا يسعه انكار بل يتعجب من تلك الحالة العظيمة (قوله بدل من اذا) أى والعامل فيه هو العامل في المبدل منه وقيل غيره والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد اذا (قوله تحدث أخبارها) اختلف في هذا التحديث فقيل هو كلام حقيقى بان يخلق الله فيها حياة وادراكا فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر وقيل هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان وحدث يتعدى الى مفعولين الاول

شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) الخليقة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (ذلك لمن خشى ربه) خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى

﴿ سورة الزلزلة مكية أو مدنية تسع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الارض) حركت لقيام الساعة (زلزالها) تحريكها الشديد المناسب لعظمها (وأخرجت الارض أثقالها) كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها (وقال الانسان) الكافر بالبعث (ما لها) انكارا لتلك الحالة (يومئذ) بدل من اذا وجوابها (تحدث أخبارها) تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بان) بسبب أن (ربك

أوحى لها) أى أمرها بذلك فى الحديث تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها (يومئذ يصدر الناس) ينصرفون من موقف الحساب (أشتاتا) متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) أى جزاءها من الجنة أو النار (فمن يعمل مثقال ذرة) زنة نملة صغيرة (خيرا يره) ير ثوابه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ير جزاءه

﴿سورة والعاديات مكية أو مدنية احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والعاديات) الخيل تعدو فى الغزو

محذوف تقديره الناس والثانى قوله أخبارها (قوله أوحى لها) عداه باللام لمراعاة الفواصل والوحى اليها اما بالهام او رسول من الملائكة (قوله بذلك) أى بالتحديث بأخبارها (قوله فى الحديث الخ) أشار بذلك الى حديث جرير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها وقال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل على كذا وكذا رواه أحمد والترمذى وصححه الحاكم وغيره (قوله يومئذ) بدل من يومئذ قبله ومنصوب بيصدر (قوله من موقف الحساب) أى وقيل يرجعون من قبورهم الى ربهم (قوله أشتاتا) حال من الناس جمع شتيت وقوله متفرقين أى على حسب وصفهم بالايمان وضده وتفاوتهم فى الاعمال فأهل الايمان على حدة وأهل الكفر على حدة فآخذ ذات اليمين فى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (قوله ليروا أعمالهم) متعلق بيصدر وهو من الرؤية البصرية يتعدى بالهمز الى اثنين أولهما الواو التى هى نائب الفاعل وثانيهما أعمالهم (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الخ) تفصيل للواو فى قوله ليروا أعمالهم قال مقاتل نزلت فى رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان فى الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة و يقول انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم فى القليل من الخير يعطونه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذرهم اليسير من الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا وقال ابن مسعود هذه الآية أحكم آية فى القرآن وأصدق وقال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما فى التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ان قلت كيف عمم مع ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر أجيب بان المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة فى الصحف ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها لما ورد عن ابن عباس ليس من مؤمن وكافر عمل خيرا كان أو شرا الا أراه الله اياه فأما المؤمن فيغفر له سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيآته وهذا يساعده النظم الكريم (قوله زنة نملة صغيرة) أى وكل مائة منها وزن حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة وقال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسر الذرة بعضهم بالهباءة التى ترى طائرة فى الشعاع الداخل من الكوة وقيل الذرة جزء من ألف وأربعة وعشرين جزأ من الشعيرة (قوله خيرا) تمييز من مثقال وكذا شرا ويصح انهما بدلان من مثقال ويره فى الموضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الالف وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا باثباتها ويكون مجزوما بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاعر

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق

وفى الهاء قراءتان سبعيتان احداهما سكونها وقفا ووصلا فى الحرفين والثانية بضمها وصلا وسكونها وقفا

﴿فائدة﴾ ورد أن من قرأ اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله وورد عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

﴿سورة والعاديات﴾

وتسمى سورة العاديات بغير واو (قوله مكية) أى فى قول ابن مسعود وغيره وقوله أو مدنية أى فى قول ابن عباس وغيره ويؤيده ما روى أنه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت اعلاما له بما حصل منهم (قوله والعاديات الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة تعظيما للمقسم به وتشنيعا على المقسم عليه والعاديات جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو المشى بسرعة (قوله الخيل تعدو فى الغزو) أى تسرع فى الكر

على العدو وهو كناية عن مدح الغزاة وتعظيمهم (قوله وتضبح ضبحا) أشار بذلك الى أن ضبحا منصوب بفعل محذوف وهذا الفعل حال من العاديات (قوله هو صوت أجوافها) أى صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا همهمة قال ابن عباس ليس شئ من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب أو فزع (قوله فالموريات) عطفه وما بعده بالفاء لانه مرتب على العدو (قوله تورى النار) أى تخرجها من الحجارة اذا ضربتها بحوافرها يقال ورى الزند يرى وريا من باب وعد فهو لازم وأورى يتعدى باعيا الازما ومتعديا وما فى الآية من قبيل المتعدى بدليل تفسير المفسر (قوله قدحا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره تقدح ولم يذكره المفسر اتكالا على ما قاله فى ضبحا (قوله فالمغيرات) أسند الاغارة وهى مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الاسر للخيل مجازا عقليا لمجاورتها لأصحابها وحقه أن يسند لهم (قوله وقت الصبح) أشار بذلك الى أن صبحا منصوب على الظرفية والصبح هو الوقت المعتاد فى الغارات يسيرون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون (قوله بمكان عدوهن الخ) أعاد الضمير على المكان وان لم يتقدم له ذكر لان العدو لا بد له من مكان وقوله أو بذلك الوقت أى وقت الصبح فهما تفسيران وعلى كل فالباء من به بمعنى فى (قوله فوسطن) أتى بالفاء فى هذا والذين قبله لترتب كل على ما قبله فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على العدو (قوله بالنقع) أشار بذلك الى ان ضمير به عائد على النقع والباء للملابسة والمعنى صرن وسط الجمع من الاعداء ملتبسات بالنقع (قوله أى صرن وسطه) أى الجمع ووسط بسكون السين ان صح حلول بين محله كما هنا والا فهو بالتحريك ويجوز على قلة اسكانها يقال جاست وسط القوم بالسكون ووسط الدار بالتحريك (قوله على الاسم) أى على كل من الاسماء الثلاثة بدليل قوله واللاتى عدون الخ وقوله لانه أى الاسم وقوله فى تأويل الفعل أى لوقوعه صلة لال والى ذلك أشار ابن مالك بقوله

واعطف على اسم شبه فعل فعلا * وعكسا استعمل تجده سهلا

(قوله ان الانسان) هذا هو جواب القسم (قوله الكافر) هذا أحد وجهين والآخر ان المراد به الجنس والمعنى ان الانسان مجبول على ذلك الا من عصمه الله من تلك الخصال (قوله لكفور) أى فيقال كند النعمة أى كفرها وبابه دخل وفى الحديث الكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفده أى عطاءه ويضرب عبده وقال ذو النون المصرى الهلوع والكنود هو الذى اذا مسه الشر جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره وفى الحكم من جهل قدره هتك ستره وقيل هو الحقود الحسود (قوله وانه على ذلك) الضمير عائد على الانسان واسم الاشارة عائد على الكنود والمعنى وان الانسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته فى الدنيا فان حاله وعمله يدلان على كنوده وكفره وهذا ما مشى عليه المفسر وهو أحد احتمالين والآخر ان الضمير فى له عائد على الله تعالى والمعنى وان الله تعالى الشهيد على كنود الانسان فيكون زيادة فى الوعيد (قوله بصنعه) أى بما صنعه وعمله والباء سببية (قوله لحب الخير) متعلق بشديد قدم كالذى قبله رعاية للفواصل واللام للتقوية وحبه للمال يحمله على البخل وقيل للتعليل ومعنى شديد بخيل (قوله أفلا يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أيفعل ما يفعل من القبائح ولا يعلم الخ والهمزة للانكار وعلم بمعنى عرف فتتعدى لمفعول واحد وهو محذوف تقديره أنا نجازيه دل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير وقوله اذا بعثر ظرف للمفعول المحذوف ولا يصح أن يكون ظرفا للعلم لان الانسان لا يقصد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد العلم وهو فى الدنيا ولا لبعثر لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف ولا لقوله خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها فتعين أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف تأمل (قوله اذا بعثر ما فى القبور) البعثرة بالعين والبحثرة بالحاء استخراج الشئ واستكشافه وعبر بما تغليبا لغير العاقل (قوله نظر المعنى الانسان) أى لانه اسم جنس (قوله دلت على مفعول يعلم) أى المحذوف الذى هو عامل فى اذا والتنوين فى يومئذ عوض عن جملتين والتقدير

وتضبح (ضبحا) هو صوت أجوافها اذا عدت (فالموريات) الخيل تورى النار (قدحا) بحوافرها اذا سارت فى الارض ذات الحجارة بالليل (فالمغيرات صبحا) الخيل تغير على العدو وقت الصبح باغارة أصحابها (فأثرن) هيجن (به) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نقعا) غبارا بشدة حركتهن (فوسطن به) بالنقع (جمعا) من العدو أى صرن وسطه وعطف الفعل على الاسم لانه فى تأويل الفعل أى واللاتى عدون فأورين فأغرن (ان الانسان) الكافر (لربه لكنود) لكفور يجحد نعمته تعالى (وانه على ذلك) أى كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه بصنعه (وانه لحب الخير) أى المال (لشديد) أى لشديد الحب له فيبخل به (أفلا يعلم اذا بعثر) أثير وأخرج (ما فى القبور) من الموتى أى بعثوا (وحصل) بين وأفرز (ما فى الصدور) القلوب من الكفر والايمان (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعا نظرا لمعنى الانسان وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم أى انا نجازيه

يوم اذ بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وهو يوم القيامة (قوله وقت ماذكر) أى من البعثرة وتحصيل ما في الصدور وأشار بذلك الى أن اذا ظرفية بمعنى وقت لا شرطية فلا جواب لها (قوله وتعلق خبير بيومئذ الخ) جواب عما يقال كيف قال ذلك مع انه تعالى خبير بهم في كل زمن فأجاب بانه أطلق العلم وأراد المجازاة فمعنى قوله لخبير انه مجازيهم ولا شك ان الجزاء مقيد بذلك اليوم نظير قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم أى يجازيهم

﴿سورة القارعة﴾

مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر بعثرة القبور وختم السورة المتقدمة بقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير أتبعه باحوال القيامة كأنه قيل وما ذلك اليوم فقيل هو القارعة (قوله ثمان آيات) هذا أحد أقوال وقيل عشر وقيل احدى عشرة آية (قوله القارعة) هى في الأصل الصوت الشديد سميت القيامة بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وعليه درج المفسر وقيل لان اسرافيل يقرع الصور بالنفخ فاذا نفخ النفخة الأولى مات جميع الخلائق وبالثانية يحيون (قوله التى تقرع القلوب) أى تفزعها ولا مفهوم للقلوب بل تؤثر في الاجرام العظيمة فتؤثر في السموات بالانشقاق وفي الارض بالتبديل وفي الجبال بالدك والنسف وفي الكواكب بالانتثار وفي الشمس والقمر بالتكوير وغير ذلك (قوله تهويل لشأنها) أى وتأكيد لفظاعتها لكونها خارجة عن دائرة علم الخلائق وفي كلام المفسر اشارة الى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب (قوله وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ما الاستفهامية والخبر القارعة وقوله القارعة أى الأولى الواقعة مبتدأ والرابط اعادة المبتدا بلفظه (قوله زيادة تهويل لها) أشار بذلك الى أن الاستفهام الثانى وهو قوله ما القارعة للتهويل والتعظيم وأما الأول وهو وما أدراك فهو انكارى والمعنى أنت لا تعلم هول القارعة لشدته وفظاعته الا بوحى منا فالمنفى علمه من غير وحى (قوله في محل المفعول الثانى لادرى) أى والكاف مفعول أول (قوله دل عليه القارعة) أى ولا يصح أن يكون العامل فيه لفظ القارعة الأول للفصل بينهما بالخبر ولا الثانى ولا الثالث لعدم التئامه معه في المعنى فتعين أن يكون عامله محذوفا دل عليه لفظ القارعة (قوله كالفراش المبثوث) أى ووجه الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى النار والطيش الذى يلحقهم وركوب بعضهم بعضا في هذا التشبيه مبالغات شتى (قوله كغوغاء الجراد) الغوغاء الجراد الصغير بعد ان ينبت جناحه الذى ينتشر في الارض ولا يدرى أين يتوجه وقيل هو شئ يشبه البعوض ولا يعض لضعفه ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية كانهم جراد منتشر أن أول حالهم كالفراش يقومون من قبورهم متحيرين لا يدرون أين يتوجهون ثم لما يدعون للحساب يكونون كالجراد لان لها وجها تقصده (قوله كالصوف المندوف) أى بعد ان تتفتت كالرمل السائل ثم بعد كونها كالعهن تصير هباء منبثا فمراتب الجبال ثلاثة تفتتها ثم صيرورتها كالعهن ثم صيرورتها هباء منبثا وقوله المندوف أى المضروب بالمندفة وهى الخشبة التى يطرق بها الوتر ليرق وانما جمع بين حال الناس وحال الجبال تنبيها على ان تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش مع كونها غير مكلفة فكيف حال الانسان الضعيف الذى هو مقصود بالتكليف والحساب (قوله فأما من ثقلت موازينه) تفصيل لاحوال الناس في ذلك اليوم والمراد بالموازين الموزونات أى الاعمال التى توزن (قوله بان رجحت حسناته الخ) أى وأولى اذا عدمت سيآته ولم يوجد له الاحسنات (قوله فهو في عيشة راضية) أى حياة طيبة وقوله في الجنة تفسير باللازم (قوله أى ذات رضا) أشار بذلك الى أن المراد عيشة منسوبة للرضا كلابن وتامر ولذا فسرها بقوله أى مرضية وفي نسخة أو مرضية فهو اشارة الى أن الاسناد مجازى أى راض صاحبها بها فهو مجاز عقلى أو أطلق اسم الفاعل

وقت ماذكر وتعلق خبير بيومئذ وهو تعالى خبير دائما لانه يوم المجازاة

﴿سورة القارعة مكية ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (القارعة) أى القيامة التى تقرع القلوب باهوالها (ما القارعة) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) زيادة تهويل لها وما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثانى لأدرى (يوم) ناصبه دل عليه القارعة أى تقرع (يكون الناس كالفراش المبثوث) كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة الى أن يدعوا للحساب (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوى مع الارض (فأما من ثقلت موازينه) بان رجحت حسناته على سيآته (فهو في عيشة راضية) في الجنة أى ذات رضا بان يرضاها أى مرضية له (وأما من خفت موازينه)

وأراد اسم المفعول فهو مجاز مرسل والمعنى انه من رجحت حسناته على سيآته فهو في حياة طيبة في الجنة ورضا من الله تعالى عليه وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه فرضي الله عنهم ورضوا عنه (قوله بأن رجحت سيآته على حسناته) أي وأولى اذا عدمت حسناته رأسا ان قلت ان ظاهر الآية يقتضي أن المؤمن العاصي اذا زادت سيآته على حسناته تكون أمه هاوية وأجيب بان ذلك لا يدل على خلوده فيها بل ان عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة فقوله فأمه هاوية يعني ابتداء ان عامله بالعدل وهذا ما درج عليه المفسر وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار والمراد بثقل الموازين خلوها من السيآت بالكلية أو وجود سيآت قليلة لا توازي الحسنات وبقي قسم ثالث وهو من استوت حسناته وسيآته وحكمه انه يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة والحاصل أن من وجدت له حسنات فقط أو زادت على سيآته فهو في الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فهو يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة ومن زادت سيآته على حسناته فهو تحت المشيئة ان شاء الله عفا عنه وان شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ومن وجدت له سيآت فقط وهو الكافر فأوامه النار خالدا فيها نسأل الله السلامة (قوله فسكنه) عبر عن المسكن بالام لان أهله يأوون اليه كما يأوي الولد الى أمه فتضمهم اليها كما تضم الام الاولاد اليها وقيل المراد أم رأسه يعني انهم يهوون في النار على رؤسهم وبه قال قتادة (قوله هاوية) سميت بذلك لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا فتحصل ان المراد بالهاوية النار بجميع طباقها وتطلق على طبقة أسفل بعذب فيها المنافقون فتشمل لظى والحطمة والهاوية وجهنم وبقية أسمائها تطلق عامة وخاصة وفي الآية احتباك حذف من الاول فأمه الجنة وذكر في عيشة راضية وحذف من هنا في عيشة ساخطة وذكر فأمه هاوية فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر (قوله ماهيه) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعول الثاني لادراك والكاف مفعوله الاول (قوله هي نار) أشار بذلك الى أن نار خبر لمحذوف (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان وقوله تحذف وصلا أي وتثبت وقفا

﴿سورة التكاثر﴾

أي السورة التي ذكر فيها ذم التكاثر ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والمشتغلين عنها (قوله ألهاكم التكاثر) ألهى فعل ماض رباعي والكاف مفعول مقدم والتكاثر فاعل مؤخر فالهمزة من بنية الكلمة تثبت ولو في الدرج والمعنى شغلكم التباهي بكثرة الاموال عن عبادة ربكم والتكاثر تفاعل كالتجاذب وهو يكون بين اثنين لان أحد الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا وأول في التكاثر المهدوهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها المشغل عن حقوق الله تعالى (قوله عن طاعة الله) هي شاملة للواجبة والمندوبة (قوله والرجال) أي الانتساب اليهم كالاقرباء والاحباب (حتى زرتم المقابر) حتى غاية للالهاء المذكور وهذا هو محط الذم والافمن تاب من ذلك قبل موته قبل وكأنه لم يحصل منه تكاثر (قوله بأن متم فدفنتم فيها) أي يقال لمن زار قبره اذا مات ودفن والمعنى ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك ولا يقال ان الزيارة تكون ساعة وتنقضي والميت يمكث في قبره لانا نقول ان الموتى يرتحلون من القبور للحساب فكان مدة مكثه في قبره زيارة له والمقابر جمع مقبرة بتثليث الباء وهي المحل الذي تدفن فيه الاموات (قوله أو عددتم الموتى) تفسير ثان للزيارة فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وعليه فزيارة المقابر كناية عن الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات تفاخرا وانما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا للمزيد القساوة

بأن رجحت سيآته على حسناته (فأمه) فسكنه (هاوية وما أدراك ماهيه) أي ما هاوية هي (نار حامية) شديدة الحرارة وهاء هيه للسكت تثبت وصلا ووقفا وفي قراءة تحذف وصلا

﴿سورة التكاثر مكية ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ألهاكم) شغلكم عن طاعة الله (التكاثر) التفاخر بالاموال والاولاد والرجال (حتى زرتم المقابر) بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثرا (كلا)

ردع (سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر (كلا) حقا (لو تعلمون علم اليقين) أى علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به (لترون الجحيم) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقى حركتها على الراء (ثم لترونها) تأكيد (عين اليقين) مصدر لان رأى وعاين بمعنى واحد (ثم لتسئلن) حذفت منه نون الرفع لتوالى النونات وواو الضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يومئذ) يوم رؤيتها (عن النعيم) ما يلتذ به فى الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك

﴿سورة والعصر مكية أو مدنية ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر)

والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة فحاصل الوجهين راجع الى أن المراد بالزيارة اما الانتقال الى الموت أو الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات وتعدادهم والتفاخر بهم ومن ذلك ما ابتلى به أهل زماننا من زخرفة النعوش والقبور وما يتبع ذلك مما هو مذموم شرعا وطبعا وأما ذكر مكارم الاخلاق والطاعات فجائز ان لم يكن على وجه العجب بل على سبيل التحدث بالنعم أو ليقتدى به (قوله ردع) مشى المفسر على ان كلا الاولى والثانية حرف ردع والثالثة بمعنى حقا ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة فهى فيها اما للردع أو بمعنى حقا وقيل انها فى الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله عند النزع ثم فى القبر) لف ونشر مرتب فقوله عند النزع راجع لقوله سوف تعلمون الاول وقوله ثم فى القبر راجع للثانى وثم على بابها من المهلة وهذا قول على بن أبى طالب والحكمة فى حذف متعلق العلم من الافعال الثلاثة أن الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد أشار له المفسر بقوله سوء عاقبة تفاخركم (قوله أى علما يقينا) أشار بذلك الى أن اضافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف الى صفته والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علما يقينا ما شغلكم التكاثر عن طاعة الله تعالى (قوله عاقبة التفاخر) بيان لمفعول العلم وقوله ما اشتغلتم به جواب لو (قوله جواب قسم محذوف) أى ولا يصح أن يكون جوابا للو لانه محقق الوقوع فلا يصح تعليقه والرؤية هنا بصرية تتعدى الى مفعول واحد (قوله وحذف منه لام الفعل) أى وهى الياء وقوله وعينه أى وهو الهمزة لان أصله ترأيون بوزن تفعلون نقلت حركة الهمزة للراء قبلها فسقطت الهمزة وتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الالف لالتقاء الساكنين ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة فحذفت نون الرفع لتوالى الامثال وحركت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين ولم تحذف لعدم الدليل الذى يدل عليها (قوله تأكيد) هذا أحد قولين والآخر أن الاول هو رؤية اللهب والثانى هو رؤية ذاتها وما فيها من أنواع العذاب (قوله عين اليقين) صفة لمصدر محذوف أى لترونها رؤية هى عين اليقين ووصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة والفرق بين علم اليقين وعين اليقين ان علم اليقين هو ادراك الشئ من غير مشاهدة وعين اليقين هو العلم به مع المشاهدة وأما حق اليقين فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة وقد أخبر الله هنا بالاولين وأخبر بالثالث فى سورة الواقعة حيث قال وأما ان كان من المكذبين الآية (قوله ثم لتسئلن) الاظهر ان الخطاب للكفار لانهم هم المشتغلون بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى وقيل هو عام فى حق المؤمن والكافر فعن أنس انه لما نزلت الآية قام رجل أعرابى محتاج فقال هل على من النعم شئ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الظل والنعلان والماء البارد والاولى أن يقال السؤال يعم المؤمن والكافر لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لتركه الشكر وسؤال المؤمن تشريف واظهار لفضله وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وثم على بابها من الترتيب المعنوى لانهم يرون النار فى الموقف تحدق بهم ثم يذهبون للحساب فيسئلون (قوله حذفت منه نون الرفع) أى فأصله تسئلونن حذفت نون الرفع لتوالى النونات فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة دليلا عليها (قوله عن النعيم) أى عن جميع أفراده وأنواعه فأل للاستغراق (قوله وغير ذلك) أى كظلال المساكن والاشجار والاخبية التى تقى من الحر والبرد والماء البارد وكحل العين ولبس الانسان ثوب أخيه وشبع البطن ولذة النوم والعافية ونحو ذلك مما لا يحصى عددا روى الحاكم والبيهقى ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر

﴿سورة والعصر مكية﴾

أى فى قول ابن عباس والجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول قتادة ونقل عن ابن عباس أيضا (قوله ثلاث آيات) هذه السورة والكوثر أقصر سور القرآن وهما وان كانتا من جهة الالفاظ قليلتان فمعناهما كثير لا يقف عند حد (قوله والعصر) قسم من الله تعالى وجوابه

قوله ان الانسان لفي خسر (قوله الدهر الخ) هذا أحد الاقوال الثلاثة التي ذكرها المفسر في معنى العصر ووجه قسمه بالدهر انه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ونحو ذلك ولان العمر لا يقاوم بشئ فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللمحة الاخيرة بقيت في الجنة أبد الآباد فكان أشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة ولان الدهر والزمان من جملة أصول النعم وقوله أوما بعد الزوال الى الغروب أي ووجه القسم به ان فيه العجائب وأيضا يدرك المقصر فيه ما فاته أول النهار وقوله أوصلاة العصر أي فأقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل ما في مصحف عائشة وحفصة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر ولما ورد من فاتته صلاة العصر فكانما وتر أهله وماله وقيل العصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ففيه تنبيه على ان عصره أفضل العصور وبلده أفضل البلاد وحياته أفضل من حياة غيره وقيل العصر زمانه وزمان أمته لانه ختام العصور وأفضلها وفيه ظهور الساعة وعجائبها (قوله ان الانسان لفي خسر) مشى المفسر على ان المراد بالانسان الجنس الشامل للمسلم والكافر وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع العمر فان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر عليه فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا وأيضا يجب الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا فلما كانت الاسباب الداعية الى الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة وكثر اشتغال الناس بحب الظاهر كانوا في خسار وبوار فقد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له وقوله لفي خسر أي غبن وقيل هلكة وقيل عقوبة وقيل شر وقيل نقص والمعنى متقارب وقيل المراد الانسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر (قوله الا الذين آمنوا) الاستثناء متصل ان أريد بالانسان الجنس وأما ان أريد به خصوص الكافر فهو منقطع لان المؤمنين لم يدخلوا في عموم الخسران (قوله وعملوا الصالحات) أي امتثلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات واعلم انه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس الا من أتى بهذه الاشياء الاربعة وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والحكمة في ذلك ان هذه الامور اشتملت على ما يخص الانسان في نفسه وهو الايمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر فاذا جمع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده (قوله أوصى بعضهم بعضا) أشار بذلك الى أن تواصوا فعل ماض لا فعل أمر (قوله أي الايمان) أي وفروعه من الطاعات واتباع السلف الصالح والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ونحو ذلك (قوله وتواصوا بالصبر) كرر الفعل لاختلاف المفعولين والصبر وان كان داخلا في عموم الحق الا انه أفرده بالذكر اعتناء بشأنه لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية (قوله على الطاعة وعن المعصية) أي وعلى البلايا والمصائب وهذا ما ذكره المفسر وقيل المعنى أن الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع حسا ومعنى الا الذين آمنوا فان الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم فانهم وان ضعفت أجسامهم لا ينقصون معنى وعلى هذا المعنى فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون

﴿ سورة الهمزة ﴾

مناسبتها لما قبلها انه لما قال ان الانسان لفي خسر بين في هذه حال الخاسرين ومالهم (قوله كلمة عذاب) أي كلمة يطالب بها العذاب ويدعى بها وعلى هذا فتكون الجملة انشائية سوغ الابتداء بها مع كونها نكرة قصد الدعاء عليهم بالهلكة ان قلت كيف يدعو الله بذلك مع انه هو المنشئ

الدهر أوما بعد الزوال الى الغروب أوصلاة العصر (ان الانسان) الجنس (لفي خسر) في تجارته (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فليسوا في خسران (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالحق) أي الايمان (وتواصوا بالصبر) على الطاعة وعن المعصية

﴿ سورة الهمزة مكية أو مدنية تسع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل) كلمة عذاب

للافعال كلها أجيب بانه طلب من نفسه الحاق الويل لهم اظهار الآثار غضبه كما يفعل الغضبان بمن
غضب عليه وتقدم ذلك (قوله أو وادفى جهنم) أو للتنويع الخلاف وعلى هذا فالجملة خبرية و يكون
و يل حينئذ معرفة لكونه علما (قوله لكل همزة لمزة) الهمز فى الاصل الكسر واللمز الطعن ثم استعملا
ثم خصا بالكسر لاعراض الناس والطعن فيهم والتاء فيهما للمبالغة فى الوصف واطرد بناء فعلة بضم
الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أى المكثر من الفعل واذا اسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال
رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس والهمز
كاللمز وزنا ومعنى و بابه ضرب قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون
العيب للبرىء وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للبراء العيب وعلى هذا القول فاللمزة تأكيد للهمزة من باب التأكيد بالمرادف كقولهم حسن
بسن وعفريت نفريت وقيل ان معناهما مختلف فقال مقاتل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة
الذى يعيبك فى الوجه وقيل بالعكس وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده و يضربهم واللمزة الذى
يلمزهم بلسانه و يعيبهم وقيل الهمز باللسان واللمز بالعين وقيل الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ
واللمزة الذى يكسر عينه و يشير برأسه ويرمز بحاجبه وهذه الاقوال كلها ترجع الى الطعن واظهار
العيب فيدخل فى ذلك من يحاكى الناس فى أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه (قوله
وغيرهما) أى كالاخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمى و جميل بن معمر والعبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب فهذا وعيد لمن يغتاب المسلمين ولاسيما العلماء والصلحاء ولكن يقال هو
مخلد فى النار ان مات كافرا والا فهو تحت المشيئة (قوله الذى جمع مالا) بدل كل من كل (قوله
بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فقراءة التشديد تفيد التعانى والمبالغة فى الجمع بخلاف
قراءة التخفيف ونكر مالا للتعظيم (قوله وعدده) العامة على تشديد الدال الاولى وقرئ شذوذا
بتخفيفها والضمير اما عائد على المال والتقدير و جمع عدده أى أحصاه وعلمه أو عائد على نفسه والمعنى
جمع مالا و جمع عدد نفسه من عشيرته وأقاربه وعلى هذين الوجهين فعدده اسم معطوف على مالا
ويحتمل ان عدد فعل ماض بمعنى عده الا انه غير مدغم (قوله و جعله عدة) الواو بمعنى أو لانهما
تفسيران فعلى الاول هو مأخوذ من العدو على الثانى من العدة بمعنى الاستعداد والادخار لحوادث الزمن
(قوله يحسب أن ماله الخ) اما مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كانه قيل ما باله يجمع المال و يهتم
به أو حال من فاعل جمع (قوله أخلده) هو ماض معناه المضارع أى يظن لجهله ان ماله يوصله الى
رتبة الخلود فى الدنيا فيصير خالدا فيها ولا يموت أو يعمل من تشييد البنيان وغرس الاشجار وعمارة
الارض عمل من ظن ان ماله أبقاه حيا (قوله ردع) أى عن حسبانه المذكور فالمعنى ليس الامر كما
يظن ان المال أخلده وقيل ان كلا بمعنى حقا (قوله التى تحطم) أى تكسر فى الحطمة مماثلة لعمله
لفظا ومعنى لانها بوزن همزة ولمزة (قوله وما أدراك) استفهام انكارى بمعنى النفى أى لم تعلم قدرها ولها
وعظمها الا بوحى من ربك (قوله نار الله) الاضافة للتفخيم والتعظيم (قوله المسعرة) بالتخفيف
والتشديد أى المهيجة الشديدة اللهب التى لا تخمد أبدا (قوله التى تطلع على الافئدة) أى تغشاها وتحيط
بها وخص الافئدة بالذكر لكونها ألطف ما فى الجسد وأشده تألما بأدنى عذاب أو لانها محل العقائد
الزائغة والنيات الخبيثة فهى منشأ الاعمال السيئة (قوله وألمها) أى القلوب والمعنى تألمها أشد من تألم
غيرها من بقية البدن ومن المعلوم أن الألم اذا وصل الى الفؤاد مات صاحبه فهم فى حال من يموت وهم
لا يموتون قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى قال محمد بن كعب تأكل النار جميع ما فى أجسادهم حتى
اذا بلغت الى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فترجع تأكلهم وهكذا (قوله بالهمز وبالواو) أى فهما سبعيتان
(قوله بضم الحرفين و بفتحهما) أى فهما سبعيتان وقرئ شذوذا بضم فسكون وهو تخفيف للقراءة الاولى
فعلى الضم يكون جمع عمود كرسول ورسل وقيل هو جمع عماد ككتاب وكتب وعلى الفتح يكون اسم

أو وادفى جهنم (لكل همزة
لمزة) أى كثير الهمز واللمز أى
الغيبة نزلت فيمن كان
يغتاب النبى صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين كأمية بن
خلف والوليد بن المغيرة
وغيرهما (الذى جمع)
بالتخفيف والتشديد (مالا
وعدده) أحصاه و جعله
عدة لحوادث الدهر (يحسب)
لجهله (أن ماله أخلده) جعله
خالدا لا يموت (كلا) ردع
(لينبذن) جواب قسم محذوف
أى ليطرحن (فى الحطمة)
التى تحطم كل ما ألقى فيها (وما
أدراك) أعلمك (ما الحطمة
نار الله الموقدة) المسعرة (التى
تطلع) تشرف (على الافئدة)
القلوب فتحرقها وألمها أشد
من ألم غيرها للطفها (انها
عليهم) جمع الضمير رعاية
لمعنى كل (مؤصدة) بالهمز
وبالواو بدله مطبقة (فى عمد)
بضم الحرفين و بفتحهما
(ممددة) صفة لما قبله فتكون
النار داخلة العمد

جمع لعمود وقيل هو جمع له وفي بمعنى الباء أي مؤصدة بعمد ممدودة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث اليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه أي يحجبهم عن رحمته ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة وقيل ان النار داخل العمد وهم داخله ويطبق عليهم وعليه درج المفسر وقيل المعنى يعذبون بعمد وقيل العمد الاغلال في أعناقهم وقيل القيود في أرجلهم وقيل معنى عمد ممددة دهر مؤبد لا آخر له

﴿ سورة الفيل ﴾

(قوله ألم تر) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤية علمية لا بصرية لانه لم يكن وقت الواقعة موجودا (قوله استفهام تعجيب) أي وتقرير والمعنى أقر بانك علمت قصة الفيل وحذفت الالف من تر للجازم (قوله كيف فعل ربك) كيف معلقة للرؤية منصوبة على المصدرية بالفعل بعدها وربك فاعل والتقدير أي فعل فعله والجملة سدت مسد مفعولي تر ولا يصح نصبها على الحال من الفاعل لانه يلزم وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز (قوله هو محمود) أي وهو الذي برك وضربوه في رأسه وكان معه اثنا عشر فيلا وقيل ثمانية عشر وقيل ألف وأفرد الفيل امام وافقة لرؤس الآى أو لكونه نسبهم الى الفيل الأعظم الذي يقال له محمود (قوله أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء واسمه الأشرم سمي بذلك لان أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وكان نصرانيا (قوله ملك اليمن) بدل من ابرهة وكان من قبل النجاشي ملك الحبشة وكان جيش ابرهة ستين ألفا وقوله وجيشه معطوف على ابرهة (قوله بنى بصنعاء كنيسة الخ) شروع في بيان قصة أصحاب الفيل وحاصل تفصيلها على ماذكره محمد بن اسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ان النجاشي ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشي الذي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعث ابرهة أميرا على اليمن فأقام به واستقامت له الكلمة هنالك ثم انه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فحسد العرب على ذلك ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف اليها حاج العرب فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل اليها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت قد سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج أبرهة من الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال لابرهة يا أيها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم وأخذ نفيلا فقال له نفيل أيها الملك اني دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره الآن وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة أرسل حناطة الحميري الى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب فقال له ان الملك أرسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان

﴿ سورة الفيل مكية خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألم تر) استفهام تعجيب أي أعجب (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى بصنعاء

تقاتلوه وانما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد أن ندفعه عما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت ابراهيم خليله عليه السلام فان عنه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فو الله ما لنا بدفعه قوة قال فانطلق معي اليه فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها او ركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء أي نفع فيما نزل بنا قال أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل بكرة أو عشية ولكن سأبعث الى أنيس سائس الفيل فانه لي صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير و يعظم حظوتك ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فاتاه فقال ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب بجنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير غصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال خوفا عليهم من معرة الحبش ففعلوا وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة الباب وجعل يدعو فلما فرغ من دعائه توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت الافيال اثني عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الأعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع رشيدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فادخلوا محاجنه تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى قدامه ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره اكبر من العدسة وأقل من الحمصة فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤا منه وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وانفلت وزيرا برهة أبو يكسوم وطائره فوق رأسه حتى وقف بين يدي النجاشي فلما أخبره الخبر سقط عليه الحجر فمات بين يديه وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يتشجع على الحرم فنجا وأما الفيلة الاخر فشجعوا فرموا بالحصباء (قوله كنيسة) أي وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والاسود والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن في بنائها ونقل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وآبنوس وغير ذلك وكان بناؤها مرتفعا عاليا تسقط قلنسوة الناظر عن رأسه عند نظره اليها (قوله ليصرف اليها الحجاج) أي وقد صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين وكانوا يحجون البيت في هذه المدة أيضا كذا قيل

كنيسة ليصرف اليها الحجاج عن مكة

(قوله فاحدث رجل) اى من العرب وهو مالك بن كنانة (قوله أرسل الله عليهم الخ) أى فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح وقيل بوادى محسر بين مزدلفة ومنى وأصيب ابرهة فى جسده بداء الجدرى فتساقطت أنامله وأصابعه وأعضاؤه وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انشق قلبه (قوله ألم يجعل كيدهم) اى مكرهم وسماه كيدا لان سببه حسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفى فسمى كيدا لذلك (قوله أى جعل) أشار بذلك الى أن المضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وأرسل عليهم) عطف على قوله يجعل والاستفهام مسلط عليه فالمعنى قد جعل وأرسل (قوله طيرا) الطير اسم جنس يذكر ويؤنث (قوله أبابيل) أى وكانت من جهة السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وردعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انها طير بين السماء والارض تعشش وتفرخ قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عائشة انها أشبه شئ بالخطاطيف وقيل بل كانت أشباه الوطاويط حمرا وسودا (قوله جماعات جماعات) أى بعضها اثر بعض (قوله قيل لا واحد له) أى من لفظه فيكون اسم جمع (قوله أبول) بكسر الهمزة وفتح الموحدة المشددة وسكون الواو كسنور (قوله طين مطبوخ) أى محرق كالآجر وكان طبخه بنار جهنم وهى من الحجارة التى أرسلت على قوم لوط وناسب اهلاكهم بالحجارة لانهم أرادوا هدم الكعبة قال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده وكان ذلك أول الجدرى ولم يكن موجودا قبل ذلك اليوم وعنه أيضا انه رأى من تلك الحجارة عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى (قوله كعصف) واحده عصفة وعصافة وعصيفة (قوله وداسته) صوابه وراثته أى ألقته روثا يبس وتفتت ولم يقل فجعلهم كروث استهجانا للفظ الروث (قوله مكتوب عليه اسمه) أى وادراك الطائر أن هذا لفلان بخصوصه اما بمجرد الهام أو بمعرفته ذلك من الكتابة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله يخرق البيضة) أى التى فوق رأس الرجل من حديد وقوله والرجل أى فيدخل من دماغه ويخرج من دبره وقوله والفيل أى الذى هو راكبه وجميع الفيلة قد هلكت الا كبيرها وهو محمود فانه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذى لم يقع مثله من العقلاء ولذا قال البوصيرى

كم رأينا ما ليس يعقل قد أ ✽ لهم ما ليس يلهم العقلاء

اذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ ✽ ـل ولم ينفع الحجى والذكاء

(قوله عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم) أى قبل مولده بخمسين يوما على الصحيح وذلك ببركة النور المحمدى ان قلت انه انتقل من عبد المطلب بل ومن عبد الله الى أمه آمنة أجيب بانه وان انتقل من جده وابيه الا ان بركته حاصلة وباقية فى محله كوعاء المسك اذا فرغ منه فان رائحته تبقى وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين وقيل غير ذلك

﴿ سورة قريش ﴾

اى السورة التى ذكر فيها الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليوحدوه ويشكروه (قوله مكية) اى فى قول الجمهور وهو الاصح وقوله أو مدنية اى فى قول الضحاك والكلبى (قوله لايلاف قريش) اختلف المفسرون فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بقوله فجعلهم كعصف مأكول فى السورة قبلها كانه قال اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف قال الزمخشرى وهو بمنزلة التضمين فى الشعر وهو ان يعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به ولهذا جعل ابى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسملة ورد هذا القول بان الصحابة اجمعت على انهما سورتان منفصلتان بينهما بسملة وقيل متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك اى اهلاك اصحاب الفيل لايلاف قريش وقيل تقديره اعجبوا والمعنى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف

فاحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها فحلف ابرهة ليهدمن الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه فى قوله (ألم يجعل) أى جعل (كيدهم) فى هدم الكعبة (فى تضليل) خسار وهلاك (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جماعات قيل لا واحد له كاساطير وقيل واحده ابول أو ابال أو ابيل كعجول ومفتاح وسكين (ترميهم بحجارة من سجيل) طين مطبوخ (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع أكلته الدواب وداسته وافنته اى اهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة واصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل الى الارض وكان هذا عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة قريش مكية او مدنية اربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لايلاف قريش ايلافهم)

وتركهم

وتركهم عبادة رب هذا البيت وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لئيلافهم رحلة الشتاء والصيف اى ليجعلوا عبادتهم شكر الهذه النعمة وانما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط كانه قال ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لئيلافهم فانها أظهر نعمة عليهم وعليه درج المفسر وقريش مشتق اما من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال شاعرهم

أبونا قريش كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

أو من التقريش يقال قرش يقرش بمعنى فتش لكونهم كانوا يفتشون على ذوى الخلات ليسدوا خلتهم قال الشاعر

أيها الشامت المقرش عنا * عند عمرو فهل له ابقاء

وقال ابن عباس سميت باسم دابة في البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

سلطت بالعلو في لجة البحـ * ـر على سائر البحور جيوشا

تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذى الجناحين ريشا

هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا

يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطى حشرا كميشا

وهو مصروف هنا [illegible] لكونه مرادا به الحى اذ لو أريد به القبيلة لامتنع صرفه قال سيبويه في معد وثقيف وقريش [illegible] هذه للاحياء أكثر وان جعلتها اسماء للقبائل فهو جائز حسن واختلف القراء في قوله لئيلاف فمنهم [illegible] ايلاف باثبات الياء قبل اللام الثانية وبعضهم قرأ بحذفها واجمع الكل على اثبات الياء في [illegible] وهو قوله ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها [illegible] الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهو أدل دليل على ان القراءة سنة متبعة مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اتباعا لمجرد الخط (قوله تأكيد) أى لفظى ورحلة مفعول للاول عليه وقيل بدل لانه أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة (قوله وهو مصدر آلف بالمد) أى ان ايلاف الثانى وكذا الاول على قراءة اثبات الياء مصدر آلف بالمد كاكرم يقال آلفته أؤالفه ايلافا وأما على قراءة حذف الياء فهو مصدر لألف ثلاثيا ككتب كتابا (قوله رحلة الشتاء) مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله أى لأن ألفوا رحلة والاصل رحلتى الشتاء والصيف وانما أفرد لأمن اللبس وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم واتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يؤالف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكانت تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بجاه هؤلاء الاخوة أى بأمانهم الذى أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحى والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال وأما بالضم فهو الشئ الذى يرتحل اليه مكانا أو شخصا (قوله وهم ولد النضر بن كنانة) أى فكل من ولده النضر فهو قرشى دون من لم يلده النضر وان ولده كنانة وهذا هو الصحيح وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشى وان ولده النضر قال العراقى

أما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر

فالحاصل ان بنى فهر قرشيون اتفاقا وبنو كنانة الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين واختلف في بنى النضر وبنى مالك وفهر هو الجد الحادى عشر من أجداده صلى الله عليه وسلم والنضر هو الثالث عشر وذلك انه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة الى آخر النسب الشريف (قوله والفاء زائدة) أى ولهذا جاز تقديم معمول ما بعدها

تأكيد وهو مصدر آلف بالمد (رحلة الشتاء) الى اليمن (و) رحلة (الصيف) الى الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذى هو فخرهم وهم ولد النضر بن كنانة (فليعبدوا) تعلق به لايلاف والفاء زائدة (رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع)

عليه اوقيل انها ليست زائدة بل هى واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لئيلافهم فانها أظهر نعمه عليهم (قوله أى من أجله) أشار بذلك الى أن من تعليلية والكلام على حذف مضاف والتقدير أطعمهم من أجل ازالة الجوع عنهم وآمنهم من أجل ازالة الخوف عنهم وقيل ان من بمعنى بدل ولا يحتاج لتقدير مضاف والمعنى فاطعمهم بدل الجوع وآمنهم بدل الخوف نظير قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقيل من بمعنى بعد وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد والجوع فقالوا يا محمد أدع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت البلاد وأخصب هل مكة بعد القحط والجهد وهذا حجة من يقول ان السورة مدنية (قوله وخافوا جيش الفيل) أى وهذا وجه مناسبة ما قبلها وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم امتن عليهم بازالتها كأنه قال قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم وتصرفوها فى مصارفها وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وكل حاصل

﴿ سورة الماعون ﴾

وتسمى سورة الدين (قوله أو نصفها أو نصفها) أى نصفها الاول نزل بمكة فى العاص بن وائل والثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وعلى القول بان جميعها مكى تكون توبيخا الكفار مكة كالعاص بن وائل وأضرابه وتسميتهم مصلين باعتبار انها مفروضة عليهم وعلى القول بانه مدنى يكون توبيخا المنافقين الكائنين فى المدينة كعبد الله بن أبى وأضرابه وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم والعبرة على كل بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالوعيد المذكور لمن اتصف بتلك الاوصاف (قوله أى هل عرفته) أشار بذلك الى أن الرؤية بمعنى المعرفة فتنصب مفعولا واحدا وهو الاسم الموصول وقيل ان الرؤية بصرية فتتعدى لمفعول واحد أيضا وقيل انها بمعنى أخبرنى فتتعدى لاثنين الاول الموصول والثانى محذوف تقديره من هو (قوله بتقدير هو بعد الفاء) أى فاسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره هو والذى بدل أو عطف بيان على اسم الاشارة والجملة جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله ان لم تعرفه وقرنت بالفاء لان الجملة اسمية (قوله الذى يدع اليتيم) كابى جهل كان وصيا على يتيم فجاء عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ويصح حمل الحق على الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام ودع بالتشديد من باب رد وقرئ شذوذا بالتخفيف أى يدعوه ليستخدمه قهرا (قوله أى اطعامه) أشار بذلك الى أن الحض يتعلق بالمصدر الذى هو فعل الفاعل لا بالشئ المطعوم (قوله نزلت فى العاص بن وائل) وقيل نزلت فى أبى جهل وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وقيل فى عبد الله بن أبى ابن سلول وتقدم ذلك (قوله فويل للمصلين) ويل مبتدا وللمصلين خبره والفاء سببية والمعنى ان الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة ووضع الظاهر وهو المصلين موضع المضمر لانهم مع التكذيب وما أضيف اليه ساهون عن الصلاة غير مكترثين بها وهذا على ان السورة كلها اما مكى أو مدنى وعلى القول بالتنصيف فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين بكونهم عن صلاتهم ساهون وما بعده فلا ارتباط له بما قبله والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره ان أردت معرفة جزاء أهل النفاق فى الصلاة وغيرها فويل الخ (قوله الذين) نعت للمصلين أو بدل أو بيان وكذا الموصول بعده (قوله عن صلاتهم) انما عبر بعن دون فى لان صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها فالمذموم السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها الا السهو فيها لوقوعه من الانبياء (قوله يؤخرونها عن أوقاتها) أى ولا يفعلونها بعد ذلك ووجه تسميتهم مصلين مع انهم تاركون لها انها مفروضة عليهم وكانت جديرة بان تضاف لهم فتحصل ان معنى ساهون تاركون لها رأسا وان حصلت منهم تكون رياء وسمعة قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية اذا

حضروا

أى من أجله (وآمنهم من خوف) أى من أجله وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل

﴿ سورة الماعون مكية أو مدنية أو نصفها ونصفها ست أو سبع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (أرأيت الذى يكذب بالدين) بالجزاء والحساب أى هل عرفته ان لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء (الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف عن حقه (ولا يحض) نفسه ولا غيره (على طعام المسكين) أى اطعامه نزلت فى العاص ابن وائل أو الوليد بن المغيرة (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون يؤخرونها عن أوقاتها

حضر وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها فان مات وهو مصر على تركها فهو تحت المشيئة وأما ان تاب وشرع فى القضاء فمات قبل تمامه فانه مغفور له (قوله الذين هم يراؤن) أصله يرائيون كيقاتلون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وضمت الهمزة لمناسبة الواو والمفاعلة باعتبار ان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والفرق بين المنافق والمرائى ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائى يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به وقلبه خالص مع الله فليس بمذموم (قوله فى الصلاة وغيرها) أى كالصدقة ونحوها من أنواع البر (قوله ويمنعون الماعون) منع يتعدى لمفعولين ثانيهما قوله الماعون وأولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به والماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل يقال مال معن أى قليل أو اسم مفعول من أعان يعين فأصله معوون دخله القلب المكانى فصار موعون تحركت الواو الاولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وهو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفاس ونحوهما وعليه درج المفسر لما روى عن ابن عباس قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر وهذا أحد تفاسير للماعون وقيل هو الزكاة وقيل هو ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلحق بذلك البئر والتنور وقيل هو المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم ففى هذه الآية زجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب

﴿سورة الكوثر﴾

وتسمى سورة النحر (قوله مكية) أى فى قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والمشهور الاول ويؤيده سبب النزول وهو ان العاص ابن وائل السهمى تلاقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند باب بنى سهم فتحدثا وناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ولده القاسم (قوله انا أعطيناك) أى انا بجلالنا وعظمة قدسنا فالاتيان بان ونون العظمة للتأكيد ولزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم والمعنى قضينا به لك وخصصناك به وأنجزناه لك فى علمنا وتقديرنا الازلى وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا فى القيامة فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل ان قلت انه عبر هنا بالماضى وفى الضحى بالمضارع حيث قال ولسوف يعطيك ربك فكيف الجمع بينهما أجيب بان ما فى الضحى باعتبار التمكن والاستيلاء وذلك يحصل فى المستقبل فى يوم القيامة وما هنا باعتبار التقدير الازلى (قوله الكوثر) فوعل من الكثرة وصف مبالغة فى البالغ الغاية فى الكثرة (قوله هو نهر فى الجنة) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وقوله هو حوضه الصواب أن يقول أو هو حوضه لانهما قولان مذكوران فى التفاسير من جملة ستة عشر قولا ويدل لهذا الثانى قول أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك وورد فى صفة الحوض أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا زاد فى رواية وزواياه سواء ومنها غير ذلك الثالث انه النبوة الرابع القرآن

(الذين هم يراؤن) فى الصلاة وغيرها (و يمنعون الماعون) كالابرة والفاس والقدر والقصعة

﴿سورة الكوثر مكية أو مدنية ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (انا أعطيناك) يا محمد (الكوثر) هو نهر فى الجنة هو حوضه ترد عليه أمته أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة

الخامس الاسلام السادس تيسير القرآن وتخفيف الشريعة السابع كثرة الاصحاب والامة والاتباع الثامن رفعة الذكر التاسع نور فى قلبك دلك على وقطعك عما سواى العاشر الشفاعة الحادى عشر المعجزات الثانى عشر لا اله الا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه فى الدين الرابع عشر الصلوات الخمس الخامس عشر العظيم من الامر السادس عشر الخير الكثير الدنيوى والاخروى وكل من هذه الاقوال تحقق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك مما لا يعلم غايته الا الله تعالى وزاد بعضهم فوق تلك الاقوال انه الذرية الكثيرة المباركة وقد حقق الله ذلك فلا تجد ذرية لاحد من الخلق مثل ذرية المصطفى فى الكثرة ولا فى البركة الى يوم القيامة واختلف فى الحوض هل هو بعد الصراط أو قبله وهل هو بعد الميزان أو قبله والصحيح انه قبلهما لان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيشربون منه شربة لا يظمؤن بعدها أبدا روى عن ابن عباس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى رب العالمين هل فيه ماء قال أى والذى نفسى بيده ان فيه لماء وان أولياء الله ليردون حياض الانبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بايديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط لانه لا يسلم من الصراط الا المؤمنون فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم فى جهنم قبل ذلك (قوله ونحوها) أى من الحكمة وكثرة الاتباع والامة وغير ذلك (قوله فصل لربك) كان مقتضى الظاهر أن يقول فصل لنا فانتقل الى الاسم الظاهر لانه يوجب عظمة ومهابة (قوله صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقتادة وهو يؤيد كون السورة مدنية وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع يعنى مزدلفة وانحر البدن بمنى وقيل هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة وهو يؤيد كونها مكية (قوله [illegible]ك) أى هدايا[illegible] وضحاياك وهو فى الابل بمنزلة الذبح فى البقر والغنم وقد ورد انه صلى الله [illegible] لم يحرم من خالص ماله فى حجة الوداع صبيحة منى مائة بدنة سبعين بيده الكريمة وثلاثين بيد على وخص الصلاة والنحر بالذكر لان الصلاة مجمع العبادات وعماد الدين والنحر فيه اطعام الطعام ولا [illegible] [illegible]يام بحقوق العباد ففى تلك الخصلتين القيام بحقوق الله وحقوق عباده (قوله ان شانئك) اسم فاعل شنئ من باب سمع ومنع شنأ بفتح النون وسكونها (قوله هو الابتر) صح أن يكون هو مبتدأ والابتر خبره والجملة خبر ان ويصح أن يكون ضمير فصل والابتر خبر ان والابتر فى الاصل الذى المقطوع من بتره قطعه وحمار أبتر لا ذنب له (قوله أو المنقطع العقب) أى النسل (قوله سمى النبى صلى الله عليه وسلم أبتر) أى حيث قال بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلية وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم (قوله عند موت ابنه القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم عاش سنتين وقيل سبعة عشر شهرا وقيل بلغ ركوب الدابة ومات قبل البعثة وقيل بعدها وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر وابراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من خديجة الا ابراهيم فمن مارية القبطية وماتوا جميعا فى حياته الا فاطمة فعاشت بعده زمنا يسيرا وماتت رضوان الله عليهم أجمعين وذريته صلى الله عليه وسلم الباقية الى يوم القيامة من نسلها

ونحوها (فصل لربك) صلاة عيد النحر (وانحر) نسكك (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب نزلت فى العاص بن وائل سمى النبى صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم

﴿سورة الكافرون﴾

﴿سورة الكافرون﴾

وتسمى سورة المعابدة أى المخالفة فى العبادة والمعاندة فيها وسورة الاخلاص لانها دالة على الاخلاص فى العبادة والدين كما ان قل هو الله أحد تسمى سورة الاخلاص لكن هذه دالة على الاخلاص فى الظاهر والباطن والصمدية دالة على اخلاص القلب من الشرك فمن عمل بهما واعتقدهما برئ ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق ولذلك لا يجتمعان فى منافق ولا كافر ويقال لها وللاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان وورد فى فضلها أحاديث منها انها تعدل ثلث القرآن ومنها قوله صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ومنها ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اقرأ عند منامك

قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك ومنها قول ابن عباس ليس فى القرآن أشد غيظا لابليس منها لانها توحيد و براءة من الشرك وانما زادت الاخلاص فى الثواب عنها لانها مشتملة على صفات الرب تعالى صريحا مع دلالتها على الاخلاص فى التوحيد (قوله مكية) اى فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقوله أومدنية أى فى قول قتادة والضحاك (قوله نزلت لما قال رهط من المشركين الخ) حاصله كما قال ابن عباس ان سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن مطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد أشركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا مما بيدك كنت قد أشركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فأنزل الله عز وجل قل يا أيها الكافرون الى آخرها والرهط بسكون الهاء أفصح من فتحها اجمع لا واحد له من لفظه يقال على مادون العشرة من الرجال وقيل مافوق العشرة الى الاربعين (قوله الكافرون) هم جماعة من الكفار مخصوصون علم الله تعالى عدم ايمانهم أصلا (قوله لا أعبد ما تعبدون) اعلم أنه اختلف المفسرون فى هذه السورة هل فيها تكرار أولا فعلى الاول هو للتأكيد وفائدته قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم لا يسلمون أبدا وعلى الثانى فكل جملة مقيدة بزمن غير الزمن الذى قيدت به الاخرى فدرج المفسر على أن النفى الاول محمول على الحال والثانى على الاستقبال ودرج غيره على العكس ومايصح أن تكون موصولة بمعنى الذى فان كان المراد بها الاصنام كما فى الاولى والثالثة فالامر واضح لانهم غير عقلاء وما لغير العاقل وأما الثانية والرابعة فاما أن تكون واقعة على الله تعالى وتكون دليلا لمن يجوز وقوعها على العالم أو تجعل مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتى أى مثل عبادتى ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة أو الاوليان موصولتان والاخريان مصدريتان فتحصل ان مافى هذه السورة فيها اربعة أقوال الاول انها كلها بمعنى الذى الثانى انها كلها مصدرية الثالث ان الاولين بمعنى الذى والأخريان مصدريتان الرابع ان الاولى والثالثة بمعنى الذى والثانية والرابعة مصدرية ان قلت ما الحكمة فى التعبير فى جانبه صلى الله عليه وسلم بلفظ أعبد وفى جانبهم بلفظ عبدتم أجيب بانه صلى الله عليه وسلم وان كان يعبد الله تعالى قبل البعثة الا أنه لم يدع الناس الا بعدها ولم يشتهر بها الا حين الدعوة وأما هم فكانوا متلبسين قديما بعبادة الاصنام متظاهرين بها (قوله علم الله منهم أنهم لا يؤمنون) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يقنطهم من الايمان مع أنه مبعوث لهدايتهم وقد كان حريصا على ايمانهم وحاصل الجواب ان هذا فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون أبدا فأخبر نبيه بذلك لتظهر شقاوتهم (قوله واطلاق ما على الله) أى فى الثانية والرابعة وأما فى الاولى والثالثة فهى واقعة على الاصنام (قوله على وجه المقابلة) أى المشاكلة وهذا مبنى على القول بانه لا يجوز وقوع ما على العالم وأما على مذهب من يجوز ذلك فلا يحتاج للاعتذار بالمقابلة وكان المناسب للمفسر أن يقول واطلاق ما على العالم فصيح وحسنه المشاكلة (قوله لكم دينكم الخ) أتى بهاتين الجملتين المثبتتين بعد جمل منفية لانه لما كان الاهم تباعده عليه السلام عن دينهم بدأ بالنفى سابقا فلما تحقق النفى رجع الى خطابهم مهادنة لهم فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الاربعة (قوله ولى دين) بفتح الياء من لى واسكانها سبعيتان (قوله وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الاشارة راجعة الى الآية الاخيرة وقيل الى جميع السورة وهذا مبنى على أن المراد بالدين العبادة والتدين وقيل أن المراد بالدين الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالى [illegible] فلا نسخ (قوله وقفا و وصلا) أى لانها من ياآت الزوائد فيراعى فيه رسم المصحف وهى غيرثابتة [illegible] اكتفاء بالكسرة (قوله وأثبتها يعقوب) أى وهو من العشرة

﴿سورة النصر مدنية﴾

مكية أومدنية ست آيات نزلت لما قال رهط من المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل يا أيها الكافرون لا أعبد) فى الحال (ما تعبدون) من الاصنام (ولا أنتم عابدون) فى الحال (ما أعبد) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابد) فى الاستقبال (ما عبدتم ولا أنتم عابدون) فى الاستقبال (ما أعبد) علم الله منهم أنهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله على وجه المقابلة (لكم دينكم) الشرك (ولى دين) الاسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب وحذف ياء الاضافة السبعة وقفا ووصلا وأثبتها يعقوب فى الحالين

﴿سورة النصر مدنية ثلاث آيات﴾

أي بالاجماع وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا واتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه منها انهم عرفوا ذلك حين خطب وقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فقال أبو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ومنها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا دل على حصول الكمال والتمام قال الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

ومنها انه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الامة فكان هذا كالتنبيه على ان أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء الاجل اذ لو بقي بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز (قوله اذا جاء نصر الله) المجيء في الأصل اسم للوجود الغائب اذا حضر والمراد حصل وتحقق ففيه استعارة تبعية حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالمجيء ثم اشتق منه لفظ جاء بمعنى حصل وعبر بالمجيء اشعارا بان الامور متوجهة من الأزل الى أوقاتها المعينة لها وان ما قدر الله حصوله فهو كالحاصل بالفعل كانه موجود حضر من غيبته واذا ظرف لما يستقبل من الزمان منصوب بسبح الواقع جوابها وهي على بابها ان كانت السورة نزلت قبل الفتح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بمعنى اذ متعلقة بمحذوف تقديره أكمل الله الامر وأتم النعمة على العباد اذ جاء نصر الله ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله نبيه (قوله والفتح) أل فيه عوض عن المضاف اليه عند الكوفيين أي وفتحه أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه وعطفه على النصر عطف خاص على عام (قوله فتح مكة) أي التي حصل به أعظم فتوح الاسلام وأعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه واستبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية على انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعادين فخرج بعض بني بكر وبنو خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج أربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول لانصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي ولما أحس أبو سفيان جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه وأعلم الناس انه سائر الى مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان وقيل لليلتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله والناس معه حتى اذا كان بالكديد أفطر وعقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم مضى حتى نزل مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف وقيل اثني عشر ألفا من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه أحد فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار كل نار على حدة فخرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار وكان العباس بن عبد المطلب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله فلما رأى ذلك الأمر قال والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه لهلكت قريش الى آخر الدهر قال العباس فركبت بغلة رسول الله البيضاء وخرجت لأجد حطابا أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة واذا أنا بابي سفيان فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك فاردفته ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا جاء نصر الله) نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (والفتح) فتح مكة (ورأيت الناس

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام اليه فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال يا أبا
سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله وركضت
البغلة فسبقته فلما وصلت النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا
أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله انى
قد أجرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به قال
فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم
يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك فما زال به حتى أسلم قال
العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو
آمن ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله قال ففعلت ومرت به القبائل على راياتها
كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من
هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة فلا تمر قبيلة الا سألني عنها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من
هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار فقال ما لأحد بهؤلاء
من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم
اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر
قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا وكيف السبيل قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا
ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن فتفرق
الناس الى دورهم والى المسجد وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلما وبايعاه ثم بعثهما رسول الله بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة وبني سليم
أن يدخلوا من أسفل مكة وقال لهم لا تقاتلوا الا من قاتلكم وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض
الناس فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي الحرب اليوم تستحل الحرمة فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك فأمره على لسان علي كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان انه
لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله يعز قريشا وخشي سعد ان ابنه يقع منه شيء أيضا
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع
الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره أن يدخل من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون
ولا يبرح حتى يأتيه وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش بأسفل مكة فقاتلوهم
فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك فقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم
يقتل من المسلمين الا ثلاثة وكان قد أمرهم النبي أن لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم أمر
بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل كانا قد أسلما ثم
ارتدا ومنهم قينتان كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن خطل ومنهم الحويرث
ابن وهب ومقيس بن صبابة وأناس أخر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن بالناس
حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن
طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس
في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم
قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا أنتم
الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سمي أهل مكة

الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان ابن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم به فقال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف (قوله يدخلون) نصب على الحال ان كانت رأى بصرية أو مفعول ثان ان كانت علمية (قوله أفواجا) حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج والمعنى يدخلون زمرا زمرا من غير قتال وقوله جاء العرب لا مفهوم له بل وغيرهم (قوله فسبح بحمد ربك) أي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما رأيت من عجيب انعامه عليك (قوله واستغفره) أي سل الله الغفران وانما أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار مع انه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ليترقى ويرجع الى حضرة الحق فانه وان كان مشغولا بهداية الخلق الا أن مقام الصفو والحضور والانس أعلى وأجل فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين ليزداد في التواضع والافتقار وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار وفيه تشريع للامة اذا طعن أحدهم في السن فانه لم يقرب أجله وليكثر من ذلك ليختم عمله به (قوله انه كان توابا) أي ولم يزل فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها ومعنى كونه توابا انه يكثر قبول التوبة وبهذا اندفع ما يقال ان كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها في الماضي واذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار في الحال أو المستقبل (قوله وعلم بها انه قد اقترب أجله) أي لقول مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي فيها ضاحكا وقيل نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم أي اخبار بموته وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدى وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك (قوله وتوفي صلى الله عليه وسلم سنة عشر) ان قلت ان سنة عشر حج بها وتوفي فيها ولده ابراهيم فالصواب سنة احدى عشرة وأجيب بأن المراد على تمام عشر من الهجرة الى المدينة وذلك لان الهجرة كانت لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت لشهرين وشئ مضت من الحادية عشرة اذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فصح أن يقال توفي سنة احدى عشرة بالنظر لجعل التاريخ من المحرم وتوفي سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة

يدخلون في دين الله) أي الاسلام (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الارض طائعين (فسبح بحمد ربك) أي ملتبسا بحمده (واستغفره انه كان توابا) وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه وعلم بها انه قد اقترب أجله وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول سنة عشر

﴿سورة تبت مكية خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه وقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال عمه أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا نزل

﴿سورة تبت﴾

وتسمى سورة أبي لهب (قوله مكية) أي بالاجماع (قوله لما دعا النبي) أي نادى وقوله قومه أي المؤمنين والكافرين وذلك انه لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه وقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم

بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة فلما سمعت امرأته ما نزل فى زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضى الله عنه وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر ان صاحبك قد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لقائلة مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك قال ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمماً ثم يسبونه أى ذو ذمة ومهد صادق وقال صاحب الهمزية فى هذا المعنى

وأعدت حمالة الحطب الفهـ * ـر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ * ـلى من أحمد يقال الهجاء
فتولت وما رأته ومن أيـ * ـن ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان أبا لهب أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى ان آمنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال مالى عليهم فضل قال وأى شئ تبتغى قال تباً لهذا من دين ان أكون وهؤلاء سواء (قوله تبت يدى أبى لهب) بفتح الهاء وسكونها سبعيتان ولغتان جيدتان واتفق القراء على فتح الهاء فى قوله ذات لهب والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل (قوله وهذه خبر) أى اخبار بحصول التباب له الذى دعا به عليه فى الجملة الاولى وهذا أحد قولين وقيل ان كلا الجملتين دعاء وصرح بكنيته لقبح اسمه فان اسمه عبد العزى أو لان الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار (قوله ما أغنى عنه ماله) يصح أن تكون ما نافية أو استفهامية وعلى الثانى فهو فى محل نصب بأغنى والتقدير أى شئ أغنى قدم لكونه له صدر الكلام (قوله ماله) أى الموروث من آبائه (قوله وكسبه) أشار بذلك الى أن ما مصدرية ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى الذى والعائد محذوف أى والذى كسبه (قوله أى ولده) وهو عتيبة بالتصغير وأما عتبة ومعتب فقد أسلما قال بعضهم

كرهت عتيبة اذ أجرما * وأحببت عتبة اذ أسلما
كذا معتب مسلم فاحترز * وخف أن تسب فتى مسلما

ومات أبو لهب بداء يسمى العدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال والعدسة قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها كانت العرب تهرب منها لزعمهم انها تعدى (قوله سيصلى ناراً) أى يحترق بها (قوله فهى مآل تكنيته) جواب عما يقال كيف ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى مع ان ذلك اكرام واحترام وايضاحه انه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها فان مصيره الى النار ذات اللهب أو لان ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة لانه عبد الله لا عبد العزى (قوله وهى أم جميل) أى وهى أخت أبى سفيان بن حرب وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها (قوله حمالة الحطب) ان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت انها لشدة عداوتها للنبى صلى الله عليه وسلم لا تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله بنفسها (قوله بالرفع) أى على انه نعت لامرأته وقرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم أو الحال من امرأته والمعنى انها تصلى النار حال كونها حمالة الحطب لما ورد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب فى الدنيا (قوله والسعدان) هو نبت له شوك يشبه به حلمة الثدى وهو بوزن سرحان (قوله تلقيه) أى بالليل لقصد أذية النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فى جيدها حبل من مسد) قيل انها فى الدنيا كانت تحتطب فى حبل من ليف تجعله فى عنقها فبينما هى ذات يوم حاملة للحزمة فقعدت على حجر لتستريح اذ أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها خنقاً بحبلها وقيل هذا فى الآخرة قال ابن عباس هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلاً محكماً اهـ ويكون المراد

(تبت) خسرت (يدا أبى لهب) أى جملته وعبر عنها باليدين مجازاً لان أكثر الأفعال تزاول بهما وهذه الجملة دعاء (وتب) خسر هو وهذه خبر كقولهم أهلكه الله وقد هلك ولما خوفه النبى بالعذاب فقال ان كان ما يقول ابن أخى حقاً فانى أفتدى منه بمالى وولدى نزل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) وكسبه أى ولده وأغنى بمعنى يغنى (سيصلى ناراً ذات لهب) أى تلهب وتوقد فهى مآل تكنيته لتلهب وجهه اشراقاً وحمرة (وامرأته) عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل (حمالة) بالرفع والنصب (الحطب) الشوك والسعدان تلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم (فى جيدها) عنقها (حبل من مسد)

بالمسد الحديد فانه يطلق عليه أيضا كما يؤخذ من القاموس ولامانع من الجمع (قوله أى ليف) قيل هو ليف المقل وهو شجر الدوم أبيض مشهور وقيل مطلق الليف (قوله وهذه الجملة) أى المركبة من المبتدا الذى هو حبل ومن الخبر الذى هو فى جيدها (قوله أو خبر مبتدا مقدر) أى وتقديره المرأة المذكورة فى جيدها حبل من مسد

أى ليف وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذى هو نعت لامرأته أو خبر مبتدا مقدر

﴿سورة الاخلاص﴾

﴿سورة الاخلاص مكية أو مدنية أربع أو خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

مناسبتها لما قبلها انه لما تقدم فى التى قبلها ذكر عداوة المشركين له صلى الله عليه وسلم ولاسيما أقرب الناس اليه وهو عمه أبولهب جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عبدة الاوثان تسلية له صلى الله عليه وسلم واشعارا بان من تعلق بالله لايكله الى غيره ولايعتريه حزن ولهذه السورة أسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى أنهاها بعضهم الى عشرين اسما أولها الاخلاص ثانيها التنزيل ثالثها التجريد لان من تعلق بها تجرد عن الاغيار رابعها التوحيد لانها دالة عليه خامسها النجاة لقارئها من النار سادسها الولاية لان من تعلق بها أعطاه الله الولاية سابعها النسبة لقولهم فى السؤال أنسب لنا ربك ثامنها المعرفة لان من فهمها عرف الله تعالى تاسعها الجمال لدلالتها على جمال الله أى اتصافه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص عاشرها المقشقشة أى المبرئة من الشرك والنفاق الحادى عشر المعوذة أى المحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة الثانى عشر الصمد لذكره فيها الثالث عشر الاساس لانها أصل الدين ولحديث أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد الرابع عشر المانعة لانها تمنع فتنة القبر وعذاب النار الخامس عشر سورة المحتضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت السادس عشر المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها السابع عشر سورة البراءة لانها براءة من الشرك الثامن عشر المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد التاسع عشر النور لانها تنور القلب العشرون سورة الانسان لانه لاغنى له عنها *وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل ياعبدى ادخل بيمينك الجنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور فى الجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله اذن تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها اثنتى عشرة مرة بنى الله له اثنى عشر قصرا فى الجنة فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ماخلا الدماء والاموال فان قرأها مائتى مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة فان قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يرى له ومنها أنه شكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت البيت فسلم ان كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم على واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه ومنها ان من قرأها مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى منادمن قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا ان فلانا عتيق الله فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل فهى عتاقة من النار لكن بشرط أن لايكون عليه حقوق للعباد أصلا أو عليه وهو عاجز عن أدائها أما من قدر عليها فهو كالمستهزئ بربه لما ورد فى

الحديث

الحديث ياداود قل للظلمة لايذكروني فانهم ان ذكروني ذكرتهم وذكري لهم أن ألعنهم (قوله سئل صلى الله عليه وسلم) أي والسائل له قريش أو أحبار اليهود أو النصارى حيث قالوا ان آلهتنا ثلثمائة وستون ولم تقض حوائجنا فكيف بواحد أو صورة السؤال وما صفة ربك هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد أو كيف هو قولان في كيفية السؤال وورد أن ابن سلام لما سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله يظهرك ويظهر دينك على الأديان واني لأجد صفتك في كتاب الله التوراة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا (قوله فالله خبر هو الخ) هذا مبني على ان ضمير هو عائد على المسؤل عنه في كلام الكفار وقيل انه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فالله مبتدأ وأحد خبره والجملة خبر هو وهمزة أحد بدل من واو لانه من الوحدة أو ليست مبدلة من شئ قولان واثبات لفظ قل مع تنوين أحد هو قراءة العامة وقرئ شذوذا بحذف قل وقرئ أيضا قل هو الله الواحد وقرئ أيضا بحذف التنوين لالتقاء الساكنين واعلم ان هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد وذلك لان الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ومن كان وجوده واجبا لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والارادة والعلم والحياة وقوله أحد يدل على الصفات السلبية وهي القدم والبقاء والغنى المطلق والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والأفعال وبذلك انتفت الكموم الخمسة وهي الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات والمنفصل في الأفعال فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير والمنفصل في الأفعال هو الشبيه فيها وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى وأما المتصل في الأفعال فهو ثابت لان أفعال الله متعددة لانهاية لها بقي شئ آخر وهو ان أحد يستعمل في النفي وأما واحد فيستعمل في الاثبات فلم ذكره في الاثبات أجيب بأن ذلك أغلبي وقد يستعمل كل في كل والقرآن وارد بذلك في غير آية وآثر الأحد على الواحد لمراعاة الفواصل (قوله وأحد بدل) أي بدل نكرة من معرفة وهو جائز (قوله الله الصمد) نتيجة ما قبله ولذا ترك العاطف وذلك لانه حيث ثبت انه متصف بالكمالات منزه عن النقائص فلا يقصد غيره ولا يعول الا عليه (قوله أي المقصود في الحوائج) هذا أحد أقوال في معنى الصمد وهو المشهور وقيل هو الذي لا جوف له وقيل هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل هو الذي ليس فوقه أحد وقيل غير ذلك وانما عرف الصمد لعلمهم به ومعرفتهم اياه بخلاف أحديته وكرر لفظ الله اشعارا بأن من لم يتصف به لا يستحق الالوهية (قوله لم يلد ولم يولد) رد على مشركي العرب القائلين الملائكة بنات الله واليهود القائلين عزير ابن الله والنصارى القائلين المسيح ابن الله وهذه الجملة نتيجة ما قبلها لانه حيث ثبت انه متصف بالكمالات منزه عن النقائص مقصود في جميع الأمور فلم يكن علة في غيره ولا غيره علة فيه وأتى بالعاطف في الجملتين الأخيرتين دون ما عداهما لانهما سيقتا لمعنى وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجوهها لان المماثلة اما ولدا أو والدا أو نظير فلتغاير الاقسام أتى بالعطف لانه يقتضي المغايرة وترك العاطف في لم يلد لانه مؤكد للصمدية لان الغني عن كل شئ المحتاج اليه كل ما سواه لا يكون والدا ولا مولودا فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة (قوله لانتفاء مجانسته) أي لغيره لان الولد من جنس أبيه والله لا يجانسه أحد لانه واجب وغيره ممكن ولان الولد يطلب اما للاعانة والده أو لتخلفه بعده والله تعالى غني عن كل شئ ولا يفنى (قوله لانتفاء الحدوث عنه) أي لان كل مولود جسم ومحدث والله تعالى ليس كذلك (قوله ومماثلا) عطف

سئل صلى الله عليه وسلم عن ربه فنزل (قل هو الله أحد) فالله خبر هو وأحد بدل منه أو خبر ثان (الله الصمد) مبتدأ وخبر أي المقصود في الحوائج على الدوام (لم يلد) لانتفاء مجانسته (ولم يولد) لانتفاء الحدوث عنه (ولم يكن له كفوا أحد) أي مكافئا ومماثلا وله متعلق بكفوا

تفسير واعلم أن الكفؤ يعم الشبيه والنظير والمثيل فالمثيل هو المشارك لك في جميع صفاتك والشبيه هو المشارك في غالبها والنظير هو المشارك في أقلها والله تعالى منزه عن ذلك كله (قوله وقدم عليه) أي وكان الأصل أن يؤخر الظرف لكن قدم لاهتمامه اعتناء بنفي المكافأة عنه تعالى لأنه المقصود (قوله لأنه محط القصد بالنفي) أي فالقصد نفي المكافأة عن ذات الله فكان تقديمه أولى وهذه السورة الشريفة نفت أصول الكفر الثمانية التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير أما الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى قل هو الله أحد والنقص والقلة بقوله الله الصمد والعلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد والشبيه والنظير بقوله ولم يكن له كفوا أحد

﴿سورة الفلق﴾

مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما بين أمر الألوهية في السورة قبلها بين هنا ما يستعاذ منه بالله تعالى لأنه لا ملجأ سواه (قوله مكية) أي في قول الحسن وعطاء وعكرمة وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة وجماعة وهو الصحيح ويؤيده سبب النزول فإنه كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه وورد في فضل هذه السورة والتي بعدها أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وانه لن يقرأ أحد سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين وقوله ما أنزل مثلهما أي في التحصن والتعوذ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يا ابن عامر ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ومنها أنه كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس فلما نزلت سورتا المعوذتين أخذ بهما وترك ما سواهما ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاثا يكفيك من كل شيء وفي رواية من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات إذا أخذ مضجعه فإذا قبض قبض شهيدا وإن عاش عاش مغفورا له (قوله نزلت هذه السورة والتي بعدها الخ) أي بإجماع الصحابة (قوله لما سحر لبيد) أي ابن الأعصم * وحاصله أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وفرغ من وقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا أي أعلمنا بالسحر وقد سحرنا محمدا فلم يؤثر فيه سحرنا شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنانير فأتى غلاما يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه وأعطاها له فسحره بها وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعلوا في تلك الصورة إبرا مغروزة إحدى عشرة ووترا فيه إحدى عشرة عقدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألما في بدنه ثم يجد بعدها راحة وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما وقيل ستة أشهر وقيل عاما قال ابن حجر وهو المعتمد إن قلت كيف يؤثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم بنص والله يعصمك من الناس أجيب بأن المعصوم منه ما أدى لخلل في عقله أو لضياع شرعه أو لموته وأما ما عدا ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقه كأن جرحه وكسر رباعيته لا يقدح في عصمته وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وما أدى لذلك فهو باطل وزعموا أيضا أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدي لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع إذ يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم وهذا كله مردود لقيام الدليل على ثبوت السحر بإجماع الصحابة وعصمته صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء وصدقهم فيما يبلغونه عن الله وأما ما كان متعلقا بأمور الدنيا فهم كسائر البشر تعتريهم الأعراض كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك وأما ما ورد في قصة السحر من أنه كان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولم يأت فمعناه أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته

وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة

﴿سورة الفلق مكية أو مدنية خمس آيات﴾

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم

الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود وتسميه العامة المربوط لما ورد انه حبس عن عائشة سنة وعن ابن عباس انه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب ففي ذلك دليل على أن السحر انما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله ثم اعلم أن مذهب أهل السنة أن السحر حق وله حقيقة و يكون بالقول والفعل ومن جملة أنواعه السيمياء وهي حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخيلات فيعظم عند من لا يعرف ذلك والحق انه من الاسباب العادية التى توجد الاشياء عندها لا بها فيؤثر فى القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفى الابدان بالألم والسقم وأما قلب الجماد حيوانا وعكسه فباطل لا يتصور اذ لو قدر الساحر على هذا القدر أن يرد نفسه الى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت وهو حرام ان لم يكن بما يعظم به غير الله أو يعتقد تأثيره بنفسه والا فهو كفر (قوله فى وتر) بفتحتين أى وتر القوس (قوله فاحضر بين يديه) روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما ذات يوم اذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رأسه ما بال الرجل فقال الذى عند رجليه طب أى سحر قال ومن سحره قال لبيد بن الاعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال وأين هو قال فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان فانتبه النبى صلى الله عليه وسلم ثم أمر عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة واذا تمثال من شمع على صورته صلى الله عليه وسلم مغروز فيه احدى عشرة ابرة وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة فى الجف وهو بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه المائح ٢ (قوله كأنما نشط من عقال) أى كأنما حل وأطلق منه (قوله الصبح) هذا أحد أقوال فى معنى الفلق وآثره اشارة الى التفاؤل الحسن فان مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الخوف الى الأمن ومن الوحشة الى السرور والصبح أدل على هذا لما فيه من زوال الظلمة باشراق أنواره وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته وقيل الفلق سجن فى جهنم وقيل بيت فى جهنم اذا فتح صاح أهل جهنم من حره وقيل هو اسم من أسماء جهنم وقيل واد فى جهنم وقيل شجرة فى النار وقيل الرحم لانفلاقه عن الولد وقيل كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى وكل نبات وقيل غير ذلك (قوله من شر ما خلق) هذا عام وما بعده خاص والجار والمجرور متعلق بأعوذ وما موصولة أو مصدرية (قوله وغير ذلك) أى كالاحراق بالنار والاغراق فى البحار (قوله ومن شر غاسق) نكر غاسق وحاسد لافادة التبعيض لان الضرر قد يتخلف فيهما وعرف النفاثات لانهن معهودات فقيل بنات لبيد وقيل أخواته (قوله أى الليل اذا أظلم) سمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه واذا منصوب بشر أى أعوذ بالله من الشر فى وقت كذا (قوله أو القمر) سمى غاسقا لذهاب ضوئه بالكسوف أو المحاق فى آخر الشهر واسوداده وقوله اذا غاب أى استتر بالكسوف أو أخذ فى المحاق أو النقص وذلك آخر الشهر وفيه تتوفر أسباب السحر المصححة له ويسميه المنجمون اذ ذاك نحسا وهو أنسب بسبب النزول وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة وقيل الثريا وذلك لانها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وقيل هو الشمس اذا غربت وقيل هو الحية اذا لدغت وقيل كل هاجم يضر كائنا ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف محذوف أى النساء السواحر وخص النساء بالذكر لان سحرهن أشد من سحر الرجال لما وردانه بعد اغراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين ملكت نساء القبط مصر وأقمن فيها ستمائة سنة كلما قصدهن عسكر صورن صورته وفعلن بالصورة ما شئن من قلع الاعين وقطع الاعضاء فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العسكر (قوله بشئ) أى مع شئ أى قول تقوله وقوله من غير ريق متعلق بتنفخ

فى وتر به احدى عشرة عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) الصبح (من شر ما خلق) من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك (ومن شر غاسق اذا وقب) أى الليل اذا أظلم أو القمر اذا غاب (ومن شر النفاثات) السواحر تنفث (فى العقد) التى تعقدها فى الخيط تنفخ فيها بشئ تقوله من غير ريق

٢ قوله يقوم عليه الساجح لعله المائح

واختلف في النفث عند الرقية والمسح باليد فمنعه قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازها آخرون وهو الصحيح لما ورد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث في الرقية وورد عنها أيضا اسهارقت ونفثت وقال علي كرم الله وجهه اشتكيت فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني وان كان متأخرا فاشفني وعافني وان كان بلاء فصبرني فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد انتهى (قوله وقال الزمخشري معه) أي الريق في النفث قولان (قوله ومن شر حاسد اذا حسد) الحسد تمني زوال نعمة المحسود عنه وان لم يصر للحاسد مثلها والغبطة تمني مثلها فالحسد مذموم دون الغبطة وعليها يحمل حديث لا حسد الا في اثنتين والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي به في الارض فحسد ابليس آدم وقابيل هابيل والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها انه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها انه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت لي هذه القسمة ثالثها انه يعاند فعل الله تعالى رابعها انه يريد خذلان أولياء الله خامسها انه أعان عدو الله ابليس وقال بعضهم الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وفي الحديث في الانسان ثلاث الطيرة والظن والحسد فيخرجه من الطيرة أن لا يرجع ويخرجه من الظن أن لا يحقق ويخرجه من الحسد أن لا يبغي (قوله أظهر حسده) أي حمله الحسد على اظهاره لانه اذا لم يظهر الحسد لا يتأذى به الا الحاسد وحده لاغتمامه بنعمة غيره وفي هذا المعنى قال بعض العارفين

ألا قل لمن بات لي حاسدا * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في فعله * لانك لم ترض لي ماوهب
فكان جزاؤك أن خصني * وسد عليك طريق الطلب

وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسود * فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

(فائدة) كرر لفظ شر مع كل جملة لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع

(سورة الناس مكية)

(قوله أو مدنية) أي وهو الصحيح لما تقدم من أن سبب النزول واقعة السحر وهي بالمدينة سنة سبع (قوله ست آيات) أي والسورة التي قبلها خمس فتكون الجملة احدى عشرة آية عدة العقد والابر الحاصلين في السحر (قوله قل أعوذ) أي أتحصن والامر للنبي صلى الله عليه وسلم ويتناول غيره من أمته لان أوامر القرآن ونواهيه لا تخص فردا دون فرد (قوله الناس) أصله اما اناس حذفت الهمزة أو نوس مأخوذ اما من ناس اذا تحرك خص بالبشر لانه المتحرك الحركة المعتد بها الناشئة عن روية وتدبر تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا أو من الانس ضد الوحشة لانه يؤنس به أو من النسيان لكونه شأنه وطبعه (قوله خالقهم) أي موجدهم من العدم (قوله خصوا بالذكر) أي وان كان رب جميع الخلائق (قوله تشريفا لهم) أي من حيث انه تعالى أخدم لهم ملائكة قدسه وجعل لهم ما في الارض جميعا وأمدهم بالعقل والعلم وكلفهم بخدمته فان قاموا بتلك الوظيفة كان لهم العز دنيا وأخرى وان لم يقوموا بها ردوا الاسفل السافلين فلم يساووا الكلاب والخنازير واذا علمت بذلك انه رب الناس فهو رب غيرهم بالاولى (قوله ومناسبة للاستعاذة الخ) أي فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الملك لهم (قوله ملك الناس) باسقاط الالف هنا باتفاق القراء بخلاف الفاتحة ففيها قراءتان سبعيتان ثبوت الالف وحذفها ومعنى الملك المتصرف فيهم بانواع التصرفات من اعزاز واذلال واغناء وافقار وغير ذلك (قوله اله الناس) هذا الترتيب بديع وذلك ان الانسان أولا يعرف أن له

وقال الزمخشري معه كمينات لبيد المذكور (ومن شر حاسد اذا حسد) أظهر حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر الثلاثة الشامل لها ما حلق بعده لشدة شرها

(سورة الناس مكية أو مدنية ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(قل أعوذ برب الناس) خالقهم ومالكهم خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم (ملك الناس اله الناس) بدلان أو صفتان أو عطفا بيان واظهر المضاف اليه فيهما

ربالماشاهده من أنواع التربية ثم اذا تأمل عرف ان هذا الرب متصرف فى خلقه غنى عن غيره فهو الملك ثم اذا زاد تأمله عرف انه يستحق أن يعبد لانه لا يعبد الا الغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه (قوله زيادة للبيان) حاصله أنه ورد اشكال وهو لم كرر لفظ الناس ثانيا وثالثا ولم يكتف بضميرهم مع ان اتحاد اللفظين فى اللفظ والمعنى معيب كالايطاء فى الشعر فاجاب المفسر بقوله زيادة للبيان وهو جواب خفى وأحسن منه أن يقال ان التكرار لاظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم كما انه حسن التكرار للتلذذ واظهار فضل المكرر فى قول بعضهم

محمد ساد الناس كهلا ويافعا * وساد على الاملاك أيضا محمد
محمد كل الحسن من بعض حسنه * وما حسن كل الحسن الا محمد
محمد ما أحلى شمائله وما * ألذ حديثا راح فيه محمد

وهذا على تسليم أن المراد بالناس فى الجميع شئ واحد وأما ان أريد بالناس الاول الصغار وأضيفوا للرب لاحتياجهم الى التربية أكثر من غيرهم وبالثانى الشباب وأضيفوا للملك لان شأنهم الطغيان والطيش فهم محتاجون لملك يسوسهم ويكسر هيجان شبوبيتهم وبالثالث الشيوخ وأضيفوا للاله لان شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم وفناء شهواتهم فهم أقرب من غيرهم للتعلق بالاله فلا اتحاد فى المعنى (قوله من شر الوسواس) متعلق بأعوذ * ان قلت ما الحكمة فى وصف الله تعالى فى هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف وجعل المستعاذ منه شيأ واحدا وفى السورة قبلها بعكس ذلك لانه وصف نفسه بوصف واحد وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء * أجيب بانه فى السورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضر فى ظاهر البدن وهنا وان كان أمرا واحدا الا انه يضر الروح وما كان يضر الروح يهتم بالاستعاذة منه * ان قلت كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو الاستعاذة من شر الوسواس اذ سلامة الروح مقدمة على البدن * أجيب بان تقديم سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات وهو سلامة الروح (قوله سمى بالحدث) أى المصدر وقوله لكثرة ملابسته له أى ملازمته للوسوسة فهو على حذف يدعدل وما ذكره المفسر ليس بمتعين فان الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث يطلق على نفس الشيطان الموسوس ويطلق أيضا على ما يخطر بالقلب من الشر واعلم أن خواطر القلب أربعة رحمانى وملكى ونفسى وشيطانى فالرحمانى ما يلزم طاعة بعينها والملكى ما يلزم طاعة لا بعينها والنفسى ما يلزم معصية بعينها والشيطانى ما يلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان (قوله لانه يخنس) من باب دخل أى يتوارى ويختفى بعد ظهوره المرة بعد المرة (قوله كلما ذكر الله) أى فالذكر له كالقامع الذى يقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا وعن بعض السلف ان المؤمن يفنى شيطانه كما يفنى الرجل بعيره فى السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس وتأخر واذا غفل رجع وهل المراد الحقيقة أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن فحه وخبثه ونجاسته ورأس الحية كناية عن شدة الأذية ووضعه على الفؤاد كناية عن شدة التمكن كل محتمل (قوله اذا غفلوا عن ذكر الله) أى بقلوبهم ولو كانوا ذاكرين بألسنتهم وذلك لان الوسوسة حالة فى القلب فلا يطردها الا الذكر الحال فى القلب فمن كان من أهل الذكر فلا تسلط للشيطان عليه قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولا يترك الانسان الذكر اللسانى اذا وجد الغفلة والوسواس فى قلبه بل يكثر الذكر ويديمه فلعله يستيقظ قلبه ويتنور قال العارفون الذكر اللسانى كقدح الزناد فاذا تكرر أصاب قال بعضهم فى ذلك

اطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل لتكراره * فى الصخرة الصماء قد أثرا

زيادة للبيان (من شر الوسواس) أى الشيطان سمى بالحدث لكثرة ملابسته له (الخناس) لانه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الذى يوسوس فى صدور الناس) قلوبهم اذا غفلوا عن ذكر الله

(قوله من الجنة) اسم جنس جمعي يفرق بينه و بين واحده بالياء فيقال جن وجني كزنج وزنجي وغالبا يفرق بالتاء كتمر وتمرة وزيدت التاء في الجنة لتأنيث الجماعة سموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون وهم أجسام نارية هوائية يتشكلون بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة وتقدم مافيهم (قوله بيان للشيطان الموسوس) أي المذكور بقوله من شر الوسواس فمن بيانية مشوبة بتبعيض أي بعض الجنة وبعض الناس (قوله كقوله تعالى الخ) أي ويشهد له حديث تعوذوا بالله من شياطين الجن والانس (قوله والناس) عطف على الوسواس أي ولفظ شر مسلط عليه كأنه قال من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة ومن شر الناس وعليه فالناس لا يصدر منهم وسوسة (قوله وعلى كل) أي من الاحتمالين وقوله يشمل الشر أي المستعاذ منه شر لبيد الخ (قوله المذكورين) أي في السورة السابقة وفيه تغليب المذكر وهو لبيد على المؤنث وهو بناته (قوله واعترض الاول) أي وهو أنه بيان للشيطان الموسوس (قوله لا يوسوس في صدورهم الناس) كذا في بعض النسخ والمناسب كما في بعضها لا يوسوسون في صدور الناس (قوله بمعنى يليق بهم) أي كالنميمة ويخنسون اذا زجروا (قوله المؤدى) أي الموصل الى ثبوتها في القلب (قوله والله أعلم) أشار بذلك الى تمام القرآن وفي ختم القرآن بهذه السورة اشارة حسنة كأنه قيل ما أنزلناه كاف مافرطنا في الكتاب من شئ فلا تطلب بعده شيأ بل اقتصر على العمل به واستعذ بالله من الشيطان والحاسد لان العبد اذا تمت نعمة الله عليه كثرت حساده انسا وجنا قيل عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفا وكذا عدد الفاتحة بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن وهو سر بديع وأول القرآن باء البسملة وآخره سين والناس كأنه قال بس أي تم وكمل * ثم اعلم أن الجلال المحلي رضي الله عنه بعد أن ختم هذا النصف الاخير وابتداؤه من سورة الكهف شرع في تفسير النصف الاول وأوله سورة الفاتحة فقال في شروعه فيه سورة الفاتحة الخ ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قصد الاختصار ورو ما للاقتصار على محط الفائدة * ثم انه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة توفي الى رحمة الله تعالى فقيض الله تعالى تلميذه الجلال السيوطي لتتميم تفسيره فابتدأ بأول سورة البقرة وختم بالاسراء كما ذكر في خطبته فصار تفسير الفاتحة في نسخ الجلال مضموما لتفسير آخر القرآن لاوله ليكون تفسير المحلي مضموما بعضه لبعض رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم

﴿ سورة الفاتحة مكية ﴾

هو قول الاكثر وقيل مدنية وجمع بعضهم بين القولين فقال نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثاني وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة والاول هو الصحيح لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والحجر مكية باجماع وأيضا فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت انه وقع في الاسلام صلاة بغيرها يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب بل هي من أوائل القرآن نزولا وسميت فاتحة لانها مفتاح الكتاب العزيز وهذا اسم من جملة عشرين اسما ثانيها فاتحة الكتاب ثالثها أم القرآن لانه مفتتح بها فكأنها أصله وأساسه رابعها سورة الكنز لانها نزلت من كنز تحت العرش خامسها الكافية سادسها الوافية لانها وافية كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها سابعها الشافية ثامنها الشفاء لما ورد هي شفاء من كل داء تاسعها السبع المثاني لانها سبع آيات على الصحيح سواء قلنا ان البسملة منها أولا عاشرها النور الحادي عشر الرقية الثاني عشر سورة الحمد والشكر الثالث عشر الدعاء الرابع عشر تعليم المسألة لاشتمالها على ذلك الخامس عشر سورة المناجاة السادس عشر سورة التفويض السابع عشر سورة السؤال الثامن عشر سورة أم الكتاب التاسع عشر فاتحة القرآن العشرون الصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله

(من الجنة والناس) بيان للشيطان الموسوس انه جني وانسي كقوله تعالى شياطين الانس والجن أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس وعلى كل يشمل شر لبيد وبناته المذكورين واعترض الاول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس انما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بان الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم الى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي الى ذلك والله تعالى أعلم

﴿ سورة الفاتحة مكية ﴾
سبع آيات بالبسملة

ان كانت منها والسابعة صراط الذين الى آخرها وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب الى آخرها ويقدر فى أولها قولوا ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا له بكونها من مقول العباد

رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الرب أثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بينى و بين عبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل وورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها ما هو مسلسل بالحلف بالله العظيم عن ابن العربى قال اذا قرأت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله فى نفس واحد من غير قطع فانى أقول بالله العظيم لقد حدثنى أبو الحسن على أبو الفتح الطيب بمدينة الموصل سنة احدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت من أبى بكر من فيه وافظه وهو أبو الفضل ابن محمد الكاتب الهروى وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر الشاشى الشافعى من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثنى عبد الله المعروف بأبى نصر السرخسى وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن يحيى الوراق الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد بن الحسن العلوى الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثنى موسى بن عيسى وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الرابحى وقال بالله العظيم لقد حدثنى أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد المصطفى وقال بالله العظيم لقد حدثنى جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثنى اسرافيل وقال قال تعالى يا اسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا انى غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيآت ولا أحرق لسانه فى النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار والفزع الاكبر ويلقانى قبل الأنبياء والأولياء أجمعين اه من المناوى على الجامع الصغير (قوله ان كانت منها الخ) هذا التعبير يوهم فى بادئ الرأى انها ان لم تكن منها لا تكون سبعا مع انه يخالف ما بعده فالمناسب أن يقول سبع آيات فان كانت البسملة منها فالسابعة صراط الذين الى آخرها وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها و بعضهم جعل البسملة منها وجعل غير المغضوب عليهم الخ ثامنة و بعضهم جعلها ست آيات والبسملة ليست منها وهذان القولان مرجوحان واعلم انه اختلف فى البسملة فقيل ليست آية من الفاتحة بل ولا من كل سورة سوى سورة النمل وانما يندب الابتداء بها كالاستعاذة وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعى ومالك مستدلين بما روى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أنه كان يفتتح أحدهم بالفاتحة فى صلاته اماما من غير أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وعمل أهل المدينة حجة وقيل آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعى مستدلين بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى و بسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها * والحاصل أن البسملة من كلام الله قطعا فمن أنكرها كفر وكونها آية من كل سورة أو لا خلاف بين الائمة (قوله فالسابعة غير المغضوب الخ) ان قلت ان لفظ غير صفة لما قبلها والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد فكيف تكون آية مستقلة أجيب بان الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صفتان لله مع انه مجمع على انهما آيتان فكذلك يقال هنا ونوقش بان لفظ غير أشد افتقارا الى ما قبله من غيره لانه لا يتم معناه الا بما قبله فكان معه كالشئ الواحد وأما الرحمن الرحيم ونحوه اذا أعرب نعتا فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برفعهما أو نصبهما فانهما يخرجان عن الارتباط أجيب بان الآية لا يشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها وقد تخلص المفسر من هذا الاشكال باعرابه بدلا كما يأتى (قوله ويقدر فى أولها) أى الفاتحة قبل البسملة على القول بانها منها أو بعدها وقبل الحمدلة على القول بأنها ليست منها (قوله بكونها) الباء بمعنى فى أى فى كون الفاتحة كلها من مقول العباد وفى نسخة بكونه وهى أوضح والضمير عائد على ما قبل اياك ومحصله أن اياك نعبد لما كان من مقول العباد احتيج الى تقديره ولو اقيما قبله ليكون ما قبله من مقول العباد أيضا فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله

الحمد لله رب العالمين الى آخر الآيات الاربع ثناء على الله فيكون بعضها الاول من مقول الله وبعضها الثاني من مقول العبد ثناء من الله على نفسه فيكون من مقوله هو وذلك صحيح في حد ذاته لكن التناسب أبلغ (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) لم يتكلم الجلال المحلي ولا تلميذه عليها واهملها اتكالا على شهرته ونتكلم على شئ منها فنقول ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة تعليما للعباده الاقتداء بذلك والاتيان بها في كل أمر ذي بال أشعارا بانها أم الفاتحة كما ان الفاتحة أم القرآن كما ان القرآن أم الكتب السماوية والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد والرحمن المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيا وأخرى والرحيم المنعم بدقائقها كذلك ﴿فائدة﴾ روى الشعبي والاعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها وعن عبد الله بن مسعود قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد وقد فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال ان كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالباء مفتاح اسمه تعالى بصير وباقي وبر ونحو ذلك والسين مفتاح اسمه تعالى سميع سلام والميم مفتاح اسمه ملك ونحوه والالف مفتاح اسمه الله ونحوه واللام مفتاح اسمه لطيف ونحوه والهاء مفتاح اسمه هادي ونحوه والراء مفتاح اسمه رزاق ونحوه والحاء مفتاح اسمه حليم ونحوه والنون مفتاح اسمه نافع ونحوه فكأن المفتتح بها مفتتح بجميع أسمائه تعالى (قوله جملة) أي مركبة من مبتدا وخبر وقوله خبرية أي لفظا وهي انشائية معنى بدليل قوله قصد بها الثناء أي قصد بها انشاء الثناء (قوله من انه تعالى الخ) بيان للمضمون وفي ذلك اشارة الى أن أل في الحمد جنسية وهو الاولى من جعلها استغراقية أو عهدية أما الاول فلأنه ليس في طاقة العبيد حصر افراد الحمد وأما الثاني فلقصوره كذا قال النحويون واختار الصوفية انها للعهد قائلين ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه ووضعه لهم يحمدونه به وهذا المعنى هو المناسب للحمد الواقع في القرآن فتدبر (قوله أو مستحق الخ) أشار بذلك الى أن اللام في لله للملك أو للاستحقاق (قوله والله علم على المعبود بحق) أي علم شخص عربي مرتجل جامد وهو الصحيح ومعنى كونه علم شخص انه علم على ذات معينة مستجمعة لصفات الكمال وقال الزمخشري انه اسم جنس صار علما بالغلبة مشتق من اله كعبد وزنا ومعنى أو من أله بمعنى سكت أو من وله بمعنى تحير ودهش أو طرب أو من لاه بمعنى احتجب أو ارتفع أو استتار ومجموع الاقاويل هو المعبود للخواص والعوام المفزوع اليه في الامور العظام المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام الظاهر بصفاته الفخام الذي سكنت الى عبادته الاجسام وولعت به نفوس الأنام وطربت اليه قلوب الكرام (قوله رب العالمين) الرب يطلق على السيد والمالك والمعبود والثابت والمصلح اقتصر المفسر على المالك لكونه المناسب للمقام وجمع العالمين جمع قلة مع كثرتها جدا في الواقع تنبيها على انهم وان كثروا فهم قليلون في جانب عظمته تعالى ان قلت الجمع يقتضي اتفاق الافراد في الحقيقة وهي هنا مختلفة أجيب بأنها متفقة من حيث ان كلا منها علامة على موجدها (قوله يقال عالم الانس الخ) الاضافة بيانية أي عالم هو الانس (قوله وغلب في جمعه الخ) وقيل لا تغليب بل هو اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم بطريق التبع (قوله أولوا العلم) أي لشرفهم (قوله وهو) أي العالم وهو ما سوى الله تعالى علامة على موجده لانه حادث وكل حادث يحتاج الى محدث (قوله أي ذي الرحمة) أشار بذلك الى أن الرحمن الرحيم بنيا للمبالغة من رحم والرحمة في الاصل رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان وهي بهذا المعنى مستحيلة في حقه تعالى فتحمل على غايتها لان ما استحال على الله باعتبار مبدئه ويرد يطلق ويراد منه لازمه وغايته (قوله وهي ارادة الخير الخ) أشار بذلك الى انهما صفتا ذات ويصح أن يكونا صفتي فعل أي التفضل المحسن وفي الاتيان

خاتمة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(الحمد لله) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لان يحمدوه والله علم على المعبود بحق (رب العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وغلب في جمعه بالياء والنون أولوا العلم على غيرهم وهو من العلامة لانه علامة على موجده (الرحمن الرحيم) أي ذي الرحمة وهي ارادة الخير لاهله

بالرحمن الرحيم عقب اتصافه برب العالمين ترغيب بعد ترهيب فيكون أعون للعبد على الطاعة وأمنع من المعصية (قوله ملك يوم الدين) من الملك بضم الميم وهو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي بالامر والنهي (قوله أي الجزاء) أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكافرين (قوله لاملك ظاهرا فيه لاحد) أي وأما في الدنيا ففيها الملك ظاهرا لكثير من الناس فتحصل ان الوصف بالملكية ثابت أزلا وظهوره يكون يوم القيامة لاقرار جميع الخلق به (قوله لمن الملك اليوم) الجار والمجرور خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف للمبتدا وقوله لله جواب منه تعالى عن السؤال (قوله ومن قرأ مالك الخ) اعلم أن في لفظ ملك قراءتين سبعيتين الأولى بحذف الألف والوصف بها ظاهر والثانية باثباتها وفيها أشكال وهو أن مالك اسم فاعل واضافته لفظية لاتفيده التعريف فكيف توصف المعرفة بالنكرة وأجاب المفسر بان محل كون اضافة اسم الفاعل لفظية ان لم يكن بمعنى الزمان المستمر والا كانت اضافته حقيقية والحاصل ان اسم الفاعل ان قصد به الحال أو الاستقبال فاضافته لفظية وان قصد به المضي أو الدوام كما هو شأن أوصاف الله تعالى فاضافته حقيقية والتعويل على القرائن واختلف في أي القراءتين أبلغ فقيل ملك أعم وأبلغ من مالك اذ كل ملك مالك ولا عكس ولان أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لايتصرف المالك الا عن تدبير الملك وقيل مالك أبلغ لما فيه من زيادة البناء فتدل على كثرة الثواب (قوله اياك نعبد) اياك مفعول مقدم لنعبد قدم لافادة الحصر والاختصاص واياك نستعين معطوف على اياك نعبد أي لانعبد الا اياك ولانستعين الا بك لانك الحقيق بتلك الصفات العظام والمعنى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة فهذا ترق من البرهان الى العيان والغيبة الى الحضور فهو تعليم من الله تعالى لعباده كيفية الترقي فان العبد اذا ذكر الحقيق بالحمد وهو رب الأرباب عن قلب حاضر يجد ذلك العبد من نفسه محركا للاقبال عليه وكلما أجرى على قلبه ولسانه صفة من تلك الصفات العظام قوي ذلك المحرك الى أن يؤل ذلك الأمر لخاتمة تلك الصفات فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه في القوة اقبال ذلك العبد على ربه وخالقه المتصف بتلك الصفات فانتقل من الغيبة لخطابه والتلذذ بمناجاته وأول الكلام مبني على ماهو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه العظام والنظر في آلائه والاستدلال بصنعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم بعد ذلك أتى بمنتهاه وهو الخطاب والحضور المشعر بكونه في حضرة الشهود والى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مقام الاحسان المشار له بقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه واعلم ان اياك واجب الانفصال واختلف فيه هل هو من قبيل الاسم الظاهر وبه قال الزجاج أو هو ضمير وعليه الجمهور واختلف القائلون بأنه ضمير على أربعة أقوال أحدها انه كله ضمير الثاني ان ايا وحده ضمير ومابعده اسم مضاف اليه يفسر مايراد به من تكلم وغيبة وخطاب الثالث ان ايا وحده ضمير ومابعده حروف تفسر مايراد منه وهو المشهور الرابع ان ايا عماد ومابعده الضمير والضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في عباداتهم وخلط حاجته بحاجاتهم لعل عبادته تقبل ببركة عباداتهم وحاجته يجاب اليها ببركة حاجاتهم ومن هنا شرعت الجماعة في الصلوات قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة (قوله واياك نستعين) كرر الضمير للدلالة على تخصيصه تعالى بكل من العبادة والاستعانة والتلذذ بالمناجاة والخطاب وقدم العبادة على الاستعانة لانها وصلة لطلب الحاجة فاذا أفرد العبد ربه بالعبادة أعانه وحذف المعمول من كل ايؤذن بالعموم فيتناول كل معبود به وكل مستعان عليه وأصل نستعين نستعون استثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى الساكن قبلها فسكنت الواو بعد النقل وانكسر ماقبلها فقلبت ياء والقراءة السبعية بفتح النون وقرئ شذوذا نستعين بكسر

(ملك يوم الدين) أي الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لاملك ظاهرا فيه لأحد الا لله تعالى بدليل لمن الملك اليوم لله ومن قرأ مالك فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة أي هو موصوف بذلك دائما كغافر الذنب فصح وقوعه صفة لمعرفة (اياك نعبد واياك نستعين) أي نخصك بالعبادة

حرف المضارعة وهي لغة مطردة في حروف المضارعة بشرط أن لا يكون ما بعد حرف المضارعة مضموما فان ضم كتقوم امتنع كسر حرف المضارعة لثقل الانتقال من الكسر الى الضم و بشرط أن يكون المضارع من ماض مكسور العين نحو علم أو في أوله همزة وصل نحو استعان أو تاء مطاوعة نحو تعلم (قوله من توحيد الخ) بيان للعبادة وهو اشارة الى العبادات الاصلية الاعتقادية وقوله وغيره اشارة الى العبادات العملية من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك (قوله و بطلب المعونة) بالباء عطف على بالعبادة ولا يجوز أن يكون بالنون عطفا على نخصك لخروجه عن افادة التخصيص (قوله وغيرها) أي من مهمات الدنيا والآخرة (قوله اهدنا) أي زدنا هداية وأدمنا عليها والهداية تطلق على الدلالة والتبيين وان لم يحصل وصول نحو وأما ثمود فهديناهم أي بينا لهم وتطلق عليه مع الوصول للخير وهو المراد هنا ومادة الهداية تتعدى لمفعولين الأول بنفسها والثاني اما كذلك كما هنا واما باللام أو الى قال تعالى يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم (قوله الصراط) هو في الأصل الطريق الحسي والمراد به هنا دين الاسلام ففيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالطريق الحسي بجامع ان كلا موصل للمقصود واستعير اسم المشبه به للمشبه وأصل صراط بالصاد سراط بالسين وبها قرأ قنبل حيث ورد أبدلت صادا لاجل حرف الاستعلاء وقد تشم الصاد زايا وبه قرأ خلف وكلها سبعي لكن لم ترسم في المصحف الا بالصاد والصراط يذكر و يؤنث فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز وجمعه صرط ككتاب وكتب (قوله المستقيم) اسم فاعل من استقام أي استوى من غير اعوجاج وأصله مستقوم أعل كاعلال نستعين (قوله ويبدل منه) أي بدل كل من كل أتي به زيادة في مدح الصراط (قوله الذين أنعمت عليهم) الانعام ايصال الاحسان الى الغير بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء فلا يقال أنعم فلان على فرسه ولا على حماره (قوله بالهداية) أشار بذلك الى أن المراد بالمنعم عليهم المؤمنون وهو أحد أقوال للمفسرين وقيل هم المذكورون في قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقيل هم الانبياء خاصة وقيل المراد بهم أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ وحذف متعلق أنعمت ليؤذن بالعموم فيشمل كل نعمة ونعم الله تعالى لا تحصى باعتبار أفرادها قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأما باعتبار جملتها فتحصى لانها قسمان دنيوية وأخروية والأول اما وهبي أو كسبي والوهبي اما روحاني كنفخ الروح والتزيين بالعقل والفهم والفكر والنطق أو جسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكمال الأعضاء والكسبي كتزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والفضائل والثاني وهو الأخروي انه يغفر ما فرط منه وينزله أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين ودهر الداهرين (قوله عليهم) لفظ عليهم الأول في محل نصب على المفعولية والثاني في محل رفع نائب المغضوب وفيه عشر لغات ست مرويات عن القراء الثلاثة الأول منها سبعيات وهي كسر الهاء وضمها مع اسكان الميم فيهما وكسر الهاء وضم الميم بواو بعد الضمة وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للاشباع وضم الهاء والميم بواو بعد الضمة و بدونها وأربع لم يقرأ بها وهي ضم الهاء مع كسر الميم وادخال ياء بعدها وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء وكسر الهاء مع ضم الميم وكسر الهاء والميم من غير ياء (قوله ويبدل من الذين بصلته) أي بدل كل من كل ولا يضر ابدال النكرة من المعرفة وقيل نعت للذين واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لا يصح لان غير متوغلة في الابهام لا تتعرف بالاضافة كمثل وشبه وشبيه وأجيب بجوابين الأول ان غير انما تكون نكرة اذا لم تقع بين ضدين فأما اذا وقعت بين ضدين فتتعرف حينئذ بالاضافة تقول عليك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل والثاني ان الموصول أشبه النكرات في الابهام الذي فيه فعومل معاملة النكرات وغير من الالفاظ الملازمة للاضافة لفظا أو تقديرا فادخال أل عليها خطأ وقد يستثنى بها حملا على الا كما يوصف بالا حملا عليها (قوله غير المغضوب) بكسر الراء بدل كما قال المفسر أو نعت وتقدم ما فيه وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا

من توحيد وغيره و بطلب المعونة على العبادة وغيرها (اهدنا الصراط المستقيم) أي أرشدنا اليه و يبدل منه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية و يبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم)

بالنصب على الحال أو الاستثناء والغضب ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وصف به الله تعالى فالمراد به الانتقام أو ارادة الانتقام فهو صفة فعل أو صفة ذات وبنى الغضب للمفعول ولم يقل غير الذين غضبت عليهم تعليما لعباده الادب حيث أسند الخير لنفسه وأبهم فى الشر نظير قوله تعالى فأردت أن أعيبها فاراد ربك أن يبلغا أشدهما واذا مرضت فهو يشفين (قوله وهم اليهود) أى لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه الآية ولحديث ان المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين النصارى (قوله غير الضالين) أشار بذلك الى أن لا بمعنى غير فهى صفة ظهر اعرابها فيما بعدها ويؤيده قراءة عمر بن الخطاب وأبى بن كعب وغير الضالين بدل لا وأتى بلا تأكيدا لما فى غير من معنى النفى المفهوم من غير والثلا يتوهم عطف الضالين على غير فيكون من وصف الذين أنعمت عليهم والضلال يطلق على الخفاء والغيبة ومنه قولهم ضل الماء فى اللبن والهلاك ومنه قوله تعالى أئذا ضللنا فى الارض والنسيان ومنه قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى والعدول عن الطريق المستقيم وهو المراد هنا وفى الضالين مدان مد لازم على الالف بعد الضاد وقبل اللام المشددة وعارض على الياء قبل النون للوقف (قوله وهم النصارى) أى لقوله تعالى وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (قوله افادة أن المهتدين) أى المذكورين بقوله الذين أنعمت عليهم فصدوق الذين أنعمت عليهم هو مصدوق غير المغضوب عليهم وغير الضالين فصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون لكن استشكل بان تفسير الذين أنعمت عليهم بالفرق الأربعة المذكورة فى سورة النساء لا يشمل بقية المؤمنين وتفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى لا يشمل بقية طوائف الكفار فيقتضى ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا ممن أنعم الله عليهم وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف الغضب والضلال فالمبدل منه يخرجهم والبدل يدخلهم فى المبدل منه والخلاص من هذا الاشكال ان يفسر المنعم عليهم بجميع المؤمنين كما درج عليه المفسر فى قوله أنعمت عليهم بالهداية ويراد من المغضوب عليهم والضالين عموم الكفار اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ان قلت ما فائدة الاتيان بغير المغضوب عليهم الخ بعد قوله الذين أنعمت عليهم أجيب بان الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف فقوله الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل فيتقوى الايمان بالرجاء والخوف

﴿فائدة﴾ لفظ آمين ليس من الفاتحة بل ولا من القرآن قطعا بل يسن الاتيان بها للقارئ الفاتحة مفصولة منها بسكتة ليتميز ما هو قرآن عما ليس بقرآن ولكل داع وهى اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبنى على الفتح ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها وقيل هى اسم من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين ورد بوجهين الأول انه لو كان كذلك لكان ينبغى ان تبنى على الضم لانه منادى مفرد معرفة الثانى ان أسماء الله تعالى توقيفية وهو من خصوصيات هذه الأمة لم يعط لأحد قبلهم الا ما كان من موسى وهرون لما ورد فى الحديث ان الله أعطى أمتى ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم السلام وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين الا ما كان من موسى وهرون ومعناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هرون فقال الله تعالى عندما ذكر دعاء موسى قد أجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هرون فسماه داعيا وقال على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم بها دعاء عباده وفى الخبر ان آمين كالطابع الذى يطبع به على الكتاب وفى حديث آخر آمين درجة فى الجنة قال أبو بكر انه حرف يكتب به لقائله درجة فى الجنة وقال وهب بن منبه آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال آمين (قوله والله أعلم بالصواب الخ) هذه العبارة من وضع تلامذة المحلى لما عرفت انه قد شرع فى تفسير النصف الأول فكمل الفاتحة وارتحل الى رضوان الله تعالى فيبعد أن يأتى بعبارة تشعر بالانتهاء والصواب ضد الخطأ والمرجع الرجوع والمآب مرادف وقوله وحسبنا الله أى كافينا وقوله ونعم الوكيل أى المفوض اليه الامر

وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ونكتة البدل افادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ خاتمة نسأل الله حسنها في آداب تتعلق بالقرآن ﴾

منها أن لا يمسه الا طاهرا قال تعالى لا يمسه الا المطهرون ومنها ان التالي يتطيب له و يستاك لقول يزيد ابن أبي مالك ان أفواهكم من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم ومنها ان يستوي له قاعدا ولا يكون متكئا ومنها ان يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الملوك لانه مناج ربه ومنها أن يستقبل القبلة لانها أشرف المجالس ومنها أنه اذا تثاءب يمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبه لانه من الشيطان ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة وان لم يكن في أول سورة و يبسمل ان كان في أول سورة والا فخير ومنها اذا أخذ في القراءة لم يقطعها لمكالمة أحد من غير ضرورة ومنها أن يقرأه على تؤدة وترتيل وتدبر حتى يعقل ما يخاطبه به ربه فيرغب في الوعد ويخاف عند الوعيد ومنها اذا انتهت قراءته يقول صدق الله العظيم و بلغ رسوله الكريم وأنا على ذلك من الشاهدين ومنها أن يقرأ القرآن على الترتيب ولا ينكس ومنها أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أو في حجره ومنها أن لا يمحو القرآن من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء و يشرب الغسالة بقصد الاستشفاء أو يدفنها في مكان طاهر بعيد عن ممر الاقدام ومنها أن لا يتخذ الصحيفة اذا بليت بل يمحوها بالماء و يفعل بها ما تقدم ومنها أن يعطي عينيه حقهما من النظر في المصحف ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا ومنها أن لا يتأول القرآن بشيء من أمور الدنيا يعرض له كقول الرجل اذا جاءه أحد جئت على قدر يا موسى وكقوله لضيوفه مثلا كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية ومنها أن لا يقرأ القرآن بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ومنها أن يجوف خطه اذا كتبه ومنها أن لا يقرأ في الاسواق أو في مواطن اللغط و مجمع السفهاء والتعرض بتلاوته لسؤال الخلق ومنها أن لا يصغر المصحف فانه ورد النهي عن تصغير المسجد والمصحف ومنها أن لا يكتب على الارض ولا على حائط كما يفعل في المساجد وفي الحديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل ما هذا قال من كتاب الله كتبه يهودي فقال لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله الا موضعه و رأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن على حائط فضربه ومنها أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ختم القرآن يقرأ من أوله قدر خمس آيات وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأله عن أفضل العمل فقال عليك بالحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل ومنها اذا ختم القرآن أن يجمع أهله ويدعو بخير الدارين كما كان السلف الصالح يفعلونه لاجابة الدعاء عند ختمه كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة ومنها اذا كتبه وشربه ينوي به الشفاء من كل داء وبلوغ الآمال من كل خير فان الله يؤتيه على قدر نيته ومنها اذا كتبه حرزا وليجعله في غمد يحفظه من كل أذى كجلد محيط به ونحوه اه ملخصا من القرطبي وهذا آخر ما قدره الله تعالى من هذا التعليق الشريف ولم يكن في ظني أن يجيء على هذا المنوال المنيف لقصور باعي وفتور همتي وضعف ذهني ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشياخنا الكرام بدور الظلام فجاء ذلك التعليق متضمنا ما في أصله وفائقا صغير الحجم سهل الالفاظ رائقا كافيا للمقتصر عليه شافيا للناظر فيه بعين الرضا وافيا بالمطالب كلها معقولا ومنقولا شريعة وطريقة وحقيقة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد المخلوقات وعلى آله وأصحابه السادات وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات تم بحمد الله وعونه يوم الثلاثاء المبارك لأربع بقين من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والالف من هجرته عليه الصلاة والسلام

قوله ومنها أن لا يتخذ الصحيفة الخ عبارة العلامة الجمل أن لا يتخذ الصحيفة اذا بليت ودرست وقاية للكتب فان ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء اه

﴿يقول راجي عفو ربه الكريم * مصححه ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم﴾

نحمدك أن منحت الصفوة من عبادك تنزيلك يا حكيم يا حميد * ونشكرك أن أعجزت البلغاء عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله وأيدت به رسولك أبلغ تأييد * ونصلي ونسلم على أجل مبعوث بأفضل كتاب الى خير أمه * سيدنا محمد وآله وصحبه ومن انتهج شرعه المستقيم وأمه ﴿وبعد﴾ فلما كان من المعلوم لدى كل خبير * أن أفضل العلوم علم التفسير * وكان من أجل ما كتب عليه حاشية أوحد الزمان * وفريد العصر والأوان * ذى الأسرار والفيض السماوى * سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الصاوى * على تفسير الامامين الجليلين * اللذين اشتهر فضلهما في الخافقين التزم بطبعها * رجاء نشر عبير نفعها * ذوو الهمم العاليه * والمساعى الخيرية الساميه (حضرة مصطفى افندى فهمى وشريكيه) أثابهم الله الثواب الجزيل * على هذا المسعى النافع الجميل * وكان هذا الطبع الزاهى الزاهر * وتمثيل هذا الشكل النضر الباهر * بالمطبعة العامرة الشرفيه * الثابت محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المحميه * وقد وافق التمام أوائل شهر شعبان المعظم * من سنة ١٣١٩ من هجرة النبي المفخم * عليه الصلاة والسلام * وآله وصحبه ماتعاقب الليالى والايام آمين آمين

فهرست الجزء الرابع من حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين

تمت